

كِتَابُ شَرْحِ صَلَاةِ الْقُطْبِ

بِرُفْعِ شَلَشٍ

سِيَاسَاتُ مُؤَرَّاتِيَّةٍ فَرْيَدَةٍ

مِنْ تَأْيِيفِ

سَمِيدِي أَحْمَدَ بَنِي عَجِيْبَةٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

جَمْعٌ وَتَقْدِيمٌ

العُمَرَانِي المَعَالِدِي عَبْدَ السَّلَامِ

دارُ المَدِينَةِ الدَّارُ البَيْضَاءُ

كَلَامُ الرَّسَائِدِ الْكَلَامِيَّةِ

الدَّارُ البَيْضَاءُ المَغْرِبِ

كتاب شرح صلاة القطب

بن مشيش

سلسلة نورانية، فريدة

من تأليف

سيدني أحمد بن عجيبة

رضي الله عنه

السلسلة الأولى

١ - شرح صلاة القطب بن مشيش رضي الله عنه

٢ - شرح صلاة ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه

٣ - سلك الدرر، في ذكر القضاء والقدر

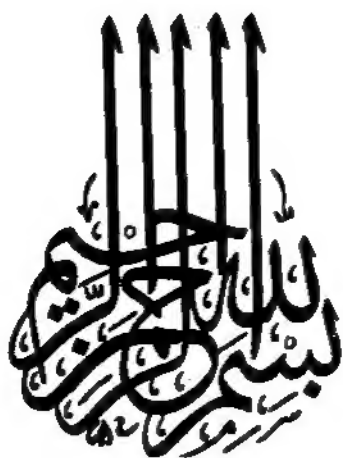
جمع وتقديم

العمراني الخالدي عبد السلام

دار الحديثة الناز البيضاء

دار الرشاد الحديثية

الناز البيضاء - المغرب



تَعْرِيفُ سَيِّدِي أَحْمَدَ بِنَعْجِيَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لِجَامِعِ مُؤَلَّفَاتِهِ، وَخَدِيمِ الطَّرِيقَةِ الْعَجِيبَةِ الرَّشِيدَةِ: الْعِمْرَانِي الْخَالِدِي عَبْدَ
السَّلَامِ.

- الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيمِ الْغَفَّارِ، ذِي الطُّوْلِ الْوَاسِعِ وَالنَّعَمِ الْغَزَّارِ، وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نُورِ الْأَنْوَارِ، وَسِرِّ الْأَسْرَارِ، وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ،
وَصَحَابَتِهِ الْأَبْرَارِ. وَبَعْدُ:

فَإِنَّ سَيِّدِي أَحْمَدَ بِنَعْجِيَّةَ الْحَسَنِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ - عَارِفٌ كَبِيرٌ بِرَبِّهِ.
مُتَضَلِّعٌ فِي عُلُومِ الْقَوْمِ. حَائِزٌ قَصَبِ السُّنَنِ فِي عُلُومِ الشَّرِيعَةِ وَالطَّرِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ. لَا
يَخْتَاجُ إِلَى تَعْرِيفٍ، فَقَدْ طَلَعَ نَجْمُهُ عَلَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. وَوُضِعَتْ حَوْلَهُ
أَطْرُوحَاتُ، عَالِمٌ مَغْرِبِيٌّ كَبِيرٌ، وَصُوفِيٌّ ذَوْقِيٌّ شَهِيرٌ. أَشْهَرُهُ عِلْمُهُ وَمَوْلَاتُهُ النَّادِرَةُ،
الَّتِي فَاقَتْ الثَّلَاثِينَ، فِي الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ. فَكِتَابُهُ: «إِقَاطُ الْهَمَمِ»، فِي شَرْحِ
الْحَكَمِ، وَالْفَتْوحَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، فِي شَرْحِ الْمَبَاحِثِ الْأَصْلِيَّةِ الْمَطْبُوعِ فِي دَارِ الْمَصْرِفَةِ،
وَفِي بَعْضِ مَطَابِعِ مِصْرَ - مِنْذُ عَشْرَاتِ السِّنِينَ، فَقَدْ عَرَفَهُ، وَكَذَلِكَ مَنْ عَثَرَ عَلَى
فهرسه، أَوْ بَعْضِ كُتُبِهِ، الَّتِي عَلَى رَأْسِهَا: «الْبَحْرُ الْمَدِيدُ»، فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ
بِالْعِبَارَةِ وَالْإِشَارَةِ. أَيْ بِالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَبَاطِنِ الْبَاطِنِ - يُذَرِّكُ مَنْ هُوَ سَيِّدِي أَحْمَدُ
بِنَعْجِيَّةَ، الَّذِي تَضَاءَلَتْ الْفُهُومُ أَمَامَ فَهْمِهِ، وَتَقَاصَرَتْ الْجُهُودُ أَمَامَ جُهُودِهِ.
فَسَيِّدِي أَحْمَدُ بِنَعْجِيَّةَ، فَرِيدٌ عَصْرُهُ وَأَوَانِهِ. انْحَدَرَ مِنْ عَائِلَةِ ثَوْرَانِيَّةٍ، صَالِحَةٍ
مُضْلِحَةٍ، أَفْرَادُهَا - ذُكُورًا وَإِنَاثًا، نَابِعُونَ بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، وَالذَّوْقِ وَالْهَمَّةِ. وَلَا
تَزَالُ فِيهِمْ هَذِهِ الصَّبْغَةُ. فَهُوَ سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ سَيِّدِي الْمَهْدِيِّ بْنِ
سَيِّدِي الْحُسَيْنِ، بْنِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بِنَعْجِيَّةِ الْحَجُّوجِي، بْنِ سَيِّدِي عَبْدِ اللَّهِ بِنَعْجِيَّةَ.
ثُمَّ إِلَى سَيِّدِي سَخْنُونٍ، بْنِ مَوْلَايَ إِبْرَاهِيمَ، بْنِ مَوْلَايَ مُحَمَّدٍ، بْنِ مَوْلَايَ مُوسَى،
بْنِ مَوْلَايَ عَبْدِ اللَّهِ، ثُمَّ إِلَى مَوْلَايَ إِدْرِيسِ الْأَصْغَرِ، ابْنِ مَوْلَايَ إِدْرِيسِ الْأَكْبَرِ.
هَكَذَا هُوَ فِي فَهْرَسِهِ. أَمَّا عَنْ تَعْبُدِهِ، فَقَدْ أَلْهَمَهُ اللَّهُ الْخُلُوعَ وَالْوَحْدَةَ وَهُوَ صَغِيرٌ.

فَقَدْ قَالَ فِي فهرسه: «فَكُنْتُ لَا أَلْعَبُ مَعَ الصُّبْيَانِ، وَلَا أَلْتَقِيتُ إِلَيْهِمْ. فَقَدْ أَلْقَى اللَّهُ فِي قَلْبِي مَحَبَّةَ الْعِلْمِ فِي حَالِ الصَّبَا».

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ: «قَلَمًا حَفِظْتُ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، سَافَرْتُ لِتَحْقِيقِ الْقِرَاءَةِ. وَتَعْلِيمِ التَّوْحِيدِ». وَقَدْ دَرَسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ، عَلَى عُلَمَاءَ أَجَلَاءَ، مُبَرِّزِينَ فِي الْعِلْمِ، وَلَهُ ثَلَاثُ إِجَازَاتٍ فِي فهرسه، مِنْ عُلَمَاءِ أَكَابِرِ عَصْرِهِ. الْإِجَازَةُ الْأُولَى، لِلْعَلَامَةِ شَيْخِ الْجَمَاعَةِ بِالْمَغْرِبِ، سَيِّدِي التَّوْوِيدِي بْنِ سُودَةَ. وَالثَّانِيَّةُ، لِلْعَلَامَةِ، سَيِّدِي مُحَمَّدِ بْنِسِ الْفَاسِي. وَالثَّالِثَةُ، لِلْعَلَامَةِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ الْوَرَزَازِي. وَكُلُّهُمْ فِي إِجَازَاتِهِمْ، أَعْرَبُوا أَنَّ الْمُجَازَ فَوْقَهُمْ فِي الْعِلْمِ، وَإِنَّمَا جَرَتْ عَادَةُ الشُّيُوخِ. إِجَازَةُ الْمُتَخَرِّجِينَ عَلَى أَيْدِيهِمْ. وَبَعْدَمَا انْفَرَدَ بِعُلُومِ الظَّاهِرِ، انْتَقَلَ لِلتَّجَرُّدِ إِلَى الْعَمَلِ وَالتَّجَرُّدِ لِلْعِبَادَةِ. اسْتَعَدَّادًا لِعِلْمِ الْبَاطِنِ. وَهُوَ الْعَمَلُ بِالشَّرِيعَةِ الظَّاهِرَةِ. إِذْ لَا يَسْتَقِيلُ الْعَمَلُ إِلَى الْبَوَاطِنِ، حَتَّى تَسْتَقِيمَ الظَّوَاهِرُ. إِذِ الشَّرِيعَةُ بَابٌ، وَالْحَقِيقَةُ أَبْوَابٌ. وَقَدْ أَخَذَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِلْمَ الذَّوْقِ عَنْ شَيْخِهِ الْمَرْبِيِّ الْكَبِيرِ، الْقُطْبِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ الْبُورْزَيْدِي الْحَسَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَشَهِدَ لَهُ بِالْمَقَامِ الْأَسْنَى، فِي الْعُلُومِ وَالْفُهُومِ، شَيْخُهُ، وَشَيْخُ شَيْخِهِ، مَوْلَايَ الْعَرَبِيِّ الدَّرَقَاوِي الْحَسَنِيِّ. وَقَدْ فَاخَهُمَا عِلْمًا وَذَوْقًا وَكُشْفًا. قَالَ فِي فهرسه: «أَمَّا عِلْمُ الْبَاطِنِ، فَهُوَ عِلْمِي وَمَحْطُ قَدَمِي، وَلِي فِيهِ الْبَاعُ الطَّوِيلُ». وَقَدْ جَدَّدَ طَرِيقَ الْقَوْمِ، فِي الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ الْهَجْرِيِّ. عَلَى دَعَائِمِ قُدْسِيَّةٍ، دُونَ الْيَقَاتِ لِغَيْرِهِ، وَطَبَعَهَا بِقَوْلِهِ: «وَهَذَا ذَوْقِي لَا أَقْلُدُ فِيهِ أَحَدًا». وَذَلِكَ لَمَّا حَقَّقَ مَقَامَاتِ الْيَقِينِ كُلَّهَا، ذَوْقًا وَمُشَاهَدَةً وَمُعَايَنَةً. وَلَهُ قَصَائِدُ صُوفِيَّةٌ فَرِيدَةٌ. فِي آدَابِ الصُّوفِيَّةِ، وَالْخَمْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ. وَفِي تَفْسِيرِ أَطْوَارِ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ، وَفِي الْحَضَرَةِ النَّبَوِيَّةِ. ثُمَّ فِي الْحَضَرَةِ الرُّبَانِيَّةِ. إِضَافَةً إِلَى مُؤَلَّفَاتِهِ الْعَدِيدَةِ. فِي الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ. كَمَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ الْإِشَارَةُ. وَتُوفِّيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَامَ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفِ هِجْرِيَّةٍ. «1225» عَنْ عُمَرُ يَتَاهِزُ الثَّالِثَةِ وَالسُّتَيْنِ عَلَى الْمَشْهُورِ - حَقَّقْنَا اللَّهُ تَعَالَى بِعُلُومِهِ وَقُهُومِهِ. وَجَعَلْنَا عَلَى هَدْيِهِ وَآثَارِهِ. آمِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. العرائش في 12 شوال عام 1414 هجرية. الموافق د: 23 مارس سنة: 1994 ميلادية.

جَامِعُهُ وَمُصَحِّحُهُ:

الْعِمْرَانِي الْخَالِدِي عَبْدُ السَّلَامِ

- لَطَفَ اللَّهُ بِهِ عَلَى الدَّوَامِ -

المقدمة

تعريف بسيدي أحمد بنعجية

تَعْرِيفُ بِالْقُطْبِ الْكَامِلِ الْأَنْوَارِ، فِي الْعُلُومِ وَالْأَذْوَاقِ وَالْأَسْرَارِ، أَبِي
الْعَبَّاسِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بِنَعْجِيَّةِ الْحَسَنِيِّ الْأَعْرَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَوْلَانَا الْمُصْطَفَى الْكَرِيمِ،

وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ وَأَهْلِ عِتْرَتِهِ الْمُنْعَمِينَ أَجْمَعِينَ

وَبَعْدُ: فَقَدْ وَقَفَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِمَخْضِ الْمِئَةِ، وَسَاقَنِي مُنْذُ عَشْرِينَ سَنَةً، إِلَى
صُحْبَةِ أَكْبَارِ بَنِي عَجِيَّةٍ، دَوِي الْهَمِّ الْعَالِيَةِ، فِي الْعُلُومِ الذُّوقِيَّةِ اللَّذِيَّةِ، بِالْإِضَافَةِ
إِلَى كَافَّةِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَجَمَعْتُ مِنْ جِهَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، مِنْ مُؤَلَّفَاتِ سَيِّدِي أَحْمَدَ
بِنَعْجِيَّةٍ، سِتَّةً وَعَشْرِينَ مَا بَيْنَ شَرِيعَةٍ وَحَقِيقَةٍ، كُلُّهَا نَسَخْتُهَا بِيَدِي فِي ثَلَاثِ سِنِينَ
عَشْرَةٍ، وَشَرَفْتُ بِأَمْرِ مِنْ شَيْخِي - فَرِيدِ زَمَانِهِ، سَيِّدِي عَبْدَ الْقَادِرِ بِنَعْجِيَّةٍ، وَشَقِيقَهُ
الْعَالِمَ الْجَلِيلَ، وَالصُّوفِي الْكَبِيرَ، سَيِّدِي مُحَمَّدَ بِنَعْجِيَّةٍ - بِتَقْدِيمِ وَطَبْعِ شَرْحِ الصَّلَاةِ
الْمَشِيشِيَّةِ، لِجَدِّهِمَا الْعَارِفِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بِنَعْجِيَّةٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَتَمَّتِ
الطَّبْعَةُ الْأُولَى عَامَ 1402 هـ - 1982 م.

وَالْيَوْمَ، وَقَدْ جَاءَ دَوْرُ طَبْعِ سِلْسِلَاتٍ مُتَوَرَّةٍ، مِنْ مُؤَلَّفَاتِ هَذَا الْعَارِفِ الْأَكْبَرِ،
يَتْلُوهَا طَبْعُ الْبَحْرِ الْمَدِيدِ، فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، بِإِشَارَةِ وَإِذْنٍ مِنْ شَيْخِي
الْمُنَوَّرِ، سَيِّدِي عَبْدَ الْقَادِرِ بِنَعْجِيَّةٍ، لِنُحْبَةٍ طَيِّبَةٍ صَالِحَةٍ، وَجَزَاءً عَلَى الْعَادَةِ الْمُتَّبَعَةِ،
فِي التَّعْرِيفِ بِالْكَتُبِ النَّفِيسَةِ الْمَخْطُوطَةِ، وَأَصْحَابِهَا الْكَمَالِ الْعَبَاقِرَةِ، فَقَدْ كُتِفْتُ
بِوَضْعِ تَعْرِيفٍ شَامِلٍ لِمُؤَلَّفَاتِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بِنَعْجِيَّةٍ، لِيَتَعَرَّفَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَعَلَى
صَاحِبِهَا، وَلِيَشْرَبُوا مِنْ قَيْضِهَا، لِيَحْضَلَ بِهَا الْإِنْتِفَاعُ، وَيَتِمَّ بِهَا الْإِتْبَاعُ، وَسَيَجِدُ
الْقَارِءُ الْكَرِيمُ، هَذَا التَّعْرِيفَ مُصَدَّرًا بِهِ السِّلْسِلَاتُ التَّوْرَانِيَّةُ الْعَجِيبَةُ، وَتَفْسِيرُ
الْبَحْرِ الْمَدِيدِ الْمُتِمُّ الْأُمْنِيَّةُ. وَجَاءَ تَكْلِيفِي بِهَذِهِ الْمُهِمَّةِ، مِنْ أُمُورٍ عِدَّةٍ:

1 - لِكُونِي أَعْرِفَ النَّاسَ بِمُؤَلَّفَاتِهِ وَعُلُومِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

2 - لِإِذْنِ الَّذِي لِي فِي جَمْعِهَا وَنَسْجِهَا وَتَشْرِihَا شَفَوِيًا مِنْ شَيْخِي، وَمِنْ صَاحِبِهَا فِي عِدَّةٍ رَأَى صَادِقَةً.

3 - لِكُونِ نَسْجِهَا الْمُسْتَوْعِبَةِ لِفُنُونِهَا بِخَطِّ يَدِي وَبِحَرَائِثِي مُتَوَفَّرَةٍ.

4 - وَلَاغْتِبَارَاتٍ أُخْرَى تَرَكْتُهَا هُنَا تَوَاضَعًا لِلَّهِ تَعَالَى. وَإِنَّ سَيِّدِي أَحْمَدَ بنعجبة، كَالشَّمْسِ الْمُشْرِقَةِ، تَعْرِفُهُ الْمَشَارِقَةُ وَالْمَغَارِبَةُ، لَا يَخْتَاجُ إِلَى تَغْرِيفٍ، وَلَا إِلَى تَقْدِيمٍ، فَقَدْ أَشْهَرَهُ كِتَابُهُ النَّفِيسُ: «إِيقَاطُ الْهَمَمِ»، فِي شَرْحِ الْحُكْمِ، وَالْفَتْوَحَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، فِي شَرْحِ الْمَبَاحِثِ الْأَصْلِيَّةِ، الْمَطْبُوعِ فِي مِصْرَ، وَفِي لُبْنَانَ، مُنْذُ مَا يَقْرُبُ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ، وَيُجَدِّدُ طَبْعَهُ كُلَّمَا نَقَدَ. وَمَعَ هَذَا، فَهَذَاكَ جَوَابٌ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا، فَلْيَعْلَمْ الْقَارِئُ الْكَرِيمُ، أَنَّ الْعَارِفَ الْمُحَقِّقَ، سَيِّدِي أَحْمَدَ بنعجبة، قَدْ انْتَحَذَ مِنْ عَائِلَةٍ، نَابِعَةٍ بِالْعُلُومِ وَالْحِكْمَةِ، كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا، ذَكَرَهَا وَأَنَّثَاهَا، مُنْذُ قُرُونٍ مُتَتَابِعَةٍ، وَلَا زَالَ هَذَا الْفَيْضُ الْإِلَهِيُّ بِهَا وَفِي أَتْبَاعِهَا، فَهُوَ سَيِّدِي أَحْمَدُ، بِنِ سَيِّدِي مُحَمَّدُ بن سيدي الحسين بن محمد بنعجبة الْحُجُوجِي، بِنِ مُحَمَّدِ بن سيدي المَهْدِيِّ، بِنِ سَيِّدِي الْحُسَيْنِ بن مُحَمَّدِ بنعجبة الْحُجُوجِي، بِنِ سَيِّدِي عَبْدِ اللَّهِ بنعجبة الَّذِي اسْتَقَرَّ بِخَمْسِ أَنْجَرَةٍ، ثُمَّ إِلَى سَيِّدِي سَخُونِ، بِنِ مَوْلَايَ إِبْرَاهِيمَ، بِنِ مَوْلَايَ مُوسَى، بِنِ مَوْلَايَ عَبْدِ اللَّهِ، ثُمَّ إِلَى مَوْلَايَ إِدْرِيسِ الْأَضْمَرِ، بِنِ مَوْلَايَ إِدْرِيسِ الْأَكْبَرِ.

وَكَانَ لِأَجْدَادِهِ كَرَامَاتٌ وَخَوَارِقُ عِدَّةٌ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ مَنْ هُوَ فِي الْعَوْنَانِيَّةِ، كَسَيِّدَتِنَا فَاطِمَةَ الْعَجِيبَةِ، وَمِنْ مَشَاهِيرِ أَجْدَادِهِ، فَاطِمَةُ الْعَجِيبَةِ، وَسَيِّدِي عَبْدِ اللَّهِ مِغْرَاوِي، وَسَيِّدِي الْحَسَنَ الْحُجُوجِي، وَقَدْ فَاقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَجْدَادَهُ فِي الْكَرَامَاتِ وَالْمُكَاشَفَاتِ، وَأَكْبَرُ كَرَامَاتِهِ، الْفَهْمُ الْكَبِيرُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِشَارَةِ، عَلَى مُسْتَوَى عَالٍ فِي الْمَعْرِفَةِ، وَشَرَحَ مَعَهُ الْحُرُوفَ الْمُقْطَعَةَ، الَّتِي أَفْتَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا بَعْضَ السُّورِ الْقُرْآنِيَّةِ. وَيَكْفِي قَوْلُهُ فِي فَهْرَسِهِ. أَمَّا عِلْمُ الْبَاطِنِ فَهُوَ عِلْمِي، وَمَحْطُ قَدَمِي، وَلِي فِيهِ الْبَاعُ الطَّوِيلُ. فَلَمْ يُقَلِّدْ فِي الذَّوْقِ أَحَدًا مِنَ السَّابِقِينَ، بَلْ كَانَ يَغْرِفُ فِيهِ بِمِغْرَافِ الْحَقِّ تَعَالَى. وَقَدْ تَحَدَّثَ طَوِيلًا عَنِ التَّرْبِيَةِ النَّبَوِيَّةِ الذَّوْقِيَّةِ، وَقَالَ: وَهَذَا ذَوْقِي، لَا أَقَلِّدُ فِيهِ أَحَدًا. فَقَدْ كَانَتْ لَهُ مَصَادِرُ يَكْرَعُ مِنْهَا الْعُلُومُ وَالْفُهُومُ إِلَى حَدِّ بَعِيدٍ أَجْمَلُهَا فِي تَلْقِيهِ الْعُلُومَ عَنِ الْكِبَارِ، وَضَحْبَةِ شَيْخِهِ الْبُوزِيدِي صَاحِبِ الْأَسْرَارِ. وَبِذَلِكَ تَرَقَّتْ فِيهِ الْفِرَاسَةُ وَالْإِلْهَامُ، وَالرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ النَّابِعَةُ مِنْ وَخِي الْإِعْلَامِ، فَرَّالٌ عَنِ بَصِيرَتِهِ الْغِشَاءِ، وَفَهْمٌ عَنِ اللَّهِ جُلَّ الْأَشْيَاءِ. وَقَدْ نَهَجَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، نَهْجًا ذَقِيقًا، لَمْ يَصِلْهُ الْقُشَيْرِي فِي رِسَالَتِهِ،

وَلَا صَاحِبَ الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ، وَلَا صَاحِبَ التَّأْوِيلَاتِ، وَلَا صَاحِبَ رُوحِ الْمَعَانِي، وَلَا الطَّبْرِي فِي تَفْسِيرِهِ، وَلَا غَيْرَهُمْ مِمَّنْ تَكَلَّمَ فِي عِلْمِ الْإِشَارَةِ. فَقَدْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ كُلَّهُ بِالْعِبَارَةِ وَالْإِشَارَةِ، فِي مُجَلَّدَاتٍ أَرْبَعَةٍ، سَمَّاهُ بِـ«الْبَحْرِ الْمَدِيدِ»، فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ وَجَعَلَ لِلْفَاتِحَةِ شَرْحاً مُسْتَفِيضاً مُسْتَقِلاً، سَمَّاهُ كَذَلِكَ، بِالْبَحْرِ الْمَدِيدِ، وَقَدْ بَلَغَتْ مَوْلَفَاتُهُ فِي الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ، سِتَّةً وَثَلَاثِينَ، يَنْتَظِلُّهَا الْبَحْرُ الْمَدِيدُ، فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَتَفْسِيرِ الْفَاتِحَةِ الْكَبِيرِ، وَشَرْحِ الْحَكَمِ الْعَطَانِيَّةِ، وَالْفُتُوحَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، فِي شَرْحِ الْمَبَاحِثِ الْأَصْلِيَّةِ، وَالْفُتُوحَاتِ الْقُدُوسِيَّةِ، فِي شَرْحِ الْمُقَدِّمَةِ الْأَجْرُومِيَّةِ، بِالْبَحْرِ وَالْإِشَارَةِ، وَالْأَنْوَارِ السَّنِيَّةِ، فِي شَرْحِ الصَّلَاةِ الْمَشِيشِيَّةِ، وَالْجَامِعِ الصَّغِيرِ فِي الْفِقْهِ، وَتَسْهِيلِ الْمَدْخَلِ، لِتَنْمِيَةِ الْأَعْمَالِ، بِالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ عِنْدَ الْإِقْبَالِ، وَمِعْزَاجِ التَّشَوُّفِ إِلَى حَقَائِقِ التَّصَوُّفِ، وَسِلْكِ الدُّرَرِ، فِي ذِكْرِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَشَرْحِ صَلَاةِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ الْحَاثِمِيِّ، وَالْأَنْبِيَاءِ الثَّلَاثَةِ الْمُسْتَوْبَةِ لِلْجَنَّةِ: «تَوْضُأٌ بِمَاءِ الْغَيْبِ إِنْ كُنْتَ ذَا سِرٍّ» إِلَى آخِرِهَا. وَشَرْحُ قَصِيدَةِ الرَّفَاعِيِّ: «يَا مَنْ تَعَاظَمَ حَتَّى رَقَّ مَعْنَاهُ» إِلَى آخِرِهَا. وَشَرْحُ نُونِيَّةِ الشُّشْتَرِيِّ، وَبَعْضُ مُقْطَعَاتِهِ الْمُنَوَّرَةِ، وَالْأَنْوَارِ السَّنِيَّةِ، فِي الْأَذْكَارِ النَّبَوِيَّةِ، وَشَرْحُ خَمْرِيَّةِ ابْنِ الْقَارِضِ، وَتَائِيَّةِ شَيْخِهِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ الْبُورْزَيْدِي، وَشَرْحُ تَائِيَّةِ الْقُطْبِ الْقُرْدِي، سَيِّدِي عَلِيِّ الْجَعِيدِي، وَنَبْذَةُ مِنْ مَنَاقِبِ الرَّهَادِ السَّبْعَةِ، وَكَشْفُ الثَّقَابِ عَنْ سِرِّ لُبِّ الْأَلْبَابِ، وَشَرْحُ فِي دَمِ الْغَيْبَةِ وَالتَّوْبَةِ، وَشَرْحُ الْوُظُفَةِ الزُّرُوقِيَّةِ، وَشَرْحُ الْهَمْزِيَّةِ وَالْبُرْذَةِ، وَأَزْهَارُ الْبُسْتَانِ، فِي طَبَقَاتِ الْأَغْيَانِ، لِعُلَمَاءِ الظَّاهِرِ، ثُمَّ لِعُلَمَاءِ الْبَاطِنِ، وَفَهْرُسُهُ الَّذِي بِهِ حَيَاتُهُ وَأَعْمَالُهُ وَمَوَاهِبُهُ.

أَخَذَ طَرِيقَ التَّصَوُّفِ، عَنِ الْقُطْبِ الْكَبِيرِ الْوَاصِلِ، الْمُرَبِّي، سَيِّدِي مُحَمَّدِ الْبُورْزَيْدِي الْحَسَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَاشَرَ شَيْخَ الْمَشَايِخِ، مَوْلَايَ الْعَرَبِيِّ الدَّرَقَاوِي. وَكَانَ لَهُ دَارَانِ عَامِرَتَانِ، دَارُ بَيْتِي سَعِيدٍ، وَدَارُ بِالزَّمِيحِ بِأَنْجَرَةٍ، وَكَانَ لَهُ فُقَرَاءُ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، ظَهَرَ فِيهِمْ سِرَّةٌ. وَهُوَ ذَفِينُ قَرْيَةِ الزَّمِيحِ، تُوْفِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَامَ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفِ هِجْرِيَّةٍ، هَكَذَا «1225». نَقَعْنَا اللَّهُ تَعَالَى بِعُلُومِهِ وَأَذْوَاقِهِ، آمِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ تَسْلِيماً.

«العرائش في يوم الأحد 26 محرم الحرام، عام 1414 هجرية»

الموافق لـ18 يوليوز سنة 1993 ميلادية لجامعه ومصححه ومقدمه

العمراتي الخالدي عبد السلام لطف الله به على الدوام

شرح صلاة القطب ابن مشيش رضي الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ، الْعَالِمُ الْعَلَامَةُ، الْوَلِيُّ الصَّالِحُ، الْعَارِفُ الرَّبَّانِيُّ: سَيِّدِي
أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِنَعِيجِيَّةِ الْحَسَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَفَعَنَا بِهِ آمِينَ.

نَحْمَدُكَ يَا مَنْ تَجَلَّى لِقُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ، بِكَمَالِ جَمَالِهِ وَبَهَائِهِ. فَتَنَزَّهَتْ فِي رِيَاضِ
مَلَكُوتِهِ الْأَفْكَارُ. وَنَشْكُرُكَ يَا مَنْ تَوَلَّى أَسْرَارَ أَنْبِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ، فَخَاضَتْ فِي بَحَارِ
جَبَرُوتِهِ الْأَسْرَارُ. وَنُصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَى بَذْرَةِ الْوُجُودِ، وَمَطْلَعِ شَمْسِ السُّعُودِ. سَيِّدِنَا
وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا، الَّذِي مِنْ سِرِّ نَاسُوتِهِ انْشَقَّتْ الْأَسْرَارُ. وَمِنْ لَاهُوتِ صِفَاتِهِ؛ انْفَلَقَتْ
الْأَنْوَارُ. صَلَاةً وَسَلَامًا يَلْقِيَانِ بِمَا لَهُ مِنْ عَظِيمِ جَاءٍ وَمِقْدَارٍ. وَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ
أَصْحَابِهِ الْأَبْرَارِ. وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَطْهَارِ.

وَبَعْدُ: فَهَذَا شَرْحٌ لَطِيفٌ، عَلَى تَضْلِيلَةِ الْقُطْبِ الْجَامِعِ، سَيِّدِي عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ
مَشِيشٍ نَفَعَنَا اللَّهُ بِذِكْرِهِ. وَأَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْ صِيبِ فَيْضِهِ آمِينَ. نَدْبِنِي إِلَيْهِ شَيْخَنَا
الْعَارِفَ، الرَّبَّانِي، قَدَوَةَ السَّائِرِينَ. وَمُرَبِّي الْوَاصِلِينَ، سَيِّدِي مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ
الْبُوزِيدِي الْحَسَنِي. فَاجْتَبَهُ إِلَى ذَلِكَ. رَجَاءَ التَّحْقِيقِ بِمَحَبَّتِهِ، وَالشُّرْبِ مِنْ فَيْضِ
مَدَدِهِ. وَلِنَقْدِمَ بَيْنَ يَدَيِ الْكَلَامِ، تَرْجُمَةَ الشَّيْخِ. وَذِكْرَ شَيْءٍ مِنْ كَلَامِهِ.

1 - الطَّبِيعَةُ. 2 - عِلْمُ اللَّاهُوتِ، عَنْ الْحَقَائِقِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى. وَاللَّهُ
هُوَ بَيُّ: الْعَالِمُ بِالْحَقَائِقِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى.

أَمَّا تَرْجُمَتُهُ: فَهُوَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ، الْعَارِفُ الْوَاصِلُ، الْوَلِيُّ الْكَبِيرُ، وَالْقُطْبُ
الشَّهِيرُ، شَمْسُ زَمَانِهِ، وَفَرِيدُ عَصْرِهِ وَأَوَانِهِ. سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ مَشِيشٍ
بِالْمِيمِ. وَرَبَّمَا قِيلَ بِالْبَاءِ. وَإِنْدَالُ الْبَاءِ بِالْمِيمِ، لُغَةٌ مَازْنِيَّةٌ، وَمَعْنَاهُ الْخَادِمُ الْخَفِيفُ؛
الْحَادِثُ اللَّبِيبُ، ابْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَلِيٍّ، بْنِ حُرْزَمَةَ، بْنِ عَيْسَى، بْنِ سَلَامٍ، بْنِ

مِزْوَار. ومغناه بلغة البزبر، بكر أبيه. ويستعمل في رئيس القوم، بن علي بن حنْذَرَة. وهو في الأصل، اسم الأسد، بن محمد بن إدريس الأزهر، بن إدريس الأكبر، بن عبد الله الكامل، بن الحسن المثنى، بن الحسن السبطي، بن علي كرم الله وجهه، رضي الله عنهم أجمعين. توفي رضي الله عنه شهيداً سنة 622هـ، أو فيما بعده بقليل. قال ابن خلدون: قَتَلَهُ فِي جَبَلِ الْعَلَمِ قَوْمٌ، بَعَثَهُمْ لِقَتْلِهِ، ابْنُ أَبِي الطَّوْاجِنِ الْكُتَامِيُّ السَّاحِرُ، الْمُدَّعِي النَّبُوَّةَ. وَبَسَبَ هَذِهِ الدَّعْوَةَ، رَحَفَتْ إِلَيْهِ عَسَاكِرُ سَبْتَةٍ. وَكَانَ عِنْدَ بَنِي سَعِيدٍ فُقُتِلَ. ثُمَّ قُلْتُ: أَخْبَرَنِي مَنْ أَثَقَّ بِهِ مِنْ بَنِي سَعِيدٍ، أَنَّهُ قَتَلَهُ شَابٌّ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الظَّالِمَ كَانَ فَاسِقًا. يَتَعَمَّدُ بَنَاتِ النَّاسِ كَرْهًا، فَتَرْيَا شَابَّ بَزْيِ النِّسَاءِ، فَلَمَّا اخْتَلَطَ بِهِ فِي خَلْوَتِهِ قَتَلَهُ؛ لِأَنَّ الظَّالِمَ كَانَ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ بِأَخْتِهِ، فَتَرْيَا بَزْيِ النِّسَاءِ وَأَهْدَى لَهُ، عَلَى أَنَّهُ بَشْتُ. فَقَتَلَهُ بِخُنْجَارٍ. وَكَانَتْ وَقَاتِهِ سَنَةُ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ وَسِتْمِائَةَ 625هـ، أَيِ الْقُطْبِ ابْنِ مَشِيشَ، عَلَى قَوْلِ ابْنِ خَلْدُونَ. وَذُفِنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قِمَّةِ الْجَبَلِ، الْمُسَمَّى بِالْعَلَمِ. قَالَ فِي الْمِيرَاثِ: وَأَثَارُهُ هُنَا كَثِيرَةٌ، مِنْ مَغَارَةِ لِلْخَلْوَةِ وَالْعِبَادَةِ، وَمَسْجِدِهِ، جُدْرَانُهُ قَصِيرَةٌ، وَمَوْضِعُ لَارْتِقَابِ الْفَجْرِ، وَتَحْتَ ضَرْيَحِهِ يَنْخَوِ الْمِيلُ، عَيْنٌ كَانَتْ يَتَوَضَّأُ فِيهَا، وَمَقْتَلُهُ فَوْقَهَا بِقَرِيبٍ يُقَالُ: إِنَّهُ تَوَضَّأَ فِيهَا عِنْدَ الْفَجْرِ. وَقَصَدَ الصُّعُودَ لِمَحَلِّ الْعِبَادَةِ، وَارْتِقَابِ الْفَجْرِ، فَقَتَلُوهُ هُنَاكَ. وَمِنْ السَّائِعِ، أَنَّهُ أَلْقَى عَلَيْهِمُ الضِّيَابَ الْكَثِيفَ، وَدَفَعُوا إِلَى شَوَاهِقِ الْجِبَالِ. فَتَرَدُّوا مِنْهَا فِي مَهَاوٍ سَحِيقَةٍ. فَمَزَّقُوا كُلُّ مُمَزَّقٍ. وَلَمْ يَزْجَعْ مِنْهُمْ مُخْبِرٌ، وَتَحْتَ هَذِهِ الْعَيْنِ، بِمَسَافَةِ أُخْرَى، رَسُومُ دَارِهِ الَّتِي كَانَ يَسْكُنُهَا. قُلْتُ: وَقَدْ وَصَلْتُهَا، وَصَلَيْتُ فِي أَثَرِ مَسْجِدِهِ، قُرْبَ الْعَيْنِ الَّتِي يُسَمُّونَهَا عَيْنَ الْقَشُورِ عَنْ يَمِينِهَا، وَلَا سَاكِنَ هُنَاكَ الْيَوْمَ، وَإِنَّمَا الْعُمَرَانِ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ، دَائِرًا بِهِ، فِي مَدَاشِرِ وَعُمُرَانٍ، يَسْكُنُهَا أَهْلُ هَذَا النَّسَبِ الشَّرِيفِ، وَمَعَهُمْ غَيْرُهُمْ. وَكَانَ لَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ أَرْبَعَةٌ: مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَعَبْدُ الصَّمَدِ، وَعِلَالٌ. وَمِنْ بَنِي وَلَدِهِ مُحَمَّدٌ: بَنُو عَبْدِ الْوَهَّابِ، وَطَائِفَةٌ يَسْمُونَ الرَّحْمُونِيِّينَ، بِقَرْبِ شَفْشَاوَنَ. وَمِنْ وَلَدِهِ عِلَالٌ أَوْلَادُ الْفَيْخَفَجِ، مِنْهُمْ فِرْقَةٌ بِمِرْأَكَشَ.

وَلَهُ أَخَوَانٌ: مُوسَى وَيَمْلَاحُ. وَمِنْ بَنِي مُوسَى: الشَّفْشَاوِيُّونَ الْقَاطِنُونَ بِفَاسَ. وَمِنْ بَنِي يَمْلَاحَ: سَيِّدِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، نَزِيلُ وَرَّانَ. وَلَهُ مِنَ الْأَعْمَامِ سِتَّةٌ: يُونُسَ، وَعَلِيٌّ، وَمَلْهَى، وَمِيمُونُ، وَالْفَتْوحُ، وَالْحَاجُّ. وَمِنْ أَوْلَادِ يُونُسَ: أَوْلَادُ بَنِ رَيْسُونَ. وَأَوْلَادُ بَنِ رَحْمُونٍ، وَأَوْلَادُ مَرَصُوعٍ وَمِنْ الْمَنْقُولِ، عَنْ سَيِّدِي عَبْدِ اللَّهِ الْغَزَوَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَوْضَةَ مَوْلَانَا عَبْدِ السَّلَامِ، مُشْتَمِلَةٌ عَلَى ثَلَاثَةِ قُبُورٍ،

الوسط منهم هو قبر الشيخ، والذي خلف ظهره، قبر ولده، سيدي محمد، والذي بين يديه، قبر خديمه بن خدامة رضي الله عنهم. ويروى أن الشيخ كان يوماً براء خلوته، يتلو القرآن، ومعه تلميذه، الشيخ أبو الحسن الشاذلي، حتى وصل سورة الأنعام، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدَّلَ كَعَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا﴾. فَرَدَّ عَلَيْهِ وَارِدَ لَيْسَ، اقْتَطَعَهُ عَنْ جَسَدِهِ، وَاسْتَعْرَقَ فِيهِ مَدَّةً، فَلَمَّا أَفَاق رَفَعَ يَدَهُ إِلَى لِسْمِهِ دَاعِيًا. فَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ مِنْ سَبَقَ لَهُ الشَّقَاءُ مِنْكَ فَلَا يَصِلُ إِلَيَّ، وَمَنْ وَصَلَ إِلَيَّ أَكُونُ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ. اللَّهُمَّ لَا تَبْعَثْ لَنَا مَنْ حَكَمْتَ بِشَقَائِهِ، وَأَمَّا عَبْدُ قَدْرِهِ، وَجَلَالَةِ مَنْصِبِهِ، فَذَلِكَ أَمْرٌ شَهِيرٌ. وَقَدْ تَغْلَغَلَ فِي عُلُومِ الْقَوْمِ؛ الَّتِي مَدَرَهَا عِلْمُ الْحَقِيقِ، بِأَخْلَاقِ النَّبِيِّ ﷺ، فَتَنَالَ مِنْ ذَلِكَ الْحِطِّ الْأَوْفَرِ، وَطَرِيقَهُ طَرِيقَ الْغِنَى الْأَكْبَرِ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذَلِي: دَخَلْتُ الْعِرَاقَ، وَاجْتَمَعْتُ بِالشَّيْخِ الصَّالِحِ، ابْنِ أَبِي الْفَتْحِ، فَمَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ، وَكُنْتُ أَطْلُبُ الْقُطْبَ. فَقَالَ لِي بَعْضُ الْأَوْلِيَاءِ: تَطْلُبُ الْقُطْبَ وَهُوَ بِبِلَادِكَ. ارْجِعْ إِلَى بِلَادِكَ تَجِدْهُ. فَرَجَعْتُ إِلَى الْمَغْرِبِ، إِلَى أَنْ اجْتَمَعْتُ بِأُسْتَاذِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ أَيْضاً: كُنْتُ يَوْماً بَيْنَ يَدَيَّ أُسْتَاذِي. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَيْتَ شِغْرِي، هَلْ يَعْلَمُ الشَّيْخُ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمِ. فَقَالَ وَلَدُ الشَّيْخِ: يَا أَبَا الْحَسَنِ: لَيْسَ الشَّأْنُ مَنْ يَعْلَمُ وَإِنَّمَا الشَّأْنُ مَنْ يَكُونُ هُوَ عَيْنَ الْأَسْمِ. فَقَالَ الشَّيْخُ: أَصَابَ وَتَفَرَّسَ فِيكَ وَلَدِي يَا أَبَا الْحَسَنِ. وَقِيلَ: كَانَ الْوَلَدُ الْمَذْكُورُ مِنْ ثَلَاثِ سِنِينَ. وَقَالَ أَيْضاً: كُنْتُ فِي سِيَاحَتِي فِي مَبْدَأِ أَمْرِي، حَصَلَ لِي تَرَدُّدٌ، هَلْ أَلْزَمَ الْبِرَارِي وَالْقَفَارَ لِاتْفَرِّغَ لِلطَّاعَةِ وَالْأَذْكَارِ أَوْ أَرْجِعْ إِلَى الْمُدُنِ، لَصَحْبَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَخْبَارِ، فَوُصِفَ لِي وَلِيِّ هُنَاكَ، وَكَانَ بِرَأْسِ جَبَلٍ، فَصَعِدْتُ إِلَيْهِ لَيْلاً، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَا أَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ: فَسَمِعْتَهُ وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ دَخَلَ الْمَعَارَةَ؟ اللَّهُمَّ إِنَّ قَوْماً سَأَلُوكَ أَنْ تُسَخِّرَ لَهُمْ خَلْقَكَ فَسَخَّرْتَ لَهُمْ خَلْقَكَ فَرَضُوا بِذَلِكَ مِنْكَ، اللَّهُمَّ وَإِنِّي أَسْأَلُكَ اغْوَجَّاجَ الْخَلْقِ عَلَيَّ، حَتَّى لَا يَكُونَ مِنْجَا إِلَّا إِلَيْكَ. وَالتَفْتُ إِلَى نَفْسِي، وَقُلْتُ: يَا نَفْسِي، انْظُرِي مِنْ أَيِّ بَحْرِ يَعْتَرِفُ هَذَا الشَّيْخُ؟ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَارْتَعَبْتُ مِنْ هَيْبَتِهِ. فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، كَيْفَ حَالُكَ؟ فَقَالَ: أَشْكُو إِلَى اللَّهِ مِنْ بَرْدِ الرِّضَى وَالتَّسْلِيمِ، كَمَا تَشْكُو أَنْتَ مِنْ حَرِّ التَّدْبِيرِ وَالْاخْتِيَارِ. فَقُلْتُ: أَمَا شَكْوَايَ مِنْ حَرِّ التَّدْبِيرِ وَالْاخْتِيَارِ، فَقَدْ دَفَعْتَهُ. وَإِنِّي الْآنَ فِيهِ، وَأَمَّا شَكْوَاكَ مِنْ بَرْدِ الرِّضَى وَالتَّسْلِيمِ فَمَا دَفَعْتُهُمَا. فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ تَشْغَلَنِي خَلَائِقُهُمَا عَنِ اللَّهِ. فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي سَمِعْتُكَ الْبَارِحَةَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّ قَوْماً... الخ... فَتَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِي عَوْضٍ أَنْ تَقُولَ: سَخَّرَ لِي خَلْقَكَ، قُلْ. يَا

رَبِّ كُنْ لِي . أترى إذا كَانَ لَكَ أَيْفُوتُكَ شَيْءٌ؟ فَمَا هَذِهِ الْجَبَانَةُ؟ اهـ . وَأَمَّا كَلَامُهُ فِي الْحَقَائِقِ وَالْوَصَايَا، فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ: «الزَّمِ الطَّهَارَةَ مِنَ الشُّكُوكِ، كُلَّمَا أَخَذْتُمْ تَطَهَّرْتُمْ، وَمَنْ تَدَنَسَ الدُّنْيَا، كُلَّمَا مِلَتْ إِلَى شَهْوَةٍ، أَصْلَحَتْ بِالتَّوَجُّهِ، مَا أَفْسَدَتْ بِالْوَهْمِ، أَوْ كَدَتْ، وَعَلَيْكَ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ عَلَى التَّوْقِيرِ وَالتَّزَاهَةِ، وَأَدِمِ الشَّرْبَ بِكَاسِهَا، مَعَ السُّكْرِ، كُلَّمَا أَفْقَتْ أَوْ تَيَقَّظْتَ شَرِبْتَ، حَتَّى يَكُونَ سُكْرُكَ وَصَحُوكَ بِهِ . وَحَتَّى تَغِيْبَ بِجَمَالِهِ عَنِ الْمَحَبَّةِ . وَعَنِ الشَّرَابِ، وَالشُّرْبِ وَالكَأْسِ بِمَا يَتَدَوَّلُ لَكَ مِنْ نُورِ جَمَالِهِ، وَقُدْسِ كَمَالِ جَلَالِهِ، وَلَعَلِّي أَخَذْتُ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْمَحَبَّةَ، وَلَا الشُّرْبَ، وَلَا الْكَأْسَ، وَلَا السُّكْرَ وَلَا الصُّخْرَ» . قَالَ لَهُ الْقَائِلُ: أَجَلْ، وَكَمْ مِنْ غَرِيقٍ فِي الشَّيْءِ لَا يَعْرِفُ بِغَرَفِهِ . فَعَرَفَنِي وَنَبَّهَنِي عَلَى مَا أَنَا بِهِ جَاهِلٌ، أَوْ مَا مَرَّ عَلَيَّ وَأَنَا عَنْهُ غَافِلٌ . قُلْتُ: لَكَ نَعَمْ . الْمَحَبَّةُ أَخَذَةُ مِنَ اللَّهِ . قُلْتُ: مَنْ أَحَبَّ بِمَا يَكْشِفُ لَهُ مِنْ نُورِ جَمَالِهِ، وَقُدْسِ كَمَالِ جَلَالِهِ . وَشَرِبَ الْمَحَبَّةَ مَزْجَ الْأَوْصَافِ بِالْأَوْصَافِ، وَالْأَخْلَاقِ بِالْأَخْلَاقِ، وَالْأَنْوَارِ بِالْأَنْوَارِ، وَالْأَسْمَاءِ بِالْأَسْمَاءِ، وَالتَّعُوتِ بِالتَّعُوتِ، وَالْأَفْعَالِ بِالْأَفْعَالِ . وَيَتَسَخَّرُ فِيهِ النَّظَرُ لِمَنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . وَالشُّرْبُ: سَقَى الْقُلُوبَ، وَالْأَوْصَالَ وَالْعُرُوقَ مِنْ هَذَا الشَّرَابِ، وَيَكُونُ الشُّرْبُ بِالتَّذْرِيبِ بَعْدَ التَّذْرِيبِ، وَالتَّهْذِيبِ بَعْدَ التَّهْذِيبِ، فَيَسْقَى كُلَّ عَلَى قَدْرِهِ . فَمِنْهُمْ مَنْ يُسْقَى بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَاللَّهُ يَتَوَلَّى ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُسْقَى مِنْ حِجَةِ الْوَسَائِطِ . كَالْمَلَائِكَةِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْأَكَابِرِ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَسْكُرُ بِشُهُودِ الْكَأْسِ، وَلَوْ لَمْ يَذُقْ بَعْدَ شَيْئًا . فَمَا ظَنَّاكَ بَعْدَ الذَّوْقِ، وَبَعْدَ الشُّرْبِ، وَبَعْدَ بِالرَّيِّ . وَبَعْدَ بِالسُّكْرِ، وَبَعْدَ بِالمَشْرُوبِ . ثُمَّ بِالصُّخْرِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مِقْدَارِ شَيْءٍ . كَالسُّكْرِ أَيْضًا كَذَلِكَ . وَالكَأْسُ: مِغْرَقَةُ الْحَقِّ، يُغْرَفُ بِهَا مِنْ ذَلِكَ الشَّرَابِ الطَّهَوْرِ الْمُحَضِّ الصَّافِي، لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُخْلِصِينَ مِنْ خَلْقِهِ . فَتَارَةً يَشْهَدُ الشَّرَابُ بِذَلِكَ الْكَأْسِ صُورَةً، وَتَارَةً يَشْهَدُهَا مَعْنَوِيَةً، وَتَارَةً يَشْهَدُهَا عِلْمِيَةً . فَالْصُّورَةُ حَظُّ الْأَبْدَانِ وَالنُّفُوسِ، وَالْمَعْنَوِيَّةُ حَظُّ الْقُلُوبِ وَالْعُقُولِ، وَالْعِلْمِيَّةُ حَظُّ الْأَرْوَاحِ وَالْأَسْرَارِ . فَيَا لَهُ مِنْ شَرَابٍ مَا أَغْذَبَهُ! . فَطَوَّبَى لِمَنْ شَرِبَ مِنْهُ وَدَامَ . وَلَمْ يَقْطَعْ عَنْهُ . نَسَأَلُ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ . وَقَدْ تَجَمَّعَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحِبِّينَ، فَيُسْقَوْنَ مِنْ كَأْسٍ وَاحِدَةٍ، وَقَدْ يُسْقَوْنَ مِنْ كُؤُوسٍ كَثِيرَةٍ، وَقَدْ تَخْتَلِفُ الْأَشْرِبَةُ بِحَسَبِ الْكُؤُوسِ، وَقَدْ يَخْتَلِفُ الشُّرْبُ مِنْ كَأْسٍ وَاحِدَةٍ . وَإِنْ شَرِبَ مِنْهُ الْجَمُّ الْغَفِيرُ مِنَ الْأَجَبَةِ اهـ . قُلْتُ: وَقَدْ شَرَحْتُ هَذَا الْكَلَامَ، فِي شَرْحِنَا لِحَمْرِيَةِ ابْنِ الْغَارِفِ اهـ .

«ومن وصاياه رضي الله عنه، لتلميذه أبي الحسن، قال له: الله الله، ولتس نزهة لسانك عن ذكرهم، وقلبك عن التماثل من قبلهم. وقل: اللهم ارحمني من ذكرهم. ونجني من شرهم، واغنني بخيرك عن خيرهم، وتولني بالخصوصية من بينهم. إنك على كل شيء قدير» وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: أوصاني حبيبي، أي أستاذي مولانا عبد السلام بن مشيش، فقال: يا أبا الحسن: لا تنقل قدميك إلا حيث تزجو ثواب الله، ولا تجلس إلا حيث تأمن غالباً من معصية الله. ولا تضحّب إلا من تستعين به على طاعة الله. ولا تصطفي لنفسك إلا من تزدد به يقيناً، وقيل ما هم اهـ. وقال أيضاً: أوصاني أستاذي فقال: «لا تضحّب من يؤثر نفسه عليك، فإنه سقيم، ولا من يؤثرك على نفسه، فإنه قل ما يدوم، وصحّب من إذا ذكر، ذكر الله، فإنه يغنى به إذا شهد، وينوب عنه إذا فقد ذكره نور القلب، ومشهدته مفتاح الغيوب». وقال أيضاً: رضي الله عنه: يا أبا الحسن «هرب من خير الناس، أكثر من أن تهرب من شرهم، فإن خيرهم يصيبك في قلبك، وشرهم يصيبك في بطنك، ولأن تضاب في بطنك خير من أن تضاب في قلبك، ولعدو تصل به إلى ربك خير من حبيب يقطعك عن ربك». وقال أيضاً: سألت أستاذي رضي الله عنه عن قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «يسرّوا ولا تعسرّوا، وسرّوا ولا تنفروا». فقال رضي الله عنه: دلّوهم على الله، ولا تدلّوهم على غيره، فإن من ذلك على الدنيا فقد عشتك، ومن ذلك على العمل فقد أتعبك، ومن ذلك على الله فقد نصحك. وقال أيضاً: فقد سألتني أستاذي فقال: يا أبا الحسن: بماذا تلقى الله؟ فقلت بفقر، فقال: لئن لقيت الله بفقرك لتلقيته بالصنم الأعظم. وإنما تلقى الله به سبحانه، لا بشيء سواه. وقال له رجل: يا سيدي وظف علي وظائف وأوردت أعمل بها. فقال له: أرسول أنا؟! الفرائض مشهورة، والمحرمات معلومة، فكن للفرائض حافظاً، وللمعاصي رافضاً، واحفظ نفسك من حب الدنيا، وحب النساء وحب الجاه، وإيثار الشهوات، واقنع بما قسم الله لك. إذا أخرج لك مخرج الرضى، فكن فيه شاكيراً، وإذا أخرج لك مخرج الشخط، فكن عليه صابراً، وحب الله قطب تدور عليه الخيرات، وأضل جامع لأنواع الكرامات وحضر ذلك كله في أربع: الورع، وحسن النية، وإخلاص العمل، وصحبة العلم؛ ولا تيم له هذه الجملة إلا بصحبة أخ صالح، أو شيخ ناصح.

أخذ رضي الله عنه عن شيخه أبي محمد، سيدي عبد الرحمن المديني، الملقب بالزيات، لسكناه بحارة الزياتين، وكان الشيخ سيدي عبد السلام بن مشيش

في صغيره، انقطع للعبادة في مغارة بجبل العلم، بعد أن أذركه الجذب؛ وهو بن سبع سنين. فدخل عليه بعد مدة رجل عليه سيما أهل الخير والصلاح، فقال: أنا شيخك الذي كنت أمدك من وقت الجذب إلى الآن. ووصف له ما وصل إليه على يديه من المنازلات والمعارف، وفصل له ذلك مقاماً مقاماً، وحالاً حالاً، وعين لكل حال زمنه، ثم سئل رضي الله عنه بعد ذلك، هل كان يأتيك أو كنت تأتيه؟ فقال: كل قد كان. ف قيل له: أطياً لمسافة المكان، أو سرفاً. فقال: طياً. وأخذ شيخه المذكور، عن عارف وقته: القطب تقي الدين الفقير فيهما، وهو من أرض العراق، وهو عن القطب فخر الدين، عن القطب نور الدين أبي الحسين، عن القطب تاج الدين، عن القطب شمس الدين بأرض الترك، عن القطب زين الدين القزويني، عن القطب أبي إسحاق، إبراهيم البصري، عن القطب محمد أبي القاسم أحمد المزواني. عن القطب أبي محمد سعيد، عن القطب سعاد، عن القطب محمد فتح السعود، عن القطب سعيد الغزواني، عن القطب أبي محمد جابر، عن أول الأقطاب، سيدنا الحسن، عن أبيه سيدنا علي بن أبي طالب، عن سيد الأولين والآخرين، سيدنا ومولانا محمد ﷺ، ويتصل نسبنا بهذا الشيخ، من طريق شيخنا العارف البزدي الحسني، عن شيخه العارف، مؤلاي العربي الدرقاوي الحسني، عن شيخه العارف، سيدي علي العمراني الحسني، عن شيخه العارف سيدي العربي بن أحمد، بن عبد الله، عن أبيه سيدي أحمد بن عبد الله، عن سيدي قاسم الحصاصي، عن العارف بالله، سيدي عبد الرحمن الفاسي، عن سيدي محمد بن عبد الله الكبير، والد سيدي أحمد، وهما عن القطب سيدي يوسف الفاسي، عن العارف سيدي عبد الرحمن المجذوب، عن شيخه سيدي علي الصنهاجي؛ المشهور بالدوار، عن شيخه سيدي إبراهيم أفحام، عن سيدي أحمد زروق، عن شيخه سيدي أحمد بن عقبة الخضرمي، عن سيدي يحيى القادري، عن القطب سيدي علي بن وفا، عن والده سيدي محمد بحر الصفا، عن سيدي داود البلفي، عن سيدي أحمد بن عطاء الله، عن القطب سيدي أبي العباس المرسي، عن القطب سيدي أبي الحسن الشاذلي، عن القطب الكبير العارف الشهير صاحب التصدي؛ الذي قال في أولها: «اللهم». أي يا الله، حذفت الياء إزالة للبغذ الذي تدل عليه، وعوضت عنها الميم، دلالة على الجمع، ولذلك قال الحسن: من قال: اللهم، كأنما دعا الله بأسمائه كلها؛ لأن الميم تدل على الجمع، كهـم «صل» أي ترحم وتعطف «على» سيدنا ومولانا محمد «من» أي الذي «منه» أي من نوره؛ الذي هو

بذرة الوجود، والسبب في كل موجود. ويحتمل أن تكون من تعليلية، أي من أجله
 ﴿أُنشِئْتُ﴾ أي لَأَحْتِ وَظَهَرْتُ، أَوْ نَبَعْتُ وَانْفَجَرْتُ «الأسرار» أي أسرار الذات
 العالية. وقد كانت قبل ظهور نوره محجوبة باطنية، تجلّى فيها الحق تعالى باسمه
 الباطن، فلم أراد أن يتجلّى باسمه الظاهر، أظهر قبضة من نوره، فقال: كوني
 محمداً، فمن تلك القبضة المحمدية، تكونت الأكوان، من العرش إلى لفرش،
 فما ظهرت أسرار الذات، إلا من تلك القبضة النورانية، فظايرها ذات، وبطنها
 صفات، وبذلك الصفات، وقع التكثيف والتصوير، والتعبير، والتشكيل والتحجير...
 وإلى ذلك أشار بقوله: «وانفلقْتُ» أي من نوره ﷺ، انفلقْتُ، أي انفلقْتُ وظهرت
 «الأنوار» أي أنوار الصفات، وأنوارها: أي آثارها؛ التي ظهرت على ظاهر
 التجليات. من تكثيف وتلطيف، وتقييد وتخصيص، وتشكيل وتمييز، وإغراز
 وإذلال، وحفص وزرع، وقبض وبسط. وغير ذلك من اختلاف الآثار، وانتقالات
 الأطوار، فهذه كلها من آثار الصفات الأزلية، التي هي القدرة، والإرادة، والعلم،
 والحياة والصفات لا تفارق الموصوف، لكن لما كانت الصفات لطيفة لا تدرك
 أظهرت نفسها في المحسوسات، والذات عين الصفات، والصفات عين الذات،
 أي محلها واحد، فحيث تجلّت الذات تجلّت الصفات، وحيث ظهرت الصفات،
 ظهرت الذات، فعبّروا عن هذا الكلام بالاتحاد، والعين، فأهل الفرق وهم أهل
 الحجاب، لا يشهدون إلا الصفات، أي أثرها؛ وهم محجوبون عن شهود الذات
 فكل من دخل عالم التكوين، فهو من تلك القبضة، فظايرها الخ... وأهل
 الجمع؛ وهم أهل الجذب والفناء، لا يشهدون إلا الذات، ويغيبون عن أثر
 الصفات، وأهل البقاء؛ وهم أهل الكمال يشهدون الذات في الصفات، والجمع في
 الفرق، لا يحجبهم جمعهم عن فرقهم؛ ولا فرقهم عن جمعهم، يعطون كل ذي
 حق حقه، ويوفون كل ذي قسط قسطه. فكلام الشيخ رضي الله عنه من باب
 الترقّي، فانشقاق الأسرار؛ لأهل الفناء في الذات؛ وهم أهل الجذب والسكر.
 وانفلاق الأنوار؛ لأهل البقاء؛ وهو الرجوع إلى شهود الأثر بالله، وهم أهل السلوك
 بغد الجذب والفناء.

ويحتمل أن يريد بقوله: منه انشقت الأسرار. أي أسرار الجبروت، ومنه
 انفلقَت الأنوار، أي أنوار الملكوت. أو تقول: منه انشقت الأسرار. أي أسرار
 الحقيقة، وانفلقَت الأنوار، أي أنوار الشريعة. أو تقول: منه انشقت الأسرار، أي
 أسرار الإحسان، وانفلقَت الأنوار، أي أنوار الإيمان والإسلام. أو تقول: منه

انشقت الأسرار . أسرار عالم الغيب، وانفلقَت الأنوار : أنوار عالم الشهادة . و تقول : مِنْهُ انشقت الأسرار : أسرار القدرة . وانفلقَت الأنوار ، أنوار الحكمة .

ويحتمل أن يكون كلمة من باب التثني ، فيكون قدّم أولاً مقام أهل الإحسان ، من أهل الشهود والعبان . ثم نزل إلى مقام أهل الدليل والبُرهان ، وهم أهل شهود أثر الصفات ، قبل شهود الذات ، فيكون قوله : انشقت الأسرار لأهل الفناء في الذات . وانفلقَت الأنوار ؛ لأهل الفناء في الصفات ؛ قبل الفناء في الذات . فإن عامة المتوجهين ، يبتدئون بشهود الأثر ، ثم يرتقون إلى شهود المؤثر بالشرعية ، ثم بالحقيقة وبالإسلام والإيمان ، ثم بالإحسان ، وبالعالم الشهادة ، ثم عالم الغيب ، وبالحكمة ثم القدرة ، فيكون أولاً في توحيد الأفعال : لا فاعل إلا الله ؛ وهو نهاية الصالحين ، ثم في توحيد الصفات : لا حي ولا قادر مريد ، ولا سميع . ولا بصير ، ولا متكلم إلا الله ، ثم في توحيد الذات : لا موجود إلا الله ، ثم يزيدون إلى مقام البقاء ، وإلى ذلك أشار بعضهم بقوله :

وَيَفْنَى ثُمَّ يَفْنَى ثُمَّ يَفْنَى فَكَانَ فَنَاءُهُ غَيْنِ الْبَقَاءِ

ولقد سمعتُ شيخنا البوزيدي رضي الله عنه يقول : طريقنا ليس فيها إلا فناءان : فناء الأفعال ، وفناء الذات . وأما فناء الصفات فهو مطوي في فناء الذات ؛ وهو كما قال رضي الله عنه ، لأن طريق الشاذلية مختصرة ، صاحبها أول قدم يضعه في مقام الإحسان فيفنى أولاً في الاسم ، ثم في الذات فنهاية الصالحين ، بداية العارفين ، وكلامنا كله مع مَنْ وجد شيخ التربية ، وأما من لم يجد فلا كلام معه ، إذ لا سر له .

تنبيه : إنما خصّ تجلّي الذات بالأسرار ، وتجلّي الصفات بالأنوار ؛ لأن تجلّي الذات لا يدركه إلا الخواص ، أو خواص الخواص . ومن شأن السرّ أن لا يُدركه إلا الأفراد ، بخلاف تجلّي الصفات ؛ وهو الأثر ، فيدركه العام والخاص . كما أن النور كذلك ، لا يخفى على أحد ، وإنما خصّ أيضاً السرّ بالشق ، والثور بالفلق ، لأن الشق يكون أولاً ، ثم يقع الفلق ثانياً . تقول : انشقت الإناء إذا لم تنفصل فاحتجبت بلا حجاب ، والله در القائل :

وَمَا احْتَجَبَتْ إِلَّا بِرَفْعِ حِجَابِهَا وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ الظُّهُورَ تَسْتَرُ

وفي مشاهدتها على ثلاثة أقسام :

قسم يشهدونها بعد مشاهدة الأكوان؛ وهم أهل الجذب والفناء. فإذا انفصل، تقول انفلق. كذلك انشقت الأسرار، يكون أولاً لأهل الفناء، وانفلاق الأنوار يكون ثانياً لأهل البقاء بعد الفناء. واعلم أن الأنوار الحسية ثلاثة: نور النجوم، ونور القمر، ونور الشمس. والأنوار المعنوية كذلك: نور الإسلام، كنور النجوم، ونور الإيمان كنور القمر، ونور الإحسان كنور الشمس، أو تقول: نور الفناء في الأفعال كنور النجوم، ونور الفناء في الصفات، كنور القمر، نور الفناء في الذات، كنور الشمس فأول ما يكشف للمريد، نور ضعيف كنور النجوم، فتراه يسقط ويقوم، لخفاء الطريق، تختفي. ثم يبدو له قمر التوحيد. فيقل عتارُهُ. ثم تطلع عليه شمس العرفان، فلا يخفى عليه مكان، وفي ذلك يقول المجذوب رضي الله عنه:

طَلَعَ النَّهَارُ عَلَى الْأَقْمَارِ وَلَا يَبْقَى إِلَّا رَبِّي النَّاسُ رَأَوْثُ مُحَمَّدٍ وَأَنَا سَكَنٌ لِي فِي قَلْبِي
وقال أيضاً:

طَلَعَ النَّهَارُ عَلَى قَلْبِي حَتَّى نَظَرْتَهُ بِعَيْنِي
وقال آخر:

إِنَّ شَمْسَ النَّهَارِ تَغْرُبُ بِلَيْلٍ وَشَمْسُ الْقُلُوبِ لَيْسَتْ تَغِيبُ
وقلتُ في قصيدتي الرائية، في سرِّ الروح:

لَطِيفَةٌ نُورٍ فِي كَفَافَةٍ ظَلَمَةٍ وَلَكِنْ بَذَرَ الثَّامِ فِي لَيْمِهِ يَخْرِي
فَإِنْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ النَّهَارِ تَغَيَّبَتْ غَيَاهِبٌ لَيْلٍ عَنْ سَمَاءِ قَلْبِكَ لِدُرِّي
أَلَا إِنَّ شَمْسَ الْجَسِّ تَغْرُبُ لَيْلَهَا وَلَيْسَ لِشَمْسِ الْحَقِّ مِنْ أَفْسٍ يَجْرِي
واعلم أن هذه الأنوار؛ التي انفلقت من نوره عليه السلام، انحجبت بسرِّ الحكمة في حال ظهورها، إذ لا بُدَّ لِلْحَسَنَاءِ مِنْ نِقَابٍ، وَالشَّمْسُ مِنْ سَحَابٍ، فَاخْتَجَبَتْ بِلَا حِجَابٍ، وَلِلَّهِ دُرُّ الْقَائِلِ:

وَبِاخْتَجَبَتْ إِلَّا بِرَفْعِ حِجَابِهَا وَمِنْ عَجَبِ أَنَّ الظُّهُورَ تَسْتُرُ
وَالنَّاسُ فِي مُشَاهَدَتِهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

قسم يشهدونها بعد مُشَاهَدَةِ الْأَكْوَانِ؛ وهم أهل الجذب والفناء، من أهل مقام الإحسان، وإليه أشار بعضهم بقوله: مَا رَأَيْتُ شَيْئاً، إِلَّا رَأَيْتُ اللَّهَ قَلْبَهُ، وَلَمْ أَرَهُ حَيْثُ. وإما هو من قول بعض العارفين، كالذي قبله. والله تعالى أعلم.

وقال الشيخ مولانا عبد السلام ليتلمذ به أبي الحسن: «حَدِّثْ بَصْرَ الْإِيمَانِ، تَجِدِ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَعِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَعَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَحْتَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَرِيباً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَحِيطاً بِكُلِّ شَيْءٍ، يَقْرُبُ هُوَ وَصَفُهُ، وَبِإِخَاطَةِ هِيَ نَعْتُهُ. وَعُدَّ عَنِ الظُّرْفِيَّةِ وَالْحُدُودِ، وَعَنِ الْأَمَاكِينِ وَالْجِهَاتِ، وَعَنِ الصَّحْبَةِ، وَالْقُرْبِ فِي الْمَسَافَاتِ، وَعَنِ الدُّورِ بِالْمَخْلُوقَاتِ، وَامْتَحَقَ الْكُلِّ، بِوَضْفِهِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ، وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَهُوَ هُوَ هُوَ. كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ». وَقَوْلُهُ: حَدِّثْ بِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ، أَي صِفْ، وَقَوْلُهُ: وَامْتَحَقَ، هُوَ بِالْمِيمِ مِنَ الْمُحَقِّ؛ وَهُوَ الْمُنْحَقُ وَالْإِضْمِخْلَالُ، وَيَأْتِي كَلَامُهُ ظَاهِرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْأَذْوَاقِ، نَفَعَنَا اللَّهُ بِذِكْرِهِمْ، وَخَرَطْنَا فِي سِلْكِهِمْ آمِينَ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَفِيهِ»: أَي فِي سَمَاءِ قَلْبِهِ الصَّافِي «ارْتَفَعَتْ»: أَي ارْتَفَعَتْ وَأَشْرَفَتْ شُمُوسُ «الْحَقَائِقِ» الْعُرْفَانِيَّةِ؛ وَالْأَسْرَارِ الرُّبَائِيَّةِ، وَالْعُلُومِ الدُّنْيَا. شَبَّهَ قَلْبُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بِسَمَاءٍ صَاحِيَّةٍ. أَشْرَقَتْ فِيهَا شُمُوسُ كَثِيرَةٌ، فَاِمْتَلَأَتْ بِالْأَنْوَارِ. وَلِذَلِكَ جَمَعَ الْحَقِيقَةَ، وَإِنْ كَانَتْ فِي الْأَصْلِ وَاحِدَةً؛ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، اجْتَمَعَ فِيهِ مِنَ الْحَقَائِقِ، مَا افْتَرَقَ فِي غَيْرِهِ. فَكَانَ بَاطِنُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مَعْمُوراً بِأَنْوَارِ الْحَقَائِقِ، وَظَاهِرُهُ مَعْمُوراً بِأَنْوَارِ الشَّرَائِعِ. فَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَعْطَاهُ اللَّهُ الْقُوَّةَ مِنَ الْجِهَتَيْنِ: ظَاهِرُهُ مَعْمُوراً بِالشَّرَائِعِ، وَبَاطِنُهُ مَعْمُوراً بِالْحَقَائِقِ. وَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَوْ لِمَنْ كَانَ عَلَى قَدَمِهِ ﷺ، مِمَّنْ أَهْلَهُ اللَّهُ لِلْإِقْدَاءِ بِهِ. وَيَكُونُ هَذَا بَعْدَ التَّمَكِينِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ شَيْخَ شَيْخِنَا مَوْلَايَ الْعَرَبِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: لَا تَجْتَمِعُ مُجَاهِدَةٌ وَمُشَاهِدَةٌ، إِلَّا فِي رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى قَدَمِهِ ﷺ، وَاعْتَرَضَ قَوْلُ الشَّيْخِ الْيُوسُفِيِّ فِي بَعْضِ أَدْعِيئِهِ: وَزَيْنَ الظَّاهِرِ بِالْمُجَاهِدَةِ، وَزَيْنَ الْبَاطِنِ بِالْمُشَاهَدَةِ. إِذْ لَا مُجَاهِدَةَ فِي الظَّاهِرِ، قَبْلَ مُشَاهَدَةِ الْبَاطِنِ، كَمَا تَقَدَّمَ. وَقَالَ شَيْخُ شَيْبُوخْنَا سَيِّدِي عَلِي الْجَمَلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْوَلِيُّ الْكَامِلُ؛ هُوَ الَّذِي يَكُونُ ظَاهِرُهُ مَعْمُوراً بِالشَّرَائِعِ، وَبَاطِنُهُ مَعْمُوراً بِالْحَقَائِقِ. قُلْتُ: وَهَذَا قَلِيلٌ. وَعَلَى تَقْدِيرِ وَقْعِهِ: تَكُونُ عِبَادَةُ اللَّهِ مَعْمُولاً فِيهَا بِالْقُدْرَةِ، فَلَا مُجَاهِدَةَ لَهُ فِيهَا الْبَتَّةَ. وَالْغَالِبُ عَلَى أَهْلِ الْبَاطِنِ خِفَاءُ أَعْمَالِهِمْ؛ لِأَنَّهَا قَلْبِيَّةٌ: بَيْنَ فِكْرَةٍ وَنَظَرَةٍ، وَشَهْوَةٍ وَعِزَّةٍ، لَا يَزِيدُونَ عَلَى الْفَرَائِضِ إِلَّا مَا تَيْسَّرَ. ثُمَّ يَسْتَعْرِقُونَ فِي الْفِكْرَةِ وَالنَّظَرَةِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ. سَاعَةً مِنْهَا تَنْفُضُ عِبَادَةَ سَنَةٍ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ. وَفِي رِوَايَةِ سَبْعِينَ سَنَةً. وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا، أَنَّ الْأَوَّلَ فِي فِكْرَةِ أَهْلِ الْحِجَابِ، وَالثَّانِي فِي فِكْرَةِ أَهْلِ الْعِرْفَانِ. وَفِيهِ قَالَ الشَّاعِرُ:

كُلُّ وَثْبَةٍ مِنْ حَبِيبِي قَدْرُهُ كَأَلْفِ حَجَّةٍ

أي: سنة. وقال أبو العباس المزني، رضي الله عنه: قَوْمٌ أَقَامَهُمُ اللَّهُ لِعِزَّتِهِ، وَقَوْمٌ اخْتَصَّهُمْ لِمَحَبَّتِهِ. «كَلَّا نَمُدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ، وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا». فأهل المحبة، هم أهل الفكرة، وأهل الخدمة، هم أهل العبادة الظاهرة. أو تقول: أهل المحبة هم أهل العبادة القلبية. وأهل الخدمة؛ هم أهل العبادة الخارجية. أو تقول: أهل المحبة، هم أهل العبادة المعنوية، وأهل الخدمة هم أهل العبادة الحسية. والحاصل: أن عمل الشريعة، لا بُدَّ له أن يغتبر الحقيقة. والحقيقة لا بُدَّ أن تغتبر الشريعة. إلا ما لا بُدَّ منه. وَمَنْ قَالَ خِلَافَ هَذَا، فَهُوَ جَاهِلٌ يَعْلَمُ الْبَاطِنَ. وقد رأيت في قوت القلوب؛ لأبي طالب المكي، رضي الله عنه. أن بعض العارفين قال له المَلِكُ الَّذِي يَكْتُبُ أَعْمَالَهُ: يَا سَيِّدِي، فَرَّخْنَا بِشَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِكَ، أَي ظَهَرَهُ لَنَا، نَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى رَبِّنَا. فَقَالَ لَهُ: أَمَا يَكْفِيكَ الصَّلَاةُ الْخَمْسُ. وانظر قول الشاعر؛ وهو الحلاج:

قُلُوبُ الْعَارِفِينَ لَهَا عُيُونٌ تَرَى مَا لَا يُرَى لِلنَّاطِرِينَ
وَالْحَيَّةُ بِأَسْرَارٍ تُنَاجِي تُغِيبُ عَنِ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ
وَأَجْنِحَةُ طَيْرٍ بِغَيْرِ رِيَشٍ إِلَى مَلَكُوتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَقَدْ دَلَّلْنَاهُ بَيِّنَاتٍ آخَرِينَ فَقُلْتُ:

وَأَفْسَدَةُ تَهِيمٍ بِعَشْقِي وَجِدِ إِلَى جَبَرُوتِ ذِي حَقِّ يَقِينَا
فَإِنْ أَرَدْتَ دَرْكَ ذِي الْمَعْنَى فَبَدِّلْ رُوحَكَ قَلِيلًا فَيُنَا

فهذه عبادة العارفين المحققين، باطنية خفية. ولذلك اخْتَفَوْا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ. فَلَا يَعْرِفُهُمْ إِلَّا مَنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَعْرِفَهُمْ بِهِمْ، ثُمَّ أَشَارَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْعِلْمِ الظَّاهِرِ؛ الَّذِي عِلْمُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «وَتَنَزَّلَتْ» فِي قَلْبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِالْوَحْيِ وَالْإِلْهَامِ «عُلُومُ آدَمَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ تَعَالَى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» أَيِ أَلْهَمَهُ اللَّهُ، وَأَلْقَى فِي بَطْنِهِ مَعْرِفَةَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَلِغَاتِ الْأَلْسُنِ كُلِّهَا، مِنْ غَرِيزَةٍ وَسِرِّيَانَةٍ وَغَيْرِهِمَا، مِمَّا تَكَلَّمَ بِهِ أَوْلَادُهُ، وَكَذَلِكَ نَبَّيْنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ، عِلْمَهُ اللَّهُ أَسْمَاءَ الْأَشْيَاءِ وَمَسْمِيَّاتِهَا وَزَادَ مَعْرِفَةَ خَوَاصِّهَا وَمَنَافِعِهَا. وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَعْرِفُ لُغَاتِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَغَيْرِهِمَا، فَكَانَ يُخَاطِبُ كُلَّ قَوْمٍ بِلُغَتِهِمْ، وَيَكْتُبُ إِلَيْهِمْ بِعَرَفِ كَلَامِهِمْ. وَقَدْ أَطْلَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى، عَلَى عُلُومِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَشَرَائِعِهِمُ الدَّارِسَةِ، وَأَخْبَارِهِمُ الْمَاضِيَةِ، وَعِلْمُ مَا يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْوَقَائِعِ. وَمَا

يَلْقَوْنَ مِنَ الْمَصَائِبِ وَالْفَجَائِعِ، وَخَصَّهُ اللَّهُ بِأَسْرَارٍ، لَمْ يَطْلُغْ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ حَمْدِ
 اللَّهِ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يَخْصُ قَوْمًا بِأَسْرَارٍ لَمْ يَفْشِهَا لَعْنِهَا. حَتَّى قَالَ
 الْفَارُوقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ أَذْخُلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعَهُ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
 وَهُمَا يَتَكَلَّمَانِ فِي عِلْمِ السِّرِّ، وَفِي عِلْمِ التَّوْحِيدِ، فَأَكُونُ بَيْنَهُمَا كَالزَّنَجِيِّ، لَا أَعْرِفُ
 مَا يَقُولَانِ. قَالَ سَيِّدِي عَبْدُ الْوَارِثِ، فِي شَرْحِ الْمَبَاحِثِ: كَانَا أَوَّلَ مَرَّةٍ يَتَكَلَّمَانِ فِي
 عِلْمِ السِّرِّ، فَإِذَا دَخَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَمْسَكَا. ثُمَّ أَشْرَكَاهُ فِي الْمَذَاكِرَةِ. فَإِذَا
 دَخَلَ عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَمْسَكُوا، ثُمَّ أَشْرَكُوهُ فِي الْمَذَاكِرَةِ، فَإِذَا دَخَلَ عَلِيٌّ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَمْسَكُوا، ثُمَّ أَشْرَكُوهُ فِي الْمَذَاكِرَةِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ، يَفْهَمُ بَدْتَ الْأَسْرَارِ، قَبْلَ أَنْ يَشْرُكَهُ فِي الْمَذَاكِرَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَهَذِهِ الْأَسْرَارُ
 لَيْسَتْ مِنْ عِلْمِ الظَّاهِرِ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ عِلْمِ الْبَاطِنِ، فَحَقُّهَا أَنْ تُذَكَّرَ عِنْدَ قَوْلِهِ: «وَفِيهِ
 ارْتَفَعَتِ الْحَقَائِقُ». لَكِنْ انْجَرَّ الْكَلَامُ إِلَيْهَا فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ. فَالْأَمْرُ قَرِيبٌ، إِذْ إِنَّ
 عِلْمَ الْبَاطِنِ، لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ الظَّاهِرِ؛ وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِإِصْلَاحِ الْجَوَارِحِ
 الظَّاهِرَةِ. فَالْعُلُومُ ثَلَاثَةٌ: عِلْمٌ يَتَعَلَّقُ بِإِصْلَاحِ الظَّاهِرِ، وَيُسَمَّى عِلْمَ الشَّرِيعَةِ، وَعِلْمُ
 الْحِكْمَةِ. وَعِلْمٌ يَتَعَلَّقُ بِإِصْلَاحِ الْبَاطِنِ؛ وَيُسَمَّى عِلْمَ التَّصَوُّفِ، وَعِلْمُ الطَّرِيقَةِ.
 وَهُمَا كَسْبِيَّانِ، وَعِلْمٌ مُؤَهَّبٌ، وَيُسَمَّى عِلْمَ الْحَقِيقَةِ؛ وَهُوَ الثَّمَرَةُ وَالْعَايَةُ. فَكُلُّ
 عِلْمٍ لَا يُلْغُ صَاحِبَهُ لِعِلْمِ الْحَقِيقَةِ؛ فَهُوَ نَاقِصٌ. إِذْ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ. وَثَمَرَةُ الْعَمَلِ
 الْحَالُ. وَثَمَرَةُ الْحَالِ الذَّوْقُ وَالْوُجْدَانُ؛ وَهُوَ نَهَايَةُ الْعِرْفَانِ. وَلَا بُدَّ مِنْ شَيْخٍ مُرَبٍّ،
 يَنْتَقِلُ الْمُرِيدُ مِنْ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ، إِلَى عِلْمِ الطَّرِيقَةِ، مَعَ تَحْقِيقِ الشَّرِيعَةِ. وَالْأَبْقَى فِي
 أَحَدِهِمَا عَلَى الدَّوَامِ. وَالشَّرِيعَةُ: تَصْلِيحُ الظُّوَاهِرِ، وَالطَّرِيقَةُ تَصْلِحُ الضَّمَائِرَ.
 وَالْحَقِيقَةُ تَصْلِحُ السَّرَائِرَ. أَوْ تَقُولُ: الشَّرِيعَةُ أَنْ تَعْبُدَهُ. وَالطَّرِيقَةُ أَنْ تَقْصِدَهُ.
 وَالْحَقِيقَةُ أَنْ تَشْهَدَهُ. أَوْ تَقُولُ: الشَّرِيعَةُ لِلطَّالِبِينَ. وَالطَّرِيقَةُ لِلسَّائِرِينَ. وَالْحَقِيقَةُ
 لِلْوَاصِلِينَ. أَوْ تَقُولُ: الشَّرِيعَةُ لَطَالِبِ الْأَجُورِ. وَالطَّرِيقَةُ لَطَالِبِ الْحُضُورِ. وَالْحَقِيقَةُ
 لِرَفْعِ السُّتُورِ. أَوْ تَقُولُ: الشَّرِيعَةُ لِلْعَوَامِّ. وَالطَّرِيقَةُ لِلخَوَاصِّ. وَالْحَقِيقَةُ لَخَوَاصِّ
 الْخَوَاصِّ. وَمَرْجِعُ الشَّرِيعَةِ إِلَى امْتِنَالِ الْأَمْرِ، وَاجْتِنَابِ النَّهْيِ. وَمَرْجِعُ الطَّرِيقَةِ
 إِلَى تَخْلِيَةٍ وَتَحْلِيَةٍ. فَالتَّخْلِيَةُ: التَّطْهِيرُ مِنَ الرَّذَائِلِ. وَالتَّحْلِيَةُ: الْإِتِّصَافُ بِالْفَضَائِلِ.
 وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ التَّخْلِيَةَ: هِيَ التَّنْزُّهُ عَنِ اخْلَاقِ الْبَهَائِمِ وَالشَّيَاطِينِ. وَالتَّحْلِيَةُ:
 التَّخَلُّقُ بِاخْلَاقِ الرُّوحَانِيِّينَ. فَأَخْلَاقُ الْبَهَائِمِ: الْإِهْتِمَامُ بِالْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالنِّكَاحِ،
 وَأَخْلَاقُ الشَّيَاطِينِ: الْحَسَدُ وَالْمَكْرُ، وَالْخَدِيعَةُ، وَالْعِشُّ، وَالْكِبْرُ، وَالْغِصْبُ،
 وَالْحَدَّةُ، وَالْقَلْقُ، وَالشُّعْ. وَالْفِظَاطَةُ وَالْقَسْوَةُ، وَحُبُّ الْجَاهِ، وَالْمَالِ، وَالرِّيَاسَةِ

وغير ذلك مما لا يخص. حتى قال بغضهم: «لِلنَّفْسِ مِنَ النَّقَائِصِ». ما لله من الكمالات». والله أعلم. وأخلاق الرُّوحانيين: سلامة الصدر، وسخاوة النفس، وحسن الخلق، والتواضع، والجلم، والثأني، والسكينة، والطمأنينة، والشفقة والرخمة، والسهولة والليونة، وغير ذلك من الكمالات. فمن جمع هذه العلوم؛ فهو النجم الثاقب. ومن اكتفى بأحدها فهو ناقص وساقط. فمن تشرع ولم يتحقق فهو قاسق. إذ لا يخلو من منازعة المقادير. واعتراضه على الواحد القادر. ومن تحقق ولم يتشرع، فهو زنديق، بإبطاله الأحكام، وتعطيل الحكمة، ومن جمع بينهما فقد تحقق، لقيامه بالقدرة مع الأدب والحكمة. وفي التحقيق: ما ثم إلا الحقيقة. إذ لا فاعل إلا الله، ولا موجود سواه. غير أن ما يبرز من عنصر القدرة، إن كان موافقاً للحكمة، سمي شريعة وطاعة، ويسمى أيضاً حقيقة نورانية، وإن كان مخالفاً، سمي معصية. ويسمى أيضاً حقيقة ظلمانية، فالكل منه وإليه. قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمْعًا﴾. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾. فالحقيقة عين الشريعة، والشريعة عين الحقيقة. إذ كلاً منهما مأمور بهما، والله در القائل في مدح النبي ﷺ حيث قال:

يَا زَيْنَ الْخَلَائِقِ يَا عَيْنَ الْحَقِيقَةِ حَقَّقْتَ الْحَقَائِقَ وَكَانَتْ وَثِيقَةُ

فالإنسان كله، باطنه قدرة، وظاهره حكمة، فإن برز من القدرة ما يوافق الحكمة كان حقيقة نورانية، وكانت علامة على سعادة العبد، وإن برز من القدرة ما يخالف الحكمة كان حقيقة ظلمانية، وكان علامة على عقوبة العبد، إلا أن يظهر جلته، وبالله التوفيق. وحيث اجتمع في نبينا عليه الصلاة والسلام الحقائق، وعلم التشريع، وعلوم الأولين، والآخرين، عجز الناس عن معرفته، ولذلك قال: «فَأَعْجَزَ الْخَلَائِقُ» أي: صيرهم عاجزين عن فهمه. فوجب الإذعان والإنقياد لحكمه. كما انفادت الملائكة بالسجود، حيث عجزت عن إدرائه علمه. وقد قالت الصحابة رضي الله عنهم، لما رأوا الغم سجدت له في قصة البستان: يا رسول الله، نحن أحق بالسجود لك منها. فقال ﷺ: «لَوْ كَانَ أَحَدٌ سَجَدَ لِأَحَدٍ أَوْ لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا». فالسجود إنما يكون لله. وأما آدم، فكان قبلة. والمقصود بالسجود هو الله الذي أمر به. ثم قرر العجز

المتقدم وبيئته بقوله «وله» أي وعنه «تضاءلت» أي تقاصرت وتضاغرت، أو تلاشت واضمحلت «الفهوم»: جمع فهم. أي فهوم العباد، فلم يقدر أحد أن يفهم ما خصه الله به من الأسرار الإلهية، والمواهب الباطنية؛ لأنهم لم يزوا إلا خياله الظاهر. وأما الباطن فلم يعلمه إلا خالقه الذي خصه الله به. وفي بعض الأحاديث: «والله ما عرفني حقاً غير ربي». والله در البوصيري حيث قال:

وكيف يدرك في الدنيا حقيقة قَوْمَ نِيَامٍ تَسَلُّوا عَنْهُ بِالْحُلُمِ

ولذلك قال الشيخ رضي الله عنه: «لَمْ يَدْرِكُهُ مِثًا» مغسر الخلائق. «سابق». عليه في مظهره الشخصي. «وَلَا لَاحِقٌ» بغد وجوده الجسدي. بل كلهم كلت فهومهم، وتفاضرت علومهم عن الإحاطة بالحقيقة المحمدية. ويحتمل بالساق من سبق في زمانه عليه الصلاة والسلام. كالصحابه رضي الله عنهم. وبالأحق. من أتى بعدهم. إذ كلهم سواء في العجز عن إدراكه ﷺ. ولذلك قال أويس القرني: «والله ما رأى أصحاب محمد من محمد ﷺ، إلا قشرة الطاهر، وأما الباطن فلم يعرفه أحد. فقليل له: ولو ابن أبي قحافة. قال: ولو ابن أبي قحافة. والمراد: نفى الإحاطة بمعرفة سره عليه الصلاة والسلام. وأما إدراك البعض، فلهم في ذلك نصيب، على قدر تفاوتهم في معرفة الله. وكذلك الأولياء رضي الله عنهم، فمنهم من يدرك شيئاً من سره عليه السلام، ومنهم من يدرك روحه. ومنهم من يدرك عقله، ومنهم من يدرك نفسه عليه الصلاة والسلام. فأهل الرسوخ والتمكين، يذكرون سره عليه الصلاة والسلام. ولا يغيب عنهم طرفة عين. كالمُرسي وأمثاله. وأهل الشهود والعيان من السائرين، يذكرون روحه عليه الصلاة والسلام. وأهل المراقبة من أهل الإستشراق، يذكرون عقله عليه الصلاة والسلام. وأهل الحجاب من أهل الدليل والبُرهان، إنما يذكرون نفسه ومظهره الشخصي. فيرونه مُحَيَّرًا في صورته التي كان عليها ﷺ في الدنيا، مناماً أو يقظة، على قدر فئانهم فيه ﷺ؛ وهم على مراتب: وأما تمثيل بعضهم له، كالخروبي، ومن تبعه لهذا الحديث، بالصحابه رضي الله عنهم. فلعل ذلك كان في زمانه عليه الصلاة والسلام. والله أعلم.

وقد سمعت شيخ شيخنا مؤلّاي العربي يقول: لِقِيتُ عَالِمَانِ مِنْ عُلَمَاءِ فَسِ بِمَسْجِدِ الْقُرَوَيْنِ. فَقَالَ لِي: كَيْفَ يَقُولُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُرْسِي: «مَا غَابَ عَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفَةَ عَيْنٍ». كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُلْتُ لَهُمْ «يَا هَؤُلَاءِ،

أوليئك السادة، كانت أفكارهم في عالم الملكوت، وهو عالم الأرواح، وفيه أرواح الأنبياء وغيرهم. ولم تكن أفكارهم في عالم الأشباح، وهو عالم الملك. قال: ثم قلت لهم: وهل تذكرون أين هو عالم الأرواح؟ عالم الأرواح هو حيث عالم الأشباح، ثم قمتم عنهم. اهـ. قلت: الآن المحل واحد، وإنما تختلف النظرة، فأهل البصيرة لا يرون إلا الملكوت؛ وهو عالم الأرواح، وأهل البصر لا يرون إلا الملك؛ وهو عالم الأشباح. وقد أشار إلى ذلك الشيخ بقوله: «فرياض» جمع روض؛ وهو محل التنزه، لا شتماله على ثوار وأزهار، ومياه وخضرة. «الملكوت» هو في اصطلاح الصوفية، ما يدرك بالبصيرة والعلم. كما أن الملك ما يدرك بالبصر والوهم. أو تقول الملكوت: مذكرك أهل الجمع. والملك: مذكرك أهل الفرق. أو تقول: الملك ما ظهر. والملكوت ما بطن. فالملكوت: مذكرك أهل الشهود والعيان. والملك: مذكرك أهل الدليل والبزهان. «بزهر» جمع رهرة؛ وهي الثوار التي تفتح في زمان الربيع. «جماله» بضم الجيم «موبقة» أي معجبة، ورياض الملكوت، من إضافة المشبه به للمشبّه. شبه الملكوت الذي هو محل نزهة العارفين برياض مشتملة على أزهار وثوار وخضرة وجمال، لا يتيم جمالها، ولا يظهر نوارها إلا باتباع الشريعة المحمدية. وإلا كانت حقيقة ظلمانية، فالكون الذي هو الملك كله ظلمة. وإنما أناره ظهور الحق فيه. فصار كله نوراً. ومن لم يدرك نور الحق فيه، صار في حقه ظلمة. وكان ملكاً. ولا يمكن أن يظهر الحق فيه إلا بالسلوك على الشريعة المحمدية. على يد شيخ عارف بدقائقها وأسرارها وحقائقها الظاهرة والباطنة. وإلا بقي مع ظلمة الأكوان، وسجن الأوهام. «وجياض» جمع حوض؛ وهو محل اجتماع الماء كالصهريج. «الجبروت»: وهو ما يدرك بالعقل والفهم، أو بالبصيرة والعلم. لكن في ثاني حال، أي بعد معرفة الملكوت.

والحاصل: أن الملك والملكوت والجبروت محلها واحد؛ وهو الوجود الأصيل؛ والفُرعي، لكن تختلف التسمية، باختلاف النظرة. وتختلف النظرة، باختلاف الترقّي في المعرفة. فمن نظر الكون ورآه كوناً مستقلاً بنفسه قائماً بقدره الله. ولم يكشف له عن رؤية صانعه فيه، سمي في حقه ملكاً؛ لظهور تصرف القدرة فيه، ووجوده؛ وهما لا حقيقة لهما عند المحققين. ولذلك لم يذكره الشيخ رضي الله عنه. وكان صاحب هذه الرؤية مضجوباً لوقوفه مع الوهم، ومن فتح الله بصيرته، ونفذ إلى شهود المكون في الكون، أو قبله، سمي في حقه ملكوتاً. وكان صاحب هذه الرؤية عارفاً مفتوحاً عليه. فإن نفذت بصيرته، إلى شهود أضل الأصول والفروع؛ وهي

العظمة الأزلية اللطيفية، قَبْلَ أَنْ تَتَجَلَّى وَتُعْرَفَ. وقد أشار إِلَيْهَا ابن الفارص بقوله:

صَفَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلَطْفٌ وَلَا هَوَىٰ وَنُورٌ وَلَا نَارٌ، وَرُوحٌ وَلَا جِسْمٌ
تَقَدَّمَ كُلُّ الْكَائِنَاتِ حَدِيثُهَا قَدِيمًا وَلَا شَكْلٌ هُنَاكَ وَلَا رَسْمٌ
وَقَامَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ ثُمَّ لِحِكْمَةٍ بِهَا اخْتَجِبَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ لَالَهُ فَهُمْ
سُمِّيَ ذَلِكَ جَبْرُوتًا، وَمَنْ نَظَرَ إِلَى نَفُودِ الرَّحْمَةِ السَّابِقَةِ، فِي الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا،
وَهِيَ نِعْمَةُ الْإِتِّحَادِ وَنِعْمَةُ الْإِمْدَادِ. سُمِّيَ ذَلِكَ رَحْمُوتًا. فصارت العوالم أربعة: مُلْكًا وَمَلَكُوتًا، وَجَبْرُوتًا، وَرَحْمُوتًا. وَقَدْ نَظَّمْتُ قَصِيدَةَ تَلِيْقِ هُنَا، وَهَذَا بَعْضُ
مِنْهَا، فَقُلْتُ:

إِذَا حَبَسْتَ نَفْسٌ فِي سِجْنِ الْهَوَى الَّذِي تَقَيَّدَ بِهِ الْعَقْلُ فِي قَهْرِ قَبْضَةٍ
وَأَشَقَلَهَا عِلْمُ الصَّوَانِ لِحِكْمَةٍ فَلَمْ تَرَ إِلَّا الْكَوْنَ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
فَدَلِكْ عَيْنُ الْمُلْكِ وَهُمْ تُبَوِّثُهَا وَنَاطِرُهُ الْمَخْجُوبُ فِي سِجْنِ ظُلْمَةٍ
وَإِنْ تَفَذَّتْ رُوحُ الْمُقَدَّسِ سِرَّهُ إِلَى ذَلِكَ سِرِّ الذَّاتِ خَلْفَ الْأَنْبِيَةِ
وَبَغْنِي بِهَا سِرَّ الْمَعَانِي الَّذِي سَرَى فِي كُلِّ الْأَوَانِي عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ
فَذَا مَلَكُوتُ اللَّهِ يُسَمَّى لَوْشِعِهِ وَعَارِفُهُ يَخْطِئُ بِفَتْحِ بَصِيرَةٍ
وَإِنْ سَبَحْتَ بِخَرِّ اللَّطَافَةِ وَالْهَنَاءِ وَأَضَلَّ الْأَصُولَ وَالْفُرُوعَ بِفِكْرَةٍ
فَذَا بَحْرٌ مَا لَا يَحِيطُ بِهِ الْفَتَى وَلَكِنْ يَخُوفُ مِنْهُ فِي ظَرْفِ لُجَّةٍ
وَالْعَوَالِمُ⁽¹⁾ إِنْ حَقَّقَتْهَا خَمْسَةٌ: مُلْكًا وَمَلَكُوتًا، وَجَبْرُوتًا، وَلاهُوتًا،
وَرَحْمُوتًا. بِإِضَافَةِ الْفُرُوعِ إِلَى الْأَصُولِ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْقَائِلُ:

وَإِنْ أُلْحَقْتَ كُلَّ الْفُرُوعِ بِأَصْلِهَا وَخَاضَتْ بِحَارِ الْجَمْعِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
فَذَاكَ الَّذِي يُسَمَّى بِلاَهُوتِ سِرِّهِ وَعَارِفُهُ حَقًّا يُهَنَّا بِمَكْنَةٍ
وَإِنْ نَظَرْتَ أَهْلَ الْإِلْحَادِ بِرَحْمَةٍ وَجَزَيْتَ فِي الْأَشْيَاءِ طُرًّا بِنِعْمَةٍ
فَذَاكَ رَحْمُوتًا فِيهِ يَذَرِيهِ عَارِفٌ تَخْلُقُ بِاسْمِ الْحَقِّ فِي كُلِّ نِسْبَةٍ
وَالْتَّحْقِيقُ: أَنَّ مَنْ دَخَلَ عَالَمَ التَّكْوِينِ؛ مَا ظَهَرَ مِنْ حَسِّهِ، يُسَمَّى مُلْكًا، وَمَا

(1) والعوالم إِنْ حَقَّقَتْهَا، إِلَى يَقُولِ الْقَائِلِ: كَلَامُ النَّاسِخِ عَبْدِ رَهْ: الْعِمْرَانِيُّ الْعَالِدِيُّ عَبْدُ السَّلَامِ، لِمَرَّةٍ
بِكَلَامٍ مَعَ نَغْصِهِ، لَا بِي وَخَدْنُهُ، خَطَأً مِنَ النَّسَاجِ، لَا مِنْ صَاحِبِ الشَّرْحِ أَمَّا.

يَعْلَمُ مِنْ أَسْرَارِ الْمَعَانِي يُسَمَّى مَلَكُوتًا. وما لم يَدْخُلْ عَالَمَ التَّكْوِينِ مِنَ الْأَسْرَارِ
الْباقية على أَصْلِهَا يُسَمَّى جَبْرُوتًا، وَلَا يَفْهَمُ هَذَا، إِلَّا مَنْ دَخَلَ مَقَامَ الْإِحْسَانِ،
وَخَاضَ بَحْرَ الْمَعَانِي، وَإِلَّا فَحَسْبُهُ التَّسْلِيمُ لِأَرْبَابِهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ شُهُودَ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ
يُحْجَبُ عَنْ شُهُودِ عَالَمِ الْمُلْكِ، وَشُهُودِ عَالَمِ الْجَبْرُوتِ يُحْجَبُ عَنْ شُهُودِ عَالَمِ
الْمَلَكُوتِ. وَكَانَ مِنْ تَرْقَى إِلَى مَقَامٍ، غَابَ عَمَّا قَبْلَهُ، إِلَّا الرَّحْمُوثُ، فَيُمْكِنُ شُهُودُهُ
مَعَ الْعَوْلِ كُلِّهَا. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ بَحْرَ الْجَبْرُوتِ، فَيَاضُ بِأَنْوَارِ الْمَلَكُوتِ. وَأَنْوَارِ الْمَلَكُوتِ،
أَصْلُهَا الْقَبْضَةُ النُّورَانِيَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ. فَكُلٌّ مِنْ بَرَزَ مِنَ الْجَبْرُوتِ، فَالنُّورُ الْمُحَمَّدِيُّ
وَاسِطَةٌ فِيهِ، وَأَصْلٌ فِيهِ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: «وَحَيَاضُ الْجَبْرُوتِ بِفَيْضِ أَنْوَارِهِ ﷺ»
«مُتَدَفِّقَةٌ»: أَيُّ مُنْصَعَةٍ بِقُوَّةٍ. فَالتَّدْفِيقُ: هُوَ الْإِنْصِيبُ بِشِدَّةٍ، شَيْئًا فَشَيْئًا، إِنَّهُ شَبَّهَ بَحْرَ
الْجَبْرُوتِ بِحَيَاضٍ مَمْلُوءٍ بِمَاءِ الْغَيْبِ. تَنْصِبُ إِلَى عَالَمِ الشَّهَادَةِ، شَيْئًا فَشَيْئًا، عَلَى
حَسَبِ الْإِرَادَةِ وَالْمَشِيئَةِ. وَلَمَّا كَانَ نَبِيُّنَا ﷺ، هُوَ سَبَبٌ فِي إِبْرَازِ تِلْكَ الْأَنْوَارِ،
أُضِيفَتْ إِلَيْهِ ﷺ، إِضَافَةُ الْمُسَبِّبِ إِلَى السَّبَبِ. وَإِنْ كَانَ الْكُلُّ جَبْرُوتِيًّا لَاهُوتِيًّا، لِأَنَّ
مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْوَاسِطَةَ، لَمْ يَشْكُرِ الْمَوْسُوطَ. وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ.
فَأَهْلُ الْحَذَبِ وَالْفَنَاءِ يَغْيِيوْنَ عَنِ الْوَاسِطَةِ. فَلَا يَشْهَدُونَ إِلَّا الْجَبْرُوتَ. وَأَهْلُ الْبَقَاءِ
لِكَمَالِهِمْ، يَشْهَدُونَ الْوَاسِطَةَ وَالْمَوْسُوطَ. وَيُعْطُونَ كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَلَا يُحْجَبُهُمْ
فَرْفُهُمْ عَنْ جَمْعِهِمْ، وَلَا جَمْعُهُمْ عَنْ فَرْقِهِمْ. نَفَعَنَا اللَّهُ بِهِمْ، وَخَرَطَنَا فِي سَبِيلِهِمْ
آمِينَ. وَإِنَّمَا اخْتَارَ التَّشْبِيهَ بِالْحَيَاضِ، وَلَمْ يَشَبِّهِهُ بِالْبَحَارِ، مُنَاسِبَةً لِلرِّيَاضِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا
شَبَّهَ الْمَلَكُوتَ بِالرِّيَاضِ، نَاسَبَ أَنْ يَشَبَّهَ الْجَبْرُوتُ بِالْحَيَاضِ، إِذْ لَا يَقُومُ الرِّيَاضُ
إِلَّا بِالْحَيَاضِ. كَمَا لَا يَقُومُ الْمَلَكُوتُ، إِلَّا بِالْجَبْرُوتِ، بَلْ هُوَ عَنْهُ كَمَا تَقَدَّمَ، لَكِنْ
السَّالِكُ يَتَرَقَّى بِهِ إِلَى الْجَبْرُوتِ. فَوَجِبَ إِثْبَاتُهُ ثُمَّ مَخُودُهُ. الْأَكْوَانُ ثَابِتَةٌ بِإِثْبَاتِهِ،
مَنْحُودَةٌ بِأَخْذِيَّةِ ذَاتِهِ، وَإِلَى إِثْبَاتِ وَاسِطَتِهِ ﷺ، أَشَارَ بِقَوْلِهِ: «وَلَا شَيْءَ» مِنْ
الْكَاثِنَاتِ «إِلَّا وَهُوَ بِهِ مَنُوطٌ» أَيُّ مُتَعَلِّقٌ وَمُتَّصِلٌ بِاتِّصَالِ الْمَوْسُوطِ بِالْوَاسِطَةِ، فَكُلُّ
مَنْ بَرَزَ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ، فَنَبِيُّنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَاسِطَةٌ فِيهِ. كَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ
الْأَخْبَارِ: «لَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتَ عَرْشًا وَلَا كُرْسِيًّا، وَلَا سَمَاءً وَلَا أَرْضًا، وَلَا جَنَّةً
وَلَا نَارًا». وَفِي بُرْدَةِ الْبُوصِيرِيِّ: لَوْلَاهُ لَمْ تُخْرَجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ. ثُمَّ ذَكَرَ عِلَّةَ تَعَلُّقِ
الْأَشْيَاءِ بِهِ ﷺ فَقَالَ: «إِذْ لَوْلَا الْوَاسِطَةُ الَّذِي هُوَ نَبِيُّنَا ﷺ». «لَذَهَبَ كَمَا قِيلَ
الْمَوْسُوطُ»: أَيُّ لَوْلَا تَوْسِطَةُ ﷺ، بَيْنَ اللَّهِ وَخَلْقِهِ؛ لَذَهَبَ الْمَوْسُوطُ الَّذِي هُوَ
الْكُونُ. أَيُّ لَبَقِيَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَدَمِ. فِإِذْ تَعْلِيلُهُ، وَالْمَوْسُوطَةُ فَاعِلُ

لذهب. والجملة: كما قيل معترضة بين الفعل والفاعل، لأجل القافية. إذ لو قدم على المجرور، لاختل الوزن بالطاء. والتقدير: إنما تعلقت الأشياء به ﷺ؛ لأنه واسطة. ولولا الواسطة لذهب الموسط. كما هو قول مشهور. ثم ذكر معمول قوله ﷺ، وهو المصدر النوعي فقال: «صلاة» أي صل صلاة عظيمة كاملة «تليق» أي بعظمتك وكمالك؛ وهذه الصلاة لا يعلم قدرها إلا الله سبحانه وتعالى، وتكون هذه الصلاة واصلة «بك منك إليه» بلا واسطة أحد من خلقك ولا شك أن الهدايا والتخف التي تصل إلى الوزراء بلا واسطة، بل من يد المليك إلى الوزير، أعظم وأتم ممن تصل على يد الوسائط. ثم ذكر علة تعظيم هذه الصلاة فقال: «كما هو أهله»: أي لأجل ما هو مستحقه ﷺ من التعظيم والإجلال فالكاف تعليلية. كقوله تعالى: «وَأَذْكُرُهُمْ كَمَا هَدَيْتَهُمْ». ثم ذكر وجه استحقاقه ﷺ، لهذه الكرامة فقال: «اللهم»، ليست هي للدعاء، وإنما هي مبالغة في الإقرار. كقوله في الجواب: اللهم نعم. مبالغة في تمكين الجواب في ذهن السامع. فكأنه قال. أقر وأتحقق، أنه ﷺ «سرك» الخفي الذي اختصت بمعرفته، أو سرك الذي أودعته في هذا الكون، إذ هو عليه الصلاة والسلام، سر الأسرار، ومنبع الأنوار؛ ومنه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار. «الجامع» لما افترق في غيره. فكانت روحانيته ﷺ. جامعة لأوصاف الكمالات، وبشريته جامعة لأنواع المحاسن، وشريعته جامعة لجميع الشرائع. وكتابه جامعاً لسائر الكتب؛ وهو أيضاً: يجمع الناس على الله، ويدلهم على الجمع، ويحذرهم من الفرق؛ «الدال عليك» بأقواله وأفعاله وأحواله ﷺ؛ فكانت خطبه ومواعظه ترق منها القلوب، وتذرف منها العيون. وما بُعث عليه السلام إلا دالاً على الله. ومعرفاً به تعالى. فما ترك شيئاً يجمع العباد على الله، إلا دالهم عليه، وعرفهم به. ولا رأى شيئاً يقطع عن الله، إلا حذر العباد منه. لم يأل جهداً في نصح العباد. وهديهم إلى طريق الرشاد، فجزاه الله عنه أحسن ما جزى رسولاً عن قومه، ونبياً عن أمته، وبعد أن كان عليه الصلاة والسلام دالاً على الله، كان حاجباً من حجب الحضرة، لا يدخلها أحد إلا على يديه. فلذلك قال: «وجبابك» الذي يتوسط بينك وبين الداخلين إلى حضرتك. فكل من دخل على يديه عليه السلام، وعظمته، واتبع سنته. أدخله الحضرة على نعت الهيبة والوقار والأدب، فاستقر في الحضرة على الدوام، وكل من دخل من غير بابي ﷺ، طرد، وغويب، وفي ذلك يقول القائل:

وَأَنْتَ بِسَابِ اللَّهِ أَيُّ أَفْرَى
وَأَقَى مِنْ غَيْرِ بَابِكَ لَا يَدْخُلُ

وأيضاً. هو ﷺ، حجاب الأرواح عن الهلاك، إذ من شأن الروح أن تتطعم الخوض فيما لا تقدر عليه من بحر الجبروت، فكُلَّمَا هَمَّتْ بالخوض فيه، زَجَرَهَا عليه السلام، وعَاقَلَهَا بِعِقَالِ الشَّرَائِعِ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «تَفَكَّرُوا فِي آيَاتِهِ، وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي مَاهِيَةِ ذَاتِهِ». إذ كُنْه الزبونية محجوبٌ عَنِ العقول. فَلَا سَبِيلَ إِلَى إدْرَاكِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الرُّسُلَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حُجِبَ لِقَوْمِهِمْ، ولكن المصطفى ﷺ، هو أعظمُ منهم، كَمَا قَالَ الشيخ رضي الله عنه، ثم وصفه بشدة القرب والأدب فقال: «الْأَعْظَمُ الْقَائِمُ، لَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ» أدباً وتفضيلاً. وَوَاسِطَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ خَلْقِكَ، وتَرْجُمَاناً فِي تَبْلِيغِ أَحْكَامِكَ. ثم شَرَعَ فِي الدُّعَاءِ بِاللَّحَقِ بِهِ؛ يَكُونُ عَلَى قَدَمِهِ، وَهُوَ أَكْثَمُ الْوَلَايَةِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ الْحَقُّنِي بِنَسَبِهِ الطِّينِي وَالِدِينِي، وَأَرَادَ دَوَامَهُ عَلَى مُتَابَعَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِلَّا، فَلَا يَنْفَعُ النَّسَبُ، مَعَ عَدَمِ الْأَدَبِ، «وَحَقَّقْنِي» أَيِ خَلْقَنِي «بِحَسَبِهِ» أَيِ بَخْلَقِهِ الْحَسَبِ؛ وَهُوَ مَا يَفْتَحِرُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَأَزَادَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنْ يَكُونَ عَلَى قَدَمِهِ ﷺ، فَإِنَّ الْأَوْلِيَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ نُوحِيًّا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِبْرَاهِيمِيًّا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ مُوسَوِيًّا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ عِيسَوِيًّا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ مُحَمَّدِيًّا؛ وَهُوَ أَكْثَمُهُمْ لَجْمَعِهِ مَا افْتَرَقَ فِي غَيْرِهِ. وَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ رَجَاءَهُ، وَأَجَابَ دُعَاءَهُ. فَقَدْ تَغْلَغَلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي عُلُومِ الْقَوْمِ، الَّتِي مَدَّارُهَا عَلَى التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ الرَّحْمَنِ، وَنَالَ مِنْ ذَلِكَ الْحِطِّ الْأَوْفَرِ. . . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي تَرْجُمَتِهِ مِنْ كَلَامِهِ مَا يُحَقِّقُ ذَلِكَ، نَفَعَنَا اللَّهُ بِمَحَبَّتِهِ آمِينَ، وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِالتَّحْقِيقِ، دُونَ التَّخَلُّقِ، لِأَنَّ التَّخَلُّقَ يَكُونُ مُجَاهِدَةً وَكَسْبًا، وَالتَّحَقُّقُ يَكُونُ غَرِيزَةً وَتَمَسُّكًا، ثُمَّ طَلَبَ مَعْرِفَتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الْمَعْرِفَةُ الْخَاصَّةُ فَقَدْ: «وَعَرَّفَنِي إِيَّاهُ». طَلَبَ مَعْرِفَتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَبْلَ أَنْ يَطْلُبَ مَعْرِفَةَ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ الْوَاسِطَةُ، فَلَا يَدْخُلُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا مِنْ بَابِهِ؛ لِأَنَّ مَنْ عَرَفَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الْمَعْرِفَةُ الْخَاصَّةُ، بَادَرَ إِلَى خِدْمَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، فَيُدْخِلُهُ عَلَى رَبِّهِ بِنَفْسِهِ، أَوْ بِشَيْخٍ يَهْدِيهِ إِلَيْهِ، وَآتَى الشَّيْخَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِضَمِيرِ النَّبِيِّ ﷺ مُنْقَصِلًا، وَإِنْ كَانَ الْإِتِّصَالُ أَرْجَحَ عِنْدَ النَّحْوَةِ، أَدْبًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ لَوْ قَالَ: وَعَرَّفَنِيهِ، كَمَا هُوَ الْأَرْجَحُ، لَكَانَ ضَمِيرُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مُتَّصِلًا بِضَمِيرِ الشَّيْخِ، فَيَفُوتُهُ الْأَدَبُ، إِذِ الْمَصْطَفَى يُتَّبَعِي أَنْ يَكُونَ غَيْرُهُ مُتَّصِلًا بِهِ، لَا هُوَ مُتَّصِلًا بِغَيْرِهِ. فَمَا أَحْسَنَ أَدَبَهُ! وَأَدَقَّ نَظَرَهُ! ثُمَّ ذَكَرَ نَتِيجَةَ الْمَعْرِفَةِ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «مَعْرِفَةُ» كَامِلَةٌ، «أَسْلَمَ بِهَا» أَيِ بِسَبِيلِهَا «مِنْ مَوَارِدِ الْجَهْلِ» أَيِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْجَهْلِ. أَيُّ جَهْلٍ كَانَ. فَالْوُرُودُ هُوَ الشَّرْبُ، وَالْمَوْرِدُ هُوَ مَحَلُّ الشَّرْبِ، وَيُجْمَعُ عَلَى مَوَارِدَ. شَبَّهَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْجَهْلَ بِمَاءٍ قَبِيحٍ، وَسَأَلَ اللَّهَ

تعالى أَد يُسَلِّمُهُ بِمَعْرِفَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مِنْ الْوُقُوعِ فِي مَشْرِيبِهِ، أَوْ فِي الْقُرْبِ مِنْهُ؛ وَهُوَ الشَّرْبُ مِنْ مَوَارِدِ الْعِلْمِ النَّافِعِ، ثُمَّ ذَكَرَ ضِدَّهُ فَقَالَ: «وَأَكْرَعُ»: أَيِ اشْرَبُ عَلَى قَمِي مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ. فَالْكَرْعُ: هُوَ الشَّرْبُ عَلَى الْقَمِ، بِفَعْلِ الْمُتَعَطِّشِ لِلْهَفَانِ «بِهَا» أَيِ بِتِلْكَ الْمَعْرِفَةِ «مِنْ مَوَارِدِ» جَمَعَ مَوْرِدٍ؛ وَهُوَ مَحَلُّ الشَّرْبِ. أَيِ بِتِلْكَ الْمَعْرِفَةِ مِنْ مَنَاهِلِ «الْفَضْلِ»؛ الَّتِي هِيَ الْعُلُومُ الدُّنْيَا، وَالْأَسْرَارُ الرَّبَّانِيَّةُ؛ الَّتِي تَكُونُ بِالْفَضْلِ وَالْمِنَّةِ، لَا بِالْكَسْبِ وَالْخِذْمَةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ عَرَفَهُ وَقَامَ بِوَاجِبِ حَقِّهِ، لَا بُدَّ أَنْ يَنْهَلَ مِنْ مَنَاهِلِهِ؛ وَيَتَرَدَّ مِنْ مَوَارِدِهِ، وَيَأْخُذَ قِسْطَهُ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي عَلِمَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِالْوَحْيِ أَوْ بِالْإِلْهَامِ «لَأَنَّ مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُ، أَوْزَرَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ». شَبَّهَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْعِلْمَ الدُّنْيَا بِأَنْجَرٍ عَذِيَّةٍ، يَرِدُ النَّاسُ مِنْهَا، وَطَلَبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهَا بِلاَ وَاسِطَةٍ، غَيْرِ وَاسِطَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى تَمْتَلِئَ عُزُوفُهُ وَأَضْلَاعُهُ وَأَوْصَالُهُ. «إِذِ الْقَنَاعَةُ مِنَ اللَّهِ جِزْمَانٌ». وَالْعِلْمُ لَا حَدَّ لَهُ حَتَّى يُشْبِعَ مِنْهُ. «وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا». ثُمَّ طَلَبَ السَّلُوكَ إِلَى خَضِرَةِ الْقُدُسِ، وَمَحَلِّ الْأَنْسِ فَقَالَ: «وَاحْمِلْنِي عَلَى سَبِيلِهِ». أَيِ طَرِيقِهِ الْأَقْوَمِ، «إِلَى خَضِرَتِكَ»: أَيِ إِلَى الْعُكُوفِ فِي مَشَاهِدَةِ جَمَالِ خَضِرَتِكَ. أَرَادَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنْ يَكُونَ فِي سَبِيلِهِ مَحْمُولًا عَلَى كَاهِلِ السُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، لَا حَامِلًا مُتَعَوِّبًا؛ لِأَنَّ مِنْ حَمَلَتِهِ الْعَنَاءَ الرَّبَّانِيَّةَ، قُطِعَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مَا لَا يَقْطَعُهُ غَيْرُهُ فِي سِنِينَ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ. وَلَيْسَ مَنْ كَانَ مَحْبُوبًا، كَمَنْ كَانَ مُحِبًّا، وَلَا مَنْ كَانَ مُجَذَّبًا كَمَنْ كَانَ سَالِكًا. «اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ» لَوْ كُنْتَ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ مَخَوِّ مَسَاوِيكَ، وَقَطَعَ دَعَاوِيكَ، لَا تَصِلُ إِلَيْهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَوْصَلَكَ إِلَيْهِ، عَطَى وَصَفَكَ بِوَضْفِهِ، وَتَعَتَّكَ بِتَفَتِيهِ، فَوَصَلَكَ بِمَا مِنْهُ إِلَيْكَ، لَا بِمَا مِنْكَ إِلَيْهِ، وَالْخَضِرَةُ: هِيَ حُضُورُ الْقَلْبِ مَعَ الرَّبِّ، أَوْ حُضُورُ الرُّوحِ أَوْ السِّرِّ مَعَ الْحَقِّ، فَهِيَ إِذَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: خَضِرَةُ الْقَلْبِ لِلطَّالِبِينَ، وَخَضِرَةُ الرُّوحِ لِلسَّائِرِينَ، وَخَضِرَةُ الْأَسْرَارِ لِلْوَاصِلِينَ. أَوْ تَقُولُ: خَضِرَةُ الْقُلُوبِ لِأَهْلِ الْمُرَاقَبَةِ، وَخَضِرَةُ الْأَرْوَاحِ لِأَهْلِ الْمَشَاهِدَةِ، وَخَضِرَةُ الْأَسْرَارِ لِأَهْلِ الْمُكَالَمَةِ. أَوْ تَقُولُ: خَضِرَةُ الْقُلُوبِ لِأَهْلِ الْبِرْهَانِ، وَخَضِرَةُ الْأَزْوَاجِ لِأَهْلِ الْبَيَانِ، وَخَضِرَةُ الْأَسْرَارِ لِأَهْلِ التَّمَكُّينِ. وَالْحَاصِلُ: أَنَّ الْمُرِيدَ مَا دَامَ مَحْجُوبًا عَلَى شُهُودِ نَفْسِهِ. وَهُوَ يُجَاهِدُ فِي حُضُورِ قَلْبِهِ مَعَ رَبِّهِ؛ فَهُوَ فِي خَضِرَةِ الْقُلُوبِ، وَإِذَا افْتَتَحَ عَلَيْهِ، غَابَ بِشُهُودِ رَبِّهِ عَنْ شُهُودِ نَفْسِهِ. أَوْ تَقُولُ: غَابَ بِجَمْعِهِ فِي فَرْقِهِ؛ فَهُوَ فِي خَضِرَةِ الْأَرْوَاحِ. وَإِذَا تَمَكَّنَ وَرَجَعَ إِلَى الْبَقَاءِ بِحَيْثُ لَا يَحْجُبُهُ جَمْعُهُ عَنْ فَرْقِهِ، وَلَا فَرْقُهُ عَنْ خَمْعِهِ؛ فَهُوَ فِي خَضِرَةِ الْأَسْرَارِ، وَحِكْمَةُ ذَلِكَ، أَنَّ الرُّوحَ مَا دَامَتْ

منهمكة في الغفلة سُمِّيَتْ نَفْسًا. وَلَمْ تَدْخُلِ الحَضْرَةَ قَط. فَإِذَا تَقَيَّضَتْ أَوْ اسْتَقَامَتْ، وَجَعَلَتْ تُجَاهِدُ نَفْسَهَا فِي الْحُضُورِ، سُمِّيَتْ قَلْبًا، لِتَقْلِبِهَا مِنَ الْغَفْلَةِ إِلَى الْحَضْرَةِ، وَمِنَ الْحَضْرَةِ إِلَى الْغَفْلَةِ، أَوْ لِتَقْلِبِهَا مِنَ الطَّاعَةِ إِلَى الْمَعْصِيَةِ، وَمِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَإِذَا وَصَلَتْ إِلَى مَقَامِ الْإِحْسَانِ، وَفُتِحَ عَلَيْهَا فِي مَقَامِ الْعِزِّ فَإِنَّ، سُمِّيَتْ رُوحًا، لِرَاحَتِهَا مِنْ تَغَيُّبِ الْحِجَابِ، وَدُخُولِهَا مَعَ الْأَخْبَابِ، وَإِذَا تَأَذَّبَتْ وَتَهَذَّبَتْ وَجَلَّيَتْ عَيْنَ بَصِيرَتِهَا، مِنْ غَبَشِ الْحَسِّ، سُمِّيَتْ سِرًّا، لِحِفَائِهَا عَنِ مَدَارِكِ الْعُقُولِ، أَوْ لَخَفَائِ صَاحِبِهَا عَنْ فَهْمِ النَّاسِ. إِذْ لَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ الْوَلِيِّ، إِلَّا مَوْلَاهُ الْكَبِيرُ الْعَلِيُّ. أَوْ مَنْ دَخَلَ مَعَهُ فِي الْوِلَايَةِ، فَأُصِيفَتْ الْحَضْرَةُ إِلَى الرُّوحِ، مَعَ اخْتِلَافِ تَسْمِيَتِهَا، بِاخْتِلَافِ تَطَوُّرِهَا وَتَرْقِيَّتِهَا. فَقِيلَ حَضْرَةُ الْقُلُوبِ مَا دَامَتْ قَلْبًا، ثُمَّ حَضْرَةُ الْأَرْوَاحِ، مَا دَامَتْ رُوحًا، ثُمَّ حَضْرَةُ الْأَسْرَارِ، مَا دَامَتْ سِرًّا. وَلَمَّا كَانَ الْحَمْلُ إِلَى الْحَضْرَةِ لَا يَكْمُلُ إِلَّا إِذَا صَحِبَتْهُ النَّصْرَةُ، سَأَلَ ذَلِكَ الشَّيْخُ فَقَالَ: «حَمَلًا مَخْفُوفًا بِنُصْرَتِكَ». أَيْ يَكُونُ ذَلِكَ الْحَمْلُ مَذُورًا بِنُصْرَتِكَ. أَيْ حُقَّتْ بِهِ النَّصْرَةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا صَحِبَتْهُ النَّصْرَةُ وَالْمَعْرِفَةُ فِي سِرِّهِ، بَلَغَ الْقَصْدَ وَالْمَأْمُولَ، وَرَتَعَ فِي أَقْرَبِ سَاعَةٍ فِي حَضْرَةِ الْوُضُوءِ. وَاللَّهُ دَرُّ الْقَائِلِ:

إِذَا كَانَ عَوْنُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ قَاصِرًا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ كُلِّ عَوْنٍ مُرَادُهُ
وَأِنْ لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى فَأَكْثَرُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ
ثُمَّ ذَكَرَ ثَمَرَةَ الْوُضُوءِ؛ وَهِيَ الْغَيْبَةُ عَنِ السَّوَى، فَقَالَ: «وَأَفْذِفْ»: أَيْ أَزِمِ
«بِیْ عَلَی الْبَاطِلِ»؛ وَهُوَ مَا سِوَى الْحَقِّ تَعَالَى. وَفِي الْحَدِيثِ: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا
الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَيْبِدٍ:

أَلَا كُسُ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بِسَاطِلٍ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٍ
شَبَّهَ السَّوَى الَّذِي هُوَ الْبَاطِلُ، بِحَيَوَانٍ لَهُ دِمَاعٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دِمَاعُهُ مَاتَ.
وَلِذَلِكَ قَالَ: «فَأَذْمَعُهُ»: أَيْ فَأُصِيبُ دِمَاعُهُ. فَيَنْشَتُّ وَيَضْمَحِلُّ. وَإِذَا زَهَقَ الْبَاطِلُ
جَاءَ الْحَقُّ. «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا». «فَذَلِكُمْ اللَّهُ
رَبُّكُمُ الْحَقُّ، فَمَآذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ». وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى مَفْقُودٌ
عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ. أَيْ الْمُحَقِّقُونَ أَنْ يَشْهَدُوا مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ. إِذْ مُحَالٌ أَنْ تُشْهَدَ وَتُشْهَدَ
مَعَهُ غَيْرُهُ. مَا حَاجَبَكَ عَنِ الْحَقِّ وَجُودِ مَوْجُودٍ مَعَهُ، إِذْ لَا شَيْءَ مَعَهُ، وَإِنَّمَا حَاجَبَتْ
تَوْهُمُ مَوْجُودٍ مَعَهُ. مَذْعَرَفَتْ الْإِلَهَ لَمْ أَرْ غَيْرَهُ. وَكَذَا الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعٌ. مُدَّ

تَجَمَّعَتْ مَا خَشِيتُ افْتِرَاقًا، فَأَنَا الْيَوْمَ وَاصِلٌ مَجْمُوعٌ. وَإِذَا ذَهَبَ عَنِ الْقَلْبِ شُهُودُ
السُّوَى، غَرَقَ فِي بَحَارِ الْوَحْدَةِ. وَلِذَلِكَ قَالَ: «وَزُجَّ بِي»: أَيِ أَذْخِلْنِي. «فِي بَحَارِ
الْأَحَدِيَّةِ»، فَالزُّجُّ فِي اللَّغَةِ: هُوَ الْإِدْخَالُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

الْحَلَنِي الْحُبُّ فَلَوْ زُجَّ بِي فِي مُقْلَةِ الثَّائِمِ لَمْ يَنْتَبِهْ
كَانَ لِي فِيمَا مَضَى خُتْمٌ وَالْآنَ لَوْ شِئْتُ تَمَنَّى لَطُفْتُ بِهِ

وَالْأَحَدِيَّةُ مُبَالِغَةٌ فِي الْوَحْدَةِ، أَيِ أَذْخِلْنِي فِي بَحَارِ أَحَدِيَّةِ ذَاتِكَ وَصِفَاتِكَ
وَأَفْعَالِكَ. وَلِذَلِكَ عَبَّرَ بِالْجَمْعِ، إِذْ كُلُّ بَحْرٍ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ، فَمَنْ غَرَقَ فِي بَحْرِ
تَوْحِيدِ الذَّاتِ، غَابَ عَنِ نَفْسِهِ وَعَنِ شُهُودِ السُّوَى، وَبَقِيَ بِوُجُودِ رَبِّهِ، وَمَنْ غَرَقَ
فِي بَحْرِ تَوْحِيدِ الصِّفَاتِ، غَابَ عَنْ صِفَةِ نَفْسِهِ، وَصِفَةِ غَيْرِهِ، وَبَقِيَ بِصِفَاتِ رَبِّهِ
وَمَنْ غَرَقَ فِي بَحْرِ وَحْدَةِ الْأَفْعَالِ غَابَ عَنْ فِعْلِهِ وَفِعْلِ غَيْرِهِ، وَخَرَجَ مِنْ تَدْبِيرِهِ
وَاحْتِيَارِهِ إِذْ لَا يَدْبِرُ الْإِنْسَانُ مَا يَفْعَلُ غَيْرُهُ. وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِالْأَحَدِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَبْلَغُ مِنَ
الْوَحْدَانِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ هُنَا مِنَ التَّوْحِيدِ، مَا كَانَ ذَوْقًا وَحَالًا وَمَقَامًا، لَا مَا كَانَ عِلْمًا
واعتقادًا. إِذْ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِ أَهْلِ الْجَهَابِ: أَهْلُ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ. وَفِي هَذَا الْمَقَامِ،
قَالَ شَيْخُ شَيْوَحْنَا، سَيِّدِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَجْدُوبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يَا قَارِئِينَ عِلْمِ التَّوْحِيدِ هُنَا الْبُحُورُ إِلَيَّ تَغِي
هَذَا مَقَامُ أَهْلِ التَّجَرُّدِ الْوَاقِفِينَ مَعَ رَبِّي

إِذْ لَا يَخُوفُ هَذِهِ الْبُحُورَ، إِلَّا أَهْلُ التَّجَرُّدِ وَالْحُضُورِ. وَأَمَّا مَنْ تَنَسَّبَ طَاهِرُهُ
بِكثَرَةِ الْأَسْبَابِ، فَلَا يَطْمَعُ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ هَذِهِ الْأَبْوَابَ. وَقَدْ سَمِعْتُ شَيْخَنَا الْبُورْزَيْنِي
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: مَعْرِفَةُ الْمَتَسَبِّبِ، لَا تَقْرُبُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْمُتَجَرِّدِ. وَقَالَ أَيْضًا:
الْمُتَجَرِّدُ النَّاقِصُ، أَفْضَلُ مِنَ الْمَتَسَبِّبِ الْكَامِلِ يَعْنِي الْمُتَهَذَّبِ. إِذِ الْمَتَسَبِّبُ لَا يَخْلُو
بَاطِلُهُ مِنْ تَكْدِيرِ. وَسَمِعْتُ شَيْخَ شَيْخَنَا مَوْلَايَ الْعَرَبِيَّ الدَّرَقَاوِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
يَقُولُ: فِكْرَةُ الْمُتَجَرِّدِ، أَمْنٌ مِنْ فِكْرَةِ الْمَتَسَبِّبِ. أَيِ أَصْفَى وَأَبْلَغُ؛ لِأَنَّهَا نَاشِئَةٌ عَنْ
الصِّفَاءِ، إِذْ صَفَاءُ الْبَاطِنِ، مِنْ صَفَاءِ الظَّاهِرِ، وَتَكْدِيرُ الْبَاطِنِ، مِنْ تَكْدِيرِ الظَّاهِرِ.
وَهَذَا كُلُّهُ فِي حَقِّ السَّائِرِينَ. وَأَمَّا الْوَاصِلُونَ الْمُتَمَكِّنُونَ فَلَا كَلَامَ عَلَيْهِمْ. إِذْ أَمْرُهُمْ
كُلُّهُ بِاللَّهِ. وَعَلَيْهِ يُخْمَلُ خَالُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. إِذْ كَانَ فِيهِمْ الْمَتَسَبِّبُونَ،
كَالصُّدِيقِ، وَالْفَارُوقِ، وَغَيْرِهِمَا. وَالْإِجْمَاعُ عَلَى تَفْضِيلِهِمَا، فَيُخْتَمَلُ ذَلِكَ، عَلَى
أَنَّهُ كَانَ بَعْدَ كَمَالِ خَالِهِمْ. وَأَيْضًا: مُشَاهَدَتُهُمْ نُورَ النَّبُوَّةِ، مَنَعَتْهُمْ مِنَ الرُّكُوعِ إِلَى

شَيْءٍ سِوَاهُ. فَنظَرَةُ وَاحِدَةٍ مِنَ الرُّسُولِ ﷺ، تَخْرُجُهُ مِنْ عَوَالِمِهِ وَعَوَائِدِهِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَلَمَّا كَانَ رَاكِبَ الْبَحْرِ عَلَى خَطَرٍ، إِمَّا أَنْ يَسْلَمَ، وَإِمَّا أَنْ يَغْرَقَ، طَلَبَ النِّجَاةَ مِنَ الْغَرَقِ فِي بَحْرِ الْأَوْهَامِ، أَوْ فِي بَحْرِ الشُّكُوكِ وَالْخَوَاطِرِ، أَوْ فِي بَحْرِ الزُّنْدَقَةِ وَالْإِلْحَادِ فَقَالَ: «وَأَنْشُلْنِي»: أَيْ خَلِّصْنِي وَأَنْقِذْنِي «مِنْ أَوْحَالٍ» جَمْعٌ وَخَلٌّ؛ وَهُوَ الْخُضْخَاضُ. أَيْ سَلَمْنِي مِنْ وَغِيضِ «التَّوْحِيدِ». مِنْ إِضَافَةِ الْمَشَبِّهِ بِهِ إِلَى الْمَشَبَّهِ. أَيْ أَنْقِذْنِي مِنْ تَوْحِيدِ كَالْخُضْخَاضِ، بِأَنْ يَضْحَبَهُ تَكْدِيرٌ وَتَخْلِيطٌ، إِمَّا بِرُؤْيَا السَّوَى مَعَهُ؛ وَهُوَ تَوْحِيدِ الْعَوَامِ؛ وَهُوَ مَكْدَرٌ بِالْأَوْهَامِ وَالشُّكُوكِ وَالْخَوَاطِرِ، وَإِمَّا بِإِغْتِقَادِ الْحُلُولِ وَالْإِتِّحَادِ. فَإِنَّ بَعْضَ الْجَهْلَةِ، اعْتَقَدُوا السَّوَى، وَادَّعَوْا حُلُولَ الْأُلُوهِيَةِ فِيهِ. وَهُوَ مَذْهَبُ النَّصَارَى، وَبَعْضُهُمْ ادَّعَى وَجُودَ السَّوَى، لَكِنَّهُ اتَّجَدَّ وَامْتَزَجَ مَعَ الْأُلُوهِيَةِ. وَهُوَ كُفْرٌ حَرَامٌ. يَا عَجَباً كَيْفَ يَظْهَرُ الْوُجُودُ فِي الْعَدَمِ؟ أَمْ كَيْفَ يَثْبُتُ الْحَادِثُ مَعَ مَنْ لَهُ وَضْفُ الْقِدَمِ؟

وَأَهْلُ التَّحْقِيقِ لَمْ يَثْبُتُوا مَعَ الْحَقِّ سِوَاهُ، وَرَأَوْا الْكُلَّ مِنْهُ وَإِلَيْهِ، فَالْكُلُّ دُونَ اللَّهِ، إِنْ حَقَّقْتَهُ عَدَمٌ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ. وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ الْقَائِلُ بِقَوْلِهِ:

مَنْ لَا وَجُودَ لِذَاتِهِ مِنْ ذَاتِهِ فَوُجُودُهُ لَوْلَا عَيْنُ مُحَالٍ
فَإِنْ لَمْ تَذُقْ مَا ذَاقَهُ الرُّجَالُ فَحُطَّ رَأْسُكَ لِأَقْدَامِ الرُّجَالِ
حَتَّى يَنْقُولُوا مِنَ التَّوْحِيدِ خَمْرَةٌ صَافِيَةٌ زَلَّلِ وَإِلَّا فَسَلِّمْ لِأَهْلِ الْكَمَالِ
وَقَدْ شَبَّهُوا رَاكِبَ بَحْرِ التَّوْحِيدِ، بِرَاكِبِ الْبَحْرِ الْحَسِيِّ، فَإِنْ كَانَ صَاحِبُ السَّفِينَةِ رَئِيساً مَاهِراً أَوْى بِهِ إِلَى جَبَلِ السَّنَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، فَكَانَ مِنَ النَّاجِحِينَ الثَّاجِينَ. وَإِنْ كَانَ صَاحِبُ السَّفِينَةِ جَاهِلاً بِالْبَحْرِ، أَوْى بِهِ إِلَى جَبَلِ عَقْلِهِ وَخَدْسِهِ، فَالْتَطَمَتْ بِهِ الْأَمْوَاجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ. وَلَمَّا طَلَبَ النِّجَاةَ مِنَ الْغَرَقِ فِي بَحْرِ التَّخْلِيطِ، طَلَبَ الْغَرَقَ فِي بَحْرِ الصَّفَاءِ؛ وَهِيَ الْوَحْدَةُ الْحَقِيقِيَّةُ. فَقَالَ: «وَأَغْرِقْنِي فِي عَيْنٍ»: أَيْ فِي حَقِيقَةِ «بَحْرِ الْوَحْدَةِ»: أَيْ فِي وَسْطِ بَحْرِ الْوَحْدَةِ. وَالْمَرَادُ أَنْ يَغِيبَ فِي شُهُودِ الذَّاتِ وَحْدَهَا. فَيَكُونُ مُتَّهِمِكَاً فِي الْحَقِيقَةِ، غَائِباً فِي وُجُودِهِ بِوُجُودِ مَشْهُودِهِ، كَمَا قَالَ الْجُنَيْدُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وُجُودِي أَنْ أَغِيبَ عَنِ الْوُجُودِ بِمَا يَبْدُو وَعَلَيَّ مِنَ الشُّهُودِ
وَإِنْ غَابَ فِي الْحَقِّ، كَانَ أَمْرُهُ كُلُّهُ بِهِ لَا بِنَفْسِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: «حَتَّى لَا أَرَى» إِلَّا بِالذَّاتِ الْعَلِيَّةِ، «وَلَا أَسْمَعُ» إِلَّا بِهَا وَمِنْهَا. كَمَا قَالَ الشُّشْتَرِيُّ:

أَنَا بِسَالِّهِ أَنْطَسْتُ وَمِمَّنْ السَّلِّهِ أَسْمَسْتُ

وكما قال في الحديث القدسي: «فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَنْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا» الحديث. وفي رواية أخرى: «فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ». وإلى تمامه أشار الشيخ بقوله: «وَلَا أَجِدَ» في باطني، مِنْ فَرَحٍ أَوْ حُزْنٍ أَوْ قَبْضٍ أَوْ بَسْطٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوُجْدَانِيَّاتِ الْبَاطِنِيَّةِ. «وَلَا أَجِسُّ» مِنْ حَرٍّ أَوْ بَرْدٍ، أَوْ لَيُونَةٍ أَوْ حَرُوشَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، مِنَ الْمَخْسُوسَاتِ الظَّاهِرَةِ. «إِلَّا بِهَا»: أي بعين بخر الوحدة، وعبر بها عن الذات العالِيَّةِ، فيكون فعله كله بالله، ومن الله، وإلى الله. وهذا هو المعبر عنه بمقام الفناء. ويمكن أن يُريد بعين بخر الوحدة، مظهر الإنسان. فبخر الوحدة هو البحر المحيط. كما قال الله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ». وعين ذلك البحر هو وجود الإنسان، لأنه جوهره الصّديف، ولب الكائنات، فإذا عَرَفَ الله فيه، وعَرَقَ في بخره، فقد عَرَفَ الله في غيره، مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ، عَرَفَ رَبَّهُ، فتأمل. ثم رجع إلى مقام الفناء فقال: «وَاجْعَلِ الْحِجَابَ الْأَعْظَمَ». وهو النبي ﷺ. وقد تقدّم من قوله: «وَحِجَابُكَ الْأَعْظَمَ»: أي واجعل شهودك الحجاب الأعظم. «حياة رُوحِي». أي سبب حياتها؛ لأن مَنْ عَرَقَ في بخر الوحدة، وأنكر الواسطة، وأثبت الحكمة، وأبطل الشريعة، فتزندق والحد، وماتت رُوحه. ومن أقر الواسطة، وأثبت الحكمة، حيث رُوحه، وبقيت منعمة في حضرة الشهود، على نعت الهبة والأدب، مع المالك المعبود، فيكون باطنه يشاهد القدرة، وظاهره يشاهد الحكمة. أو تقول: باطنه خرية، وظاهره عبودية. أو تقول: باطنه جذب، وظاهره سلوك. أو تقول: باطنه حقيقة. وظاهره شريعة. فهو الذي تكون رُوحه حية باقية، لا تفر ولا تبيد. حتى ترد يوم المزيّد، واعلم أن إنكار الواسطة، قد يطرق بعض المريدين عند استشرافهم على الفناء في الذات، وعند الجذبة الأولى، لكن لا يدوم ذلك، إلا لمن ليس له شيخ، أو خرج عنه قبل الترشيد. وأما ما دام في حضرة الشيخ، فلا بد أن يُخرجه إلى البقاء، كما يُخرج فصل الشتاء بدخول فصل الربيع، وفضل الربيع، بدخول فصل الصيف، وهكذا. والمراد بالواسطة: القبض الثورانية التي تكثفت وبرزت من الجبروت، وسميت محمداً ﷺ. فمن ألحقها بأصبيها، ولم ينظر إلى حكمة إظهارها، أنكر الواسطة، وكان ناقصاً أو ساقطاً، ومن نظر إلى حكمة إظهارها، وأنها ثابتة بإثباته، منحوّة بأحدية ذاته، أقرها بالله، وأقام بحقوقها، وهي أحكام الشريعة، فلا بد من إثباتها وجوداً، والغيبة عنها شهود الواسطة من عين الموسط. فمن وقف مع الواسطة، وحجب عن الموسط.

كان جاهلاً بالله، غير عارف به، ومن حُجِبَ بالواسطة عن الموسوط، فإن كان مجذوباً غائباً، كان ناقصاً، وإن كان صاحباً كان ساقطاً. ومن جمع بينهما كان محققاً كاملاً، وبالله التوفيق. ولما طَلَبَ حياة رُوحه، بشهود ظاهر الحجاب الأعظم؛ وهو النبي ﷺ؛ طَلَبَ تصفيتها، حتى تنقلب سراً بشهود باطنه عليه السلام. وهو رُوحه فقال: «وَرُوحَهُ سِرٌّ حَقِيقَتِي»: أي واجعل شهود رُوحه، سبب سِرِّ حَقِيقَتِي، أي سبب انقلاب رُوحِي سراً، فَحَقِيقَةُ الْإِنْسَانِ هِيَ رُوحُهُ. والحاصل: أن النظر إلى ظاهره عليه الصلاة والسلام يُفِيدُ تحقيق الشريعة؛ وهو سبب حياة الرُوح. والنظر إلى باطنه عليه السلام، يُفِيدُ تحقيق الطريقة، وبها تكون تصفية الرُوح، حتى تكون سراً، بعد أن كانت نَفْساً، ثم عَقْلاً، ثم قَلْباً، ثم رُوحاً، فإذا تَهَذَّبَتْ صارت سراً، وأما النظر إلى جُمْلَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَغْنِي ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، فَيُفِيدُ تحقيق الحقيقة، وبها يكون تصفية السِّرِّ، وإليه أشار بقوله: «وَحَقِيقَتُهُ وَجَامِعُ عَوَالِمِي»: أي واجعل شهود حَقِيقَتِهِ كلها، بظاهرها وباطنِها، بجمع عَوَالِمِي الباطنية؛ وهو العلم والفهم، والفكر والعقل، والنظر والاعتبار، فتكون عوالمِي كلها مُنَحْصَرَةً فِي الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ؛ وَهِيَ الْقَبْضَةُ الْجَبْرُوتِيَّةُ، أَوِ الْمَظْهَرُ الْجَبْرُوتِي، مَعَ النَّظَرِ إِلَى الْجَبْرُوتِ الْأَصْلِيِّ، كَمَا يَأْتِي بَعْدَهَا. والحاصل: أن ظاهره عليه السلام مُلْكٌ، وباطنه مُلْكُوتٌ والجمع بينهما جَبْرُوتٌ. فطلب أولاً النظر إلى مُلْكِ ظَاهِرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لتحقيق شريعته. وطلب ثانياً النَّظَرَ إِلَى مَلَكُوتِ بَاطِنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لتحقيق طَرِيقَتِهِ، فتكون سُلْماً لِإِشْرَاقِ نُورِ حَقِيقَتِهِ، وَطَلَبَ ثَالِثاً النَّظَرَ إِلَى جَبْرُوتِ جُمْلَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لتكمل حَقِيقَتَهُ. وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: طَلَبَ أَوَّلاً بِقَوْلِهِ: وَاجْعَلِ الْحِجَابَ الْأَعْظَمَ، حَيَاةَ رُوحِي - الْاِقْتِدَاءَ بِظَاهِرِهِ. إِذْ هُوَ سَبَبُ لِحَيَاةِ الرُّوحِ حَسّاً وَمَعْنَى؛ وَهُوَ مَحَلُّ التَّشْرِيعِ، فَيَكُونُ كَلَامُ الشَّيْخِ حِينَئِذٍ عَلَى حَذْفِ مُضَافَيْنِ. أَيْ وَاجْعَلْ شُهُودَ ظَاهِرِ الْحِجَابِ الْأَعْظَمِ، لَكِنْ إِذَا أُطْلِقَ الْكَلَامُ، إِنَّمَا يَنْصَرِفُ إِلَى الظَّاهِرِ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرِ الْمُضَافِ الثَّانِي، وَطَلَبَ ثَالِثاً بِقَوْلِهِ: وَرُوحَهُ سِرٌّ حَقِيقَتِي الْاِقْتِدَاءَ بِبَاطِنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهُوَ مَحَلُّ تَصْفِيَةِ الرُّوحِ. إِذْ كُلُّ مَنْ نَظَرَ إِلَى بَاطِنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَأَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ كَمَالِ الْأَخْلَاقِ، انْجَرَّ إِلَى الْاِقْتِدَاءِ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهُوَ عَمَلُ الطَّرِيقَةِ. وَطَلَبَ ثَالِثاً بِقَوْلِهِ: «وَحَقِيقَتُهُ جَامِعُ عَوَالِمِي». الْجَمْعُ بَيْنَ الْاِقْتِدَاءِ بِالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَبِذَلِكَ تَتَنَوَّرُ الْحَقِيقَةُ، وَيُظْهِرُ سِرَّهَا. أَوْ تَقُولُ: طَلَبَ أَوَّلاً تَحْقِيقَ مَقَامِ الْإِسْلَامِ، بِشُهُودِ ظَاهِرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَطَلَبَ ثَانِياً بِتَحْقِيقِ مَقَامِ الْإِيمَانِ، شُهُودَ بَاطِنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَطَلَبَ ثَالِثاً تَحْقِيقَ

مقام الإحسان، بشهود حقيقته عليه السلام. أو تقول: طلب أولاً شهوده عليه السلام من جهة ملكه. وثانياً: شهوده من جهة ملكوته. ثالثاً: شهوده من جهة جبروته. وهذا أحسن من ذلك إن شاء الله، لأن الشيخ رضي الله عنه، لما طلب الرجوع إلى البقاء، بشهود الواسطة، طلب أن يكون جوعه إليها بشهود ملكها وملكوتها وجبروتها، ولذلك ضم جبروت الواسطة، إلى جبروت الموسوط، فقال: «بتحقيق الحق الأول» الباء للتغذية، والحق الأول: الشهود السابق في عالم الأرواح يوم «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ»: أي حَقُّهُ الآن حتى استحضره، واستعين به على دوام الشهود، أو الباء للمعية. والحق الأول: هو شهود الربوبية. والاستغراق في الوجدانية. أو الباء للقسم، والحق الأول هو الله تعالى، إذ هو السابق على كل حق، ومنه كان كل حق وأعود إلى المعنى: بتحقيق، أي مع تحقيق الحق الأول. وهو الجبروت الأصلي، فالباء بمعنى مع كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ﴾ أي معه. فطلب أن تكون عوالمه منصرفاً إلى جبروت الواسطة. مع النظر إلى جبروت الموسوط؛ الذي هو الأصل؛ وهو الحق الأول. والفرق بين جبروت الواسطة، وجبروت الأصل أن جبروت الواسطة، محجوب بالحكمة، مغطى برداء العز والقهرية، فظاهره حكمة، وباطنه قدرة، فمن ضم جبروت الفرع، إلى جبروت الأصل مطلقاً، من غير مزاعة الحكمة، ورداء القهرية، وقع في الزندقة؛ لإبطاله الأحكام والحكمة، وخزفه رداء العزة القهرية. ومن ضمها مع مراعاة الحكمة، ورداء الكبرياء والعزة، كان إماماً كاملاً جامعاً، يصلح للتربية والترقية، جعلنا الله منهم. بمنه «يا أول» قبل كل شيء. «يا آخر» بعد كل شيء. «يا ظاهر» فوق كل شيء. «يا باطن» دون كل شيء. هكذا فسره النبي ﷺ في حديث أخرجه مالك في الموطأ. ولفظه: «اللهم أنت الأول، فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء. اقض عني الدين» فعبر بالأولية عن القدم، وبالأخيرة عن البقاء، وبالظهور عن التجلي، وبالباطن عن الحجاب بالحكمة ورأ القهرية؛ فهو ظاهر في بطونه، باطن في ظهوره، فأسمه الظاهر يمتحو ظهور السوى وبطنه. إذ لا ظاهر معه سبحانه وتعالى، واسمه الباطن، يقتضي ظهور تجلياته، ليكون باطناً بالنسبة إلى جسها الظاهر. فلو بقي على ما كان عليه من الباطن، ما عرف ولا عبد. وفي الحكم: أظهر كل شيء بأنه الباطن، وطوى كل شيء بأنه الظاهر. وقال في آخر المناجاة: كيف تخفى وأنت الظاهر، أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر. والحاصل: أن

الحضر في قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ يقتضي انفرده بالظهور دون غيره، لأن التقدير: هو الأول، هو الآخر، هو الظاهر، هو الباطن دون غيره. فكل ما ظهر فهو هو، وكل ما بطن فهو هو. أو تقول: هو ظاهر كل ما بطن، وباطن كل ما ظهر من الألوهية، إذ لا شيء معه، أو تقول: هو الظاهر من جهة التعريف، والباطن من جهة التكثيف. إذ إن كنهه الربوبية لا يكيف. أو تقول: ظاهر بقدرته، باطن بحكمته. أي سبب حكمته، فقد أظهر الحكمة، وأبطن القدرة، وإليه أشار بعض العارفين بقوله:

لَقَدْ ظَهَرَتْ فَلَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَكْمِهِ لَا يُبْصِرُ الْقَمَرَا
لَكِنْ بَطْنَتْ بِمَا أَظْهَرَتْ مُحْتَجِبَا وَكَيْفَ يُبْصِرُ مَنْ بِالْعِزَّةِ اسْتَشْرَا
واعلم أن الحكمة عين القدرة، والقدرة عين الحكمة، إذ الفاعل واحد
وسأذكر لك شيئاً من بحر القدرة، وشيئاً من بحر الحكمة، ليظهر لك الفرق بينهما، مع اتحادهما محلاً، فنقول: وبالله التوفيق:

نَحْرُ الْقُدْرَةِ، بَحْرُ رَاجِرٍ، وأمره قاهر، ليس له أول ولا آخر، يظهر ويبطن، ويحرك ويسكن، ويقبض ويدفع، ويعطي ويمنع، ويحفظ ويرفع، بيده مقادير الأمور، وعلى قُطْبِ دائرته الأفلاك تدور، أصل الفروع، وفروع الأصول، وإليه ينتهي الوصول. تطير إليه قلوب المشتاقين، وتعم في طرف لُجَّتِهِ أرواح السائرين، وتخوض في بحر لُجَّتِهِ أسرارُ الواصلين، ولا تعرف كُنْهَ عظمته قلوب العارفين، غاية مُنْهَاجِهَا الدَّهْشَ والجيرة، ثم العكوف فهي الحُضْرَةُ.

وَأَمَّا بَحْرُ الْحِكْمَةِ؛ فهو أيضاً: بَحْرُ رَاجِرٍ، وأمره ظاهر، يظهر الأسباب، ويسندل الحجاب، يربط الأحكام بالعلل، ويقرر الشرائع والميل، يغطي ما يبرز من غُصْنِ الْقُدْرَةِ بِرْدَائِهِ، ويستر ما يندو من أسرار الربوبية بعز كبريائه، ينور الطريقة، ويصون الحقيقة، يظهر العبودية، ويبطن الحرية، من وقف معه كان مخجوباً، ومن نَفَدَ مِنْهُ إِلَى بَحْرِ الْقُدْرَةِ، كان واصلاً مجذوباً، ومن نظر إليهما معاً، كان كاملاً محبوباً، وبالعبادة مصحوباً، واعلم أن القدرة والحكمة، كل واحدة تنادي على صاحبتها، بلسان خالها. أما القدرة فتقول للحكمة: أنت تحت قهري ومشيتي، لا تفعليني إلا ما أشاء، ولا يصدر منك إلا ما أريد، فإن أردت خلافي رددتلك، وإن سنقتني أدركتُك. وتقول الحكمة للقدرة: أنت تحت حكمي، وعند أمري ونهبي، فإن عصيتني أدبتك، ورُبُّمَا قتلُك، فإن برزت القدرة موافقة للحكمة، كان ذلك

شهود الحكمة وخدها. فأهل الجذب والفناء: لا يشهدون إلا الجمع، وأهل السلوك قبل رفع الحجاب، لا يشهدون إلا الفرق، وأهل البقاء يشهدون الجمع في عين الفرق. والفرق في عين الجمع، فهم مجموعون في فرقهم. مفروقون في جمعهم، لا يحجبهم جمعهم عن فرقهم، ولا فرقهم عن جمعهم، رضي الله عنهم.

ولما طلب الجمع على الدوام، طلب نفي ضده؛ وهو الفرق فقال: «وخل بيني وبين غيرك». شهود غيرك: هو الغفلة عن المعرفة. وإلا فلا غير. فكانه طلب الحيلولة بينه وبين الغفلة؛ التي تثبت الغيرية، أو الحيلولة بينه وبين الوهم، إذ هو الذي يشب الغيرية، ولقد سمعت شيخنا البوزيدي رضي الله عنه كثيراً ما يقول: «والله ما حجب الناس عن الله إلا الوهم، والوهم: أمر عذمي له لا حقيقة له». يغني أنهم توهّموا وجود السوى، ولا وجود للسوى. «الله» هذا التحقيق للجمع الذي طلب. وحذف النداء لدلالته على البعد، ولا بُعد مع الجمع. وكرر (الله) ثلاثة، على عدد العوالم الثلاثة، «الملك، والملكوت، والجبروت». فكل مرة يفنى بها عالماً، ويرتقي إلى آخر. حتى يستقر بالثالثة: في عالم الجبروت. فإذا قال: الله أولاً، أفنى عالم الملك، وإذا قالها ثانياً، أفنى عالم الملكوت، وإذا قالها ثالثاً، خاف الجبروت، واستقر فيه، وسمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: إذا قال الإنسان: الله، قصم به الكون كله إذا تلقاه من الشيخ. والقصم: الهلاك والذهب. وكان شيخ شيوخنا سيدي علي يقول: ما ظن أحد، أن الكون يذوب إذا ذكر اسم الله عليه. قلت: وما قاله الشيخان رضي الله عنهما صحيح، فإذا قلت: الله، وتوجهت بقلبك إلى الكون، من العرش إلى العرش، ذاب وتلاشى. ولم يبق له أثر، فجزاهما الله عنا خيراً، ويؤخذ من تكرار الشيخ لهذا الاسم العظيم، جواز تكرار هذا اللفظ، والاقتصار عليه في الذكر؛ وهو التحقيق، خلاف ما ذكر الحطاب، عن عز الدين بن عبد السلام، ولعله قبل أن يلتقي بالشيخ، وفي المسألة ثلاثة مذاهب: الجواز مطلقاً في البداية والنهاية. والمنع مطلقاً. والتفصيل يجوز في النهاية، ولا يجوز في البداية. والمشهور الأول قال في لطائف المئين: وكان الشيخ أبو العباس الميرسي رضي الله عنه يحض عليه كثيراً، ويقول: هو سلطان الأسماء. وقال اليوسي: ثمرة هذا الاسم، معرفة الذات، وقد تولاه أبو الحسن الثوري، فبقي أياماً يقول: الله. الله. الله. لا يفتر. ولا يأكل، ولا يشرب، فذكر ذلك للجنيد، فقال له: إن كنت تقوله بنفسك فأنت مشرك، وإن كنت تقوله بالله

فَلَسْتُ أَنْتَ الْقَائِلُ . فَمَا هَذَا التَّوَلُّهُ؟ . فَسَكَتَ . وَقَالَ : نِعْمَ الطَّيِّبُ أَنْتَ وَلَمَّا كَانَ
الْجَمْعُ الْحَقِيقِيُّ ، الَّذِي تَصْحَبُهُ النُّصْرَةُ وَالسُّرُورُ ، وَلَا تَعْتَرِيهِ غَفْلَةٌ وَلَا فَتُورٌ ، إِنَّمَا
تَكُونُ بَعْدَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ ، ثَلَاثًا عَلَى رُوحِهِ هَذِهِ الْآيَةُ ، عَلَى مَذْهَبِ تَفْسِيرِ أَهْلِ
الْإِشَارَةِ ، تَسْلِيَةٌ لَهَا فَقَالَ : ﴿ إِنَّ الْأَوَّلَى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدِكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ أَيُّ إِنَّ
الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ أَحْكَامَ الْقُرْآنِ ، وَالْعَمَلُ بِهِ لِرَأْدِكَ إِلَى مَعَادٍ عَظِيمٍ ، فَتَتَصَبَّحُ
بِمَحَبَّتِكَ عَلَى الدَّوَامِ ، وَأَمَّا دَارُ الدُّنْيَا فَهِيَ دَارُ أَهْوَالٍ وَمَنْزِلُ فِرْقَةٍ وَانْتِقَالٍ ، لَا
تُسْتَعْرَبُ وَقُوعُ الْأَكْثَارِ ، مَا دُمْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ . فَلَمَّا أَبْرَزْتَ مَا هُوَ مُسْتَحِقُّ
وَصَفَّهَا ، وَوَجِبَ نَعْمَتُهَا ، ثُمَّ ذَكَرَ دَعَاءَ أَهْلِ الْكَهْفِ ، تَشْبِيهًا بِهِمْ فِي الثَّبَلِ وَالْانْقِطَاعِ
إِلَى اللَّهِ ، وَالْفِرَارِ مِمَّا سِوَاهُ ، فَقَالَ : « رَبَّنَا آتِنَا : أَيُّ أَعْطَانَا وَامْتَحَنَّا » مِنْ لَدُنْكَ : أَيُّ
مَنْ مُسْتَبْطِنُ أُمُورِكَ ؛ لِأَنَّ لَدُنْكَ ، تَدُلُّ عَلَى الْإِتِّصَالِ وَالْقُرْبِ أَكْثَرَ مِنْ عِنْدِ . أَيُّ هَبْ
لَنَا مِنْ خَزَائِنِ قَيْضِكَ « رَحْمَةً » عَظِيمَةً تَضْمَنُا وَتَوْخَشُنَا مِنْ غَيْرِكَ . « وَهَبِيَّةٌ » أَيُّ
وَاجْعَلْ ؛ « لَنَا مِنْ أَمْرِنَا » كُلُّهُ « رَشْدًا » : أَيُّ صَوَابًا . وَالْمَعْنَى ، وَاجْعَلْ أَمْرَنَا كُلَّهُ
رَشْدًا ، وَصَوَابًا لِمُوَافَقَتِهِ لِمَحَابَّتِكَ وَمَرْضَاتِكَ ؛ وَهَذَا يُسَمَّى عِنْدَ أَهْلِ الْبَيَانِ :
التَّجْرِيدُ . وَمَعْنَاهُ : أَنَّهُمْ إِذَا بِالْعُورِ فِي الشَّيْءِ ، جَرَّدُوا مِنْهُ نَوْعًا آخَرَ مِنْ جَنْسِهِ .
كَقَوْلِكَ . لَقِيتُ مِنْ زَيْنِدٍ أَسَدًا . مُبَالِغَةٌ فِي شَجَاعَتِهِ . وَقَوْلِكَ : لِي مِنْ فُلَانٍ صَدِيقٍ
حَمِيمٍ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ هَلُمُّ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ﴾ . وَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ أَمْرُهُ كُلُّهُ
رَشْدًا . حَتَّى كَأَنَّهُ جَرَّدَ مِنْهُ رَشْدًا آخَرَ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَهَذَا آخِرُ التَّضْلِيلِ فِي
النُّسْخِ الْعَتِيقَةِ ، وَزَادَ بَعْضُهُمْ : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » . وَفِي الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى تَعْظِيمِ أَمْرِ الصَّلَاةِ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . حَيْثُ بَدَأَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِنَفْسِهِ . وَثَنَى بِمَلَائِكَتِهِ قُدْسِهِ . وَثَنَتْ
بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ جَنَّتِهِ وَإِنْسِهِ ، فَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْأَمْرِ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . « إِنَّ اللَّهَ
يَرْحَمُ آدَمَ فَاسْجُدُوا لَهُ » . وَفِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ ،
وَلَهَا ثَمَرَاتٌ عَدِيدَةٌ ، ذَكَرَهَا ابْنُ فَرْحُونَ وَغَيْرُهُ ، فَلَا نَطِيلَ ، بِذِكْرِهَا . فَلَا يَنْبَغِي
لِلْفَقِيرِ أَنْ يَهْمَلَ نَفْسَهُ مِنْهَا . فَإِنْ كَانَ سَائِرًا خَتَمَ ذِكْرَهُ بِهَا ، وَبَدَأَ بِهَا ، وَإِنْ كَانَ
مَتَمَكِّنًا اسْتَفْرَقَ أَوْقَاتَهُ فِيهَا بِالْفِكْرَةِ ، ثُمَّ امْتَثَلَ أَمْرَ الْخَالِقِ فَقَالَ : « صَلِّ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا » . وَفِي وَجُوبِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَذْبِهَا
خِلَافَ الْمَشْهُورِ . وَالْمَشْهُورُ أَنَّهَا وَاجِبَةٌ مَرَّةً فِي الْعُمْرِ ، ثُمَّ يَبْقَى الِاسْتِحْبَابُ ، فَلَا
يَهْمَلُ نَفْسَهُ مِنْهَا إِلَّا مُحْرَمٌ ، ثُمَّ خَتَمَ بِذِكْرِ وَرَدَّ عَنْ سَيِّدِنَا عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ
قَالَ : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتَنَالَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى ، فَلْيَكُنْ آخِرَ دَعَائِهِ : سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ

الْعِزَّةَ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ». أي تنزيهاً لِرَبِّكَ، رب العِزَّةَ عَمَّا يصفه بِهِ الكُفْرَةُ، مِنَ الشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ. وفيه إشارة إلى عِزِّهِ وَنُصْرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَأَنَّ رَبَّ الْعِزَّةِ، لَا بُدَّ أَنْ يُعِزَّ عَبْدَهُ الْمُخْتَصَّ بِهِ. وسَلَامٌ، أي طيب وتحيّة، وإكرام على المرسلين المختارين لِسِرِّ وَخِيَةِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، على نُصْرِ أَحِبَّائِهِ وَجُنُودِهِ، جَعَلَنَا اللهُ مِنْ جُنُودِهِ الْمُنْصُورِ؛ أَهْلُ الْخَبْرَةِ وَالسُّرُورِ آمِينَ، وسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

شرح صلاة ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

شرح التَّضَلُّيَّةِ عَلَى النَّبِيِّ، لابن العربي الحاتمي

يقول العبد الفقير، إلى مولاه الغني عما سواه: أحمد بن محمد بنعجبية
الحسني رضي الله عنه، ونفعنا بركاته آمين.

الحمد لله المتجلي بكماله؛ الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله، والصلاة
والسلام على قطب دائرة الوجود، وبذرة التجلي لكل موجود، ورضي الله تعالى
عن أصحابه الكرام، وآل بيته ذوي الثَّاهَةِ والاخترام، ونَعُدُّ:

فَقَدْ سألني بعض الإخوان، أن أضع تقييداً على صلاة النبي ﷺ، لابن العربي
الحاتمي، تُبين ما انفلق من معانيها، وما أشكل من مبانيها، فأجبت سؤالهم، بعد
أن استأذنت شيخنا العارف الرباني البوزيدي الحسني؛ لأن سِرَّ الإذن أمر كبير.
واعلم أن الناس في مذهبه ﷺ على قسمين: قسم مدَّخوا شخصه الظاهر، فذكروا
ما يتعلق بجماله الحسي، وما يتبع ذلك من الكمالات الظاهرة والباطنة، وما يلحق
به من المعجزات والخوارق؛ وهم أهل الظاهر. وقسم مدَّخوا سِرَّه الباطني، ونوره
الأصلي، فذكروا نوره المتقدم، وما تفرَّغ عنه من التجليات الحسية، كالقطب ابن
مشيش وأضرابه، ومنهم العارف الرباني، والقطب الصمداني، بحري زمانه، وفريد
عصره وأوانه، محيي الدين ابن العربي الحاتمي، المتوفى في حدود القرن السادس
حيث قال: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الذَّاتِ الْمُطَّلَسَمِ» أي على الكثر المكنون.
فالمُطَّلَسَمُ: هو الساتر للشيء، والصَّوَّان له. وذلك أن الحقَّ جلَّ جلاله؛ كان كنزاً
لم يُعرف، أي سراً خفياً غيبياً، فلما أراد أن يُعرف، ظهر قبضة من نور ذاته،
سمَّاهُ محمداً ﷺ، فلما تجلَّت القُبْضَةُ من بحر الجبروت، كساها رداء الكبرياء؛

وَهُوَ حِجَابُ الْحُسْنِ، إِذْ لَا يَدُ لِلْحَسَنَاءِ مِنْ نِقَابٍ، وَلِلشَّمْسِ مِنْ سَحَابٍ، لِيَبْقَى
الْكُثْرُ مَذْقُونًا، وَالسِّرُ مَصُونًا، فَحِجَابُ الْحُسْنِ الَّذِي اخْتَجَبَتْ بِهِ أَسْرَارُ الذَّاتِ هُوَ
الطَّلَسُمُ. وَالْمَعَانِي الَّتِي هِيَ بَاطِنُ الْقَبْضَةِ وَكَلِيَّتُهَا هُوَ الْكُثْرُ، وَهُوَ عَيْنُ الذَّاتِ فِي
مَقَامِ الْجَمْعِ، فَالْقَبْضَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ لَمَّا كَانَتْ مِنْ عَيْنِ الذَّاتِ، أُطْلِقَ عَلَيْهَا الذَّاتُ،
وَلِلذَلِكَ قَالَ: عَلَى الذَّاتِ الْمُطَّلَسُمُ. وَمِنْ هَذِهِ الْقَبْضَةِ تَفَرَّعَتِ الْكَائِنَاتُ كُلُّهَا. مِنْ
عَرْشِهَا إِلَى قَرَشِهَا، بِذَوَاتِهَا وَأَزْوَاجِهَا. فَنُورُهُ ﷺ؛ هُوَ بِذَرَّةُ الْوُجُودِ، وَالسَّبَبُ فِي
كُلِّ مَوْجُودٍ، فَمِنْ سِرِّهِ ﷺ، انشَقَّتْ أَسْرَارُ الذَّاتِ، وَانْفَلَقَتْ أَنْوَارُ الصِّفَاتِ، فَكُلُّ
تَجَلٍّ مِنْ تَجَلِيَّاتِ الْحَقِّ، إِنَّمَا يَبْرُزُ مِنْ نُورِهِ ﷺ، فَحِيَاضُ الْجَبَرُوتِ بِقَبْضِ أَنْوَارِهِ
مَتَدَفِّقَةٌ، مُنْذُ ظَهَرَتْ الْقَبْضَةُ، إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ، حَتَّى إِنَّ أَنْفَاسَ الْجِنَّانِ وَنَعِيمَهَا،
بَارِزَةٌ مِنْ هَذَا النُّورِ الْمُحَمَّدِيِّ؛ لِأَنَّهَا حُسِّيَّةٌ، وَالْحُسُّ مِنْ حَيْثُ هُوَ، كُلُّهُ مُضَافٌ
لِنَبِيِّنَا ﷺ وَمَنْسُوبٌ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عَيْنِ الذَّاتِ؛ لِأَنَّ الْإِضَافَةَ لَا تُخْرِجُهُ عَنْ
أَصْلِهِ، فَفِي التَّحْقِيقِ: مَا نَمَّ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا شَيْءٌ سِوَاهُ.

تَنْبِيْهٌ: اعْلَمْ أَنَّ الْفُرُوعَ النَّاشِئَةَ مِنَ الْقَبْضَةِ، وَالْمَتَفَرِّعَةَ عَنْهَا، كُلُّهَا كُثُورٌ
مُطَّلَسَّمَةٌ أَيْضًا؛ لِأَنَّ حُكْمَ الْبَغْضِ، حُكْمُ الْكُلِّ، فَالْأَوَانِي طَلَّاسِمٌ لِلْمَعَانِي، فَكُلُّ
شَخْصٍ عِنْدَهُ كُثْرٌ بَيْنَ جَنْبَيْهِ، حَاجِبَتُهُ عَنِ الْعَقْلَةِ وَالْوُقُوفِ مَعَ الْحُسِّ، وَالتَّنَظُّرِ إِلَى
وُجُودِهِ، وَالْإِنْتِهَاكِ فِي حُطُوطِ نَفْسِهِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشُّشْتَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يَا قَاصِدًا عَيْنَ الْخَبَرِ	غَطَّاهُ أَثَرُكَ
الْخَمْرُ مِنْكَ وَالْخَبَرُ	وَالسُّرُّ عَنْكَ
ارْجِعْ لِدَاتِكَ وَاعْتَبِرْ	مَائِثُكُمْ غَيْرُكُمْ

فَمَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ، وَرَضَّضَهَا وَأَدَبَهَا، حَتَّى إِذَا مَاتَتْ، وَحَيَّتْ رُوحَهُ، ظَهَرَ لَهُ
كُثْرُهُ، وَبَدَا لَهُ سِرُّهُ. وَلِلذَلِكَ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ:

وَأَتَاهُمْ إِنْ كُنْتَ تَفْهَمُ
وَقَالَ ابْنُ الْعَرِيفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

بَدَا لَكَ سِرُّ طَالَتْ عَنْكَ أَكْثَامُهُ	وَلَاخَ صَبَاحَ كُنْتَ أَنْتَ ظَلَامُهُ
فَأَنْتَ حِجَابُ الْقَلْبِ عَنْ سِرِّ غَيْبِهِ	وَلَوْلَاكَ لَمْ يُطْبِعْ عَلَيْهِ خِتَامُهُ
فَإِنْ غِيبَتْ عَنْهُ حَلٌّ فِيكَ وَطُفِقَتْ	عَلَى مَوْكِبِ الْكَشْفِ الْمَصُونِ خِيَامُهُ
وَجَاءَ حَدِيثٌ لَا يُمَلُّ مَمَاعُهُ	شَهِيءٌ إِلَيْنَا نُشْرُهُ وَنُظَامُهُ

إِذَا سَمِعْتُهُ النَّفْسُ طَابَ تَعْيِمُهَا وَزَالَ عَنِ الْقَلْبِ الْمُعْنَى غَرَامُهُ
وَلَا بُدَّ مِنْ صُحْبَةِ شَيْخٍ عَارِفٍ كَامِلٍ، يُعَرِّفُكَ كَيْفِيَةَ الْحَقْرِ عَلَى هَذَا الْكَثْرِ.
وَأَيْنَ مَوْضِعُهُ لَتَحْفَرُ عَلَيْهِ. وَإِلَّا بَقِيَتْ جَاهِلًا بِهِ، فَقِيرًا عَلَى الدَّوَامِ، مَعَ كَوْنِ الْكَثْرِ
بَيْنَ جَنْبَيْكَ؛ وَهُوَ رُوحُكَ وَسِرُّكَ، فَإِذَا اسْتَوَلَتْ رُوحَانِيَّتُكَ عَلَى بَشَرِيَّتِكَ، وَمَعْنَاكَ
عَلَى حِسِّكَ، ظَهَرَ كَنْزُكَ، وَصِرَتْ غَنِيًّا كَبِيرًا، تُثْبِتُهُ عَلَى الْكَوْنِ بِأَسْرِهِ، وَتَتَعَرَّفُ فِيهِ
بِهَيْئَتِكَ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقَ، ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالْغَيْبُ الْمُضْمَضُ» أَيِ الْمَحْجُبِ
الْمُسْتَوْرٍ. يُقَالُ: ضَمَضَ كَذَا، إِذَا سَتَرَهُ وَاخْتَوَى عَلَيْهِ، فَهُوَ مُضْمَضٌ؛ أَيِ مُسْتَوْرٍ،
وَانْظُرِ الْقَامُوسَ، فَهُوَ بِضَاذَيْنِ مُعْجَمَيْنِ، لَا بِطَاءَيْنِ، وَلَا شَكُّ أَنَّهُ ﷺ، غَيْبٌ مِنْ
غُيُوبِ اللَّهِ. وَسِرٌّ مِنْ أَسْرَارِهِ، لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ إِلَّا رَبُّهُ، الَّذِي خَلَقَهُ
وَأَظْهَرَهُ، وَعَنْهُ ﷺ: «وَاللَّهُ مَا عَرَفْنِي حَقِيقَةً غَيْرَ رَبِّي».

وَفِي تَصْلِيَةِ الْقُطْبِ ابْنِ مَشِيشٍ، أَيْ عَنْهُ «تَضَاعَلَتِ الْفُهُومُ، فَلَمْ يُدْرِكْهُ مِثْلًا
سَابِقٌ وَلَا لَاحِقٌ». وَقَالَ أَوْسُ الْقَرْنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهُ مَا رَأَى أَصْحَابُ
مُحَمَّدٍ، مِنْ مُحَمَّدٍ إِلَّا قَشْرَةَ الظَّاهِرِ. وَأَمَّا الْبَاطِنُ فَلَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ». فَقِيلَ: وَلَا ابْنَ
أَبِي قَحَافَةٍ. وَالْمَرَادُ: نَفْيُ الْإِحَاطَةِ بِسِرِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُدْرِكُ رُوحَهُ. وَأَمَّا
إِذْ ذَاكَ الْبَغْضِ، فَلَهُمْ فِي ذَلِكَ نَصِيبٌ، عَلَى قَدْرِ التَّوَجُّهِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَكَذَلِكَ الْأَوْلِيَاءُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، يَتَفَاوَتُونَ فِي إِدْرَاكِ بَاطِنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى قَدْرِ مَعْرِفَتِهِمْ بِاللهِ،
فَمِنْهُمْ مَنْ يُدْرِكُ شَيْئًا مِنْ سِرِّهِ ﷺ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُدْرِكُ رُوحَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُدْرِكُ قَلْبَهُ،
وَمِنْهُمْ مَنْ يُدْرِكُ عَقْلَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُدْرِكُ نَفْسَهُ، فَأَهْلُ الرُّسُوحِ وَالتَّمَكُّينِ، يَدْرِكُونَ
سِرَّهُ ﷺ؛ الَّذِي هُوَ سَائِرٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ فَلِذَلِكَ لَا يَغِيبُونَ عَنْهُ طَرَفَةً عَيْنٍ، وَأَهْلُ
التَّلَوِينِ قَبْلَ التَّمَكُّينِ، يَدْرِكُونَ رُوحَهُ، فَيُشَاهِدُونَهُ فِي غَالِبِ الْأَوْقَاتِ، وَأَهْلُ السَّيْرِ
مِنَ الْمُرِيدِينَ، يُدْرِكُونَ قَلْبَهُ، فَيَحْصِلُ لَهُمْ كَمَالُ الْإِيْقَانِ، وَتَقِلُّ رُؤْيَتُهُمْ لَهُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، وَأَهْلُ الْحِجَابِ مِنْ عَامَّةِ الصَّالِحِينَ، يُدْرِكُونَ عَقْلَهُ، أَوْ نَفْسَهُ، فَيَرَوْنَ فِي
الْمَنَامِ، وَفِي الْيَقِظَةِ، شَخْصَهُ الْحَسِّيَّ، عَلَى قَدْرِ قَنَائِهِمْ فِيهِ، وَأَهْلُ هَذَا الْمَقَامِ، هُمْ
أَهْلُ حَضْرَةِ الْأَشْبَاحِ، كَمَا أَنَّ السَّابِقِينَ قَبْلَهُ، هُمْ أَهْلُ حَضْرَةِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَسْرَارِ،
وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالْكَمَالُ الْمُكْتَنَمُ». وَلَا شَكُّ أَنَّهُ ﷺ،
جَمَعَ الْكَمَالَاتِ كُلَّهَا. فَكَانَتْ صُورَتُهُ الشَّرِيفَةُ فِي غَايَةِ الْجَمَالِ، وَرُوحُهُ الْمُطَهَّرَةُ،
فِي غَايَةِ الْكَمَالِ. وَسِرُّهُ الْبَاهِرُ، فِي غَايَةِ الثَّمَامِ. وَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهِ مِنَ الْكَمَالَاتِ
وَالْمَحَاسِنِ، مَا لَمْ يَجْتَمِعْ فِي مَخْلُوقٍ قَطُّ، وَكُلُّ كَمَالٍ ظَهَرَ فِي غَيْرِهِ، فَإِنَّمَا هُوَ

مُعَارَ مِنْهُ. وَرَشْحَةٌ مِنْ رَشَحَاتِهِ، وَكُلُّ نُورٍ أَوْ سِرٍّ نَالُهُ غَيْرُهُ، فَإِنَّمَا هُوَ مُقْتَبَسٌ مِنْ نُورِهِ، كَمَا قَالَ الْبُوصِيرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مَلْتَمَسٍ عَرَفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيَمِ
وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ خَدِّهِمْ مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ
فَإِنَّهُ شَمْسٌ فَضْلُهَا هُمْ كَوَاكِبُهَا يُظْهِرُونَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

إِلَّا أَنَّ الْحَقَّ جَلُّ جَلَالِهِ كَتَمَ ذَلِكَ الْكَمَالَ، وَحَجَبَهُ، وَلَوْ أَظْهَرَهُ، لَعُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، كَمَا عُبِدَ عِيسَى، فَكَانَ كَمَالُهُ وَجَمَالُهُ مُكْتَتَمًا، لَا يُطْلَعُ عَلَيْهِ، إِلَّا مَنْ صَفَلَتْ مِرْآةُ قَلْبِهِ. فنظر إلى باطنه دون ظاهره، كَالصَّادِقِ، وَمَنْ كَانَ عَلَى قَدَمِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، ثُمَّ قَالَ: «لَاهُوتُ الْجَمَالِ، وَنَاسُوتُ الْوِصَالِ» قُلْتُ: اللَّاهُوتُ عبارة عن أسرار المعاني الباطنية القائمة بالأشياء؛ وهي أسرار الذات. والنَّاسُوتُ عبارة عن حسن الأواني الظاهرة. والحاصل: اللَّاهُوتُ: ما بطن. والنَّاسُوتُ: ما ظهر. ومعنى كلامه: أَنَّ كُلَّ جَمَالٍ فِي عَالَمِ الْمَلَكُوتِ، فَاَلْمَصْطَفَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَضْلُهُ وَمَعْدَنُهُ وَسِرُّهُ وَلُبُّهُ؛ فَهُوَ مَعْدِنُ الْجَمَالِ، وَأَصْلُ الْكَمَالِ. فما تَبَهَّجَ رِياضُ الْمَلَكُوتِ، إِلَّا بِزَهْرِ جَمَالِهِ، مَا ظَهَرَ بِهَجَّةِ الْمُلْكِ إِلَّا بِحَسَنِ كَمَالِهِ؛ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: لَاهُوتُ الْجَمَالِ، أَي أَضْلُهُ وَمَعْدَنُهُ، وَبَاطِنُهُ وَلُبُّهُ. فَمِنْ مَعْدِنِ سِرِّهِ ﷺ، تَفَرَّعَتْ أَنْوَاعُ الْجَمَالِ، وَكَانَهُ يَشِيرُ إِلَى جَمَالِ الْمَعَانِي؛ الَّذِي يَنْسَبِي الْأَرْوَاحَ، وَيَغِيبُ الْعُقُولَ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

تَرَانِي غَائِبًا عَنْ كُلِّ آيَةٍ كَأَسِ الْمَعَانِي خُلُوَ الْمَذَاقِ

وَبِالْجُمْلَةِ: فَجَمَالِ الْمَعَانِي؛ هُوَ مِنْ جَمَالِ سِرِّهِ ﷺ. فِيهِ عَرَفَ، وَفِيهِ ظَهَرَ، وَمَا ذَاقَ أَحَدٌ شَيْئًا مِنْ خَلَاوَةِ الْمَعَانِي، وَلَذَّةِ الشُّهُودِ، إِلَّا بِاتِّبَاعِهِ، وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِ ﷺ، فَهُوَ لَاهُوتُ جَمَالِ الْمَعَانِي وَمَعْدَنُهَا، فَالْمَعَانِي الْبَاطِنِيَّةُ تُسَمَّى مَلَكُوتًا، وَالْحَسَنُ الظَّاهِرُ، يُسَمَّى مُلْكًا، وَالبَحْرُ الْمُحِيطُ: مِنَ الْأَسْرَارِ اللَّطِيفَةِ الْبَاقِيَةِ عَلَى أَضْلُهَا؛ الَّذِي تَتَدَفَّقُ أَنْوَارُ الْكَائِنَاتِ مِنْهُ، يُسَمَّى جَبَرُوتًا، فَجَمَالِ الْمَعَانِي، إِنَّمَا عُرِفَ وَظَهَرَ بِهِ ﷺ. وَجَمَالِ الْحَسَنِ إِنَّمَا تَبَهَّجَ بِنُورِهِ ﷺ؛ وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الْقُطْبُ ابْنُ مَشِيشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: «قَرِيَاضُ الْمَلَكُوتِ بِزَهْرِ جَمَالِهِ مُونِقَةٌ، وَحِيَاضُ الْجَبَرُوتِ بِفَيْضِ أَنْوَارِهِ مُتَدَفِّقَةٌ». وَقَوْلُهُ: نَاسُوتُ الْوِصَالِ: يُشِيرُ إِلَى ظَاهِرِهِ ﷺ. كَانَ فِي مَحَلِّ الْوِصَالِ وَالْإِتِّصَالِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي مَحَلِّ الْفَرْقِ وَالْإِنْفِصَالِ. فَكَمَا أَنَّ

باطنه كان مغدّن الأسرار، كذلك ظاهره محلّ الأنوار، فكان مستغرقاً في البحر الأحديّة، بظاهريه وباطنيه، والله تعالى أعلم. ثم قال رضي الله عنه: «طلّعت الحق»: أي أول تجليه؛ وظهره في عالم الغيب، فأول ما طلّع من أسرار الذات الكثريّة. القبضه المحمّديّة، فمنها انشقت أسرار الذات، وظهرت أنوار الصفات. فلولاه عليه السلام، ما ظهر الوجود، ولا عرف الملك المغبود؛ فهو الواسطة بين الله ومخلوقاته، فلولاً الواسطة للذهب الموسوط.

ثم إن القبضه المحمّدية هي عين الذات، برزت من عين الذات، لكن تسمى ما تكشف منها وتحسن: محمداً ﷺ، وأما ما بطن، فباق على أصله؛ من اللاهوتية، فالقدر الذي سمّاه منها محمداً ﷺ. إنما هو جسها، وجواهريتها الظاهر. وأما ما بطن من المعاني؛ فهو لاهوتي؛ وليس هو بحلول؛ لنفي الغيرية ومحوها عن نظر العارفين. ولما كانت تلك القبضه بها ظهر الكثر المدفون، وبها انكشف السر المصون، شبهها بثوب النقاب؛ الذي يغطي به الوجه الحسن، فقال رضي الله عنه: «كثوب عين إنسان الأزل، في نشر من لم يزل»: فشبه الأزل، بإنسان له عين حسنة، كانت محجوبة مصونة، مستورة بثوب، فلما أراد أن يظهرها، كشف ثوب نقابها، وظهرت محاسنها، وباهر جمالها، كذلك الخمره الأزلية، كانت لطيفة خفية، فلما أرادت أن تظهر، كشفت عن وجوه سرها، فأظهرت من جمالها نور القبضه المحمّدية، ثم انتشر من القبضه سائر الفروع الكونية، وهذا معنى قوله: نشر من لم يزل؛ أي هو عليه السلام، كثوب عين إنسان الأزل، ويرجع الكلام إلى قوله: هو كثوب عين الأزل، المنشور عليه، فكشفه في إرادة نشر من لم يزل؛ أي عند إرادة إظهار من لم يزل من الفروع الكونية الحديثه، وهذا مجرد اصطلاح؛ يقولون في السر الأزلي في حال الكثريّة أزل. وفيما تفرّع منه لم يزل. والكل واحد. الفرع عين الأصل. والأصل عين الفرع. ما تجلّى به فيما لم يزل، كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان، والله ذو القائل:

لَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ لَمْ يَبْقَ كَائِنٌ فَمَائِمٌ مَوْضُولٌ وَلَا تَمُّ بَائِنٌ
بِذَا جَاءَ بُرْهَانُ الْعِيَانِ فَمَا أَرَى بِعَيْنِي إِلَّا عَيْنَهُ إِذْ أَعْيَسُنْ

ثم قال رضي الله عنه: «من أقامت به نواصيت القرقي، في قاب ناسوت الوصال»: من بدأ من الذات، ونواصيت جمع ناسوت؛ وهو ما ظهر من الحسن.

كَمَا أَنَّ اللَّاهُوتَ مَا بَطَنَ مِنَ الْمَعْنَى، وَقَابُ الْقَوْسِ: مَا بَيْنَ مَحَلِّ وَتَرِهِ وَطَرَفِهِ. وَالْمَعْنَى: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الذَّاتِ الْمُطْلَسَمِ، الَّذِي أَقَامَتْ، أَيِ ذَامَتْ بِهِ، أَيِ بَرَكْ أَتْبَاعِهِ، أَشْبَاحُ أَهْلِ الْفَرْقِ، فِي مَقَامِ الْقُرْبِ، فَكَانُوا مِنْ حَضْرَةِ الْوِصَالِ، مَقْدَارُ قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَذْنَى، فَأَقَامُوا فِي الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ بِهِ ﷺ، وَلَوْ أَعْرَضُوا عَنْهُ لَطَرِدُوا وَأُبْعِدُوا، وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِالتَّوَاسُيْتِ، دُونَ الْقُلُوبِ وَالْأَزْوَاجِ؛ لِأَنَّ الْقُلُوبَ وَالْأَزْوَاجَ مَحَلُّهُمَا الْجَمْعُ بِنَاسُوتِ الْوِصَالِ كِنَايَةً عَنْ حَضْرَةِ الْوِصَالِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ تَبِعَهُ ﷺ، وَتَمَسَّكَ بِسُنَّتِهِ، وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِ، قَالَ الْقُرْبُ بَعْدَ الْبُعْدِ، وَالْوِصَالُ بَعْدَ الْفِرَاقِ، فَإِنَّهُ ﷺ، بَابُ اللَّهِ وَحِجَابِهِ الْأَعْظَمُ؛ فَمَنْ رَامَ الدُّخُولَ عَلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ، طَرِدَ وَأُبْعِدَ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَأَنْتَ بَابُ اللَّهِ أَيِ امْرِيءٍ وَاقِفَاهُ مِنْ غَيْرِكَ لَا يَدْخُلُ

كَمَا أَنَّ مَنْ أَرَادَ الْوُصُولَ إِلَى الْمُلُوكِ، لَا بُدَّ أَنْ يَتَحَبَّبَ إِلَى وَرَرَاتِهِمْ، وَيَهْدِيَ لَهُمْ، وَيَخْدُمَهُمْ، فَحِينَئِذٍ يُوصِلُونَهُ إِلَى الْمَلِكِ. فَكَذَلِكَ مَنْ أَرَادَ الدُّخُولَ إِلَى اللَّهِ. لَا بُدَّ أَنْ يَخْدُمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَيُعَظِّمَهُ، وَيُعَظِّمَ مَا انْتَسَبَ إِلَيْهِ، وَيُعَظِّمَ خَلْفَاءَهُ؛ وَهُمْ الْأَوْلِيَاءُ، وَيُقْبِلَ التَّرَابَ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ، فَحِينَئِذٍ يُوصِلُونَهُ إِلَى الْحَضْرَةِ، وَالْأَبْقَى بَعِيداً مِنْ حَيْثُ يَظُنُّ الْقُرْبَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ، ثُمَّ قَالَ: «الْأَقْرَبُ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ»: أَيِ الْأَقْرَبُ مِنْ غَيْرِهِ، مِنْ سَائِرِ الرُّسُلِ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ. فَكَانَتْ الرُّسُلُ كُلُّهَا تَدْعُو إِلَى اللَّهِ، وَتَبَيَّنَ الطَّرِيقُ إِلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ؛ هُوَ أَقْرَبُ مِنْهُمْ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ. فَبَيَّنَّ مِنْ اسْمِ الطَّرِيقِ، وَمَعَالِمِ التَّحْقِيقِ، فِي أَقْرَبِ وَثَبٍ، فَهَدَى اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْخَلْقِ فِي زَمَانٍ يَسِيرٍ، مَا لَهُمْ يَهْدِي عَلَى يَدِ غَيْرِهِ، فِي الْأَزْمِنَةِ الْمَتَطَوَّلَةِ، وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ عَلَى قَدَمِهِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الْجَامِعِينَ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ يَهْدِي اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمُ الْجَمْعَ الْغَفِيرَ، فِي زَمَانٍ يَسِيرٍ؛ لِأَنَّهُمْ عَلَى بَصِيرَةٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾. أَيِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي يَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ؛ وَهِيَ بَصِيرَةُ الْعِيَانِ، وَالذُّوقِ وَالْوُجْدَانِ، لَا بَصِيرَةَ التَّقْلِيدِ؛ الَّتِي هِيَ نَاشِئَةٌ عَنِ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ، ثُمَّ قَالَ: «فَصَلِّ اللَّهُمَّ بِهِ فِيهِ مِنْهُ عَلَيْهِ وَسَلِّمْ»: قُلْتُ: إِذَا فَتَى الْعَبْدُ عَنْ نَفْسِهِ وَجَسَدِهِ، لَمْ يَرِ إِلَّا أَنْوَارَ النُّبُوَّةِ ظَاهِرَةً، وَأَسْرَارَ الرُّبُوبِيَّةِ بَاطِنَةً، فَإِذَا صَلَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَأَى نُورَهُ ﷺ، لَا هُوَ، وَإِذَا سَبَّحَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ، وَوَحَّدَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ، وَإِلَى هَذَا، أَشَارَ الْهَرَوِيُّ، حِينَ سُئِلَ عَنِ التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ بِقَوْلِهِ:

مَا وَحَدَ الْوَاحِدُ مِنْ وَاحِدٍ فَكُلُّ مَنْ وَحَدَهُ جَاحِدٌ
وَتَوْحِيدُ مَنْ يَنْطِقُ عَنْ نَفْسِهِ ثَنِيَّةٌ أَبْطَلَهَا الْوَاحِدُ
تَوْحِيدُهُ إِثَاءَ تَوْحِيدِهِ وَتَوْحِيدُ غَيْرِهِ لِأَحَدٍ

وإلى هذا المعنى، أشار الششتري بقوله:

إِنَّا بِاللَّهِ نَنْطِقُ وَمِنَ اللَّهِ نَسْمَعُ

وهذه نتيجة محبة الحق للعبد، لقوله: «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُهُ». وَمَعْنَى كَلَامِ الشَّيْخِ: فَصَلَ اللَّهُ بِهِ، لَا بِنَفْسِي فِيهِ، أَيْ فِي حَضْرَتِهِ، بِحَيْثُ يَسْمَعُهَا مِنِّي بِلَا وَاسِطَةٍ، لَا فِي حَضْرَةِ نَفْسِي، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ ﷺ، قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ صَلَاةَ الْمُصَلِّينَ عَلَيْكَ فَمَنْ يَأْتِي بِعَدِكَ، مَا خَالَتْهُمْ عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: «أَمَّا أَهْلُ الْمَحَبَّةِ فَاسْمَعُ صَلَاتَهُمْ، وَأَعْرِفُهُمْ، تَعْرِضُ عَلَيَّ صَلَاةُ غَيْرِهِمْ عَرْضاً». وَأَهْلُ الْمَحَبَّةِ؛ هُمُ أَهْلُ الْفَنَاءِ، الَّذِينَ يُصَلُّونَ عَلَى سِرِّهِ، وَيُشَاهِدُونَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ، كَمَا قَالَ الْمُرْسِي وَغَيْرُهُ؛ وَهُمُ أَهْلُ الْجَمْعِ. وَأَمَّا أَهْلُ الْفَرَقِ، فَتَعْرِضُ صَلَاتَهُمْ عَلَيْهِ عَرْضاً. وَقَوْلُهُ مِنْهُ عَلَيْهِ؛ أَيْ وَتَكُونُ تِلْكَ الصَّلَاةُ صَادِرَةً مِنْهُ، وَارِدَةً عَلَيْهِ، بِلَا وَاسِطَةٍ أَحَدٍ، فَالْعَارِفُ لَمْ تَبْقَ لَهُ وَاسِطَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَلَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَلْ يَأْخُذُ الْأَشْيَاءَ مِنْ مَعَادِنِهَا، فَالْحَقِيقَةُ يَأْخُذُهَا مِنْ مَعَادِنِهَا؛ وَهُوَ شُهُودُ الذَّاتِ الْأَقْدَسِ، بِلَا وَاسِطَةٍ حَسَّ الْأَكْوَانِ، بَلْ تُمْتَحَى الْأَكْوَانُ، وَتُمَحَقُّ مِنْ نَظَرِهِ، فَلَا يَرَى إِلَّا الْمَكُونُ، وَيَأْخُذُ الشَّرِيعَةَ مِنْ مَعَادِنِهَا؛ وَهِيَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ؛ إِنْ كَانَ أَهْلًا، وَإِلَّا اسْتَفْتَى قَلْبَهُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: الصُّوفِي لَا مَذْهَبَ لَهُ؛ أَيْ لَا يُقَلِّدُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْمَذَاهِبِ. وَالسَّلَامُ: هُوَ التَّأْمِينُ، أَيْ أَمْنُهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ مَا يَخَافُهُ عَلَى أُمَّتِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْحَبِيبِ الْمَحْبُوبِ، وَالشَّفِيعِ الْمُقَرَّبِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اهـ.

سلك الدرر في ذكر القضاء والقدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ، الْعَالِمُ الْعَارِفُ بِرَبِّهِ، الْكَامِلُ الصُّوفِي، الْوَلِيُّ الصَّالِحُ الْوَاصِلُ: أَبُو الْعَبَّاسِ، سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِنَعِيجِيَّةِ الْحُسَيْنِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَفَعْنَا بِبَرَكَاتِهِ آمِينَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْمَلِكِ الْقَدِيرِ، الْمُتَنَفِّرِ بِالْإِيجَادِ وَالتَّذْيِيرِ؛ الَّذِي أَبْدَعَ الْأَشْيَاءَ وَأَتَقْنَهَا عَلَى مَا سَبَقَ فِي عِلْمِ التَّقْدِيرِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ، السَّرَاجِ الْمُنِيرِ، وَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَصْحَابِهِ الْكَرَامِ، الَّذِينَ قَرَرُوا شَرِيعَتَهُ الْمَطْهُرَةَ أَيَّ تَقْرِيرٍ.

وَبَعْدُ: فَبَحَرُ الْقَدَرِ وَالْقَضَاءِ، بَحْرٌ عَمِيقٌ، لَا يَخُوضُهُ إِلَّا أَهْلُ التَّحْقِيقِ، وَلَا يَقُودُهُ إِلَّا ذُو الْهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ. وَهَذِهِ تُبْدَأُ بِسِيرَةٍ، تَعِينُ عَلَى الْخَوْضِ فِيهِ، وَتَسْكُنُ الْقُلُوبَ لِلرَّضَى بِمَجَارِيهِ. حَمَلَنِي عَلَيْهِ، أَنِّي رَأَيْتُ كَثِيرًا مِمَّنْ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. قَدْ ضَلَّ عَنْهُ وَأَضَلَّ، وَجَعَلَ يَدَافِعُ الْمَقَادِيرَ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْبَابِ وَالْحَيْثُ، وَقَدْ قِيلَ: زَلَّةٌ عَالِمٍ يَضِلُّ بِهَا عَالَمٌ. فَقَدْ رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ زَمَنَ الْوَبَاءِ، يَأْمُرُونَ بِغَلْقِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ وَيَفْرُونَ مِنَ الدُّخُولِ عَلَى الْمَرْضَى خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ، وَهَذَا الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى تَقْيِيدِ هَذَا التَّأْلِيفِ، فَلَا عِزَّةَ بِعِلْمِ الْأَوْرَاقِ، إِذَا لَمْ يُوَيْدِهِ الْوُجْدَانُ وَالْأَذْوَاقُ. فَالْعِلْمُ النَّافِعُ الَّذِي يَنْكَشِفُ بِهِ عَنِ الْقَلْبِ قَنَاعُهُ، وَيَنْبَسِطُ فِي الصَّدُورِ أَنْوَارُ الْيَقِينِ وَشِعَاعُهُ، وَيَدُورُ عَنِ الْقَلْبِ الشَّكُّ وَالْإِضْطِرَابُ، وَتَحْصُلُ لَهُ الطَّمَأْنِينَةُ بِشُهُودِ الْأَرْبَابِ، فَمَنْ لَا يَقِينُ عَنْدَهُ وَلَا تَحْقِيقٌ، فَلَا عِلْمَ لَهُ وَلَا هِدَايَةَ وَلَا تَوْفِيقَ، فَشَاهِدِ الْعِلْمَ الْعَمَلِ. وَشَاهِدِ الْعَمَلَ الصَّحِيحَ هُوَ الْحَالُ. وَشَاهِدِ الْحَالَ هُوَ الذَّرْقُ، وَغَايَةُ الذَّرْقِ الشُّكْرُ؛ وَهُوَ الْغَيْبَةُ عَمَّا سِوَى الْحَقِّ، وَغَايَةُ الشُّكْرِ الصَّحْوُ؛ وَهُوَ شُهُودُ الْآثَارِ بِالْحَقِّ، وَمِيزَانُ هَذَا هُوَ الْيَقِينُ، وَالسُّكُونُ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ وَهُوَ السُّكُونُ عِنْدَ مَجَارِ الْأَقْدَارِ، وَتَرْكُ الْخَوْضِ بِالتَّذْيِيرِ، وَالِاخْتِيَارِ.

والرّضى بما يبرز من غُضُر الأقدار، والتسليم لأحكام الواحدِ القهار. وينحصر المقصود من هذا التأليف في خمسة أبواب:

الباب الأول: في حقيقة القدر، وما يتعلق به. الباب الثاني: في الاستدلال عليه من الكتاب والسنة. وكلام السلف الصالح، ومن طريق الكشف. الباب الثالث: في بيان الحكمة التي هي كالرداء للقدر والقضاء، وبيان القدرة التي بها يقع الإظهار والإضمار. الباب الرابع: في إبطال العدوى والطيرة. الباب الخامس: في اكتساب اليقين، وذكر مواده ومواظبه.

وسمّيته سلك الدرر، في ذكر القضاء والقدر: نسأل الله تعالى ربّنا، أن ينفع به من كتبه، أو كتبه، أو سمعه، أو طالعته، بمنه وكريمه، وأن يلحق في قلبه وأنوار اليقين، ويشرق في سماء أسرارنا شمس العارفين، بجاه خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وقُدوة المرّتين، سيدنا ومولانا محمد الصادق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله، وأهل بيته الأطهرين.

الباب الأول

في تفسير القدر والقضاء وما يتعلّق بذلك

القَدَرُ بتحريك الدال المهملة وسكونها، مصدر، قَدَرْتُ الشيء إذا أَحَطْتُ بمقداره؛ وهو عبارة عن تعلّق عين علم الله بالكائنات قبل وجودها؛ فلا يظهر في عالم الشهادة شيء من الخلائق، إلّا وقد سبق في علمه وقدره السابق، ولا يصدر من خلقه قول ولا فعل، ولا حركة ولا سكون، إلّا وقد سبق في علمه وقدره كيف يكون، فأيام العبد محصورة، وأنفاسه معدودة، وخطواته مكتوبة، وفي ذلك يقول الشاعر:

مَشِينَاها خَطَى كَتَبَتْ عَلَيْنَا وَمَنْ كَتَبَتْ عَلَيْهِ خَطَى مَشَاهَا
وَمَنْ قَسَمَتْ مِنْبُتُهُ بِأَرْضٍ فَلَيْسَ يَمُوتُ بِأَرْضٍ سِوَاهَا

وما مثل العبد مع القدر السابق، إلّا كالصبي الذي يتبع التحنّيش، الذي حَنَّشَ له الفقيه، فإذا كَمُلَ التحنّيش الذي حَنَّشَ له العلم الأزلي، على ما سبق به القدر والقضاء، رحل إلى مولاه. فالواجب على العبد أن يسكن تحت مجار الأقدار، وينظر إلى ما يفعل الواحد القهار، فالقدر والقضاء والإرادة والمشية، شيء واحد عند أهل السنة، ومزجها إلى سبق العلم الأزلي بالأشياء قبل ظهورها.

ويستميز العلم بها بعد ظهورها. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَضِيرِينَ﴾. فتقول على هذا، قدر الله كذا، وقضاه وأراداه، وشاءه بمعنى واحد. وأما الرضى والمحبة في حقه تعالى، فهما أحص من الإرادة والمشيئة؛ لاختصاص الرضى والمحبة بالطاعة دون المعصية، فالطاعة قدرها وأرادها ورضيها. والمعصية قدرها وأزادها ولم يرضها، ولم يحبها شرعاً، هذا مقتضى الأدب، والله تعالى أعلم.

الباب الثاني

في الاستدلال عليه من الكتاب والسنة، وكلام السلف الصالح.

أما الاستدلال عليه من الكتاب العزيز، فقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ أي كل شيء أبرزناه هو بقدر سابق. وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾. وهو اللوح المحفوظ. وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ وقال تعالى: ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾. وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾. أي ما أصاب الناس من مصيبة من شر أو خير في الأرض بالجذب والقخط، أو العرق، ولا في أنفسكم بالموت أو القتل، إلا في كتاب؛ وهو اللوح المحفوظ، من قبل أن نبراها، أي نظهرها، ثم قال تعالى: ﴿لَيَكُنَّ لِتَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾. لأنه أمر قدر في أزلي، أنه لا يكون، أو لا يدوم، فلا تحزن على شيء لم يكن لك، أو انقضى أجله عندك. ﴿وَلَا تَقْرَحُوا بِمَا آتَيْنَاكُمْ﴾ لأنه سبق قبل ظهوره أنه لكم، وأنه واجب إثباته إليكم، والمطلوب هو الإعتدال في المنع والعطاء، والقَبْضُ والبَسْطُ، والفقد والوجد، والدل والعز، والفقر والغنى، والصحة والمرض، وغير ذلك من اختلاف الأحوال، وانتقالات الأطوار، إذ جميع ذلك، قد جرت به الأقدار، فلا يظهر الحزن على شيء فات ولا يظهر الفرح بشيء آت، قال تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا﴾ أي أجلاً معلوماً، ووقتاً محدوداً. لا يتقدم عليه لحظة، ولا يتأخر عنه ساعة، وقال تعالى في شأن أجل الموت: ﴿وَمَا كَانَ لِغَيْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾. أي مقدراً محدوداً قبل أن يخلقها. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾. فالأول للموت. والثاني للبعث. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي

يَتَوَفَّكُم بِأَنبِلٍ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ أَيُّ لَيْبَلِغِ
المتيقظ آخر أجله المسمى عند الله في أزلِهِ. ثم يزجج إلى ربه. ثم قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ أي لا يتجاوزون ما حُدَّ لَهُمْ
من الأجل. بزيادة أو نقصان. وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أَجَلٌ أَجَلٌ فَلَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا
يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي إذا جاء موتهم، بالعذاب أو بغيره لا يستأخرون
ساعة، ولا يستقدمون. وقال تعالى: ﴿وَمَا يُعْمُرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي
كِتَابٍ﴾ ومعنى الآية، وما يُعْمَرُ مِنْ أَحَدٍ. أي يُجْعَلُ عمره طويلاً، ولا ينقص من
عمرِهِ: أي يجعل عمره قصيراً إلا في كتاب، دأى في اللوح المحفوظ، فتضمنت
الآية شخصين، أحدهما عمر طويلاً، والآخر نقص من عمرِهِ في أجليهِ. فكان عمره
قصيراً. كل ذلك في كتاب مُبَيَّن. وقيل النقص من العمر، باعتبار علم الملائكة
فإذا وصل رَجَمَهُ مثلاً، ظهرت الزيادة التي عند الله، وليس للعبد عند الله إلا عمرٌ
واحد، لا يزيد ولا ينقص. وأما قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ
فَمَعْنَاهُ: يَمْحُو مَا عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَيُثَبِّتُ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ أَمُّ الْكِتَابِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلٍ وَلَنَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وَهُوَ الَّذِي يَمْحُو
وَيُثَبِّتُ ۖ الآية، أي وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلِ الشَّيْخُوخَةِ، وَيُوَخِّرُكُمْ لِتَبْلُغُوا أَجَلًا
مُسَمًّى، سَبَقَ بِهِ الْعِلْمُ الْقَدِيمُ. وَسَطَرَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَفَتِ نَفْخُ الرُّوحِ، وَلَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ. فتعرفون أنَّ المَوْتَ والحياة بيد الله. أي لا تأثير لشيء من الأسباب في
المَوْتَ. كالوباء وغيرها. بل الأمر كله لله، ولذلك قال: ﴿هُوَ الَّذِي يَمْحُو وَيُثَبِّتُ
أَيُّ لَا غَيْرَهُ، ﴿فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ مِنْ مَوْتٍ أَوْ غَيْرِهِ ﴿فَلَنَّمَا يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. وَقَالَ: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فهذه الآيات صريحة في تحديد
الأجل. وتقديره في الأزل. فلا يتأخَّرُ وَلَا يتعَجَّلُ، لا بوباءٍ وَلَا بغيرها. فَلْيَسْكُنِ
الإنسان عِنْدَ رَبِّهِ، وَيَنْظُرْ مَا يَفْعَلُ رَبُّهُ بِهِ، فَلَا يَخَافُ وَلَا يَحْذَرُ، إِذْ لَا يَنْفَعُ حَذَرٌ مِنْ
قَدَرٍ.

وأما الاستدلال بالسُّنَّةِ: فقال ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: «يا ابن عباس
أَهْلُمَكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَحْذَهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفِ إِلَى اللَّهِ فِي
الرَّخَاءِ، يَغْرِفَكَ فِي الشَّدْوَةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيَصِيبِكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ
يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ». زَادَ فِي رِوَايَةٍ، رَفَعَتِ الْأَقْلَامُ، وَطَوَيْتِ الصُّحُفَ، أَيُّ مَا أَخْطَاكَ
فِي الْأَزْلِ، بَحِثْ لَمْ يَكْتُبْ لَكَ، لَمْ يَكُنْ لِيَصِيبِكَ أَبَدًا، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا: حَيَاةً أَوْ

مَوْتًا، وقال عليه الصَّلَاة والسَّلَام لأبي هُرَيْرَةَ رضيَ الله عَنْهُ: «جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ» الحديث. وقال ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ». رواه مالك في الموطأ. وقال ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» رواه البخاري وغيره. وقال ﷺ: «إِنَّ الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الرَّجُلَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ» الحديث. وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَكُلَّ بِالرَّجْمِ مَلَكًا يَقُولُ: يَا رَبِّ نَظْفِئُ، يَا رَبِّ عِلْقَةَ، يَا رَبِّ مَضْغَةَ» فإذا نفخ فيه الروح. قال: يا رب ما الرِّزْق. وما الأزل؟ شقي أم سعيد. فيكتب ذلك في بطن أمه كله. أو كما قال عليه السلام، رواه البخاري ومُسْلِمٌ، وقال ﷺ في تفسير حقيقة الإيمان: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». زَادَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: حُلُوهُ وَمُرُّهُ، فَالْخَيْرُ هُوَ الطَّاعَةُ وَالْإِحْسَانُ. وَالشَّرُّ: هُوَ الْكُفْرُ. وَالْحُلُوهُ: مَا يَلَايِمُ الْإِنْسَانَ، كَالصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ. وَأَنْوَاعُ الْجَمَالِ. وَالْمُرُّ: كُلُّ مَا يُؤْلِمُ الْإِنْسَانَ كَالْمَرَضِ وَالْفَقْرِ، وَالدَّلَّ وَسَائِرُ أَنْوَاعِ الْجَلَالِ. فَكُلُّ هَذَا سَبَقَ بِهِ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ، فَمَنْ شَكَّ فِي هَذَا، فَهُوَ كَافِرٌ إِجْمَاعًا، وَمَنْ اغْتَقَدَهُ عِلْمًا، وَلَمْ يَرْضَ بِهِ عِنْدَ تَرْوِيلِهِ ذَوْقًا فَهُوَ قَاطِعٌ إِجْمَاعًا. وَلِذَلِكَ قَالَ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ تَشَرَّعَ وَلَمْ يَتَصَوَّفَ، فَقَدْ تَفَسَّقَ. وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ لَمْ يَتَغَلَّغَلْ فِي عِلْمِنَا هَذَا مَاتَ مُصِرًّا عَلَى الْكِبَائِرِ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَعْجَبْ أَهْلَ الصَّفَا، لَا يَطْمَعُ أَنْ يَتَّصِفَ بِالصَّفَا. وَالصَّفَا هُوَ الرِّضَى وَالتَّسْلِيمُ بِكُلِّ مَا يَنْبَرِزُ مِنْ عِنْدِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ» وقال عليه السَّلَام: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُّوسِ، نَفَثَ فِي رُوحِي، إِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَأَتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ». وقال عليه السَّلَام: «فَرَّغَ رَبُّكَ مِنْ أَرْبَ: خَلَقَ، وَخَلَقَ، وَرَزَقَ، وَأَجَلَ» رواه الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ. وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ: «فَرَّغَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ مِنْ خَمْسٍ: مِنْ أَجَلِهِ، وَرِزْقِهِ، وَآثَرِهِ، وَمَضْجَعِهِ، وَشَقِي أَوْ سَعِيدٍ» وَالْمُرَادُ بِالْآثَرِ: الْخُطُوبَاتُ الَّتِي يَمْشِيهَا، فَإِنَّهَا مَكْتُوبَةٌ كَمَا قَدَمْنَا. فَقَدْ قُسِمَتِ الْأَرْزَاقُ فِي الْأَزَلِ: الْحَسْبِيَّةُ وَالْمَغْنُوتِيَّةُ، كَمَا قُسِمَتِ الْأَجَالُ وَالْخُطُوبَاتُ، وَكَذَلِكَ الْمَرَاتِبُ وَالْمَقَامَاتُ، كُلُّ ذَلِكَ جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَقِيمُ الْعَمَلَ؟ قَالَ ﷺ: «اعْمَلُوا، فَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَسِّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَسِّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قرأ عليه الصَّلَاة

وَالسَّلَامُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنَنِي لَهُ أَجْرًا كَثِيرًا وَذَكَرَ فِي الْكِتَابِ إِسْمَهُ﴾ فإن قلت: إذا كان القدر جرى بما يكون، ولا محيد للعبد عنه، فعلى ما يحاسب العبد ويعذب؟ قلت: قد جعل الله بحكمته الباهرة في العبد كسباً فيما يظهر له، يقصد به الخير والشر، وفي الحقيقة: هو مَجْرُورٌ بِسِلْسِلَةٍ، لكن الشريعة تنسب الفعل إليه، بسبب ذلك الكسب، فتقوم الحجة عليه. قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُكْمُ الْبَاطِنُ فَلَئِنْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. فالملك ملكه، والعبيد عبيده، ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُمْتَلَكُونَ﴾. وكذلك أمر الرزق، هو مُقَسَّمٌ فِي الْأَزَلِ، مضمون بكفالة الله تعالى، لكن اقتضت حكمته، تغطية أسرار الربوبية، فقرنته بوجود السبب عنده، لا به. فلا بد منه وجوداً، والغيبة عنه شهوداً. نعم من تحقق بالتقوى، وانقطع إلى الله، رزقه بلا سبب. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ وقال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه: للناس أسباب، وسببنا الإيمان والتقوى، ثم قرأ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية. وسيتاتي زيادة بيان، في الكلام على الحكمة والقدرة إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق.

وأما كلام السلف الصالح في القدر: فمما اشتهر على ألسنتهم: ما شاء الله كَانَ. ومن لم يشأ ربنا لم يكن. وقيل: إنه حديث. وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: أصبحت وما لي سرور إلا في مواقع القدر. وقيل لبعضهم: ما تشتهي؟ قال: ما يقضي الله. وقال ابن عطاء الله في الحكم: ما من نفس تبديء، إلا وله قدر فيك يمضيه. وقال أيضاً: كيف يكون طلبك للأحق، سبباً في عطائه السابق؟ جل حكم الأزل، أن يضاف إلى العلل عنايته فيك، لا لشئ منك، وأين كنت؟ واجهتك عنايته وقابلتك رعايته. لم يكن في أزاله إخلاص أعمال، ولا وجود أخوال، بل لم يكن هناك إلا محض الإفضال، ووجود الثوال، يغني أن قضاء لك، السابق في عالم الغيب، هو الذي ظهر لك في عالم الشهادة، ولم يكن منك في ذلك الوقت عمل تستحق به العطاء، ولا حال، تستحق به التقريب، أو الوصول، وإنما أعطاك فضلاً منه وجوداً، والله ذو الفضل العظيم. واعلم أن الناس في النظر إلى القضاء السابق، والحكم للأحق أربعة أقسام: قسم نظروا إلى العواقب، لعلمهم بأن الأعمال بخواتمها. وقسم نظروا للوقت، لم يشغلوا بالسوابق، ولا بالعواقب، غير أداء ما كلفوا به من حكم الوقت، عالمين بأن الفقير

ابن وقته، لَا يَرَى غَيْرَ الْوَقْتِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، وَقَسَمَ نَظَرُوا لِلَّهِ وَخَذَهُ، لَعَلَّهُمْ أَنَّ
الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ وَالْحَالِ، مَتَقَلَّبُونَ فِي قَبْضَةِ الْحَقِّ، مُتَصَرِّفُونَ بِحُكْمِهِ،
وَالْأَوْقَاتُ كُلُّهَا قَابِلَةٌ لِلتَّغْيِيرِ، وَتَبْدِيلِ الْحَالِ، فَلَا يَرَوْنَهَا، وَإِنَّمَا يَشَاهِدُونَ كُلَّ شَيْءٍ
بِيَدِهِ؛ وَهَذَا الْقَسَمُ قَدْ اسْتَرَّاحَ مِنْ كَذْرِ التَّذْيِيرِ، لَغَيْبَتِهِ عَنْ شُهُودِ الْمُدَبِّرِ، عَنْ سَابِقِ
التَّقْدِيرِ، بِخِلَافِ الثَّلَاثِ الْأَوَّلِ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ شُهُودُ الْفَرْقِ. فَالْأَوَّلُ: أَذْهَلَهُ خَوْفُ
السَّوَابِقِ. وَالثَّانِي: أَذْهَبَهُ خَوْفُ الْعَوَاقِبِ وَالْخَوَاتِمِ. وَالثَّالِثُ: غَيَّبَهُ حُكْمُ الْوَقْتِ،
وَشُهُودُ أَحْكَامِهِ، عَنْ شُهُودِ الْمَوْقِفِ. وَالرَّابِعُ: لَمَّا كُشِفَ عَنْهُ الْجِهَابُ، وَشَاهَدَ
رَبَّ الْأَرْبَابِ، شَغَلَهُ شُهُودُ وَاحِدٍ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَمْ يُشْغِلْهُ عَنِ اللَّهِ شَيْءٌ، وَلِذَلِكَ
قَالُوا: الصُّوْفِيُّ مَنْ لَا يَرَى فِي الدَّارَيْنِ غَيْرَ اللَّهِ، وَلَا يُشَاهِدُ مَعَ اللَّهِ سِوَاهُ. قَدْ سُحِّرَ
لَهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَمْ يُسْحَرْ هُوَ لِشَيْءٍ، يَصُفُّو بِهِ كَذْرَ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَمْ يَكْذُرْ صَفْوَهُ
شَيْءٌ، شَغَلَهُ وَاحِدٌ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَمْ يُشْغِلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ شَيْءٌ.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ مَنْ أَرَادَ الرَّاحَةَ الدَّائِمَةَ، فَلْيَنْطَرِّحْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، وَيَنْظُرْ فِي كُلِّ
وَقْتٍ مَا يَنْزُرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَيَسْكُنْ تَحْتَ مَجَارِ الْأَقْدَارِ لَهُ، وَلْيَنْعَزِلْ عَنْ تَذْيِيرِهِ
وَإِخْتِيَارِهِ، وَيَتَأَمَّلْ مَا قَالَهُ الْقُطْبُ سَيِّدِي يَقُوتُ الْعُرْشِي:

مَا تَمَّ إِلَّا مَا أَرَادَ فَاتْرُكْ هُمُومَكَ وَانْطَرِّحْ وَاتْرُكْ شَوَاعِلَكَ الَّتِي اشْتَغَلَتْ بِهَا عَنْهُ تَسْتَرْخِ
وَأَمَّا دَلِيلُهُ مِنْ طَرِيقِ الْكَشْفِ وَالْوُجْدَانِ: إِنَّ مَنْ رَقَّ حِجَابُهُ، وَتَلَطَّفَتْ
بَشَرِيَّتُهُ، يُطْلِعُهُ اللَّهُ تَعَالَى، عَلَى مَوَاقِعِ الْأَقْدَارِ، قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ، إِمَّا أَنْ يُخَاطَبَ بِهَا
فِي الْيَقِظَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَرَاهَا فِي النَّوْمِ. وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ
مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، إِذَا تَقَارَبَ الزَّمَانُ، لَا تَكَادُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ
تُخْطِئُ». وَقَدْ تَحَقَّقْنَا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ أَنْفُسِنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، فَقَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِنَا أَمْرٌ
جَلَالِي، أَوْ جَمَالِي، إِلَّا نَرَاهُ قَبْلَ نَزْوِلِهِ بِمُدَّةٍ. مِنْهُ مَا تَطُولُ مُدَّتُهُ، وَمِنْهُ مَا تَقَرَّبُ،
فَنَنْتَظِرُ وَقُوعَهُ، كَمَا يَنْتَظِرُ الْغَائِبُ الْقَادِمَ مِنْ سَفَرِهِ، فَإِذَا نَزَلَ، وَجَدَ الْقَلْبَ قَدْ اسْتَعَدَّ
لِنَزْوِلِهِ، وَتَوَطَّنَ لِهَجُومِهِ، فَلَا تَحْرَكَ صَدَمَاتُهُ، وَلَا تُذْهِشُهُ وَرَادَتُهُ، فَتَحَقِّقْنَا ذَوْقًا
وَكَشْفًا؛ أَنَّ الْمَقَادِيرَ جَرَتْ فِي الْأَزَلِ، وَتَعَيَّنَتْ أَوْقَاتُهَا وَمَقَادِيرُهَا، لَا تَتَقَدَّمُ وَلَا
تَتَأَخَّرُ، لَكِنْ مِنْ حِكْمَةِ الْحَكِيمِ، أَنْ عَطَى هَذَا السَّرَّ بِرَدَائِ الْحِكْمَةِ، فَجَعَلَ لِكُلِّ
شَيْءٍ سَبَبًا، فَيُنْزِلُ الْقَدَرُ فِي وَقْتِهِ الَّذِي تَعَيَّنَ لَهُ فِي الْأَزَلِ، وَيُعْطِيهِ بِوُجُودِ سَبَبِهِ،
فَيَقَالُ: فَلَانْ فَعَلَ كَذَا، فَجَرَى لَهُ كَذَا، وَفُلَانٌ مَشَى إِلَى مَوْضِعِ الْوَبَاءِ مِثْلًا، فَمَاتَ
بِهَا، أَوْ نَقَلَهَا إِلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَالْوُقُوفُ مَعَ هَذَا، دُونَ النَّظَرِ إِلَى بَاطِنِ الْأَمْرِ

وتضريف القُدرة، حجاب غليظ، وجَهْل قَبِيح، رُبَّمَا يُوْدِي إِلَى الْكُفْرِ إِنْ اعْتَقَدَ
 التَّأْيِيرَ، وَأَنْكَرَ الْقَدَرَ، وَهَذَا زَلَّتْ أَفْدَامُ كَثِيرٍ مِنْ يَدْعِي الْعِلْمَ، وَلَيْسَ عِلْمُهُ إِلَّا
 رَسْمُهُ، وَالْإِخْبَارُ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ، أَمْرٌ مُتَوَاتِرٌ، مِنْهَا مَا كَانَ مِنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ،
 كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
 اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾. وَقَدْ مَكَنَ اللَّهُ الصَّخَابَةَ، مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا،
 وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَافِلُونَ﴾ فِي يَضِيعِ
 سِينَةٍ. وَقَدْ غَلَبُوا فَارِسَ زَمَانِ الْحَذِيثَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَتَدْعُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَتِ مُخْلِفِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾. وَقَدْ وَقَعَ يَوْمُ الْفَتْحِ، وَأَمَّا
 إِخْبَارُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْمُعْجِيَّاتِ الْمُسْتَقْبَلَةِ، فَلَا تَكَادُ تُخْصَنُ، وَقَدْ حَذَّرَ
 ﷺ، مِنَ الْفِتَنِ الَّتِي تَأْتِي بَعْدَهُ، كَأَنَّهُ يُشَاهِدُهَا، فَوَقَعَ ذَلِكَ كُلُّهُ، وَقَدْ وَجَدَ مَكْتُوبًا
 بِقَلَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى جِدَارٍ قُصِرَ دَارِسُ مَا نَصَهُ:

مَا لَا يَقْدَرُ لَا يَكُونُ بِحِيلَةٍ أَبَدًا وَمَا هُوَ كَائِنٌ سَيَكُونُ
 سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي وَفْتِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ مُثْعَبٌ مَخْزُونُ
 هُوَ عَلَىكَ وَكَنَ بِرَبِّكَ وَائْتِقَا فَأَخُو الْحَقِيقَةِ شَأْنُهُ الشُّهُوِينُ

فَلَوْ كَانَتْ الْأُمُورُ تَبَرُّزُ اتِّفَاقِيَّةً، كَمَا تَقُولُ الرُّوَافِضُ وَالْقَدَرِيَّةُ مُجُوسُ هَذِهِ
 الْأُمَّةِ، لَمْ يَقَعَ الْإِخْبَارُ بِهَا قَبْلَ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَقَعُ كَذَلِكَ، فَإِنْ قُلْتَ: مَا ذَكَرْتُهُ إِخْبَارُ
 بِمَغْلُومٍ، إِذِ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ يَقْرَءُونَ هَذَا، قُلْتَ: لَيْسَ مُرَادُنَا الْاِكْتِفَاءُ بِمَجْرِدِ
 الْعِلْمِ، بَلْ مُرَادُنَا تَرْبِيَّةَ الْيَقِينِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ ذِكْرَ مَا يَقْوِيهِ مَطْلُوبٌ، وَهُوَ جُنْدٌ مِنْ
 جُنُودِ الْأَنْوَارِ؛ وَهُوَ التَّوْفِيقُ؛ وَهُوَ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ.

البَابُ الثَّالِثُ

فِي بَيَانِ الْحِكْمَةِ وَالْقُدْرَةِ

اعْلَمْ فَهْمَكَ اللَّهُ سَبِيلَ رُشْدِهِ، وَجَعَلَكَ مِنْ أَهْلِ مَحَبَّتِهِ وَوُدِّهِ، أَنْ بَحَرَ الْحِكْمَةِ
 بَحْرٌ رَاحِضٌ، وَأَمْرٌ ظَاهِرٌ، يُظْهِرُ الْأَسْبَابَ، وَيُسْدِلُ الْحِجَابَ، وَيَصُورُ السَّرَّ
 الْمَصُورَ، وَيَسْتُرُ الْكَثْرَ الْمَذْفُونُ، يَرْبِطُ الْأَحْكَامَ بِالْعِلَلِ، وَيَقَرُّ الشَّرَائِعَ وَالْمِلَلِ،
 يُعْطِي مَا يَبْرُزُ مِنْ غَنْصِ الْقُدْرَةِ بِرَدَائِهِ، وَيَسْتُرُ مَا يَبْدُو مِنْ أَسْرَارِ الرُّبُوبِيَّةِ، بِعِزِّ
 كِبَرِيَّاتِهِ، يَصُورُ الْحَقِيقَةَ، وَيُظْهِرُ الطَّرِيقَةَ، يُظْهِرُ الْعُبُودِيَّةَ، وَيُبْطِنُ أَسْرَارَ الرُّبُوبِيَّةِ،
 مِنْ وَقَفَ مَعَهُ كَانَ مُحْجُوبًا، وَمَنْ نَفَذَ مِنْهُ إِلَى شُهُودِ الْقُدْرَةِ كَانَ مُحْجُوبًا، وَبِالْغَايَةِ

مصحوباً، ويَخِرُّ القُدْرَةُ أَيْضاً بِخَرِّ زَاخِرٍ، وَأَمْرُهُ قَاهِرٌ، لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ، يَظْهَرُ وَيَبْطُنُ، وَيَتَحَرَّكُ وَيَسْكُنُ، يُعْطَى وَيَمْنَعُ، وَيُخَفِّضُ وَيَرْفَعُ، بِيَدِهِ مَقَادِيرُ الْأُمُورِ؛ وَعَلَى قُطْبِ دَائِرَتِهِ أَفْلَاكُ التَّصَارِيفِ تَدُورُ، فَإِذَا أَرَادَتِ الْقُدْرَةُ أَنْ تَظْهَرَ شَيْئاً مِنْ بَخْرِ الْقُدْرِ؛ الَّذِي سَبَقَ فِي الْأَزَلِ، غَطَّتْهُ الْحِكْمَةُ بِرَدَاءِ الْأَسْبَابِ وَالْعِلَلِ؛ لِيَبْقَى الْكَثْرُ مَدْفُوناً، وَسِرُّ الرُّبُوبِيَّةِ مَضُوناً، وَتَظْهَرُ مَزِيَّةُ الْعَارِفِ عَلَى الْجَاهِلِ، وَيَتَمَيَّزُ الْبَاعِدُ مِنَ الْوَاصِلِ، وَالْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ، الْعَارِفُ الَّذِي لَا يَرَى إِلَّا تَصْرِيفَ الْقُدْرَةِ، وَيَعْرِفُ سِرَّ الْحِكْمَةِ، فَلَا يَحْجُبُ بِهَا عَنْ شُهُودِ الْقُدْرَةِ، وَالْجَاهِلُ يَقِفُ مَعَ شُهُودِ الْحِكْمَةِ، وَيَحْجُبُ بِهَا عَنِ الْقُدْرَةِ، الْعَارِفُ تَقَدُّ إِلَى شُهُودِ اللَّبِّ الْخَالِصِ، وَالْجَاهِلُ وَقَفَ مَعَ الْقِشْرِ الظَّاهِرِ الْيَبَاسِ ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. الْعَارِفُ نَظَرَ إِلَى مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ، فَزَالَ عَنْهُ الْحِجَابُ، وَدَخَلَ مَعَ الْأَخْبَابِ، وَالْجَاهِلُ وَقَفَ مَعَ قِشْرِ الْأَسْبَابِ، وَقَنَّعَ بِالْوُقُوفِ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ، الْعَارِفُ مَوْصُوفٌ بِالْإِقْرَارِ فِيمَا يَبْدُو مِنْ نَوَازِلِ الْأَقْدَارِ، وَالْجَاهِلُ مَرْسُومٌ بِالْإِنْكَارِ لِمَا يَظْهَرُ مِنْ حَضَرَةِ الْقَهَّارِ، الْعَارِفُ يَتَلَقَّى مَا يَبْزُرُ مِنْ غُنْصُرِ الْقُدْرَةِ، بِالْفَرْحِ وَالسُّرُورِ، لَشُهُودِهِ مَا بِيَدِهِ قُدْرَتِهِ تَصَارِيفُ الْأُمُورِ، وَالْجَاهِلُ مِنْ خُصَامِ الْحَقِّ دَائِماً وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، وَلِلَّذَلِكَ قَالَ بَعْضُهُمْ: «مَنْ غَامَلَ النَّاسَ بِالشَّرِيعَةِ، طَالَ خِصَامُهُ مَعَهُمْ، وَمَنْ غَامَلَهُمْ بِالْحَقِيقَةِ عَذَّرَهُمْ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يَعَامِلَهُمْ فِي الظَّاهِرِ بِالشَّرِيعَةِ؛ فَيَذَكِّرُهُمْ، وَفِي الْبَاطِنِ بِالْحَقِيقَةِ فَيَعَذِّرُهُمْ، فَتَحْصُلُ مِنْ هَذَا، أَنَّ الْقُدْرَةَ تُبْرِزُ وَتُظْهِرُ، وَالْحِكْمَةَ تَغْطِي وَتَسْتُرُ، وَالْحِكْمَةُ عَيْنُ الْقُدْرَةِ، وَالْقُدْرَةُ عَيْنُ الْحِكْمَةِ، إِذَا الْفَاعِلُ وَاجِدٌ، فَاعِلُ السَّبَبِ؛ هُوَ فَاعِلُ الْمُسَبِّبِ، لَكِنْ لَا بُدَّ لِلشَّمْسِ مِنْ سَحَابٍ، وَلِلْحَسَنَاءِ مِنْ نِقَابٍ، فَمَا أَظْهَرَتْهُ الْقُدْرَةُ مِنَ الْأَسْبَابِ وَالْعِلَلِ، سُمِّيَ حِكْمَةً، وَمَا أَبْطَنَتْهُ مِنَ الْإِبْجَادِ وَالْإِخْتِرَاعِ، سُمِّيَ قُدْرَةً، وَالْفَاعِلُ وَاجِدٌ، فَإِذَا سَبَقَ لِلْعَبْدِ شَيْءٌ مِنْ مَقْدُورَاتِ الْحَقِّ، جَلَالِيَّةٌ أَوْ جَمَالِيَّةٌ، وَوَصَلَ وَقْتُ نَزُولِ ذَلِكَ، حَرَّكَهُ اللَّهُ إِلَى سَبَبٍ فِي الْغَالِبِ، فَيَنْفِذُ ذَلِكَ الْمَقْدُورُ بِتَصْرِيفِ الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ، مُسْتَتِراً بِرَدَاءِ الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ، فَالْجَاهِلُ يَقِفُ مَعَ قِشْرِ السَّبَبِ، وَالْعَارِفُ يَنْفِذُ إِلَى شُهُودِ مُسَبِّبِ ذَلِكَ السَّبَبِ، وَكَذَلِكَ إِذَا سَبَقَ فِي الْأَزَلِ، نَزُولُ بَلَاءٍ فِي بَلَدَةٍ، حَرَّكَهُمْ إِلَى سَبَبِ ذَلِكَ، رَغْماً عَلَى أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى يَنْعِضِي أَمْرُ اللَّهِ فِيهِمْ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَقَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾. وَمِنْ ذَلِكَ أَمْرُ الْوَبَاءِ إِذَا سَبَقَ فِي قَدَرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ، أَنْ يَنْزَلَ فِي مَدِينَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ، فِي وَفْتٍ مُعَيَّنٍ، جَعَلَ لِلَّذَلِكَ الْحَقُّ بِحُكْمَتِهِ تَعَالَى سَبَباً وَعِلَّةً، فَتَنْزِلُهُ الْقُدْرَةُ الْأَزَلِيَّةُ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي سَبَقَ بِهِ الْعِلْمُ الْقَدِيمُ، مَسُوراً بِرَدَاءِ

الحِكْمَةِ، وهو ذلك السَّبَب، لتظهر مزية الإيمان بِالْعَنِيْب؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ التَّكْلِيفِ، لَا دَارَ التَّعْرِيفِ، بخلاف الآخرة. فيقول الجاهل: لَوْلَا فَلَانْ نَقَلَهُ مَا انْتَقَلَ. ويقول العارف: هَذَا مَا سَبَقَ فِي حُكْمِ الْأَزَلِ، وكذلك إِذَا نَقَلْتُهُ الْقُدْرَةَ إِلَى مَوْضِعِهَا وَمَاتَ. يقول الجاهل: لَوْ لَمْ يَنْتَقِلْ مَا مَاتَ، وَهَذَا اعتقاد من طبع الله على قَلْبِهِ مِنَ الْكُفَّارِ. وقد نَهَى اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنِ التَّشْبِيهِ بِهِمْ، فَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيكَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ لَمَّا مَاتُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يَجْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيُخَيِّرُ وَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرَةً﴾. وقال الله أيضاً: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ الخ. وسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى الْوَبَاءِ فِي مَحَلِّهِ إِنْ شَاءَ اللهُ. هَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْحِكْمَةِ وَالْقُدْرَةِ، لِمَنْ فَتَحَ اللهُ بَصِيرَتَهُ، وبالله التَّوْفِيقُ، وَهُوَ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ.

الْبَابُ الرَّابِعُ

فِي إِبْطَالِ الْعَدْوَى وَالطَّيْرَةِ

أَمَّا الْعَدْوَى: فَهُوَ انْتِقَالُ الْمَرَضِ مِنْ مَحَلٍّ لِآخَرَ، كَمَا يَزْعُمُهُ الْفَلَّاسِفَةُ، وَالطَّبَّائِعُونَ؛ وَهُوَ بَاطِلٌ عِنْدَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وَقَالَ فِي شَأْنِ السُّحْرِ: ﴿وَمَا هُمْ بِصَاحِبِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُومِنٍ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وَهُوَ حَكْمُهُ وَمَشِيتُهُ، أَوْ قُدْرُهُ وَقَضَاؤُهُ. وَقَالَ ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا سَفَرٌ وَلَا هَامٌ». فَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّهَا تَعْدُو بِطَبْعِهَا؛ فَهُوَ كَافِرٌ إِجْمَاعاً، وَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّهَا تَعْدُو بِقُوَّةٍ فِيهَا فَهُوَ عَاصٍ. وَفِي كُفْرِهِ قَوْلَانِ. وَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّهَا تَعْدُو بِقُدْرَةِ اللهِ وَقَدَرِهِ عَلَى وَجْهِ الْحِكْمَةِ، وَسَيَرِ الْقُدْرَةِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ.

وَالْأَمْرَاضُ الَّتِي تَعْدُو عَنْهُمْ، هِيَ: الْجَرَبُ، وَالْوَبَاءُ، وَالْجُذَامُ.

أَمَّا الْجَرَبُ فَيَكُونُ فِي الْإِبِلِ، وَالنَّعَمِ، وَالْكَلَابِ وَالْأَدَمِيِّ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقُدْرَةِ اللهِ وَقَدَرِهِ. قَدْ سَبَقَ فِي الْأَزَلِ أَنْ يَنْزِلَ بِذَلِكَ الشَّخْصَ فِي وَقْتٍ مَخْصُوصٍ مَخْدُودٍ، لَا يَتَقَدَّمُهُ وَلَا يَتَأَخَّرُهُ عَنْهُ، لَكِنْ مِنْ حِكْمَةِ الْحَكِيمِ، أَنْ قَرَنَ الْأَشْيَاءَ بِأَسْبَابِهَا عِنْدَهَا، لَا بِهَا، فَإِذَا وَصَلَ الْوَقْتُ الَّذِي سَبَقَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ ذَلِكَ الْمَرَضُ حَرَكَةً، بِسَبَبِ تَغْطِيَتِهِ لِسَبْرِ قَدَرِهِ، فَيَخْتَلَطُ مَعَهُ مِنْ فِيهِ، وَقَدْ يَنْزِلُ بِلَا سَبَبٍ، وَفِي الْحَدِيثِ؛ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ

عليه السلام: «لَا عَذْوَى وَلَا طَيْرَةٌ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِلْإِبِلِ تَكُونُ كَالضَبَا، فَإِذَا نَزَلَ بِهَا جَمَلٌ أَجْرَبَ، أَجْرَبَهَا كُلُّهَا. قَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: «وَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلِ؟» أَيْ وَمَنْ أَنْزَلَ ذَلِكَ الدَّاءَ بِالْأَوَّلِ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، وَكَمَا غَطَى سِرَّ إِنْزَالِهِ بِالْأَسْبَابِ؛ كَذَلِكَ غَطَى سِرَّ رَفْعِهِ بِالتَّدَاوِي. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا نَزَلَ اللَّهُ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً» فَالتَّدَاوِي لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ، إِنْ كَانَ يَرَى الشِّفَاءَ مِنَ اللَّهِ، وَالدَّوَاءَ حِكْمَةً سَمَّرَتْ الْقُدْرَةَ، فَلَا تَأْثِيرَ لَهُ الْبَيْتَةُ، فَمَنْ اغْتَفَدَ أَنَّ لَهُ التَّأْثِيرَ، فَهُوَ مُشْرِكٌ مَعَ اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ شُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ». فَالدُّعَاءُ وَالتَّدَاوِي كِلَاهُمَا سَبَبٌ، فَإِذَا وَقَعَ الْفَرْجُ عَلَى يَدِ أَحَدٍ بِدَوَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ، فَأَعْتَقَدَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي نَجَّاهُ مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ أَشْرَكَ مَعَ اللَّهِ، إِمَّا شِرْكَ اغْتِفَادٍ، أَوْ شِرْكَ اسْتِنَادٍ؛ وَهُوَ مَبْلُ الْقَلْبِ وَرُكُونُهُ إِلَى تِلْكَ الْوَاسِطَةِ؛ وَهُوَ قَدْخٌ فِي التَّوْحِيدِ عِنْدَ الْخَوَاصِّ. وَلِذَلِكَ قَالَ الْقُطُبُ ابْنُ مَشِيش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِأَبِي الْحَسَنِ: «اهْرَبْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ، أَكْثَرُ مَنْ أَنْ تَهْرَبَ مِنْ شَرِّهِمْ يَا أَبَا الْحَسَنِ، فَإِنَّ خَيْرَهُمْ يَصِيْبُكَ فِي قَلْبِكَ، وَشَرُّهُمْ يَصِيْبُكَ فِي بَدَنِكَ، وَلَآنَ تَصَابُ فِي بَدَنِكَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَصَابَ فِي قَلْبِكَ، وَشَرُّهُمْ يَصِيْبُكَ فِي بَدَنِكَ، وَلَآنَ تُصَابُ فِي بَدَنِكَ خَيْرٌ مِنْ تَصَابَ فِي قَلْبِكَ، وَلَعْدُو تَصِلُ بِهِ إِلَى رَبِّكَ، خَيْرٌ مِنْ حَبِيبٍ يَقْطَعُكَ عَنْ رَبِّكَ». فَالْخَلْقُ مَخْذُوفُونَ مِنْ نَظَرِ أَهْلِ التَّحْقِيقِ، يَشْكُرُونَهُم بِاللِّسَانِ، وَيَغِيْبُونَ عَنْهُمْ بِالْجَنَانِ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَام: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ». فَلَا بُدَّ مِنَ السَّبَبِ وَجُودِ الْعَيْنَةِ عَنْهُ شُهُوداً، فَالسَّبَبُ قِيَاماً بِحَقِّ الْحِكْمَةِ، وَالْعَيْنَةُ عَنْهُ قِيَاماً بِشُهُودِ الْقُدْرَةِ. فَمَنْ أَنْكَرَ الْأَسْبَابَ فَهُوَ جَاهِلٌ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ، وَالْقُدْرَةُ وَالْحِكْمَةُ كِلَاهُمَا مِنْ أَوْصَافِ الْحَقِّ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ حَكِيمًا حَكِيمًا﴾. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَأَمَّا الْوَبَاءُ فَهُوَ عِنْدَ الْأَطِبَّاءِ فَسَادُ الْهَوَى وَالْوَحْمُ، وَعِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَخُرُ الْجِنِّ، أَيْ طَعْنُهُ؛ وَهُوَ صَرِيحُ الْحَدِيثِ. فَنَفِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ: «الطَّاعُونَ وَخُرُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ؛ وَهُوَ لَكُمْ شَهَادَةٌ» رَوَاهُ الْحَاكِمُ. وَفِيهِ أَيْضاً: «الطَّاعُونَ رَجَزٌ وَعَذَابٌ، أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْثَمَ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَاراً مِنْهُ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَلَسْتُمْ بِهَا، فَلَا تَهْبِطُوا عَلَيْهَا» رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَالتِّرْمِذِيُّ. هَكَذَا رَمَزَ لَهُ. وَفِيهِ أَيْضاً: «الطَّاعُونَ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَالشَّيْخَانُ. وَفِيهِ أَيْضاً: «كَانَ عَذَاباً يَنْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونَ، فَيَمُوتُ فِي بَلَدِهِ صَابِراً، مُحْتَسِباً، أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ، إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ» رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَالبُخَارِيُّ.

وفيه أيضاً «الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد، والفاث منها كالفاث من الزخف». رواه الحاكم. وَقَدْ يُجْمَع بَيْنَ الْحَدِيثِ وَقَوْلِ الْأَطْبَاءِ، بِأَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْعَثَهُ عَلَى عِبَادِهِ، غَيَّرَ الْهَوَاءَ، وَأَرْسَلَ فِيهِ الْجِنَّ، فَيَهْجِجُ الْجِنَّ بِإِذْنِ اللَّهِ، فِي وَقْتِ فَسَادِ الْهَوَى بِقُدْرَةِ اللَّهِ. أَمَّا هَيْجَانُ الْجِنَّ، فَمُحَقَّقٌ بِالشَّاهِدَةِ، فَقَدْ رَأَى كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، يَقْظَةً وَمَنَاماً، عَلَى صُورَةِ الْآدَمِيِّ، رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً، وَقَدْ يَجْتَمِعُ مِنْهُ عَسْكَرًا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، فَيَزَاهُمُ الْآدَمِيُّ يَقْظَةً أَوْ مَنَاماً، وَقَدْ سَمِعْتُ الطَّبْلَ فِي قَبِيلَةِ أَنْجَرَةَ، بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، زَمَنَ الْوَبَاءِ، وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرِجُوا مِنْهَا» الْمَشْهُورُ فِي الْخُرُوجِ أَنَّهُ حَرَامٌ. وَالْمَشْهُورُ فِي الْإِقْدَامِ أَنَّهُ مَكْرُوهٌ. وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ رُشْدٍ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهَا: لَا يَأْتُمُّ إِجْمَاعاً. وَوَجْهُ النُّهْيِ، أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهَا، وَوَأْفَقَ تَمَامَ أَجَلِهِ، قَمَاتَ بِهَا، قَرُبُماً يَقَعُ فِي وَهْمِهِ، أَوْ وَهْمِ غَيْرِهِ، أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَقْدِمْ لَمَا مَاتَ، فَيَقَعُ فِي الْإِشْرَاكِ. وَأَمَّا أَهْلُ الْيَقِينِ الثَّامُ فَلَا كَرَاهِيَةَ فِي حَقِّهِمْ، لِانْتِفَاءِ الْعِلَّةِ مِنْهُمْ، فَالْتَّهْيِ إِنَّمَا هُوَ فِي حَقِّ الضَّعْفَاءِ. وَأَمَّا الْأَقْوِيَاءُ فَلَا يَشْمَلُهُمْ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فِرٌّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارُكَ مِنَ الْأَسَدِ» وَثَبِتَ أَنَّهُ أَكَلَّ مَعَهُ. وَقَالَ: «لَا عَذْوَى وَلَا طَيْرَةَ». فَلِلْأَقْوِيَاءِ حُكْمٌ غَيْرُ مَا لِلضَّعْفَاءِ. وَأَمَّا رَجُوعُ سَيِّدِنَا عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الشَّامِ، مَا بَلَغَهُ أَنَّ فِيهِ الْوَبَاءَ، فَإِنَّ الْجَيْشَ مُخْتَلِطٌ، فِيهِ الْأَقْوِيَاءُ وَغَيْرُهُمْ، فَاشْفَقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الضَّعْفَاءِ؛ أَنْ يَخْتَلِجَ فِي قُلُوبِهِمْ شَيْءٌ، وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ مِنْ لَا صُحْبَةَ لَهُ، لَكُونُهُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ. قُلْتُ: وَقَدْ رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِنَا، تَقَدَّمُوا لَغَسْلِ الْمَوْتَى، وَمُبَاشَرَةِ الْمَرْضَى فِي مَدِينَةِ تَطْوَانَ، وَطَنْجَةِ، وَسَلَا وَالرِّبَاطِ، وَمَدَاشِيرِ الْقَبَائِلِ، لَمْ يَتَقَدَّمُوا إِلَى ذَلِكَ غَيْرُهُمْ، فَغَسَلُوا وَكَفَّنُوا، وَبَاشَرُوا الْمَرْضَى، فَلَمْ يُصِبْهُمْ شَيْءٌ، بَلْ بَعْضُهُمْ بَاقٍ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، وَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَهُمْ أُعْطِيَ قَشَابَةً مَاتَ صَاحِبُهَا بِالْوَبَاءِ، فَلَبِسَهَا فِي الْحَيَاتِ، فَلَمْ يُصِبْهُ شَيْءٌ، فَعَاشَ بَعْدَ الْوَبَاءِ زَمَنًا طَوِيلًا، وَرَأَيْتُ بَعْضَ أَصْحَابِنَا مِنْ أَهْلِ النَّجْرَةِ، قَدِمَ عَلَى الْبِلَادِ الَّتِي فِيهَا الطَّاعُونَ، فَبَقِيَ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرٍ، يَغْسِلُ وَيَكْفِنُ، وَيُبَاشِرُ الْمَرْضَى بِهَا، ثُمَّ قَدِمَ سَالِمًا، فَعَاشَ بَعْدَ الْوَبَاءِ زَمَنًا طَوِيلًا، فَطُلَّ الْقَوْلُ بِالْعَذْوَى وَالْإِنْتِقَالِ، وَكُنَّا نَقُولُ لِأَصْحَابِنَا: مَنْ أَرَادَ تَرْبِيَةَ الْيَقِينِ، وَتَعَلَّمَ الْقُوَّةَ وَالشُّجَاعَةَ، فَلْيَذْهَبْ إِلَى مَحَلِّهَا، مُتَوَكِّلًا عَلَى اللَّهِ، مُعْتَمِدًا فِي ذَلِكَ عَلَى قَوْلِ ابْنِ رُشْدٍ، مَعَ مَا قَدَّمْنَاهُ مِنَ التَّفْصِيلِ. وَأَمَّا التَّخَضُّعُ مِنْهُ بِحَرَسِ الْأَبْوَابِ وَغَلْقِهَا، فَلَا فَايِدَةَ فِيهِ. قَالَ تَعَالَى: «أَيِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ» وَقَدْ يَتَأَخَّرُ الْوَقْتُ فِي الْأَزْلِ، فَيُظَنُّ الْجَاهِلُ أَنْ تَأْخِيرَهَا إِنَّمَا هُوَ مِنْ جِرْصِهِ وَتَحْقُظِهِ،

وليس كذلك، إذ لا يتفَع حَدَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وإنما الوقت اقتضى التأخير. قال تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا﴾، ﴿وإن مِن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾.

حكاية مستظرفة: بَلَّغَنِي أَنَّ صَاحِبَنَا الْفَقِيهَ الْمَفْرُجَ، لما دَخَلَتِ الْوَبَاءُ طَنْجَةَ، وقد كانوا أَغْلَقُوا الْأَبْوَابَ، وَمَنَعُوا مِنْ أَتَى مِنْ بَلَدِ الْوَبَاءِ مِنَ الدُّخُولِ، أَتَى إِلَى الْبَوَائِبِ؛ لَمَّا تَحَقَّقَ ظُهُورُهَا فِي الْبَلَدِ فَقَالَ لَهُمْ: بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ الْقَائِدُ، لِمَ تَرَكْتُمْ الْوَبَاءَ تَدْخُلُ؛ رَدًّا لِرُغْمِهِمْ، فإن قلت: قَدْ وَجَدَ مَنْ سَدَّ بَابَهُ فِي زَمَنِهَا، فَسَلِمَ مِنْهَا، قُلْتُ: الْحِكْمَةُ حَقٌّ مَنْ تَمَسَّكَ بِهَا، لَا تُخْرَقُ فِي حَقِّهِ، لَكِنَّهُ يَكُونُ مُحْجُوبًا بِهَا عَنْ رَبِّهِ، مَعَ التَّحَقُّقِ، أَنَّ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ هَكَذَا جَرَى فِي حَقِّهِ، فَمَا تَعَاطَى إِلَّا مَا جَرَى بِهِ الْقَلَمُ، لَكِنَّهُ مُحْصُوبٌ مِنَ الضُّعْفَاءِ، لَا تُصِيبُ لَهُ فِي مَقَامِ الْأَقْوِيَاءِ. وَيَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْفَارُّ مِنْهَا، كَالْفَارِّ مِنَ الرَّخْفِ» وَأَمَّا التَّخَصُّصُ بِالْإِدْعَاءِ فَلَا بَأْسَ بِهِ عُبُودِيَّةٌ، مَعَ اعْتِقَادِهِ أَنَّهُ لَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ شَيْئًا. وفائدته: التأييد واللفظ، ونزول الصُّبْرِ، والرَّضَى عند أَوْقَاتِ الشَّدَّةِ، وقد ذكر القشطلاني دعاءً مخصوصاً، يُقال عِنْدَ هَيْجَانِهَا، أَوْ يُعَلَّقُ تَمِيمَةً، فَإِنَّ اللَّهَ يَحْفَظُهُ بِرُكْنَيْهِ؛ وَهُوَ هَذَا: اللَّهُمَّ سَكُنْ فِتْنَةً ضَمْدَةً قَهْرْمَانَ الْجَبَرُوتِ، بِالطَّافِكِ الْخَفِيَّةِ، الْوَارِدَةِ، النَّازِلَةِ مِنْ بَابِ الْمَلَكُوتِ، حَتَّى تَنْتَبِثَ بِأَذْيَالِ لُطْفِكَ، وَتَغْتَصِمَ بِكَ مِنْ إِنْزَالِ قُدْرَتِكَ، يَا ذَا الْقُدْرَةِ الْكَامِلَةِ، وَالرَّحْمَةِ الشَّامِلَةِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ اهـ.

وينفع في ذلك أيضاً جَزْبُ التَّوَرِي، صباحاً ومساءً بعد العشاء، فقد قيل: إِنَّ قَارِئَهُ لَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، بِحَيْثُ لَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ أَحَدٌ، لَا مِنْ جِهَةِ الْهَيْمَةِ كَالْأَوْلِيَاءِ، وَلَا مِنْ جِهَةِ الْفَعْلِ الْحَسِّي، كَالْجَبَابِرَةِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ، وكذلك وظيفة الشيخ زروق رضي الله عنه، صباحاً ومساءً، ومثل ذلك، آية الجرح: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إلى آخر السورة يَكْرُرُهَا سَبْعاً، ومثل ذلك، الإنكار من الصلاة على رسول الله ﷺ، فإنها تكشف الكروب والهموم والغموم، ومما كُتِبَ بِهِ إِلَيْنَا شَيْخُ شَيْخِنَا، مَوْلَايَ الْعَرَبِي الدَّرَقَاوِي رضي الله عنه، ما نَصَّه بعد كلام طويل: «وَمَهْمَا تَرَوُغْتَ مِنْ شَيْءٍ، فَبَادِرْ إِلَى الطَّهَارَةِ إِنْ كُنْتَ عَلَى غَيْرِهَا، وَصَلِّ رُكْعَتَيْنِ، وَاتْلُ سُوْرَتَيْنِ قَصِيرَتَيْنِ، أَوْ صَلِّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَوْ عَشْرَ مَرَّاتٍ، أَوْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، مِثْلَ ذَلِكَ، وَكُنْ لِرَبِّكَ هَكَذَا دَائِمًا، تَرَى عَجَبًا، وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ عَلَى غَيْرِ هَذَا. إِذْ لَا

يفيدنا إلا الرجوع إلى ربنا، والسكون إليه عند الرخاء والشدة، ولا يفيدنا غيره قط». وقولنا: تطهر إن كنت على غيرها، وجد كذا، واثل كذا، أو افعل الجميع. قلْتُ: «وهو الذي نفعل، نُصَلِّي ركعتين، ونُثَلِّو سورَتَيْن قصيرَتَيْن، كَأَلَم نُشْرَح، ولإيلاف قُرَيْشٍ، ونُصَلِّي على رسول الله ﷺ عَشْرًا، ونقول: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَشْرًا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ عَشْرًا، ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَإِنَّ الشَّرَّ يَذْهَبُ، وَالْخَيْرُ يَأْتِي، إِذْ فِي الرُّجُوعِ إِلَى اللهِ وَالسُّكُونِ إِلَيْهِ مِنَ الْفَوَائِدِ وَخَزَقِ الْعَوَائِدِ، وَاللهُ إِنْ كُنَّا عَلَى مَا قُلْنَا، حَتَّى تَكُونَ لَنَا الطَّرِيقُ فِي السَّمَاءِ، كَمَا هِيَ لَنَا فِي الْأَرْضِ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقْرَبُ، وَلَعَنَهُ اللهُ عَلَى مَنْ كَذَبَ، وَاللهُ إِنْ اغْتَصَبْنَا بِرَبَّنَا لَمَّا قَرَرْنَا، حَتَّى تَصْحَبَنَا نِيَابَتُهُ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِنَا، وَيُضَحِّبُنَا عَوْنُهُ وَفَضْلُهُ، وَكَرَمُهُ وَجِلْمُهُ، وَجُودُهُ وَعِطْفُهُ، وَتَوَالَهُ فِي حَرَكَاتِنَا وَسَكَنَاتِنَا، وَاللهُ يَأْخُذُ بِيَدِنَا» انتهى كلامه رضي الله عنه.

ومِمَّا يَتَأَكَّدُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي زَمَنِ الْوَبَاءِ، الرُّضَى وَالتَّسْلِيمِ، وَالصَّبْرِ عَلَى مَفَارِقَةِ الْأَخْبَابِ، إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى، فَيُفِي اللهُ خَلْفَ مِنْ كُلِّ تَلَفٍ، لَا سِيَّمَا فِي هَذَا الزَّمَانِ الصَّغْبِ، فَيَنْبَغِي الْأَيْفَرَحُ بِمَوْلُودٍ، وَلَا يُخْزَنَ عَلَى مَقْصُودٍ، فَمَا بَقِيَ إِلَّا غُورَةُ النَّصَارَى، وَخُرُوجُ الدُّجَالِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، فَمَنْ أَخَذَهُ اللهُ إِلَيْهِ، فَقَدْ خَلَّصَهُ اللهُ مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَالِ، وَمَنْ بَقِيَ، فَلْيَتَخَصَّصْ بِالْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَا بِنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اخْفِظْ اللهُ يَحْفَظْكَ، اخْفِظْهُ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرِّخَاءِ، يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ» الحديث. وَقَدْ حَدَّثَنِي مَنْ أَثْبَتَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِنَا، وَهُوَ الْفَقِيه الْعَالِمُ، الْوَلِي الصَّالِحُ، سَيِّدِي مُحَمَّدُ بْنُ مَعْرُوفِ الصَّحْرَاوِي، أَنَّهُ قَالَ لِي: رَأَيْتُ فِي كِتَابِ الْبُخَارِيِّ، شَمْسَ الْمَعَارِفِ. قَالَ فِيهِ: «إِذَا دَخَلْتَ النَّصَارَى مِصْرَ، وَظَهَرَ الْوَبَاءُ بِالْمَغْرِبِ، وَخَرَجْتَ النَّصَارَى بِالسَّوَاغِلِ، ظَهَرَ الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ، وَنَزَلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَمَنْ مَاتَ حَبِيبُهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ، فَلَا يَتَأَسَّفُ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَحْسَنَ بَانْتِقَالِ رُوحِهِ إِلَى اللهِ، فَلْيَفْرَحْ بِإِلْقَاءِ اللهِ، وَمُلَاقَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ، وَكَانَ بِإِلَالٍ يَقُولُ عِنْدَ مَوْتِهِ: وَاطْرَبَاهُ، غَدَا أَلْقَى الْأَجْبَةَ: مُحَمَّدًا وَجِزْبَةً، فَإِنَّ الرُّوحَ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ سِجْنِ الْبَدَنِ، تَصَوَّرَتْ عَلَى هَيَاةٍ صَاحِبِهَا، شَكْلًا كَأَمَلِ الْأَعْضَاءِ، لَطِيفًا رُوحَانِيًا، كَالْمَلَائِكَةِ، يَرَى وَيَسْمَعُ وَيَعْرِفُ، فَإِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْبَدَنِ، كَسَتْهَا الْمَلَائِكَةُ ثِيَابًا أَثْنَتْ بِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَعَ حَنُوطٍ وَطِيبٍ، فَتَصْعَدُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَلَهَا رَائِحَةُ طَيِّبَةٍ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: هَذِهِ رُوحُ فُلَانٍ ابْنِ فُلَانٍ، رَحِمَهُ اللهُ، فَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ، وَيُسَبِّحُونَهُ مِنْ سَمَاءِ

إلى سماءٍ حتى يَفْضِي إلى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، فتقول المَلَأِيكَةُ: هَذَا عَبْدُكَ فُلَانٌ قَدْ أَتَيْنَاكَ بِهِ، فَيَقُولُ: «اَكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي عَلَيَّيْنِ، وَأَرُوهُ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَانِ، فَيَذْهَبُونَ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، فيرى ما أعدَّ اللهُ مِنَ الْإِحْسَانِ، ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى السُّؤَالِ، فإذا وُضِعَ الْجَسَدُ عَلَى النَّعْشِ كَانَتْ فَوْقَهُ بِذِرَاعٍ، تقول: قَدُمُونِي قَدُمُونِي، وإذا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَأُلْقِيَ عَلَيْهِ التُّرَابُ، دَخَلْتُ فِي الْقَبْرِ، وَحَيِيَ الْبَدَنُ حَيَاةَ حَارِقَةٍ لِلْعَادَةِ، أَشْبَهَ شَيْءٍ بِحَالَةِ النَّائِمِ، فإذا سُئِلَ فِي قَبْرِهِ، وَبَيَّنَّهُ اللهُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، حَتَّى أَجَابَ رُسُلَ رَبِّهِ، صَعِدَتْ رُوحُهُ إِلَى الْمَقَامِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللهُ لَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُتَزَيِّينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾. قال بَعْضُ الْعَارِفِينَ: رُوحُ الْوَصَالِ، وَرَيْحَانُ الْجَمَالِ، فإذا انْفَصَلَتِ الرُّوحُ مِنْ هَذَا الْبَدَنِ، انْصَلَّتْ بِالْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ؛ وَهُوَ الرُّوحُ، وَلَمْ تَرِ إِلَّا الْقَضَاءَ وَسَعَةَ الْجَمَالِ؛ وَهُوَ الرَّيْحَانُ، ثُمَّ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ، فَتَتَنَعَّمُ فِيهَا بِأَنْوَاعِ الْخَيْرَاتِ، وَلَا تُحْصَرُ فِي الْجَنَّةِ، بَلْ تَذْهَبُ حَيْثُ شَاءَتْ، وَفِي بَعْضِ الْأَثَرِ، إِذَا مَاتَ الْعَارِفُ: قِيلَ لِرُوحِهِ: اذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ. وقيل الرُّوحُ: الْاسْتِرَاحَةُ مِنْ تَعَبِ الدُّنْيَا وَأَهْوَالِهَا، وَالرَّيْحَانُ: الرِّزْقُ الَّذِي يَلِيْقُ بِحَالِهَا، فَإِنَّ رُوحَ الشَّهَدَاءِ، تَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، وَتَشْرَبُ مِنْ أَنْهَارِهَا، وَرُوحُ الصَّادِقِينَ تَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِ الْمَعَارِفِ، وَتَشْرَبُ مِنْ نَيْمِ لَذَّةِ الشُّهُودِ وَالْمَعَايِنَةِ.

وقال التِّرْمِذِيُّ: الرُّوحُ الرَّاحَةُ فِي الْقَبْرِ، وَالرَّيْحَانُ دُخُولُ الْجَنَّةِ: وَقَالَ بَسَّامُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: الرُّوحُ السَّلَامَةُ. وَالرَّيْحَانُ الْكَرَامَةُ. وَقَالَ سَعْدُ: الرُّوحُ مَعَانِقَةُ الْأَبْكَارِ. وَالرَّيْحَانُ مُرَافِقَةُ الْأَبْرَارِ.

فَالْمَقْرُبُونَ يَتَنَعَّمُونَ بِنِكَاحِ الْأَبْكَارِ، وَيَجْرِي عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ؛ لظَاهِرِ الْآيَةِ. وَقَالَ الْخِرَازِيُّ: الرُّوحُ كَشْفُ الْغِطَاءِ. وَالرَّيْحَانُ الرُّؤْيَا وَاللِّقَاءُ. وَقِيلَ: الرُّوحُ: الرَّاqَةُ، وَالرَّيْحَانُ: النَّجَاةُ مِنَ الْآفَةِ. وَقِيلَ الرُّوحُ: الْمَوْتُ عَلَى الشَّهَادَةِ. وَالرَّيْحَانُ: بَدْءُ السَّعَادَةِ. وَقِيلَ الرُّوحُ: كَشْفُ الْكُرُوبِ. وَالرَّيْحَانُ: عُفْرَانُ الدُّنُوبِ. وَقِيلَ الرُّوحُ: الثَّبَاتُ عَلَى الْإِيمَانِ. وَالرَّيْحَانُ: ثَبَلُ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ. وَقِيلَ الرُّوحُ: فَضْلُهُ. وَالرَّيْحَانُ: وَضْلُهُ. وَقِيلَ الرُّوحُ: عَفْوٌ بِلَا عِتَابٍ، وَالرَّيْحَانُ: رِزْقٌ بِلَا حِسَابٍ، وَقِيلَ الرُّوحُ لِلْسَّابِقِينَ، وَالرَّيْحَانُ لِلْمُقْتَصِدِينَ، وَالْجَنَّةُ لِلظَّالِمِينَ. وَقِيلَ الرُّوحُ لِأَزْوَاجِهِمْ. وَالرَّيْحَانُ لِقُلُوبِهِمْ، وَالْجَنَّةُ لِأَبْدَانِهِمْ، وَالْحَقُّ لِأَسْرَارِهِمْ.

وَالْمَقْرُبُونَ: هُمُ السَّابِقُونَ. وَالسَّابِقُونَ: هُمُ أَهْلُ الْهِمَمِ الْعَالِيَةِ؛ الَّذِينَ سَبَقَتْ أَرْوَاحُهُمْ إِلَى الْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ؛ وَهُمْ أَهْلُ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ. فَالْمَوْتُ فِي حَقِّ هَؤُلَاءِ،

انتقال من وطن إلى وطن، ومن دار إلى دار، وفي ذلك يقول الغزالي، بَعْدَ مَوْتِهِ،
وُجِدَتْ تَحْتَ عِمَامَتِهِ:

لَا تَظْلُمُوا الْمَوْتَ مَوْتُ إِنَّهُ لَحْيَاةٌ وَهُوَ غَايَةُ الْمُسَا
لَا تُرَوِّعُكُمْ هَاجِمَةُ الْمَوْتِ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْتِ قَالِ مِنْ هُنَا
فَاخْلَعُوا الْأَجْسَادَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ تُبْصِرُوا الْحَقَّ عَيَانًا بَيْنَا
وإلى آخر قصيدته. وأما إن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، فَتَضَعِدُ الْمَلَائِكَةُ
بِرُوحِهِ كَمَا تَقْدَمُ، ثم ترجع للسؤال، فَإِنْ سُئِلَتْ بِأَهْلِهَا فِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ،
فَيَسْأَلُونَهَا عَنْ أَخْوَالِ الْأَحْيَاءِ، ثُمَّ تَبْقَى مَحْصُورَةً فِي عَالَمِ
الْبَرْزَخِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ، بخلاف أزواج الْمُقْرَبِينَ، فَإِنَّهَا مُطْلَقَةٌ تَذْهَبُ حَيْثُ
تَشَاءُ، وَتَتَصَرَّفُ تَصَرُّفَ الْأَحْيَاءِ. وَالْمُرَادُ بِأَصْحَابِ الْيَمِينِ: أَهْلُ الدَّلِيلِ
وَالْبُزْهَانِ، الَّذِينَ خَصَرَتْهُمْ الْأَكْوَانُ، وَلَمْ يُفَضُّوا إِلَى قَضَاءِ الشُّهُودِ وَالْعِيَانِ،
سواء كانوا عُلَمَاءَ أَوْ صَالِحِينَ، أَوْ عُبَادًا أَوْ زُهَادًا.

والحاصل: أَنَّ مَنْ خَرَجَتْ فِكْرَتُهُ عَنِ الْأَكْوَانِ، وَاتَّصَلَتْ بِشُهُودِ الْمَكُونِ؛
فَهُوَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ، وَمَنْ بَقِيََتْ مَسْجُونَةٌ فِي الْأَكْوَانِ، لَمْ تُفْتَحْ لَهَا مَيَادِينُ الْغُيُوبِ؛
فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْيَمِينِ، وبالله التوفيق. وبقي عندهم من الأمراض العادية، عندهم
الجدام؛ وهو قليل في قِطْرِنَا هَذَا، فَلَا نَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ وَالسَّلَامُ.

البَابُ الْخَامِسُ

فِي اكْتِسَابِ الْيَقِينِ، وَذِكْرِ مَوَادِّهِ وَمَوَاطِنِهِ

الْيَقِينُ: هُوَ سَكُونُ الْقَلْبِ وَاطْمَئِنَانُهُ بِزَوَالِ التَّوَدُّدِ وَالاضْطِرَابِ، مِنْ قَوْلِهِمْ:
يَقِينُ الْمَاءِ فِي الْحَوْضِ، إِذَا سَكَنَ وَاسْتَقَرَّ فِيهِ. ثُمَّ يَتَفَاوَتْ الْيَقِينُ بِتَفَاوُتِ مَوَادِّهِ
وَأَنْوَارِهِ، فَإِذَا سَكَنَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سَكُونًا تَامًا، لِكَيْتَهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ الْأَكْوَانِ،
يَسْتَدِلُّ بِالْأَثَرِ عَلَى الْمُؤَثَّرِ، سُمِّيَ هَذَا الْمَقَامَ، عِلْمَ الْيَقِينِ. وَمَوَادِّهِ التَّفَكُّرُ وَالاعتِبَارُ،
فَكُلَّمَا قَوِيَ التَّفَكُّرُ وَالاعتِبَارُ، قَوِيَ نُورُ الْيَقِينِ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَى هَذِهِ الْمَصْنُوعَاتِ
الْعُلُويَةِ وَالسُّفْلِيَةِ، وَتَفَكَّرَ فِي عَجَائِبِ صُنْعِهَا، وَاخْتِلَافِ أَشْخَاصِهَا وَأَنْوَارِهَا؛ وَتَعَدَّدِ
أَفْرَادِهَا، وَكُلَّهَا فِي قَبْضَتِهِ تَعَالَى، وَتَحْتَ قُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، أَخَاطَ بِهَا عِلْمًا، وَسَمِعَا
وَبَصَرًا، لَا يَفْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، عِلْمٌ يَقِينُ عِظَمَ
خَالِقِهَا، وَبَاهِرَ قُدْرَتِهِ، وَسَعَةَ عِلْمِهِ، فَإِذَا تَعَطَّشَتِ الرُّوحُ إِلَى مَعْرِفَةِ دَاتِهِ، وَاشْتَاقَتْ
إِلَى الْوُضُوعِ إِلَى حَضْرَتِهِ، رَزَقَهَا الْحَقُّ تَعَالَى الْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَشَهَا مِنْ خَلْقِهِ،

وَأَنسَهَا بِهِ، وَأَشَعَّلَهَا بِذِكْرِهِ، وَقَبِضَ لَهَا وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَائِهِ، فَلَا يَزَالُ يَسِيرُ بِهَا مِنْ مَرَجِلٍ إِلَى مَرَجِلٍ، وَمِنْ مَنَهْلٍ إِلَى مَنَهْلٍ، حَتَّى يَقُولَ لَهَا: هَا أَنْتِ وَرَبُّكَ، وَذَلِكَ حَتَّى تَنْقَشَ ظِلْمَةُ الْأَكْوَانِ عَنِ الْقَلْبِ، فَيَشَاهِدَ أَنْوَارَ الْغَيْبِ حَاضِرَةً، وَأَسْرَارَ الدَّاتِ لَا بُحَةَ، فَيَغْرُقَ فِي الْأَنْوَارِ، وَيَغِيبُ عَنْ شُهُودِ الْأَنْوَارِ، وَيُسَمَّى هَذَا الْمَقَامَ، عَيْنَ الْيَقِينِ، وَهُوَ مَقَامُ الْفَنَاءِ وَمَوَادَّةُ: الذِّكْرِ الْقَلْبِيِّ، وَجَوْلَانِ الْفِكْرَةِ فِي مَيَادِينِ الْغُيُوبِ، مَعَ دَرَامِ صُخْبَةِ الْعَارِفِينَ، وَخِدْمَةِ الزَّائِلِينَ، وَإِذَا تَمَكَّنَ مِنْ شُهُودِ الْأَنْوَارِ، وَرَجَعَ إِلَى شُهُودِ الْأَنْوَارِ بِرَأْسِهَا قَائِمَةً بِاللهِ، لَا وَجُودَ لَهَا مَعَ اللهِ، سُمِّيَ هَذَا الْمَقَامَ: حَقُّ الْيَقِينِ. وَمَوَادَّةُ: الْفِكْرَةِ وَالنَّظَرَةِ، وَلِزُومِ الصُّخْبَةِ وَالْخِدْمَةِ. وَلَمْ يَبْقُ بَعْدَ هَذَا، إِلَّا التَّرَقِّي فِي الْمَعْرِفَةِ أَبَدًا سَرْمَدًا فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَفِي تِلْكَ الدَّارِ، إِذْ عَظُمَتِ الْحَقُّ لَا نِهَاطَةٍ لَهَا، فَالتَّرَقِّي لَا نِهَاطَةَ لَهُ. وَقَدْ تَكَلَّمَ أَبُو الْقَاسِمِ الْقَشِيرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَلَى هَذِهِ الْمَقَامَاتِ الثَّلَاثِ؛ أَغْنَى عِلْمُ الْيَقِينِ، وَعَيْنُ الْيَقِينِ، وَحَقُّ الْيَقِينِ فَقَالَ: «عِلْمُ الْيَقِينِ مَا كَانَ بِشَرْطِ الْبُرْهَانِ. وَعَيْنُ الْيَقِينِ مَا كَانَ بِحُكْمِ الْبَيَانِ، وَحَقُّ الْيَقِينِ مَا كَانَ بِنَبْغِ الْبَيَانِ، فَعِلْمُ الْيَقِينِ: لِأَرْبَابِ الْعُقُولِ. وَعَيْنُ الْيَقِينِ: لِأَرْبَابِ الْعُلُومِ. وَحَقُّ الْيَقِينِ: لِأَصْحَابِ الْمَعَارِفِ». وَأَحْسَنُ مِنْهُ، مَا قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْفَرْغَانِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «الْيَقِينُ: هُوَ سُكُونُ الْقَلْبِ وَاسْتِقْرَارُهُ، فَإِذَا أَضْيَفَ هَذَا السُّكُونُ إِلَى النَّفْسِ وَالْعَقْلِ بِنَاءً عَلَى حُجَّةٍ وَذَلِيلٍ يَدْلُهُمَا عَلَى الْأَمْرِ الْمَطْلُوبِ، سُمِّيَ عِلْمُ الْيَقِينِ، وَإِذَا أَضْيَفَ إِلَى الرُّوحِ الرُّوحَانِيَةِ، بِطَرِيقِ زَوَالِ الْحُجُبِ الْحَاطِلَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمَطْلُوبِ، فَتَعَايَنُهُ وَتَشَاهِدُهُ كَمَا هُوَ فِي مَعْدِنِهِ، يُقَالُ لَهُ: عَيْنُ الْيَقِينِ. وَإِذَا أَضْيَفَ ذَلِكَ السُّكُونُ إِلَى السَّرِّ، يُسَمَّى حَقُّ الْيَقِينِ». انتهى مختصراً.

ومثال ذلك في الشاهد: عَلِمْنَا بِوُجُودِ مَكَّةَ مَثَلًا، فَمَا دَامَ الْإِنْسَانُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا، عِنْدَهُ مِنْهَا عِلْمُ الْيَقِينِ، فَإِذَا اسْتَشْرَفَ عَلَيْهَا وَرَأَاهَا، حَصَلَ لَهُ عَيْنُ الْيَقِينِ، فَإِذَا دَخَلَهَا، وَعَرَفَ طَرَفَهَا حَصَلَ لَهُ حَقُّ الْيَقِينِ، وَكَذَلِكَ مَعْرِفَةُ الدَّاتِ الْعَالِيَةِ، فَمَا دَامَ الْعَبْدُ مُؤْمِنًا بِالْغَيْبِ، يَشَاهِدُ الْأَكْوَانِ، وَيَسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى الْمُكُونِ، فَهَذَا الْعِلْمُ الَّذِي عِنْدَهُ بِاللهِ، يُسَمَّى عِلْمُ الْيَقِينِ، فَإِذَا انْقَطَعَ إِلَى اللهِ، وَاتَّصَلَ بِشَيْخِ التَّرْبِيَةِ، فَسَارَ بِهِ حَتَّى غَيَّبَهُ عَنْ شُهُودِ الْأَكْوَانِ، بِشُهُودِ الْمُكُونِ، بِحَيْثُ فَاضَتْ أَنْوَارُ الْمَعَانِي عَلَيْهِ، فَغَيَّبَتْهُ عَنْ شُهُودِ الْأَوَانِي، فَهَذَا يُسَمَّى عَيْنُ الْيَقِينِ، فَإِذَا تَمَكَّنَ مِنَ الشُّهُودِ وَرَسَخَ قَدَمُهُ فِي شُهُودِ الْمَلِكِ الْمَعْبُودِ، فَرَأَى الْمَعَانِي قَائِمَةً بِالْأَوَانِي؛ فَهَذَا يُسَمَّى حَقُّ الْيَقِينِ، وَإِلَى هَذِهِ الْمَقَامَاتِ الثَّلَاثِ، أَشَارَ ابْنُ عَطَاءٍ اللهُ فِي الْحُكْمِ بِقَوْلِهِ: «شِعَاعُ الْبَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ قَرَبَ الْحَقِّ مِنْكَ، وَعَيْنُ الْبَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ عَدَمَكَ لِوُجُودِهِ،

وَحَقُّ الْبَصِيرَةِ، يُشْهَدُكَ وَجُودُ الْحَقِّ لَا عَدَمَكَ، وَلَا وُجُودَكَ، كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ. وهذه المَقَامَاتُ الثلاث: أغني عِلْمَ الْيَقِينِ، وَعَيْنَ الْيَقِينِ، وَحَقَّ الْيَقِينِ، تَجْرِي فِي كُلِّ مَا يُطْلَبُ فِيهِ تَرْبِيَةُ الْيَقِينِ، كَضَمَانِ الرِّزْقِ، وَعَدَمِ الْخَوْفِ مِنَ الْخَلْقِ، وَتَحْدِيدِ الْأَجَلِ، وَجَزَيَانِ مَوَاقِعِ الْقَدَرِ، كَالْبَغْثِ وَمَا بَعْدَهُ، فَأَمَّا ضَمَانُ الرِّزْقِ، فيحصل فيه علم اليقين، بالتفكير في الآيات التي وَرَدَتْ فِيهِ، فكثيرة في كلام الله في شأنه، وكالأحاديث التي وَرَدَتْ عن الصادق المصدوق في ضَمَانِهِ.

فَأَمَّا الْآيَاتُ الَّتِي وَرَدَتْ، فَكَثِيرَةٌ جَدًّا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا عَنْ رِزْقِكَ وَالْعَصِيْبَةُ لِلْعَقِيِّ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَايِنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾. فوسطه بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْإِمَانَةِ. فَكَمَا لَا تَشْكُ أَنْ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكَ؛ وَهُوَ الَّذِي يَمِيتُكَ، ثُمَّ يَحْيِيكَ، فَكَمَا لَا تَشْكُ أَنْ اللَّهَ يَرْزُقَكَ، إِذْ كُلُّهَا سَوَاءٌ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِندَ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَافْقُؤْ تُؤَفَّكُونَ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَمَوَاقِفَ لِبَنِي وَالْإِنْسِ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ، فَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقْتُمْ كَمَا تُرَزَّقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو جُمُاعًا، وَتَرُوحُ بَطَانًا». وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْحِي، أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ، حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ». وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الرِّزْقَ يَطْلُبُ الرَّجُلَ، كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ». إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي لَمْ نَسْتَخْرِجْهَا. وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ تَكْفُلُ بِرِزْقِ طَالِبِ عِلْمٍ». فَالْمُرَادُ بِهِ تَكْفُلٌ خَاصٌّ؛ وَهُوَ إِيْتَاؤُهُ بِغَيْرِ سَبَبٍ، وَلَا تَعَبٍ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ تَكْفَّلَ بِرِزْقِ جَمِيعِ عِبَادِهِ، لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ سَتَرَ ذَلِكَ بِرِذَائِهِ الْجُحْمَةِ؛ وَهُوَ وَجُودُ الْأَسْبَابِ الْعَادِيَةِ.

وَمَنْ اشْتَغَلَ بِطَلَبِ الْعِلْمِ النَّافِعِ مُخْلِصًا فِيهِ، أَنَاهُ رَزَقَهُ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ، وَإِنَّمَا سَتَرَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ هَذَا الضَّمَانَ بِرِذَائِهِ الْجُحْمَةِ؛ وَهُوَ وَجُودُ الْأَسْبَابِ؛ لِأَنَّ إِبْرَارَ

الرِّزْقِ، مِنْ عَيْنِ الْمِئَةِ ظَاهِراً مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ كَشَفَ لِأَسْرَارِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهَنَكَ لِأَسْتَارِ عِظَمَةِ الْأَلُوْهِمِيَّةِ. فِي هَذِهِ الدَّارِ الَّتِي هِيَ دَارُ التَّكْلِيفِ، لَا دَارَ التَّعْرِيفِ لِتَظْهَرِ مَرِيَّةُ الْإِيْمَانِ بِالْغَيْبِ، فَلَا بُدَّ مِنْ رَدَاءِ الْحِكْمَةِ أَنْ يُنْشَرَ عَلَى تَصَرُّفِ الْقُدْرَةِ، فَيَنْقُضَ السُّرُّ مَصُوناً، وَالْكَثْرُ مَذْفُوناً، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ظَهَرَتِ الْقُدْرَةُ، وَبَطِنَتِ الْحِكْمَةُ، فَظَهَرَتِ الْأَسْرَارُ بِأَدِيَةِ الْأَنْوَارِ، فَتَبَرَّزَ حَيْثُيْلُ الْأَرْزَاقِ مِنْ عَيْنِ الْمِئَةِ، بِأَدِيَةِ ظَاهِرَةِ مِنْ غَيْرِ رَدَاءٍ وَلَا سِتْرِ؛ لِأَنَّهَا دَارُ التَّعْرِيفِ، لَا دَارَ التَّكْلِيفِ، فَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ ثَمَرَةُ الْإِيْمَانِ، وَيَتِمُّزُ الرِّئْخُ مِنَ الْخُسْرَانِ، بِاعْتِبَارِ مَا عَرَسُوا هُنَا.

فَعِلْمُ الْغَيْبِ بِهَذَا الضَّمَانِ، مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي قَدَّمْنَا، وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، يُسَمَّى عِلْمَ الْيَقِينِ، فَإِذَا أَرَادَ تَحْصِيلَ عَيْنِ الْيَقِينِ، فَلْيَنْقَطِعْ إِلَى اللَّهِ انْقِطَاعاً كُلِّيّاً، وَيَتَجَرَّدَ عَنِ الْأَسْبَابِ قَلْباً وَقَالِباً، فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِيهِ بِرِزْقِهِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَرِزْقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ، كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ مَوْزَنَةٍ، وَرِزْقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَلَيْسَ كُنْ تَحْتَ قَهْرِيَّةِ الْفَاقَةِ، حَتَّى يَذُوقَ أَسْرَارَهَا، وَيَحْصُلَ لَهُ عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ». إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ بِالسَّبَبِ، وَبِلَا سَبَبٍ، فَإِذَا رَسَخَ فِيهِ هَذَا الْعِلْمُ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ خَضَمٌ وَلَا وَهْمٌ، سُمِّيَ ذَلِكَ حَقُّ الْيَقِينِ.

وَأَمَّا عَدَمُ الْخَوْفِ مِنَ الْخَلْقِ، فَيَحْصُلُ فِيهِ عِلْمُ الْيَقِينِ، فِي التَّفَكُّرِ فِي الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى تَوْحِيدِ الْأَفْعَالِ، وَأَنَّهُ لَا فَاعِلَ إِلَّا اللَّهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُمْ بِصَاحِبِينَ بِهِ مِنْ أَمْرٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَقَعْلُ مَا يُرِيدُ﴾. وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ بِمَا يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ ﷺ، قَالَ لَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ عَلَى أَنْ يَضْرُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَقْدِرْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، جُعِلَتْ الْأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ، فَإِذَا أَرَادَ تَحْصِيلَ عَيْنِ الْيَقِينِ، فَلْيُورِدْ مَوَاطِنَ الْحُتُوفِ وَالْأَمَاكِنِ الَّتِي خَافَ بِهَا النَّاسُ مِنْ غَيْرِ تَقْرِيرٍ. حَتَّى يَكْتَسِبَ عَيْنَ الْيَقِينِ. فَإِذَا دَامَ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ، تَمَكَّنَ فِيهِ حَقُّ الْيَقِينِ. وَتَحَقَّقَ حَيْثُيْلُ ذَوْقاً وَكُشْفاً، أَلَّا فَاعِلَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا فَاعِلَ سِوَاهُ، ثُمَّ إِذَا وَجَدَ مِنْ يَسِيرِ بِهِ إِلَى اللَّهِ،

حَصَلَ لَهُ تَوْحِيدُ الذَّاتِ، وَأَنَّهُ لَا مَوْجُودَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُوَ النِّهَايَةُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ إِلَهَ رَبِّكَ الْغَنِيُّ﴾.

وَأَمَّا تَخْلِيدُ الْأَجَلِ، وَجَرَيَانُ مَوَاقِعِ الْقَدَرِ؛ فَقَدْ تَقَدَّمَتِ الْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى ذَلِكَ. فَإِذَا تَأَمَّلَ فِيهَا مُفَرِّغاً قَلْبَهُ، حَصَلَ لَهُ عِلْمُ الْيَقِينِ، فَإِذَا أَرَادَ تَحْصِيلَ عَيْنِ الْيَقِينِ، فَلْيَرِذْ أَيْضاً مَوَاضِعَ الْخَوْفِ، وَمَوَاطِنَ الْحُتُوفِ؛ كَبَلَدِ الْوَبَاءِ، إِنْ كَانَ لَهُ يَقِينٌ فِي التَّوْحِيدِ، أَوِ الصَّبْرِ فِي بَلَدِهِ، حَتَّى يَحْصَلَ لَهُ عَيْنُ الْيَقِينِ. إِنَّ الْأَجَلَ مَخْدُودٌ، وَقَدْ يَحْصُلُ عَيْنُ الْيَقِينِ، بِالنَّظَرِ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، وَيَأْشَرُ الْحُتُوفِ، وَسَكَنَ مَوَاطِنَ الْهَلَكَةِ؛ وَهُوَ سَالِمٌ. فَإِذَا دَامَ فِي مَوَاطِنِ الْخَوْفِ، حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ قَلْبِهِ الْعِلْمُ الْيَقِينِيُّ، حَصَلَ لَهُ حَقُّ الْيَقِينِ.

وَأَمَّا الْبَغْثُ وَمَا بَعْدَهُ، فَأَمْرٌ شَهِيرٌ، وَآيَاتُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَجُلُّ النَّاسِ حَصَلَ لَهُمْ فِيهِ عِلْمُ الْيَقِينِ، وَلَا يَحْصُلُ عَيْنُ الْيَقِينِ، وَحَقُّ الْيَقِينِ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، وَيَرَاهَا النَّاسُ عَيْنَانَا، فَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ لَهُمْ عَيْنُ الْيَقِينِ، وَحَقُّ الْيَقِينِ، نَعَمْ. قَدْ تَنَوَّارَدُ الْأَنْوَارُ عَلَى الْقَلْبِ فَيَصِيرُ الْعَيْنُ فِي مَعَدِّ الْعِيَانِ، وَالْأَجَلُ فِي مَعَدِّ الْعَاجِلِ. وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ، وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ خَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ بَيْنَهُمْ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَعَاوَنُونَ فِيهَا» الْحَدِيثُ. أَوْ كَمَا قَالَ ذَلِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَانْظُرْهُ كَيْفَ جَعَلَ الْآتِي وَاقِعًا، وَالْغَائِبُ شَاهِدًا؛ وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: «الزَّمُّ قَدْ عَرَفْتَ عَبْدٌ دَخَلَ نُورُ اللَّهِ قَلْبَهُ» أَوْ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَطَرِيقُ اكْتِسَابِ الْيَقِينِ، هُوَ صُخْبَةُ أَهْلِ الْيَقِينِ، وَاللَّهُ مَا أَفْلَحَ مَنْ أَفْلَحَ، إِلَّا بِصُخْبَةِ مَنْ أَفْلَحَ، وَمَنْ تَحَقَّقَ بِحَالَةٍ، لَا يَخْلُو حَاضِرُوهَ مِنْهَا. وَفِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ: «تَعَلَّمُوا الْيَقِينِ، فَإِنِّي أَتَعَلَّمُهُ». وَفِي بَعْضِ رِوَايَةِ أُخْرَى: «تَعَلَّمُوا الْيَقِينِ بِمُجَالَسَةِ أَهْلِ الْيَقِينِ». وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: «إِنَّ اللَّهَ رِجَالًا إِذَا نَظَرُوا أَغْنَوْا» وَكَانَ الشَّيْخُ الشَّاذِلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي شَأْنِ تَلْمِيذِهِ، أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُرْسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو الْعَبَّاسِ، يَأْتِيهِ الرَّجُلُ الْبَدَوِيُّ يَبُولُ عَلَى سَاقِهِ، فَلَا يُنْسِي إِلَّا وَهُوَ وَلِيٌّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ». وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُرْسِيُّ نَفْسُهُ: «وَاللَّهُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ، إِلَّا أَنْ أُنْظَرَ إِلَيْهِ، وَقَدْ أُغْنِيَتْهُ». قُلْتُ: وَكُلُّ زَمَانٍ لَهُ رِجَالٌ يَغْتَوْنُ بِالنَّظَرِ، وَقَدْ أَذْرَكْنَاهُمْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَصَحْبْنَاهُمْ، أَطَهَرَهُمُ اللَّهُ ظُهُورَ نَارِ الْقِرَى عَلَى عِلْمِهِ، بَلْ ظُهُورَ الشَّمْسِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، لَكِنْ لَا بُدَّ لِلشَّمْسِ مِنْ سَحَابٍ، وَلِلْحَسَنَاءِ مِنْ نِقَابٍ:

وَكَمْ مِنْ عَادِلٍ لَيْلَى وَلَمْ يَرَوْجْهَا فَقَالَ لَهُ الْجَرَمَانُ حَسْبُكَ مَا فَاتَ

معراج التشوف إلى حقائق التصوف للعارف بالله أبي العباس سيدي أحمد بنعجية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

1 - الشرح الأول: معراج التشوف إلى حقائق التصوف.

قال الشيخ الإمام، البحر الهمام. الصوفي الكامل، والعارف الواصل بحر الحقائق العرفانية. وشمس المعارف العينية. أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بنعجية الحسيني رضي الله عنه وأرضاه. وجعل في حضرة القدس مثقله ومثواه.

الحمد لله الذي حقق الحقائق، وأوضح الطرائق. والصلاة والسلام على مولانا محمد سيد الخلائق. المخصوص بتواتر المعجزات. وتظاهر الخوارق. ورضي الله تعالى عن أصحابه الأعلام. الذين أظهر الله بهم دينه القويم، في أقصى المغارب والمشارق.

وبعد: فَعِلْمُ التَّصَوُّفِ: هو سَيِّدُ الْعُلُومِ وَرَئِيسُهَا، وَلِبَابُ الشَّرِيعَةِ وَأَسَاسُهَا. وكيف لا وهو تفسير لمقام الإحسان. الذي هو مقام الشهود والعيان. كما أن علم الكلام، تفسير لمقام الإيمان. وعلم الفقه تفسير لمقام الإسلام. وقد اشتمل حديث جبريل عليه السلام، على تفسير الجميع. فإذا تقرر أنه أفضل العلوم، تَبَيَّنَ أَنَّ الْإِشْتَغَالَ بِهِ أَفْضَلُ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، لِكَوْنِهِ سَبَبًا لِلْمَعْرِفَةِ الْخَاصَّةِ، الَّتِي هِيَ مَعْرِفَةُ الْعَيَانِ. وقد اشتمل على حقائق غريبة. وعبارات دقيقة، اصطلاح القوم على استعمالها. فينبغي الوقوف على معانيها. لِمَنْ أَرَادَ الْخَوْضَ فِيهِ. والوقوف على معانيه. وقد أردت بحول الله وقوته أَنْ أَجْمَعَ نَبْذَةً صَالِحَةً مِنْ حَقَائِقِ هَذَا الْفَرْقِ وَاصْطِلَاحَاتِهِ. لَعَلَّ اللَّهَ يَنْفَعُ مَنْ يَرِيدُ الْوُقُوفَ عَلَى هَذَا الْعِلْمِ. وَسَمَّيْتُهُ: مِعْرَاجَ التَّصَوُّفِ، إِلَى حَقَائِقِ التَّصَوُّفِ. وبالله التوفيق؛ وهو الهادي إلى سواء الطريق. وسأذكر لكل حقيقة ما يتصل بها بدايةً ووسطاً ونهايةً.

التَّصَوُّفُ: عِلْمٌ يَعْرِفُ بِهِ كَيْفِيَّةَ السُّلُوكِ؛ إِلَى حَضْرَةِ مَلِكِ الْمُلُوكِ. أَوْ تَصْفِيَّةِ الْبَوَاطِنِ مِنَ الرِّذَائِلِ وَتَحْلِيلِهَا بِأَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ أَوْ غَيْبَةِ الْخَلْقِ فِي شُهُودِ الْحَقِّ، أَوْ مَعَ الرَّجُوعِ إِلَى الْأَثَرِ فِي أَوَّلِهِ عِلْمٌ. وَفِي وَسْطِهِ عَمَلٌ. وَآخِرُهُ مَوْهَبَةٌ. وَاشْتِقَاقُهُ، إِمَّا مِنَ الصُّفَاءِ؛ لِأَنَّ مَذَاهِبَهُ عَلَى التَّصْفِيَّةِ، أَوْ مِنَ الصُّفَّةِ؛ لِأَنَّهُ اتَّصَفَ بِالْكَمَالَاتِ. أَوْ مِنْ صُفَّةِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ؛ لِأَنَّهُمْ مُشَبَّهُونَ بِأَهْلِ الصُّفَّةِ فِي التَّوَجُّهِ وَالْإِنْقِطَاعِ. أَوْ مِنَ الصُّوْفِ. لِأَنَّ جُلَّ لِبَاسِهِمُ الصُّوْفُ. تَقْلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا وَزُهْدًا فِيهَا. إِخْتَارُوا ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لِبَاسَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وَهَذَا الْإِشْتِقَاقُ أَنْسَبُ إِلَيْهِ لُغَةً، وَأَظْهَرُ نِسْبَةً؛ لِأَنَّ لِبَاسَ الصُّوْفِ. حَكْمٌ ظَاهِرٌ عَلَى الظَّاهِرِ. وَنَسْبَتُهُمْ إِلَيْهِ أَمْرٌ بَاطِنٌ. وَالْحَكْمُ بِالظَّاهِرِ أَوْفَقُ وَأَقْرَبُ. وَيُقَالُ: تَصَوَّفَ، إِذَا لَبَسَ الصُّوْفَ. كَمَا يُقَالُ: تَقَمَّصَ إِذَا لَبَسَ الْقَمِيصَ. وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهِ صُوفِي. قَالَ سَهْلٌ:

الصُّوفِي: مَنْ صَفَا مِنَ الْكَدَرِ. وَامْتَلَأَ مِنَ الْفِكْرِ. وَانْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ مِنَ التَّبَشُّرِ، وَاسْتَوَى عِنْدَهُ الذَّهَبُ وَالْمَدَرُ. أَنِّي لَا رَغْبَةَ لَهُ فِي شَيْءٍ دُونَ مَوْلَاهُ. الْجُنَيْنُذُ: الصُّوفِي كَالْأَرْضِ، يَطَأُهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ. وَكَالسَّمَاءِ يُظِلُّ كُلَّ شَيْءٍ، وَكَالْمَطَرِ، يَسْقِي كُلَّ شَيْءٍ.

التَّوْبَةُ: الرَّجُوعُ عَنْ كُلِّ فِعْلٍ قَبِيحٍ، إِلَى كُلِّ فِعْلٍ مَلِيحٍ. أَوْ وَضْفٌ ذَنْبِي، إِلَى التَّحَقُّقِ بِكُلِّ وَصْفٍ سَيِّئٍ. أَوْ عَنْ شُهُودِ الْخَلْقِ، إِلَى الْإِسْتِغْرَاقِ فِي شُهُودِ الْحَقِّ.

وَشُرُوطُهَا: التَّذَمُّ، وَالْإِنْقِطَاعُ وَنَفْيُ الْإِصْرَارِ. وَأَمَّا رَدُّ الْمِظَالِمِ، فَقَرَضُ مُسْتَقْبَلٍ تَصِحُّ بِدُونِهِ. كَمَا تَصِحُّ مِنْ ذَنْبٍ مَعَ الْإِصْرَارِ عَلَى آخَرٍ مِنْ غَيْرِ نَوْعِهِ.

فَتَوْبَةُ الْعَامَّةِ مِنَ الذُّنُوبِ. وَتَوْبَةُ الْخَاصَّةِ مِنَ الْعُيُوبِ، وَتَوْبَةُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ مِنْ كُلِّ مَا يَشْغُلُ السِّرَّ عَنْ عِلَامِ الْغُيُوبِ. وَكُلُّ الْمَقَامَاتِ يَفْتَقِرُ إِلَى التَّوْبَةِ. فَالتَّوْبَةُ تَفْتَقِرُ إِلَى تَوْبَةٍ أُخْرَى بِعَدَمِ نَصُوحِهَا. وَالْخَوْفُ يَفْتَقِرُ إِلَيْهَا، بِحُصُولِ الْأَمْنِ وَالْإِغْتِرَارِ. وَالرَّجَى بِحُصُولِ الْقَنُوطِ وَالْإِيَّاسِ. وَالصَّبْرُ بِحُصُولِ الْجَزَعِ. وَالزُّهْدُ، بِخَوَاطِرِ الرُّغْبَةِ. وَالْوَرَعُ، بِتَتَبُعِ الرُّخْصِ. بِخَوَاطِرِ الطَّمَعِ. وَالتَّوَكُّلُ، بِخَوَاطِرِ التَّذْيِيرِ وَالْإِخْتِيَارِ، وَالْإِهْتِمَامُ بِالرِّزْقِ، وَالرِّضَى، وَالتَّسْلِيمُ بِالْكَرَاهِيَةِ. وَالتَّبَرُّيُّ عِنْدَ نَزُولِ الْأَقْدَارِ. وَالْمِرَاقِبَةُ بِسُوءِ الْأَذْبِ فِي الظَّاهِرِ. وَخَوَاطِرُ السُّوءِ فِي الْبَاطِنِ وَالْمَحَاسَبَةِ بِتَضْيِيعِ الْأَوْقَاتِ، فِي غَيْرِ مَا يَقْرَبُ إِلَى الْحَقِّ. وَالْمَحَبَّةُ بِمِثْلِ الْقَلْبِ، إِلَى غَيْرِ الْمَحْبُوبِ. وَالْمَشَاهِدَةُ بِالتَّفَاتِ السَّرِّ إِلَى غَيْرِ الْمَشْهُودِ. أَوْ بِاشْتِغَالِهِ بِالْوُقُوفِ مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْحَسَنِ وَعَدَمِ زِيَادَةِ التَّرْقِي فِي مَعَارِجِ الْأَسْرَارِ. وَلِذَلِكَ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

والسلام، يستغفر في المجلس الواحد سبعين مرة أو مئة. والتوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء:

الإستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان. وعَدَم الإصرار بالجنان، ومُهاجرة سَيِّءِ الْخِلَافِ.

وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: علامة التوبة النصوح أربعة:

الِقَلَّةُ، والعِلَّةُ، والدَّلَّةُ، والغَرَبَةُ.

الإِنَابَةُ: وهي أَخَفُّ مِنَ التَّوْبَةِ: لِأَنَّهُ رُجُوعٌ يَصْحَبُهُ انْكَسَارٌ، وَتُهُوُّضٌ إِلَى السَّيْرِ. وهي ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: رُجُوعٌ مِنَ الذَّنْبِ إِلَى التَّوْبَةِ. وَمِنْ الْغَفْلَةِ إِلَى الْيَقَظَةِ. وَمِنْ الْفَرَقِ إِلَى الْجَمْعِ عَلَى اللَّهِ.

الْخَوْفُ: انْزِعَاجُ الْقَلْبِ مِنْ لِحَاقِ مَكْرُوهٍ، أَوْ قَوَاتِ مَرْغُوبٍ، وَتَمَرُّنُهُ التُّهُوُّضَ إِلَى الطَّاعَةِ. وَالتُّهُوُّبُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ. فإِظْهَارُ الْخَوْفِ مَعَ التَّقْصِيرِ دَعْوَةٌ. فَخَوْفُ الْعَامَّةِ مِنَ الْعِقَابِ، وَقُوَّةُ الثَّوَابِ، وَخَوْفُ الْخَاصَّةِ مِنَ الْعِقَابِ، وَقُوَّةُ الْإِقْتِرَابِ. وَخَوْفُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ، مِنَ الْإِحْتِجَابِ بِعُرُوضِ سُوءِ الْأَدَبِ.

الرَّجَاءُ: سَكُونُ الْقَلْبِ إِلَى انْتِظَارِ مَحْبُوبٍ، بِشَرْطِ السَّعْيِ فِي أَسْبَابِهِ. وَإِلَّا فَأُمْنِيَّةٌ وَغُرُورٌ. فَرَجَاءُ الْعَامَّةِ حَسَنُ الْمَآبِ بِحُصُولِ الثَّوَابِ، وَرَجَاءُ الْخَاصَّةِ: حُصُولُ الرِّضْوَانِ وَالْإِقْتِرَابِ. وَرَجَاءُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ، التَّمَكُّنُ مِنَ الشُّهُودِ، وَرِيَادَةُ التَّرَقِّي فِي أَسْرَارِ الْمَلِكِ الْمَغْبُودِ. وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ لِلْقَلْبِ، كَجَنَاحَيْ الطَّائِرِ. لَا يَطِيرُ إِلَّا بِهِمَا. وَرُبَّمَا يُرْجَّحُ الرَّجَاءُ عِنْدَ الْعَارِفِينَ. وَالْخَوْفُ عَنِ الصَّالِحِينَ.

الصَّبْرُ: حَبْسُ الْقَلْبِ عَنْ حُكْمِ الرَّبِّ. فَصَبْرُ الْقَلْبِ عَلَى مَشَاقِّ الطَّاعَاتِ. وَرَفْضُ الْمَخَالَفَاتِ. وَصَبْرُ الْخَاصَّةِ: حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الرِّيَاضِيَّاتِ وَالْمَجَاهِرَاتِ. وَازْتِكَابُ الْأَهْوَالِ، فِي سُلُوكِ طَرِيقِ الْأَحْوَالِ. مَعَ مَرَاqَةِ الْقَلْبِ فِي دَوَامِ الْحُضُورِ، وَطَلَبِ رَفْعِ السُّتُورِ. وَصَبْرُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ: حَبْسُ الرُّوحِ وَالسَّرِّ فِي حَضْرَةِ الْمَشَاهِدَاتِ وَالْمُعَايِنَاتِ، أَوْ دَوَامِ النَّظَرَةِ، وَالْعُكُوفِ فِي الْحَضَرَةِ.

الشُّكْرُ: فَرَحُ الْقَلْبِ بِحُصُولِ النِّعْمَةِ، مَعَ صَرْفِ الْجَوَارِحِ فِي طَاعَةِ الْمُتَنِّعِ، وَالْإِعْتِرَافِ بِنِعْمَةِ الْمُتَنِّعِ عَلَى وَجْهِ الْخُضُوعِ، وَمَرْجِعُهُ لثَلَاثَ:

شُكْرُ بِاللِّسَانِ: وَهُوَ إِعْتِرَافُهُ بِالنِّعْمَةِ بِتَغْيِ الْإِسْتِكَانَةِ، وَشُكْرُ بِالْبَدَنِ. وَهُوَ اتِّصَافُهُ بِالْخِدْمَةِ. وَشُكْرُ بِالْقَلْبِ، وَهُوَ شُهُودُ الْمُتَنِّعِ عِنْدَ حُصُولِ النِّعْمَةِ.

الْوَرَعُ: كَفَ النَّفْسِ عَنِ اِزْتِكَابِ مَا تُكْرَهُ عَاقِبَتُهُ. فَوَرَعَ الْعَامَّةُ. تَرَكَ الْحَرَامَ
وَالْمُتَشَابِهَ، وَوَرَعَ الْخَاصَّةُ: تَرَكَ كُلَّ مَا يَكْذُرُ الْقَلْبَ. وَيَجِدُ مِنْهُ كَزَاةً وَظُلْمَةً.
وَيَجْمَعُهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «دَعْ مَا يُرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيْبُكَ». وَوَرَعَ خَاصَّةُ
الْخَاصَّةِ: رَفَضَ التَّعَلُّقَ بِغَيْرِ اللَّهِ. وَسَدَّ بَابَ الطَّمَعِ فِي غَيْرِ اللَّهِ. وَعَكُوفُ اللَّهِ عَلَى
اللَّهُ. وَعَدَمُ الرُّكُونِ إِلَى شَيْءٍ سِوَاهُ. وَهَذَا هُوَ الْوَرَعُ الَّذِي هُوَ مَلَكَ الدِّينِ. كَمَا
قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ حِينَ سُئِلَ. مَا مَلَكَ الدِّينِ؟ فَقَالَ: الْوَرَعُ. فَقِيلَ لَهُ: وَمَا فَسَادُ
الدِّينِ؟ فَقَالَ: الطَّمَعُ. فَالْوَرَعُ الَّذِي يَقَابِلُ الطَّمَعَ، كُلُّ الْمُقَابَلَةِ. هُوَ وَرَعَ خَاصَّةُ
الْخَاصَّةِ. وَجِزُهُ مِنْهُ يَغْدِلُ آلَافًا مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ. وَلِذَلِكَ قَالَ فِي التَّنْوِيرِ:
«وَلَيْسَ يَدُلُّ عَلَى فَهْمِ الْعَبْدِ كَثْرَةُ عَلَيْهِ. وَلَا مُدَاوَمَتُهُ عَلَى وَزْدِهِ. وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى
نُورِهِ وَفَهْمِهِ غِنَاءُ بَرَبِهِ. الْحَيَاشَةُ إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ. وَالتَّحَرُّرُ مِنْ رِقِّ الطَّمَعِ. وَالتَّحَلِّيُّ بِحُلِيَّةِ
الْوَرَعِ. يَغْنِي وَرَعَ الْخَاصَّةِ أَوْ خَاصَّةُ الْخَاصَّةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الرُّهْدُ: خُلُوُّ الْقَلْبِ مِنَ التَّعَلُّقِ بِغَيْرِ الرَّبِّ. أَوْ بُرُودَةُ الدُّنْيَا مِنَ الْقَلْبِ،
وَعُزُوفُ النَّفْسِ عَنْهَا. فَرُهِدَ الْعَامَّةُ: تَرَكَ مَا فَضَّلَ عَنِ الْحَاجَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَرُهِدَ
الْخَاصَّةُ: تَرَكَ مَا يَشْغَلُ عَنِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْأَوَاقَاتِ. وَحَاصِلُ الْجَمِيعِ:
بُرُودَةُ الْقَلْبِ عَنِ السَّوِيِّ، وَعَنِ الرُّغْبَةِ فِي غَيْرِ الْحَبِيبِ؛ وَهُوَ سَبَبُ الْمَحَبَّةِ. كَمَا
قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ». الْحَدِيثُ؛ وَهُوَ سَبَبُ
السَّيْرِ وَالْوُصُولِ. إِذَا لَا سَيْرَ لِلْقَلْبِ إِذَا تَعَلَّقَ بِشَيْءٍ سِوَى الْمَحْبُوبِ.

التَّوَكُّلُ: ثِقَةُ الْقَلْبِ بِاللَّهِ، حَتَّى لَا يَغْتَمِدَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ. أَوْ التَّعَلُّقُ بِاللَّهِ،
وَالْتَعْوِيلُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، عَلِمًا بِأَنَّهُ عَالَمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ. وَأَنْ تَكُونَ فِي يَدِ اللَّهِ،
أَوْثَقُ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِكَ. فَأَذْنَاهُ أَنْ تَكُونَ مَعَ اللَّهِ. كَالْمُتَوَكِّلِ مَعَ الْوَكِيلِ الشَّفِيقِ
الْمَلَاظِفِ. وَوَسْطُهُ كَالطِّفْلِ مَعَ أُمِّهِ، لَا يَزْجَعُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ إِلَّا إِلَيْهَا. وَأَعْلَاهُ أَنْ
تَكُونَ كَالْمَيِّتِ مَعَ الْغَاسِلِ. فَالْأَوَّلُ لِلْعَامَّةِ. وَالثَّانِي لِلْخَاصَّةِ. وَالثَّالِثُ لَخَاصَّةِ
الْخَاصَّةِ. فَالْأَوَّلُ قَدْ يَخْطُرُ بِبَالِهِ تُهْمَةٌ. وَالثَّانِي لَا إِنْهَامَ لَهُ. لَكِنْ يَتَعَلَّقُ بِأُمِّهِ عِنْدَ
الْحَاجَةِ، وَالثَّالِثُ لَا إِنْهَامَ، وَلَا تَعَلُّقَ لَهُ. لِأَنَّهُ فَإِنْ عَنِ نَفْسِهِ. يَنْظُرُ كُلَّ سَاعَةٍ مَا
يَفْعَلُ اللَّهُ بِهِ.

الرُّضَى وَالتَّنْسِلِيمُ: الرُّضَى تَلْقَى التَّمَالِكُ بِوَجْهِ صَاحِبِكِ. أَوْ سُرُورٌ يَجِدُهُ الْقَلْبُ
عِنْدَ حُلُولِ الْقَضَاءِ، أَوْ تَرْكِ الْإِخْتِيَارِ مَعَ اللَّهِ، فِيمَا دَبَّرَ وَأَمَضَى. أَوْ شَرْحُ الصَّدْرِ
وَرَفْعُ الْإِنْكَارِ، لَمَّا يَرِدُ مِنَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

والتسليم: ترك التذبير والإختيار، بالسكون تحث مجاري الأقدار. فيرادف الرضا على الحد الأخير، والرضى أعمّ عنه على الأولين. وقيل الرضى يكون عند النزول؛ وهو التقويض بعينه. فبدايتهما بالصبر والمجاهدة. ووسطهما بالسكون مع خواطر التبرّم والكراهية. ونهايتهما بفرح وسكون مع عدم التبرّم.

فالأول للعامة، والثاني للخاصة، والثالث لخاصة الخاصة. ويُفتقر الخاطر الأول عند الجميع لضعف البشرية، إذ لا يخلو منه بشر.

المراقبة: إدامة علم الغيب باطلاع الرب. أو القيام بحقوق الله سرّاً وجهرّاً. خالصاً من الأوهام. صادقاً في الإخترام؛ وهي أضلّ كلّ خير، ويقدّر لها تكون المشاهدة. فمن عظمت مراقبته، عظمت بعد ذلك مشاهدته.

فمراقبة أهل الظاهر: حفظ الجوارح من الهفوات. ومراقبة أهل الباطن، حفظ القلوب من الإشترسال مع الخواطر والغفلات. ومراقبة أهل باطن الباطن، حفظ السر من المساكنة، إلى غير ذلك.

المحاسبة: عتاب النفس على تضييع الأنفاس والأوقات، من غير أنواع الطاعات. وتكون آخر النهار كما أنّ المشاركة، تكون أول النهار. يقول لنفسه في أول نهاره. هذا يوم جديد؛ وهو عليك شهيد. فاجتهدي في تعمير أوقاتي، بما يقربك إلى الله، ولو ميت بالأمس لفاتك الخير الذي تفوزين به فيه. وكذلك يقول لها عند إقبال الليل، ويحاسبها عند إزبارها. هكذا يدوم عليها معها. حتى تتمكن من الحضرة. فحينئذ يتخذ الوقت؛ وهو الإشتغراق في الشهود. فلا يبقى من يحاسب، ولا من يعاقب. فتحصل أنّ المشاركة أولاً، والمحاسبة أخيراً. والمراقبة دائماً، ما دام في السير. فإذا حصل الوصول، فلا محاسبة ولا مشاركة.

المحبة: ميل دائم بقلب هائم، ويظهر هذا الميل أولاً على الجوارح الظاهرة بالخدمة؛ وهو مقام الأبرار. وثانياً على القلوب الشائقة بالتصفية والتحلية. وهو مقدم المريد من السالكين. وثالثاً على الأرواح والأسرار الصافية. بالتمكين من شهود المحبوب؛ وهو مقدم العارفين. فبداية المحبة، ظهور أثرها بالخدمة. ووسطها ظهور أثرها بالسكر والهيّام. ونهايتها ظهوره بالسكون والصّحو في مقام العرفان. فلهذا انقسم الناس على ثلاث مراتب:

أزباب الخدمة، وأزباب الأخوال، وأزباب المقامات. فبدايتها سلوك، وخدمته، ووسطها جذب وفناء، ونهايتها صحو وبقاء.

المُشَاهَدَةُ وَالْمُعَايَنَةُ: المُشَاهَدَةُ: رؤية الذات اللطيفة، في مَظَاهِرِ تَجَلِّيَّاتِهَا الكَثِيفَةِ. فترجع إلى تكثيف اللطيف، فَإِذَا تَرَقَّقَ الْوِدَادُ، وَرَجَعَتِ الْأَنْوَارُ الكَثِيفَةُ لطيفة؛ فَهِيَ الْمُعَايَنَةُ، فترجع إلى تلطيف الكثيف. فالْمُعَايَنَةُ أَرْقَى مِنَ الْمُشَاهَدَةِ وَأَتَمُّ.

والْحَاصِلُ، أَنَّ شُهُودَ الذَّاتِ، لَا يُمَكِّنُ إِلَّا بِوَاسِطَةِ تَكْثِيفِ أَسْرَارِهَا اللطيفة في مَظَاهِرِ التَّجَلِّيَّاتِ. إِذْ لَا يُمَكِّنُ إِذْرَاكَ اللَّطِيفِ، مَا دَامَ لَطِيفًا. فَرُؤْيَا التَّجَلِّيَّاتِ كَثِيفَةٌ مُشَاهَدَةٌ. وَرَدَّهَا إِلَى أَصْلِهَا بِانْطِبَاقِ بَحْرِ الْأَحَدِيَةِ عَلَيْهَا مُعَايَنَةً، وَقِيلَ هُمَا سَوَاءٌ.

الْمَعْرِفَةُ: وهي التَّمَكُّينُ مِنَ الْمَشَاهِدَةِ وَاتِّصَالِهَا؛ فَهِيَ شُهُودٌ دَائِمٌ، بِقَلْبٍ هَائِمٍ. فَلَا يَشْهَدُ إِلَّا مَوْلَاةً، وَلَا يَفْجُرُ عَلَى أَحَدٍ سِوَاهَا. مَعَ إِقَامَةِ الْعَدْلِ وَحِفْظِ مَرَاسِمِ الشَّرِيعَةِ. فَهَذِهِ حُدُودُ الْمَقَامَاتِ قَدْ انْتَهَتْ فِي الْمَعْرِفَةِ.

التَّقْوَى: وهي إِمْتِثَالُ الْأَوَامِرِ، وَاجْتِنَابُ الْمَنَآكِرِ، فِي الظُّوَاهِرِ وَالسَّرَاطِرِ. وَمَوَاصِلَةُ الطَّاعَاتِ. وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْمَخَالَفَاتِ. فَتَقْوَى الْعَامَّةُ: اجْتِنَابُ الذُّنُوبِ. وَتَقْوَى الْخَاصَّةِ: التَّخَلُّيُّ مِنَ الْعِیُوبِ. وَتَقْوَى خَاصَّةُ الْخَاصَّةِ: الْغَيْبَةُ عَنِ السُّوءِ بِهِ، بِالْعُكُوفِ فِي حَضْرَةِ عَالَمِ الْغُیُوبِ.

الِاسْتِقَامَةُ: إِسْتِعْمَالُ الْعِلْمِ بِأَقْوَالِ الرَّسُولِ ﷺ. وَأَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَخْوَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ، مِنْ غَيْرِ تَعَمُّقٍ وَلَا تَأَنُّقٍ. وَلَا مِثْلَ مَعَ أَوْ هَدْمِ الْوَسْوَاسِ. أَوْ الْخُرُوجِ عَنِ الْمَعْهُودَاتِ، وَمَفَارِقَةِ الرُّسُومِ وَالْعَادَاتِ. أَوْ الْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، عَلَى حَقِيقَةِ الصُّدُقِ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ. وَهِيَ فِي الْأَقْوَالِ بِتَرْكِ الْغِيبَةِ، وَفِي الْأَفْعَالِ بِتَرْكِ الْبِدْعَةِ، وَفِي الْأَخْوَالِ بِعَدَمِ الْخُرُوجِ عَنِ سُنَنِ الشَّرِيعَةِ.

فَاسْتِقَامَةُ الْعَامَّةِ بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ. وَاسْتِقَامَةُ الْخَاصَّةِ، بِالتَّخَلُّقِ بِالْأَخْلَاقِ النَّبَوِيَّةِ. وَاسْتِقَامَةُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ بِالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ الرَّحْمَنِ، مَعَ الْإِسْتِغْرَاقِ فِي حَضْرَةِ الْعِيَانِ.

الِإِخْلَاصُ: إِخْرَاجُ الْخَلْقِ مَعَ مُعَامَلَةِ الْحَقِّ. وَإِفْرَادِ الْحَقِّ تَعَالَى فِي الطَّاعَةِ بِالْقَصْدِ. أَوْ غَيْبَةِ الْقَلْبِ عَنِ غَيْرِ الرَّبِّ. فَإِخْلَاصُ الْعَامَّةِ، تَصْفِيَةُ الْأَعْمَالِ عَنِ مَلَاحِظَةِ الْمَخْلُوقِينَ. وَإِخْلَاصُ الْخَاصَّةِ: تَصْفِيَتُهَا عَنْ طَلَبِ الْعُوضِ فِي الدَّارَيْنِ. وَإِخْلَاصُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ: التَّبَرُّيُّ مِنَ الْحَوَالِ وَالْقُوَّةِ، وَمِنْ رُؤْيَا الْغَيْرِ فِي الْقَصْدِ وَالْحَرَكَةِ حَتَّى يَكُونَ الْعَمَلُ بِاللَّهِ، وَمِنْ اللَّهِ، وَإِلَى اللَّهِ، غَايَةً عَمَّا سِوَاهُ.

الصُّدُقُ: إسقاط حظوظ النفس، في الوجهة إلى الله تعالى. تعويلاً على ثُلج اليقين. أو استواء الظاهر والباطن في الأقوال والأفعال والأحوال أو ملازمة الكتمان، غيرة عن أسرار الرحمن. وحاصله: تصفية الباطن من الإلتفات إلى الغير بالكلية. والفرق بينه وبين الإخلاص، أنَّ الإخلاص يُنفي الشُّركَ الجليي والخفي. والصُّدُقُ يُنفي النفاق والمداينة بالكلية. فمثال الصُّدُقِ مع الإخلاص، كالشَّجَرَةِ لِلذَّهَبِ. فهو يُنفي عنه عوارض النفاق. ويصفيه من كدورة الأوهام. وذلك أن صاحب الإخلاص، لا يخلو من مَداينة النفس، ومُسامحة الهوى، بخلاف صاحب الصُّدُقِ، فإنه يذهب المداينات، ويرفع المسامحات. إذ لا يَشُم رائحة الصُّدُقِ من داهن نفسه أو غيره فيما ذُق أو جُل. وعلاقة الصُّدُقِ: استواء السرِّ والعلانية. فلا يُبالي صاحب الصُّدُقِ بكشف ما يكره إطلاع الناس عليه، ولا يستحيي من ظهوره لغيره إكتفاء بعلم الله به. فصُّدُقُ العامَّة، تصفية الأعمال، من طلب الإعراض. وصُّدُقُ الخاصَّة، تصفية الأحوال، من قُضد غير الله. وصُّدُقُ خاصَّة الخاصَّة: تصفية مشرب التوحيد، من الإلتفاتات إلى ما سوى الله. ويقال لصاحب المقام الأول صادق. والثاني والثالث صديق. وأما التصديق بوجود الحق أو بوجود الخصوصية عند الأولياء، وتعظيمهم لأجلها. فهو تصديق لا صديق. خلاف ما تعتقده بعض فقهاء زماننا هذا. ويقال لمن عظم تصديقه: صديق أيضاً. فالصُّدُقِ يطلق على من عظم صدقه وتصديقه.

الطَّمَأِينَةُ: وهي سكون القلب إلى الله، عارياً عن الثقل والإضطراب. ثقة بضمائه أو اكتفاء بعليه. أو رسوخاً في معرفته. وتكون من وراء الحجاب، بتأثير الأدلة. واستعمال الفكرة، أو بتوالي الطاعة، ومجاهدة الرياضة. وتكون بعد زوال الحجاب، بتمكين النظرة، ورسوخ المعرفة. فقوم اطمأنوا بوجود الله من طريق البرهان أو البيان. وقوم اطمأنوا بشهود الله بعد ظهوره من طريق العيان. فالأول للعلماء، والثاني للعباد والزهاد والصالحين. والثالث للعارفين المتقربين.

الشُّوقُ وَالْإِشْتِياقُ: الشُّوقُ: إفراغ القلب إلى لقاء الحبيب.

والإشتياق: إرتياح القلب إلى دوام الإتصال به. فالشُّوق يزول برؤية الحبيب ولقاؤه. والإشتياق لا يزول أبداً بطلب الروح الزيادة في كشف الأسرار. والقرب إلى الأبد. فشوق العامة إلى زخارف جنائهِ. وشوق الخاصة إلى نيل رضوانهِ. وشوق خاصة الخاصة، إلى حضرة عيانه،

الغيرة: كراهية رؤية حبيبك عند غيرك. فيهيج التنافس في حيازته. قال

الشبلي: الْغَيْرَةُ غَيْرَتَانِ: غَيْرَةُ الْبَشَرِيَّةِ عَلَى الْنفُوسِ، وَغَيْرَةُ الْأُلُوهِيَّةِ عَلَى الْقُلُوبِ. ومعناه: أَنَّ الطَّبِيعَ الْبَشَرِيَّ يَكْرَهُ أَنْ يَرَى مَخْبُوءَهُ عِنْدَ غَيْرِهِ. كَالزَّوْجَةِ مَثَلًا. وَالْحَقُّ تَعَالَى يَكْرَهُ أَنْ يَرَى قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ مُتَعَلِّقَةً بِغَيْرِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَخَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَأَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، قَوْلُهُ ﷺ: «لَا أَحَدٌ أَغْيَرُ مِنْ اللَّهِ». وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. وَمَا فِي الْوُجُودِ إِلَّا الْغَيْرَةُ الْإِلَهِيَّةُ، سَرَتْ فِي مَظَاهِرِ تَجَلِّيَاتِهِ. فَغَيْرَةُ الْنفُوسِ لِلْعَامَّةِ؛ وَهِيَ غَيْرَتُهُمْ عَلَى هَتَكِ حُرْمَةِ حَرِيمِهِمْ. وَغَيْرَةُ الْقُلُوبِ لِلْخَاصَّةِ؛ وَهِيَ غَيْرَتُهُمْ عَلَى قُلُوبِهِمْ، أَنْ تَمِيلَ لَغَيْرِ مُحَبُّوهُمْ. وَغَيْرَةُ الْأَرْوَاحِ وَالْأَسْرَارِ، لَخَاصَّةِ الْخَاصَّةِ؛ وَهِيَ غَيْرَتُهُمْ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ، أَنْ تَلْتَفِتَ إِلَى شَيْءٍ دُونَ مَخْبُوءِهِمْ. وَغَيْرَتُهُمْ عَلَى حَبِيبِهِمْ، أَنْ يَمِيلَ إِلَى غَيْرِهِمْ. وَعَلَى هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، حُقَّ لِلْعَبْدِ أَنْ يَغَارَ كَمَا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

إِذَا لَمْ أَنَا فِسْ فِي هَوَاهُ وَلَمْ أَغْزِ عَلَيْكَ فَفِي مَن لَيْتَ شَعْرِي أَنَا فِسْ
فَلَا تَمَقُّتَن نَفْسِي فَأَنْتَ حَبِيبُهَا فَكُلْ أَمْرِي يَضْبُو إِلَى مَنْ يُجَانِسُ
وقد يغارُ الحقُّ تعالى على أَوْلِيَائِهِ. فَيَنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِمْ إِذَا آذَوْهُمْ. وَمِنْ غَيْرَتِهِ أَيْضًا عَلَيْهِمْ: أَلَّا يُظْهِرَهُمْ لُجْلُمَةَ الْخَلْقِ. فَيُضَيِّعُ بِهِمْ عَلَى خَلْقِهِ، حَتَّى يَلْقَوْهُ تَحْتَ أَسْتَارِ الْخُمُولِ، وَهُمْ عَرَائِشُ حَضْرَتِهِ.

الْفُتُوَّةُ: وَهِيَ الْإِثَارُ عَلَى النَّفْسِ بِمَا تَحِبُّ. وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ بِمَا يَجِبُ. وَلِذَا قِيلَ: لَمْ تَكْمُلِ الْفُتُوَّةَ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَيْثُ يَقُولُ فِي مَوْضِعٍ: لَا يَذْكُرُ فِيهِ أَحَدًا حَتَّى نَفْسِهِ: «أُمْتِي أُمْتِي». وَقِيلَ: أَلَا تَرَى لِنَفْسِكَ فَضْلًا عَلَى غَيْرِكَ. وَالْفُتَى مَنْ لَا خَصْمَ لَهُ، وَمَرَجَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَالتَّوَاضُعِ، وَالشُّجَاعَةُ فِي مَوْطِنِ الْإِضْطِرَابِ. فَفُتُوَّةُ الْعَامَّةِ بِالْأَمْوَالِ، وَفُتُوَّةُ الْخَاصَّةِ بِالنُّفُوسِ. وَفُتُوَّةُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ، بِالْأَرْوَاحِ وَبَذَلِ الْمُهْجِ فِي جَانِبِ الْمُحَبُّوبِ.

الْإِرَادَةُ: هِيَ قُضْدُ الْوُصُولِ إِلَى الْمُحَبُّوبِ بِنَغْتِ الْمَجَاهِدَةِ. أَوِ التَّحَبُّبِ إِلَى اللَّهِ بِمَا يَرْضَى. وَالْخُلُوصُ فِي نَصِيحَةِ الْأُمَّةِ، وَالْأَنَسُ بِالْخُلُوءِ، وَالصَّبْرُ عَلَى مَقَاسَاتِ الْأَهْوَالِ، وَمُنَازَلَاتِ الْأَحْوَالِ، وَالْإِثَارُ لِأَمْرِهِ. وَالْحَيَاءُ مِنْ نَظَرِهِ. وَبَذَلُ الْمَجْهُودِ فِي مُحَبُّوبِهِ. وَالتَّعَرُّضُ لِكُلِّ سَبَبٍ يُوَصِّلُ إِلَيْهِ. وَمَحَبَّةٌ مِنْ يَدْرِ عَلَيْهِ، وَالْقَنَاعَةُ بِالْخُمُولِ، وَعَدَمُ سُكُونِ الْقَلْبِ إِلَى شَيْءٍ دُونَ الْوُصُولِ؛ وَهِيَ أَوَّلُ مَنْزِلَةِ الْقَادِمِينَ طَرِيقَ السَّالِكِينَ.

الْمُرِيدُ: مَنْ لَا إِرَادَةَ لَهُ دُونَ مَوْلَاهُ؛ وَهِيَ ثَلَاثَةُ مَرَاتِبَ: إِرَادَةُ التَّبَرُّكِ

والخُزْمَةُ؛ وهي لَمَنْ ضَعُفَتْ هِمَّتُهُ، أَوْ كَثُرَتْ عِلَاقَتُهُ. وإرادة الوصول إلى الحَزَةِ، وهي لأهل التجريد وقوَّة العَزَم. وإرادة الخِلاَقَةِ وَكَمَالِ المَعْرِفَةِ؛ وهي لَمَنْ ظَهَرَتْ نَجَابَتُهُ. وَكَمَلَتْ أَهْلِيَتُهُ. وَصَرَخَ لَهُ بِالْخِلاَقَةِ مِنْ شَيْخٍ كَامِلٍ. أَوْ هَاتَفَ صَادِقٍ.

المُجَاهِدَةُ: وهي فَطَمُ النَّفْسِ عَنِ المَأْلُوفَاتِ، وَحَمَلُهَا عَلَى مَخَالَفَةِ هَوَاهَا فِي عُمُومِ الأَوَاقَاتِ. وَخَرَقَ عَوَائِدَهَا فِي جَمِيعِ الحَالَاتِ. قَالَ بَغُضُّهُمْ؛ مَرْجِعُهَا إِلَى ثَلَاثٍ: لَا تَأْكُلُ إِلَّا عِنْدَ الفَاقَةِ، وَلَا تَنُومُ إِلَّا عِنْدَ الغَلَبَةِ. وَلَا تَسْكُنُ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ. وَنَهَايَتُهَا المَشَاهِدَةُ، فَلَا مُجَاهِدَةَ بَعْدَهَا. فَلَا تَجْمَعُ مُجَاهِدَةً وَمَشَاهِدَةً. إِذْ نِهَايَةُ التَّغَيُّبِ، تِمَامُ السَّفَرِ. فَإِذَا خَصَلَ الوُصُولُ، فَمَا بَقِيَ إِلَّا الرَّاحَةُ. وَمُشَاهِدَةُ الحَبِيبِ مَعَ حِفْظِ الأَدَبِ، وَهِيَ ثَلَاثٌ: مُجَاهِدَةُ الظُّوَاهِرِ بِدَوَامِ الطَّاعَاتِ وَكَفِّ المَنْهَيَاتِ. وَمُجَاهِدَةُ البَوَاطِنِ، بِنَفْيِ الخَوَاطِرِ الرَّدِئَةِ، وَدَوَامِ الحُضُورِ فِي الحَضْرَةِ القُدْسِيَةِ. وَمُجَاهِدَةُ السَّرَائِرِ بِاسْتِدَامَةِ الشُّهُودِ. وَعَدَمِ الإِلْتِقَاتِ إِلَى غَيْرِ المَعْبُودِ.

الْوِلَايَةُ: وَهِيَ حُصُولُ الأَنْسِ بَعْدَ المَكَابِدَةِ. وَاعْتِنَاقُ الرُّوحِ بَعْدَ المُجَاهِدَةِ. وَحَاصِلُهَا: تَحْقِيقُ الفَنَاءِ فِي الذَّاتِ، بَعْدَ ذَهَابِ حَسَنِ الكَائِنَاتِ. فَيَفْنَى مَا لَمْ يَكُنْ وَيَبْقَى مَا لَمْ يَزَلْ. فَأَوَّلُهَا التَّمَكُّينُ مِنَ الفَنَاءِ، وَنَهَايَتُهَا التَّحْقِيقُ بِالبَقَاءِ، وَبِقَاءِ البَقَاءِ. وَيَبْقَى التَّرَاقِي وَالِإِتْسَاعُ فِيهَا أَبَدًا سَرْمَدًا إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَذْهَمَ لِرَجُلٍ: أَتُحِبُّ أَنْ تَكُونَ لِلَّهِ وَلِيًّا؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ لَا تَرْغَبْ فِي شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَفَرَّغْ نَفْسَكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَأَقْبِلْ بِوَجْهِكَ عَلَيْهِ. يَرِقُ عَلَيْكَ وَيُؤَالِيكَ. وَقَالَ غَيْرُهُ: الْوَلِيُّ مَنْ كَانَ هُمُّهُ اللَّهُ، وَشُغْلُهُ اللَّهُ. وَفَنَاؤُهُ دَائِمًا فِي اللَّهِ. وَتَطْلُقُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ: وَلَايَةُ عَامَّةٍ؛ وَهِيَ لِأَهْلِ الإِيمَانِ وَالتَّقْوَى. كَمَا فِي الْآيَةِ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلَىٰ آلَ اللَّهِ لَا حَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾. وَلَايَةُ خَاصَّةٍ؛ وَهِيَ لِأَهْلِ الإِسْتِشْرَافِ عَلَى الْعِلْمِ بِاللَّهِ. وَلَايَةُ خَاصَّةٍ الْخَاصَّةِ؛ وَهِيَ لِأَهْلِ التَّمَكُّنِ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ. عَلَى نَعْتِ الْعِيَانِ. قِيلَ: مَنْ أَوْلِيََاءُ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: «الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا، حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا». الْحَدِيثُ. فَشَمِلَ الْحَدِيثُ وَلَايَةَ الْخَاصَّةِ، وَخَاصَّةَ الْخَاصَّةِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الْحُرِّيَّةُ: وَهِيَ تَصْفِيَةُ الْبَاطِنِ، مِنْ حُبِّ غَيْرِ الْحَقِّ، حَتَّى لَا تَبْقَى فِيهِ بَقِيَّةٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ؛ وَهَذِهِ الْحُرِّيَّةُ الْكُنُسِيَّةُ؛ وَهِيَ سَبَبُ الظُّفْرِ بِالْحُرِّيَّةِ الْوُهْبِيَّةِ؛ وَهِيَ غِيْبَةُ الْعَبْدِ فِي مَظَاهِرِ الرَّبِّ. فَتَنْتَفِي ظِلْمَةُ الْحُدُوثِ فِي نُورِ الْقَدَمِ. وَتَخْفِي قَوَالِبُ الْعِبُودِيَّةِ، فَهِيَ

تجلي مظاهر الربوبية. فيبقى الخلق بلا خلق. فحينئذ يكتب للعبد عقد الحرية، فتكون عبادة وعبودية. شكراً لا قهراً. كما قال سيد العارفين عليه السلام: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شُكُورًا»، وقال إمام هذه الطائفة: الجُنَيْد: «عبادة العارف تَأْج على الرؤوس». يعني كمال الكمال.

الْعُبُودِيَّةُ: وهي القيام بِآدابِ الربوبية، مع شهود ضعف البشرية. وقال بعضهم: هي القيام بحق الطاعات، بشرط التوقير، والنظر إلى ما فيك بعين التقصير. أو ترك الاختيار. فيما يبدو من الأقدار. أو التبري من الحول والقوة. والإقرار بما يوليك ويعطيك من المنة. وأجمع العبارات فيها، ما قال ابن عطاء الله: حفظ الحدود، والوفاء بالعهد، والرضى بالموجود. والصبر على المفقود. قلت: وأحسن ما في تفسير العبودية، أن تقدّر أن لك عبداً اشتريته بمالك. فكما تحب أن يكون عبدك معك، فكُنْ أنت مع مَوْلَاكَ. فالعبد لا يملك مع سيده شيئاً من نفسه ولا من ماله، ولا يمكنه مع قهرية سيده تدبير ولا اختيار. ولا يتزَيّن إلا بِرِزْقِ الْعَبِيدِ أَهْلِ الْخِدْمَةِ، ويكون عند أمر سيده ونهيهِ. وإذا كان حاذقاً فاهماً عمل ما يرضي سيده، قبل أن يأمره، ويفهم عن سيده بأدنى إشارة، إلى غير ذلك من الآداب المرضية في العبيد المؤدبين. وقال أبو علي الدقاق رضي الله عنه: «العبودية أتم من العبادة» فأول المراتب عبادة. ثم عبودية، ثم عبودية. فالعبادة للعوام، والعبودية للخواص. والعبودية لخواص الخواص. قلت: والعبودية هي الحرية الوهنية. والله تعالى أعلم.

الْقَنَاعَةُ: الإكتفاء بالقسمة وعدم التشوق للزيادة. والاستغناء بالموجود. وترك التشوق إلى المفقود؛ وهي الحياة الطيبة، والرزق الحسن في قوله تعالى: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾. أي والذين هاجروا في سبيل الله، ثم قتل بعضهم أو مات. ليرزقن الله من بقي منهم رزقاً حسناً، وهي من ثمرة الغنى بالله. قال وَهْبُ بْنُ مَتْبَهٍ: «إِنَّ الْعِزَّ وَالْغِنَى خَرَجَا بِجَوْلَانٍ، فَلَقِيَا الْقَنَاعَةَ، فَاسْتَقَرَّا فِيهَا». ومرجعها إلى سد باب الطمع، وفتح باب الوزع. وهي مطلوبة في أمور الدنيا فقط. وأما في أمور الآخرة، أو في زيادة العلم. والترقية في المعرفة فمطلوبة؛ ولذا قيل: «القناعة من الله جزمان».

العَافِيَّةُ: وهي سكون القلب وخلوه من الإنزعاج والاضطراب والتقلب. ثم إن كان بالسكون إلى الله، والرضى عنه؛ فهي العافية الكاملة. وإن كان بجريان

الأسباب الواقفة، فهي العافية العادية، وفي الحديث: «مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ» فعافية العامة: سكونهم إلى الأسباب. فإذا انحرمت إضطربت قلوبهم وتزلزلت لخرابها من نور اليقين. كما قال بعضهم: «نَحْنُ كَالْتُجُومِ، كُلَّمَا اشْتَدَّتِ الظُّلْمَةُ، قَوِيَ نُورُنَا». وقال ذو النون المصري رضي الله عنه: «لَوْ كَانَتْ السَّمَاءُ مِنْ أَجَاجٍ، وَالْأَرْضُ مِنْ نَحَاسٍ، وَمِصْرُ كُلِّهَا عِيَالِي. مَا اهْتَمَمْتُ لَهُمْ بِرِزْقٍ». وعافية خاصة الخاصة: سكونهم إلى شهود الحق. عابيين عن الأسباب وعذمها. غرقى في بحر التوحيد؛ وأسرار التفريد. لا تنزل الهموم بساحتهم. ولا تكدر صفاء شربهم. جعلنا الله منهم.

اليقين: وهو سكون القلب إلى الله يعلم لا يتغير، ولا يحول ولا يتقلب، ولا يزول عند هيجان المحركات، وارتفاع الرئب، في مشاهدة الغيب. وعلامته ثلاثة:

رفع الهممة عن الخلق عند الحاجة. وترك المدح لهم عند العطية. والتنزه عن ذمهم عند المنعة. فيقين العامة بتوحيد أفعاله. فسكنوا إليه في المنع والعطاء. ويقين الخاصة بتوحيد صفائه. فرأوا الخلق موتى، ليس بينهم حركة ولا سكون. يقين خاصة الخاصة، بتوحيد ذاته، فشاهدوه في كل شيء، وعرفوه عند كل شيء. ولم يشهدوا معه شيئاً.

علم اليقين: وعين اليقين، وحق اليقين: علم اليقين ما كان ناشئاً عن البرهان. وعين اليقين، ما نشأ عن الكشف والبيان. وحق اليقين: ما نشأ عن الشهود والعيان. فعلم اليقين لأزباب العقول من أهل الإيمان. وعين اليقين لأزباب الوجدان، من أهل الاستشراق على العيان. وحق اليقين، لأهل الزسوخ والتمكين في مقام الإحسان. ومثال ذلك: كمن سمع بمكة مثلاً ولم يرها. فعنده علم اليقين بوجودها، فإذا استشرف عليها ورآها ولم يدخلها، فعنده عين اليقين. فإذا دخلها وعرف طرقها وأماكنها، فهذا عنده حق اليقين. وكذلك الناس في معرفة الحق تعالى. فأهل الحجاب، استدلوا حتى حصل لهم العلم اليقين بوجود الحق. وأهل السير من المريدين المشرفين على الفناء في الذات، حصل لهم عين اليقين، حين أشرقت عليهم أنوار المعاني. وغابت عنهم ظلال الأواني. غير أنهم باقون في ذهشة الفناء، لم يتمكنوا من دوام شهود الحق. فإذا تمكنوا من دوام شهوده، ورسخت أقدامهم في معرفته. حصل لهم حق اليقين. وهذه نهاية النعمة، وغاية السعادة جعلنا الله منهم بئمه وكرمه آمين.

النَّعْمَةُ: هي مُلَازِمَةُ الأفراح، ومُبَاعَدَةُ الأتراح، وإِصَابَةُ الأغراض، ونَزَاهَةُ الأعراض؛ وهي على قسَمَين: نعمة ظاهرة: كالصحة والعافية. والكِفَايَةُ من الخلال. ونعمة باطنة، كالإيمان والهداية والمعرفة. والنَّاسُ في النعمة الظَّاهِرة على ثلاثة أقسام: قوم فرَحُوا بالنعمة لِمَا لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْمُنْعَةِ، فحُجِّبُوا بِهَا عَنِ الْمُتَعِمِّ. وقوم فرحوا بالنعمة: لِإِقْبَالِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ. حَيْثُ ذَكَرَهُمْ بِهَا. وقوم فرحوا بِالْمُنْعَمِ دُونَ شَيْءٍ سِوَاهُ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾. فشكر الأولَيْن، يَزِيدُ بِزِيَادَتِهَا، وَيَزُولُ بِزَوَالِهَا. وشكر الثالث دائم في السَّراءِ والضَّرَاءِ؛ وهذا هو شكر الخواصِّ.

الْفِرَاسَةُ: وهي خَاطِرٌ يَهْجُمُ عَلَى الْقَلْبِ. أو وارد يتجلى فيه، لَا يُخْطِئُ غَالِباً إِذَا صَفَا قَلْبُ. وفي الحديث: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ. فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِئُورِ اللَّهِ». وهو على حَسَبِ قُوَّةِ الْقُرْبِ والمعرفة. فكلما قَوِيَ الْقُرْبُ، وَتَمَكَّنَتِ الْمَعْرِفَةُ؛ صَدَقَتِ الْفِرَاسَةُ؛ لِأَنَّ الرُّوحَ إِذَا قَرُبَ مِنْ حَضْرَةِ الْحَقِّ، لَا يَتَجَلَّى فِيهَا غَالِباً إِلَّا الْحَقُّ؛ وهي على ثلاث مراتب: فِرَاسَةُ الْعَامَّةِ: وهي كشف ما في ضَمَائِرِ النَّاسِ، وما غَابَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ؛ وهي فِتْنَةٌ فِي حَقٍّ مِنْ لَمْ يَتَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِ الرَّحْمَنِ. وفِرَاسَةُ الْخَاصَّةِ: وهي كشف أَسْرَارِ الْمَقَامَاتِ وَالْمُنَازَلَاتِ. وَالْإِطْلَاعِ عَلَى أَنْوَارِ الْمَلَكُوتِ. وَفِرَاسَةُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ: وهي كشف أَسْرَارِ الذَّاتِ، وَأَنْوَارِ الصِّفَاتِ. وَالغُرُقُ فِي بَحْرِ أَسْرَارِ الْجَبْرُوتِ. وَقَالَ الْكُتَّانِيُّ: هي مَكَاشِفَةُ الْحَقِّ، وَمُعَايِنَةُ الْغَيْبِ. وَقَالَ الْوَاسِطِيُّ: هي سَوَاطِعُ أَنْوَارِ الذَّاتِ، وَتَمَكِينُ جَمَلَةِ السَّرَائِرِ فِي الْغُيُوبِ مِنْ غَيْبٍ إِلَى غَيْبٍ. حَتَّى يَشْهَدَ الْأَشْيَاءَ، مِنْ حَيْثُ أَشْهَدَهُ الْحَقُّ إِثْبَاطَهَا. فَيَتَكَلَّمُ عَلَى ضَمَائِرِ الْخَلْقِ. قُلْتُ: قَوْلُهُ: فَيَتَكَلَّمُ، لَيْسَ بِشَرَطٍ فِي فِرَاسَةِ الْخَاصَّةِ. وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الْخُلُقُ: وهي ملكة تصدر عنه الأفعال بسهولة. ثم إن كَانَتْ الْأَفْعَالُ حَسَنَةً، كَالْجِلْمِ وَالْعَفْوِ وَالْجُودِ وَنَحْوَهَا، سُمِّيَ خُلُقاً حَسَناً. وَإِنْ كَانَتْ سَيِّئَةً، كَالْعُصْبِ وَالْعَجَلَةِ، وَالْبُخْلِ، سُمِّيَ خُلُقاً سَيِّئاً. قَالَ وَهْبٌ: مَا تَخَلَّقَ عَبْدٌ بِخُلُقٍ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ طَبِيعَةً فِيهِ. فَالْخُلُقُ الْحَسَنُ يَكْتَسَبُ. وَالسَّيِّئُ يُجَاهَدُ حَتَّى يَزُولَ. وَالْخُلُقُ الْحَسَنُ يَعْدِلُ الصِّيَامَ وَالْقِيَامَ، وَهُوَ ثَمَرَةُ التَّصَوُّفِ. فَمَنْ لَمْ يُحَسِّنْ خُلُقَهُ فَتَصَوَّفَهُ أَشْجَارٌ بَلَاءِ ثِمَارٍ. وَمَزْجَعُ حُسْنِ الْخُلُقِ، أَلَّا تَغْضَبَ، وَلَا تَبْخَلَ، وَلَا تَحْقِدَ. وَبِاللهِ التَّوْفِيقَ.

الْجُودُ وَالسَّخَاءُ وَالْإِيتَارُ: فالجود: أَلَّا يَصْعَبَ عَلَيْهِ الْبَذْلُ. فَمَنْ أَعْطَى الْبَغْضَ

وَأَبْقَى الْأَكْثَرَ؛ فَصَاحِبُ سَخَاءٍ. وَمَنْ بَذَلَ الْأَكْثَرَ، فَصَاحِبُ جُودٍ. وَمَنْ قَاسَى الضَّرَاءَ وَآثَرَ غَيْرِهِ، فَصَاحِبُ إِثَارٍ. فَجُودُ الْعَامَّةِ بِالْأَمْوَالِ، وَجُودُ الْخَاصَّةِ بِالنَّفُوسِ وَجُودُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ بِالْأَرْوَاحِ يَبْذُلُونَهَا لِلْمَوْتِ بِالْمُجَاهَدَةِ. ثُمَّ تَحْيَا الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ بِالْمُشَاهَدَةِ.

الْفَقْرُ: هُوَ تَفْضُ الْيَدِ مِنَ الدُّنْيَا، وَصِيَانَةُ الْقَلْبِ مِنْ إظهارِ الشُّكُوى. وَنَعْتُ الْفَقِيرِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ: صِيَانَةُ فَقْرِهِ، وَحِفْظُ سِرِّهِ، وَإِقَامَةُ دِينِهِ. قَالَ جَعْفَرُ الْخَلْدِيِّ (١) مَا غَمَضَ عَلَى النَّاسِ: خَدَمْتُ سِتْمَانَةَ شَيْخٍ... فَمَا وَجَدْتُ مَنْ شَفَا قَلْبِي مِنْ أَرْبَعِ مَسَائِلَ حَتَّى رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ، فَقَالَ لِي: «سَلْ عَنِّي مَسَائِلِكَ». فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا الْعَقْلُ؟ فَقَالَ: «أَذْنَاهُ تَرْكُ الدُّنْيَا، وَأَعْلَاهُ تَرْكُ التَّفَكُّرِ فِي ذَاتِ اللَّهِ». قُلْتُ: وَمَا التَّوْحِيدُ؟ فَقَالَ: «كُلُّ مَا أَتَى بِهِ الْوَهْمُ، أَوْ جَلَاةُ الْفَهْمِ، فَرُبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مُخَالِفٌ لِذَلِكَ». فَقُلْتُ: وَمَا التَّصَوُّفُ؟ فَقَالَ: «تَرْكُ الدُّعَاوِي، وَكُتْمَانُ الْمَعَانِي». فَقُلْتُ: وَمَا الْفَقْرُ؟ فَقَالَ: «سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ. يُودِعُهُ فِيمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ. فَمَنْ كَتَمَهُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِهِ. وَزَادَ اللَّهُ مِنْهُ. وَمَنْ بَاخَ بِهِ، نَفَاةُ اللَّهِ عَنْهُ». قُلْتُ: جَوَابُ كُلِّ إِنْسَانٍ عَلَى قَدْرِ مَقَامِهِ. كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «خَاطَبُوا النَّاسَ بِقَدْرِ مَا يَفْهَمُونَ». فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْعَقْلِ: أَعْلَاهُ تَرْكُ التَّفَكُّرِ فِي ذَاتِ اللَّهِ. أَمَا التَّفَكُّرُ فِي كُنْهِ الزُّبُوبِيَّةِ، فَنَهَى عَنْهُ. إِذْ لَا يُدْرِكُ. وَأَمَا التَّفَكُّرُ فِي أَسْرَارِ الزُّبُوبِيَّةِ، وَأَنْوَارِ صِفَاتِهَا، فَلَا عِبَادَةَ أَعْظَمَ مِنْهَا. وَقَوْلُهُ أَيْضاً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي التَّوْحِيدِ، كُلُّ مَا أَتَى بِهِ الْوَهْمُ الْخ: الْوَهْمُ لَا يُدْرِكُ إِلَّا حَسَّ الْكَائِنَاتِ فَهُوَ قَصِيرٌ وَالْفَهْمُ بِلَا ذَوْقٍ، لَا يُدْرِكُ أَسْرَارَ التَّوْحِيدِ لِأَنَّهَا خَارِجَةٌ عَنِ الْوَهْمِ وَذَرْكَ الْعَقْلِ. فَظَهَرَ قَوْلُهُ ﷺ: «كُلُّ مَا أَتَى بِهِ الْوَهْمُ الْخ...» وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فِي شَأْنِ الْفَقْرِ، مَنْ كَتَمَهُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِهِ. أَيُّ فَيَكُونُ مِنَ السَّابِقِينَ. وَيَزِيدُهُ تَعَالَى مِنْ أَسْرَارِهِ وَأَنْوَارِهِ. وَهِيَ خِلَافَةُ الْمَعَامِلَةِ وَالْمَعْرِفَةِ. يَحْكِي عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الدَّقَاقِ، أَنَّهُ جَلَسَ يَوْمًا مَعَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، فَكَانَتْ مِنْهُ غَفْلَةٌ، حَتَّى شَكَا ضَيْقَ حَالِهِ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ، نَامَ بَعْضُهُمْ، فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ وَقَالَ: بِإِلَهِ أُبَلِّغُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الدَّقَاقِ، مَا أَقُولُ لَكَ. ثُمَّ أَتَشَدَّ:

قُلْ لِلرُّوْنِجِلِ مِنْ دَوِي الْأَقْدَارِ الْفَقْرُ أَفْضَلُ شِمَةِ الْأَخْرَارِ
يَا مَنْ شَكَالَ لِخَلْقٍ فِعْلَةً رَبُّهُ هَلَّا شَكَوْتَ تَحْمُلَ الْأَوْزَارِ

(١) وفي القاموس: الخَلَايِي بِضَمِّ الْخَلَاءِ وَسُكُونِ اللَّامِ، غَيْرُ مَنْسُوبٍ لَهُ بَلْ لِقَبِّ.

إِنَّ الَّذِي أَلْبَسْتَهُ مِنْ حُلَلِ الثَّقَى لَوْ شَاءَ رَبُّكَ كُنْتَ عَنْهَا غَارِ
الذِّكْرُ: وَهُوَ إِذَا أُطْلِقَ يَنْصَرِفُ لِذِكْرِ اللِّسَانِ؛ وَهُوَ رُكْنٌ قَوِيٌّ فِي طَرِيقِ
الْوُصُولِ. وَهُوَ مَنَشُورُ الْوَلَايَةِ: فَمَنْ أَلْهِمَ الذِّكْرَ، فَقَدْ أُعْطِيَ الْمَنَشُورَ. وَمَنْ سَلِبَ
الذِّكْرَ فَقَدْ غَزَلَ. فَذِكْرُ الْعَامَّةِ بِاللِّسَانِ. وَذِكْرُ الْخَاصَّةِ بِالْجَنَانِ. وَذِكْرُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ
بِالرُّوحِ وَالسُّرِّ؛ وَهُوَ الشُّهُودُ وَالْعَيَانُ. فَيَذْكُرُ اللَّهُ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ. وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ.
أَيُّ يَعْرِفُ اللَّهَ فِيهِ. وَهَذَا يَخْرُسُ اللِّسَانُ. وَيَبْقَى كَالْمَبْهُوتِ فِي مَحَلِّ الْعَيَانِ. وَيُعَذِّ
ذِكْرُ اللِّسَانِ فِي هَذَا الْمَقَامِ ضَعْفًا وَبَطَالَةً، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

مَا إِنْ ذَكَرْتُكَ إِلَّا هَمَّ يَلْعَنُنِي سِرِّي وَقَلْبِي وَرُوحِي عِنْدَ ذِكْرِكَ
حَتَّى كَأَنَّ رَقِيبًا مِنْكَ يَهْتَفِ بِِي إِيَّاكَ وَنَحَاكَ وَالتُّكْرَارَ إِيَّاكَ
أَمَا تَرَى الْحَقَّ قَدْ لَاحَظَ شَوَاهِدُهُ وَوَاصَلَ الْكُلَّ مِنْ مَعْنَاهُ مَعْنَاكَ
وَقَالَ السِّيُوطِيُّ مُشِيرًا لِهَذَا الْمَقَامِ: الذَّاكِرُونَ فِي ذِكْرِهِ، أَشَدُّ غَفْلَةً مِنَ النَّاسِ
لِذِكْرِهِ؛ لِأَنَّ ذِكْرَهُ سَوَاءٌ.

الْوَقْتُ: قَدْ يَطْلُقُونَهُ عَلَى مَا يَكُونُ الْعِيدُ عَلَيْهِ فِي الْحَالِ. مِنْ قَبْضٍ أَوْ بَسْطٍ،
أَوْ حُزْنٍ أَوْ سُرُورٍ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ: الْوَقْتُ مَا أَنْتَ فِيهِ فِي الْحَالِ. فَإِنْ كُنْتَ
بِالدُّنْيَا، فَوَقْتُكَ الدُّنْيَا. وَإِنْ كُنْتَ بِالْعُقْبَى، فَوَقْتُكَ الْعُقْبَى. يُرِيدُ أَنَّ الْوَقْتَ مَا كَانَ
الْغَالِبَ عَلَى الْإِنْسَانِ. وَقَدْ يَغْتَوُونَ بِهِ الزَّمَانَ، الَّذِي بَيْنَ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ.
يَقُولُونَ، الصُّوفِيُّ ابْنَ وَقْتِهِ. يَرِيدُونَ أَنَّهُ مُشْتَغِلٌ بِمَا هُوَ أَوْلَى بِهِ فِي الْوَقْتِ، لَا يُدَبِّرُ
فِي مُسْتَقْبَلٍ وَلَا مَاضٍ. بَلْ يَهْتَمُّ مَا هُوَ فِيهِ. وَكُلُّ وَقْتٍ لَهُ آدَابٌ تَطْلُبُ فِيهِ. فَمَنْ
أَخْلَ بِأَدَبِهِ مَقْتَهُ. وَلِذَلِكَ قِيلَ: الْوَقْتُ كَالسِّيفِ، فَمَنْ لَا يَتَنَّهُ سَلِمَ، وَمَنْ خَاشَنَهُ
قَصَمَ. وَمَلَايِكَتُهُ، الْقِيَامُ بِأَدَبِهِ. فَوْقَ الْقَهْرِ، آدَابُهُ الرِّضَى وَالتَّسْلِيمُ تَحْتَ مَجَارِي
الْأَقْدَارِ. وَوَقْتُ التَّغْمَةِ، آدَابُهُ الشُّكْرُ، وَوَقْتُ الطَّاعَةِ: آدَابُهُ شُهُودُ الْمِئَةِ مِنَ اللَّهِ.
وَوَقْتُ الْمَعْصِيَةِ: آدَابُهُ التَّوْبَةُ وَالْإِنَابَةُ.

الْحَالُ وَالْمَقَامُ: الْحَالُ مَعْنَى يَرِدُ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّدٍ وَلَا اجْتِلَابٍ؛ وَلَا
تَسَبُّبٍ وَلَا اِكْتِسَابٍ. مِنْ بَسْطٍ أَوْ قَبْضٍ، أَوْ شَوْقٍ أَوْ انزِعَاجٍ، أَوْ هَيْبَةٍ أَوْ اِهْتِيَاجٍ.
وظَهَرَ أَثَرُهُ عَلَى الْجَوَارِحِ قَبْلَ التَّمَكُّنِ، مِنْ شَطْحٍ وَرَقْصٍ وَسَيْرٍ وَهِيَامٍ؛ وَهُوَ أَثَرُ
الْمَحَبَّةِ؛ لِأَنَّهَا تَحْرُكُ السَّاكِنَ أَوَّلًا، ثُمَّ تَسْكُنُ وَتَطْمِئِنُّ. وَلِذَا قِيلَ فِيهَا: أَوَّلُهَا
جُنُونٌ، وَوَسَطُهَا فَنُونٌ، وَآخِرُهَا سَكُونٌ. وَقَدْ يُكْتَسَبُ الْحَالُ بِنَوْعِ تَعَمُّلٍ، كَحُضُورِ

خلق الذكّر، واستعمال السَّماع. وقد يطلب اكتسابه بِخَرْقِ عَوَائِدِ النَّفْسِ، حين يعترىها برودة وفطور. وفزق وكسل. فينبغي أن يتحرّك في تسخينها. مما يثقل عليها من خرق العوائد. وقد يطلق الحال على المَقام. فيقال: فلان صار عنده الشهود مئة حالاً. ومنه قول المجذوب:

حَقَّقْتُ مَا وَجَدْتُ غَيْرَهُ وَأَمْسَيْتُ فِي الْحَالِ هَانِي

وأما المَقام: فهو ما يتحققه العبد بمنازلة واجتهاد؛ من الأدب، وما يتمكن فيه من مقامات اليقين. بتكسب وتطلب. فمقام كل واحد مَوْضِعُ إقامته. فالمقامات تكون أولاً أخوالات حيث لم يتمكن المريد منها؛ لأنها تتحول، ثم تصير مقامات بعد التمكن. كالنوبة مثلاً. تَحْصُلُ ثم تُنْقَضُ؛ حتى تصير مقاماً؛ وهي التوبة النَّصُوحُ؛ وهكذا بقية المقامات. وشرطه: أن لا يَزْتَقِيَ مقاماً حتى يستوفي أحكامه. فَمَنْ لا توبةَ لَهُ، لا تصح له إنابة: رجوع. ومن لا إنابةَ لَهُ، لا تصح له استقامة. ومن لا وَرَعَ لَهُ، لا يصح له زهد. وهكذا. وقد يتحقق المَقَامُ الأول بالثاني، إذا تَرَقَّى عَنْهُ قبل إحصاءه؛ إِنْ كَانَ لَهُ شَيْخٌ كَامِلٌ. وقد يطوي عنه المقامات، ويُدْسُهُ إِلَى الْفَنَاءِ إِنْ رَأَاهُ أَهْلًا بِتَوْقِيدِ قَرِيحَتِهِ. وَرَقَّةٍ فُطْنَتِهِ. فالأحوال مواهب، والمقامات مكاسب. هَذَا مَعْنَى الْمَقَامِ بفتح الميم. وَأَمَّا الْمَقَامُ بِالضَّمِّ، فَمَعْنَاهُ الْإِقَامَةُ. وَلَا يَكْمُلُ لِأَحَدٍ مُنَازَلَةُ مَقَامٍ، إِلَّا بِشُهُودِ إِقَامَةِ الْحَقِّ تَعَالَى فِيهِ. وَفِي الْحُكْمِ، مِنْ عَلَامَاتِ التَّجَرُّعِ فِي النِّهَايَةِ، الرَّجُوعُ إِلَى اللَّهِ فِي الْبِدَايَةِ. وَقَالَ أَيْضاً: مَنْ كَانَتْ بِاللَّهِ بَدَايَتُهُ، كَانَتْ إِلَيْهِ نَهَايَتُهُ.

الْقَبْضُ وَالْبَسْطُ: وَهُمَا خَالَانِ بَعْدَ التَّرْقِي مِنْ حَالِ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ. فَالْقَبْضُ لِلْعَارِفِ، بِمَنْزِلَةِ الْخَوْفِ لِلطَّالِبِ. وَالْبَسْطُ لِلْعَارِفِ بِمَنْزِلَةِ الرَّجَاءِ لِلْمُرِيدِ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْقَبْضِ وَالْخَوْفِ. وَبَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْبَسْطِ. إِنَّ الْخَوْفَ مُتَعَلِّقٌ مُسْتَقْبَلٌ. إِمَّا فَوَاتٍ مَحْبُوبٍ، أَوْ هُجُومٍ مَخْذُورٍ. بِخِلَافِ الْقَبْضِ. فَإِنَّهُ مَعْنَى يَحْصُلُ فِي الْقَلْبِ. إِمَّا بِسَبَبِ أَوْ لَا. وَكَذَلِكَ الرَّجَاءُ يَكُونُ لِمُنْتَظَرٍ مَحْبُوبٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. وَالْبَسْطُ شَيْءٌ مُوْهَبٌ يَحْصُلُ فِي الْوَقْتِ. فَحَقِيقَةُ الْقَبْضِ: إِنْكَمَاشٌ وَضِيقٌ يَحْصُلُ فِي الْقَلْبِ، يُوجِبُ التَّحَرُّكَ وَالْإِنْبِسَاطَ. وَلِكُلِّ وَاحِدٍ آدَابٌ مَذْكُورَةٌ فِي الْمَطْوَلَاتِ.

الْخَوَاطِرُ وَالْوَارِدَاتُ: الْخَوَاطِرُ خُطَابَاتُ تَرْدٍ عَلَى الْقُلُوبِ، تَكُونُ بِإِلْقَاءِ مَلِكٍ أَوْ شَيْطَانٍ. أَوْ حَدِيثِ نَفْسٍ. فَإِذَا كَانَ مِنَ الْمَلِكِ فَلِأَهْلَامٍ. أَوْ مِنَ الشَّيْطَانِ فَوْسُوسٍ. أَوْ مِنَ النَّفْسِ فَهَوَاجِسُ فَمَا وَافَقَ الْحَقَّ، وَدَعَا إِلَى اتِّبَاعِهِ فَمِنَ الْمَلِكِ. وَمَا وَافَقَ

الباطل. أو دَعَا إلى معصية، غالباً فَمِنَ الشَّيْطَانِ، وَقَدْ يَدْعُو إلى الطاعة حيث يَتَرْتَّبُ عليها معصية. كالرياء وحبِّ المَدْح وما دَعَا إلى اتباع الشهوة والدَّعة، أي الراحة، فَمِنَ النَّفْسِ. قال أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاق: مَنْ أَكَلَ الْحَرَامَ، لم يَفَرِّقْ بَيْنَ الْإِلَهَامِ وَالْوَسْوَاسِ. وكذلك مَنْ كَانَ قُوَّتُهُ مَغْلُومًا. وَفَرَّقَ الْجَنِينُ بَيْنَ هَوَاجِسِ النَّفْسِ، وَوَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ. بَأَن مَّا دَعَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ لَا تَنْتَقِلُ عَنْهُ. بلا تعاوده مرَّةً بعد مرَّة. إلَّا بعد مجاهدة كبيرة. ووسواس الشَّيْطَانِ يَنْتَقِلُ عَنْهَا، فإذا خالفته في معصية. انتقل لأُخْرَى. وَرُبَّمَا ذَهَبَ بِالتَّعَوُّذِ وَنَحْوِهِ. وَلِذَلِكَ كَانَتِ النَّفْسُ أَخْبَثَ مِنْ سَبْعِينَ شَيْطَانًا. وَأَمَّا الْوَارِدَاتُ: فهي مَا يَرِدُ عَلَى الْقُلُوبِ مِنَ التَّجَلِّيَّاتِ الْقَوِيَّةِ. أو الْخَوَاطِرِ الْمَحْمُودَةِ. بما لَا يَكُونُ لِلْعَبْدِ فِيهِ تَكَسُّبٌ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْوَارِدَاتِ وَالْخَوَاطِرِ: أَنَّ الْوَارِدَاتِ أَعْمُ مِنَ الْخَوَاطِرِ، لِأَنَّ الْخَوَاطِرَ تَخْتَصُّ بِنَوْعٍ، أَوْ مَا يَنْتَضِمُّ مَعْنَاهُ. وَالْوَارِدَاتُ تَكُونُ وَارِدَةً سُرُورٍ، وَوَارِدَةً حُزْنٍ، وَوَارِدَةً قَبْضٍ، وَوَارِدَةً بَسْطٍ، وَوَارِدَةً شَوْقٍ، وَوَارِدَةً خَوْفٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي. وَقَدْ يَخْتَلِفُهُ شَاهِدٌ حَسِّيٌّ؛ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْحَالِ. وَقَدْ يَأْتِي الْوَارِدُ بِكَشْفِ غَيْبٍ، فَيَجِبُ تَصْدِيقُهُ. إِنْ صَفَا الْقَلْبُ مِنْ كَدُورَةِ الْخَوَاطِرِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

النَّفْسُ وَالرُّوحُ وَالسِّرُّ: النَّفْسُ عِنْدَ الْقَوْمِ، عِبَارَةٌ عَمَّا يُدْمَمُ مِنْ أَفْعَالِ الْعَبْدِ وَأَخْلَاقِهِ. فَالْأَوَّلُ مَا كَانَ مِنْ كَسْبِ الْعَبْدِ كِمَعَاصِيهِ وَمُخَالَفَتِهِ. وَالثَّانِي مَا كَانَ مِنْ جِبَلَتِهِ وَطَبِيعَتِهِ. كَالْكِبَرِ وَالْحَسَدِ وَالْعُصْبِ وَسُوءِ الْخُلُقِ. وَقِلَّةُ الْإِحْتِمَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ؛ يُنْسَبُ لِلنَّفْسِ أَدْبَابًا مَعَ الْحَقِّ. وَالرُّوحُ عِبَارَةٌ عَنْ مَحَلِّ التَّجَلِّيَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَكَشْفِ الْأَنْوَارِ الْمَلَكُوتِيَّةِ. وَالسِّرُّ عِبَارَةٌ عَنْ مَحَلِّ تَجَلِّيَّاتِ الْأَسْرَارِ الْجَبْرُوتِيَّةِ. فَالنَّفْسُ لِلْعَوَامِ، وَالرُّوحُ لِلخَوَاصِّ، وَالسِّرُّ لَخَوَاصِّ الْخَوَاصِّ. النَّفْسُ لِأَهْلِ عَالَمِ الْمُلْكِ. وَالرُّوحُ لِأَهْلِ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ. وَالسِّرُّ لِأَهْلِ عَالَمِ الْجَبْرُوتِ. وَسَتَاتِي حَقَائِقُهَا. وَهَلِ النَّفْسُ وَالرُّوحُ وَالسِّرُّ مُتَعَدَّدَاتٌ فِي نَفْسِهَا. أَوْ مُتَّحِدَةٌ. وَإِنَّمَا تَخْتَلِفُ التَّسْمِيَةُ، بِاخْتِلَافِ التَّصْفِيَةِ. قَالَ بَغْضُهُمْ: النَّفْسُ لَطِيفَةٌ مُودَعَةٌ فِي هَذَا الْقَالِبِ، هِيَ مَحَلُّ الْأَخْلَاقِ الْمَحْمُودَةِ. وَمَحَلُّهَا وَاحِدٌ؛ وَهُوَ الْإِنْسَانُ. فَالنَّفْسُ وَالرُّوحُ مِنَ الْأَجْسَادِ اللَّطِيفَةِ، كَالْمَلَائِكَةِ وَالشَّيَاطِينِ. وَهُمَا سَاكِنَانِ فِي الْإِنْسَانِ. فَكَمَا أَنَّ الْبَصَرَ مَحَلُّ الرُّؤْيَى. وَالْأَذَنُ مَحَلُّ السَّمْعِ وَالْأَنْفُ مَحَلُّ الشَّمِّ مِنْ ذَاتٍ وَاحِدَةٍ. فَكَذَلِكَ مَحَلُّ الْأَوْصَافِ الذَّمِيمَةِ النَّفْسُ. وَمَحَلُّ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ الرُّوحُ. وَأَمَّا السِّرُّ؛ فَهِيَ لَطِيفَةٌ مُودَعَةٌ فِي الْقَلْبِ كَالرُّوحِ، إِلَّا أَنَّهُ أَشْرَفُ مِنَ الرُّوحِ، لِكَمَالِ أَوْصَافِهِ. قَالَ السَّاحِلِيُّ: النَّفْسُ وَالْقَلْبُ وَالرُّوحُ وَالسِّرُّ

والباطن، أسماء لمسمّى واحد، وهي اللطيفة الربّانية، التي كان بها الإنسان إنساناً. وتختلف أسماؤها باختلاف أوصافها. فإن مالت لجهة التقصّ سميت نفساً. وإن تخلصت من مقام الإسلام إلى مقام الإيمان سميت قلباً. وإن تخلّت منه إلى مقام الإحسان، ولكن بقي بها أثر النقص، كأثر الجراحات بعد البرء سميت روحاً. وإن ذهبت تلك الآثار، وصفت، سميت سراً. وإن أشكل الأمر سميت بالباطن. والاختلاف في الروح شهير. قال بعضهم: هي الحياة. وقال بعضهم أعياناً مودعة في هذه القوالب، أجرى الله العادة بخلق الحياة في القوالب، ما دامت الحياة فيه. فالإنسان حي بالحياة. ولكن الأرواح مودعة في القوالب. ولها ترقّ في حال النوم. ومفارقة ورجوع. وهي التي وقع بها النفخ. وأما النفس فهي مخلوقة في الجنين، قبل نفخ الروح بها، يقع التحرك. وهي ملازمة للبدن، لا تفارقه إلا بالموت. فتخرج الروح أولاً، ثم تنقطع النفس، فتقطع الحياة. فالإنسان روح ونفس وجسد، والحشر للجملية، وكذلك العقاب والثواب. والأرواح، مخلوقة قبل الأبدان. سارية فيها سرّيات الآثار في الفحم، والماء في العود الرطب. قلت: هذه الأعيان المودعة في القوالب، هي اللطيفة الربّانية اللهوتية؛ وهي التي تتطور، وتختلف أسماؤها باختلاف تطورها، كما قال الساحلي، والله أعلم. وكون الأرواح حادثة، يجري على مذهب الفرق، وأما أهل الجَمْع فلا حادث عندهم لفناء الكائنات عن نظريهم. قال الجنيد: إذا اقترن الحادث بالقديم، تلاشى الحادث وبقي القديم. وسألت بعض إخواننا العارفين: هل الأزواج حادثة أو قديمة؟ فقال: الرجال: الأشباح عندهم قديمة. يشير إلى مقدم الفناء كما تقدّم. لكثّة سرّ مكتوم.

النُّصْرُ والتَّأْيِيدُ والعِصْمَةُ: النُّصْر تقوية الجوارح على فعل الخير. والتأييد: تقوية البصيرة من داخل. فالْبَاعِثُ الباطني تأييد. والبَطْشُ ومُساعدَة الأسباب من خارج نُصْر، وهو جامع للهداية: التي مرجعها للبصيرة العلمية الكاشفة، لما عليه الشيء بحقيقته. والرُّشْدُ الذي مَرَجَعُهُ إلى الإرادة الباعثة، إلى جهة المساعدة. والتسديد: الذي مَرَجَعُهُ إلى القدرة على توجيه الحركات إلى نحو المطلوب، وتيسيرها عليه من التأييد، ويقرب من التأييد الجامع لما ذَكَرَ العصمة؛ وهي عبارة عن وجود إلهي يسبح في الباطن. يقوى به الإنسان على تحرّي الخير. وتجنب الشر، حتى يصير كمانع في باطنه غير محسوس؛ قاله الغزالي. فهذه سب حقائق الهداية، والرشد، والعصمة، والتسديد، والنُّصرة، والتأييد. وقد علمت كلّها من كلام الغزالي رضي الله عنه. والتحقيق: أن الهداية: هي تصويب العبد إلى طريق

توصله إلى الحق. وقد تطلق على بيانها فقط. والرشد: هو توجيه القلب إلى طريق السعادة. والتشديد: هو القدرة على سلوك طريق الخير، وتجنب الشر. والعصمة: هو وجود إلهي إلى آخر ما تقدم.

الحكمة: وهي إتيان الشيء وإبداعه. ففي العلم: تحقيقه والعمل به. وفي القول: إيجازه وتكثير معانيه. وفي العمل: إتقائه وإكماله. ويقال: ترتبت الحكمة على ثلاث فرق: على السنة العرب، وأيدي الصين. وعقول اليونان. والله تعالى أعلم.

العقل: وهو نور يميز به بين النافع والضار. ويحجز صاحبه عن ارتكاب الأوزار. أو نور روحاني: تدرك به النفس العلوم الضرورية والنظرية. أو قوة مهياة لقبول العلم؛ سمي عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه عما لا ينبغي؛ وهو على قسمين: عقل أكبر، وعقل أصغر. أما العقل الأكبر، فهو أول نور أظهر الله للوجود. ويقال له: الروح الأعظم. ويسمى أيضاً: بالقبضة المحمدية؛ ومن نوره يمتد العقل الأصغر. كما تزداد القمر من نور الشمس فلا يزال نوره؛ بالطاعة والريضة، والتطهير من الهوى، حتى يدخل العبد مقام الإحسان. وتشرق عليه شمس العرفان؛ فينطوي نوره في نور العقل الأكبر. كأنطواء نور القمر عند طلوع الشمس فيرى من الأسرار والغيوب، ما لم يكن يره قبل؛ لأن العقل الأصغر نوره ضعيف لا يدرك. إلا افتقار الصنعة إلى صانعيها. ولا يذري ما وراء ذلك بخلاف العقل الأكبر، فإنه يدرك الصانع القديم. قبل التجلي وبعده لصفاء نوره، وشدة شعاعه. وفي بعض الأخبار: «أول ما خلق الله العقل. فقال له: أقبل، فأقبل. ثم قال له: أذب، فأذب. ثم قال له: أفعذ، ففعد. ثم قال له: قم، فقام. فقال: وعزتي وجلالي، لا خللت خللاً أبغلك إلا فيمن أحببت من عبادي، أو كما قال عليه الصلاة والسلام. والحديث متكلم فيه. فالعقل الأكبر لا يناله إلا المحبون. الذين اختارهم الله لمعرفة الخاصة. وأما العقل الأصغر فيعطيه للخاص والعام. وهو على قسمين: عقل متوهب، وعقل مكسوب. فالموهوب: هو الذي جعله الله فيه غريزة. والمكسوب: هو الذي يكتسب بالتجارب والرياضات. وارتكاب المحن. قال بغضهم: علامة العقل ثلاث: تقوى الله عز وجل، وصدق الحديث، وترك ما لا ينغي. وقال عليه الصلاة والسلام: «ألا وإن من علامات العقل: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والتزود لسكنى القبور، والتأهب ليوم النشور».

وقال بعض الحكماء: خير ما أُعطي الإنسان عقل يزجره. فإن لم يكن فحياء يمنعُه. فإن لم يكن فَمَالٌ يسترُه. فإن لم يكن، فصاعقة تحرقُه، يستريح منه البلاد والعباد. وهل الأزواح قبل الأشباح كان لها عقل؟ والتحقيق أنها كانت لها عقول مقتبسة من العقل الأكبر كذلك أقرت بالزبوية. بل كانت علامة دُرَاكة للأشياء. كما قال ابن البنا. والمعرفة والإدراك، إنما يكونان بالعقل. فلما برزت لعالم الأشباح، أزال الله منها ذلك العقل؛ الذي هو من العقل الأكبر. وأثبت فيها العقل الأصغر؛ عند اجتئان الولد في البطن. فما زال يثمو إلى الحلم. وقيل: إلى أربعين سنة. فإذا اتصل العبد بالطيب، عالجته حتى يؤهله إلى العقل الأكبر، فيكون صاحبه من الأولياء، وبالله التوفيق.

التوحيد: وهو على قسمين: توحيد البرهان. وهو إفراد الحق بالأفعال والصفات والذات عن طريق البرهان. وتوحيد العيان: وهو إفراد الحق بالوجود في الأزل والأبد. وقال الجنيد رضي الله عنه: هو معنى تَضَمُّجَلٍ فيه الرسوم. وتندرج فيه العلوم. ويكون الله كما لم يزل، وأصوله خمسة أشياء: رفع الحدث، وإفراذ القدم، وهجران الإخوان، ومفارقة الأوطان. ونسيان ما علم وجَهِل. قلت: والمعنى الذي تَضَمُّجَلٍ فيه الرسوم؛ هو ظهور أسرار الذات. فإذا وقع الكشف عنها بَعْيِيَّةٍ حَسَنِ الكائنات، التي هي أواني لتلك المعاني، انفردَ الحق بالوجود. ويكون فيما لم يزل. كما كان في الأزل. كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان. فيرتفع الحدث، وينفرد القدم. ويهجر صاحب هذا الذوق جميع الإخوان. إلا مَنْ يستعين بهم على ربه. ويفارق الأوطان في طلب الحق. لأن الهجرة سنة. وينسى ما علم وما جهل. أي يغيب عنه في جنب الكنز الذي ظفِرَ به. وسُئِلَ أيضاً رضي الله عنه عن التوحيد فقال: لَوْنُ التاء لَوْنُ إِيْنائِهِ. ومعنى كلامه رضي الله عنه: أن الذات العلية، كانت لطيفة خفية نورانية، فلما تجلّت بالرسوم والأشكال، تَكَوَّنَتْ بِتَكْوِينِهَا، فَافْهَمَ، وَسَلَّمْ إِنْ لَمْ تَذُقْ. ومقامات التوحيد غير مُتَنَاهِيَةٍ، لأنها تتزايد بِتَزَايِدِ الكَشْفِ والتَرْقِي. فَفَوْقَ التَّوْحِيدِ: التَّفْرِيدُ؛ فإنه أَرْقُ مِنَ التَّوْحِيدِ وأَعْلَى؛ لأنَّ التَّوْحِيدَ يَصْدُقُ عَلَى تَوْحِيدِ أَهْلِ الْعِلْمِ. والتفريد خاص بأهل الذوق، وفوق التفريد.

الأحديّة، والإيحاد، والفرذانيّة، والوحدانيّة، والإنفراد: وهكذا رُتِبَتْهُمْ فِي القوة. فالأحدية مُبَالِغَةٌ فِي الْوَحْدَةِ، والإيحاد مصدر أَوْحَدَ الشَّيْءَ إِذَا صَارَ وَاحِداً.

والفردانية والوحدانية والإنفراد معناها: إفراد الحق بالوجود، ولا يكون إلا بعد انطباق بحر الأحدية على الكل، بحيث لم يبق وجود لغيره قط؛ وهو يذوق ذلك ذوقاً. ويغرق فيه غرقاً. ويقال لأهل هذا المقام: الأفراد والآحاد؛ وهم أكمل من القطب في العلم بالله، كما قال الحاتمي. وخرجون عن دائرة تصرفه. والله تعالى أعلم.

حَقِيقَةُ الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ: هي ذات عليّة أزلية، لطيفة خفيفة، متجلية بالرسوم والأشكال. متصفة بصفات الكمال. واحدة في الأزل. وفيما لا يزال هذا رسمها بالخواص. وأما كنه الحقيقة. فلا يحيط بها إلا هو تعالى.

الْعَمَّا: معناه السحاب، وهو عبارة عن صفة الذات العلية في الأزل قبل التجلي. وحقيقته: صفاء لطيف خفي صافي، لا حد لفوقيته، ولا لتحتيه، ولا لجوانبه الأربع، ولا نهاية لأوليته، ولا لآخريته. خالٍ عن الرسوم والأشكال. متصف بأوصاف الكمال، من القدرة والإرادة والعلم والحياة، والسمع والبصر والكلام. ويجمعه قول ابن الفارض في خمريته:

يَقُولُونَ لِي صِفْهَا فَأَنْتَ بِوُصُوفِهَا خَبِيرٌ أَجَلٌ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمٌ
صَفَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلُطْفٌ وَلَا هَوَا وَنُورٌ وَلَا نَارٌ وَرُوحٌ وَلَا جِسْمٌ
تَقْدِمُ كُلَّ الْكَائِنَاتِ حَدِيثُهَا قَدِيمًا وَلَا شَكْلٌ هُنَاكَ وَلَا رَسْمٌ

ثم تجلّت بالرسوم والأشكال بحيث صار اللطيف كثيفاً، والخفي ظاهراً، والغيب شهادة. فما كان في الأزل، هو عين ما تجلّى به في الأبد. كان الله ولا شيء معه؛ وهو الآن على ما عليه كان. وفي حديث الترمذي، عن ابن رزين العقيلي: قلت يا رسول الله: أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عَمَاءٍ ما فوقه هواء وما تحته هواء» أي كان في خفاء ولطافة، ليس فوقه هواء، ولا تحته هواء. بل عظمة ذاته أحاطت بكل فوق، وبكل تحت، وبكل هواء. وقيل لسيدنا علي كرم الله وجهه: يابن عم رسول الله ﷺ: أين كان ربنا؟ وهل له مكان؟ فتغيّر وجهه وسكت ساعة. ثم قال: قولكم أين الله سؤال عن مكان. وكان الله ولا مكان. ثم خلق الزمان والمكان. وهو الآن كما كان دون زمان ولا مكان. أي كان الله ولا شيء معه. وهو الآن شيء معه فافهم.

الْفَنَاءُ وَالْبَقَاءُ: إذا أطلق الفناء: إنما ينصرف للفناء في الذات. وحقيقته: محو الرسوم والأشكال. بشهود الكبير المتعال. واستهلاك الحس في شهود

المَعْنَى. قال أَبُو المواهب. محوً واضْمِحْلَالٌ. وَذَهَابٌ عَنْكَ وَزَوَالٌ. قال أَبُو سعيد ابن الأعرابي: هُوَ أَنْ تَبْدُو الْعَظَمَةَ وَالْإِجْلَالَ عَلَى الْعَبْدِ. فَتَنْسِيهِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ. وَالْأَحْوَالَ وَالذَّرَجَاتِ، وَالْمَعَامَلَاتِ وَالْأَذْكَارِ. يَفْنِيهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ: وَعَنْ عَقْلِهِ وَعَنْ نَفْسِهِ، وَفَنَائِهِ عَنِ الْأَشْيَاءِ. وَعَنْ فَنَائِهِ عَنِ الْفَنَاءِ؛ لِأَنَّهُ يَغْرُقُ فِي التَّعْظِيمِ. أَيْ تَتَجَلَّى لَهُ عَظَمَةُ الذَّاتِ. فَيَفْنِيهِ عَنْ رُؤْيَا الْأَشْيَاءِ. وَمَنْ جَعَلَتْهَا نَفْسُهُ فَيَصِيرُ عَيْنَ الْعَيْنِ. وَيَغْرُقُ فِي بَحْرِ الْأَحْدِيَةِ. وَقَدْ يُطْلَقُ لِلْفَنَاءِ عَلَى الْفَنَاءِ فِي الْأَفْعَالِ. فَلَا يَرَى فَاعِلًا إِلَّا اللَّهَ. وَعَلَى الْفَنَاءِ فِي الصِّفَاتِ. فَلَا قَدِيرَ وَلَا سَمِيعَ وَلَا بَصِيرَ إِلَّا اللَّهَ. يَغْنِي، أَنَّهُ يَرَى الْخَلْقَ مَوْثًى. لَا قُدْرَةَ لَهُمْ، وَلَا سَمْعَ وَلَا بَصَرَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَبَعْدَ هَذَا، يَقَعُ الْفَنَاءُ فِي الذَّاتِ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

فِيْفَنَى ثُمَّ يَفْنَى ثُمَّ يَفْنَى فَكَانَ فَنَآؤُهُ عَيْنَ الْبَقَاءِ

وَأَمَّا الْبَقَاءُ فَهُوَ الرَّجُوعُ إِلَى شُهُودِ الْأَقْبَرِ، بَعْدَ الْغَيْبَةِ عَنْهُ. أَوْ شُهُودِ الْحَسَنِ بَعْدَ الْغَيْبَةِ عَنْ شُهُودِ الْمَعْنَى. لَكِنْ يَرَاهُ دَائِمًا بِاللَّهِ. وَنُورًا مِنْ أَنْوَارِ تَجَلِّيَاتِهِ. إِذْ لَوْلَا الْحَسَنُ مَا ظَهَرَ الْمَعْنَى، وَلَوْلَا الْوَاسِطَةُ مَا عُرِفَ الْمَوْسُوطُ. فَالْحَقُّ تَعَالَى تَجَلَّى بَيْنَ الضُّدَّيْنِ: بَيْنَ الْحَسَنِ وَالْمَعْنَى. وَبَيْنَ الْقُدْرَةِ وَالْحِكْمَةِ، وَبَيْنَ الْفَرْقِ وَالْجَمْعِ. فَالْغَيْبَةُ عَنْ أَحَدِ الضُّدَّيْنِ فَنَاءٌ. وَرُؤْيَاهُمَا مَعًا بَقَاءٌ. فَالْغَيْبَةُ عَنِ الْحَسَنِ، وَعَنِ الْحِكْمَةِ، وَعَنِ الْفَرْقِ فَنَاءٌ. وَمُلَاحَظَتُهُمَا مَعًا بَقَاءٌ. فَالْبَقَاءُ اتِّسَاعٌ فِي الْفَنَاءِ. بِحَيْثُ لَا يَحْجِبُهُ جَمْعُهُ عَنْ فَرْقِهِ، وَلَا فَنَآؤُهُ عَنْ بَقَائِهِ. وَلَا شُهُودُ الْقُدْرَةِ عَنِ الْحِكْمَةِ. بَلْ يُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. وَيُوفِي كُلَّ ذِي قِسْطٍ قِسْطَهُ. وَقَدْ يُطْلَقُ الْفَنَاءُ عَلَى التَّخَلِّيِ وَالتَّحَلِّيِ. فَيُقَالُ، فَنَى عَنْ أَوْصَافِهِ الْمَذْمُومَةِ. وَبَقِيَ بِالْأَوْصَافِ الْمَحْمُودَةِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الْقُدْرَةُ وَالْحِكْمَةُ: الْقُدْرَةُ عِبَارَةٌ عَنْ إظهار الأظهار على وفق الإرادة. وَالْحِكْمَةُ عِبَارَةٌ عَنْ تَسْيِيرِهَا، بِوُجُودِ الْأَسْبَابِ وَالْعِلَلِ. فَالْقُدْرَةُ تَبَرُّزٌ، وَالْحِكْمَةُ تَسْتُرٌ. وَالْقُدْرَةُ لَا تَنْفَكُ عَنِ الْحِكْمَةِ إِلَّا نَادِرًا، فِي مُعْجَزَةٍ أَوْ كَرَامَةٍ أَوْ شُعُودَةٍ. وَقَدْ تُطْلَقُ الْقُدْرَةُ عَلَى الذَّاتِ بَعْدَ تَجَلِّيَتِهَا. مِنْ إِبْطَالِ الصِّفَةِ عَلَى الْمَوْصُوفِ. وَالْحِكْمَةُ مَا يَسْتُرُهَا مِنَ الْحَسَنِ، وَأَوْصَافِ الْبَشَرِيَّةِ. وَأَحْكَامِ الْعِبُودِيَّةِ. فَظُهُورُهُ تَعَالَى بِمَقْتَضَى اسْمِهِ الظَّاهِرِ، يُسَمَّى قُدْرَةً. وَبَطُونُهُ فِي ظُهُورِهِ؛ بِمَقْتَضَى اسْمِهِ الْبَاطِنِ، يُسَمَّى حِكْمَةً. فَتَجَلِّيهِ تَعَالَى مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ إِلَى عَالَمِ الشَّهَادَةِ قُدْرَةٌ. وَخَفَاؤُهُ فِي ظُهُورِهِ حِكْمَةٌ. وَإِلَيْهِ يُشِيرُ قَوْلُ الْحَكَمِ. سُبْحَانَ مَنْ سَتَرَ سِرَّ الْخُصُوصِيَّةِ، بِظُهُورِ وَضْفِ الْبَشَرِيَّةِ. وَظَهَرَ بِعَظَمَةِ الرِّبُوبِيَّةِ، فِي إظهار العبودية.

الْفَرْقُ وَالْجَمْعُ: الْفَرْقُ عِبَارَةٌ عَنْ شَهْوٍ حَسٍّ الْكَائِنَاتِ، وَالْقِيَامُ بِأَحْكَامِهِ وَأَذَابِهِ، مِنَ الْعِبَادَةِ وَالْعِبُودِيَّةِ. وَالْجَمْعُ عِبَارَةٌ عَنْ شَهْوٍ الْمَعْنَى الْقَائِمِ بِالْأَشْيَاءِ، مُتَصِلًا بِالْبَحْرِ الْمَحِيطِ الْجَبْرُوتِيِّ. أَوْ تَقُولُ: الْفَرْقُ شَهْوٍ الْقَوَالِبِ. وَالْجَمْعُ شَهْوٍ الْمَظَاهِرِ. فَالْقَوَالِبُ مَحَلُّ الشَّرَائِعِ، وَالْمَظَاهِرُ، حَقِيقَةُ الْحَقَائِقِ. وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْمَذَاقُ: الْفَرْقُ مَا نُسِبَ إِلَيْكَ. وَالْجَمْعُ مَا سُلِبَ عَنْكَ. قَالَ الْفَرْقُ بِلَا جَمْعٍ فَسُوقٌ، وَجَمُودٌ وَجَهْلٌ بِاللَّهِ تَعَالَى. وَالْجَمْعُ بِلَا فَرْقٍ زَنْدَقَةٌ وَكُفْرٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِلَا سُكْرِ؛ لِأَنَّهُ يُوْدِي إِلَى إِبْطَالِ الشَّرَائِعِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَإِلَى إِبْطَالِ الْحِكْمَةِ. وَالْقُدُورَةُ لَا تَنْفَكُ عَنِ الْحِكْمَةِ. فَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مُجْمُوعًا فِي فَرْقِهِ. مَفْرُوقًا فِي جَمْعِهِ. الْجَمْعُ فِي الْبَاطِنِ مُوجُودٌ. وَالْفَرْقُ عَلَى الظَّاهِرِ مُشْهُودٌ.

الْحِسُّ وَالْمَعْنَى: الْحِسُّ عِبَارَةٌ عَنْ تَكْثِيفٍ لِلْأَشْيَاءِ ظَاهِرًا. وَالْمَعْنَى عِبَارَةٌ عَنْ تَلْطِيفِهَا بِاطْنًا. فَحِسُّ الْكَائِنَاتِ أَوَانٌ حَامِلَةٌ لِلْمَعَانِي. قَالَ الشُّشْتَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا تَنْظُرْ إِلَى الْأَوَانِي. وَخُضْ بِخَرِّ الْمَعَانِي. لَعَلَّكَ تَرَانِي. فَمِثَالُ الْكَوْنِ؛ كَالثَّلْجَةِ، ظَاهِرُهَا ثَلَجٌ، وَبَاطِنُهَا مَاءٌ. كَذَلِكَ الْكَوْنُ، ظَاهِرُهُ حِسٌّ. وَبَاطِنُهُ مَعْنَى.

وَالْمَعْنَى هِيَ أَسْرَارُ الذَّاتِ اللَّطِيفَةِ الْقَائِمَةِ بِالْأَشْيَاءِ. فَقَدْ سَرَتْ الْمَعَانِي فِي الْأَوَانِي سَرِيانَ الْمَاءِ فِي الثَّلْجَةِ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ قُطُبُ الْأَقْطَابِ: الشَّيْخُ الْجِبْلَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَمَا الْكَوْنُ فِي الثَّمَنَالِ إِلَّا كَثَلْجَةٍ وَأَنْتَ لَهَا الْمَاءُ الَّذِي هُوَ نَائِعٌ
فَمَا الثَّلْجُ فِي تَحْقِيقِنَا غَيْرُ مَائِهِ وَغَيْرَانِ فِي حُكْمِ دَعْنِهِ الشَّرَائِعُ
فَلَا قِيَامَ لِلْحِسِّ إِلَّا بِالْمَعْنَى، وَلَا ظُهُورَ لِلْمَعْنَى إِلَّا بِالْحِسِّ. فَالْمَعْنَى رَقِيقَةٌ لَطِيفَةٌ لَا تُدْرِكُ إِلَّا بِتَحَسُّسِهَا فِي قَوَالِبِ الْكَائِنَاتِ. فَظُهُورُ الْمَعْنَى بِلَا حِسٍّ مُحَالٌ. وَشَهْوَةُ الْحِسِّ بِلَا مَعْنَى جَهْلٌ وَظُلْمَةٌ. وَلِذَلِكَ قَالَ فِي الْحِكْمِ: الْكَوْنُ كُلُّهُ ظُلْمَةٌ. وَإِنَّمَا أَنَارَهُ ظُهُورُ الْحَقِّ فِيهِ الْخ. . . فَلَا يُرَى الْحَقُّ تَعَالَى، إِلَّا بِوَسِيطَةِ التَّجَلِّيَّاتِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ بَعْضُهُمْ «وَلَيْسَتْ ثَنَالُ الذَّاتِ مِنْ غَيْرِ مَظْهَرٍ» وَلَوْ هُنَاكَ الْإِنْسَانُ مِنْ شِدَّةِ الْحَرَصِ.

الْمُلْكُ وَالْمَلَكُوتُ وَالْجَبْرُوتُ: الْمُلْكُ مَا ظَهَرَ مِنْ حِسِّ الْكَائِنَاتِ. وَالْمَلَكُوتُ مَا بَطَنَ فِيهَا مِنْ أَسْرَارِ الْمَعَانِي. وَالْجَبْرُوتُ: الْبَحْرُ الْمَحِيطُ الَّذِي تَدْفُقُ مِنْهُ الْجِسُّ وَالْمَعْنَى. وَالْحَاصِلُ: أَنَّ الْقَبْضَةَ الَّتِي ظَهَرَتْ أَوَّلًا مِنْ فَضَاءِ الْعَمَاءِ. جِسْمُهَا الظَّاهِرُ مُلْكٌ. وَمَعْنَاهَا الْبَاطِنُ مَلَكُوتٌ. وَالْبَحْرُ اللَّطِيفُ الْمَحِيطُ الَّذِي تَدْفُقَتْ مِنْهُ:

جَبَرُوت. فَأَسْرَارُ الْمَعَانِي رِيَاضُ الْعَارِفِينَ. لِأَنَّهَا مَحَلُّ نَزْهَةِ أَزْوَاجِهِمْ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَعَانِي لَطِيفَةٌ، لَا تَظْهَرُ بِنَهْجَتِهَا إِلَّا فِي الْجِسِّ الَّذِي هُوَ الْمُلْكُ. وَالْجِسُّ مِنْ حَيْثُ هُوَ، مُضَافٌ إِلَى تَبَيُّنَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. لِأَنَّهُ مَا ظَهَرَ إِلَّا لَهُ. وَمَا انْشَقَّتْ أَسْرَارُ الذَّاتِ إِلَّا مِنْ نُورِهِ. فَلِذَلِكَ قَالَ الْقُطُبُ بْنُ مَشِيشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَرِيْبُ الْمَلَكُوتِ بِزَهْرِ جَمَالِهِ مُوْنَقَّةٌ. أَيُّ مُحَسَّنَةٍ مُعْجَبَةٍ. فَقَدْ ذَكَرَ الْمُلْكُ بِالْإِلْتِزَامِ. لِأَنَّ جَمَالَ زَهْرِ الْمَعَانِي، لَا يَظْهَرُ إِلَّا فِي جِسِّ الْكَائِنَاتِ؛ وَهُوَ الْمُلْكُ. وَقَوْلُهُ: وَحِيَاضُ الْجَبَرُوتِ بِفَيْضِ أَنْوَارِهِ مُتَدَفِّقَةٌ. الْأَصْلُ أَنَّ يَقُولُ: وَيَخْرُ الْجَبَرُوتُ بِفَيْضِ نُورِهِ مُتَدَفِّقٌ. يُشِيرُ إِلَى ظَهْوَرِ الْقَبْضَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، مِنْ بَخْرِ نُورِهِ اللَّطِيفِ، وَإِنَّمَا غَبَرَ بِالْحِيَاضِ لِيُنَاسِبَ الرِّيَاضَ، وَإِنَّمَا جَمَعَ نَوْرَ الْقَبْضَةِ لِتَفَرُّعِهِ إِلَى أَنْوَارٍ كَثِيرَةٍ. كَمَا جَمَعَ الْعَالَمِينَ، مَعَ أَنَّ الْعَالَمَ وَاحِدٌ، لِتَعَدُّدِ أَنْوَاعِهِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. فَحَقِيقَةُ الْمُلْكِ: مَا يُدْرِكُ بِالْحِسِّ وَالْوَهْمِ. وَحَقِيقَةُ الْمَلَكُوتِ: مَا يُدْرِكُ بِالْعِلْمِ وَالذُّوقِ. وَحَقِيقَةُ الْجَبَرُوتِ: مَا يُدْرِكُ بِالْكَشْفِ وَالْوُجْدَانِ. فَالْوُجُودُ وَاحِدٌ. وَإِنَّمَا تَخْتَلِفُ النُّسْبَةُ بِاعْتِبَارِ الرُّوْيَةِ وَالتَّرْقِيَةِ. فَمَنْ وَقَفَ مَعَ جِسِّ الْكَائِنَاتِ. وَحُجِبَ بِهَا عَنِ الْمَعْنَى، سُمِّيَ فِي حَقِّهِ مُلْكًا، وَمَنْ تَقَدَّ إِلَى شُهُودِ الْمَعَانِي، سُمِّيَ فِي حَقِّهِ مَلَكُوتًا. وَمَنْ نَظَرَ إِلَى أَصْلِ الْقَبْضَةِ الَّتِي بَرَزَتْ مِنْهُ، سَمَاهُ جَبَرُوتًا. فَإِنَّ ضَمَّ الْفُرُوعِ إِلَى الْأَصُولِ، وَتَلَطُّفِ الْأَوَانِي. حَتَّى صَارَتْ كُلُّهَا مَعَانِي. وَانْطَبَقَ بَخْرُ الْأَحْدِيَةِ عَلَى الْكُلِّ. صَارَ الْجَمِيعُ جَبَرُوتًا، فَكُلُّ مَقَامٍ يَحُجَّبُ عَمَّا قَبْلَهُ.

فَالْمَلَكُوتُ: يَحُجَّبُ عَنْ شُهُودِ الْمُلْكِ. وَالْجَبَرُوتُ: يَحُجَّبُ عَنِ الْمَلَكُوتِ. إِلَّا بِالتَّنَزُّلِ فِي حَالِ السُّلُوكِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

النَّاسُوتُ وَاللَّاهُوتُ وَالرَّحْمُوتُ: النَّاسُوتُ: عِبَارَةٌ عَنْ جِسِّ الْأَوَانِي. وَاللَّاهُوتُ: عِبَارَةٌ عَنْ أَسْرَارِ الْمَعَانِي. وَمَرْجِعُ الْأَوَّلِ لِلْمُلْكِ. وَالثَّانِي لِلْمَلَكُوتِ. وَالرَّحْمُوتُ: عِبَارَةٌ عَنْ سَرَْيَانِ اللَّطْفِ وَالرَّحْمَةِ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ: جَلَالِهَا وَجَمَالِهَا. مَنْ ظَنَّ انْفِكَاكَ لَطْفِ اللَّهِ عَنْ قَدْرِهِ. فَذَلِكَ لِقُصُورِ نَظَرِهِ.

التَّوَّاجِدُ وَالْوُجْدُ وَالْوُجْدَانُ وَالْوُجُودُ: التَّوَّاجِدُ: تَكْلُفُ الْوُجْدِ. وَاسْتِعْمَالُهُ كَاسْتِعْمَالِ الرَّقْصِ وَالشَّطْحِ وَالْقِيَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ وَهُوَ غَيْرُ مُسَلِّمٍ إِلَّا لِلْفُقَرَاءِ الْمُتَجَرِّدِينَ؛ فَلَا بَأْسَ بِتَكْلُفِ الْوُجْدِ وَاسْتِعْمَالِهِ. كَمَا يُطَلَّبُ الْحَالُ دَوَاءً لِلنَّفُوسِ. وَهُوَ مَقَامُ الضَّعْفَاءِ، وَقَدْ تَسْتَعْمَلُهُ الْأَقْوِيَاءُ مُسَاعِفَةً أَوْ حَلَاوَةً. قِيلَ لِأَبِي مُحَمَّدٍ الْجَرِيرِيِّ، مَا حَالُكَ فِي السَّمَاعِ؟ فَقَالَ: إِذَا خَضَرَ هُنَاكَ مُحْتَشِمٌ أَمْسَكْتُ وَجَدِي.

فإذا خَلَوْتُ أَرْسَلْتُ وَجْدِي فتَوَاجَدْتُ. وأما الجُنْدُ؟ فكان أولاً يتَوَاجَدُ، ثُمَّ سَكَرَ. فقبل له يا سَيِّدِي: أَمَا لَكَ فِي السَّمَاعِ شَيْءٌ؟ فقال: ﴿وَرَى الْجِبَالِ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ قلت: وقد حَضَرَتْ سَمَاعاً مع شيخنا البُرَيْدِي رضي الله عنه، فَكَانَ يَتَمَايَلُ يَمِيناً وَشِمَالاً. وَحَدَّثَنِي مِنْ حَضَرِ سَمَاعاً مع شيخه؛ مولاي العربي الدَّرَقَاوِي. فقال: مَا زَالَ قَائِماً يَرْقُصُ حَتَّى كَمَلَ السَّمَاعُ. وَلَا يُنْكَرُ السَّمَاعُ إِلَّا جَاحِذٌ خَالٍ مِنْ أَسْرَارِ الْحَقِيقَةِ. وَأَمَّا الْوُجُدُ: فَهُوَ الَّذِي يَرُدُّ عَلَى الْقَلْبِ وَيُصَادِمُهُ بِلَا تَأَمُّلٍ وَلَا تَكَلُّفٍ. إِنَّمَا شَوْقٌ مُقْلَقٌ، أَوْ خَوْفٌ مُزْعَجٌ؛ وَهُوَ بَعْدَ التَّوَاجُدِ. وَيُقَالُ: التَّوَاجُدُ: ثَمَرَاتُ الْمُنَازَلَةِ، فَهِيَ أَسْرَارُ الْحَقَائِقِ. كَمَا أَنَّ حَلَاوَةَ الطَّاعَاتِ: ثَمَرَاتُ الْمُنَازَلَةِ فِي الطَّاعَةِ الظَّاهِرَةِ. فَكُلَّمَا اشْتَدَّ التَّحَقُّقُ بِأَسْرَارِ الْحَقَائِقِ وَالتَّوْحِيدِ قُوَى الْوُجُدُ. كَمَا أَنَّهُ كُلَّمَا اشْتَدَّ الدَّوَامُ عَلَى الطَّاعَةِ. قَوِيَتْ حَلَاوَتُهَا. وَأَمَّا الْوُجُدَانُ: فَهُوَ دَوَامُ حَلَاوَةِ الشُّهُودِ، وَاتِّصَالُهَا مَعَ غَلَبَةِ السُّكْرِ وَالذَّهْشِ، فَإِنْ اسْتَمَرَّ مَعَ ذَلِكَ، حَتَّى زَالَتِ الذَّهْشَةُ وَالْحَيِيزَةُ، وَصَفَتْ الْفِكْرَةُ وَالنَّظَرَةُ، فَهُوَ الْوُجُودُ. وَإِلَيْهِ يَشِيرُ قَوْلُ الْجُنَيْدِ رضي الله عنه:

وَجُودِي أَنْ أَغِيبَ عَنِ الْوُجُودِ بِمَا يَبْدُو عَلَيَّ مِنَ الشُّهُودِ
وقال أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ رضي الله عنه:

التَّوَاجُدُ يُوجِبُ اسْتِعَابَ الْعَبْدِ. وَالْوُجُدُ: اسْتِغْرَاقُ الْعَبْدِ. وَالْوُجُودُ: يُوجِبُ اسْتِهْلَاكَ الْعَبْدِ. فَهُوَ الْبَخْرُ. ثُمَّ رَكِبَ، ثُمَّ غَرِقَ.

وقال القشيري: وَتَرْتِيبُ هَذَا الْأَمْرِ، قُصُودٌ، ثُمَّ وُرُودٌ، ثُمَّ شُهُودٌ، ثُمَّ وَجُودٌ ثُمَّ خُمُودٌ. فَالْمَقْصُودُ لِلْمُتَوَاجِدِينَ الْقَاصِدِينَ. وَالْوُجُدُ وَالْوُرُودُ لِلْوَاجِدِينَ الشَّارِبِينَ الْخَمْرَةَ. وَالشُّهُودُ لِأَهْلِ الْوُجْدَانِ السُّكَارَى. وَالْوُجُودُ وَالْخُمُودُ لِأَهْلِ الصُّخُو، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الدُّوقُ وَالشُّرْبُ وَالسُّكْرُ وَالصُّخُو: الدُّوقُ يَكُونُ بَعْدَ الْعِلْمِ بِالْحَقِيقَةِ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ بَرَقِ أَنْوَارِ الذَّاتِ الْقَدِيمَةِ عَلَى الْعَقْلِ. فَيَغِيبُ عَنْ رُؤْيَا الْحَدُوثِ فِي أَنْوَارِ الْقَدَمِ. لِكُنْهَ لَا يَدُومُ ذَلِكَ. بَلْ يَلْمَعُ ثَارَةً وَيَخْتْفِي أُخْرَى. فَصَاحِبُهُ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ. فَإِذَا لَمَعَ غَابَ عَنْ حِسِّهِ. وَإِذَا خَفِيَ، رَجَعَ إِلَى حِسِّهِ، وَرُؤْيَا نَفْسِهِ؛ فَهَذَا يَسْمَى عِنْدَهُمْ دُوقاً. فَإِنْ دَامَ لَهُ ذَلِكَ الثَّوَرُ سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ؛ فَهُوَ الشُّرْبُ. وَإِنْ اتَّصَلَ وَدَامَ؛ فَهُوَ السُّكْرُ. وَمَرْجَعُهُ إِلَى فَنَاءِ الرُّسُومِ. وَيَسْمَى أَيْضاً الْفَنَاءُ. فَإِنْ رَجَعَ إِلَى شُهُودِ الْآثَرِ وَقِيَامِهَا بِاللَّهِ، وَأَنَّهَا نُورٌ مِنْ أَنْوَارِ اللَّهِ، فَهُوَ الصُّخُو. وَيَسْمَى أَيْضاً

بِالرِّيِّ وَبِالْبَقَاءِ. لِإِبْقَاءِ الْأَشْيَاءِ بِاللَّهِ بَعْدَ فَنَائِهَا، وَيَسْمَى أَيْضاً: فَنَاءُ الْفَنَاءِ؛ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثُمَّ شَيْءٌ بَعَيْنِهِ. غَيْرَ الْوَهْمِ وَالْجَهْلِ؛ وَهَمَّا لَا حَقِيقَةَ لَهُمَا. قَالَ الْقَشِيرِيُّ: وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّخَوْ عُلُوُّ قَدْرِ السُّكْرِ. فَكُلُّ مَنْ كَانَ سَكْرُهُ بِحَقٍّ، كَانَ صَحْوُهُ بِحَقٍّ. وَمَنْ كَانَ سَكْرُهُ بِحِظٍّ مَشُوباً. كَانَ صَحْوُهُ بِحِظٍّ مَصْحُوباً. وَمَنْ كَانَ مُحِقّاً فِي حَالِهِ، كَانَ مَحْظُوطاً فِي سَكْرِهِ. ثُمَّ قَالَ: فَمَنْ قَوِيَ حُبُّهُ تَسَرَّمَ بِشَرْبِهِ. وَلِلَّهِ دَرُ الْقَاتِلِ:

شَرِبْتُ كَأْسَ بَعْدِ كَأْسٍ فَمَا نَفَذَ الشَّرَابُ وَلَا زَوِيْتُ
الْمَخْوُ وَالْإِثْبَاتُ: الْمَخْوُ: الْغَيْبَةُ عَنِ الْكَائِنَاتِ فَنَاءً. وَالْإِثْبَاتُ: إِثْبَاتُهَا بَقَاءً. وَيُطْلَقُ عَلَى مَخْوِ الْأَوْصَافِ الذَّمِيمَةِ. وَإِثْبَاتِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ؛ وَهِيَ ثَلَاثُ: مَخْوُ الزُّلَّةِ عَنِ الظُّوَاهِرِ، وَمَخْوُ الْعَقْلَةِ عَنِ الْبَوَاطِنِ. وَمَخْوُ الْعِلَّةِ عَنِ السَّرَائِرِ. فِي مَخْوِ الزُّلَّةِ: إِثْبَاتُ التَّوْبَةِ. فِي مَخْوِ الْعَقْلَةِ: إِثْبَاتُ الْيَقَظَةِ. وَفِي مَخْوِ الْعِلَّةِ: إِثْبَاتُ الصِّفَاءِ.

السُّتْرُ وَالتَّجَلِّيُ: السُّتْرُ عِنْدَهُمْ عِبَارَةٌ عَنْ غَيْبَةِ الْعَبْدِ عَنْ رَبِّهِ، تَزْوِيحاً وَتَنْزِلاً وَشُغْلاً، بِشَأْنِ مِنَ الشُّؤُونِ. وَالتَّجَلِّيُ عِبَارَةٌ عَنْ كَشْفِ الْعَبْدِ بِعَظْمَةِ رَبِّهِ. وَهَذَا قَبْلَ الرَّسُوحِ. وَأَمَّا بَعْدَ الرَّسُوحِ، فَلَا غَيْبَةَ لَهُ. فَالْعَوَامُّ فِي غِطَاءِ السُّتْرِ عَلَى الدَّوَامِ. وَالْخَوَاصُّ بَيْنَ كَشْفٍ وَغِطَاءٍ. وَخَوَاصُّ الْخَوَاصِّ فِي دَوَامِ التَّجَلِّيِ. فَالسُّتْرُ لِلْعَوَامِّ عَقُوبَةٌ. وَلِلْخَوَاصِّ رَحْمَةٌ. إِذْ لَوْلَا أَنَّهُمْ يُسْتَرُّ عَنْهُمْ فِي بَعْضِ الْأَخْيَانِ. لَتَلَاشَوْا عِنْدَ سُلْطَانِ الْحَقِيقَةِ. وَلَكِنَّهُ كَمَا يُظْهِرُ لَهُمْ، يَسْتَرُّ عَنْهُمْ. فَالْخَوَاصُّ بَيْنَ عَيْشٍ وَطَيْشٍ. إِذَا تَجَلَّى لَهُمْ طَاشُوا، وَإِذَا سَتَرَ عَنْهُمْ رَدُّوا إِلَيْهِمْ فَعَاشُوا.

الْمُحَاضَرَةُ وَالْمُكَاشَفَةُ وَالْمُسَامَرَةُ: الْمُحَاضَرَةُ: حُضُورُ الْقَلْبِ مَعَ الرَّبِّ. وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ، إِمَّا بِتَوَاتُرِ الْبُرْهَانِ، أَوْ بِفِكْرَةِ الْاِغْتِبَارِ، أَوْ بِاسْتِيْلَاءِ سُلْطَانِ الذِّكْرِ عَلَى الْقَلْبِ. ثُمَّ بَعْدَهُ الْمُكَاشَفَةُ: وَهِيَ حُضُورُ الْقَلْبِ مَعَ الرَّبِّ. يَنْتَعِ الْبَيَّانُ. غَيْرَ مُفْتَقِرٍ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ إِلَى تَأْمُلِ الدَّلِيلِ. وَتَطَلُّبِ السَّبِيلِ. وَيَكُونُ أَيْضاً مَعَ الْحِجَابِ يَنْتَعِ الْقَرَبُ فِي مَقَامِ الْمُرَاقَبَةِ؛ وَهُوَ لِلْعِبَادِ وَالزُّهَّادِ. وَنَهَايَةُ الْأَسْرَارِ. وَأَمَّا مُكَاشَفَةُ ضَمَائِرِ النَّاسِ، فَلَيْسَتْ بِمَقْصُودَةٍ عِنْدَهُمْ. بَلْ يُعْطَاهَا مَنْ لَمْ يَبْلُغْ هَذَا الْمَقَامَ. وَبَعْدَ الْمُحَاضَرَةِ وَالْمُكَاشَفَةِ. الْمُسَامَرَةُ: وَهِيَ ظُهُورُ أَسْرَارِ الذَّاتِ، فَيُغَيَّبُ الْعَبْدُ عَنْ وَجُودِهِ. وَيُفْرَقُ فِي بَحْرِ الْأَحْدِيَةِ سَاعَةً أَوْ أَكْثَرَ، ثُمَّ يَخْرُجُ؛ وَهِيَ مِنْ بَدَايَةِ الْوُجْدَانِ، وَلَمَعَانِ أَنْوَارِ الْمَشَاهِدَةِ. ثُمَّ بَعْدَهَا الْمَشَاهِدَةُ؛

وَهِيَ دَوَامُ شُهُودِ الْحَقِّ بِلَا تَعَبٍ. أَوْ وُجُودِ الْحَقِّ بِلَا تَهْمَةٍ. وَقَالَ الْجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْمَشَاهِدَةُ: وَجُودُ الْحَقِّ مَعَ فَقْدَانِكَ. وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهَا. وَإِنَّمَا أُعِيدَتْ هُنَا، لِتَرْتِبِهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا. قَالَ الْقَشِيرِيُّ: فَصَاحِبُ الْمَحَاضِرَةِ مَرْبُوطٌ بِآيَاتِهِ. وَصَاحِبُ الْمُكَاشَفَةِ، مَبْشُوطٌ بِصِفَاتِهِ. وَصَاحِبُ الْمَشَاهِدَةِ، مَلْفَى بِذَاتِهِ. قُلْتُ: وَصَاحِبُ الْمُسَامَرَةِ. تَارَةً بِتَارَةٍ. ثُمَّ قَالَ الْقَشِيرِيُّ: صَاحِبُ الْمَحَاضِرَةِ، يَهْدِيهِ عَقْلُهُ. وَصَاحِبُ الْمَكَاشَفَةِ، يُدْنِيهِ عِلْمُهُ. وَصَاحِبُ الْمَشَاهِدَةِ، تَمْخُوهُ مَغْرِفَتُهُ. وَأَجْمَعُ مَا قِيلَ فِي الْمَشَاهِدَةِ، أَنَّهَا: تَوَالِي أَنْوَارِ التَّجَلِّيِ عَلَى الْقَلْبِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَخَلَّلَهَا سِتْرٌ وَانْقِطَاعٌ. كَمَا لَوْ قَدَّرَ اتِّصَالُ الْبُرُوقِ، فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ. فَإِنَّهَا تَصِيرُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ، وَكَذَلِكَ الْقَلْبُ، إِذَا دَامَ لَهُ دَوَامُ التَّجَلِّيِ. فَلَا لَيْلَ. وَأُشَدُّوا:

لَيْلِي بِوَجْهِكَ مُشْرِقٌ وَظُلَامُهُ فِي النَّاسِ سَارِ
النَّاسِ فِي سَدَفِ الظُّلَا مِمْ وَنَحْنُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ
وَالسَّدَفُ بِالسَّيْنِ: الظُّلْمَةُ كَمَا فِي الْقَامُوسِ. وَقَالَ النُّورِيُّ: إِذَا طَلَعَ الصَّبَاحُ، أَسْتَعْنِي عَنِ الْمِصْبَاحِ. وَقَوْلُ الشَّاعِرِ: لَيْلِي الْخ. . . لَيْلِ وَجُودِي مُشْرِقٌ بِوُجُودِ ذَلِكَ فَقَدْ ذَهَبَتْ ظِلْمَةُ وَجُودِهِ، فِي نَهَارِ وَجُودِهِ.

اللَّوَائِحُ وَاللَّوَامِعُ وَالطُّوَالِغُ: وَهِيَ أَلْفَاظٌ مُتَقَارِبَةٌ؛ وَهِيَ أَضَلُّ الْبِدَايَاتِ، حِينَ تَبْرُقُ عَلَيْهِمُ أَنْوَارُ الشُّهُودِ، ثُمَّ تَسْتَرُ. فَتَكُونُ أَوَّلًا لَوَائِحُ ثُمَّ لَوَامِعُ، ثُمَّ طَوَالِغُ. فَاللَّوَامِعُ أَظْهَرُ مِنَ اللَّوَائِحِ. وَالطُّوَالِغُ أَظْهَرُ مِنَ اللَّوَامِعِ. فَقَدْ تَبَقَّى اللَّوَامِعُ سَاعَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ. بِخِلَافِ اللَّوَائِحِ. فَإِنَّهَا أَخْفَى لِزَوَالِهَا بِسُرْعَةٍ. كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

اِفْتَرَقْنَا حَوْلًا قَلَمًا اجْتَمَعْنَا كَأَنَّ تَسْلِيمَهُ عَلَيَّ وَدَاعَا
وَقَالَ آخَرُ:

يَا ذَا الَّذِي زَارَ وَمَا زَارَ كَأَنَّهُ مُقْتَنِبٌ نَارًا
مَرَّ بِبَابِ الدَّارِ مُسْتَفْجِلًا مَا ضَمَّرَهُ لَوْ دَخَلَ الدَّارَا
وَأَمَّا الطُّوَالِغُ، فَإِنَّهَا أَبْقَى وَقْتًا، وَأَقْوَى سُلْطَانًا. وَأَذْهَبَ لِلظُّلْمَةِ. وَأَنْفَى لِلتَّهْمَةِ. لَكِنَّهَا عَلَى خَطَرِ الْأَفْوَلِ. لَمْ يَتَكَنَّ صَاحِبُهَا مِنْ طُلُوعِ شَمْسِ عِرْقَانِهِ. فَأَوْقَاتُ حُضُولِهَا وَشَبَكَةُ الْارْتِحَالِ. وَأَحْوَالُ أَقْوَالِهَا طَوِيلَةُ الْأَذْيَالِ. لَكِنْ إِذَا عَرُبَتْ أَنْوَارُهَا، يَعْيشُ فِي بَرَكَاتِ آثَارِهَا، إِلَى أَنْ تَعُودَ ثَانِيًا. هَكَذَا تَطْلُعُ شَمْسُ نَهَارِهِ بِتَمَكُّنِهِ. فَلَا مَغِيبَ لَهَا حَيْثُ تَنْدُ. قَالَ الشَّاعِرُ:

طَلَعَتْ شَمْسٌ مِّنْ أَحِبِّ لَيْلٍ وَاسْتَنَارَتْ فَمَا تَلَاهَا غُرُوبُ
 إِنَّ شَمْسَ النَّهَارِ تَغْرُبُ لَيْلًا وَشُمُوسُ الْقُلُوبِ لَيْسَتْ تَغِيبُ
 البَوَادِءُ وَالْهَجُومُ: البَوَادِءُ مَا يَفْجَأُ الْقَلْبَ مِنْ نَاجِيَةِ الْغَيْبِ، عَلَى سَبِيلِ الْبَغْتَةِ.
 إما موجب فَرَحٍ، أَوْ تَرَحُّ. وَالْهَجُومُ، مَا يَرُدُّ عَلَى الْقَلْبِ بِقُوَّةِ الْوَقْتِ مِنْ غَيْرِ تَقْتَعٍ
 وَلَا تَكْسِبٍ. وَتَخْتَلِفُ أَحْوَالُهُمْ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ. فَمِنْهُمْ مَنْ تَغْيِرُهُ
 الْبَوَادِءُ. وَتَتَصَرَّفُ فِيهِ الْهَوَاجِمُ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ فَوْقَ مَا يَفْجَأُهُ حَالًا وَقُوَّةً؛ لَا
 تَغْيِرُهُ الْهَوَاجِمُ. وَلَا تَتَصَرَّفُ فِيهِ الْبَوَادِءُ. وَلَا تُزْغِرُهُ الْهَمُومُ. وَلَا تَحْرُكُهُ
 الْمَخَافُ. أَوْلَايْكَ سَادَةُ الْوَقْتِ كَمَا قِيلَ. لَا تَهْدِي ثُوبَ الزَّمَانِ إِلَيْهِمْ. وَلَهُمْ عَلَى
 الْخَطْبِ الْجَلِيلِ لَجَامٌ. وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ الرُّسُوحِ وَالتَّمْكِينِ. جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ آمِينَ.

التَّلْوِينُ وَالتَّمْكِينُ: التَّلْوِينُ هُوَ الْإِنْتِقَالُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ. وَمِنْ مَقَامٍ إِلَى
 مَقَامٍ. وَقَدْ يَسْقُطُ وَيَقُومُ. فَإِذَا وَصَلَ إِلَيْهِ صَرِيحُ الْعِزِّ فَإِنَّهُ وَتَمَكَّنَ مِنَ الشَّهَادَةِ،
 فَصَاحِبُ تَمَكُّينٍ. فَصَاحِبُ التَّلْوِينِ أَبْدَأُ فِي الزِّيَادَةِ. وَصَاحِبُ التَّمْكِينِ، وَصَلَ
 وَتَمَكَّنَ. فَانْتَهَاءُ سَيْرِهِمْ، الظَّفَرُ بِنَفْسِهِمْ، فَإِذَا ظَفَرُوا بِهَا فَقَدْ وَصَلُوا. فَانْخَسَتْ
 أَوْصَافُ الْبَشَرِيَّةِ. وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا سُلْطَانُ الْحَقِيقَةِ. فَإِذَا دَامَ ذَلِكَ لِلْعَبْدِ؛ فَهُوَ صَاحِبُ
 تَمَكُّينٍ. وَقَدْ يَكُونُ التَّلْوِينُ بَعْدَ التَّمْكِينِ. وَمَعْنَاهُ: النُّزُولُ فِي الْمَقَامَاتِ، كَنُزُولِ
 الشَّمْسِ فِي بُرُوجِهَا. فَيَتَلَوَّنُ الْعَارِفُ مَعَ الْمَقَادِيرِ، وَيَدُورُ مَعَهَا حَيْثُ دَارَتْ. وَيَتَلَوَّنُ
 بِتَلَوْنِ الْوَقْتِ. فَيَكُونُ بَيْنَ قُبُضٍ وَبَسْطٍ، وَقُوَّةٍ وَضَعْفٍ. وَمَنْعٍ وَعَطَاءٍ وَسُرُورٍ
 وَحُزْنٍ. وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ تَغْيِرَاتِ الْأَحْوَالِ. غَيْرَ أَنَّهُ مَالِكٌ غَيْرُ مَمْلُوكٍ. لَا يَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِ
 الْأَحْوَالِ. وَلَا يَتَأَثَّرُ بِالزَّلَازِلِ وَالْأَهْوَالِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

القُرْبُ وَالْبُعْدُ: الْقُرْبُ كَثَايَةُ عَنْ قُرْبِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ، بِطَاعَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ؛ وَهُوَ
 عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ: قُرْبٌ بِالطَّاعَةِ وَتَرْكِ الْمُخَالَفَةِ. وَقُرْبٌ بِالرِّيَاضَةِ وَالْمَجَاهِدَةِ.
 وَقُرْبٌ بِالْوَصُولِ وَالْمَشَاهِدَةِ. فَقُرْبُ الطَّالِبِينَ بِالطَّاعَةِ. وَقُرْبُ الْمُرِيدِينَ بِالْمَجَاهِدَةِ.
 وَقُرْبُ الْوَاصِلِينَ بِالْمَشَاهِدَةِ. فَأُولُو الْبُعْدِ: الْبُعْدُ عَنْ التَّوْفِيقِ. ثُمَّ الْبُعْدُ عَنْ سُلُوكِ
 الطَّرِيقِ. ثُمَّ الْبُعْدُ عَنْ التَّحْقِيقِ. وَفِي الْحَدِيثِ الْقَدِيسِيِّ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ:
 «مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ الْمُتَقَرَّبُونَ، بِمِثْلِ آدَاءٍ مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِمْ. وَلَا زَالَ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ
 بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ. فَإِذَا أُحِبَبْتُهُ: كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا». الْحَدِيثُ. وَفِي حَدِيثٍ
 آخَرَ: «إِذَا أُحِبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ». فَقُرْبُ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ: إِنْجِيَاشُهُ إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ. وَقُرْبُ الْحَقِّ مِنْ
 عَبْدِهِ، تَغْيِيبُهُ عَنْ وَجُودِهِ الْوَهْمِيِّ. وَكَشْفُ الْحِجَابِ عَنْ عَيْنِ بَصِيرَتِهِ حَتَّى يَرَى

الحق أقرب إليه من كل شيء. ثم يغيب القرب في القرب. فيتجد القرب والقرب والمحبة والحب كما قال القائل:

أَنَا مَنْ أَهْوَى، وَمَنْ أَهْوَى أَنَا

وكما قال الششتري:

أَنَا الْمُحِبُّ وَالْحَبِيبُ مَا نَمُ ثَانِي

الشريعة والطريقة والحقيقة: الشريعة: تكليف الظواهر. والطريقة: تصفية الضمائر. والحقيقة: جهود الحق في تجليات المظاهر. فالشريعة أن تعبده. والطريقة أن تقصده. والحقيقة أن تشهد. فلما تجلّى الحق بين الضدين. تجلّى بمظاهر عظمة الربوبية. في قوالب العبودية، ظهرت الشريعة والحقيقة. فجهود العظمة من حيث هي: حقيقة. والقيام بأداب القوالب عبادة. وعبودية شريعة. وأما الطريقة فهي إصلاح الضمائر، لتهيئاً لإشراق الحقائق عليها.

فالشريعة لإصلاح الظواهر، والطريقة لإصلاح الضمائر، والحقيقة لتزيين السرائر. ويقال: الشريعة عين الحقيقة. من حيث أنها وجبت بأمره. والحقيقة عين الشريعة من حيث أنها مكلف بها من قبل الشريعة. وقد تطلق عندهم الشريعة، على كل ما يتوصل به إلى شيء. أو يكون سبباً في إدراكه. فالأسباب كلها شرائع. والمقاصد كلها حقائق. فالجس شريعة المعنى. إذ به قبضت، والمجاهدة شريعة المشاهدة. والذل: شريعة العز، والفقر: شريعة الغنا. وهكذا. والحرث والغرس شريعة جني الثمار. ولذلك يقولون: من غرس الشرائع، أثمرت له الحقائق. ومن غرس الحقائق، أثمرت له الشرائع. أي أخرجته إلى الرجوع إلى الشرائع. وفي ذلك يقول الشاعر:

ثَمَارَ مَا قَدْ غَرَسْتَ تَجْنِي وَهَذِهِ عِبَادَةُ الزَّمَانِ

الذات والصفات: اعلم أن الحق جلّ جلاله، ذات وصفات في الأزلي وفي الأبد. أغني قبل التجلي وبعده. إذ صفاته قديمة بقدّم ذاته. والصفة لا تفارق الموصوف. فحيث تجلّت الذات. فالصفات لازمة لها. فالذات ظاهرة، والصفات باطنة. والمراد بالصفات: صفات المعاني؛ وسائر أوصاف الكمال. فكل ما وقع به التجلي والظهور، فهو بين ذات وصفات. الذات لا تفارق الصفات. والصفات لا تفارق الذات. وهذا التلازم الذي بينهما في الوجود؛ هو الذي قصد من قال:

الذات عين الصفات. أي مظهرهما واحد. كما قالوا: الجس عين المعنى. أي اتحد مظهرهما. قال بعض المشاركة، في بعض أزجاله:

يا واردة العين إن حقت زال الشك الذات عين الصفات ما في المعاني شك
ولا يصدنك عن شهود الذات رداء الجس المنشور على وجه المعاني. فإن
هذا الأمر من مدارك الأذواق واللوجدان. لا من طريق دليل العقل والبرهان. ولله
دُر ابن الفارض حين يقول:

فثم وراء الثقل علم يعق عن مدارك غايات العقول السليمة
واعلم أن الذات لا تتجلى إلا في مظاهر الصفات. إذ لو تجلت بك واسطة
لاضمحلت المكونات وتلاشت. ولذلك يقولون: تجلي الذات جلالي. وتجلي
الصفات، جمالي؛ لأن تجلي الذات بلا واسطة، يمحق ويخرق. كما في
الحديث. وتجلي الصفات يكون بالأثر. فيكون معه الشهود والمعرفة؛ فهو
جمالي. ثم توسعوا فأطلقوا على كل ما هو جلالي ذات. وعلى كل ما هو جمالي
صفات على سبيل التشبيه. فقالوا: الفقر ذات. والغنا صفات. الذل ذات. والعز
صفات. الصمت ذات. والكلام صفات. وهكذا. وهذا الاصطلاح، ذكره شيخ
شيوخنا، سيدي علي الجمل العمراقي رضي الله عنه في كتابه: ولا أذري هل سبق
به أم لا.

الأنوار والأسرار: الأنوار عبارة عما ظهر من كشافات التجليات والأسرار:
عبارة عما بطن فيها من المعاني اللطيفة. فالأسرار أرق من الأنوار للذات. والأنوار
للصفات؛ لأنها أثرها. فالذات بعد التجلي، بين أنوار ظاهرة، وأسرار باطنة. وأما
في حال الكثيرة، فما كان إلا الأسرار. فالجبروت كله أسرار. والملوك أنوار.
والملك أغيار وأكدار. فالوجود واجد. فمن نظر إلى باطنه، لم ير إلا الأسرار ومن
نظر إلى ظاهره بعين الجمع، لم ير إلا الأنوار. ومن نظره بعين الفرق، لم ير إلا
الأغيار. جمع غير بالسكون. ومن شغله عن التوجه إلى الله بتشغيبه وأهواله، كان
في حقل انجدار. وإنما سميت تجليات الحق أنواراً على وجه التشبيه. لأنه من
شأن النور أن يكشف الظلمة ويذهبها. وكذلك تجلي الحق، يكشف عن ظلمة
الجهل، ويظهر العلم به. ولذلك قالوا: العلم نور، والجهل ظلمة على وجه
الاستعارة. وأما السر فهو الأمر الخفي الذي لا يدرك. فلذلك قالوا في حق
الحمرية الأزلية. والمعاني القديمة أسراراً. وسموا الأرواح بعد النصفية أسراراً

لأنها لما تصفّت رجعت لأصلها؛ وهي قطعة من السرّ الجبروتي القديم. فإذا استولت على الأشباح، رجع الجميع قديماً. والله تعالى أعلم.

وأما الضمائر والأسرار، فقليل معناهما واحد. وقيل السرائر أرق وأضفى. كما أن الروح أرق من القلب؛ لأنّ الضمائر: كل ما خفي في الباطن. خيراً أو شراً. والسرائر كمن في المحاسن. والتحقيق: أنها شيء واحد. عبارة عما كمن فيه الباطن من العقائد والنيات بدليل الآية: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْكَافِرُ﴾ والله تعالى أعلم.

النفس: بالتحريك: قال القشيري، يعنون به ترويح القلوب، بلطائف الغيوب. فصاحب الأنفاس أرفع من صاحب الأحوال، ومن صاحب الوقت. فكان صاحب الوقت مبتدئ. وصاحب الأنفاس منتهئ. وصاحب الأحوال بينهما. فالأوقات لصاحب القلوب. والأحوال لصاحب الأرواح. والأنفاس لأهل السرائر. قلت: النفس: أدق من الوقت. فحفظ الأوقات من التضييع للعباد والزهاد. وحفظ الأنفاس للعارفين الواصلين، واستعمال الأحوال للمريدين. والمراد بحفظ الوقت: حضور القلب فيه. ويحفظ النفس، حضور السرّ في مشاهدة الحق. يقال، فلان طابث أنفاسه، إذا صفا مشربه من عين التوحيد؛ من كدورة الأغيار. فقله في حدّ النفس: ترويح القلوب، أي خروجها من تعب العسّة، ودوام المراقبة؛ إلى راحة المشاهدة. مما يبدو لها من لطائف أسرار التوحيد، وفضاء الشهود. ثم قال القشيري: وقالوا: أفضل العبادة حفظ الأنفاس. أي دوام الفكرة والنظرة. كما قال الشاعر:

مِنْ أَحْسَنِ الْمَذَاهِبِ سُكْرٌ عَلَى الدَّوَامِ
وَأَكْمَلِ الرِّغَائِبِ وَضَلٌّ بِسَلَاةٍ صِرَامِ

قال أبو علي الدقاق: العارف لا ينلّم له النفس، أي تضييعه. إذ لا مسامحة تجري معه. والمحب لا يدّ له من النفس، إذ لولا ذلك لتلاشى. لعدم طاقته فالعارف، لما اتسعت معرفته، سهل عليه حفظ أنفاسه، سهولة حضوره، وتمكن شهوده، بخلاف المحب. فليضيّق حاله، لا يستطيع دوام حضوره في خدمته. وعلى تقدير سهولها عليها، لفنائها فيها. وقد تغلّ بشريته. ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «رَوْحُوا قُلُوبَكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْمُبَاحِ». أو كما قال ﷺ لحنظلة والصديق: «لَوْ تَدْرُمُونَ كَمَا تَكُونُونَ عِنْدِي لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ. وَلَكِنْ سَاعَةً بِسَاعَةٍ».

الفكرة والنظرة: الفكرة جَوْلَانُ الْقَلْبِ، في تجليات الربّ. وقال في الحكم:

هي سِر القلب في مَيَادِين الْأَعْيَار. وهذه فِكْرَةُ الطَّالِبِينَ. وفِكْرَةُ السَّائِرِينَ. سِر القلب في مَيَادِين الْأَنْوَار، وفِكْرَةُ الْوَاصِلِينَ: سِر الرُّوح في مَيَادِين الْأَسْرَار. وترجع إلى فِكْرَتَيْنِ: فِكْرَةُ تَصَدِيقِ وَإِيمَانٍ؛ وهي لأهل الاعتبار، من عَامَّةِ أَهْلِ الْيَمِين، وفِكْرَةُ شُهودٍ وَعِيَان. وهي لأهل الاستبصار، من نَجَبَاءِ الْمُرِيدِينَ، وخاصةً الْعَارِفِينَ الْمُتَمَكِّنِينَ؛ وهي سِرَاج الْقَلْب، فإذا ذَهَبَتْ فَلَا إِضَاءَةَ لَهُ. وهي سَبَبُ الْغِنَا الْأَكْبَر؛ وبها يتحقق السَّيْرُ، وَيَخْصُلُ الْوُصُول. فَمَنْ لَا فِكْرَةَ لَهُ، لَا سَيْرَ لَهُ. وَمَنْ لَا سَيْرَ لَهُ، لَا وُصُولَ لَهُ. وَكَانَ شَيْخُنَا الْبُورْزَيْدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: الْفَقِيرُ بِلَا فِكْرَةٍ، كَالْخِيَاطِ بِلَا إِبْرَةٍ. وَأَمَّا النِّظَرَةُ؛ فَهِيَ أَرْقُ مِنْ الْفِكْرَةِ وَأَرْفَعُ. لَأَنَّهَا مَبْدَأُ الشُّهُودِ. فَالْجَوْلَانُ فِي الْأَكْوَانِ، وَهَدْمُهَا وَتَلَطُّفُهَا فِكْرَةٌ. وَالنَّظَرُ فِي نَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ التَّجَلِّيَّاتِ. وَغَيْبَتُهُ عَنْهَا بِشُهُودِ الْحَقِّ نِظَرَةٌ. فَإِنْ تَمَكَّنَ مِنَ الشُّهُودِ وَدَامَ فِيهِ. سُمِّيَ الْعَكُوفُ فِي الْحَضَرَةِ. وَلِذَلِكَ يُقَالُ؛ أَوَّلُ الْمَقَامَاتِ ذِكْرُ. ثُمَّ فِكْرَةٌ، ثُمَّ نِظَرَةٌ، ثُمَّ عَكُوفٌ فِي الْحَضَرَةِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الشَّاهِدُ: قَالَ الْقَشِيرِيُّ: قَدْ يَجْرِي فِي كَلَامِهِمْ: فَلَانُ بِشَاهِدِ الْعِلْمِ. وَفَلَانُ بِشَاهِدِ الْوُجْدِ، وَفَلَانُ بِشَاهِدِ الْحَالِ. وَيُرِيدُونَ بِلَفْظِ الشَّاهِدِ: مَا يَكُونُ حَاضِرَ قَلْبِ الْإِنْسَانِ. وَمَا هُوَ غَائِبٌ ذِكْرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَاهُ وَيُبْصِرُهُ. وَإِنْ كَانَ غَائِبًا عَنْهُ. وَكُلُّ مَا يَسْتَوَلِي عَلَى قَلْبِ الْإِنْسَانِ فَهُوَ شَاهِدُهُ. فَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ ذِكْرُ الْعِلْمِ: فَهُوَ بِشَاهِدِ الْعِلْمِ. وَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْوُجْدُ؛ فَهُوَ بِشَاهِدِ الْوُجْدِ. وَمَعْنَى الشَّاهِدِ: الْحَاضِرُ. فَكُلُّ مَا هُوَ حَاضِرٌ قَلْبِكَ؛ فَهُوَ بِشَاهِدِكَ.

الْخَمْرَةُ وَالْكَأْسُ وَالشَّرَابُ: أَمَّا الْخَمْرَةُ، فَقَدْ يَطْلُقُونَهَا عَلَى الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ قَبْلَ التَّجَلِّي. وَعَلَى الْأَسْرَارِ الْقَائِمَةِ بِالْأَشْيَاءِ بَعْدَ التَّجَلِّي. فَيَقُولُونَ: الْخَمْرَةُ الْأَزَلِيَّةُ تَجَلَّتْ بِكَذَا. وَمِنْ نَعْتِهَا كَذَا. وَقَامَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ، تَسْتَرُّ عَلَى سِرِّ الرُّبُوبِيَّةِ. وَعَلَيْهَا غَنَّى ابْنِ الْفَارُضِ فِي خَمْرِيَّتِهِ. وَإِنَّمَا سَمَّوْهَا خَمْرِيَّةً؛ لِأَنَّهَا إِذَا تَجَلَّتْ لِلْقُلُوبِ غَابَتْ عَنْ جِسْمِهَا، كَمَا تَغِيْبُ بِالْخَمْرَةِ الْحَسِيَّةِ. وَقَدْ يَطْلُقُونَهَا عَلَى نَفْسِ السُّكْرِ وَالْوُجْدِ وَالْوُجْدَانِ. وَيَقُولُونَ: كُنَّا فِي خَمْرَةٍ عَظِيمَةٍ، أَيْ فِي غَيْبَةٍ عَنِ الْإِحْسَاسِ كَبِيرَةٍ. وَعَلَى ذَا غَنَى الشُّشْتَرِيِّ حَيْثُ قَالَ:

خَمْرُهُ سَادُونَ خَمْرِي خَمْرَتِي أَرْزَلِي

أَيْ سُكْرُ خَمْرَةِ الدَّوَالِي دُونَ خَمْرَتِي. وَأَمَّا الْكَأْسُ الَّذِي تُشْرَبُ مِنْهُ هَذِهِ الْخَمْرَةُ، فَهُوَ كُنَايَةٌ عَنِ سَطْوَعِ أَنْوَارِ التَّجَلِّي عَلَى الْقُلُوبِ، عِنْدَ هَيْجَانِ الْمَحَبَّةِ.

فَتَدْخُلُ عَلَيْهَا خَلَاوَةُ الْوُجْدِ حَتَّى تَغِيبَ. وَذَلِكَ عِنْدَ سَمَاعِ أَوْ ذِكْرِ أَوْ مُذَاكِرَةٍ. وَقِيلَ: الْكَأْسُ هُوَ قَلْبُ الشَّيْخِ: فَقُلُوبُ الشُّيُوخِ الْعَارِفِينَ كَوُوسٌ لِهَذِهِ الْخَمْرَةِ، يَسْقُونَهَا لِمَنْ صَحِبَهُمْ وَأَحْبَبَهُمْ. وَالشَّرْبُ حُضُورُ الْقَلْبِ، وَاسْتِعْمَالُ الْفِكْرَةِ وَالنَّظَرَةِ. حَتَّى تَغِيبَ عَنْ وَجُودِكَ فِي وَجُودِهِ؛ هُوَ السَّكْرُ. فَالشَّرْبُ وَالْكَأْسُ مَتَّصِلَانِ فِي زَمَنِ وَاحِدٍ فِي هَذِهِ الْخَمْرَةِ. بِخِلَافِ خَمْرَةِ الدُّنْيَا. وَقَالَ الْقُطُبُ بْنُ مَشِيشَ: الْمَحَبَّةُ أَخَذَتْ مِنَ اللَّهِ قَلْبَ مَنْ أَحَبَّ، بِمَا يُكْشَفُ لَهُ مِنْ ثَوَرِ جَمَالِهِ، وَقَدْسِ كَمَالِ جَلَالِهِ. وَشَرَابُ الْمَحَبَّةِ: مَزْجُ الْأَوْصَافِ بِالْأَوْصَافِ، وَالْأَخْلَاقِ بِالْأَفْعَالِ. وَتَتَسَّعُ النَّظَرُ لِمَنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَالشَّرَابُ يَسْقِي الْقُلُوبَ وَالْأَوْصَالَ وَالْعُرُوقَ مِنْ هَذَا الشَّرْبِ. وَيَكُونُ الشَّرْبُ بِالتَّدْرِيبِ بَعْدَ التَّدْرِيبِ، وَالتَّهْذِيبِ. فَيَسْقَى كُلٌّ عَلَى قَدَرِهِ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَسْقَى بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ. وَاللَّهُ يَتَوَلَّى ذَلِكَ مِنْهُ. قُلْتُ: وَهَذَا نَادِرٌ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْقَى مِنْ جِهَةِ الْوَسَائِطِ، كَالْمَلَائِكَةِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْأَكْبَارِ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ. ثُمَّ قَالَ: وَالْكَأْسُ مَغْرَفَةُ الْحَقِّ، يُغْرَفُ بِهَا مِنْ ذَلِكَ الشَّرَابِ الطَّهَوْرِ الْمَخْصُصِ الصَّافِي لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ الْمَخْصُوصِينَ، إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ. وَقَدْ فَسَّرْنَاهُ فِي شَرْحِ الْخَمْرَةِ.

الْمُرِيدُ وَالْفَقِيرُ، وَالْمُلَامِي وَالْمُقَرَّبُ: أَمَّا الْمُرِيدُ: فَهُوَ الَّذِي تَعَلَّقَتْ إِزَادَتُهُ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، وَدَخَلَ تَحْتَ تَرْبِيَةِ الْمَشَائِخِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ. وَأَمَّا الْفَقِيرُ: فَهُوَ الَّذِي افْتَقَرَ مَا سِوَى اللَّهِ، وَرَفَضَ كُلَّ مَا يُشْغَلُهُ عَنِ اللَّهِ. وَلِذَا قَالُوا: الْفَقِيرُ لَا يَمْلِكُ وَلَا يُمْلِكُ. أَيِ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ. فَهُوَ أَنْصَفُ مِنَ الْمُرِيدِ وَأَخْصُ؛ لِأَنَّ الْمُرِيدَ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْأَنْسَابِ. وَقِيلَ: الْفَقِيرُ هُوَ الَّذِي لَا تُقِلُّهُ الْأَرْضُ، وَلَا تُثْقِلُهُ السَّمَاءُ. أَيِ لَا يَحْصِرُهُ الْكَوْنُ، لِرَفْعِ هِمَّتِهِ. وَنَفُوذُ بَصِيرَتِهِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: شُرُوطُ الْفَقِيرِ أَرْبَعَةٌ:

رَفْعُ الْهِمَّةِ، وَحَسَنُ الْخِدْمَةِ، وَتَعْظِيمُ الْحُرْمَةِ، وَنُفُوذُ الْعَزِيمَةِ. وَأَمَّا الْمُلَامِي: فَقَالُوا: هُوَ الَّذِي لَا يَظْهَرُ خَيْرًا. وَلَا يُضْمِرُ شَرًّا. أَيِ هُوَ الَّذِي يَخْفِي بَيْتُهُ، وَيَظْهَرُ مِنَ الْأَحْوَالِ، مَا يُنْفِرُ النَّاسَ عَنْهُ. وَالْمُقَرَّبُ، هُوَ الْمُحَقِّقُ بِالْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْفَقْرُ وَالْمُلَامَةُ وَالتَّقَرُّبُ، أَنْوَاعٌ مِنَ التَّصَوُّفِ وَمُرَاتِبُ فِيهِ. فَإِنَّ الصُّوفِيَّ هُوَ الْعَامِلُ فِي تَصَفِيَةِ وَقْتِهِ، مِمَّا سِوَى الْحَقِّ. فَإِذَا سَقَطَ مَا سِوَى الْحَقِّ مِنْ يَدِهِ فَهُوَ الْفَقِيرُ. وَإِنْ كَانَ لَا يُبَالِي بِالنَّاسِ، وَلَا يَظْهَرُ خَيْرًا، وَلَا يُضْمِرُ شَرًّا، فَهُوَ الْمُلَامِي. وَالْمُقَرَّبُ: مَنْ كَمَلَتْ أَحْوَالُهُ. فَكَانَ بِرَبِّهِ لِرَبِّهِ، وَلَيْسَ لَهُ عَنِ سِوَى الْحَقِّ أَحْبَابٌ، وَلَا مَعَ غَيْرِ اللَّهِ قَرَارٌ.

الْعِبَادُ وَالرُّهَادُ وَالْعَارِفُونَ: هذه ألفاظ، معانيها متقاربة. يجمعها معنى التصوف في الجملة؛ الذي هو قصد التوجه إلى الله تعالى. إلا أن مَنْ غَلَبَ عليه العمل كَانَ عَابِدًا، وَمَنْ غَلَبَ عليه الترك، كَانَ زَاهِدًا. ومن وصل إلى شهود الحق وَرَسَخَ فِيهِ، كَانَ عَارِفًا. قَالَ الْعِبَادُ وَالرُّهَادُ، شَغَلَهُمْ بِخِدْمَتِهِ. إِذْ لَمْ يَصْلُحُوا لَصَرِيحِ مَعْرِفَتِهِ. وَالْعَارِفُونَ شَغَلَهُمْ بِمَحَبَّتِهِ. ﴿كَلَّا تُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾.

الصَّالِحُونَ وَالْأَوْلِيَاءُ، وَالْبُدَلَاءُ، وَالنُّقَبَاءُ، وَالشُّجَبَاءُ، وَالْأَوْتَادُ، وَالْقُطُبُ: أمَّا الصَّالِحُونَ، فَهُمْ مَنْ صَلَّحَتْ أَحْوَالُهُمُ الظَّاهِرَةُ، وَاسْتَقَامَتْ أَحْوَالُهُمُ الْبَاطِنَةُ. وَأَمَّا الْأَوْلِيَاءُ: فَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ بِذَلِكَ، عَلَى نَعْتِ الْعِيَانِ مِنَ الْوَلِيِّ: وَهُوَ الْقُرْبُ، وَقِيلَ: مَنْ تَوَالَتْ طَاعَتُهُمْ، وَتَحَقَّقَ قُرْبُهُمْ، وَاتَّصَلَ مَدَدُهُمْ. وَأَمَّا الْبُدَلَاءُ: فَهُمْ الَّذِينَ اسْتَبَدَّلُوا الْمَسَاوِيءَ بِالْمَخَاسِينِ. وَاسْتَبَدَّلُوا صِفَاتِهِمْ بِصِفَاتٍ مَخْبُوءِيَةٍ. وَأَمَّا النُّقَبَاءُ: فَهُمْ الَّذِينَ نَقَّبُوا الْكَوْنَ. وَخَرَجُوا إِلَى فضاءِ شُهُودِ الْمَكُونِ. وَأَمَّا الشُّجَبَاءُ: فَهُمْ السَّابِقُونَ إِلَى اللَّهِ، لِتَجَابُتِهِمْ؛ وَهُمْ أَهْلُ الْحِدِّ وَالْقَرِيحَةِ مِنَ الْمُرِيدِينَ. وَأَمَّا الْأَوْتَادُ: فَهُمْ الرَّاكِعُونَ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ. وَهُمْ أَرْبَعَةٌ. كَأَنَّهُمْ أَوْتَادُ أَرْكَانِ الْكَوْنِ الْأَرْبَعَةِ. وَأَمَّا الْقُطُبُ: فَهُوَ الْقَائِمُ بِحَقِّ الْكَوْنِ وَالْمَكُونِ؛ وَهُوَ وَاحِدٌ. وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى مَنْ تَحَقَّقَ بِمَقَامٍ. وَعَلَى هَذَا، يَتَعَدَّدُ فِي الزَّمَانِ الْوَاحِدِ أَقْطَابُ فِي الْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ وَالْعُلُومِ. يُقَالُ: فَلَانِ قُطْبُ فِي الْعُلُومِ. أَوْ قُطْبُ فِي الْأَحْوَالِ أَوْ قُطْبُ فِي الْمَقَامَاتِ. إِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا. فَإِذَا أُرِيدَ الْمَقَامُ الَّذِي لَا يَتَصَفَّى بِهِ إِلَّا وَاحِدٌ، عُبِّرَ عَنْهُ بِالْعُقُوتِ؛ وَهُوَ الَّذِي يَصِلُ مِنْهُ الْمَدَدُ الزَّوْحَانِي إِلَى دَوَائِرِ الْأَوْلِيَاءِ مِنْ نَجِيبٍ وَنَقِيبٍ، وَأَوْتَادٍ، وَأَبْدَالٍ. وَلَهُ الْإِمَامَةُ وَالْإِرْثُ، وَالْخِلَافَةُ الْبَاطِنَةُ، وَهُوَ رُوحُ الْكَوْنِ الَّذِي عَلَيْهِ مَدَارُهُ. كَمَا يَسِيرُ إِلَى ذَلِكَ. كَوْنُهُ بِمَثَرَةٍ إِنْسَانٍ الْعَيْنِ مِنَ الْعَيْنِ. وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ لَهُ قِسْطٌ وَنُصِيبٌ مِنْ سِرِّ الْبَقَاءِ بِاللَّهِ. وَأَمَّا تَسْمِيَتُهُ بِالْعُقُوتِ، فَمِنْ حَيْثُ إِعَانَتُهُ الْعَوَالِمَ بِمَادَّتِهِ وَرَتْبَتِهِ الْخَاصَّةِ. وَلَهُ عَلَامَاتٌ يُعْرَفُ بِهَا. قَالَ الْقُطْبُ الشَّهِيرُ، الْعَلَامَةُ: أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذِلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِلْقُطْبِ خَمْسَةُ عَشَرَ عَلَامَةً. فَمِنْ أَدْعَايَا، أَوْ شَيْئًا مِنْهَا، فَلْيَسِرْ بِمَدَدِ الرَّحْمَةِ وَالْعِصْمَةِ وَالْخِلَافَةِ وَالنِّيَابَةِ، وَمَدَدِ حَمَلَةِ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَيَكْشِفْ لَهُ عَنْ حَقِيقَةِ الذَّاتِ، وَإِحَاطَةِ الصِّفَاتِ، وَيُكْرَمْ بِالْحُكْمِ وَالْفِعْلِ بَيْنَ الْوُجُودَيْنِ، وَانْفِصَالِ الْأَوَّلِ عَنِ الْأَوَّلِ. وَمَا انْفَضَّ عَنْهُ إِلَى مَتْنَاهُ، وَمَا ثَبَتَ فِيهِ. وَحُكْمٌ مَا قَبْلُ، وَحُكْمٌ مَا بَعْدُ. وَعِلْمُ الْبَدءِ؛ وَهُوَ الْعِلْمُ الْمَحِيطُ بِكُلِّ عِلْمٍ، وَبِكُلِّ مَعْلُومٍ. وَمَا يَعُودُ إِلَيْهِ. فَالْعَلَامَةُ الْأُولَى:

أن يكون متخلفاً بأخلاق الرحمة، على قدمه موروثة ﷺ، صاحب جلم ورافة، وشفقة وغفو وعقل ورزانة، وجود وشجاعة. كما كان موروثة ﷺ.

والعلامة الثانية: أن يمدد بمدد العظمة؛ وهي الحفظ الإلهي، والعظمة الربانية، كما كان موروثة ﷺ. غير أنها في الأنبياء واجبة وفي الأولياء جائزة. ويقال له: الحفظ. فلا يتجاوز حداً، ولا ينقض عهداً.

والثالثة: الخلافة: وهو أن يكون خليفة الله في أرضه، أميناً على عبادِهِ، بالخلافة النبوية، قد بايعته الأزواح، وانقادت إليه الأشباح.

والرابعة: النيابة: وهو أن يكون نائباً عن الحق، في تصريف الأحكام. حسبما اقتضته الحكمة الإلهية. وفي الحقيقة، ما ثم إلا القدرة الأزلية.

والخامسة: أن يمدد بمدد حملة العرش، من القوة والقرب، فهو حامل عرش الأكران، كما أن الملائكة حاملة عرش الرحمن.

والسادسة: أن يكشف له عن حقيقة الذات. فيكون عارفاً بالله معرفة العيان وأما الجاهل بالله، فلا نصيب له في القطبانية.

والسابعة: أن يكشف له عن إحاطة الصفات بالكائيات. فلا مكون، إلا وهو قائم بالصفات، وأسرار الذات. ومعرفة القطب بإحاطة الصفات، أتم من غيره لأنها في حقه ذوقية لا علمية.

والثامنة: أن يكرم بالحكم والفضل بين الوجودين. أي بين الوجود الأول قبل التجلي؛ وهو المعبر عنه بالأزل. وبالكثر القديم. وبين الثاني؛ وهو الذي وقع فيه التجلي. والفضل بينهما أن يعلم، أن الأول ربوبية بلا عبودية، ومعنى بلا حس، وقدرة بلا حكمة. بخلاف الثاني. فإنه منتصف بالضدين: ربوبية وعبودية، ومعنى وحس، وقدرة وحكمة، ليتحقق فيه اسمه الظاهر، واسمه الباطن. فالضدان خاصة بالقبضة المتجلي فيها. وأما العظمة المحيطة بها، الباقية على كثرتها؛ فهي باقية على أصلها فافهم.

والتاسعة والعاشرة: أن يكرم بالحكم، بانفصال الأول عن الأول. والمراد بانفصال الأول، انفصال نور القبضة، عن الثور الأزلي الكثري، وهو بحر الجبروت. والمراد بما انفصل عنه: ما تفرع من القبضة إلى منتهاه، من فروع التجليات. أي في الحال، وأما في المآل فلا انتهاء له؛ لأن تجليات الحق لا

تَنْقُطِعْ أَبَدًا. فَإِذَا انْقَضَى هَذَا الوجود الدُّنْيَوِي، تَجَلَّى بِوُجُودٍ آخَرَ أَخْرَوِي وَلَا نِهَايَةَ لَهُ.

وَالْحَادِيَّةُ عَشْرَ: أَنَّ يَعْلَمَ مَا ثَبَتَ فِي الْمُنْفَصَلَاتِ. مِنَ الْمَرَآيَا وَالْكَرَامَاتِ. أَوْ ضِدُّ ذَلِكَ: يَغْنِي فِي الْجُمْلَةِ. وَأَمَّا التَّفْصِيلُ، فَمِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ.

وَالثَّانِيَّةُ عَشْرَ: أَنَّ يَعْلَمَ حُكْمَ مَا قَبْلَ. أَيْ مَا قَبْلَ التَّجَلِّي. وَحُكْمُهُ: هُوَ التَّنْزِيلُ الْمَطْلُوقُ؛ لِأَنَّهُ بَاقٍ عَلَى كَثْرِيَّتِهِ. لَمْ تَدْخُلْهُ الضَّدَّانِ.

وَالثَّالِثَةُ عَشْرَ: أَنَّ يَعْلَمَ حُكْمَ مَا بَعْدَ: أَيْ يَعْلَمُ مَا لَا قَبْلَ لَهَا وَلَا بَعْدَ لَهَا؛ وَهِيَ الْحُمُرَةُ الْأَزَلِيَّةُ. وَالذَّاتِ الْأَصْلِيَّةُ. كَمَا قَالَ ابْنُ الْفَارُضِ:

فَلَا قَبْلَ لَهَا قَبْلَ وَلَا بَعْدَ لَهَا بَعْدَ وَقَبْلِيَّةِ الْإِبْدَادِ هِيَ لَهَا حَثْمٌ

وَالْخَامِسَةُ عَشْرَ: أَنَّ يَطْلُعَ عَلَى عِلْمِ الْبَدْوِ، وَالْمُرَادُ عِلْمُهُ تَعَالَى الْأَزَلِي، السَّابِقُ لِلْأَشْيَاءِ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ؛ وَهُوَ الْمَحِيطُ بِكُلِّ عِلْمٍ وَبِكُلِّ مَعْلُومٍ. إِذْ لَا يَخْرُجُ تَعَالَى عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ، وَكُلُّ عِلْمٍ وَكُلُّ مَعْلُومٍ يَعُودُ إِلَيْهِ؛ وَهَذَا هُوَ سِرُّ الْقَدْرِ. فَقَدْ يَكْاشِفُ الْقُطْبُ عَلَى جُزْءٍ مِنْهُ، وَلَا يَشْتَرِطُ إِحَاطَتُهُ بِكُلِّيَّةِ الْأَشْيَاءِ وَجُزْئِيَّاتِهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ وَظَائِفِ الرُّبُوبِيَّةِ. وَإِنَّمَا يَطْلُعُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى جُزْئِيَّاتٍ مِنْ نَوْعٍ مَخْصُوصٍ وَقَدْ أَشَارَ الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْبُزْجِي - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ: مَا مِنْ وَلِيٍّ لِلَّهِ كَانَ، أَوْ هُوَ كَاتِبٌ، إِلَّا وَقَدْ أَطْلَعَنِي اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى اسْمِهِ وَنَسَبِهِ، وَحَظَّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. وَقَالَ آخَرُ: مَا مِنْ نَظْفَةٍ تَقَعُ فِي الْأَرْحَامِ، إِلَّا وَقَدْ أَطْلَعَنِي اللَّهُ عَلَيْهَا؛ وَمَا يَكُونُ مِنْهَا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى. وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ الْكَرَامَاتِ الَّتِي أَنْحَفَ اللَّهُ بِهَا أَوْلِيَائِهِ. وَقَدْ يَكُونُ قُطْبًا وَهُوَ لَمْ يَطْلُعْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ إِلَّا أَنَّهُ عَارِفٌ بِاللَّهِ، رَاسِخٌ الْقَدَمُ فِي الْمَعْرِفَةِ. وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُظَهِّرَ شَيْئًا فِي مَمْلَكَتِهِ أَطْلَعَهُ عَلَيْهَا. وَقَدْ لَا يَطْلُعُهُ. وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَاللَّهُ لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي رَبِّي». قَالَ ذَلِكَ حِينَ ضَلَّتْ نَافِثَتُهُ. فَلَمْ يَذَرِ أَيْنَ ذَهَبَتْ، فَتَكَلَّمَ بَعْضُ الْمُتَافِقِينَ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ أَعْلَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا. وَبِالْجُمْلَةِ: فَالْإِطْلَاعُ عَلَى الْمُتَعَيَّنَاتِ، مِنْ جُمْلَةِ الْكَرَامَاتِ؛ وَهِيَ لَا تَشْتَرِطُ فِي الْوَلِيِّ، قُطْبًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم تَسْلِيمًا.

هَذَا آخِرُ مَا جَمَعْنَاهُ مِنْ حَقَائِقِ التَّصَوُّفِ، وَشَرَحَ مَا يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ حَقِيقَةٍ، جَعَلَهُ اللَّهُ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ. وَأَدَامَ بِهِ النِّفْعَ الْعَمِيمَ. جَامِعُهُ: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِنَعِيجِيَّةِ الْحُسَيْنِيِّ. لَطَفَ اللَّهُ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ آمِينَ. وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنَّ الْحَمْدَ

الله رب العالمين . الله در العارف الجليل ، والصوفي الشهير ، القطب الكامل ، سيدي ومولاي أحمد بن محمد بنعجيبه الحسني ، رضي الله عنه ، وقدس سره ، وجعلنا على هذيه آمين . ناقله هنا عبد ربه ، وراجي عفوہ ، عبد السلام بن عبد السلام بن أحمد العمراني الخالدي . وكان الفراغ من نقله هنا ، عشية يوم الثلاثاء خامس شوال عام 1399 هجرية ، الموافق الثامن وعشرين غشت سنة 1979 م .

شرح خمرة ابن الفارض رضي الله عنه

شرحُ خُمْرَةِ ابْنِ الْفَارِضِ: الحمد لله الذي سقى قلوب أحبائه، مِنْ مُدَامَةِ حُبِّهِ. فَأَصْبَحُوا مِنْ سَكْرِ مَحَبَّتِهِ مُتَوَلِّهِينَ. غَيَّبَهُمْ عَنْ شُهُودِ غَيْرِهِ بِدَوَاعِ شُهُودِ سِرِّهِ فَأَضْحَوْا فِي رِيَاضِ مَلَكُوتِهِ مُتَنَزِّهِينَ. جَذَبَ أَزْوَاجَهُمْ بِخَضِرَةِ قُدْسِهِ. فَصَارُوا فِي خَلَوَاتِهِمْ بِهٍ مُتَأَنِّسِينَ وَهَيَأَ أَسْرَارَهُمْ لِحَمَلِ أَغْبَاءِ مَعْرِفَتِهِ. فَخَاضُوا فِي بَحَارِ جَبَرُوتِهِ بِسُفُنِ أَفْكَارِهِمْ سَابِحِينَ. وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ افْتَدَتْ مِنْ سِرِّ نَاسُوتِهِ الْأَكْوَانَ. وَأَشْرَقَتْ مِنْ نُورِ لَاهُوتِهِ حَقَائِقُ الْعَرْفَانِ. وَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَضْحَايِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْكَرَامِ. أَمَا بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ وَقَبْلَهُ فَعِلِمُ التَّوْحِيدِ مِنْ أَجْلِ الْعُلُومِ وَأَحَقُّ مَا تَنَفَّقَ فِيهِ نَتَائِجُ الْفُهُومِ. وَكَيْفَ لَا وَمَوْضُوعُهُ الذَّاتُ الْعَلِيَّةُ وَأَوْصَافُهَا السَّنِيَّةُ وَأَسْمَاؤُهَا الرُّكْبِيَّةُ. وَبِهِ يَقَعُ الْخُلُودُ فِي نَعِيمِ الْجَنَانِ. وَالْقَوَزُ بِالْقُرْبِ مِنَ الْكَرِيمِ الْمَنَانِ، وَهُوَ مُنْقَسِمٌ عَلَى قَسْمَيْنِ: تَوْحِيدِ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ، وَهُوَ لِعَامَّةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَتَوْحِيدِ الشُّهُودِ وَالْعِيَانِ، وَهُوَ لَخَوَاصِّ أَهْلِ الْإِحْسَانِ مِنْ أَهْلِ الذُّوقِ وَالْوُجُودِ وَالتَّوَجُّدِ شَرِبُوا كُؤُوسَ الْمَحَبَّةِ، فَسَكَرُوا وَغَابُوا عَنِ الْوُجُودِ. ثُمَّ صَحُّوا مِنْ سَكَرَتِهِمْ فَتَمَتَّعُوا بِحَلَاوَةِ النَّظَرَةِ وَالشُّهُودِ. فَيَا لَهُ مِنْ شَرَابٍ مَا أَغْذَبَهُ وَمِنْ مَنَهْلٍ مَا أَحْسَنَهُ، بَيْعُ الثُّفُوسِ فِي إِذْرَاكِهِ حَقِيرٌ، وَبَذَلُ الْأَرْوَاحِ وَالْمُهْجِ فِي نَيْلِهِ نَزَرٌ يَسِيرٌ. وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

إِنْ كَانَ سَفْكَ دَمِي أَقْصَى مُرَادِكُمْ فَمَا عَلَتْ نَظْرَةَ مِثْكَمِ بِسَفْكِ دَمِي

وَمِمَّنْ أَخَرَزَ السُّبْقَ فِي هَذَا الْمَيْدَانِ وَكَانَ لَهُ مِنْ هَذَا السِّرِّ الْخَطُوةُ وَالشَّانُ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَأَعْظَمُهُمْ فِي ذَلِكَ سَيِّدُ الْأَنَامِ نَبِيُّنَا عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ. إِذْ مِنْ بَحْرِ سِرِّهِ فَاضَتْ أَسْرَارُهُمْ، وَمِنْ شَمْسِ نُورِهِ انْفَلَقَتْ أَنْوَارُهُمْ، وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ عَرْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدِّيمِ. ثُمَّ وَرَثَ عَنْهُمْ ذَلِكَ خَوَاصُّ أَوْلِيَائِهِ، وَصَفْوَةُ أَحْبَائِهِ. جَاهَدُوا نَفُوسَهُمْ بِأَنْوَاعِ الرِّيَاضَاتِ، وَكَابَدُوا فِي طَلَبِ مَحْبُوبِهِمْ أَقْصَى الْغَايَاتِ. صَدَّقُوا رَبَّهُمْ فِي الْمَعَامَلَاتِ، وَرَفَضُوا الْحُطُوطَ وَالشَّهَوَاتِ فَحَصَلَ لَهُمُ الْمِيرَاثُ الْعَظِيمُ بَعْدَ تَحْقِيقِ

نسبة القرابة المعنوية. بيّنة شهوده عقد المحبة. وأحكام رابطة الصّحبة. وبروز نطفة العناية من صلب الولاية، وعلوقها في مشيئة الإرادة، وظهور جنين السعادة، ثم تربيته في عش أهل المعرفة بين أبوي المراقبة والمجاهدة. ثم تغذيته بلبن علم اليقين إلى أوان فطامه بشهود رب العالمين. فهذا هو العلم الموروث عن الأنبياء عليهم السلام، لا التوحيد الذي يُنتجه الدليل والبُزْهان ويغترّيه الزيادة والتقصّان، إذ قد تعرض له الشكوك والأوهام، التي هي محال في حق الأنبياء عليهم السلام، ومن تحقّق بهذا الميراث الرفيع، والسرّ البديع، سلطان العشاق، وإمام الحذاق العارف الربّاني والحبر الصمداني شرف الدين أبو جعفر عمر بن علي بن المرسف المعروف بابن الفارض السّغدي الأصل المصري الدّار والمولود والوفاة. كان رضي الله عنه أعجوبة زمانه وفريد عصره وأقرانه ولّد رضي الله عنه سنة ست وسبعين وخمسائة بالقاهرة، وتوفي بها سنة اثنين وثلاثين وست مائة. ودُفن بسفح المقطم خارج مصر، وعليه قبّة عظيمة، ومزارة شهيرة، نفّعا الله ببركاته. قال في الديوان ناقلاً عن ولد الشيخ: كان الشيخ رضي الله عنه معتدل القامة، جميل الوجه، مشوباً بحُمْرة، وإذا استمع وتواجد وغلب عليه الخال، يزداد وجهه جمالاً ونوراً، وينحدر العرق من جسده حتى يسيل إلى الأرض. وكان عليه نور وجلالة وهيبة، وكان إذا حضر في مجلس يظهر على ذلك المجلس سكينه. وكان يحضر مجلسه أكابر الدولة من الأمراء، والوزراء، والقضاة، ورؤساء الناس، وهم في غاية ما يكون من الأدب والاتضاع له، وإذا خاطبوه كأنما يخاطبون ملكاً عظيماً. وإذا مشى في المدينة يزدحم الناس عليه، يلتسمون منه البركة والدعاء. ويقصدون تقبيل يده فلا يمكن أحداً من ذلك بل يضافحه، وكانت ثيابه حسنة، وزائحاته طيبة، وكان ينفق على من يرد عليه نفقة متسعة، ويعطي من يده عطاءً جزيلاً، ولم يكن يتسبّب في شيء من تحصيل الدنيا، ولا يقبل من أحد شيئاً. وبَعَثَ إليه السلطان ألف دينار فَرَدَّها إليه. وسأله أن يُجهز له قبراً عند أمه، في قبّة الإمام الشافعي رضي الله عنه فلم يأذن له في ذلك، ثم سأله أن يُجهز له مكاناً يكون مزاراً يُعرف به، فلم يتنعم له بذلك.

قال رضي الله عنه: كُنْتُ في أوّل تجريدي، أستاذن والدي، وأطلع إلى واد المستضعفين بالجبل الثاني من المقطم وأوي فيه، وأقيم في هذه السباحة ليلاً ونهاراً، ثم أعود إلى والدي من أجل برّه، ومراعات قلبه، وكان والدي يؤمّنني خليفة الحكم العزيز بالقاهرة ومصر، وكان من أكابر أهل العلم والعمل فيجد

سُروراً بِرُجوعي إِلَيْهِ، وَيَلْزمني الجلوسَ معه في مجالس الحُكْم ومَدارس العِلْم، ثم أَشتاق إلى التَّجريد، وأُستأذنه، وأُعود إلى السِّياحة. وما بِرِخت أَفَعَلَ ذلكَ مرَّةً بَعْدَ مرَّةٍ، إلى أن سئل والذي أن يكون قاضي القضاة، فامتنع ونزل عن الحُكْم واغْتَزَلَ النَّاسَ والسِّياحة، وسَلوكَ طريق الحقيقة، فَلَم يَفْتَح لي شَيْء، فَرَجَعْتُ مِنَ السِّياحة يَوماً إلى المَدِينَةِ ودَخَلْتُ المدرسة اليوسفية فَوَجَدْتُ رَجُلًا شَيْخًا بَقُلاً على بابِ المَدْرَسَةِ، يتوضأ وضوءاً غَيْرَ مُرتَّب، غَسَلَ يَدَيْهِ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ. فَقُلْتُ لَهُ يَا شَيْخ: أَنْتَ فِي هَذَا النَّسْنُ فِي دَارِ الإِسْلامَ وَبَيْنَ فَهْمِ المُسْلِمِينَ، وَأَنْتَ تَتَوَضَّأُ وضوءاً خارجاً عَنِ التَّرتِيبِ الشَّرْعِيِّ، فَتَنْظُرُ إِلَيَّ وَقَالَ: يَا عُمَرُ أَنْتَ مَا يَفْتَحُ عَلَيْكَ بِمَضْر، وَإِنَّمَا يَفْتَحُ عَلَيْكَ بِالْحِجَازِ، فِي مَكَّةَ شَرَفَهَا اللَّهُ، فَأَقْصِدْهَا. فَقَدْ حَانَ لَكَ وَقْتُ الفَتْحِ. فَعَلِمْتُ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُ بِإِظْهَارِ الجَهْلِ، فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي أَيْنَ أَنَا وَأَيْنَ مَكَّةُ؟ لَا أَجِدُ رَكْباً وَلَا رُفْقَةً فِي غَيْرِ أَشْهُرِ الْحِجِّ، فَتَنْظُرُ إِلَيَّ وَأَشَارَ وَقَالَ: هَذِهِ مَكَّةُ أَمَامَكَ فَتَنْظُرُ مَعَهُ فَرَأَيْتُ مَكَّةَ شَرَفَهَا اللَّهُ فَتَرَكْتُهُ وَطَلَبْتُهَا فَلَم تَبْرَحْ أَمَامِي إِلَى أَنْ دَخَلْتُهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَجَاءَنِي الفَتْحُ حِينَ دَخَلْتُهَا، وَتَرَادَفَ وَلَمْ يَنْقَطِعْ. قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثُمَّ شَرَعْتُ فِي السِّياحة فِي أَوْدِيَتِهَا وَكُنْتُ أَستَأْنِسُ بِالوُخْشِ لَيْلاً وَنَهَاراً، فَأَقَمْتُ بِوَادٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ لِلرَّكَّابِ المَجِيدِ، وَكُنْتُ آتِي مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَأَصْلِي فِي الْحَرَمِ الشَّرِيفِ الصُّلُواتِ الخَمْسِ وَمَعِيَ سَبْعُ عَظِيمٍ، يَصْحَبُونِي فِي ذَهَابِي وَإِيَابِي، وَيَنْخُ إِلَيَّ كَمَا يَنْخُ بِجَمَلٍ وَيَقُولُ: يَا سَيِّدِي ازْكَبْ، فَمَا رَكَبْتَهُ قَطُّ. ثُمَّ بَعْدَ خَمْسَةِ عَشْرِ سَنَةٍ، سَمِعْتُ الشَّيْخَ البَقَالَ يُنَادِي: يَا عُمَرُ، تَعَالِ إِلَيَّ الْقَاهِرَةَ، أَحْضِرْ وَقَاتِي، فَأَتَيْتُهُ مُسْرِعاً، فَوَجَدْتُهُ قَدْ اخْتَصَرَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ، وَنَاوَلَنِي دَنَائِيرَ ذَهَبٍ. وَقَالَ: جَهِّزْ لِي بِهَذِهِ وَافْعَلْ كَذَا وَكَذَا. . . وَاعْطِ حَمَلَةً نَعْشِي إِلَى القَرَاةِ كُلِّ وَاحِدٍ دِينَاراً، وَاتْرَكْنِي عَلَى الْأَرْضِ فِي هَذِهِ الْبُقْعَةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَيْهَا فَلَم تَزَلْ بَيْنَ عَيْنِي أَنْظُرُ إِلَيْهَا وَهِيَ الْقَرَاةُ عِنْدَ مَجْرَى السَّيْلِ تَحْتَ المَسْجِدِ المَعْرُوفِ بِالْأَرْضِ بِالْقُرْبِ مِنْ مَرَائِجِ مُوسَى، بِسَفْحِ جَبَلِ المَقْطَمِ. وَانْتَظَرْتُ قُدُومَ رَجُلٍ يَهْبِطُ إِلَيْكَ مِنَ الْجَبَلِ وَصَلَ أَنْتَ وَهُوَ عَلَيَّ، وَانْتَظَرْتُ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ فِي أَمْرِي. قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَلَمَّا تَوَفَّى جَهَّزْتَهُ كَمَا قَالَ، وَطَرَحْتُهُ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ كَمَا أَمَرَنِي، فَهَبَّطَ رَجُلٌ مِنَ الْجَبَلِ كَمَا يَهْبِطُ الطَّائِرُ الْمُسْرِعُ لَمْ أَرَهُ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْهِ، فَعَرَفْتَهُ بِشَخْصِهِ، كُنْتُ أَرَاهُ يُصَفِّعُ قَفَاهُ بِالْأَسْوَاقِ. فَقَالَ: يَا عُمَرُ تَقْدُمُ، فَصَلُّ بِنَا عَلَى الشَّيْخِ. فَتَقَدَّمْتُ وَصَلَّيْتُ إِمَاماً، وَرَأَيْتُ طَيوراً خَضِراً وَبَيْضاً صَفُوفاً بَيْنَ السَّمَاءِ

والأرض يُصلُونَ مَعًا، وَرَأَيْتُ طَائِرًا مِنْهُمْ أَخْضَرَ عَظِيمَ الْخَلْقَةِ، قَدْ هَبَطَ عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَابْتَلَعَهُ، وَارْتَفَعَ إِلَيْهِمْ وَطَارُوا جَمِيعًا، وَلَهُمْ زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ إِلَى أَنْ غَابُوا عَنَّا. فَقَالَ: يَا عُمَرُ، أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ أَزْوَاجَ الشَّهَدَاءِ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ؟ هُمْ شُهَدَاءُ السُّيُوفِ. وَأَمَّا شُهَدَاءُ الْمَحَبَّةِ، فَكُلُّهُمْ، أَجْسَادُهُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ. وَهَذَا الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَا عُمَرُ. وَأَنَا كُنْتُ مَعَهُمْ. وَإِنَّمَا وَقَعْتُ مِنِّي هَفْوَةٌ، فَطَرَدْتُ عَنْهُمْ. فَأَنَا أَصْفَعُ قَفَايَا نَدْمًا وَتَادِيًا عَلَى تِلْكَ الْهَفْوَةِ. ثُمَّ ارْتَفَعَ الرَّجُلُ إِلَى الْجَبَلِ كَالطَّائِرِ إِلَى أَنْ غَابَ عَنِّي. قَالَ وَلَدُهُ: وَفِي هَذِهِ الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ، دَفَنَ الشَّيْخُ حَسَبَ وَصِيَّتِهِ. وَضَرِيحُهُ بِهَا مَعْرُوفٌ. قُلْتُ: وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ. قَالَ حَفِيدُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ قُلْتُ فِي ذَلِكَ أَتِيَانًا:

جُرْ بِالْقَرَأَةِ تَحْتَ ذَيْلِ الْعَارِفِ وَقُلِ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا ابْنَ الْفَارِضِ
أَبْرَزْتُ فِي نَظْمِ السُّلُوكِ عَجَائِبًا وَكَشَفْتُ عَنْ سِرِّ مَصُونٍ غَائِبِ
وَشَرِبْتُ مِنْ بَحْرِ الْمَحَبَّةِ وَالْوَفَا فَرَوَيْتُ مِنْ بَحْرِ مُحِيطٍ غَائِبِ
قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ. فَقَالَ لِي: يَا عُمَرُ، لِمَ تَنْتَسِبُ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى بَنِي سَعْدِ، قَبِيلَةَ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ مُرَضِعَتِكَ فَقَالَ ﷺ: لَا بُدَّ أَنْتَ مِنِّي. وَنَسَبُكَ مُتَّصِلٌ بِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ. إِنِّي أَخْفِظُ نَسَبِي عَنْ أَبِي وَجَدِّي. إِلَى بَنِي سَعْدِ. فَقَالَ: لَا - مَاذَا بِهَا صَوْتُهُ - بَلْ أَنْتَ مِنِّي. وَنَسَبُكَ مُتَّصِلٌ بِي. فَقُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. مَكْرَرًا لِذَلِكَ. وَهَذِهِ النَّسَبَةُ، إِمَّا أَنْ تَكُونَ نِسَبَةُ الْأَهْلِيَّةِ؛ أَوْ نِسَبَةُ الْمَحَبَّةِ. وَنِسَبَةُ الْمَحَبَّةِ أَشْرَفُ مِنْ نِسَبَةِ الْأَبَوَةِ؛ وَهِيَ الَّتِي قُرِبَتْ بِإِلَآهٍ وَصُهْبِيًّا، وَسَلَمَانَ الْفَارِسِيِّ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ. وَأَبْعَدَتْ أَبَا طَالِبٍ وَأَبَا جَهْلٍ. وَإِلَى هَذَا، أَشَارَ الشَّيْخُ فِي قَصِيدَتِهِ الْيَائِيَةِ، حَيْثُ قَالَ:

نَسَبٌ أَقْرَبُ فِي شَرِّعِ الْهَوَى بَيْنُنَا مِنْ نَسَبٍ مِنْ أَبْوَئِي

فَقُلْتُ: وَقَدْ رُمِيَ الشَّيْخُ ابْنُ الْفَارِضِ، بِمَا رُمِيَ بِهِ غَيْرُهُ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ. كَالشُّشْتَرِيِّ، وَابْنِ سَبْعِينَ، مِنَ الْحُلُولِ وَالْإِتِّحَادِ. حَتَّى أَنْ بَغَضَ أَهْلُ الظَّاهِرِ نَهْيَ قِرَاءَةِ نَائِيَتِهِ؛ الَّتِي سَمَّاها: أَنْفَاسُ الْجَنَانِ، وَنَفَاسُ الْجَنَانِ. ثُمَّ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: سَمَّيْتُ نَظْمَ السُّلُوكِ، فَسَمَّاها بِذَلِكَ. ثُمَّ امْتَحَنَ النَّاهِي بِمُصَيَّبَةٍ، فَتَابَ وَرَجَعَ عَنْ ذَلِكَ. فَقَالَ حَفِيدُهُ: وَكَيْفَ يَتَصَوَّرُ مِنَ الشَّيْخِ أَنْ يَمِيلَ فِي قَصِيدَتِهِ إِلَى الْحُلُولِ. وَقَدْ نَزَّ عَقِيدَتُهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ فِيهَا:

وَكَيْفَ بِاسْمِ الْحَقِّ ظَلَّ تَحْقِيقِي تَكُونُ أَرَاغِيفُ الضَّلَالِ مُخِيفَتِي

وَمَا دَخِيَّةٌ وَافَى الْأَمِينَ نَبِيُّنَا
أَجْبَرِيلُ قُلْ لِي كَانَ دَخِيَّةٌ إِذْ بَدَا
وَفِي عِلْمِهِ عَنْ حَاضِرِهِ مَزِيَّةٌ
يَرَى مَلَكًا يُوجِي إِلَيْهِ وَغَيْرُهُ
وَلِي مِنْ أَتَمِّ الرُّؤْيَيْنِ إِشَارَةٌ
بِصُورَتِهِ فِي بَذِي وَخِي الثُّبُوءِ
لِمُهْدِي الْهُدَى فِي هَيَاةِ بَشْرِيَّةِ
بِمَاهِيَةِ الْمَرْءِ مِنْ غَيْرِ مَزِيَّةِ
يَرَى رَجُلًا يُدْعَى إِلَيْهِ بِصُخْبَةِ
تَنْزَعُهُ عَنْ رَأْيِي الْحُلُولِ عَقِيدَةِ

وَمَعْنَى كَلَامِ الشَّيْخِ: أَنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ كَصُورَةِ جِبْرِيلَ، حِينَ تَصَوَّرَ عَلَى صُورَةِ
دَخِيَّةٍ. فظاهره دحية، وباطنه جِبْرِيلُ. فإذا حَقَّقْتَ، لَمْ تَجِدْ إِلَّا جِبْرِيلَ. وَلَا حُلُولَ
وَلَا اتِّحَادَ. إِذْ لَا شَيْءَ مَعَهُ. وَكَذَلِكَ الْكَوْنَ مَعَ ثَوْرِ الْحَقِّ، اللَّهُ نَوْرُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ. فَافْهَمْ. قُلْتُ: وَلِلشَّيْخِ قِصَائِدُ كَثِيرَةٌ، جَمَعَهَا حَفِيدُهُ فِي دِيْوَانٍ مُسْتَقِلٍّ.
وَأَشْهَرُهَا وَأَنْفُسُهَا تَائِيَةٌ: نَظْمُ السُّلُوكِ الَّذِي تَقْدَمُ ذِكْرُهَا. كَانَ يَقُولُ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ: هَذِهِ الْقِصِيدَةُ الْعَرَاءِ. وَالْفَرِيدَةُ الزُّهْرَاءِ. لَمْ يُنْسَجْ عَلَى مِثَالِهَا. وَلَا يُسَمَّحُ
خَاطِرُ بِمِثَالِهَا. تَكَادُ تَخْرُجُ عَنْ وَسْعِ طَوْرِ الْبَشْرِ. وَحَكَّى جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ. مَرَّ
كَانُوا يَصْحَبُونَ الشَّيْخَ وَيُبَاطِنُونَهُ: إِنَّ الشَّيْخَ لَمْ يَكُنْ نَظَّمَهَا عَلَى حَدِّ نَظْمِ الشُّعْرَاءِ.
بَلْ كَانَ يَخْصُلُ لَهُ جَذَبَاتٌ، يَغِيبُ فِيهَا عَنْ حَوَاسِهِ الْأَيَّامُ، تَخَوُّ الْأُسْبُوعَ وَالْعَشِيرَةَ.
فَإِذَا أَفَاقَ أَمَلَى مَا يُفْتَحُ عَلَيْهِ مِنْهَا مِنَ الثَّلَاثِينَ وَالْأَرْبَعِينَ وَالْخَمْسِينَ بَيْتًا. ثُمَّ يَدْعُ.
حَتَّى يُعَارِدَهُ ذَلِكَ الْحَالُ. قُلْتُ: وَيَقْرُبُ مِنْهَا قِصِيدَتُهُ الْمِيمِيَّةُ الْخُمَرِيَّةُ. الَّتِي أَرَدْتُ
الْكَلَامَ عَلَيْهَا. بَلْ هِيَ أَغْدَبَ مِنْهَا لَفْظًا، وَأَسْلَسَ مِنْهَا نَظْمًا. لَا يَنْطِقُ بِهَا إِلَّا لِسَانُ
مَلَكُوتِي. وَقَلْبُ جِبْرُوتِي. بَالِغٌ فِيهَا فِي مَذْحِ الْخُمَرَةِ الْأَزَلِيَّةِ. وَأَبْدَى فِيهَا أَسْرَارَ
الْحَقِيقَةِ الْغَنِيَّةِ، كَشَفَ فِيهَا رِذَاءَ الصُّونِ عَنْ أَسْرَارِ جِبْرُوتِي. وَأَنْوَارِ مَلَكُوتِي. فَجَزَاءُ
اللَّهِ عَنَّا أَحْسَنَ الْجَزَاءِ. لَقَدْ قَرَّبَ الْمَدَارِكَ. وَبَيَّنَّ الْمَسَالِكَ فِي أَوْجَزِ عِبَارَةٍ. وَأَرْشَقِ
إِشَارَةٍ. فَأَرَدْنَا بِعَوْنِ اللَّهِ أَنْ نَضَعَ لَهَا تَقْيِيدًا مُخْتَصَرًا، يُبَيِّنُ أَلْفَاظَهَا، وَيُجَلِّ مَعْنَاهَا.
بَعْدَ الاسْتِخَارَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالْإِشَارَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ؛ وَهَذَا أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي التَّقْيِيدِ الْمَذْكُورِ.
مُعْتَمِدًا عَلَى حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ. وَمَا يَفْتَحُ بِهِ الْحَقُّ تَعَالَى مِنْ مَوَاقِبِ مِثْنِيهِ. فَأَقُولُ،
وَبِهِ أَحْوَلُ وَأَصُولُ. قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

شَرِينَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مُدَامَةً
سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْكَزْمُ
قُلْتُ: الْمُدَامَةُ وَالْمُدَامُ: اسْمٌ لِلْخُمَرِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَجِبُ ذَوَامَهَا
عِنْدَهُمْ. فَسَمَوْهَا بِهِ تَفَاوُلًا. وَالْكَزْمُ: شَجَرُ الْعَيْبِ. وَالْعَيْبُ نَفْسُهُ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ

عنه: شربنا على إثر ذكر الحبيب بالقلوب والأزواج خمرة صافية في مقام الصفا. سكرنا بها، فغبتنا عن الإحساس. ورأينا أنوار الحبيب في كل شيء، ومع كل شيء. وقبل كل شيء، وبعد كل شيء، فغبتنا السكر عن ظلمة الأكوان الحادثة، وأبصرنا أنوار القدم الباقية. قلت: وقد أشرت إلى هذا المعنى في عيني فقلت:

سَكِرْنَا فِهْمَنَا فِي بَهَاءِ جَمَالِهِ وَغَبْنَا عَنِ الْإِحْسَاسِ وَالنُّورِ سَاطِعِ
تَبَدُّثَ لَنَا شَمْسُ النَّهَارِ وَأَشْرَقَتْ فَلَمْ يَبْقَ ضَوْءُ النُّجْمِ وَالشَّمْسُ طَالِعِ
يقول رضي الله عنه: وقع لنا هذا السكر بالخمرة الأزلية المعنوية. قبل أن يوجد الكرم؛ التي تكون منه الخمرة الحسية. وإلى هذا المعنى، أشار الششتري رضي الله عنه بقوله:

لَا شَرَابَ الدُّوَالِسي إِثْنَهَا أَرْضِيَا
خَمْرَهَا دُونَ خَمْرِي خَمْرَتِي أَرْزِيَا

فقوله: سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم، يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا السُّكْرُ بَعْدَ ظُهُورِ عَالَمِ الْأَشْبَاحِ. وَأَنَّ الزَّوْجَ سَكِرَتْ عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ بِخَمْرَةِ أَرْزِيَا. قبل ظهور العيب الذي تكون منه الخمرة الحسية الأرضية. والمراد، أنه سكر بخمرة معنوية قبل ظهور مادة الخمر الحسية؛ ويَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا السُّكْرُ لِلرُّوحِ فِي الْأَرْزِيَا، فِي عَالَمِ الْأَزْوَاجِ، قَبْلَ ظُهُورِ عَالَمِ الْأَشْبَاحِ. فيكون قوله: قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْكَرْمَ، على ظاهره. أي قبل أن تظهر مادة الخمرة الحسية. ويؤيد قوله فيما يأتي: فَعِنْدِي مِنْهَا نَشْوَةٌ قَبْلَ نَشَائِي - البيت -. وسباني الكلام عليه إن شاء الله. والاحتمال الأول أظهر. والله أعلم. وَسُمِّيَتْ الْغَيْبَةُ فِي اللَّهِ سُكْرًا. لاشترائكها مع السكر الحسي في الغيبة عن الحس. فإن نور العقل، كما يُسْتَرُّ بِالظُّلْمَةِ الطَّيْنَةِ؛ وهي النشوة الناشئة عن الخمرة الحسية. كَذَلِكَ يُسْتَرُّ بِالْأَنْوَارِ الْمَعْنَوِيَّةِ، الْمَفَاجِئَةِ لَهُ مِنَ الْخَمْرَةِ الْأَرْزِيَا. فيغيب عن الإحساس. فَلِذَلِكَ سَمَّوْا تِلْكَ الْغَيْبَةَ سُكْرًا. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وهامنا اصطلاحات للقوم. نذكر منها ما يتوقف عليه فهم كلام الناظم منها: الدُّوقُ، والشُّرْبُ، والسُّكْرُ، والصَّخْوُ، ومنها الحس والمعنى. ومنها القدرة والحكمة. ومنها الوجد والوجدان، والوجود. ومنها الجمع والتفرقة. أما الدُّوقُ؛ فهو بزوق أنوار الذات القديمة على العقل. فيغيب عن رؤية الحدوث، في أنوار القدم. لكثرة لا يدوم ذلك. بل يلمع تارة. ويخفى أخرى، فإذا لمع غاب عن حسه. وإذا خفي

رَجَعَ إِلَى حِسِّهِ؛ وَرُؤْيَا نَفْسِهِ. فَهَذَا يُسَمَّى عِنْدَهُمْ ذَوْقًا. فَإِنْ دَامَ لَهُ ذَلِكَ الثَّوْرُ سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ فَهُوَ الشَّرْبُ. وَإِذَا اتَّصَلَ وَدَامَ فَهُوَ السُّكْرُ. وَمَرْجَعُهُ إِلَى قَنَاءِ الرُّسُومِ، فِي شُهُودِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ. وَالْغَيْبَةُ عَنِ الْأَثَرِ، فِي شُهُودِ الْمُؤَثِّرِ. وَيُسَمَّى أَيْضًا بِالْفَنَاءِ. فَإِنْ رَجَعَ إِلَى إِبْتِنَاتِ الْأَشْيَاءِ بِاللَّهِ، وَقِيَامِهَا بِهِ. وَرَأَاهَا ثَوْرًا مِنْ أَثْوَارِهِ، لَا وَجُودَ لَهَا مَعَهُ. فَهُوَ الصَّخْوُ. وَيُسَمَّى أَيْضًا الْبَقَاءُ؛ لِإِبْقَاءِ الْأَشْيَاءِ بِاللَّهِ بَعْدَ فَنَائِهَا بِنُورِهِ الْبَصِيرَةِ فِي اللَّهِ. وَقَدْ أَشَارَ صَاحِبُ الْحَكَمِ الْعَطَائِيَّةِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: شِعَاعُ الْبَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ قُرْبَ الْحَقِّ مِنْكَ. وَغَيْنُ الْبَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ عَدَمَكَ لَوْجُودِهِ. وَحَقُّ الْبَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ وَجُودَ الْحَقِّ. لَا عَدَمَكَ وَلَا وَجُودَكَ. كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ. وَقَالَ أَيْضًا فِي بَيَانِ السُّكْرِ وَالصَّخْوِ، وَبَيَانِ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ. فَقَالَ بَعْدَ كَلَامٍ: وَصَاحِبُ حَقِيقَةٍ: غَابَ عَنِ الْخَلْقِ بِشُهُودِ الْمَلِكِ الْحَقِّ. وَفَنَى عَنِ الْأَسْبَابِ، بِشُهُودِ مَسَبِّبِ الْأَسْبَابِ. فَهَذَا عِبْدٌ مُوَاجِهٌ بِالْحَقِيقَةِ. ظَاهِرٌ عَلَيْهِ سَنَاهَا سَالِكٌ لِلطَّرِيقَةِ. قَدْ اسْتَوْلَى عَلَى مَذَاهِبِهَا، غَيْرَ أَنَّهُ غَارِقٌ فِي الْأَثْوَارِ. مَطْمُوسٌ فِي الْأَثَارِ. قَدْ غَلَبَ سُكْرُهُ عَلَى صُحُوهِهِ، وَجَمَعَهُ عَلَى فَرْقِهِ وَغَيْبَتِهِ عَلَى حُضُورِهِ. وَأَكْمَلَ مِنْهُ رَجُلٌ شَرِبَ فَازْدَادَ صَخْوًا. وَغَابَ فَازْدَادَ حُضُورًا. فَلَا جَمْعَهُ يَحْجِبُهُ عَنِ فَرْقِهِ. وَلَا فَرْقُهُ يَخْجِبُهُ عَنِ جَمْعِهِ. وَلَا فَنَائُهُ يَصُدُّهُ عَنِ بَقَائِهِ. وَلَا بَقَاؤُهُ يَصْرِفُهُ عَنِ فَنَائِهِ. يُعْطِي كُلَّ ذِي قَسْطٍ قَسْطَهُ. وَيُوفِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَأَمَّا الْوُجُدُ فَهُوَ وَارِدٌ يُحَرِّكُ الْقَلْبَ وَيُزْجِعُهُ. إِمَّا شَوْقٌ مُقْلِقٌ، فَيُثِيرُ بَسْطًا وَسُرُورًا. وَإِمَّا خَوْفٌ مُزْجِعٌ فَيُثِيرُ قَبْضًا وَحُزْنًا. أَمَّا الْوُجُدَانُ فَهُوَ: دَوَامُ خَلَاقَةِ الشُّهُودِ، وَاتِّصَالِهَا لِلوَاجِدِ، مَعَ غَلَبَةِ السُّكْرِ وَالذُّهْشِ. . فَإِنْ اسْتَمَرَّ مَعَ ذَلِكَ، حَتَّى زَالَتِ الذُّهْشَةُ وَالْحَيْرَةُ. وَصَفَتْ الْفِكْرَةُ وَالنُّظْرَةُ. فَهُوَ الْوُجُودُ، وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الْجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: وَجُودِي أَنْ أُغِيبَ عَنِ الْوُجُودِ، بِمَا يَنْدُو عَلَيَّ مِنَ الشُّهُودِ. وَاعْلَمْ أَنَّ مَثَارَ الْوُجُدِ، هُوَ سَمَاعُ خُطَابِ الْمَحْبُوبِ. وَمَثَارُ الْوُجُدَانِ، هُوَ شُهُودُ جَمَالِ الْمَحْبُوبِ. وَقَدْ يَغْلِبُ عَلَيْهِمَا الْخَالُ، فَتَضْطَرُّ الْأَشْبَاحُ، وَتَرْقُصُ تَبْعًا لِاضْطِرَابِ الْقَلْبِ. وَمِثَالُ ذَلِكَ الْطِفْلُ فِي الْمَهْدِ، فَإِنَّهُ يَسْكُنُ إِذَا تَحَرَّكَ بِهِ الْمَهْدُ. وَيَبْكِي إِذَا سَكَنَ. كَذَلِكَ الْقَلْبُ يَرْتَاحُ إِذَا تَحَرَّكَ الْقَلْبُ. وَالْأَبْقَى يَضْطَرُّ. فَرُبَّمَا يَخْرُجُ عَنْ طَوْرِهِ. وَأَمَّا صَاحِبُ الْوُجُدِ فَهُوَ سَاكِنٌ مُتَمَكِّنٌ، قَدْ اسْتَأْنَسَ بِالْحَضْرَةِ. وَزَالَتْ عَنْهُ الذُّهْشَةُ وَالْحَيْرَةُ؛ فَهُوَ كَالْجَبَلِ الرَّاسِيِّ. قِيلَ لِلْجُنَيْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا لَكَ؛ كُنْتَ تَتَوَاجَدُ عِنْدَ السَّمَاعِ. ثُمَّ صَرَّتْ لَا يَتَحَرَّكُ مِنْكَ شَيْءٌ؟ فَتَلَى قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَمَادًا وَهِيَ تَمُرُّ مَرًّا

السَّعَابِ». وشاهد ذلك. صَوَاحِبُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ لَمَّا فَجَأَهُنَّ بِبَاهِرِ جَمَالِهِ: غِبْنَ عَنْ إِحْسَاسِيهِنَّ «وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقَلْنَ حَسَنٌ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا»، وَزَلِيخَا لَمَّا اسْتَمَرَّتْ مَعَهُ، لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ. كَذَلِكَ أَرْيَابُ الْوُجَدَانِ. لَمَّا اسْتَشْرَفُوا عَلَى نُورِ الْحَضْرَةِ، دُهْشُوا وَغَابُوا عَنْ إِحْسَاسِيهِمْ. فَإِذَا تَمَكَّنُوا مِنْ شُهُودِهَا، وَأَنَسُوا بِهَا، لَمْ يُحَرِّكْهُمْ شَيْءٌ مِنْ أَنْوَارِهَا. وَقَدْ يَغْلِبُ عَلَى الْغَايِفِ شُهُودُ الْجَمَالِ. فَيَرْقُصُ وَيَطْرُبُ، لَكِنَّهُ نَادِرٌ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَأَمَّا الْجَمْعُ وَالتَّفَرُّقُ: فَالْجَمْعُ عِبَارَةٌ عَنْ تَلَاشِي الْحَدِيثِ فِي إِثْبَاتِ الْقِدَمِ. أَوْ تَقُولُ: عِبَارَةٌ عَنْ ضَمِّ الْفُرُوعِ إِلَى أَصُولِهَا فَيَفْتَنَى مَا لَمْ يَكُنْ. وَيَبْقَى مَا لَمْ يَزَلْ. وَالتَّفَرُّقُ عِبَارَةٌ عَنْ إِثْبَاتِ الْأَحْكَامِ. وَالْحِكْمَةِ: قِيَامًا بِرَسْمِ الْعُبُودِيَّةِ، وَأَدْبًا مَعَ الرُّبُوبِيَّةِ. فَالْجَمْعُ مَحَلُّ الْبَوَاطِنِ. وَالْفَرْقُ مَحَلُّ الظَّوَاهِرِ. إِذِ الرُّبُوبِيَّةُ بِلا عُبُودِيَّةٍ نَقْصَانٌ. وَالتُّبُودِيَّةُ بِلا رُبُوبِيَّةٍ مُحَالٌ. فَلِذَلِكَ قَالُوا: الْجَمْعُ بِلا فَرْقٍ زُنْدَقَةٌ، لِإِبْطَالِهِ الْأَحْكَامَ وَالْحِكْمَةَ. وَالْفَرْقُ بِلا جَمْعٍ فَسَقٌ؛ لِإِخْرَاجِ صَاحِبِهِ عَنْ حَدِّ الْكَمَالِ. وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا عَيْنُ الْكَمَالِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ شَيْخَ شَيْخِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَوْمٌ تَشْرَعُوا وَلَمْ يَتَّصِفُوا، وَقَوْمٌ تَصَوَّفُوا وَلَمْ يَتَشَرَّعُوا. وَقَوْمٌ جَعَلُوا الشَّرِيعَةَ بَابًا. وَالْحَقِيقَةَ أَبْوَابًا. «أَوَّلُكَ حِزْبُ اللَّهِ إِلَّا إِنْ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْفَلَّاحُونَ». وَهَذَا أَوَّلُ كَلَامٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ عِنْدَ مُلَاقَاتِهِ، وَقَالَ لِي: وَأَنْتَ مِنْ الْقِسْمِ الثَّالِثِ. حَقَّقْنَا اللَّهُ بِمَحَبَّتِهِمْ، وَزَرَقْنَا الْأَدَبَ مَعَهُمْ آمِينَ. وَأَمَّا الْحِسُّ، فَهُوَ عِبَارَةٌ عَمَّا تَكْتَفٍ وَظَهَرَ مِنَ الْأَكْوَانِ. وَالْمَعْنَى: عِبَارَةٌ عَنِ الثَّوْرِ اللَّطِيفِ الْبَاطِنِ فِيهَا. وَأَمَّا السِّرُّ الَّذِي قَامَتْ بِهِ الْأَشْيَاءُ. فَالْحِسُّ ظَرْفٌ لِلْمَعْنَى. فَالْأَكْوَانُ أَوَانِي، حَامِلَةٌ لِلْمَعْنَانِي. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَالْقُدْرَةُ: عِبَارَةٌ عَمَّا يَصْدُرُ عَنِ الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ مِنَ الْأَفْعَالِ. أَكَّانَ عَلَى وَفْقِ الْعَادَةِ أَوْ خَارِقًا لَهَا. وَالْحِكْمَةُ: عِبَارَةٌ عَنْ رَبْطِ الْأَسْبَابِ بِمُسَبِّبَاتِهَا، وَالْعَوَائِدُ بِمَا تَعَوَّدَتْ بِهِ؛ فَهِيَ رَدَاءٌ لِلْقُدْرَةِ وَسَتْرٌ لَهَا. فَمَنْ وَقَفَ مَعَ رَدَائِ الْحِكْمَةِ، كَانَ مُخْجُوبًا عَنْ شُهُودِ الْقُدْرَةِ. وَمَنْ حُجِبَ عَنِ الصِّفَةِ. حُجِبَ عَنِ الْمُوصُوفِ، لِمُتْلَازِمِ وُجُودِهِمَا. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. فَمَعْرِفَةُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، تُعِينُ عَلَى فَهْمِ الْقَوْمِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لَهَا الْبَذَرُ كَأَنَّ وَهِيَ شَمْسٌ يُدِيرُهَا هِلَالٌ وَكَمْ يَبْدُو إِذَا مُزِجَتْ نَجْمٌ

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِهَذِهِ الْحَمْرَةُ الْأَزَلِيَّةِ: كَأَنَّ، وَهِيَ قَمَرُ التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ. فَمَنْ كَانَ مُشْرِكًا بِشُيُوءِ السُّوِي، أَوْ بِرُؤْيَا الْأَشْيَاءِ مَعَ الْمَوْلَى، فَلَا يَشْرَبُ مِنْ خَمْرِ الْهَوَى. أَوْ نَقُولُ: مَنْ كَانَ قَلْبُهُ مُشْحُونًا بِحُبِّ الْأَشْيَاءِ، أَوْ مَفْتُونًا بِنَيْلِ

الدُّنْيَا، فَلَا يَذُوقُ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الْحُمَيَّا: «أي الخمر». وهذه الخمرة هي شمس العِرْقَان، فَإِذَا أَشْرَقَتْ فِي أَفْقِ سَمَاءِ الْجَبَانِ، غَطَّتْ وجود الأَكْوَانِ، وَوَقَعَ العِيَانُ عَلَى قَفْدِ الْأَعْيَانِ. يُدِيرُهَا عَلَى الشَّارِبِينَ، هِلَالُ السَّعَادَةِ، فِي طَالِعِ سَعْدِ الْإِرَادَةِ. فَإِذَا شَرِبَتْ صَرْفًا غَابَ النَّشْوَانُ عَنِ الرُّسُومِ. وَلَمْ يَبْقَ فِي نَظَرِهِ إِلَّا أَنْوَارُ الْحَيِّ الْقَيُّومِ. فَإِذَا مُزِجَتْ بِالصُّخُو وَالسَّلُوكِ، صَارَ كَامِلًا مَكْمَلًا. فَكَمْ يَبْدُو لَهُ حَيْثُ مِنْ نَجْمِ الْعُلُومِ. وَكَمْ يَفْتَحُ لَهُ مِنْ مَخَازِنِ الْفُهُومِ. فَإِذَا أُوذِنَ لَهُ فِي التَّغْيِيرِ، وَقَعَتْ مَسَامِعُ الْقُلُوبِ عِبَارَتُهُ. وَجُلِيَتْ إِلَيْهِمْ إِشَارَتُهُ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذِلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ عَلَى الْمَحَبَّةِ: الشَّرَابُ هُوَ الثُّورُ السَّاطِعُ مِنْ جَمَالِ الْمَحْبُوبِ. وَالْكَأْسُ هُوَ اللَّطْفُ الْمَوْضِلُ ذَلِكَ، إِلَى أَقْوَاءِ الْقُلُوبِ. وَالسَّاقِي: هُوَ الْمُتَوَلِّي ذَلِكَ لخصوص الكبراء والصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ. وَهُوَ اللَّهُ الْعَالِمُ بِالْمَقَادِيرِ. وَمَصَالِحِ الْعِبَادِ. فَمَنْ كُشِفَ لَهُ عَنْ ذَلِكَ الْجَمَالِ. أَوْ حُطِّي شَيْءٌ مِنْهُ، نَفْسًا أَوْ نَفْسَيْنِ، ثُمَّ أُرْخِيَ عَلَيْهِ الْحِجَابَ؛ فَهُوَ الذَّائِقُ الْمَشْتَاقُ. وَمَنْ دَامَ لَهُ ذَلِكَ سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ؛ فَهُوَ الشَّارِبُ حَقًّا. وَمَنْ تَوَالَى عَلَيْهِ الْأَمْرُ، وَدَامَ لَهُ الشُّرْبُ، حَتَّى امْتَلَأَتْ عُرُوقُهُ وَمَفَاصِلُهُ، مِنْ أَنْوَارِ اللَّهِ الْمُخْزَوْنَةِ، فَذَلِكَ هُوَ الرَّيُّ. وَزَيْمًا غَابَ عَنِ الْمَحْسُوسِ وَالْعُقُولِ. فَلَا يَذَرِي مَا يُقَالُ، وَلَا مَا يَقُولُ. فَذَلِكَ هُوَ السُّكْرُ. وَقَدْ تَدَوَّرَ عَلَيْهِ الْكَاسَاتُ، وَتَخْتَلَفَ لَدَيْهِمُ الْحَالَاتُ. وَيَزْدَوْنَ إِلَى الذُّكْرِ وَالطَّاعَاتِ. وَلَا يُخَجِبُونَ عَنِ الصِّفَاتِ حَتَّى تُزَاحِمَ الْمَقْدُورَاتِ. فَذَلِكَ وَقْتُ صَخُونِهِمْ، وَاتِّسَاعِ نَظَرِهِمْ، وَمَزِيدِ عِلْمِهِمْ. فَهُمْ بِتُجُومِ الْعِلْمِ، وَقَمَرِ التَّوْحِيدِ يَهْتَدُونَ فِي لَيْلِهِمْ، وَبِشُمُوسِ الْمَعَارِفِ يَسْتَضِيئُونَ فِي نَهَارِهِمْ. «أَوَّلَيْكَ يَرْبُ اللَّهُ إِلَّا إِنْ يَرْبُ اللَّهُ هُمْ الْمَقْلُوحُونَ». انْتَهَى كَلَامُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ؛ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ كَلَامِ النَّاطِلِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ثُمَّ قَالَ:

وَلَوْلَا شَذَاهَا مَا اهْتَدَيْتُ لِخَائِنِهَا وَلَوْلَا سَنَاهَا مَا تَصَوَّرَهَا الْوَهْمُ

قلت: الشُّذَا: التَّسِيمُ الطَّيِّبُ. وَقَالَ فِي الْقَامُوسِ: الشُّذَا: قُوَّةُ ذِكَاةِ الرَّائِحَةِ. وَالْخَانُ: دَارُ بَيْتَاعٍ فِيهَا الْخَمْرُ أَوْ يُشْرَبُ فِيهَا. وَقَالَ فِي الْقَامُوسِ: الْخَانُ: الْحَانُوتُ أَوْ صَاحِبُهُ. وَخَانُ: التَّجَارُ. وَالسَّنَا بِالْقَصْرِ؛ هُوَ: الضُّوءُ وَالثُّورُ. وَالْوَهْمُ: الْخَاطِرُ. أَطْلَقَهُ هُنَا عَلَى الْعَقْلِ؛ لِأَنَّهُ مَحَلُّهُ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَذِهِ الْخَمْرَةُ الْأَزَلِيَّةُ رَفِيعَةُ الْقَدْرِ، عَالِيَةِ الشَّأْنِ، لَطِيفَةُ خَفِيَّةٍ. لَا تُتَنَالُ بِحِيلَةٍ وَلَا سَبَبٍ. فَلَوْلَا تَسِيمُهَا الطَّيِّبُ الَّذِي يَهْبُ عَلَى الْقُلُوبِ، فَتَسْتَشْفِقُ الْأَزْوَاحُ، وَتَنْجَذِبُ إِلَى خَضْرَةِ

عَلَامُ الْغُيُوبِ . مَا اهْتَدَيْنَا لِمَحَلِّهَا ، وَلَا تَوَجَّهْنَا إِلَى طَلَبِهَا . لَكِنْ لَمَّا لَاحَ لَنَا هِلَالُ
الْهَدَايَةِ ، فِي طَالِعِ سَابِقِ الْعِنَايَةِ ، هَبَّ عَلَى قُلُوبِنَا نَسِيمُ الْخُصُوصِيَّةِ مِنْ حَضْرَةِ عَظْمَةِ
الرُّبُوبِيَّةِ . فَمَا زِلْنَا نَقْفُوا أَثَرَهَا ، وَنَسْتَشِيقُ نَشْرَهَا ، حَتَّى أَقْضَيْتُ بِنَا إِلَى شُهُودِ أَنْوَارِ
الْحَبِيبِ . وَمُنَاجَاةِ الْقَرِيبِ مِنْ مَحَلِّ الْمَشَاهِدَةِ وَالْمُكَالَمَةِ ، وَالْمُصَالَحَةِ ، وَالْمُوَاجَهَةِ .
فَقُلْنَا فِي ذَلِكَ الْحَالِ :

لَكَ الدَّهْرُ طَوْنٌ وَالْأَنَامُ عَيْبِدُ فَعِشْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكَ عَيْدُ
قال الشيخ أَبُو الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَثَلُ ابْتِدَاءِ الْمَحَبَّةِ ، كَمَثَلِ رَجُلٍ شَمَّ
رَائِحَةَ الْمِسْكِ عَلَى بُعْدٍ ، فَلَا يَزَالُ يَتَّبِعُ تِلْكَ الرَّائِحَةَ ، وَهِيَ تَنْزَائِدُ عَلَيْهِ ، حَتَّى يَدْخُلَ
الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الْمِسْكُ . فَإِذَا دَخَلَهُ غَمَرَتْهُ الرَّائِحَةُ . فَلَا يُجِسُّ بِهَا . قَالِمَعْنَى كَذَلِكَ
طَالِبُ الْحَقِّ ، لَا يَزَالُ يَنْجَذِبُ قَلْبُهُ إِلَى الْحَضْرَةِ ؛ وَيَتَعَطَّشُ إِلَيْهَا . وَيَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا
بِأَنْوَارِ التَّوَجُّهِ ؛ وَهِيَ خِلَاوَةُ الْمُعَامَلَةِ ، حَتَّى يَغْرَقَ فِي أَنْوَارِ الْمُوَاجَهَةِ ؛ وَهِيَ حَضْرَةُ
الْمُشَاهَدَةِ ، فَيَسْكُنُ حَالَهُ ، وَيَزُولُ عَطَشُهُ بِحَصُولِ الْوُصُولِ إِلَى الْحَبِيبِ . فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا
الْأَدَبُ وَالتَّرَقُّيُّ فِي الْمَقَامَاتِ . هَذَا مَحَلُّ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ . وَقَوْلُهُ : وَلَوْلَا سَنَاهَا مَا
تَصَوَّرَهَا الْوَهْمُ : يَعْني أَنَّ هَذِهِ الْخَمْرَ خَفِيَّةٌ عَنِ الْأَوْهَامِ خَارِجَةٌ عَنْ مَدَارِكِ الْعُقُولِ
وَالْأَلْهَامِ . فَلَوْلَا أَنْوَارُهَا الَّتِي تَشْرِقُ عَلَى الْقُلُوبِ ، بَعْدَ صَفَائِهَا مِنَ الْأَغْيَارِ .
وَتَطْهِيرِهَا مِنَ الْأَكْدَارِ . مَا تَصَوَّرَهَا الْعَقْلُ ، وَلَا أَدْرَكَهَا الْفَهْمُ . إِذْ لَا تُدْرِكُ بِالْعُقُولِ .
وَلَا بِتَخْصِيلِ الثُّقُولِ . وَإِنَّمَا تُدْرِكُ بِصُخْبَةِ الرِّجَالِ . أَهْلُ التَّحْقِيقِ وَالْكَمَالِ ؛ لِأَنَّهَا
أَذْوَاقٌ فَلَا تُدْرِكُ مِنَ الْأُزْوَاقِ . كَمَا قَالَ ابْنُ الْبَنَّا فِي مَبَاجِئِهِ :

إِيَّاكَ أَنْ تَطْمَعُ أَنْ تُخَوِّزَهُ مِنْ دَقِّقِرٍ أَوْ شِفِيرٍ أَوْ أَرْجُوزَةٍ
وقال أيضاً :

مَا نَالَهَا ذُو الْعَيْنِ وَالْقُلُوسِ وَإِنَّمَا تَبَاعُ بِالسُّفُوسِ
فَمَنْ بَاعَ نَفْسَهُ لَشَيْخٍ كَامِلٍ حَكَمَهُ عَلَى نَفْسِهِ . أَشْرَقَتْ عَلَيْهِ أَنْوَارُ الْمَعَارِفِ .
وَأَدْرَكَ مِنْ مِثْنِ اللَّهِ مَا لَا يُحِيطُ بِهِ وَصَفُ وَاصِفٍ . وَإِلَّا أَتَعَبَ نَفْسَهُ وَمَنْ تَعَلَّقَ بِهِ .
هَذَا هُوَ الْغَالِبُ وَالنَّادِرُ لَا حُكْمَ لَهُ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ : ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا الدَّهْرُ غَيْرَ حُشَاشَةٍ كَأَنَّ خَفَاهَا فِي صُدُورِ النَّهْيِ كَثْمُ
قُلْتُ : الْحُشَاشَةُ : بَقِيَّةُ الرُّوحِ ، فِي الْمَرِيضِ فِي آخِرِ الرَّمَقِ . قَالَهُ فِي
الْقَامُوسِ . وَالنَّهْيُ بِالضَّمِّ جَمْعُ نَهْيَةٍ ؛ وَهُوَ الْعَقْلُ ؛ وَهُوَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ . أَنِّي

أَهْلُ النَّهْيِ يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذَهَبَتْ هَذِهِ الْخَمْرَةُ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ. وَانْدَرَسَتْ
بِذَهَابِ أَهْلِهَا. وَمَاتَتْ بِمَوْتِ أَرْبَابِهَا. وَأَنْسَلَتْ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ كَانِيسَلَالِ الرُّوحِ مِنْ
الْجَسَدِ. وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا الزَّمَانُ إِلَّا نَظْفَةٌ ضَعِيفَةٌ، كَبَقِيَّةِ الرُّوحِ مِنَ الْمَيِّتِ فِي آخِرِ
رَمَقِهِ؛ وَهَذِهِ الْخَمْرَةُ الَّتِي ذَكَرَ الشَّيْخُ هِيَ: اخْتِمَارُ الْقُلُوبِ بِأَنْوَارِ الْمَحْبُوبِ،
فِيُخْتَجَبُ عَنِ الْأَعْيَانِ، بِرُؤْيَا الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ. وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْخَمْرَةُ فِي الصَّدْرِ
الْأَوَّلِ، ظَاهِرَةً أَنْوَارَهَا. بِأَدْيَةِ أَسْرَارِهَا عَلَى أَرْبَابِهَا. فَيَتَذَكَّرُونَهَا. يَنْتَهِمُونَ. وَيَتَكَلَّمُونَ
عَلَيْهَا بِالْأَطْفَافِ الْعِبَارَاتِ. وَأَنْوَاعِ الْإِشَارَاتِ، ثُمَّ انْدَرَسَتْ. وَقُلْتُ: فَخَفِيَتْ أَنْوَارَهَا،
وَبَطُنَتْ أَسْرَارُهَا. فَكَأَنَّ حَقَاءَهَا وَبَطُونَهَا كُنْهُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا عَنْ غَيْرِ أَهْلِهَا.
وَذَلِكَ لَأَسْتِيْلَاءِ الْغَفْلَةِ عَلَى النَّاسِ، وَانْصِرَافِ الْهَمَّةِ إِلَى الدُّنْيَا. فَلَمَّا رَأَى الْحَقُّ
تَعَالَى النَّاسَ حَادُوا عَنْ بَابِهِ. وَلَاذُوا بِغَيْرِ جَنَابِهِ. حَجَبَ ذَلِكَ السَّرَّ فِي قُلُوبِ
أَرْبَابِهِ، وَحَجَبَ أَوْلِيَائِهِ فِي عِبَادِهِ. وَمَا قَالَهُ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ قِلَّةِ وَجُودِ
هَذَا الْعِلْمِ وَانْدِرَاسِهِ، قَالَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لَغْرَابَتِهِ وَعِزَّتِهِ. قَالَ
الْجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَلِمْنَا هَذَا الَّذِي نَتَكَلَّمُ فِيهِ، قَدْ طُوِيَ بِسَاطِهِ مُنْذُ عَشْرِينَ
سَنَةً. وَإِنَّمَا نَتَكَلَّمُ فِي خَوَائِصِهِ. وَكَانَ أَيْضًا يَقُولُ: كُنْتُ أَجَالِسُ قَوْمًا سَنِينَ،
يَتَحَاوَرُونَ فِي عِلْمٍ لَا أَفْهَمُهَا، وَلَا أَذْهَبُ مَا هِيَ. وَمَا بُلِيْتُ بِالْإِنْكَارِ قَطُّ. كُنْتُ
أَتَقْبَلُهَا وَأَحِبُّهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ أَعْرِفُهَا. وَكَانَ أَيْضًا يَقُولُ: كُنَّا نَتَحَاوَرُ مَعَ إِخْوَانِنَا قَدِيمًا
فِي عِلْمٍ كَثِيرَةٍ، مَا نَعْرِفُهَا فِي وَقْتِنَا هَذَا. وَلَا سَأَلْنِي أَحَدٌ عَنْهَا؛ وَهَذَا بَابُ كَأَنَّهُ
أُغْلِقَ وَزُدَّ. وَقَالَ فِي الْقَوْتِ: قَالَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا: أَنَا أَعْرِفُ لِلْمُتَقَدِّمِينَ سَبْعِينَ
عِلْمًا، كَانُوا يَتَجَاوَرُونَهَا وَيَتَمَارِقُونَهَا فِي هَذَا الْعِلْمِ. وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا الْيَوْمَ عِلْمٌ وَاحِدٌ.
وَأَعْرِفُ فِي زَمَانِنَا هَذَا عِلْمًا كَثِيرَةً، مِنَ الْبَاطِلِ وَالْغُرُورِ، وَالِدَّعَاوَى ظَهَرَتْ
وَسُمِّيتْ عُلُومًا. ثُمَّ قَالَ: وَكَانَ إِمَامُنَا سَهْلٌ يَقُولُ: بَعْدَ سِتَّةِ وَثَلَاثِمِائَةٍ: لَا يَحِلُّ أَنْ
يُنْتَكَلَمَ بِعِلْمِنَا هَذَا، يَغْنِي لِقِلَّةِ أَهْلِهِ. لِأَنَّهُ يُخَدِّثُ قَوْمَ يَسْتَمْعُونَ لَخَلْقٍ، وَيَتَزَيَّنُونَ
بِالْكَلَامِ. يَكُونُ مُوَاجِدُهُمْ لِبَاسُهُمْ وَمَعْدِنُهُمْ بَطُونُهُمْ. وَحِيلَتْهُمْ كَلَامُهُمْ. وَقَالَ
الْأَسَازُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقَشِيرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي صَدْرِ رِسَالَتِهِ: اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ،
أَنَّ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ، انْقَرَضَ أَكْثَرُهُمْ. لَمْ يَبْقَ فِي زَمَانِنَا هَذَا مِنْ هَذِهِ
الطَّائِفَةِ إِلَّا أَثَرُهُمْ. وَفِي مَعْنَاهُ قِيلَ:

لَا وَالَّذِي حَجَّتْ قُرَيْشٌ بَيْتَهُ مُسْتَقْبِلِينَ الرُّكْنَ مِنْ بَطْحَائِهَا
مَا أَبْصَرْتُ عَيْنِي خِيَامَ قَبِيلَةٍ إِلَّا بَكَيْتُ أَحَبَّتِي بِفَنَائِهَا

أَمَّا الْخِيَامُ فَإِنَّهَا كَخِيَامِهِمْ وَأَرَى نِسَاءَ الْحَيِّ غَيْرَ نِسَائِهَا
قال ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه: قَالَ هَذَا فِي زَمَانِهِ. حَيْثُ أَذْرَكَ مَنْ
تَزَيَّنَ بِزِيِّ الْقَوْمِ، وَخَالَفَهُمْ فِي بَاطِنِهِمْ. وَأَمَّا الْيَوْمَ فَلَا خِيَامَ وَلَا نِسَاءَ. وَقَالَ الشَّيْخُ
أَبُو مَذْيَنٍ فِي قَصِيدَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَأَعْلَمُ بِأَنَّ طَرِيقَ الْقَوْمِ دَارِسَةٌ وَحَالُ مَنْ يَدْعِيهَا الْيَوْمَ كَيْفَ تَرَى
وَقَالَ فِي الْمُبَاحِثِ:

يَا سَائِلًا عَنْ سُئِنِ الْفَقِيرِ سَأَلْتُ مَا عَرَّعَنِ التَّخْرِيرِ
إِنَّ الَّذِي سَأَلْتَ عَنْهُ مَاتَ وَصَارَ بَسْعُ أَغْظَمَاءِ رُقَاتَا
إِلَّا رُسُومًا رُبَّمَا لَمْ تَغْفُ وَذَلِكَ مَا تَثْبِغُهُ وَتُثْقِفُ
وَهَبِكَ أَنْ تَظْفَرَ بِالْأَوْطَانِ مَا السُّرُّ وَالْمَغْنَى سِوَى الْقُطَانِ

وَكَانَ شَيْخُ شِيُوخِنَا سَيِّدِي عَلِيُّ الْعِمْرَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ. مَنْ شَكَّ
ثَوُسَ، إِلَى وَادِي ثُونٍ، لَا تَجِدُ أَحَدًا يَتَكَلَّمُ فِي هَذَا الْعِلْمِ، إِلَّا رَجُلًا أَوْ رَجُلَيْنِ.
كِنَايَةٌ عَنْ قِلَّةِ وُجُودِ الْمُحَقِّقِينَ. وَلَا يَدُلُّ هَذَا عَلَى انْقِطَاعِهِمْ. فِي كُلِّ زَمَانٍ رِجَالٌ،
يَرْحَمُ اللَّهُ بِهِمْ عِبَادَهُ. فَالْعَدَدُ الْمَعْلُومُ لَا يَنْقُطُ، حَتَّى يَنْقُطَ الدِّينُ. قَالَ فِي لَطَائِفِ
الْمَثَرِ: سُبُلُ بَعْضِ الْعَارِفِينَ عَنْ أَوْلِيَاءِ الْعَدَدِ، أَيْنَقُصُونَ فِي زَمَنِ؟ فَقَالَ: لَوْ نَقَصَ
مِنْهُمْ وَاحِدٌ، مَا أُرْسَلَتِ السَّمَاءُ قَطَرَهَا. وَلَا أُبْرِزَتِ الْأَرْضُ نَبَاتِهَا. وَفَسَادَ الْوَقْتُ لَا
يَكُونُ بِذَهَابِ أَعْدَادِهِمْ. وَلَا بِنَقْصِ إِمْدَادِهِمْ. وَلَكِنْ إِذَا فَسَدَ الْوَقْتُ. كَانَ مُرَادُ اللَّهِ
وَقُوعُ اخْتِفَائِهِمْ. فَإِذَا كَانَ أَهْلُ الزَّمَانِ مُعْرِضِينَ عَنِ اللَّهِ. مُؤَثِّرِينَ لِمَا سِوَى اللَّهِ. لَا
تَنْجَحُ فِيهِمُ الْمَوْعِظَةُ، وَلَا تَمِيلُهُمْ إِلَى اللَّهِ التَّذَكُّرَةُ. لَمْ يَكُونُوا أَهْلًا لظُهُورِ أَوْلِيَاءِ
اللَّهُ فِيهِمْ. وَلِلذَلِكَ قَالُوا: أَوْلِيَاءُ اللَّهِ عَرَائِسُ. وَلَا يَرَى الْعَرَائِسُ الْمَجْرُمُونَ. ثُمَّ
قَالَ: وَقَدْ قَالَ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتَ شَخْصًا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ
بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَوْنِصَةِ نَفْسِكَ». فَسَمِعُوا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَثَرُوا الْخِفَاءَ، بَلْ أَثَرُهُ
اللَّهُ لَهُمْ مَعَ أَنَّهُ لَأَنْ مِنْهُمْ، أَنْ يَكُونَ فِي الْوَقْتِ أُنْمَةُ ظَاهِرُونَ، قَائِمُونَ بِالْحُجَّةِ،
لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ
خَالَفَهُمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ». وَقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: اللَّهُمَّ لَا تُخْلِ الْأَرْضَ
مِنْ قَائِمٍ لَكَ بِحُجَّتِكَ. أَوْلَئِكَ الْأَقْلُونَ عَدَدًا. الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا. قُلُوبُهُمْ
مُعَلَّقةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى. أَوْلَئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ. آه. آه. أَوَاشِقَاهُ إِلَى

رُؤيتهم. قُلْتُ: وقد وجدت هذه الأئمة في زماننا هَذَا. وظهروا ظُهُورَ الشمس في أفق السَّمَاءِ على مَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ الْعَيْنَاةِ. ثُمَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا بِمَعْرِفَتِهِمْ وَصَحْبَتِهِمْ. فوجدناهم من أَهْلِ التَّريَةِ النَّبَوِيَّةِ. سَالِكِينَ الطَّرِيقِ. عَارِفِينَ بِعَيْنِ التَّحْقِيقِ. سَلَكُوا بِلَادَ التَّجْرِيدِ. وَخَاصُوا بِخَارِ التَّوْحِيدِ. دَاعِينَ إِلَى اللَّهِ بِالْهَيْمَةِ وَالْحَلَالِ. عَارِفِينَ الْاضْطِلَاحَ وَالْمَقَالَ. يَنْهَضُونَ إِلَى اللَّهِ بِالْحَالِ. وَيَذْلُونَ عَلَى اللَّهِ بِالْمَقَالِ. سَلَكُوا مَقَامَ الْجَذِبِ وَالْفَنَاءِ. وَرَجَعُوا إِلَى مَقَامِ الْبَقَاءِ. قَدْ هَدَى اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمُ الْجَمَّ الْقَفِيرَ. وَتَخَرَّجَ عَلَى أَيْدِيهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ. غَيْرَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلشَّمْسِ مِنْ سَحَابٍ. وَلِلْحَسَنَاءِ مِنْ نِقَابٍ. فَسَتَرَ اللَّهُ سِرَّهُمْ بِبَغْضِ مَا يُظْهَرُ مِنْ بَغْضِ أَصْحَابِهِمْ مِنَ الْأَحْوَالِ الظُّلُمَانِيَةِ، وَالْأَفْعَالِ الشَّيْطَانِيَةِ؛ وَهُمْ مُبَرَّزُونَ مِنْهَا. يَحْذَرُونَ دَائِمًا مِنْ فِعْلِهَا. وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَمِنْ بَيْنِ أَحْشَاءِ الدُّنَا نَصَاعَدَتْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا اسْمُ قُلْتُ: هَذَا هُوَ الصَّوَابُ فِي اتِّصَالِ هَذَا الْبَيْتِ بِمَا قَبْلَهُ لِلْمُنَاسَبَةِ. وَلَعَلَّ النَّاسَ أَخْرَجَهُ عَنْ مَحَلِّهِ. وَالْأَحْشَاءُ، جَمْعُ خُشُوعَةٍ بِالضَّمِّ وَهُوَ مَا فِي الْبَطْنِ مِنَ الْأَمْعَاءِ. وَالدُّنَا، جَمْعُ دَنٍّ، بِفَتْحِ الدَّالِ، وَشَدِّ التَّوْنِ. وَهُوَ فَخَّارٌ كَبِيرٌ، أَسْفَلُهُ رَفِيقٌ، لَا يَجْلِسُ حَتَّى يَحْفَرَ لَهُ. وَيُقَالُ لَهُ الرَّاقُودُ. يُخْزَنُ فِيهِ الْخَمْرُ وَالْخَلُّ. وَأُطْلِقَ هُنَا عَلَى الْقُلُوبِ، أَوْ الْأَشْبَاحِ؛ لِأَنَّهَا أَوَانٌ لِلْخَمْرَةِ الْأَزْلِيَّةِ. وَتَصَاعَدُ الشَّيْءُ ارْتَفَعَ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدْ ارْتَفَعَتْ هَذِهِ الْخَمْرَةُ، وَتَصَاعَدَتْ مِنْ أَجْوَافِ النَّاسِ، وَمِنْ بَيْنِ أَحْشَاءِ الصُّدُورِ. وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، إِلَّا اسْمٌ بِلا مَسْمُومٍ. وَرَسْمٌ بِلا دَارٍ. وَكَذَلِكَ عِلْمُ التَّصَوُّفِ الْحَقِيقِيِّ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا التَّشْدُقُ بِاللِّسَانِ، مَعَ خَرَابِ الْجَنَانِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْقَائِلُ:

أَهْلُ التَّصَوُّفِ قَدْ مَضَوْا	صَارَ التَّصَوُّفُ مَخْرَفَةً
صَارَ التَّصَوُّفُ رَتَمَةً	وَسَجْدَةً مُزَوَّجَةً
صَارَ التَّصَوُّفُ سُبْحَةً	وَتَوَاجُدًا وَمِنْطَقَةً
كَذَّبَتْكَ نَفْسُكَ لَيْسَ ذِي	سَنَنِ السَّطَرِيقِ الْمُتْلَحَقَةً

وَفِيمَا تَقَدَّمَ قَبْلَ هَذَا كِفَايَةً. وَالْبَرَكَةُ لَا تَنْقَطِعُ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَإِنْ ذُكِرَتْ فِي الْحَيِّ أَصْبَحَ أَهْلُهُ نَشَاوَى وَلَا عَارَ عَلَيْهِمْ وَلَا إِثْمٌ
قلت: الحي: القبيلة. قاله في القاموس. والنشأوى جمع نشوان، كسكران،
وَرِزْنًا وَمَعْنَى. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا ذُكِرَتْ هَذِهِ الْخَمْرَةُ، ذَكَرًا حَقِيقِيًّا بِالْعِلْمِ
وَالْحَالِ فِي قَبِيلَةٍ أَوْ مَدَشِيرٍ، أَوْ بِلَدٍ. أَصْبَحَ أَهْلُ تِلْكَ الْقَبِيلَةِ سُكَارَى وَالْهَيِّنَ مِنْ ذِكْرِ
الْحَبِيبِ، غَالِبَ عَنْهُمْ الْجَذْبُ إِلَى الْخَضِرَةِ الْأَزَلِيَّةِ. لَكِنْ بِشَرَطِ أَنْ يَكُونَ ذَاكِرُهَا
غَالِبًا عَلَيْهِ السُّكْرُ وَالْجَذْبُ مَعَ طَرَفٍ مِنَ الصُّخْرِ وَأَنْ يَذْكُرَهَا مَعَ أَهْلِهَا. فَإِنْ كَانَ
كَمَا قُلْتُ، فَلَا شَكَّ فِي سُكْرِ أَهْلِ ذَلِكَ الْبَلَدِ. وَانْجِدَابِهِمْ إِلَى الْخَضِرَةِ. وَإِشْرَاقِ
أَنْوَارِهَا عَلَيْهِمْ. قُلْتُ: وَقَدْ شَهِدْتُ هَذَا الْمَعْنَى، حِينَ خَرَجْنَا إِلَى قَبِيلَةِ أَنْجَرَةٍ
وَالْفَخْصِ، فِي الْعَامِ الْأَوَّلِ مِنْ مُلَاقَاةِ الشَّيْخِ، حَيْثُ كَانَ السُّكْرُ غَالِبًا عَلَيْنَا، فَكُنَّا إِذَا
بَتْنَا فِي مَنْزِلٍ. يُضْبِحُ أَهْلُهُ جُلُوهَ سُكَارَى، يَلْهَجُونَ بِذِكْرِ اللَّهِ. وَقَدْ رَأَيْتُ الصَّبِيَّانَ،
وَالرُّعَاةَ وَالْحَرَائِينَ يَتَّبِعُونَا، وَهُمْ يَتَّكُونَ. فَمَا كُنَّا نَرُدُّهُمْ إِلَّا بِجُهْدٍ جَهْدٍ. وَقَدْ رَأَيْتُ
فِي فَخْصِ طَنْجَةٍ، أَصْحَابَ الْمَخْزَنِ، وَأَرْبَابَ الدَّوْلَةِ. عُلِقُوا التَّسَابِيحَ، وَتَابُوا،
وَتَرَكُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ. فَحَقَّقْنَا هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ عَيْنًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. وَقَوْلُهُ:
وَلَا عَارَ عَلَيْهِمْ. الخ. تعريف بالخمرة الحسيَّة. فَإِنَّهَا فِيهَا الْعَيْبُ وَالْإِثْمُ مِنْ قَبْلِ
الشَّرْعِ. لِتَغْيِيبِ الْعَقْلِ وَتَلَفِهِ فِي الظُّلْمَةِ. فَتَشْغَلُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَعَنِ الصَّلَاةِ بِخِلَافِ
هَذِهِ. فَإِنَّ الْعَقْلَ يَغِيبُ فِي نَوْرِ الْحَبِيبِ، وَبِهَائِهِ وَحَسَنَ جَمَالِهِ. فَفِي تَرْكِهَا الْعَارُ
وَالْإِثْمُ، لَا فِي تَعَاطِيهَا، كَمَا يَأْتِي عِنْدَ قَوْلِهِ:

وَقَالُوا شَرِبْتَ الْإِثْمَ كَلَّا وَإِنَّمَا شَرِبْتَ التِّي فِي تَرْكِهَا عِنْدِي الْإِثْمُ
وبالله التوفيق. ثم قال رضي الله عنه:

وَإِنْ خَطَرَتْ يَوْمًا عَلَى خَاطِرِ امْرِئٍ أَقَامَتْ بِهِ الْأَرْوَاحُ وَازْتَحَلَ الْهَمُّ
يقول رضي الله عنه: إِذَا خَطَرَتْ هَذِهِ الْخَمْرَةُ الْأَزَلِيَّةُ؛ وَهِيَ الْمَعْرِفَةُ
الْحَقِيقِيَّةُ؛ عَلَى قَلْبِ امْرِئٍ مَوْحِدٍ مُطَهَّرٍ مِنَ الْأَغْيَارِ، سَالِمٍ مِنْ خِيَالَاتِ صُورِ
الْآثَارِ. وَدَامَ ذَلِكَ الْخَطُورُ، بِحَيْثُ لَا تَخْلُلُهُ فَتُورٌ. أَقَامَتْ: أَيُّ سَكَنَتْ فِي ذَلِكَ
الْقَلْبِ، بِسَبَبِ شُهُودِ تِلْكَ الْخَمْرَةِ، الْأَفْرَاحِ وَالسُّرُورِ. وَالِابْتِهَاجِ وَالْخُبُورِ. وَازْتَحَلَ
عَنْهُ الْأَخْزَانُ وَالْهُمُومُ. بِمُشَاهَدَةِ الْحَيِّ الْقَيُومِ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْخَمْرَةَ، هِيَ مَعْرِفَةُ الذَّاتِ
الْأَزَلِيَّةِ. عَلَى مَا يَأْتِي فِي تَفْسِيرِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَجَنَّةُ الْمَعَارِفِ، أَخْطَى عِنْدَ
الْعَارِفِينَ مِنْ جَنَّةِ الزُّخَارِفِ؛ لِأَنَّ مَنْ دَخَلَ جَنَّةَ الْمَعَارِفِ، لَمْ يَشْتَقْ إِلَى جَنَّةِ
الزُّخَارِفِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلَى اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

أي في الدارين . وقال تعالى في الحديث القدسي : «أعددْتُ لعبادي الصَّالِحِينَ . مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» . ولم يُقَيِّدْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَلَا الْآخِرَةِ . فهو حاصل لهم في الدارين . وأيضاً : إِنَّمَا تَطْرُقُ الْفُهُومُ وَالْأَخْزَانُ ، بسبب وجود الإنسان . وَأَمَّا مَنْ تَحَقَّقَ لَهُ الزَّوَالُ . فَلَا يَرَى إِلَّا غَايَةَ الْكَمَالِ . مَا تَجَدُّهُ الْقُلُوبُ مِنَ الْأَخْزَانِ . فلما منعت من الشهود والعيان . كَمَا قَالَ صَاحِبُ الْحِكْمِ : «أَوْحَى اللَّهُ إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا دَاوُدَ ، قُلْ لِلصَّادِقِينَ : بِي فَلْيَفْرَحُوا . وَبِلِكُرِّي فَلْيَسْتَمْتِعُوا ، أَيْ لَا يَصْغُرُ الْفَرْحُ . وَلَا يَكْمُلُ النُّعِيمُ . إِلَّا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ قَدْ ذَلِكُمْ فَلْيَفْرَحُوا﴾ . أَي لَا بَغْيَ . فَفَضَلَ اللَّهُ مَعْرِفَتَهُ ، وَرَحْمَتَهُ : هِدَايَتَهُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

أَنْتُمْ سُرُورِي وَأَنْتُمْ مُشْتَكَايَ وَأَنْتُمْ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ أَقْمَارِي
فَلِنْ تَكَلَّمْتُ لَمْ أَطِقْ بِغَيْرِكُمْ وَإِنْ صَمَمْتُ فَأَنْتُمْ عِقْدُ إِضْمَارِي

وقال آخرُ :

إِنْ عَرَفَانَ ذِي الْجَلَالِ لَعِزُّ وَضِيَاءُ وَبَهْجَةُ وَسُرُورُ
وَعَلَى الْعَارِفِينَ أَيْضاً بَهَاءُ وَعَلَيْنِهِمْ مِنَ الْمَحَبَّةِ نُورُ
فَهَيْئاً لِمَنْ عَرَفَكَ إِلَهِي مُوَالَاهُ دَهْرُهُ مَسْرُورُ

وَقُلْتُ فِي تَائِيَتِي الْخُمُورِيَّةِ :

فَفِي سَكْرَةٍ مِنْهَا سُرُورٌ وَغَبِطَةٌ وَخَيْرُ حَيَاةٍ فِي نَعِيمٍ وَبَهْجَةٍ
وَقُلْتُ فِي عَيْنِيَّتِي :

وَلِي لَوْعَةٌ بِالرَّاجِي إِذْ فِيهِ رَاحَتِي وَرُوحِي وَرَيْحَانِي وَخَيْرُهُ وَاسِعُ

وإنما قَيَّدْنَا كَلَامَ الشَّيْخِ بِدَوَامِ خَطُورِ تِلْكَ الْخُمُورَةِ ؛ لِأَنَّ مَطْلُقَ الْخَطُورِ وَالْمُرُورِ ، لَا يُوجِبُ دَوَامَ السُّرُورِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ كِبْرُوقٌ سَرَى . فَلِذَا انْتَدَلَ الْحِجَابُ ، بَرَفَعَ ذَلِكَ الثُّورُ ، زَالَ الْفَرْحُ وَالسُّرُورُ ؛ لِأَنَّ صَاحِبَ هَذَا الْمَقَامِ ، صَاحِبَ تَلَوُّنٍ . وَصَاحِبَ التَّلَوُّنِ مَا زَالَ فِي السَّيْرِ مَعَ السَّائِرِينَ ، وَالسُّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ ، فَلَا يَسْتَرِيحُ مِنَ التَّعَبِ ، وَلَا يُفَارِقُهُ النَّصَبُ ، حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَقَامِ التَّمَكُّينِ . فَحِينَئِذٍ يَسْكُنُ فَسِيحَ الْجَنَانِ . وَتَضْمَحَلَّ عَنْهُ الْهُمُومُ وَالْأَخْزَانُ ، كَمَا تَقَدَّمَ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَلَوْ نَظَرَ السُّذْمَانُ خَتَمَ إِنَائِيهَا لَا سَكَّرَهُمْ مِنْ دُونِهَا ذَلِكَ الْخَنَمُ
قلت: السُّذْمَانُ، يكون مفرداً ويكون جمعاً كما في القاموس. والمراد هنا
الجمع. بِدَلِيلِ جَمْعِ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ: لَا سَكَّرَهُمْ، وَهُمْ الْجَمَاعَةُ الَّتِي تَحَدَّثُ عَلَى
الْخَمْرِ فِي مَجْلِسِهِ. وَخَتَمَ الْإِنَاءَ: مَا تُسَدُّ بِهِ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي تَشْبِيهِ
الْخَمْرَةِ الْأَزْلِيَّةِ، بِالْخَمْرَةِ الْحَسِيَّةِ، أَوْ بِالرَّحِيقِ الْمُخْتَوِ فِي الْجَنَّةِ. فَإِنَّ هَذِهِ الْخَمْرَةَ
الْأَزْلِيَّةَ، مَخْزُونَةٌ فِي أَوَائِيهَا. مُخْتَوٍ عَلَيْهَا بِخَتَامِ الْحِفْظِ وَالصِّيَانَةِ. فَلَوْ نَظَرَ
الْقَاصِدُونَ لِشَرِبِهَا. إِلَى ذَلِكَ الْخَتَمِ، لَسَكَّرُوا قَبْلَ الشُّرْبِ. فَمَا بَالُكَ بِالشُّرْبِ. فَمَا
بَالُكَ بِالرَّيِّ. قلت: وَأَوَائِي هَذِهِ الْخَمْرَةُ؛ هِيَ: بَوَاطِنُ الْعَارِفِينَ. وَخَتَمُهَا هِيَ
ظَوَاهِرُ بَشَرِيَّتِهِمْ. فَكُلُّ مَنْ قَصَدَهُمْ بِالتَّغْظِيمِ وَالْأَدَبِ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ بِالْخُضُوعِ
وَالْانْكَسَارِ، وَالذُّلَّةِ وَالْإِفْتِقَارِ. جَازِماً بِوُجُودِ خُصُوصِيَّتِهِمْ، سَكَّرَ لِمَجَرَّدِ رُؤْيَيْهِمْ،
قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ عَنْهُمْ وَيُضْجِحَهُمْ. وَقَدْ شَهِدْنَا هَذَا السَّرَّ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ أَشْيَاخِنَا.
فكَثِيرٌ مِنَ الْمُرِيدِينَ، حَصَلَ لَهُمُ الْجَذْبُ وَالسَّكْرُ، قَبْلَ أَنْ يَتَلَقَّوْا الْوِزْدَ، بَلْ لِمَجَرَّدِ
الرُّؤْيَةِ. وَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ النَّصَارَى يَشْفَرُ سَبْتَهُ، حِينَ قَدِمْنَا عَلَيْهَا، لَمَّا عَقَدْنَا حَلْقَةَ
الذِّكْرِ. انْجَذَبُوا وَتَبِعُونَا إِلَى مَتَهَى الْحَدِّ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ. وَبَقُوا مَبْهُوتِينَ وَاقِفِينَ
خَلْفَنَا. لَمَّا أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ مِنْ نَوْرِ الْخَمْرَةِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. قَالَ الْقُطُبُ مَوْلَانَا ابْنُ
مَشِيشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى - لَمَّا تَكَلَّمَ عَلَى الْمَحَبَّةِ - فَمِنْهُمْ مَنْ يَسْكُرُ
بِشَهْوَةِ الْكَأْسِ. وَلَمْ يَذُقْ بَعْدَ شَيْئاً. فَمَا ظَنُّكَ بَعْدَ الذَّوْقِ، وَبَعْدَ الشُّرْبِ. وَبَعْدَ
بِالرَّيِّ. وَبَعْدَ بِالسُّكْرِ بِالمَشْرُوبِ. ثُمَّ الصَّحْوُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مَقَادِيرِ شَيْءٍ. كَمَا
أَسْكُرُ أَيْضاً كَذَلِكَ. وَالْكَأْسُ: مِغْرَقَةُ الْحَقِّ، يُغْرِفُ بِهَا ذَلِكَ الشَّرَابُ الطُّهُورَ الصَّافِي
لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُخْصُوصِينَ مِنْ خَلْقِهِ. فَتَارَةً يَشْهَدُ الشَّارِبُ تِلْكَ الْكَأْسَ
صَوْرَةً، وَتَارَةً يَشْهَدُهَا مَعْنَوِيَةً. وَتَارَةً يَشْهَدُهَا عِلْمِيَةً. فَالْصُّورَةُ حَظُّ الْأَبْدَانِ
وَالْأَنْفُسِ. وَالْمَعْنَوِيَةُ حَظُّ الْقُلُوبِ وَالْعُقُولِ. وَالْعِلْمِيَةُ حَظُّ الْأَرْوَاحِ وَالْأَسْرَارِ. فَيَأْتِي لَهُ
مِنْ شَرَابٍ مَا أَعْدَبَهُ؛ فَطَوْبِي لِمَنْ شَرِبَ وَدَامَ وَلَمْ يَقْطَعْ عَنْهُ. نَسْأَلُ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ
﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. وَقَدْ تَجْتَمِعُ جَمَاعَةٌ مِنَ
الْمُحِبِّينَ فَيُسْقَوْنَ مِنْ كَأْسٍ وَاحِدَةٍ. وَقَدْ يُسْقَوْنَ مِنْ كُؤُوسٍ كَثِيرَةٍ. وَقَدْ يُسْقَى
الْوَاحِدُ بِكَأْسٍ وَبِكُؤُوسٍ. وَقَدْ تَخْتَلِفُ الْأَشْرِيَّةُ حَسَبَ عَدَدِ الْأَكْوَاسِ. وَقَدْ يَخْتَلِفُ
الشُّرْبُ مِنْ كَأْسٍ وَاحِدَةٍ. وَإِنْ شَرِبَ مِنْهُ الْجَمُّ الْغَفِيرُ مِنَ الْأَجْبَةِ. انْتَهَى كَلَامُهُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَقَوْلُهُ: فَتَارَةً يَشْهَدُ الشَّارِبُ تِلْكَ الْكَأْسَ صَوْرَةً، أَيْ يَشْهَدُهَا
حَسِيَّةً. وَيَشْرَبُ مِنْهَا خَمِراً حَسِياً. عَلَى وَجْهِ الْعَادَةِ. وَيَكُونُ هَذَا فِي حَالِ الْبِدَايَةِ

في الجذب الأول. وقد أخبرني أخي، أنه كان يجد في فيه طعم الخمر الحسي. ورائحته الحسية، في جذب الأول. وتارة يشهدا معنوية. يغني يشهد خلوة المعاملة. ولذيل الطاعة. فيغيب قلبه في حالة الذكر. وإن كان مسدوداً عليه الحجاب. وقوله: تارة يشهدا علمية، أي يشهدا بالعلم. والمراد به علم الوحدة برقع الحجاب. فيسكر في شهود أنوار الحبيب، ثم يصحو من سكره. وقوله. فالصورة حظ الأبدان والأنفس؛ لأن هذه الحالة، تكون لأهل البدايات، فأبدانهم كثيفة. ونفوسهم قوية. فلا يؤثر فيها إلا الشيء المحسوس. وأيضاً. من نوع الكرامة الحسية، فيتقوى بها المبتدىء دون المنتهي. وقوله: والمعنوية حظ القلوب والعقول. إنما كانت المعنوية حظ القلوب والعقول؛ لأن هذه الحالة، تكون للمتوسطين السائرين. قد انقلبت معاملتهم البدنية. قلبية وعقلية. فلا يسقون إلا من المعاني اللطيفة، وإن كانوا محجوبين عن رؤيتهم ولكنهم مستشفون عليها، قد لأحت عليهم أنوارها. وأشرقت عليهم أسرارها. وقوله: والعلمية حظ الأرواح والأسرار؛ لأن الروح والسر هو محل الشهود والعلم بالوحدة. فلا تسقي إلا من مادة العلم. فالوحدة، حتى تغرق في عين بحر الوحدة. ولا تسمى روحاً ولا سراً، حتى ينكشف عنها الحجاب. وتدخل مع الأختاب. وإلا فيقال فيها النفس والعقل، والقلب. والموضوع واحد. وقد قلت في هذا المعنى من قصيدتي الرائية: التي أنشدها في الروح، وتقلبات أطوارها. فقلت في بعضها:

هِيَ النَّفْسُ ثُمَّ الْعَقْلُ وَالْقَلْبُ تَالِيَا لَهَا الرُّوحُ ثُمَّ السَّرُّ فِي صَفَاءِ الثَّبَرِ^(١)
فَإِنْ أَخْلَدْتَ أَرْضَ الْهَوَى وَتَظَلَّمْتَ فَنَفْساً تُسَمَّى ذَاكَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ
وَإِنْ عَقَلْتَ أَيْدِي الْهَوَى بِأَزْمَةٍ فَعَقْلٌ بِهِ نِيطُ التَّكْلُفِ بِالْأَمْرِ
وَإِنْ سَكَنْتَ لِلْخَيْرِ لَكِنْ خَوَاطِرُ تُقَلِّبُهَا قَلْبَ السُّفْنِ عَلَى الْبَحْرِ
بِذَاكَ تُسَمَّى الْقَلْبَ مَا لِكَ أَمْرُهَا بِهِ صَلَاحُ الْأَعْضَاءِ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
وَإِنْ لَحَظْتَ رُوحَ الْوِصَالِ يُؤْمُهَا وَزَالَ تَعَبُ الْجِسِّ فِي سَاعَةِ الذِّكْرِ
فَرُوحاً تُسَمَّى فِي نَشْأَةِ أَضْلِهَا وَلَكِنْ بَقَايَا الْجِسِّ تَشْرِقُ لِلْبَرِّ
فَإِنْ صُقِلَ الْمِرْآةُ عَنْ عَبَشِ جِسْمِهِ فَذَلِكَ سِرُّ اللَّهِ ضَمُّ إِلَى السَّرِّ
انتهى المقصود منه.

(١) الثبر: قطعة من الذهب أو الفضة، لا زالت على أصلها.

وقوله: وَقَدْ تَجْتَمِعُ جَمَاعَةٌ.. الخ يغني. قد تُسْقَى جَمَاعَةٌ عَلَى يَدِ شَيْخٍ واحدٍ؛ وَهُوَ الْمُرَادُ بِالْكَأْسِ. وقوله: وَقَدْ يُسْقَى مِنْ كُؤُوسٍ كَثِيرَةٍ. أي كل واحد يشرب من واسطة شيخه. وقوله: وَقَدْ يُسْقَى الْوَاحِدُ بِكَأْسٍ وَبِكُؤُوسٍ. يُغْنِي أَنَّهُ يُسْقَى أَوَّلًا مِنْ كَأْسٍ شَيْخٍ. ثُمَّ يُسْقَى مِنْ شَبُوحٍ أُخْرَى. إِذَا أُذِنَ لَهُ شَيْخُهُ فِي مَلَأَقَاتِهِمْ. وقد يكون للمجذوب نحو أَرْبَعِينَ شَيْخًا. كلهم غَرَفَ مِنْهُمْ. إِلَّا أَنَّ هَذَا نَادِرٌ. أَوْ يَكُونُ بَعْدَ التَّزْشِيدِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وقوله: وقد تختلف الأشربة، يعني يكون بعضها ممزوجاً بالصُّخْرِ؛ وهو الكامل من الشراب، وبعضها يكون جَذْبًا صِرْفًا ثُمَّ يَصْحُو. وبعضه الجذب غالبٌ. وبعضها السلوك غالبٌ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَذَلِكَ بِحَسَبِ الْمَشْرُوبِ. وعلى عدد الكؤُوس. وقوله: وقد يختلفُ الشُّرْبُ مِنْ كَأْسٍ وَاحِدَةٍ. أي مِنْ يَدِ شَيْخٍ وَاحِدٍ. فيكون الماء واحداً. والزَّهْرُ أَلْوَانًا. فالخمر واحد، والأواني مختلفة. فبعضها صَلْبَةٌ قَوِيَّةٌ وَاسِعَةٌ. لَا يَغْلِبُهَا السُّكْرُ. وبعضها رَفِيقَةٌ لَطِيفَةٌ، أَوْ ضَيْقَةٌ؛ أَقَلُّ شَيْءٍ يُوْثِرُ فِيهَا. والماء واحدٌ وهو الصَّحْوُ لِكَمَالِ السَّاقِي. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلَوْ نَضَحُوا مِنْهَا نَرَى قَبْرَ مَيِّتٍ لَعَادَتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ وَانْتَعَشَ الْجِسْمُ

قُلْتُ: النَّضْحُ: الرَّشُّ. وَالرُّشَى: التَّرَابُ. وَانْتَعَشَ: انْتَهَضَ وَارْتَفَعَ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَذِهِ الْخَمْرَةُ الْأَزَلِيَّةُ؛ وَهِيَ الْحَقِيقَةُ الْإِلَهِيَّةُ لَهَا قُوَّةٌ عَظِيمَةٌ. وَتَأْوِيلُ قَوَائِدِ فِي قُلُوبِ الْحَقَائِقِ، وَخَرَقَ الْعَوَائِدَ الْحَسِّيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ. فَلَوْ رَشَّ أَصْحَابُهَا مِنْهَا رَشَةً عَلَى قَبْرِ مَيِّتٍ، لَنَهَضَ وَارْتَفَعَ مِنْ قَبْرِهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ. وَيَقْوَى تَأْوِيلُهَا بِقَدْرِ تَحْقِيقِهَا. وَحَصُولُهَا فِي قُلُوبِ صَاحِبِيهَا. حَتَّى يَكُونَ مِنْ تَحَقُّقِ بِهَا. أَمْرُهُ بِأَمْرِ اللَّهِ. وَلِذَلِكَ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ، تَنْفَعُ لَهُمُ الْأَشْيَاءُ، وَتَخْرُقُ لَهُمُ الْعَوَائِدَ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ. فَكَانَ سَيِّدُنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يُحْيِي الْمَوْتَى، وَيُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ. وَكَانَ نَبِيُّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُطْعِمُ الْجَمْعَ الْغَنِيَّ مِنَ صَاعٍ مِنْ طَعَامٍ. وَيُسْقِي الْجَيْشَ الْكَثِيرَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ الشَّرِيفَةِ ﷺ. وَقَدْ أَخْبَا الْمَوْءُودَةَ، وَخَيْرَهَا فِي الرَّجُوعِ أَوْ الْبَقَاءِ، فَاخْتَارَتِ الرَّجُوعَ إِلَى رَبِّهَا. وَأَخْبَا أَبَوَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَا عَلَى قَوْلٍ. وَرَدَّ عَيْنَ قِتَادَةٍ بَعْدَ أَنْ انْتَشَرَتْ فِي يَدِهِ. فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِيهِ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَنْحَصِرُ. وَكَرَامَةُ الْأَوَّلِيَاءِ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى مُتَوَاتِرَةٌ، لَا يُمْكِنُ حَضَرُهَا. وَيَحْتَمِلُ أَنَّ كَلَامَ الشَّيْخِ، عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ وَالْإِشَارَةِ. فَيُرِيدُ بِشَرَى قَبْرِ الْمَيِّتِ، بَشَرِيَّةَ الْجَاهِلِ

أو الغافل. ويانتعاش روحه: حياتها وارتفاعها بالمعرفة والعلم. أي ولو نضح العارفون من خمرة هميتهم على ظاهر من ماتت روحه بالجهل والغفلة، لحيث وانتفضت إلى حضرة الحق. وارتفعت بالعلم والذكر من ساعتها. وهذا الأمر مجرب عند أهل الصدق. وفي بعض الأثر: «إنَّ الله رجلاً مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِمْ سَعِدَ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا». وكان الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه يقول: «وَاللَّهُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ إِلَّا أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهِ وَقَدْ أَغْنَيْتُهُ». وقد شهد له بذلك شيخه. فقال: نغم الرجل أبو العباس؛ يأتيه البدوي يقول على ساقيه. فلا يُنسي إلا وهو ولي من أولياء الله. ولقد سمعتُ شيخنا البوزيدي رضي الله عنه يقول: إِذَا كَانَ الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ، يُغْنِي بِالنَّظَرَةِ. فَلَقَدْ بَقِيَ فِي زَمَانِنَا هَذَا، مَنْ يُغْنِي بِالنَّظَرَةِ كَالشَّيْخِ أَوْ أَكْثَرَ. وسمعت شيخه مولاي العربي رضي الله عنه يقول: لقد بقي العارفون في زماننا هذا، كالشاذلي وأمثاله - يُشير إلى نفسه رضي الله عنه - وهذا أمر شهير عند أهل الذوق وأهل الصدق. كل من قصدهم بالصدق ربح من ساعتِهِ. وحيي بَعْدَ مَوْتِهِ. وهذا الاحتمال عندي أقرب، لتحقيق هذا الأمر للعارفين بخلاف الأول. فإنه من باب الكرامة الحسية. وَهُمْ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهَا. وقد لا تظهر لهم. فكم من عارف كامل، أخيا الله على يده الجَمُّ الغفير من أموات النفوس والقلوب. ولم يظهر على يديه شيء من الكرامات الحسية إلا القليل. كإحياء الموتى الذي ذكره الشيخ. وأيضاً: عَلِمْنَا كُلَّهُ إِشَارَةً وَأَلْفَاظاً، فَلَا يُخْمَلُ عَلَى ظَاهِرِهِ إِلَّا مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مَقْصِدَهُمْ. والله تعالى أعلم. ثم قال رضي الله عنه:

وَلَوْ طَرَحُوا فِي نَيِّ حَائِطٍ كَرَمَهَا عَلِيلاً وَقَدْ أَشْفَى لِفَارَقَهُ السَّقَمُ
قلت: الفيه: ظل الشيء بعد أن كان شمساً. والحائط: البستان. وأشفى على الموت. أشرف عليه. يقول رضي الله عنه: هذه الخمرة الأزلية، لقوة تأثيرها تشفي الأسقام والعلل. قيل ظهورها من موادها. قَلَوَ طَرَحَ عَلِيلٌ، وقد أشرف على الهلاك. في ظل بستان أشجارها قبل أن تعقر بل قبل أن يظهر عنبها. لشغل الله وفارقه السقم من ساعته. وهذا يختمل أن يكون مُبالغة في مدحها. وأنها لو كانت حسية.

وجعل ذلك، لكون الأمر كما قال. ويحتمل أن يريد به العليل سقيم القلب. وبالحائط، بستان العارفين. فكل من دخل في ظل صحبتهم ومحبتهم، شفاؤه الله من مَرَضِ قَلْبِهِ، ولو أشرف على الهلاك. بالشكوك والخواطر، والذنوب

والجرائم. وهذا أيضاً مجرب. إذ المرء على دين خليله. ومن تحقق بجلالة، لا يخلو حاضروه منها. وفي الخبر. «تعلّموا اليقين. بمجالسة أهل اليقين». والله ما أفلح من أفلح؛ إلا بصُخبة من أفلح. وفائدة الصُخبة وثمراتها. أمر شهير لا يحتاج إلى دليل. وجرب. ففي التجريب علم الحقائق. ولابن عبّاد رضي الله عنه في نظم الحكم.

إن التواخي فضله لا ينكر، وإن خلا من شرطه لا يشكر. والشرط فيه أن تواخي العارف، عن الخطوط والخطوط صارفاً.

مقاله وحاله سيان ما دعونا إلا إلى الرحمن أنواره الدائمة السرايا
فيك وقد حُفَّت بك الرعاية

وقال سيدي إبراهيم التازي رضي الله عنه: «زيارة أرباب الثقي مزهم يُبْري ومفتاح أبواب الهداية والخير. وتحدث في قدر الخلي إزادة».

ونشرح صدراً فاق من سعة الوزر وتضر مظلوماً وترفع خاملاً
وتكسب معدوماً وتجبّر ذا كسر فكّم خلصت من لجة الإنم فاتكا
فألفته في البحر والبر. إلى أن قال:

ولأفرق في أحكامه بين سالك مُربّ ومجذوب وحيّ وذِي قَبْرِ
وَذِي الزُّهْدِ وَالْعُبَادِ فَالْكُلُّ مُنْعَم عَلَيْهِ وَلَكِنْ لَيْسَتْ الشَّمْسُ كَالْبَذْرِ
ثم قال رضي الله عنه:

ولو قرئوا من حانها مُقْعَدًا مَشَى وَتَنَطَّقُ مِنْ ذِكْرِهِ مَذَاقَتُهَا الْبُكْمُ
قلت: تقدّم أن الخان: هو حاثوث الخمار أو دازه. يقول رضي الله عنه:
ولو قرئوا مخبوساً عن المشي. من محل هذه الخمرة الأزلية. لا تطلّقت رجلاً
للمشي سريعاً. قبل الوصول إلى محلّها. فما بالك لو دخل خدنها أو شرب منها.
وكذلك لو ذكرت خلاوة مذاقتها عند الأبكم. لنطق سريعاً من بركة ذكرها. فما
بالك لو ذاقها بلسانه. وهذا الذي ذكر، يحتمل أن يكون حقيقة، فإن في كرامات
الأولياء، مثل هذا أو أكثر. كقصّة الجارية التي كانت مقعدة سنين. فلما بات عند
أهلها رجل صالح توسّلت به. فقامت من حينها. إلى غير هذا مما يظهر على يد
الأولياء، من الكرامات الحسية. ويحتمل أن يكون مجازاً. فيكون المراد بالمُقْعَد؛

مَنْ حُبِسَ عَنِ الْخَيْرَاتِ. وَأَقْعَدَهُ الْكَسَلُ عَلَى الطَّاعَاتِ. وَحَبَسَتْهُ الشَّهَوَاتُ، عَنِ
النَّهْوِ إِلَى الْمَقَامَاتِ. فَإِذَا قَرَّبَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْخَمْرَةِ؛ وَهِيَ الْعَارِفُونَ، انْطَلَقَتْ
قِيودُهُ. وَنَشَطَ إِلَى السَّيْرِ ظَاهِراً وَبَاطِناً. وَيَكُونُ الْمُرَادُ بِهِ الْأَبْكُمْ: مَنْ أَخْرَصَتْهُ
الْغَفْلَةُ، وَعَقَدَ لِسَانَهُ الْجَهْلُ وَالْبِدْعَةُ. فَلَا يَنْطِقُ إِلَّا بِمَا لَا يَغْنِي. وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِي
الْحَسَنِ فَإِذَا صَحِبَ الْعَارِفِينَ، تَجَوَّهَتْ نَفْسُهُ. وَانْطَلَقَ لِسَانُهُ. فَيَتَكَلَّمُ بِالْحِكْمِ
وَالْعُلُومِ الدُّنْيَا. وَفِي الْخَمَارِ: «مَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا أَرْبَعِينَ يَوْماً. نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ» أَوْ
كَمَا قَالَ. وَقَالَ أَبُو سَلَيْمَانَ الدَّارَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا ابْتَدَعْتَ النَّفْسَ عَلَى تَرْكِ
الْآثَامِ. جَالَتْ فِي الْمَلَكُوتِ. ثُمَّ رَجَعْتَ إِلَى صَاحِبِهَا بِطَرَائِفِ الْعُلُومِ. مِنْ غَيْرِ أَنْ
يُؤَدِّيَ إِلَيْهَا عَالَمٌ عِلْماً. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلَوْ عَبِقَتْ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسُ طَيْبِهَا وَفِي الْمَغْرِبِ مَرْكُومٌ لِعَادَ لَهُ الشَّمُّ
قلت: عَبِقَتْ الرِّيحُ: إِذَا هَبَّتْ وَقَالَ فِي الْقَامُوسِ: عَبَقَ عَبْقاً وَعَبَاقَةً: بَرَقَ.
وَلَا يَنْتَابِيبُ هُنَا. وَالْأَنْفَاسُ جَمْعُ نَفْسٍ بِالتَّحْرِيكِ وَهُوَ الرِّيحُ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
لَوْ هَبَّتْ أَنْفَاسُ طَيْبِ هَذِهِ الْخَمْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ مِنَ الْمَشْرِقِ. وَفِي الْمَغْرِبِ مَرْكُومٌ أَيْ
مَرِيضٌ بِالزُّكَامِ. وَهُوَ الَّذِي لَا يَشُمُّ شَيْئاً. ثُمَّ وَصَلَتْ إِلَيْهِ أَنْفَاسُ تِلْكَ الْخَمْرَةِ؛ أَيْ
نَسَمِهَا الطَّيِّبِ، لِعَادَ لَهُ الشَّمُّ. صَارَ صَاحِبِهَا مِنْ بَرَكََةِ طَيْبِهَا. وَقُوَّةُ ذِكَايْنِهَا. وَهَذَا
يَحْتَمِلُ أَيْضاً. أَنْ يَكُونَ عَلَى ظَاهِرَةٍ. مُبَالِغَةً فِي مَذْحِ نَسِيمِ هَذِهِ الْخَمْرَةِ. لَوْ طَهَّرَ
لِلْحَسَنِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْمَرْكُومِ. مَنْ لَا يَشُمُّ شَيْئاً مِنْ رَائِحَةِ
الْخُصُوصِيَّةِ. مَرِيضٌ بِالْإِنْكَارِ عَلَى أَهْلِهَا. فَإِنَّهُ لَوْ تَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ هِمَّتُهُمْ، وَعَبِقَتْ
أَنْفَاسُ خَمْرَتِهِمْ نَحْوَهُ. وَلَوْ كَانَ بَعِيداً مِنْهُمْ فِي الْمَسَافَاتِ؛ لَزَالَ عَنْهُ الْإِنْكَارُ. شَمُّ
رَائِحَةِ الْوِلَايَةِ عَلَيْهِمْ، وَبَادَرَ إِلَى صَحْبَتِهِمْ وَخِدْمَتِهِمْ، حَتَّى يَنْخَرِطَ فِي سَبِيلِكُمْ،
وَيَجْلِسَ عَلَى بَسَاطَةِ الْقُرْبِ وَالْمُؤَانَسَةِ فِي مَجْلِسِهِمْ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلَوْ خُضِبَتْ مِنْ كَأْسِهَا كَفُّ لَامِسٍ لَمَاقِلٌ فِي لَيْلٍ وَفِي يَدِهِ النُّجُومُ
قلت: خُضِبَتْ كَفُّ: لَوْنُهَا بِالْخَضِيبِ. وَلَمَسَهُ يَلِمَسُهُ وَيَلْمَسُهُ: مَسَّهُ بِيَدَيْهِ.
وَقُلُّ يَفُلُّ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ. ضَاعَ وَتَلَفَ. قَالَ فِي الْقَامُوسِ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ
خُضِبَتْ مِنْ كَأْسِ هَذِهِ الْخَمْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ كَفُّ. مَنْ مَسَّهَا لِأَشْرَقَتْ يَدُهُ، وَصَارَ نَجْماً
يَهْتَدَى بِهَا فِي ظُلْمَةِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ. وَتَصِيرُ يَدُهُ، كَيْدَ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَ
ضَمَّهَا إِلَيْهِ. فَإِذَا سَارَ فِي اللَّيْلِ، اهْتَدَى. فَلَا يَضِلُّ عَنِ الطَّرِيقِ. كَمَنْ فِي يَدِهِ نَجْمٌ

يُضيء له الطريق. وهذا أيضاً يحتمل أن يكون على ظاهره، مبالغة في تأثرها في خرق العوائد الحسية. ويحتمل أن يريد بخضب الكف منها، مُباشرتها للقلب. واتصالها به. فإنها لو توقفت إليه، لأضاء له نورٌ يهتدي به. في حل مشكلات بَرِّ الشرائع. وغوامض تجرّ الحقائق. فلا يضل في سيره إلى عَيْن التحقيق. وفي قلبه هذا النور العظيم. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَكَ أَزْوَاجُكَ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ قُرْآنًا﴾. أي نوراً يُفَرِّق بين الحق والباطل. وفي كلام الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، ما يُوافق هذا الاحتمال؛ أعني: إطلاق الحسن على وصول علم الحقيقة إلى القلب. فإنه قال: المحبّة: آخذة من الله، قلب عبده، عن كلّ شيء سِوَاكَ. فترى النفس ملائكة متحصّنة بِمَعْرِفَتِهِ. والروح آخذة في حَضْرَتِهِ. والسرّ مغموراً في مشاهدته. والعبد يستزيد من حُبِّه. فيزيد، ويفتح بما هو غَدَب من لَذِيذِ مُنَاجَاتِهِ. فيكسى حلل التقريب. على بساط القربة. وَيَلْمَسُ أَبْكَارَ الحقائق، وثِيَّات العلوم. المراد منك. فأطلق المَسَّ على وَصُولِ الْعِلْمِ إِلَى الْقَلْبِ وجعل عِلْمَ الحقائق كَالْأَبْكَارِ. وعلم الشرائع كَالثِّيَّاتِ. لصعوبة إدراك الأول دون الثاني. إذ قد يُدركه مَنْ لَا خَلَقَ لَهُ مِنَ الْعَصَا، وَقَضَاةِ الْجُورِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثم قال رضي الله عنه:

وَلَوْ جَلَيْتُ سِرّاً عَلَى أَكْمِهِ عَدَاً
بَصِيراً وَمِنْ رَأَوْقِهَا تَسْمَعُ الصُّمُّ
قُلْتُ: جَلِي الْأَمْرُ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ: كُشِفَ وَانْجَلَى. وَالْأَكْمَةُ: الَّذِي وُلِدَ أَعْمَى. وَالرُّوْقُ: لَمْ يَذْكُرْهُ فِي الْقَامُوسِ بِالْهَمْزِ. وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ بِالرَّوْاقِ فَقَالَ: وَالرَّوْاقُ: الْمُصَفَّاتُ؛ أَيِ الْخَمَرِ الْمُصَفَّاتِ وَالْبَاطِنَةِ. وَخَمَرُ: الشَّرَابِ الَّذِي يَرُوقُ بِهِ وَالْكَاسُ. إِلَّا أَنَّ قَلْبَ الْوَاوِ هَمْزَةٌ جَائِزٌ. كَأَقْتَتْ، وَوَقَّتَتْ. وَقَالَ أَيْضاً: وَالرُّوْقُ: الإعجاب به لشيء وقدراته: أعجبه، والصُّمُّ جَمْعُ أَصَمٍّ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ كُشِفَتْ هَذِهِ الْخَمْرَةُ الْأَزَلِيَّةُ، وَأَظْهَرَتْ سِرّاً عَلَى رَجُلٍ خَلَقَ أَعْمَى، لَعَدَا، أَيِ مَاتَ بِصِيراً مِنْ سَاعَتِهِ. كَمَا كَانَ ذَلِكَ لِسَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَلِغَيْرِهِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ. فَإِنْ قُلْتُ: كَشَفُهَا يَقْتَضِي الْإِظْهَارَ وَالْجَهْرَ؛ وَهُوَ يُنَافِي فِي قَوْلِهِ سِرّاً. قُلْتُ: هَذِهِ الْخَمْرَةُ الْأَزَلِيَّةُ؛ هِيَ مَعَانِي لَطِيفَةٌ غَيْبِيَّةٌ. فَيَظْهَرُهَا لِعَالَمِ الشَّهَادَةِ، هُوَ كَشَفُهَا وَجَلَاوُهَا. وَلَا شَكَّ أَنَّ بُرُوزَهَا لِعَالَمِ الشَّهَادَةِ، يَكُونُ سِرّاً، وَيَكُونُ جَهْراً. فَعَبَّرَ النَّاطِمُ بِالسَّرِّ مِبَالِغَةً. لِيَكُونَ الْجَهْرُ أَوَّلَى. أَيِ قَلَوُ بَرَزَتْ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ، إِلَى عَالَمِ الشَّهَادَةِ سِرّاً. لَعَادَ الْأَكْمَهُ بِصِيراً. حَتَّى يُبْصِرَ أَنْوَارَهَا. وَيُشَاهِدَ أَسْرَارَهَا. فَمَا بِالْكَ

لَوْ بَرَزَتْ جَهْرًا. وَمِنْ حُسْنِ صَفَاءِ هَذِهِ الْخَمْرَةِ، وَجُودَةِ جَوْهَرِيَّتِهِ. تَسْمَعُ الْآذَانُ الصُّمُّ، أَيْ تَصِيرُ سَامِعَةً، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ صَمًّا. أَوْ مِنَ الْإِعْجَابِ لِحُسْنِهَا، وَحُسْنِ الثِّيَابِ عَلَيْهَا، تَصِيرُ الْآذَانُ الصُّمُّ سَامِعَةً. فَتَسْمَعُ تِلْكَ الْمَحَاسِنَ. بَعْدَ أَنْ كَانَتْ صَمًّا؛ وَهَذَا أَحْسَنُ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِالْأَكْمَةِ. أَعْمَى الْبَصِيرَةِ. فَإِذَا صَحِبَ أَهْلُ هَذِهِ الْخَمْرَةِ، وَكَشَفُوا لَكَ شَيْئًا مِنْ حُسْنِهَا وَبِهَجَّتِهَا. انْفَتَحَتْ بَصِيرَتُهُ، وَصَارَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ. وَأَنْ يُرِيدَ بِالصُّمِّ؛ الَّذِي تَنْفَعُهُمُ الْمَوْعِظَةُ، وَلَا تَنْهَجُ فِيهِمُ التَّذَكُّرَةُ، فَإِذَا سَمِعُوا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْخَمْرَةِ شَيْئًا، مِنْ صَفَاءِ الْمَوْعِظَةِ. وَحُسْنِ التَّذَكُّرَةِ. انْكَفُوا وَانزَجَرُوا. وَقِيلُوا مَا سَمِعُوا. وَصَارُوا: مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. وَهُوَ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمُمُّوهُ تُزْبِ أَرْضُهَا وَفِي الرُّكْبِ مَلْسُوعٌ لَمَّا ضَرَّهُ السُّمُّ
قُلْتُ: الرُّكْبُ جَمْعُ رَاكِبٍ، كَصَخْبٍ وَصَاحِبٍ. وَقِيلَ: لَا مُفْرَدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ وَتَيَمَّمْ: قَصَدَ. وَالْمَلْسُوعُ: الْمَلْدُوغُ مِنَ الْحَيَّةِ أَوْ الْعَقْرَبِ، وَالسُّمُّ مِثْلُ السَّيْنِ: الشَّيْءُ الْقَاتِلُ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ أَنَّ جَمَاعَةً قَصَدُوا تُزْبِ هَذِهِ الْخَمْرَةِ. الَّتِي تُثَبِّتُ كَرَمَهَا. وَفِي الرُّكْبِ مَنْ لَسَعَتْهُ الْحَيَّةُ أَوْ الْعَقْرَبُ، لَمَّا ضَرَّهُ سُمُّ ذَلِكَ اللَّسْعِ، حَيْثُ قَصَدَ تُزْبِ هَذِهِ الْخَمْرَةِ. فَمَا بِالْكَ لَوْ وَصَلَ إِلَيْهَا. أَوْ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ تُرَابِهَا. أَوْ رَمَاهُ عَلَى مَا لُسِعَ مِنْهُ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِالْمَلْسُوعِ، مَنْ لَدَغَتْهُ الشَّهَوَاتُ وَالْمَعَاصِي. فَإِذَا كَانَ مَعَ قَوْمٍ قَاصِدِينَ الْوَصُولِ إِلَيْهَا. أَوْ إِلَى مَحَلِّهَا. فَلَا بِضَرِّهِ الْوُقُوعُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا. إِذْ بَرَكَةُ صُخْبَتِهِمْ تَذْهَبُ عَنْهُ الْإِضْرَارُ. وَتُزَجِّجُهُ إِلَى الْإِقْلَاعِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى الصُّخْبَةِ وَثَمَرَتِهَا. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مَنْ قَصَدَ زِيَادَةَ صَالِحٍ، لَا يَكْتَبُ عَلَيْهِ مَلَكُ الشَّمَالِ شَيْئًا. مَا دَامَ فِي زِيَارَتِهِ. وَلَعَلَّهُ وَقَفَ عَلَى حَدِيثٍ فِي ذَلِكَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَوْ رَسَمَ الرَّاقِي حُرُوفَ اسْمِهَا عَلَى جِبِينٍ مُصَابٍ جُنَّ أَبْرَأُهُ الرُّسْمُ

قُلْتُ: الرَّاقِي؛ هُوَ الْمَعُودُ. قَالَ فِي الْقَامُوسِ: الرُّقِيَّةُ بِالصُّمِّ: الْعَوْدَةُ. وَالْجَمْعُ رُقَى. وَرَقَاهُ رَقِيًّا. وَرَقِيًّا وَرَقِيَّةً؛ فَهُوَ رَقَاءٌ. نَقَتْ فِي عَوْدَتِهِ هـ. وَالْجَبِينُ: قَالَ فِي الْقَامُوسِ: وَالْجَبِينَانِ حُرْفَانِ لِكَشْفِ الْجَبْهَةِ مِنْ جَانِبَيْهَا، فِيمَا بَيْنَ الْحَاجِبَيْنِ. مُصْعَدًا إِلَى قِصَارِهِ الشَّعْرِ. أَوْ حُرُوفِ الْجَبْهَةِ. مَا بَيْنَ الصَّدْغَيْنِ، مُتَصِلًا

بحذاء الناصية. كله جبين هـ. وَجُنَّ بِالضَّمِّ: جُنًّا وَجَنًّا وَجَنُونًا. وَاشْتَجَنُ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ. أَيُّ أَصَابَةِ الْجُنُونِ؛ وَهُوَ مِنَ الْأَفْعَالِ اللَّازِمَةِ لِلْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ. لِكُلِّ دُمُهُ: أَيُّ هَدَرٍ وَزَهْيٍ: أَيُّ تَكَبَّرَ. وَعَنِي بِحَاجَتِهِ. فَهَذِهِ الْأَفْعَالُ لَمْ يُسْمَعْ فِيهَا الْبِنَاءُ لِلْفَاعِلِ. وَأَبْرَأَهُ اللَّهُ: شَفَاهُ.

يقول رضي الله عنه: لَوْ رَسَمَ الْكَاتِبُ الْمُعَوِّذَ، حُرُوفَ هَذِهِ الْخَمْرَةِ الْأَزْلِيَّةِ، عَلَى جَبِينِ مَصَابٍ، أَصَابَةِ الْجُنُونِ، لِأَبْرَأَهُ ذَلِكَ الرَّسْمُ مِنْ سَاعَتِهِ. وَحُرُوفُ هَذِهِ الْخَمْرَةِ هِيَ حُرُوفُ اسْمِ الْجَلَالَةِ: فَلَوْ كَتَبَهَا الْعَارِفُ عَلَى مَجْنُونٍ. بِحَضُورِ يَهْمَتِهِ، لَبَرِيءٌ الْمَصَابُ مِنْ حِينِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَكَذَا مَنْ جُنَّ قَلْبُهُ بِالْخَوَاطِرِ الشَّيْطَانِيَّةِ. وَالشُّكُوكِ الْوَهْمِيَّةِ. إِذَا لَقِنَهُ الْعَارِفُ هَذَا الْاسْمَ، وَرَسَمَهُ لَهُ فِي قَلْبِهِ، لَتَبَرَّى مِنْ حِينِهِ، وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْيَقِينِ التَّامِّ. وَالطُّمَأْنِينَةِ الْكُبْرَى. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَفَوْقَ لِيَوَاءِ الْجَيْشِ لَوْ رَقِمَ اسْمُهَا لَا سَكَّرَ مَنْ تَخَتَّ الْبِلَوَا ذَلِكَ الرَّقْمُ
قلت: اللِّوَاءُ بِالْمَدِّ: الْعَلَمُ. وَيُجْمَعُ عَلَى أَلْوِيَةٍ. وَجَمْعُ الْجَمْعِ أَلْوِيَاتُ.
وَالْجَيْشُ: الْجُنْدُ. أَوْ السَّائِرُونَ لِحَرْبٍ أَوْ غَيْرِهَا وَرَقِمَ: كَتَبَ. وَالْمِرْقَمُ بِكَسْرِ
الْمِيمِ: الْقَلَمُ، وَالرَّقْمُ: الْكِتَابَةُ وَالتَّخْطِيطُ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ كَتَبَ اسْمُ هَذِهِ
الْخَمْرَةِ الْأَزْلِيَّةِ. وَجُعِلَ فَوْقَ عَلَمِ الْجَيْشِ لَا سَكَّرَ ذَلِكَ الرَّقْمُ. كُلُّ مَنْ تَخَتَّ ذَلِكَ
اللِّوَاءِ. وَصَارُوا كُلُّهُمْ نَشَاوَى مِنْ خَمْرَةِ الْمَحَبَّةِ. فَيَذَلُّونَ نَفُوسَهُمْ فِي مَرْضَاتِ
مُحِبِّهِمْ. اخْتِيَارًا مِنْهُمْ. فَهَذَا كُلُّهُ مِبَالِغَةٌ فِي هَذِهِ الْخَمْرَةِ. وَتَشْوِيقٌ إِلَيْهَا. وَقَدْ
أَشْرَفْتُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فِي تَانِيَتِي فَقُلْتُ:

فَيَا لَهَا مِنْ نَشَاوَى لَوْ هَبَّ نَسِيمُهَا عَلَى قُبُورِ الْأَمْوَاتِ أَيْخِثَ بِسُرْعَةٍ
وَلَوْ عَبَقَتْ أُنْفَاسُ طَيْبِهَا فِي الْوَرَى لِأَضْحَوْا سُكَارَى بِالْجَمِيعِ فِي لَحْظَةٍ
وَلَوْ بَيَعَتْ الْأَرْزَاحُ فِي قَبْرِ حَائِهَا لَكَانَ لَهَا بَيْعًا رَخِيصًا بِصَفْقَةٍ
فِيهِمْ وَتَنْزَعَةٍ فِي كَمَالِ جَمَالِهَا وَلَا تَنْسَرِفُ بِغَيْرِ الْحَبِيبِ بِنَظَرَةٍ
وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ. ثُمَّ ذَكَرَ ثَمَرَةَ هَذِهِ الْخَمْرَةِ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْهَا فِي الْبَاطِنِ فَقَالَ:

تَهْدَبُ أَخْلَاقَ التُّدَامَى فَيَهْتَدِي بِهَا لِطَرِيقِ الْعَزَمِ مَنْ لَا لَهُ عَزَمٌ
وَيَكْرُمُ مَنْ لَمْ يَغْرِفِ الْجُودَ كَفُهُ وَيَخْلُمُ عِنْدَ الْغَيْظِ مَنْ لَا لَهُ جِلْمٌ
قلت: هَذَبَ الشَّيْءُ: نَقَّاهُ وَأَخْلَصَهُ، وَصَفَّاهُ وَأَصْلَحَهُ. قَالَ فِي الْقَامُوسِ.

والأخلاق جمع خُلُق؛ وهو ما جُيِّلَ عليه الإنسان، حَسَنًا أَوْ قَبِيحًا. وَالتَّدَامَى جَمْع نَدِيم: وهو: الْمُتَنَاجِي لِصَاحِبِهِ. فِي مَجْلِسِ الْخَمْرِ أَوْ غَيْرِهِ. أَطْلَقَهُ هُنَا عَلَى الشَّارِبِ. وَيُكْرَمُ بِضَمِّ أَوَّلِهِ. وَكُسِرَ ثَانِيهِ. مُضَارِعٌ أَكْرَمَ. وَالْجَلْمُ: الْأَنَاءُ وَالْعَقْل. قَالَهُ فِي الْقَامُوسِ. وَالْأَنَاءُ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ: الرِّزَانَةُ وَالتَّانِي. وَحَلَّمَ بِالضَّمِّ، حُلْمًا: عَفَا وَأَصْفَحَ وَلَمْ يُعَاجِلْ. وَتَحَلَّفَ: تَكَلَّفَ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ هَذِهِ الْخَمْرَةَ، تَتَّقِي وَتَخْلُصُ أَخْلَاقَ الشَّارِبِينَ لَهَا. فَتَبْدُلُ الْأَخْلَاقَ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ. فَتَبْدُلُ الْكَسَلَ بِالنَّشَاطِ؛ وَخِفَةَ الْأَعْضَاءِ. حَتَّى يَهْتَدِيَ لَطَرِيقَ الْعَزَمِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى. مَنْ لَا عَزَمَ لَهُ عَلَيْهَا. وَتَبْدُلُ الشَّخَّ وَالْبُخْلَ بِالكَرَمِ، وَالشَّخَاءَ. حَتَّى يَصِيرَ مَنْ لَا يَغْرِفُ السُّخَاءَ أَضْلًا، أَسْحَى النَّاسِ، وَأَكْرَمَ النَّاسِ. تَبْدُلُ الْغَضَبَ وَالْحَقْدَ وَالْعَجْلَةَ وَالْبَطْشَ، بِالْجَلْمِ وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ، وَالسَّكِينَةَ وَالتَّانِي وَالرِّزَانَةَ. وَتَبْدُلُ الْخَوْفَ وَالْجَزَعَ وَالْهَلَعَ، بِالسَّجَاعَةِ وَالْيَقِينِ، وَالْغِنَى بِاللَّهِ. وَتَبْدُلُ الشُّكَّ وَالْاضْطِرَابَ بِالطَّمَانِينَةِ وَالسَّكُونِ. وَتَبْدُلُ كَثْرَةَ التَّنْدِيرِ وَالِاخْتِيَارِ، بِالرَّضَى وَالتَّسْلِيمِ، وَالسَّكُونِ تَحْتَ مَجَارِي الْأَقْدَارِ. وَتَبْدُلُ التَّكَبُّرَ وَحَبَّ الرِّفْعَةِ، وَالْجَاهَ وَالرِّيَاسَةَ، بِالتَّوَاضُعِ وَالسَّكِينَةِ، وَالْخُمُولِ وَحُبِّ السُّفُلِيَّاتِ. دُونَ الْعُلُوبِيَّاتِ. وَتَبْدُلُ حُبَّ الدُّنْيَا وَالْجِرْصَ وَالطَّمْعَ، بِالزُّهْدِ وَالْقَنَاعَةِ وَالْوَرَعِ. وَالْغِنَى بِاللَّهِ دُونَ شَيْءٍ سِوَاهُ. وَتَبْدُلُ تَعْظِيمَ الْأَغْنِيَاءِ وَالْحَلْفَ لَهُمْ. بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ وَالزُّهْدَ فِيهِمْ. وَالتَّيْبَ عَلَيْهِمْ. اِكْتِفَاءً بِعِلْمِ اللَّهِ. وَتَبْدُلُ تَحْقِيرَ الْفُقَرَاءِ، وَتَصْغِيرَهُمْ، بِتَعْظِيمِهِمْ وَرَفْعَتِهِمْ، وَالدَّنْوَ مِنْهُمْ. وَالْحُبَّ لَهُمْ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَنْحَصِرُ حَتَّى قَالَ بِغَضِّهِمْ: «لِلنَّفْسِ مِنَ النَّقَائِصِ. مَا لِلَّهِ مِنَ الْكَمَالَاتِ». فَتَنْقَلِبُ جُلَّ تِلْكَ النَّقَائِصِ كَمَالَاتٍ. وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ثُبُوتِ الْخُصُوصِيَّةِ. بِمَدْحِ وَضْفِ الْبَشَرِيَّةِ. إِذْ لَوْ كُنْتُ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ مَخَوٍ مَسَاوِيكَ، وَمَخَوٍ دَعَايِكَ، لَا تَصِلُ إِلَيْهِ أَبَدًا. وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَوْصَلَكَ. غَطَّى وَوَضَعَتْ بِوَضْفِهِ، وَنَعْتِكَ بِنَعْتِهِ. فَوَصَّاكَ بِمَا مِنْهُ إِلَيْكَ. لَا يَتَدَمَّنُكَ إِلَيْهِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ؛ وَهُوَ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلَوْ نَالَ قَرْمُ الْقَوْمِ لَثَمَ قِدَامُهَا لَاكْتَسَبَهُ مَعْنَى شَمَائِلِهَا لَثَمُ قُلْتُ: نَالَ الشَّيْءُ: أَعْطِيَهُ وَأَخَذَهُ. وَالْقَرْمُ: السِّدِّ. وَقَرْمُ الْقَوْمِ سَيِّدُهُمْ. وَالثَّمُ: التَّقْيِيلُ. لَثَمَ. كَضَرْبٍ وَسَمْعٍ، وَالثَّمَامُ، كَكِتَابٍ: مَا عَلَى الْعَمِّ مِنَ الثَّقَابِ، وَالثَّمَائِلِ، جَمْعَ شَمَالٍ بِالْفَتْحِ بِمَعْنَى الطَّبْعِ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ نَالَ سَيِّدُ الْقَوْمِ وَكَبِيرُهُمْ، تَقْيِيلَ لَثَامِ هَذِهِ الْخَمْرَةِ، وَشَمَّ شَيْئًا مِنْ عِطْرِهَا لَأَكْسَبَهُ ذَلِكَ لَثَمَ،

معنى طبايعها الحسنة. فتهذب أخلاقه، وتزين أشكاله، فيصير خليماً، كريماً، رحيماً، شفيماً متواضعاً، سهلاً ليناً، إلى آخر ما تقدم من الأخلاق وتقلب التي تكسبها، لمن تحقق بها. وإنما كانت الخمرة تهذب الأخلاق، وتقلب الأغنيان؛ لأنها نتيجة ذكر الله. وَلَا شَكَّ أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ الْحَقِيقِي يَهْذِبُ صَاحِبَهُ، وَيَخْلُصُهُ. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمَكْلُوفَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ إني أجب من الصلاة، في النهي عن الفحشاء والمنكر. وَهَذَا أَمْرٌ مُجَرَّبٌ. قَدْ تَحَقَّقْنَا بِهِ وَرَأَيْنَاهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. وَلَيْسَ الْخَبَرُ كَالْعَيَانِ وَإِنَّمَا خَصَّ قَرَمَ الْقَوْمِ بِهَذَا الْأَمْرِ، لِأَنَّهُ أَخْرَجَ إِلَى التَّهْذِيبِ مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ السِّيَاسَةَ لَا تَلِيْقُ إِلَّا بِأَهْلِ الْحِلْمِ وَالصَّبْرِ. والثاني والسكينة. وَإِلَّا فَسَدَتِ الرُّعْيَةُ. أَوْ تَعِبَتْ. وبالله التوفيق. ثم قال رضي الله عنه:

يَقُولُونَ لِي صِفْهَا فَأَنْتَ بِوَصْفِهَا خَبِيرٌ أَجَلُ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمٌ
يقول السامعون لي: صِفْ لَنَا هَذِهِ الْخَمْرَةُ الَّتِي شَوَّقْنَا إِلَيْهَا، وَبَالِغَتْ فِي
مَذْجِهَا فَقَالَ لَهُمْ: أَجَلُ، أَي نَعَمْ. عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا وَنُعُوتِهَا، عِلْمٌ وَتَحْقِيقٌ. ثُمَّ
وَصَفَهَا لَهُمْ فَقَالَ:

صَفَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلُطْفٌ وَلَا هَوَاءٌ وَنُورٌ وَلَا نَارٌ وَرُوحٌ وَلَا جِسْمٌ
تَقْدَمُ كُلُّ الْكَائِنَاتِ حَدِيثُهَا قَدِيمٌ وَلَا شَكْلٌ هُنَاكَ وَلَا رَسْمٌ
وَقَامَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ ثُمَّ لِحِكْمَةٍ بِهَا اخْتَجَبَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ لَا لَهُ فَهْمٌ

يقول رضي الله عنه في وصف الخمرة الأزلية، والذات المقدسة الأصلية. هي ذات موجودة. خفية لطيفة، كلطف الهواء ولا هواء لها صفاء كصفاء الماء، وَلَا مَاءٍ نَوْرَانِيَّةٌ كَنُورِ النَّارِ وَلَا نَارٌ. رُوحَانِيَّةٌ كَرُوحِ الْأَجْسَامِ وَلَا جِسْمٌ. أي متصفة بالحياة الأصلية القديمة. وقد تقدم حديثها أي نعوتها ووجودها كُلُّ الْكَائِنَاتِ: لِأَنَّ وجودها قَدِيمٌ أَزَلِي. لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ جِزْمٌ صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ. فَالْأَجْرَامُ الْكَبِيرَةُ، كَالْعُرُشِ وَالْكَرْسِيِّ، وَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، شَبِيهَةٌ بِالرُّسُومِ، أَي الْحُرُوفِ. وَالْأَجْرَامُ الصَّغِيرَةُ، كَالْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالْأَدْمِيِّ وَسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ الرَّقِيقَةِ، كَالْأَشْكَالِ لِتِلْكَ الْحُرُوفِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ فَائِذَةَ الرُّسُومِ وَالْأَشْكَالِ، هِيَ قَبْضُ الْمَعَانِي مِنْهَا وَفَهْمُهَا. فَإِذَا قَبِضْتَ الْمَعْنَى اسْتَغْنَيْتَ عَنِ الرُّسُومِ وَمُجَيِّ. كَذَلِكَ الْكَائِنَاتِ، مَا نُصِبَتْ إِلَّا لِتَرَى فِيهَا مَوَلاَهَا. فَإِذَا عَرَفْتَهُ. طَاحَتْ تِلْكَ الرُّسُومُ وَالْأَشْكَالُ. وَلَا يَبْقَى إِلَّا الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ. وَأَنْشَدُوا:

وَطَاحَ مَقَامِي فِي الرُّسُومِ كَلَامُهَا فَلَسْتُ أَرَى فِي الْوَقْتِ قَرِيباً وَلَا بُعْداً
فَنَيْتُ بِهِ عَنِّي قَبَاتٍ بِهَا غَيْبِي فَهَذَا ظُهُورُ الْحَقِّ عِنْدَ الْفَنَاءِ قَضَا
أَحَاطَ بِنَا الشُّعْظِيمُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَعَادَتْ صِفَاتُ الْحَقِّ مِمَّا يَلِي الْعَبْدَا

وفي الحديث الصحيح: «كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ». زَادَ بَغُضِ الْمُحَقِّقِينَ:
وهو الآن عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ. وفي حديث الترمذي، عن أَبِي رُزَيْنٍ الْعُقَيْبِيِّ: قُلْتُ يَا
رَسُولَ اللَّهِ: «أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟» قَالَ: «كَانَ فِي عَمَدٍ مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ.
وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ». قُلْتُ: الْعَمَدُ هُوَ الْحَقُّ. قَالَ تَعَالَى: ﴿تَمَيَّيْتُ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ
يَوْمَئِذٍ﴾. أَيِ خَفِيتُ. أَيِ أَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى؛ كَانَ فِي خَفَاءٍ وَلَطَافَةٍ لَا يُدْرِكُ وَلَا
يُغْرِفُ. أَيْ كَانَ خَفِيًّا لَطِيفًا. لَيْسَ فَوْقَهُ هَوَاءٌ. وَلَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ. بَلْ عَظَمَتُهُ أَحَاطَتْ
بِكُلِّ فَوْقٍ، وَبِكُلِّ تَحْتٍ. وَبِكُلِّ هَوَاءٍ. وَلَا فَوْقَ وَلَا تَحْتٍ، وَلَا هَوَاءٍ. وَإِنَّمَا
الْوُجُودُ لِلْعَلِيِّ الْأَعْلَى فِي الْأَزَلِّ، وَفِيمَا لَا يَزَالُ. وَقِيلَ لِسَيِّدِنَا عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ.
يَابْنَ عَمَّ رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا؛ أَوْ هَلْ لَهُ مَكَانٌ؟ فَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَسَكَتَ سَاعَةً. ثُمَّ
قَالَ: قَوْلُكُمْ أَيْنَ اللَّهِ. سَوَالٌ عَنْ مَكَانِهِ. وَكَانَ اللَّهُ وَلَا مَكَانَ. ثُمَّ خَلَقَ الزَّمَانَ
وَالْمَكَانَ؛ وَهُوَ الآنَ كَمَا كَانَ. دُونَ زَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ. وَسُئِلَ أَبُو الْحَسَنِ الثُّورِيُّ فِي
مَحَنَةِ الصُّوفِيَّةِ. أَيْنَ اللَّهُ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ. فَقَالَ: كَانَ اللَّهُ وَلَا أَيْنَ. وَالْمَخْلُوقَاتُ فِي
عَدَمٍ. فَكَانَ حَيْثُ هُوَ. وَهُوَ الآنَ حَيْثُ كَانَ. إِذْ لَا أَيْنَ وَلَا مَكَانَ. وَفِي بَغْضِ
الْأَخْبَارِ: «كُنْتُ كَثْرًا لَمْ أَعْرِفْ فَأَخْبَيْتُ أَنَّ أَعْرِفَ. فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ فَتَعَرَّفْتُ لَهُمْ.
فَبِي عَرَفُونِي». وَقَوْلُهُ. وَقَامَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ. يَعْنِي أَنَّ الْخَمْرَةَ الْأَزَلِيَّةَ؛ أَظْهَرَتْ
أَنْوَارَهَا. وَأَبْرَزَتْ حُسْنَهَا وَجَمَالَهَا فِي مَظَاهِرِ الْأَشْيَاءِ، كَمَا قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِيَّةِ:

تَجَلَّى حَبِيبِي فِي مَرَاتِي جَمَالِهِ فَبِي كُلِّ مَرَأَى لِلْحَبِيبِ طَلَائِعُ
فَلَمَّا تَبَدَّى حُسْنُهُ مُتَنَوِّعاً تَسْمَى بِأَسْمَاءٍ فِيهِنَّ مَطَالِعُ
وَقُلْتُ فِي ثَانِيَتِي الْخَمْرِيَّةِ:

تَجَلَّتْ عَرُوسَةٌ فِي مَرَاتِي عَرُوساً وَأَزَحَتْ سُتُورَ الْكِبْرِيَاءِ لِعِرَّةٍ
فَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا قَامَتْ بِالْخَمْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ. وَلَا وُجُودَ لَهَا بِدُونِهَا، بَلْ لَا نِسْبَةَ لَهَا
مَعَهَا:

مُنْذُ عَرَفْتُ الْإِلَهَ لَمْ أَرْ غَيْراً وَكَذَا الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعُ

قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ: لَوْ كُفِّتُ أَنْ أَرَى غَيْرَهُ لَمْ أَسْتَطِعْ؛ فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ حَتَّى أَشْهَدَهُ؛ ثُمَّ اخْتَجَبَتْ هَذِهِ الْخَمْرَةُ، بَعْدَ ظُهُورِهَا لِحِكْمَةِ أَزَلِيَّةٍ. سَتَرَتْ أَسْرَارَ الرُّبُوبِيَّةِ. وَأَسَدَلَتْ حِجَابَ الْكِبَرِيَاءِ عَلَى الْعِظَمَةِ الْأَصْلِيَّةِ. فَخَفِيََتْ تِلْكَ الْخَمْرَةُ بَعْدَ ظُهُورِهَا. وَاسْتَتَرَتْ بَعْدَ بُرُوزِهَا. وَحُجِبَتْ عَمَّنْ لَا فَهْمَ عِنْدَهُ. وَلَا بَصِيرَةَ لَهُ إِذْ لَوْ انْفَتَحَتْ بِصِيرَتِهِ لَمْ يَرْ غَيْرَهَا. قَالَ فِي الْحِكْمِ: شُعَاعُ الْبَصِيرَةِ، يَشْهَدُكَ قَرَبَ الْحَقِّ مِنْكَ. وَغَيْنُ الْبَصِيرَةِ، يَشْهَدُكَ عَدَمُكَ لَوْجُودِهِ. وَحَقُّ الْبَصِيرَةِ يَشْهَدُكَ وَجُودَ الْحَقِّ، لَا عَدَمُكَ وَلَا وَجُودَكَ. كَأَنَّ اللَّهَ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ؛ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانًا. وَقَالَ الْمَجْدُوبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مَنْ شَهِدَ الْكَوْنَ بِالْكَوْنِ عَزَّةٌ فِي عَمَّا الْبَصِيرَا
وَمَنْ شَهِدَ الْكَوْنَ بِالْمُكُونِ ذَاكَ صَادَفَ عِلَاجَ السَّرِيرَا
وَقَدْ أَشْرْتُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ، فِي تَائِيْتِي الْخَمْرِيَّةِ فَقُلْتُ:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي عَنْ نُعُوتٍ كَمَالِهَا فَلْيَأْنِي خَبِيرٌ عَنْ شُهُودٍ وَخُبَرَةٍ
تَقْدُمُ كُلِّ الْكَوْنِ نُورُ بَهَائِهَا لَطِيفٌ خَبِيرٌ فِي صَفَاءٍ وَقُدْرَةٍ
وَقَامَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ حِينَ تَكْثُفُ وَعَنْ كُلِّ ذِي جَهْلٍ خَفِيََتْ لِحِكْمَةٍ
وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَفْهَمُ هَذِهِ الْخَمْرَةَ ذَوْقًا وَعِلْمًا. إِلَّا إِذَا أَصْحَبَتْ أَهْلَهَا: وَهُمْ الْعَارِفُونَ بِذَلِكَ أَهْلَ الْجَذْبِ وَالسَّلُوكِ. وَأَمَّا إِنْ لَمْ تَصْحَبْهُمْ، فَلَا تَطْمَعُ فِي فَهْمِهَا. وَلَوْ طَالَعْتَ أَلْفَ مَجْلَدٍ. وَصَحَبْتَ أَلْفَ عَالِمٍ؛ أَوْ عَابِدٍ. وَيَالِلَهُ التَّوْفِيقَ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَهَامَتْ بِهَا رُوحِي بِحَيْثُ تَمَازَجَتْ بِعَادَاً وَلَا جِرْمَ تُخْلِلُهُ جِرْمُ
قَالَ فِي الْقَامُوسِ. الْهَيْامُ بِالضَّمِّ. كَالْجُنُونِ مِنَ الْعِشْقِ. وَقَالَ أَيْضًا: هَامَ يَهِيمُ هَيْمًا، وَهَيْمَانًا: أَحَبَّ امْرَأَةً. ثُمَّ قَالَ: وَرَجُلٌ هَائِمٌ: مُتَحَيِّرٌ. وَتَمَازَجَ: اخْتَلَطَ وَالِاتِّحَادُ: يَطْلُقُ عَلَى مَعْنَيْنِ: أَحَدُهُمَا: اخْتِلَاطُ جَرْمَيْنِ. حَتَّى يَصِيرَا جِرْمًا وَاحِدًا. وَهَذَا مُحَالٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، وَهُوَ كَثُرَ لِمَنْ اغْتَفَقَهُ. وَيَطْلُقُ عَلَى الْوَحْدَةِ الْحَقِيقِيَّةِ يُقَالُ: اتَّحَدَ الشَّيْءُ إِذَا صَارَ وَاحِدًا؛ وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا. وَفِي هَذَا الْمَعْنَى. قَالَ الْقُطُوبُ بْنُ مَشِيشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَشَرَابُ الْمَحَبَّةِ: مَزْجُ الْأَوْصَافِ بِالْأَوْصَافِ. وَالْأَخْلَاقُ بِالْأَخْلَاقِ. وَالْأَنْوَارُ بِالْأَنْوَارِ. وَالْأَسْمَاءُ بِالْأَسْمَاءِ. وَالنُّعُوتُ بِالنُّعُوتِ. وَالْأَفْعَالُ بِالْأَفْعَالِ هـ. وَالْجَرْمُ: الْجَسَدُ، وَيَجْمَعُ عَلَى أَجْرَامٍ. وَجُرُومٍ،

وجرم قاله في القاموس . يقول رضي الله عنه : لَقَدْ هَامَتْ رُوحِي أَنِّي طَاشَتْ
وَالْجَذْبَتْ ، بِسَبَبِ هَذِهِ الْخَمْرَةِ . مُحِبَّةٌ وَعَشْقَاءُ فَمَا زَالَتْ تَتَعَطَّشُ إِلَيْهَا . وَتَطْلُبُ
الْوَصُولَ إِلَيْهَا بِالتَّخْلِيعِ وَالتَّضْفِيعِ . فَلَمَّا تَجَوَّهَرَتْ وَتَطَهَّرَتْ مِنْ بَقَايَا الْحِسِّ ، انْصَلَّتْ
بِهَا وَامْتَزَجَتْ مَعَهَا . فَوَجَدَتْ نَفْسَهَا كَانَتْ فِي الْحَضْرَةِ وَهِيَ لَا تَشْعُرُ . وَإِنَّمَا حَاجِبُهَا
عَنْهَا الْجَهْلُ وَالْوَهْمُ . فَلَمَّا ارْتَفَعَ الْجَهْلُ . وَثَبَتَ الْعِلْمُ . وَجَدَتْ نَفْسَهَا فِي الْحَضْرَةِ .
فَعَرَفَتْ فِي عَيْنِ بَخْرِ الْوَحْدَةِ . وَارْتَفَعَ عَنْهَا الشَّرْكُ الْخَفِيُّ وَالْجَلِيُّ . وَهِيَ هَذَا
الْمَعْنَى . قَالَ بَعْضُ الْمَشَارِقَةِ .

كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ مَخْجُوباً بِالْوَهْمِ مُقَيِّداً بِقُيُودِ الْبَيِّنِ
مُفْرِدِي وَاحِدٌ وَأَنَا أَحْبِسُهُ اثْنَيْنِ فَلَمَّا تَبَدَّى جَمَالُ وَارْتَفَعَ الضِّمَنِ
وَقَعَ الْعَيْنِ عَلَى الْعَيْنِ وَصِرْتُ عَيْنَ الْعَيْنِ
وقال في الحكم : مَا حَجَبَكَ عَنْ اللَّهِ وَجُودَ مَوْجُودٍ مَعَهُ . إِذْ لَا شَيْءَ مَعَهُ :
وَإِنَّمَا حَجَبَكَ تَوْهَمُ مَوْجُودٍ مَعَهُ .

وقال أيضاً : وَصُولُكَ إِلَى اللَّهِ ، وَصُولُكَ إِلَى الْعِلْمِ بِهِ . وَإِلَّا فَجَلَّ رَبَّنَا أَنْ
يَتَّصَلَ بِشَيْءٍ ، أَوْ يَتَّصِلَ بِهِ شَيْءٌ . وَهَذَا مَعْنَى الْإِتِّحَادِ ؛ إِذَا أُطْلِقَ عِنْدَ الصُّوفِيَةِ .
أَغْنِي بِثَبُوتِ الْعِلْمِ بِالْوَحْدَةِ . بَعْدَ الْجَهْلِ بِهَا . أَوْ بِثَبُوتِ الْعِلْمِ بَعْدَ حُصُولِ الْفَرْقِ .
وَمِنْهُ قَوْلُ صَاحِبِ الْعَيْنِيَّةِ :

وَعُضُّ فِي بِحَارِ الْإِتِّحَادِ مُنْزَهاً عَنِ الْمَزْجِ بِالْأَغْيَارِ إِنْ أَتَتْ سَاجِعُ
وَلِإِيَّاكَ وَالتَّنْزِيهِ فَهُوَ مُقَيَّدُ وَإِيَّاكَ وَالتَّشْبِيهِ فَهُوَ مُخَادِعُ
وقال أيضاً في مدح آخر :

فَكُنْتُ أَنَا وَهِيَ كَانَتْ أَنَا وَمَا لَهَا مِنْ وَجُودٍ مُفْرَدٍ مُتَنَازِعِ
فَنَيْتُ بِهَا فِيهَا وَلَا شَيْءَ بَيْنُنَا وَصَالِي بِهَا مَا ضِيقُهَا مُضَارِعِ
وقال أيضاً :

فَنَيْتُهَا حَتَّى فَنَتْ وَهِيَ لَمْ تَكُنْ وَلَكِنِّي بِالْوَهْمِ أَطَالِعُ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا فَتَخَنَ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنَانِ
فَلَا يَفْهَمُ هَذَا الْكَلَامَ عَلَى ظَاهِرِهِ مِنَ الْإِتِّحَادِ وَالْحُلُولِ ؛ لِأَنَّهُمْ مُبْرَأُونَ مِنْهُ .

وإنما أَرَادُوا إظهار التَّعَزُّلِ بإثبات المحبوبة والمحب، وَحُصُولِ العشق مِنَ المحب لَهَا، فَإِذَا حَصَلَ الوُصُولُ، لَمْ تَبْقَ هَذِهِ الإِشَارَةُ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِي الْحَكَمِ: مَا الْعَارِفُ. مَنْ إِذَا أَشَارَ وَجَدَ الْحَقَّ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ إِشَارَتِهِ. بَلِ الْعَارِفُ مَنْ لَا إِشَارَةَ لَهُ. لِفَنَائِهِ فِي وجودِهِ. وَانطوائِهِ فِي شهودِهِ. وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى اخْتَرَسَ الشَّيْخُ بِقَوْلِهِ: وَلَا جِزْمَ تَخْلُلُهُ جِزْمٌ. لِثَلَا يَفْهَمُ السَّامِعُ أَنَّهُ الْإِتِّحَادُ الْمَذْمُومُ، وَقَدْ اتَّهَمَهُمْ كَثِيرٌ مَنْ لَمْ يَفْهَمْ مُرَادَهُمْ. فَرُبَّمَا هُمْ بِمَا لَمْ يَحِطْ بِهِ عِلْمَاءٌ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَنْزِيهِ الشَّيْخِ نَفْسَهُ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى فِي تَأْيِيْتِهِ: نَظْمُ السُّلُوكِ. وَكَلَامُ الشُّشْتَرِيِّ، وَابْنِ سَبْعِينَ، وَابْنِ الْعَرَبِيِّ، مَشْهُوبًا بِهَذِهِ الإِشَارَةِ. وَهُمْ أَوْلِيَاءُ مُحَقِّقُونَ. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ وَقَدْ أَشْرَفْتُ فِي تَأْيِيْتِي الْخَمْرِيَةِ الْأَزَلِيَّةِ، عَنِ الْحُلُولِ وَالْإِتِّحَادِ، فَقُلْتُ:

تَنْزَهَتْ عَنِ حُكْمِ الْحُلُولِ فِي وَضْعِهَا فَلَيْسَ لَهَا سِوَى فِي شَكْلِهِ خَلْبٌ
تَجَلَّتْ عَرُوسًا فِي مَرَاتِي جَمَالِهَا فَأَزَحْتُ سُتُورَ الْكِبَرِيَاءِ بِعِزَّةٍ
فَمَا ظَهَرَ فِي الْكَوْنِ غَيْرَ بَهَائِهَا وَمَا اخْتَجَبَتْ إِلَّا لِحُجُبِ شَرِيرَةٍ
وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَخَمِرٌ وَلَا كَرَمٌ وَأَدَمٌ لِي أَبٌ وَكَرَمٌ وَلَا خَمِرٌ وَلِي أُمُّهَا أُمٌ
وَقَدْ وَقَعَ التَّفْرِيقُ وَالْكُلُّ وَاحِدٌ فَأَزَاخَنَا خَمِرٌ وَأَشْبَاخَنَا كَرَمٌ
قُلْتُ: شَبَّهَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الرُّوحَ السَّارِيَةَ فِي الْبَدَنِ: بِالْخَمْرِ الْمُشْتَبِّهِ فِي الْكَرَمِ. وَشَبَّهَ الْبَشَرِيَّةَ الظَّاهِرَةَ: بِالْكَرَمِ الْمَحْتَوَى عَلَى الْخَمْرَةِ، وَالْمَرِيدَ فِي حَالِ سَيْرِهِ إِنْ أَرَادَ يَغْلِبُ جَذْبَهُ عَلَى سُلُوكِهِ. وَسَكَرَهُ عَلَى مَحْوِهِ. فَتَكُونُ الرُّوحَانِيَّةُ غَالِبَةً عَلَى الْبَشَرِيَّةِ. مُسْتَوَلِيَةً عَلَيْهَا فَلَا يَبْقَى لِلْبَشَرِيَّةِ أَمْرٌ. وَتَارَةً يَغْلِبُ سُلُوكُهُ عَلَى جَذْبِهِ، وَمَحْوُهُ عَلَى سُكْرِهِ. فَتَكُونُ الْبَشَرِيَّةُ غَالِبَةً عَلَى الرُّوحَانِيَّةِ. مُسْتَوَلِيَةً عَلَيْهَا. فَإِذَا غَلَبَتِ الرُّوحَانِيَّةُ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ، كَانَ كَوُجُودُ خَمِرٍ بِلَا كَرَمٍ. وَإِذَا غَلَبَتِ الْبَشَرِيَّةُ عَلَى الرُّوحَانِيَّةِ، كَانَ كَوُجُودُ كَرَمٍ بِلَا خَمِرٍ لِبُطُونِهَا حِينَئِذٍ. فَبَيَّنَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَالَهُ فِي حَالِ سَيْرِهِ فَقَالَ: فَأَنَا تَارَةً خَمِرٌ وَلَا كَرَمٌ، وَذَلِكَ فِي حَالَةِ جَذْبِي وَسُكْرِي. وَأَنَا حِينَئِذٍ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ عَلَى قَدَمِ أَبِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. لِأَنَّ الْجَذْبَ عِنَايَةً. فَإِنَّ الرُّوحَ إِذَا اسْتَوَلَتْ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ. اسْتَوَلَتْ عَلَى الْوُجُودِ بِأَمْرِهِ. فَيَكُونُ هُوَ آدَمَ الْأَكْبَرُ، خَلِيفَةُ عَنِ اللَّهِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: وَأَدَمٌ لِي أَبٌ؛ لِأَنَّ الْإِبْنَ خَلِيفَةَ عَنْ أَبِيهِ. فَيَكُونُ هُوَ حِينَئِذٍ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ. وَتَارَةً أَكُونُ كَرَمًا وَلَا خَمِرَ. وَالْكَرَمُ شَبِيهُ

بالبشرية. ويختمل أن يكون قوله: وآدم لي أب. إشارة إلى أن جذبه ممزوج بسلوكة؛ لأن المصطلح، خرج عن طور البشر. فإنما أن يلتحق بالروحانيين، أو بالبهائم. بخلاف من كان سالكا في جذبه، فظاهره سلوك، وباطنه جذب. لكن تارة يغلب الجذب، فتتخيس البشرية، ملحوظة. فهذا معنى قوله: وآدم لي أب. أي وأنا بشر من بني آدم، لم تخرج عن طور الأدمية؛ وهذا هو عين الكمالي وتارة يغلب السلوك، فيبتن الجذب في الروحانية. وتظهر أوصاف البشرية على السالك. فتكون الروحانية تمتد من البشرية، وتشرّب من كأسها. كما قال التستري:

مَنِّي عَلَيَّ دَارَتْ كُؤُوسِي فَتَكُونُ الْبَشَرِيَّةُ كَالْأُمِّ
والروحانية ولداً. رضع من لبنها. وهذا معنى قوله: ولي أمها أم. أي حينئذ
أم الخمر؛ وهي الكرم أم. والمراد بها البشرية، المستولية على الروحانية، استلاء
الكرم على الخمر. وهذا الاختمال أحسن وأظهر. والله تعالى أعلم. وهذا
التعريف كله قبل الوصول إلى التحقيق. وإلا امتحق الحسن وثبت المعنى. فالكُر
واحد. فلا قيام للبشرية إلا بالروحانية. ولا ظهور للروحانية إلا بالبشرية. بل إذا
سقطت المعاني، سقطت الأواني، فالأكوان ثابتة بإثباته. ممحوة بأحدية درته. فلا
بشرية ولا روحانية. وإنما الوجود للفرد الصمد. لا شريك له. وأنشدوا:

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْحَقُّ لَمْ يَبْقَ كَائِنٌ فَمَا تَمَّ مَوْجُودٌ وَلَا تَمَّ بَائِنٌ
بِذَا جَاءَ بُرْهَانُ الْعِيَانِ فَمَا أَرَى بَعَيْنِي شَيْئاً غَيْرَهُ إِذْ أَعَايِنُ
تنبيه: ما ذكره الناظم في هذين البيتين، من تشبيه الجذب بخمر ولا كرم.
وتشبيه السلوك بكرم ولا خمر. مثله وقع للجنيّد في شعره المشهور، حيث سُئِلَ
عن التوحيد، فأشَدَّ يَقُولُ:

رَقُّ الرُّجَاجِ وَرَقَّتِ الْخَمْرُ فَتَشَابَهَا وَتَشَاكَلَ الْأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدْخُ وَكَأَنَّمَا قَدْخٌ وَلَا خَمْرُ
فتشبه البشرية بالزجاجة. والروحانية بالخمر. فإذا غلبت الروحانية على
البشرية، وذلك في حالة الجذب. فكأنما خمرٌ ولا قدخ، وإنما غلبت البشرية على
الروحانية، وذلك يكون في حال السلوك. فكأنما قدخٌ ولا خمر. وقد أوضحت
هذا المعنى في تأثيتي الخمرية. فقلت:

لِبَرَقَةِ خَمْرِ فِي الْأَوَانِي تَلَطَّفْتُ لِلْطُفِّ مَعَانِي الْخَمْرِ فِي أَضَلِّ نَشَاتِي

فَطَوَّرَا تَغْيِثُ الْخُمْرُ فِي جِزْمِ كَأْسِهَا وَطَوَّرَا تَغْيِيبُ الْكَأْسُ فِي خُمْرِ نَشْوَةِ
وَعَيْبُ الْأَوَانِي فِي الْمَعَانِي مُحَقَّق قَنَاءُ الْأَوَانِي فِي الْمَعَانِي الْقَدِيمَةِ
فَأَشْبَاحُنَا كَأْسٌ وَأَزْوَاحُنَا خُمْرٌ وَسَاقٍ لَهَا جَذْبُ الْعَيْنَايَةِ خَفَّتْ
وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلَطْفُ الْأَوَانِي فِي الْحَقِيقَةِ تَابِعٌ لِلطُّفِ الْمَعَانِي وَالْمَعَانِي بِهَا تَسْمُو
قُلْتُ: لَطْفٌ كَكَرْمٍ. لَطْفًا وَلَطَافَةً: صَغُرَ وَدَقَ؛ فَهُوَ لَطِيفٌ. قَالَهُ فِي
الْقَامُوسِ. وَسَمَّا الشَّيْءَ سُمُوءًا: اِزْتَفَعَ. وَالْأَوَانِي هُنَا: الْكَائِنَاتُ بِأَسْرَهَا. وَالْمَعَانِي:
أَسْرَارُ الرُّبُوبِيَّةِ الْقَائِمَةُ بِهَا؛ وَهِيَ الْخُمْرَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ. فَأَصْلُهَا لَطِيفَةٌ دَقِيقَةٌ. وَالْأَنْوَارُ
الظَّاهِرَةُ حِينَ تَحَسُّسَتْ، صَارَتْ كَثِيفَةً. فَمَنْ وَقَفَ مَعَ ظَاهِرِ كَثَافَتِهَا. كَانَ جَاهِلًا
بِاللَّهِ مَخْجُوبًا عَنْ شَهَوْدِهِ. وَمَنْ نَقَذَ إِلَى بَاطِنِهَا وَجَدَهَا حَامِلَةً لِلْمَعَانِي طَرُوفًا
لَأَسْرَارِ الرُّبُوبِيَّةِ. فَقَابَ عَنِ الْأَوَانِي، بِشَهْوَدِ الْمَعَانِي. فَكَانَ عَارِفًا مُقَرَّبًا مُحْبُوبًا.
وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ التَّشْتَرِي: لَا تَنْظُرْ إِلَى الْأَوَانِي، وَخُضْ بِخَرِّ الْمَعَانِي. لَعَلَّكَ تَرَانِي.
وَقَالَ فِي الْحَكْمِ: الْأَكْوَانُ ظَاهِرُهَا غُرَّةٌ. وَبَاطِنُهَا عِبْرَةٌ. فَالْتَفَتُ تَنْظُرَ إِلَى ظَاهِرِ
غُرَّتِهَا. وَالْقَلْبُ يَنْظُرُ إِلَى بَاطِنِ عِبْرَتِهَا. وَتَكْثِيفُ الْأَوَانِي عَارِفٌ. وَالْأَصْلُ فِيهَا
اللطافة. إِذِ الْأَوَانِي أَصْلُهَا مَعَانٍ. لَكِنْ اسْمُهُ تَعَالَى الظَّاهِرُ، اقْتَفَى ظَهْرُهَا فِي
الْحِسِّ فَهِيَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالثَّلْجَةِ، بَاطِنُهَا مَاءٌ، وَظَاهِرُهَا ثَلَجٌ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ
الْجِيلَانِي فِي عَيْنِيهِ:

وَمَا الْكَوْنُ فِي السُّمَالِ إِلَّا كَثَلَجَةٍ وَأَنْتَ لَهَا الْمَاءُ الَّذِي هُوَ نَابِعُ
فَمَا الثَّلَجُ فِي تَحْقِيقِنَا غَيْرُ مَائِهِ وَغَيْرَانِ فِي حُكْمِ دَهْنِهِ الشَّرَائِعُ
وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَلَطْفُ الْأَوَانِي فِي الْحَقِيقَةِ، تَابِعَةٌ
لِلطُّوفِ الْمَعَانِي. فَالْمَعَانِي فِي الْحَقِيقَةِ أَصْلُهَا مَعَانٍ. وَالْمَعَانِي لَطِيفَةٌ. وَلَطْفُ
الْأَوَانِي تَابِعٌ لِلطُّفِهَا. وَإِنَّمَا تَكْثُفَتْ وَتَحَسُّسَتْ، فِي حَقِّ مَنْ وَقَفَ مَعَهَا، وَاعْتَرَّ
بِرُخْرِفِ ظَاهِرِهَا. وَاسْتَعْلَ بِجِسْمِهَا، حَتَّى انْطَبَعَتْ صُورُ ظَاهِرِهَا فِي مِرَاةِ قَلْبِهِ. فَعَمَّا
وَحُجِبَتْ عَنْ رُؤْيَا الْمَعَانِي اللَّطِيفَةِ. وَلِذَلِكَ يَقُولُ أَهْلُ الْمَعَانِي: كُلُّ مَا نَقَصَ مِنَ
الْحِسِّ؛ زَادَ فِي الْمَعْنَى. وَكُلُّ مَا زَادَ فِي الْحِسِّ نَقَصَ فِي الْمَعْنَى. وَهَذَا مَعْنَى
قَوْلِهِ: وَالْمَعَانِي بِهَا تَسْمُو. أَيُّ لَطْفِ الْأَوَانِي. وَرَدَّهَا إِلَى أَصْلِهَا، تَرْتَمِعُ الْمَعَانِي
وَتَسْمُو. وَإِنَّمَا تَنْلَطِفُ الْأَوَانِي بِالْعَيْنَةِ عَنْ جِسْمِهَا. وَالْإِعْرَاضُ عَنْ شَوَاعِلِهَا،

وَعَوَائِقُهَا. فَرَّغَ قَلْبَكَ مِنَ الْأَغْيَارِ. تَمَلَّأَ بِالْمَعَارِفِ وَالْأَسْرَارِ. وَكَتَبَ إِلَيَّ شَيْخُ شَيْخِنَا
 مَوْلَايَ الْعَرَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا نَصَّهُ بَعْدَ كَلَامٍ: وَقُلْ لَهُمْ أَيْضًا: أَتْرَاكُوا ذَبْلَةَ الدُّنْيَا
 مِنْ قُلُوبِكُمْ، تَتَقَوَّى مَعَانِيكُمْ: أَوْ نَقُولُ نَوْرَانِيَّتَكُمْ. إِذْ بِتَقْوِيَةِ الثُّورِ؛ يَنْقَوِي الْبَقِينَ.
 وَبِتَقْوِيَةِ الْبَقِينَ، تَعْلُو الْهِمَّةُ. وَيَعْلُو الْهِمَّةُ، يَحْصُلُ الْوُضُوءُ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ هـ.
 وَالدَّبْلَةُ: رَأْسُ الْفَتِيلَةِ حِينَ تَتَرَمَّدُ. فَإِذَا قَطَعْتَهَا تَشْغَشَغُ نُورُهَا. كَذَلِكَ هُمْ الدُّنْيَا.
 يُطْفِئُ نَوْرَ الْبَقِينَ مِنَ الْقَلْبِ. فَإِذَا قَطَعْتَهُ تَشْغَشَغُ نُورُهُ. وَقُلْتُ لِبَعْضِ الْفُقَرَاءِ: مَادَّةُ
 الْمَعَانِي ثَلَاثَةٌ أُمُورٍ: الْأَوَّلُ الْمَذَاكِرَةُ مَعَ أَهْلِ الْقُرَى، وَالْحَلُّ مَعَهُمْ. وَالثَّانِي: الْفِكْرَةُ
 وَجَوْلَانِ الْقَلْبِ فِي مَيَادِينِ التَّوْحِيدِ، حَتَّى تَمْتَحِيَ الْأَكْوَانُ مِنْ عَيْنِ الْبَصِيرَةِ.
 وَالثَّلَاثُ: ذِكْرُ اللِّسَانِ جَمَاعَةً أَوْ فَرَادَى؛ وَهُوَ أَوْعَفُهَا مِنْ جِهَةِ الْإِمْتِدَادِ. وَتَقْوِيَةُ
 الْمَعَانِي. وَإِنْ كَانَ هُوَ الْبَابُ فِي الدَّخُولِ إِلَيْهَا. لَكِنْ إِذَا حَصَلَ ذِكْرُ الْقَلْبِ اكْتَفَى
 عَنْهُ: فَضَعُفَ تَأْيِيرُهُ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْفِكْرَةِ. وَقُلْتُ لَهُمْ: مَادَّةُ الْحَسَنِ ثَلَاثَةٌ: الْأَوَّلُ:
 شُغْلُ الْجَوَارِحِ بِالْحَسَنِ فِي طَلَبِ الْحُطُوطِ. وَالثَّانِي خَوْفُ اللِّسَانِ فِي الْحَسَنِ مَعَ
 أَهْلِهِ. وَالثَّلَاثُ: الْفِكْرَةُ فِيهِ، وَاشْتِغَالُ الْقَلْبِ بِالْخَوْفِ فِيهِ. فَبِهَذِهِ الْمَوَادِّ الثَّلَاثُ،
 يَنْقَوِي الْحَسَنُ. وَتَضَعُفُ الْمَعَانِي. حَتَّى يَنْطَفِئَ نُورُهَا. نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ. وَقُلْتُ
 لَهُمْ أَيْضًا: أَرْكَانُ الْوِلَايَةِ وَمَوَادُّهَا ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءَ: تَفْرِيجُ الْقَلْبِ مِنَ الْحَسَنِ، وَتَعْظِيمُ
 الشَّيْخِ وَالْأَدَبُ مَعَهُ. وَدَوَامُ الذِّكْرِ بِالْحَضُورِ. كُلُّ وَاحِدٍ مَا يَلِيقُ بِهِ لِسَانِي أَوْ قَلْبِي أَوْ
 سِرِّي. وَقَدْ قُلْتُ فِي ذَلِكَ آيَاتًا وَهِيَ هَذِهِ:

يَا مَنْ يُرِذُّ مَرَاتِبَ الرُّجَالِ	يَفْتَنِي عَنِ الْحَسَنِ فِي كُلِّ حَالٍ
يُفَرِّغُ قَلْبَهُ مِنَ الْأَغْيَارِ	يُنْزِلُ بِالْأَنْوَارِ وَالْأَسْرَارِ
يُعَظِّمُ الشَّيْخَ بِصَدَقٍ وَافِرٍ	وَيُكْثِرُ الذِّكْرَ بِقَلْبٍ خَاضِرٍ
فَهَذِهِ مَرَاتِبُ الْوِلَايَةِ	وَمَظْهَرُ الْعِزِّ وَالْعِنَايَةِ

وَسَمِعْتُ صَاحِبَنَا الْعَارِفَ الرَّيَّانِي، سَيِّدِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ الرَّحْمَانِي رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ يَقُولُ: الْحَسَنُ هُوَ كُلُّ مَا يُقْوِي مَادَّةَ وَجُودِكَ. وَالْمَعْنَى هُوَ كُلُّ مَا يَفِينُكَ عَنْ
 وَجُودِكَ. وَيَغِيثُكَ عَنْكَ. فَلَا شُغْلَ بِالْحَسَنِ إِذَا كَانَ سَبَبًا فِي تَقْوِيَةِ الْمَعَانِي، كَخِدْمَةِ
 الْأَشْيَاخِ وَالْإِخْوَانِ. وَكُلُّ مَا يُوَدِّي إِلَى تَصْفِيَةِ الْمَعْنَى. كَمَا قَالَ سَيِّدِي عَبْدُ الْوَارِثِ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خِدْمَةُ الرُّجَالِ، سَبَبُ الْوِصَالِ، لِمَوْلَى الْمَوَالِي. لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.
 وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلَا قَبْلَهَا قَبْلُ وَلَا بَعْدَهَا بَعْدُ وَقَبْلِيَّةُ الْأَبْعَادِ قَهْنِي لَهَا خُتْمُ

وَحَضَرَ الْمَدَى مِنْ قَبْلِهِ كَانَ عَصْرَهَا وَعَهْدُ أَبِيْنَا بَعْدَهَا وَلَهَا الْيُثْمُ
يقول رضي الله عنه: هذه الخمرة الأزلية قديمة باقية، فَلَيْسَ قَبْلَهَا زَمَانٌ
يَكُونُ قَبْلَ لَهَا وَلَا بَعْدَهَا زَمَانٌ يَكُونُ بَعْدَ لَهَا. وَالْقَبْلِيَّةُ الَّتِي ثَبَتَتْ لَهَا قَبْلَ ظُهُورِ
الْأَشْيَاءِ؛ وَهِيَ الْأَوَّلِيَّةُ بِلَا بَدَايَةَ. هِيَ خَتَمٌ لَهَا بَعْدَ ظُهُورِ الْأَشْيَاءِ؛ وَهِيَ الْآخِرِيَّةُ بِلَا
نِهَآيَةَ. فَتَرْتَّبُ الْأَزْمَانُ زَمَانٌ بَعْدَ زَمَانٍ؛ هِيَ سَابِقَةٌ عَلَيْهِ. وَبَاقِيَةٌ بَعْدَهُ. هَذَا مَعْنَى
قَوْلِهِ: وَقَبْلِيَّةُ الْأَبْعَادِ هِيَ لَهَا خَتْمٌ. أَيَّ وَعْدَمِ النِّهَايَةِ السَّابِقَةِ عَلَى الْأَكْوَانِ؛ هِيَ خَتَمٌ
لَهَا بَعْدَ ظُهُورِ الْأَكْوَانِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ فَالْأَسْمَاءُ
مُتَعَدِّدَةٌ، وَالْمُسَمًّى وَاحِدٌ؛ وَهِيَ الذَّاتُ الْمُقَدَّسَةُ؛ فَالْأَوَّلُ هُوَ عَيْنُ الْآخِرِ. وَالْآخِرُ
هُوَ عَيْنُ الْأَوَّلِ. وَالظَّاهِرُ هُوَ عَيْنُ الْبَاطِنِ. وَالْبَاطِنُ هُوَ عَيْنُ الظَّاهِرِ. وَإِلَى هَذَا أَشَارَ
صَاحِبُ الْعَيْنِيَةِ فَقَالَ:

وَأَبْرَزَ مِنْهُ فِيهِ آثَارُ وَضْفِهِ قَدْ لَكَ بِالْآثَارِ مَا هُوَ صَانِعُ
فَأَوْصَافُهُ وَالْأَنَسُ وَالْأَثَرُ الَّذِي هُوَ الْكَوْنُ عَيْنُ الذَّاتِ وَاللَّهُ جَامِعُ
فَمَا تَمَّ شَيْءٌ سِوَى اللَّهِ فِي الْوَرَى وَلَا تَمَّ مَسْمُوعٌ وَلَا تَمَّ سَامِعُ

وقوله: وحضر المدى... الخ يعني أن وجود هذه الخمرة، كان قديماً قبل
حَضَرَ الزَّمَانِ، وَعَدَهُ وَتَرْتِيبَهُ. وَزَمَانٌ وَجُودِ أَبِيْنَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَهْدِ حَيَاتِهِ كَانَ
بَعْدَهَا: لِأَن ظُهُورَهُ حَادِثٌ. وَوُجُودُهُ قَدِيمٌ. فَثَبَتَ لَهَا الْيُثْمُ، أَيَّ الْإِنْفِرَادِ، وَالْعَيْنَا
عَنِ الْمَادَّةِ الْقَبْلِيَّةِ وَالْبَغْدِيَّةِ. فَلَيْسَ لَهَا أَبٌ سَابِقٌ عَلَيْهَا. وَلَا وَلَدٌ لَاحِقٌ بَعْدَهَا. قَالَ
تَعَالَى: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكُمْ يُولَدٌ وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مَحَاسِنُ تَهْدِي الْمَادِجِينَ لِوَضْفِهَا فَيَحْسُنُ فِيهَا مِنْهُمْ الشُّرُّ وَالنُّظْمُ
وَيَطْرَبُ مَنْ لَمْ يَذْرِهَا عِنْدَ ذِكْرِهَا كَمُشْتَقٍ نَعْمٍ كُلَّمَا ذُكِرَتْ نَعْمُ

قُلْتُ: الطَّرَبُ: الْفَرَحُ. وَيُطْلَقُ عَلَى الْحُزْنِ كَمَا فِي الْقَامُوسِ. يُقَالُ: طَرَبَ
طَرِبًا. كَفَرَحَ فَرَحًا. بِالْمِضَارِعِ مَفْتُوحِ الْعَيْنِ. وَنَعْمُ بِضَمِّ الْعَيْنِ. اسْمُ امْرَأَةٍ. كَمَا فِي
الْقَامُوسِ. وَأَرَادَ هُنَا اسْمَ الْمَحْبُوبَةِ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْأَوْصَافُ الَّتِي ذَكَرْتُ
لِلْخَمْرَةِ، هِيَ مَحَاسِنُ لَهَا. تَهْدِي أَيُّ تُرْشِدُ الْمَادِجِينَ لِوَضْفِهَا. فَيَمْدَحُونَهَا بِقَدْرِ
طَاقَتِهِمْ. فَيَحْسُنُ مِنْهُمْ كُلُّ مَا يَمْدَحُونَهَا بِهِ نَظْمًا أَوْ نَثْرًا؛ لِأَنهَا فَوْقَ مَا يُقَالُ فِيهَا: فَلَوْ
بَقِيَ أَهْلُ الدُّنْيَا يَمْدَحُونَهَا مَدَّةَ عُمُرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ حُسْنِهَا وَبِهَائِهَا.
وَيَفْرَحُ عِنْدَ ذِكْرِ هَذِهِ الْأَمْوَاجِ مَنْ لَمْ يَعْرِفْهَا، شَوْقًا وَمَحَبَّةً. فَكَيْفَ لِمَنْ يَعْرِفُهَا؛ فَهُوَ أَب

مَنْ لَمْ يَعْرِفْهَا. ولكنه مشتاق إليها، كمشاق محبوبته التي اسْمُهَا نَعَم. فلما ذكرت هذه المحبوبة، اهتزَّ لها. واشتاق لرؤيتها. وَأَمَّا مَنْ عَرَفَهَا وَاتَّصَلَ بِهَا، وَتَمَكَّنَ مِنْ شُهُودِهَا. فلا يَهْزُهُ سماع مدحها. لِقُوَّتِهِ وَتَمَكُّنِهِ؛ فَهُوَ مَالِكٌ لِلْأَحْوَالِ. وَلَيْسَتْ مَالِكَةً لَهُ؛ فَهُوَ كَالْجَبَلِ الرَّاسِيِّ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثم قال رضي الله عنه:

وَقَالُوا شَرِبْتَ الْإِنَّمْ كَلَّا وَإِنَّمَا شَرِبْتُ الْتِي فِي تَرْكِهَا عِنْدِي الْإِنَّمْ قُلْتُ: كَلَّا عِنْدَ النَّحَاةِ حَرْفٌ رَجَرٌ وَرَدَعٌ. يقول رضي الله عنه: قال لي العواذل واللؤم: شَرِبْتَ مَا يُوجِبُ لَكَ الْإِنَّم؛ لَأَنَّكَ تَسْبِيْتُ فِي هُنَّكَ عِرْضَكَ. وتخريب ظاهرِكَ. وتلف مالِكَ. فَقُلْتُ لَهُمْ: كَلَّا. بَلْ شَرِبْتُ الَّتِي فِي تَرْكِ شَرْبِهَا هُوَ الْإِنَّم؛ لَأَنَّهَا تُهْذِبُ أَخْلَاقَ النَّدَامَى. فكلُّ مَنْ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهَا، لَا يَخْلُو مِنْ ذَنْبٍ. وَلَا يَصْفُو مِنْ غَيْبٍ. ولذلك قال الغزالي: عِلْمُ التَّصَوُّفِ قَرَضٌ عَيْنٍ. إِذْ لَا يَخْلُو الْإِنْسَانُ مِنَ الْغُيُوبِ. وقال الشيخ أَبُو الْحَسَنِ: مَنْ لَمْ يَتَغَلَّغَلْ فِي عِلْمِنَا هَذَا؛ مَاتَ مُصِرًّا عَلَى الْكِبَائِرِ؛ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ. وقال آخر: مَنْ تَشَرَّعَ وَلَمْ يَتَّصِفْ فَقَدْ تَفَسَّقَ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. لِمَا وَرَدَ فِي مَدْحِ التَّصَوُّفِ وَأَرْبَابِهِ بِهِ. وبالله التوفيق. ثم قال رضي الله عنه:

هَنِيئًا لِأَهْلِ الدَّيْرِ كَمْ سَكِرُوا بِهَا وَمَا شَرَبُوا مِنْهَا وَلَكِنَّهُمْ هَمُّوا قُلْتُ: الْهَنَى وَالْهَنَاءُ: مَا أَتَاكَ بِلاَ مَشَقَّةٍ. هُوَ هَنَى سَائِعٍ. قوله في القاموس: وَيُعْرَبُ حَالًا. عامله محذوفٌ وجوبًا. أَيِ ثَبِتَ الْخَيْرُ هَنِيئًا. أَيِ سَهْلًا بِلاَ مَشَقَّةٍ. والدَّيْرُ: الصُّومَةُ الَّتِي يَتَعَبَّدُ فِيهَا الرُّهْبَانُ. فَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِأَهْلِ الدَّيْرِ هُنَا: الْعِبَادَ وَالرُّهَادَ الْمُنْقَطِعِينَ إِلَى اللَّهِ فِي الْبَرَادِيِّ وَالْجِبَالِ. حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ. كَمَا حَبَسَتْ الرُّهْبَانُ أَنْفُسَهُمْ فِي الدِّيُورِ، طَلَبًا لِمَحَبَّةِ اللَّهِ. فَلَمْ يَنَالُوا مِنْهَا شَيْئًا. لِتَرْكِهِمُ الشَّرِيعَةَ الَّتِي هِيَ بَابُ اللَّهِ. قال تعالى: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ بخلاف الْعِبَادِ وَالرُّهَادِ، وَالْمُنْقَطِعِينَ إِلَى اللَّهِ. قَدْ قَصَدُوا الْأَمْرَ مِنْ بَابِهِ. فَقَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَبْشَرًا لَهُمْ وَمُغْتَبِطًا لِحَالِهِمْ: هَنِيئًا لِأَهْلِ الدَّيْرِ. أَيِ ثَبِتَ لَهُمُ الْخَيْرُ الْعَظِيمُ سَهْلًا بِلاَ مَشَقَّةٍ. فَكَمْ سَكِرُوا بِهَا. أَيِ كَثِيرًا مَا سَكِرُوا بِهَذِهِ الْخَمْرَةِ، حَتَّى تَاهُوا، وَرَفَضُوا الْأَهْلَ وَالْأَوْلَادَ. وَتَرَكَوا الْأَوْطَانَ وَالْبِلَادَ. وَمَعَ ذَلِكَ، لَمْ يَقَعْ لَهُمْ شَرْبٌ مِنْهَا. إِذْ لَمْ يَتَّصِلُوا بِأَرْبَابِهَا؛ وَهُمْ الْعَارِفُونَ أَهْلَ التَّرْبِيَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالْخَمْرَةِ الْأَرْضِيَّةِ. إِذْ لَوْ اتَّصَلُوا بِهِمْ: لَسَكِرُوا فِي مَوْضِعِهِمْ وَبَيْنَ أَوْلَادِهِمْ. وَلَكِنَّهُمْ هَمُّوا بِشَرْبِهَا، فَتَاهُوا فِي طَلَبِهَا فَسَكِرُوا قَبْلَ الشَّرْبِ. فَمَا بَالُكَ لَوْ شَرَبُوا. وَمَا بَالُكَ لَوْ رَوُّوا مِنْهَا.

فَسُكَّرَ الْعُبَادُ وَالزُّهَادُ؛ هُوَ الْفِرَارُ مِنَ الْأَشْيَاءِ، لَعْنَتُهُمْ عَنْ شُهُودِ مَكُونِهَا. وَلَوْ شَهِدُوا مَكُونِهَا فِيهَا لَمْ يَفِرُوا مِنْهَا. قَالَ فِي الْحِكْمِ: إِنَّمَا اسْتَوْحَشَ الْعُبَادُ وَالزُّهَادُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. لَعْنَتُهُمْ عَنِ اللَّوْ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَلَوْ عَرَفُوهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. مَا اسْتَوْحَشُوا مِنْ شَيْءٍ. هـ. فَسُكَّرُهُمْ نَاقِصٌ. بِخِلَافِ مَنْ اتَّصَلَ بِأَهْلِ الْخَمْرَةِ، فَسَقَوْهُ مِنْهَا فَإِنْ سُكَّرَ مَمْزُوجٌ بِصُخْرَةٍ. فَكُلَّمَا شَرِبَ أَزْدَادَ صَخَوًا. وَكُلَّمَا غَابَ، أَزْدَادَ حُضُورًا. لَا يَحْبِبُهُ صُخْرَةٌ عَنْ سُكَّرِهِ. وَلَا سُكَّرُهُ عَنْ صُخْرِهِ. وَيُوفِي كُلَّ ذِي قِسْطٍ قِسْطَهُ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِأَهْلِ الدَّيْرِ؛ الرُّهْبَانُ الْمُنْقَطِعِينَ فِيهِ مِنَ النَّصَارَى. أَيْ لَوْلَا الْمَحَبَّةُ الَّتِي فِي قُلُوبِهِمْ مَا صَبَرُوا عَلَى تِلْكَ الْمَشَاقِّ. مِنَ الْجُوعِ وَالْبَرْدِ. فَلَوْلَا خَمْرَةُ الْمَحَبَّةِ الَّتِي شَمَتَهَا أَرْوَاحُهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ. مَا انْقَطَعُوا هَذَا الْانْقِطَاعَ. فَإِنْ قُلْتُ: لَا يَصِحُّ قَوْلُهُ فِي حَقِّهِمْ هَيْئًا. إِذْ لَا خَيْرَ عِنْدَهُمْ. قُلْتُ: لِلْعَارِفِينَ نَظَرٌ رَقِيقٌ، يَشْهَدُونَ الْأَنْوَارَ الْبَاطِنَةَ. وَيَغِيبُونَ عَنِ الظُّلُمَةِ الظَّاهِرَةِ. يَشْهَدُونَ الْقُدْرَةَ، وَيَعْرِفُونَ الْحِكْمَةَ. فَهُمْ كَالنَّحْلَةِ، تَزْعَى مِنْ كُلِّ ثَوْرٍ. حَلَوًا أَوْ مُرًّا. وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَّا الْعَسَلُ الْحُلُوُّ. وَلِذَلِكَ قَالَ شَيْخُ أَشْيَاخِنَا. سَيِّدِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَجْدُوبُ:

الْخَلْقُ نُورٌ وَأَنَا أَزْعَثُ فِيهِمْ
هُمْ الْحُجُبُ الْأَكْبَرُ وَالْمَذْخَلُ فِيهِمْ
وَفِي هَذَا الْمَثَرِ يَقُولُ الرَّفَاعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

تَأَذَّبَ بِبَابِ الدَّيْرِ وَاخْلَعَ بِهِ الثَّغْلَ
وَعَظَّمَ بِهِ الْقَيْسِيسَ إِنْ شِئْتَ حَظْوَهُ
وَدُونِكَ أَمْوَاتُ السَّمَامِينَ فَاسْتَمْعِ
بَدَتْ فِيهِمْ أَقْمَارُ شُمُوسٍ طَوَالِغُ
فَإِيَّاكَ أَنْ تَسْمَعَ لَهُنَّ بِخُلَّةِ
إِلَى أَنْ قَالَ فِي أَثْنَاءِ الْقَصِيدَةِ:

فَلَمَّا أَتَيْتُ الدَّيْرَ أَمْسَيْتُ سَيِّدًا
سَأَلْتُ عَنِ الْخَمَارِ أَيْنَ مَحَلُّهُ
فَقَالَ لِي الْقَيْسِيسُ مَاذَا تُرِيدُهُ
فَقَالَ: وَرَأْسِي وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ
وَأَضْبَحْتُ مِنْ زُهْدِي أَجْرًا بِهِ الدُّنْيَا
وَهَلْ لِي سَبِيلٌ لِلْوُصُولِ بِهِ أَمْ لَا
فَقُلْتُ أَرِيدُ الْخَمْرَ مِنْ عِنْدِكُمْ أَمْ لَا
وَدِينِي وَلَمْ بِالذَّمِّ تُبَدِّلُهُ بَدَلًا

إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَلِلْعَارِفِينَ مَنَزَعٌ غَرِيبٌ، وَنَظَرٌ عَجِيبٌ. لَا يَذُوقُهُ إِلَّا مَنْ صَحِبَهُمْ. وَإِلَّا فَشَأْنُهُ التَّنَلِيمُ. فَإِنْ اغْتَرَضَ عَلَيْهِمْ، أَصْبَحَ مِنَ الْبُحْمِ الصُّمُّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْعَارِيَةَ مِنْ وَرَاءِ الشَّرِيعَةِ؛ الشَّهْوَةُ فِيهَا أَقْرَبُ وَأَظْهَرُ. وَلِذَلِكَ قَالَ:

بَدَتْ فِيهِمْ أَقْمَارُ شَمُوعِ طَوَالِغٍ وَلَا يَذُوقُ هَذَا إِلَّا أَرْبَابُ الْمُنَنِ
قلت: النَّشْوَةُ: السُّكْرَةُ. يُقَالُ: نَشَأَ نَشْوَةً: سَكَّرَ. قَالَهُ فِي الْقَامُوسِ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عِنْدِي مِنْ هَذِهِ الْخَمْرَةِ. نَشْوَةٌ لِرُوحِي فِي الْأَزَلِ. قَبْلَ نَشْأَةِ الْبَشَرِيَّةِ. فَمَا ظَهَرَ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ. إِلَّا مَا سَبَقَ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ. فَلِلرُّوحِ سَكْرَةُ لِمَا عَلِمَتْهُ مِنْ سَبَقِ السَّعَادَةِ، وَالْعِنَايَةِ، قَبْلَ ظُهُورِ الْبَرِيَّةِ. ثُمَّ تَبَقَى تِلْكَ النَّشْوَةُ لَهَا، بَعْدَ مُقَارَقَتِهَا هَذِهِ الْبَشَرِيَّةَ اللَّطِيفَةَ، وَإِنْ بَقِيَ عَظَمُهَا، وَاضْمَحَلَّ رَسْمُهَا؛ فَإِنَّ الرُّوحَ لَا فَنَاءَ لَهَا. فَإِذَا فَارَقَتْ هَذِهِ الْبَشَرِيَّةَ. بَقِيَتْ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ. بَلْ لَمْ تَزَلْ تَتَرَقَّى فِي الْمَقَامَاتِ، كَمَا كَانَتْ فِي الدُّنْيَا أَبَدًا سَرْمَدًا. يَمُوتُ الْمَرْءُ عَلَى مَا عَاشَ عَلَيْهِ. وَيُبْعَثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ. وَقَدْ أَشْرَفْتُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي قَالَ الشَّيْخُ، فِي تَأْتِيَةِ الْخَمْرِيَّةِ. فَقُلْتُ:

سَكِرْنَا بِهَا قَدَمًا وَيَعْدُ نَشَاءَتِي وَفِي النَّشْأَةِ الْآخَرَى تَذُومُ مَسْرَتِي
ثم قال رضي الله عنه:

عَلَيْكَ بِهَا صِرْفًا وَإِنْ شِئْتَ مَرْجَهَا فَعَدْلُكَ عَنْ ظُلْمِ الْحَبِيبِ هُوَ الظُّلْمُ
قلت: الصَّرْفُ بِكَسْرِ الصَّادِ: الْخَالِصُ مِنَ الْخَمْرِ وَغَيْرِهَا. قَالَهُ فِي الْقَامُوسِ: وَالْمَرْجُ: الْخَلْطُ. وَعَدْلٌ عَنْ كَذَا: انْصَرَفَ عَنْهُ. وَالظُّلْمُ، ضَبَطُهَا بِفَتْحِ الظَّاءِ. وَفَسْرُهُ بِالرِّيقِ. وَقَوْلُهُ فِي الْقَامُوسِ: الظُّلْمُ بِالضُّمِّ: وَفَعِ الشَّيْءُ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ. وَالْمُضْذَرُّ الْحَقِيقِيُّ: الظُّلْمُ بِالْفَتْحِ، ظَلَمَ يَظْلِمُ ظَلَمًا بِالْفَتْحِ فَهُوَ ظَالِمٌ وَمُظْلُومٌ. ثُمَّ قَالَ: وَالظُّلْمُ: الثَّلَجُ بِهَذِيلِ الثَّعْلَبِيِّ. وَمَاءُ الْأَسْنَانِ هـ. فَإِنْ أَرَادَ بِمَاءِ الْأَسْنَانِ الرِّيقَ، وَافَقَ مَا قَالَهُ الْبُغْضُ. وَيَكُونُ حِينَئِذٍ كُنَايَةً عَنْ خَمْرِ الْمَحَبَّةِ. لَكُنْهَا بَعِيدَةٌ لَغَرِبَةِ الْإِنْتِقَالِ، مِنَ الرِّيقِ إِلَى الْخَمْرِ. وَالَّذِي يَظْهَرُ. أَنَّهُ الظُّلْمُ الْمَعْلُومُ، أَطْلَقَهُ عَلَى التَّصَرُّفَاتِ الْقَهْرِيَّةِ الْجَلَالِيَّةِ. إِذْ لَا سَبِيلَ لَشَرْبِ خَمْرِ الْمَحَبَّةِ عَلَى الْوَفَاءِ وَالصَّفَاءِ، إِلَّا بَعْدَ مَرُورِ هَذِهِ التَّصَرُّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ عَلَيْهِ. وَإِلَّا كَانَ كَاذِبًا. لِقَوْلِ أَبِي الْمَوَاهِبِ: مَنْ ادَّعَى شَهُودَ الْجَمَالِ، قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِالْجَلَالِ، فَازْفُضَهُ فَإِنَّهُ دَجَالٌ. فَهُوَ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

السُّحْبُ دِينَي فَلَا أُبْغِي بِهِ بَدَلًا وَالْحُسْنَ مَلِكُ مُطَاعٍ جَارَ أَمْ عَذَلَا
وَالنَّفْسُ عَزَتْ وَلَكِنْ فِيكَ أَبْذَلُهَا وَالذُّلُّ مُرٌّ وَلَكِنْ فِي رِضَاكَ حَلَا
يَا مَنْ عَذَابِي عَذَبٌ فِي مَحَبَّتِيهِ لَا أَشْتَكِي مِنْكَ لَا ضِدًّا وَلَا مَلَأًا

يقول رضي الله عنه: عليك أيها الشارب للخمرة الأزلية بها صِرْفًا. أي صافية، خالصة من السلوك. بل أَسْتَعْرِقُ في تعاطي أسباب شربها، حتى تغيب عن الحس بالكلية. وإن شئت. فامزجها بشيء من السلوك. إعطاء لحق العبودية؛ التي هي كَمَالٌ. فَإِنْ تَعَرَّفَ إِلَيْكَ الْحَقُّ بِشَيْءٍ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ الْقَهْرِيَّةِ. التي هي سبب الشرب شرب هذه الخمرة الأزلية. فعذلك عنها، وانصرافك عن نيرانها؛ هُوَ الظلم الكبير. الحق تعالى يقول لك: هَاتِ تَشْقِيكَ خُمُرَتِي بِشَمَنِ تَصَرُّفَاتِي. وَأَنْتَ تَهْرَبُ مِنْهُ. الحق تعالى يريد أن يطوي عنك مسافة البُغْدِ. وَأَنْتَ تَفِرُّ مِنْهُ إِلَى الْبُغْدِ. وفي الْحَكَمِ: إِذَا فَتَحَ لَكَ وَجْهَةً مِنَ التَّصَرُّفِ، فَلَا تَبَالِ مَعَهَا إِنْ قَلَّ عَمَلُكَ. فَإِنَّهُ مَا فَتَحَهَا لَكَ؛ إِلَّا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَتَعَرَّفَ إِلَيْكَ فِيهَا هـ. وَكَانَ شَيْخٌ شَيْخَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنَ الْفَقِيرِ يَقُولُ: يَا رَبِّ عَرِّفْنِي بِكَ. فَإِذَا تَعَرَّفَ الْحَقُّ تَعَالَى إِلَيْهِ فَرَّ مِنْهُ وَأَتَكَرَّهُ. والحاصل: أَنَّ جَنَّةَ الْمَعَارِفِ؛ التي هي محل شرب الخمرة الأزلية. مَخْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾... الآية: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَمُرُّوا أَنْ يَقُولُوا أَمْسَا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ﴾⁽¹⁾ الآية، فإطلاق الشيخ رضي الله عنه على هَذِهِ التَّصَرُّفَاتِ ظُلْمًا مَجَازً. ﴿وَلَا يَطْلُرُ رَيْكَ أَحَدًا﴾. لكن ذَكَرَ الْحَبِيبُ هُنَا لَيْسَهُلَ هَذَا الْإِطْلَاقُ. إِذْ كُلُّ مَا يَضْدُرُّ مِنَ الْحَبِيبِ كُلُّهُ حُلُوٌ مُسْتَعَذَّبٌ. وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ ظُلْمًا. فَبَاطِنُهُ صَوَابٌ وَتَقْرِيبٌ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثم قال رضي الله عنه:

قَدَوْنَكُمَا فِي الْحَانِ وَاسْتَجْلَيْتُمَا بِهِ عَلَى نَعْمِ الْأَلْحَانِ فَهِيَ بِهَا عُنْمُ
قُلْتُ: دُونَكَ اسْمُ فِعْلٍ بِمَعْنَى خُذْ. وَاللَّحْنُ مِنَ الْأَصْوَاتِ الْمَصْنُوعَاتِ. الْمَوْضُوعَةُ عَلَى مِيزَانِ الشُّغْرِ. وَالْجَمْعُ أَلْحَانٌ وَلَحُونٌ وَالْعُنْمُ بِالضَّمِّ: الْفَوْزُ بِالشَّيْءِ بِلاَ مَشَقَّةٍ. قَالَهُ فِي الْقَامُوسِ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَنْظُرَ بِهَذِهِ الْخُمْرَةِ، فَخُذْهَا مِنْ مَحَلِّهَا. وَاسْتَجْلَيْهَا مِنْ خَانِهَا؛ وَهُوَ الْاجْتِمَاعُ مَعَ أَرْبَابِهَا. وَالصُّخْبَةُ لَهُمْ. وَالْأَدَبُ مَعَهُمْ وَتَعْظِيمُهُمْ، وَالْمُذَاكِرَةُ فِيهَا مَعَهُمْ. وَإِنْشَادُ الْأَشْعَارِ

التي تَشْتَبِلُ على ذِكْرها. على نُعْمِ حَسَنَةٍ. وألحان مستحسنة؛ فهي السبب في الفوز بحصولها. والظفر بالسُّكْرِ بها. كألحان الششتري والناظم وغيرهما من الخمرية أو البحرية. ولذلك اتخذت الصوفية مُنْشِداً لينشد في حلقة الذكر وبعدها؛ لأنها تُهَيِّجُ الحب. وتُستجلب السكر. ويُشترط أن يكون صَيِّتاً عارفاً بصناعة الإنشاد. يَذْكُرُ في كُلِّ محلٍّ ما يُناسِبُهُ، بِدَايَةٍ ونِهَايَةٍ. جَذْباً وسُلوكاً. وبالله التوفيق. ثم قال رضي الله عنه:

فَمَا سَكَنْتُ وَالْهَمُّ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ كَذَلِكَ لَمْ يَسْكُنْ مَعَ النُّعْمِ النُّعْمُ
يقول رضي الله عنه: هَذِهِ الْخُمْرَةُ الْأَزَلِيَّةُ. مَنْ شَرَبَهَا وَسَكَّرَ بِهَا. وَتَمَكَّنَتْ مِنْ قَلْبِهِ مَعْرِفَتُهَا. وَأَشْرَقَتْ عَلَى سِرِّهِ أَنْوَارُهَا. لَا يَسْكُنُ مَعَهَا فِي قَلْبِهِ هَمٌّ أَبَدًا؛ لِأَنَّ الْوُضُوءَ إِلَى هَذِهِ الْخُمْرَةِ، هُوَ الْوُضُوءُ إِلَى الْحَيِّبِ، وَالْجُلُوسُ فِي بَسَاطِ حَضْرَتِهِ. وَمُشَاهَدَةُ أَنْوَارِ طَلْعَتِهِ. وَمَنْ كَانَ مَعَ الْحَيِّبِ لَا يَغْتَرِيهِ الْهُمُومُ. وَلَا يَطْرُقُ سَاحَتُهُ الْغُمُومُ. كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

هَنِيئًا لِمَنْ قَدْ نَالَ حُبَّ حَيِّبِهِ وَخَاصَّ بِتَرْكِ الْعَنِيرِ أَكْثَرَمَ مُورِدِ
نَعِيمٍ بِلَا حَلٍّ لَدَيْهِ مُجَدِّدِ عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
وأيضاً: لَا تَطْرُقُ الْهُمُومُ وَالْأَخْزَانُ، إِلَّا مِنْ وُجُودِ الْإِنْسَانِ. وَأَمَّا مَنْ تَحَقَّقَ زَوَالُهُ؛ كَانَ أَمْرُهُ كُلُّهُ بِاللَّهِ. «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ». وَالْحَقُّ مُنْزَعٌ عَنِ النَّقَائِصِ. وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ. الْهَمُّ وَالْحُزْنُ لَا يَتَصَوَّرَانِ إِلَّا فَقْدَانِ شَيْءٍ أَوْ قَوَاتِهِ. وَمَاذَا فَقَدَ مَنْ وَجَدَ اللَّهَ. بَلْ مَنْ وَجَدَ اللَّهَ كَانَتْ أَوْقَاتُهُ كُلُّهَا مَوَاسِمَ وَأَعْيَاداً. كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

الدُّهْرُ لِي مَاتَ إِنْ غِيبَتْ يَا أَمَلِي وَالْعَيْدُ مَا كُنْتُ لِي مَرَّةً وَمُسْتَعْمَا
وقال آخر:

قَالَتْ: هُنَّ الْعَيْدُ بِالْبُشْرَى فَقُلْتُ لَهَا النُّعْمُ يَغْلِبُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فَرَحُوا
بِهِ وَمَا فَرَحَنِي إِلَّا بِرُؤْيَاكَ
وإن شِئْتَ قُلْتَ: إِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الْخُمْرَةُ لَا يَسْكُنُ مَعَهَا الْهَمُّ وَالْغُمُّ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْخُمْرَةُ لَا تَسْكُنُ إِلَّا فِي قَلْبِ تَقِيٍّ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» أَيُّ يَجْعَلُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ مَخْرَجًا. وَلَا تَسْكُنُ أَيْضًا. إِلَّا فِي قَلْبِ مُخْسِنٍ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ».

وَلَا تَسْكُنُ أَيْضاً إِلَّا فِي قَلْبِ صَبُورٍ. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ مَاذَا يَقْوَمُهُ؟

وإن شئت قلت: إنما تطرق الهموم والغموم، مَنْ عَدِمَ الثقة بالحي القيوم. وَأَمَّا مَنْ صَلَحَ تَوَكُّلُهُ عَلَى اللَّهِ. فَقَدْ كَفَاهُ اللَّهُ وَأَوَّاهُ. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. وَمَنْ كَانَ اللَّهُ كَافِيَهُ، كَيْفَ تَغْتَرِيهِ الهموم؟

إن شئت قلت: إنما تطرق هذه الغموم. مَنْ عَدِمَ التحقق بالقضاء المحتوم. وَأَمَّا مَنْ تَحَقَّقَ بِسَابِقِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ. أَرَاخَ نَفْسَهُ مِنَ النَّعْبِ وَالكَدْرِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ الْأَيَّةُ. ثُمَّ قَالَ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾. حُكْمِي أَنْ رَجُلًا فَاقَ خَالَهُ. وَتَعَطَّلَ أَجَلُهُ. فَخَرَجَ هَائِمًا عَلَى وَجْهِهِ. وَدَخَلَ الصَّحْرَاءَ، فَوَجَدَ قَضْرًا دَارِسًا مُتَخَرِبًا. قَدْ كَشَفَ الرِّيحُ عَنْهُ الرَّمْلَ. وَفِي حَائِطِ ذَلِكَ الْقَضْرِ، لَوْحٌ مِنَ الرُّخَامِ. مَكْتُوبٌ فِيهِ بِقَلَمِ الْقُدْرَةِ هَذَا الشَّعْرُ:

لَمَّا رَأَيْتُكَ جَالِسًا مُسْتَقْبِلًا	أَيَقَنْتُ أَنَّكَ لِلْهُمُومِ قَرِينُ
مَا لَا يُقْدَرُ لَا يَكُونُ بِحِيلَةٍ	أَبَدًا وَمَا هُوَ كَائِنٌ سَيَكُونُ
سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي وَقْتِهِ	وَأَخُو الْجَهَالَةِ مَشْغُوبٌ مَحْزُونُ
يَجْرِي الْحَرِيصُ وَلَا يَنَالُ بِحَرْصِهِ	شَيْئًا وَيَضْحَى عَاجِزًا مُهِينُ
دَعِ الهمُومَ وَتَعَرَّ مِنْ أَثْوَابِهَا	إِنْ كَانَ عِنْدَكَ بِالقَضَاءِ يَقِينُ
هُوَ عَلَىكَ وَكُنْ بِرَبِّكَ وَائْقَا	فَأَخُو الْحَقِيقَةِ شَأْنُهُ التَّهْوِينُ
طَرَحِ الْأَدَى عَنْ نَفْسِهِ فِي رِزْقِهِ	لَمَّا تَيَقَّنَ أَنَّهُ مَظْمُونُ

وإن شئت قلت: الهموم والغموم ظلمات. وَالْخَمْرَةُ الْأَزَلِيَّةُ أَنْوَارُ مُشْرِقَاتٍ. فَكَيْفَ تَجْتَمِعُ الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ؟ أَمْ كَيْفَ تَجْتَمِعُ الْكَأَبَةُ وَالسُّرُورُ؟ وَتَعْبِيرُ الشَّيْخِ بِالسُّكْنَى يَفْتَضِي أَنْ خَطُو الهم على القلب ومروره عليه. لَا يَنَافِي وَجُودَ الْخَمْرَةِ. وَهُوَ كَذَلِكَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾. فهذه الآية، تحكّم على أهل الْبِدَايَاتِ وَالنِّهَايَاتِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى قَبْلَ ذَلِكَ مُحَاطِبًا لِسَيِّدِ الْعَارِفِينَ: ﴿وَلَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ الآية. أو إشارة إِلَى أَنَّ الطَّيِّفَ لَا يَخْلُو مِنْهُ أَحَدٌ. وَإِنْ كَانَ الرَّسُولُ مَعْصُومًا مِنْ إِصْرَارِهِ، لَكِنْ فِيهِ تَنْبِيْهُ لِعَبِيرِهِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَفِي سَكْرَةٍ مِنْهَا وَلَوْ غَمِرُ سَاعَةٍ تَرَى الدَّهْرَ عَبْدًا طَائِعًا وَلَكَ الْحُكْمُ
يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَفِي سَكْرَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ، وَلَوْ سَاعَةً مِنْ
الْعُمْرِ، تَرَى الزَّمَانَ طَائِعًا لَكَ. وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا عِنْدَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ. وَأَنْتَ حَاكِمٌ
عَلَيْهَا. مَا دُمْتَ فِي هَذِهِ السَّكْرَةِ. لَأَنَّكَ حُرٌّ عَنْهَا، غَنِيٌّ بِشُهُودِ مُكُونِهَا. الْأَشْيَاءُ
كُلُّهَا تَشْتَاقُ إِلَيْكَ وَأَنْتَ مَوْلَاهَا. أَنْتَ مَعَ الْأَكْوَانِ. مَا لَمْ تَشْهَدْ الْمُكُونُ. فَإِذَا
أَشْهَدْتُهُ، كَانَتْ الْأَكْوَانُ مَعَكَ. وَفِي الْحَدِيثِ. «اشْتَاقَتِ الْجَنَّةُ إِلَى عَلِيِّ وَعَمَّارٍ.
وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ». وَبِالْجُمْلَةِ. فَمَنْ عَلَتْ هِمَّتُهُ عَنِ الْأَشْيَاءِ كَانَ حُرًّا. وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا
عَبِيدُ لَهُ. يَتَصَرَّفُ فِيهَا بِاللَّيْلِ. مُرَادُهُ مَعَ مُرَادِ مَوْلَاكَ. لَا يَسْتَهَيِ إِلَّا مَا يُفْضِي، وَلَا
يُرِيدُ إِلَّا مَا يُرِيدُ. صَارَ الْمَنْعُ عِنْدَهُ عَيْنَ الْعَطَاءِ. وَالذَّلَّ عَيْنَ الْعِزِّ. وَالْفَقْرُ عَيْنَ
الْغِنَا. وَالْقَبْضُ عَيْنَ الْبَسْطِ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَوَارِدِ الْأَضْدَادِ. فَلَا يَقْدَحُ فِي حَقِّ
الْعَارِفِ تَعَذُّرُ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ، فِي أُمُورِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ عِنْدَ مَوْلَاهُ. مَنْعُهُ أَوْ أَعْطَاهُ.
وَتَقْيِيدُنَا كَلَامُ الشَّيْخِ. بِوَقْتِ الْخَمْرَةِ لَا بُدَّ مِنْهُ. وَأَمَّا مَنْ رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ، وَشُهُودِ
حِسِّهِ. فَلَا تَبْقَى لَهُ هَذِهِ الْمَزِيَّةُ. لَغَلَبَةِ أَحْكَامِ الْعُبُودِيَّةِ عَلَيْهِ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ
الشَّاعِرُ:

نَخْنُ إِنْ كُنَّا بِهِ دَلَالًا تَهْنَأُ عَنْ سَائِرِ الْأَخْرَارِ وَالْعَبِيدِ
وَإِنْ نَخْنُ رَجَعْنَا إِلَيْنَا عَطَّلَ ذَلِكَ أَدْلَ الْيَهُودِ
فَمَنْ دَامَ سَكْرُهُ فِي الْبَاطِنِ. وَتَحَقَّقَ بَقَاؤُهُ وَفَنَآؤُهُ. وَسَكَنَ عِنْدَ مَوْلَاهُ، كَانَ
حُرًّا عَلَى الدَّوَامِ. مَالِكًا عَلَى الدَّوَامِ. وَالْأَشْيَاءُ مَمْلُوكَةٌ لَهُ عَلَى الدَّوَامِ. يَتَصَرَّفُ فِيهَا
بِاللَّهِ. خَلِيفَةً عَنِ اللَّهِ فِي حُكْمِهِ وَإِلْزَامِهِ. مَغْرُورٌ عَنِ رُؤْيَا نَفْسِهِ وَوُجُودِهِ. يَتَطَهَّرُ
بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ إِلَى سَابِقِ الْقَضَاءِ، فَيَحْكُمُ بِهِ. قَدْ ذَهَبَ رُؤْيَا الْكَوْنِ عَنْ نَظَرِهِ. فَلَا
يَشْهَدُ إِلَّا مُكُونِهَا. فَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ كَانَ هَكَذَا. يَكُونُ الدَّهْرُ خَادِمًا لَهُ. وَالْأَنَامُ
عَبِيدًا. فَكُلُّ يَوْمٍ عِنْدَهُ الْبَعِيدُ. حَقَّقْنَا اللَّهُ بِهَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ. بِجَاهِ سَيِّدِ الْخَلْقِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَلَا عَيْشَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ عَاشَ صَاحِبِيَا وَمَنْ لَمْ يَمُتْ سُكْرًا بِهَا فَاتَهُ الْحَزْمُ
قُلْتُ: الصُّخْرُ: ذَهَابُ الْقَيْمِ، وَالسُّكْرُ. يُقَالُ: صَجِيَ السُّكْرَانُ. كَرَضِي.
وَأَضْحَى: ذَهَبَ سَكْرُهُ. قَالَهُ فِي الْقَامُوسِ: يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ فَاتَهُ السُّكْرُ
بِهَذِهِ الْخَمْرَةِ، وَعَاشَ سَالِكًا مَخْضًا. لَا يَرَى إِلَّا الْأَكْوَانَ. وَلَا يَحُولُ فِكْرُهُ إِلَّا فِيهَا.

فَعَيْشُهُ عَيْشُ الْبَهَائِمِ . فَلَا عَيْشَ لَهُ عِنْدَ الْإِنْسَانِ ؛ لِأَنَّ عَيْشَهُ مُكَدَّرٌ . وَرَزَقَهُ مِنَ
الْعُلُومِ مُقْتَرَرٌ . مَسْجُونٌ بِمَحِيطَاتِهِ ، مَخْصُورٌ فِي هَيْكَلِ ذَاتِهِ . لَمْ يُفْتَحْ لَهُ مَيَادِينُ
الْغُيُوبِ . وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى قُضَاءِ الشُّهُودِ وَالْعِيَانِ . قَدْ بَانَ غَيْبُهُ ، وَدَامَ حُزْنُهُ . وَقَدْ
قُلْتُ فِي ثَانِيَّتِي فِي هَذِهِ الْمَعْنَى :

فَيَا غَيْبَ مَنْ لَمْ يَشْفِ مِنْهَا غَلِيلُهُ لَقَدْ كَسَاكَ الْحِزْمَانُ ثَوْبَ مَذَلَّتِي
وَيَا قُورَ مَنْ أَضْحَى لَهَا مُتَضَلِّعاً عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
هَنِيشاً لَهُ فَالْأَمْرُ عِنْدَ مُرَادِهِ وَعَبْدًا يَصِيرُ الدَّهْرُ فِي كُلِّ خِدْمَةٍ
فَمَنْ عَاشَ وَلَمْ يَسْكُزْ مِنْهَا حَتَّى مَاتَ فَقَدْ فَاتَهُ الْحَزْمُ وَكَانَ حُطَّةَ النَّدَمِ
كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

مَنْ فَاتَهُ مِنْكَ وَضَلَّ حُطَّةَ النَّدَمِ وَمَنْ تَكُنْ هَمُّهُ تَسْمُوبُهُ الْهَمُّ
وَاعْلَمْ أَنَّ الصُّخْوَ عَلَى قِسْمَيْنِ : صَخْوٌ بَعْدَ السُّكْرِ : وَهَذَا غَيْبُ الْكَمَالِ .
وَصَخْوٌ قَبْلَ السُّكْرِ ؛ وَهَذَا هُوَ الْمَذْمُومُ ، لِأَنَّ صَاحِبَهُ مَحْجُوبٌ عَنِ اللَّهِ ؛ وَهُوَ الَّذِي
أَرَادَ النَّاطِقُ هُنَا ، كَمَا أَنَّ السُّكْرَ عَلَى قِسْمَيْنِ : سَكْرٌ يَكُونُ مَعَهُ سُلُوكٌ أَوْ بَعْدَهُ . وَهَذَا
هُوَ الْكَمَالُ . وَسَكْرٌ لَا يَصْحَبُهُ سُلُوكٌ مَعَهُ وَلَا بَعْدَهُ . وَهَذَا نَاقِصٌ ؛ لَا يَصْلُحُ لِلتَّرْبِيَةِ
النَّبَوِيَّةِ . كَمَا أَنَّ السُّلُوكَ الْمَخْضُ لَا يَصْلُحُ أَيْضاً لِلتَّرْبِيَةِ . وَمَنْ سَكَّرَ ثُمَّ صَحَا كَانَ
شَيْخاً مُرْتَبِئاً ، كَامِلاً مَكْمَلاً ؛ وَهَذَا لَا يَنْقَطِعُ ، مَا دَامَ الْوُجُودُ قَائِماً . وَلَا يَقُولُ بِخِلَافِ
هَذَا ، إِلَّا مَنْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ . نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ : ثُمَّ إِنَّهُ قَالَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ :

عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْنِكْ مَنْ ضَاعَ عُمرُهُ وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلَا سَهْمٌ
يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ ضَاعَ عُمرُهُ فِي الْبَطَالَةِ وَالتَّقْصِيرِ . وَالتَّخْلِيْطِ
وَالْتَكْدِيرِ . وَلَيْسَ لَهُ مِنْ خَمْرَةِ الْأَفْرَاحِ قَلِيلٌ وَلَا كَبِيرٌ . فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَبْكِيَ عَلَى
نَفْسِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ . وَيَلْتَجِئَ إِلَى الْعَارِفِينَ الْأَطْهَارِ وَالصَّحَالِينَ الْأَبْرَارِ
فَعَسَى أَنْ تَهْبُ عَلَيْهِ نَفَحَاتُ مِنَ الْكَرِيمِ الْغَفَّارِ . لَعَلَّ يَلْتَحِقَ بِهِمْ ، وَيَنْخَرِطَ فِي
سَبْلِهِمْ . وَإِلَّا بَقِيَ مَغْبُوناً عِبَادَتُهُ ؛ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْحَسَنِ ؛ فَهِيَ قَلِيلَةٌ فِي الْمَعْنَى ؛
لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ عَمَلِ الْجَوَارِحِ ، وَضُوءُ ثَمَرَتِهَا إِلَى الْقَلْبِ ؛ وَهِيَ خَمْرَةُ الْمَحَبَّةِ .
فَمَنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى هَذِهِ الْخَمْرَةِ ، فَعِبَادَتُهُ وَسِيلَةٌ بِلَا غَايَةٍ . وَلِلَّذَلِكَ قَالَ الْقُطْبُ بْنُ
مَشِيْشٍ - نَفَعَنَا اللَّهُ بِذِكْرِهِ - مَنْ ذَلِكَ عَلَى الدُّنْيَا فَقَدْ عَشَكَ . وَمَنْ ذَلِكَ عَلَى الْعَمَلِ

فَقَدْ أَتَعَبَكَ . وَمَنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ فَقَدْ تَصَحَّكَ . فالدَّلَالَةُ عَلَى اللَّهِ، هُوَ تَغَيُّبُ الْعَبْدِ عَمَّا سِوَاهُ، وَنِسْيَانُهُ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ؛ وَهَذِهِ هِيَ الْخَمْرَةُ الْمَطْلُوبَةُ . فَعِبَادَةُ أَهْلِ هَذِهِ الْخَمْرَةِ كَثِيرَةٌ فِي الْمَعْنَى . وَإِنْ كَانَتْ قَلِيلَةً فِي الْحَسَنِ؛ لِأَنَّ عِبَادَةَ هَذِهِ الْخَمْرَةِ كُلُّهَا مُضَاعَفَةٌ بِأَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ؛ لِأَنَّهَا بَيْنَ فِكْرَةٍ وَنَظَرَةٍ . وَشَهْوَةٍ وَعِبْرَةٍ . وَفِي الْخَبَرِ: «تَتَفَكَّرُ سَاعَةً أَفْضَلَ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةً» . وَقَالَ الشَّاعِرُ:

كُلُّ وَثَقٍ مِنْ حَبِيبِي قَدْ زَرَهُ كَأَلْفِ خُجَّةٍ
أَي سَنَةٍ . وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَرْزُوقِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوْقَاتُنَا كُلُّهَا لَيْلَةُ الْقَدَرِ . أَي كُلِّ وَقْتٍ عِنْدَنَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرِ . يَسِيرُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى . وَقَالَ الْجَنِيدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَشْرَفَ الْمَجَالِسِ وَأَعْلَاهَا الْجُلُوسُ مَعَ الْفِكْرَةِ فِي مِيدَانِ التَّوْحِيدِ، بِنَيْسِيمِ الْمَعْرِفَةِ . وَالشَّرْبُ بِكَأْسِ الْمَحَبَّةِ، مِنْ بَحْرِ الْوِدَادِ، وَالنَّظَرُ بِحَسَنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى . ثُمَّ قَالَ: يَا لَهَا مِنْ مَجَالِسٍ . مَا أَجْلَهَا! وَمِنْ شَرَابٍ مَا أَلَذُّهُ! طَوَّبَنِي لِمَنْ رَزَقَهُ هـ . وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنِي أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنْ بَعْضِ عُلَمَاءِ الْمَشْرِقِ، قَالَ: كُنْتُ تَائِهًا فِي مَسْجِدِ الْأَقْدَامِ بِمِصْرَ . فَصَلَّيْتُ الْعَتَمَةَ . فَرَأَيْتُ رَجُلًا قَدْ اضْطَجَعَ فِي كِسَاءٍ لَهُ . مَسْجِيًّا بِكِسَائِهِ حَتَّى أَضْلَحَ . وَصَلَّيْنَا فِي اللَّيْلَةِ وَسَهَرْنَا . فَلَمَّا أُقِيمَتِ صَلَاةُ الصُّبْحِ . قَامَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ . وَصَلَّى مَعَ النَّاسِ، فَاسْتَعْظَمْتُ جُرْأَتَهُ فِي الصَّلَاةِ بِغَيْرِ وُضوءٍ . فَلَمَّا قَرَعْتَ الصَّلَاةَ، خَرَجَ فَتَبَعَنِي لِأَعِظُهُ . فَلَمَّا تَبَعَنِي سَمِعْتُهُ يُنْشِدُ:

مُنْسَجِنُ الْجِسْمِ غَائِبٌ حَاضِرٌ مُتَنَبِّهُ الْقَلْبِ صَامِتٌ ذَاكِرٌ
مُتَقَبِّضٌ فِي الْغُيُوبِ مُنْبَسِطٌ كَذَلِكَ مَنْ كَانَ عَارِفًا نَكِرٌ
قَالَ: فَعَلِمْتُ أَنَّهُ مَنْ يَغْبِذُ اللَّهَ بِالْفِكْرَةِ . وَقَالَ أَبُو الْحَجَّاجِ الضَّرِيرُ فِي مَنْظُومِيهِ:

وَالْفِكْرُ فِي عَجَائِبِ الْخَلِيقَةِ مِنْ أَفْضَلِ الطَّاعَاتِ فِي الْحَقِيقَةِ
لَأَنَّهُ بِهِ تَكُونُ الْمَعْرِفَةُ وَإِنَّمَا يَخَافُهُ مَنْ عَرَفَهُ
وَقَالَ الشُّشْتَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

دَعِ السَّيْفَ وَالسُّبْحَةَ وَالسَّجَادَ وَاعْقِدْ سُكَيْرَةً مِنْ خُمْرَةِ الْإِفْرَادِ
أَي اتْرِكِ الْجِهَادَ الْجِسْمِيَّ وَالْعِبَادَةَ الْحَسِيَّةَ . وَاشْتَغِلْ بِالْعِبَادَةِ الْبَاطِنِيَّةِ الْقَلْبِيَّةِ . وَلِلذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: الذَّرَّةُ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ . أَفْضَلُ مِنْ أَمْثَالِ الْجِبَالِ مِنْ

أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ. وقال الإمام أَبُو الْقَاسِمِ الْقَشِيرِي رضي الله عنه: التفكير نغت كل طالب، وثمرة الوصول، بشرط العلم. فإذا سَلِمَ الفكر عن الشوائب. ورد صاحبه على مَنَاهِلِ التحقيق. وفي كتاب الله عز وجل، وسنة رسول الله ﷺ، من الحث على التفكير، والاعتباط به. ما يَقْلَ بِهِ أَسْفَار. وكذلك أخبار السلف الصالح. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ يُرَٰفَعُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِفْظٍ﴾، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. إلى غير ذلك مما لَا يُحْصَى. ولما نَزَلَتْ على رسول الله ﷺ، هذه الآية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ الخ الآية، قال: «وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا». وقال ﷺ: «لَا عِبَادَةَ كَالْتَفَكُّرِ». وسُئِلَتْ زَوْجَةُ أَبِي ذُرٍّ عن عبادة زَوْجِهَا. فَقَالَتْ: كَانَ نَهَارُهُ أَجْمَعُ فِي نَاحِيَةِ يَتَفَكَّرُ. وكذلك ذَكَرَتْ زَوْجَةُ أَبِي بَكْرٍ. قَالَتْ: كَانَ لَيْلُهُ فِي نَاحِيَةِ يَتَفَكَّرُ. وَكَانَ عِيْسَى عليه السلام يَقُولُ: طَوْبَى لِمَنْ قِيلَ ذِكْرًا. وَصَمَّتْهُ تَفَكُّرًا وَنَظَرُهُ عِبْرَةً. إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ مَنْ ذَانَ نَفْسَهُ؛ وَعَمِلَ لَمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ. وقال كَعْبٌ: مَنْ أَرَادَ شَرْفَ الْآخِرَةِ، فَلْيَكْثِرِ التَّفَكُّرَ. وقيل لإبراهيم: إِنَّكَ تُطِيلُ الْفِكْرَةَ. فقال: الْفِكْرَةُ مَخُ الْعَقْلِ.

وَكَانَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، كَثِيرًا، مَا يَتَأَمَّلُ وَيَقُولُ: إِذَا الْمَرْءُ كَانَتْ لَهُ فِكْرَةٌ. فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ عِبْرَةٌ. وقال الحسن: مَنْ لَمْ يَكُنْ كَلَامَهُ حِكْمَةً، فَهُوَ لَعُوٌّ. وَمَنْ لَمْ يَكُنْ سَكَوَتُهُ تَفَكُّرًا؛ فَهُوَ سَهْوٌ. وَمَنْ لَمْ يَكُنْ نَظَرُهُ اِعْتِبَارًا، فَهُوَ لَهْوٌ. وقيل في قوله تعالى: ﴿سَامِعِرَفَ عَنِ ابْنَيْهِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي أَمْنَعُ قُلُوبَهُمُ التَّفَكِيرَ فِي أَمْرِي.

وَكَانَ لُقْمَانُ يُطِيلُ الْجُلُوسَ وَخَدَهُ. فَيَمَرُّ بِهِ مَوْلَاهُ. يَا لُقْمَانَ. إِنَّكَ تُطِيلُ الْجُلُوسَ وَحَدَّكَ. فَلَوْ جَلَسْتَ مَعَ النَّاسِ، كَانَ أُنْسٌ لَكَ. فيقول لقمان: إِنْ أَطُولَ الْوَحْدَةُ أَتَمُّ لِلْفِكْرَةِ.

وقال في الحكم: ما نفع القلب شيء مثل عزلة، يَدْخُلُ بِهَا مِيدَانُ فِكْرَةٍ. وقال أيضًا: الْفِكْرَةُ سِرَاجُ الْقَلْبِ. فإذا دُمِعَتْ فَلَا إِضَاءَةَ لَهُ. وقال أيضًا: الْفِكْرَةُ فِكْرَتَانِ: فِكْرَةُ تَصَدِيقٍ وَإِيمَانٍ. وفِكْرَةُ شُهُودٍ وَعِيَانٍ. فالأول لأَرْزَابِ الْاِعْتِبَارِ. والثاني لأَرْزَابِ الشُّهُودِ، وَالِاسْتِبْصَارِ. وفِكْرَةُ أَهْلِ الشُّهُودِ وَالْعِيَانِ؛ هِيَ الَّتِي تَسْتَلْزِمُ الْحُمْرَةَ؛ وَهِيَ الْمَقْصُودَةُ عِنْدَ الْعَارِفِينَ. وَهِيَ الَّتِي تَعَادِلُ أَلْفَ سَنَةٍ. وَتَقْتِ

مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. فَمَنْ فَقَدَهَا فَلَا عَيْشَ لَهُ فِي الدُّنْيَا. وَحَقَّ عَلَى نَفْسِهِ
الْبُكَاءُ. وَمَنْ طَفَرَ بِهَا وَنَالَهَا يَحِقُّ لَهُ الْهَنَاءُ. وَفِي أَمْثَالِهِ قَالَ الْقَائِلُ:

هُمُ الرِّجَالُ وَعَيْنٌ لِمَنْ أَنْ يُقَالَ لَمْ يَتَّصِفْ بِمَعَانِي فِي وَصْفِهِمْ رَجُلٌ
حَقَّقْنَا اللَّهُ بِمَا حَقَّقَهُمْ بِهِ. وَأَتَّحَفْنَا بِمَا أَتَّحَفَهُمْ بِهِ. آمِينَ. وَسَلَامٌ عَلَى
الرُّسُلَيْنِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

هَذَا آخِرُ مَا قَصَدْنَا جَمْعَهُ عَلَى الْقَصِيدَةِ الْخُمْرِيَةِ الْفُرْضِيَّةِ: عَلَى يَدِ عَبْدِ رَبِّهِ،
أَقْلَ عَبِيدِهِ، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِنَعِيجِيَّةِ الْحَسَنِيِّ.

شرح قصيدة يا من تعظم... للامام الرفاعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

يقول العبد الفقير إلى مولاه العتيبي به عما سواه. أحمد بن محمد بنعحبية الحسني. لطف الله به وحباه. ولحضرتيه اجتنباه.

الحمد لله. نحمدك يا من تعظمت أنوار جماله وبهائه. حتى حفيت من شدة ظهورها معاني صفاته وأسمائه. ونشكر يا من تردى برداء عزته وكبريائه. حمداً وشكراً يقتضيان المزيد من عظيم نواله وآلائه. ونصلي وتسلم على من انشقت من ناسوته الأسرار. ورزقي الله تعالى عن أصحابه الأبرار وأهل بيته الأطهار.

أما بعد. فقد سألتني بعض أهل المحبة والوداد من أهل التسليم والاعتقاد أن أضع تقييداً على قصيدة تنسب للإمام الرفاعي رضي الله عنه؛ وهو أحمد بن أبي الحسن الرفاعي. نسب إلى بني رفاعه قبيلة من العرب. وسكن بأحواز مصر قرية يقال لها: أم عبيدة. بأرض البطائح إلى أن مات بها رضي الله عنه وقت الظهر، ثاني عشر جمادى الأولى سنة سبعين وخمسمائة، وكان شافعي المذهب. وله أحوال غريبة في التواضع، وتعاطي السفليات، وتحمل الأذى. كان رضي الله عنه يمشي إلى حارة المجذومين، وأفل الأوساخ، فيغسل ثيابهم، ويغلي رؤوسهم ولباحهم. ويحمل لهم الطعام ويأكل معهم اللبن، ويجالسهم ويسألهم الدعاء، ويقول زيارة هؤلاء واجبة لا مشخبة. ورأى مرة كلباً أجرب أخرجه أهل أم عبيدة وقذروه، فخرج معه إلى البرية، وضرب مظلة، وجعل يطله بالذهن، ويطعمه ويسقيه، ويحك الجرب بخرقه. فلما برىء. سخن له ماء وغسله، وقال: جفت أن يؤخذ حميد بهذا الكلب يوم القيامة. ويقول الحق لي جلّ وعلاً يا حميد أما علمت أنه خلق من خلقي، أما أمرتك بالرحمة أطل مبتلى.

وكان يخرج إلى الطريق ينتظر العُمَيَّانَ ويقودُهُم إلى مَكَانِهِم. وإذا رأى شخصاً كبيراً يذهب إلى أهل حارة، ويوصيهم عليه. ويقول: قَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ أَكْرَمَ ذَا شَيْبَةٍ، سَخَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ كِبَرِهِ». وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، وَقَرَّبَ مِنْ بَلَدِهِ يَشُدُّ وَسْطَهُ، ويخرج خَبْلاً وَيَجْمَعُ حَطَباً ثُمَّ يَحْمِلُهُ عَلَى رَأْسِهِ إِلَى الدَّارِ، وَيَفْعَلُ كَذَلِكَ الْفُقَرَاءُ. فَإِذَا دَخَلَ الْبَلَدَ، فَرَّقَ ذَلِكَ عَلَى الْأَرَامِلِ وَالْعُمَيَّانِ وَالْمَسَاكِينِ. وَكَانَ يَتَحَمَّلُ أَذَى النَّاسِ مَا لَا يَحْمِلُهُ غَيْرُهُ.

وَيَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ. لَقِيَهُ مَرَّةً جَمَاعَةٌ فَسَبُّوهُ. وَقَالُوا لَهُ: يَا بَدَّاعُ. يَا مُسْتَحِلًّا لِلْحَرَامِ، يَا مَبْدُلًا لِلْقُرْآنِ، يَا مَلْحِدًا يَا كَلْبَ. فَكَشَفَ رَأْسَهُ، وَقَبَّلَ الْأَرْضَ. وَقَالَ: اجْعَلُونِي فِي حُلٍّ. وَجَعَلَ يَقْبَلُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، فَلَمَّا أَعْجَزَهُمْ قَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَكَ فِي الْفُقَرَاءِ تَحْتَمِلُ مِثْلَ هَذَا الشُّتْمِ. فَقَالَ: هَذَا بِبَرَكَاتِكُمْ. وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ الْبُوصْتِي كِتَاباً يُعَاتِبُهُ، وَيَحِطُّ مَرْتَبَتَهُ. فَقَالَ لِلرَّسُولِ اقْرَأْهُ، فَإِذَا فِيهِ: يَلِ مُبْتَدِعٍ، يَا كَلْبُ، يَا جَامِعاً بَيْنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. فَلَمَّا فَرَّغَ الرَّسُولُ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ أَخَذَهُ سَيِّدِي أَحْمَدُ وَقَرَأَهُ. وَصَارَ يَقُولُ: صَدَقَ أَخِي فِيمَا يَقُولُ وَجَزَّاهُ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا. ثُمَّ أَلْشَدَّ:

فَلَسْتُ أَبَالِي مَنْ رَمَانِي بِرَمِيَةٍ إِنْ كُنْتُ عِنْدَ اللَّهِ غَيْرَ مُرِيبٍ
وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَتَجَلَّى الْحَقُّ لَهُ بِالْعَظَمَةِ، فَيَذُوبُ حَتَّى يَصِيرَ نُقْطَةً. ثُمَّ يَتَذَكَّرُهُ اللَّطْفُ، فَيَصِيرُ يَكْبُرُ شَيْئًا فَشَيْئًا، حَتَّى يَرُدَّ إِلَى جَنْسِهِ الْمَعْتَادِ. وَيَقُولُ: لَوْلَا لُطْفُ اللَّهِ تَعَالَى مَا رَجَعْتُ إِلَيْكُمْ. وَلَهُ كَلَامٌ طَوِيلٌ فِي الْحَقَائِقِ. فَمِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«الزُّهْدُ أَسَاسُ الْأَخْوَالِ الْمُرْضِيَةِ، وَالْمَرَاتِبِ السَّانِيَةِ». وَهُوَ أَوَّلُ قَدَمِ الْقَاصِدِينَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَالْمُنْقَطِعِينَ إِلَى اللَّهِ. وَالرَّاضِينَ عَنْهُ، وَالْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ. فَكُلُّ مَنْ لَمْ يُحْكَمْ أَسَاسُهُ فِي الزُّهْدِ لَمْ يَصْلُحْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ.

وَمِنْ كَلَامِهِ أَيْضًا: «الْفُقَرَاءُ أَشْرَافُ النَّاسِ؛ لِأَنَّ الْفَقْرَ لِبَاسُ الْمُرْسَلِينَ. وَجَنِبَ الصَّالِحِينَ، وَتَنَاجَى الْمُتَّقِينَ، وَغَنِيْمَةُ الْعَافِينَ، وَمُنِيَّةُ الْمُرِيدِينَ، وَرِضَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَكِرَامَةُ الْأَوْلِيَاءِ وَأَهْلِ وَلَايَتِهِ». وَسَأَلَهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ فَقَالَ: «يَا أَخِي إِنْ عِنْدِي الْيَوْمَ قُوَّةٌ يَوْمِي. وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِي، لَمْ يَقْبَلْ لَهُ دُعَاءٌ. فَإِذَا بَلَغَكَ يَا أَخِي أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدِي مَا يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ. فَسَلِّنِي الدُّعَاءَ. فَإِنَّ لِي حَيْثُذَ إِسْوَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ». وَكَانَ يَقُولُ: «لَا يَصْخُ الْأَنْسُ بِاللَّهِ تَعَالَى. إِلَّا لَمَنْ كَمَلَتْ طَهَارَتُهُ.

واستوحش مما يشغله عن الله تعالى . فعند ذلك يؤنسهُ الله به . وكان يقول : «الشفقة على الإخوان ، مما يقربُ إلى الله تعالى» . وقال لخدامه : «يا يعقوبُ كن ذنباً ولا تكن رأساً . فإنَّ الضربة أول ما تقع تقع في الرأس . وإياك ورؤية نفسك على الإخوان . فإنه لا يقال لك عثرة . ولا يساعدك عليها ولو حملت ما حملت لا يساعدها أحد . وانظر إلى شجرة اليقطين : «شجرة الفزع» لما انثقت ، وألقت خذها على الأرض ، كيف جعل الله ثقل حملها على الأرض . ولو حملت ما حملت لا تحسُّ به» .

وكان يقول : «أفضل العبادات البدنية : الصدقة» . وكان يقول : «التوحيد وجدان عظيم ، والقلب يمنع من التعطيل والتشبيه» «وكان يكره لأصحابه الخوض في الذات والصفات» . وكان يقول : «إذا صلح القلب صار مهبط الوحي والأسرار ، والأنوار ، والملائكة . وإذا فسد صار مهبط الأباطيل والظلم والشياطين» . وكان يقول : «إذا صلح القلب أخبرك عما وراءك وأمامك . وإذا فسد حدثك بأباطيل ، يغيب معها الرشد ، ويتفي منها الهدى» . وكان يقول : «من شرط الفقير أن يرى كل نفس من أنفاسه . أعز من الكبريت الأحمر . فلا يضع في كل نفس إلا ما يصلح له» . وكان يقول في حديث : «من تزوج لله كفى ووفى» . معناه أن يتزوج امتثالاً للأمر . لا بحكم الشهوة البهيمية . وكان يقول : «طريقنا على ثلاثة أشياء لا يسأل ، ولا يزد ، ولا يدخر» . وكان يقول : «سعادة المريد أن يفتخر به شيخه لشدة مجاهدته» . وكان يقول : «من غضب لنفسه تعب . ومن سلم أمره إلى مولاه نصره من غير أهل ولا عشيرة» . وكان يقول : «والله ما كان لي خيراً إلا في الرخدة . فإني لئنني لم أعرف أحداً ، ولم يعرفني أحد» . وكان يقول : «من شرط الفقير ألا يكون له نظر في عيوب الناس» . وكان يقول : «إياكم وتعاطي أسباب الشهوة ، والفرح بالمحبين والمعتدين» . وكان يقول : ما من ليلة إلا ينزل فيها نور من السماء يقذف في قلوب المستيقظين» . وكان يقول لأصحابه «من تشيخ عليكم فقدموه ومن قدم لكم يده لتقبلوها فقبلوا رجله» ومعنى تشيخ عليكم : نصب نفسه للشيوخوخة . وكان يقول : «إذا أَرَادَ الله أن يَرْفِي عَبْدَهُ إلى مقامات الرجال ؛ كلفه بأمر نفسه أولاً . فإذا أدب نفسه واستقامت معه كلفه بأهله . فإن أحسن إليهم وسأسهم كلفه الله بأهل بلده . فإن أحسن إليهم وسأسهم ، كلفه جهة من البلاد» .

فإن هو نصحهم وسأسهم . وأصلح سريرته مع الله . كلفه رتبة ما بين السماء

وَالْأَرْضُ. فَإِنَّ لِلَّهِ خَلْقًا لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ. ثُمَّ لَا يَزَالُ يَرْتَفِعُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ. حَتَّى يَرْتَفِعَ وَيَصِلَ إِلَى مَحَلِّ الْقُطْبِ الْغَوِي؛ وَهَنَّاكَ يُطْلَعُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى غَيْبِهِ، فَلَا تَنْبُتُ شَجَرَةٌ، وَلَا تَخْضِرُ وَرَقَةً إِلَّا بِعِلْمِهِ. وَهَنَّاكَ يَتَكَلَّمُ عَنِ اللَّهِ بِكَلَامٍ لَا تَسْمَعُ الْعُقُولُ، وَرَبِّمَا ذَهَبَ بِهِ إِيْمَانُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ». وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِذَا صَعِدَ الْكَرْسِي، يَسْمَعُ كَلَامَهُ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ، حَتَّى أَهْلُ الْقُرَى. حَوْلَ أُمِّ عَيْدَةَ. وَيَعْرِفُونَ جَمِيعَ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ. مَعَ أَنَّ صَوْتَهُ كَانَ ضَعِيفًا. وَكَانَ الْأَطْرَشُ وَالْأَصْمُ، إِذَا خَضِرَا يَفْتَحُ اللَّهُ أَسْمَاعَهُمَا لِكَلَامِهِ.

وَكَانَ مَشَايخِ الطَّرِيقِ يَحْضُرُونَهُ. وَكَانَ جُلُثُهُمْ يَبْسُطُ خُجْرَةً. فَلِذَا قَرِغَ مِنْ وَغْطِهِ، ضَمُّوا خُجُورَهُمْ إِلَى صُدُورِهِمْ، وَقَصُّوا الْحَدِيثَ إِذَا رَجَعُوا إِلَى أَصْحَابِهِمْ عَلَى حَلِيَّتِهِ. قَالَ خَادِمُهُ يَعْقُوبُ: قُلْتُ يَا سَيِّدِي: أَنْتَ الْقُطْبُ. فَقَالَ: نَزَّ شَيْخُكَ عَنِ الْقُطْبَانِيَّةِ. فَإِنَّ مَنْ كَانَ فِي خَضِرَةِ اللَّهِ لَا مَقَامَ لَهُ. وَسُئِلَ مَرَّةً كَيْفَ كَانَ سُلُوكُكَ. فَقَالَ: مَرَزْتُ وَأَنَا صَغِيرٌ عَلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْجَرَبُوفِيِّ. قَالَ: يَا أَحْمَدُ. اسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ: «مَنْ التَفَتَ لَا يَصِلُ. وَمِثْلُهُ لَا يُفْلِحُ. وَلَمْ يَعْرِفْ مِنْ نَفْسِهِ النِّقْصَانَ. فَكُلَّ أَوْقَاتِهِ نِقْصَانٌ». فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ. وَجَعَلْتُ أَكْرَرُهَا سَنَةً. ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: أَوْصِنِي. فَقَالَ: «مَا أَفْبَحَ الْجَهْلُ بِالْأَوْلِيَاءِ وَالْعِلَّةُ بِالْأَطْبَاءِ. وَالْجَفَا بِالْأَحِبَّةِ. ثُمَّ خَرَجْتُ وَصَرْتُ أَكْرَرُهَا سَنَةً. فَانْتَفَعْتُ بِكَلَامِهِ لِكَوْنِهِ اخْتَصَرَ لِي الطَّرِيقَ» قُلْتُ: لِمَ نَطْلُعُ لَهُ عَلَى شَيْخٍ لَهُ فِي طَرِيقِ التَّوْبَةِ غَيْرُ هَذَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَهَذَا أَوَّلُ الْقَصِيدَةِ الَّتِي أَرَدْنَا الْكَلَامَ عَلَيْهَا:

يَا مَنْ تَعَاطَمَ حَتَّى رَقَّ مَغْنَاهُ وَلَا تَرْدَى رِذَاءَ الْكِبَرِ إِلَّا هُوَ

قُلْتُ: يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا مَنْ تَعَاطَمَ فِي شِدَّةِ ظُهُورِ أَنْوَارِهِ، وَتَجَلَّيَاتِ أَسْرَارِهِ، فَمَا زَالَ يَظْهَرُ لِلْبَصَائِرِ، وَيَتَجَلَّى لِلْسَّرَائِرِ. حَتَّى خَفَا مَغْنَاهُ. وَرَقَّ عَنِ مَدَارِكِ الْعُقُولِ نَوْرَ جَمَالِهِ وَسَنَاهُ. فَمَا احْتَجَبَ مِنْ شِدَّةِ ظُهُورِهِ، وَمَا مَنَعَ الْأَبْصَارَ أَنْ تَدْرِكَهُ إِلَّا قَهَارِيَّةُ نَوْرِهِ. وَلِلَّهِ دَرُ الْقَائِلِ:

لَقَدْ ظَهَرَتْ فَمَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ
لَكِنْ بَطْنَتْ بِمَا أَظْهَرَتْ مُخْتَجِبًا
إِلَّا عَلَى أَكْمِهِ لَا يُبْصِرُ الْقَمَرَا
وَكَيْفَ يُبْصِرُ مَنْ بِالْعِزَّةِ اسْتَشَارَا

قال آخر:

وَمَا اخْتَجَبَتْ إِلَّا بِرَفْعِ حِجَابِهَا
وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ الظُّهُورَ تَسْتَشِيرُ

وقول الششتري في هذا المعنى:

يَا مَنْ بَدَا ظَاهِرٌ حِينَ اسْتَنْزَرَ ثُمَّ اخْتَفَى بَاطِنٌ لَمَّا ظَهَرَ
ظَهَرْتَ لَمْ تَخَفْ عَلَى أَحَدٍ وَغَبْتَ لَمْ تَظْهَرْ لِكُلِّ أَحَدٍ

وفي الحكم: يَا مَنْ اخْتَجَبَ فِي سَرَادِقَاتِ عِزِّهِ عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الْأَبْصَارُ. وَيَا مَنْ تَجَلَّى بِكَمَالِ بَهَائِهِ، فَتَحَقَّقَتْ عَظَمَتُهُ الْأَسْرَارُ، كَيْفَ تَخْفَى وَأَنْتَ الظَّاهِرُ. أَمْ كَيْفَ تَغِيبُ وَأَنْتَ الرَّقِيبُ الْحَاضِرُ. وَقَالَ أَيْضاً: إِلَهِي: كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وَجُودِهِ، مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ. أَيْكُونُ لِفَيْتْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ. حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهَرُ لَكَ. مَتَى غَبْتَ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ. وَمَتَى بَعْدَتْ حَتَّى تَكُونَ الْآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ. إِلَهِي غَمِيتَ عَيْنَ لَا تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيباً. وَخَسِرْتَ صَفْقَةَ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلْ مِنْ حَبْلِكَ نَصِيباً. فَالْعَارِفُونَ لَا يَشْهَدُونَ سِوَى اللَّهِ. وَلَا يَزَوُّونَ فِي الْكَوْنَيْنِ إِلَّا إِيَّاهُ. قَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ كُلفْتُ أَنْ أَرَى غَيْرَهُ لَمْ أَسْتَطِعْ، فَإِنَّهُ لَا غَيْرَ مَعَهُ، حَتَّى أَشْهَدَهُ.

وقال الشاعر:

مُذْ عَرَفْتُ الْإِلَهَ لَمْ أَرْ غَيْرَهُ وَكَذَا الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعُ
مُذْ تَجَمُّعْتُ مَا خَشِيتُ افْتِرَاقاً فَأَنَا الْيَوْمَ وَاصِلٌ مَجْمُوعُ

وبالجملة: فاسمُ الظَّاهِرِ، يَقْتَضِي بَطُونَ الْأَشْيَاءِ، وَتَلَاسِيهَا. إِذْ لَا ظَاهِرَ مَعَهُ، بِدَلِيلِ الْحَصْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾.

واسمُ الباطن: يَقْتَضِي ظُهُورَ الْأَشْيَاءِ بِهِ، لِيَتَحَقَّقُوا مِنْ اسْمِهِ الْبَاطِنِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ظَاهِرِ جِسْمِهَا؛ فَهُوَ الظَّاهِرُ فِي حَالِ بَطُونِهِ. وَالْبَاطِنُ فِي حَالِ ظُهُورِهِ قَالَ فِي الْحُكْمِ: أَظْهَرَ كُلَّ شَيْءٍ بِأَنَّهُ الْبَاطِنُ، وَطَوَى وَجُودَ كُلِّ شَيْءٍ بِأَنَّهُ الظَّاهِرُ. وَلَا يَذُوقُ هَذَا عَلَى الْكَمَالِ، إِلَّا مَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِصُخْبَةِ الرُّجَالِ. وَمَنْ لَمْ يَصْحَبِ الرُّجَالَ، بَقِيَ خَفَاشِياً. كُلَّمَا اشْتَدَّ النُّورُ. انْطَمَسَ بَصَرُهُ. وَهَاهُنَا احْتِمَالُ آخَرٍ أَرْقَى مِنَ الْأَوَّلِ وَهُوَ أَنْ يَقُولَ:

يَا مَنْ تَعَاطَمَ فِي ظُهُورِ أَسْرَارِ ذَاتِهِ، وَأَنْوَارِ صِفَاتِهِ فِي مَظَاهِرِ تَجَلِّيَاتِهِ. حَتَّى رَقَّتْ وَلَطَفَتْ مَعَانِي الذَّاتِ فِي أَنْوَارِ الصِّفَاتِ. فَأَنْوَارُ الصِّفَاتِ أَوَانِي، وَأَسْرَارُ الذَّاتِ مَعَانِي. فَالْمَعَانِي قَائِمَةٌ بِالْأَوَانِي، وَالْأَوَانِي حَاصِلَةٌ لِلْمَعَانِي. فَلَا قِيَامَ لِلْأَوَانِي، إِلَّا بِالْمَعَانِي وَلَا ظُهُورَ لِلْمَعَانِي فِي مَظَاهِرِ الْأَوَانِي. فَمَنْ وَقَفَ مَعَ ظَاهِرِ

الأواني، حُجِبَ عَنْ شُهُودِ الْمَعَانِي. وَمَنْ نَقَذَ إِلَى شُهُودِ الْمَعَانِي، غَابَ عَنْ شُهُودِ حَسَنِ الْأَوَانِي، وَلِذَلِكَ قَالَ الشُّشْتَرِي رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ:

لَا تَنْظُرْ إِلَى الْأَوَانِي، وَخُضْ بَحْرَ الْمَعَانِي، لَعَلَّكَ تَرَانِي. فَكُلَّمَا تَلَطَّفْتَ الْأَوَانِي بِالْغَيْبَةِ عَنْ جِسْمِهَا ظَهَرَتْ مَعَانِي الذَّاتِ فِي أَنْوَارِ الصِّفَاتِ. وَكُلَّمَا تَكَشَّفَتْ الْأَوَانِي بِاشْتِغَالِ الْقَلْبِ بِجِسْمِهَا الظَّاهِرِ، حُجِبَتْ الْمَعَانِي، وَرَقَّتْ وَخَفِيَتْ. وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ الْفَارِضِ فِي حَمْرِيَّتِهِ:

وَلَطُفُ الْأَوَانِي فِي الْحَقِيقَةِ تَابِعٌ لِلطُّفِ الْمَعَانِي، وَالْمَعَانِي بِهَا تُسْمَوُ. وَلَمَّا سُئِلَ الْجَنِّدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ التَّوْحِيدِ أَشْأَ يَقُولُ:

رَقَّ الرُّجَاجُ وَرَقَّتِ الْخَمْرُ فَشَابَتْهَا وَتَشَاكَلَ الْأَمْرُ
وَقُلْتُ فِي تَائِيَتِي الْخَمْرِيَّةِ:

لِرِقَّةِ خَمْرٍ فِي الْأَوَانِي تَلَطَّفْتُ
أَوَانِي مَعَانِي الْخَمْرَةِ فِي أَصْلِ نَشْأَةٍ
فَطَوَّرَا تَغْيِبُ الْخَمْرِ فِي جِزْمِ كَأْسِهَا
وَطَوَّرَا تَغْيِبُ الْكَأْسِ فِي خَمْرِ نَشْوََةٍ
وَعَيْبُ الْأَوَانِي فِي الْمَعَانِي مُحَقَّقٌ
فَنَاءُ الْأَوَانِي فِي الْمَعَانِي الْقَدِيمَةِ

وَفِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ تَلْوِيحَاتٌ، وَإِشَارَاتٌ إِلَى هَذِهِ الْمَعَانِي اللَّطِيفَةِ، وَالْأَنْوَارِ الرَّبَّانِيَةِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَتِمُّ بِرَحْمَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَبِهِ يَهْتَكُمُ وَجْهَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾. وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾. وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. قَالَ فِي الْحِكْمِ: أَمَرَكَ أَنْ تَنْظُرَ مَا فِي الْمَكُونَاتِ. وَمَا أَمَرَكَ أَنْ تَقِفَ مَعَ ذَوَاتِ الْمَكُونَاتِ: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. فَتَحَ لَكَ بَابَ الْإِفْهَامِ، وَلَمْ يَقُلْ: انظُرُوا السَّمَوَاتِ. فَبِذَلِكَ عَلَى وَجُودِ الْأَجْرَامِ. وَقَدْ حَقَّقْنَا هَذَا الْمَعْنَى فِي شَرْحِنَا عَلَى الْحِكْمِ. فَانظُرْهُ إِنْ شِئْتَ. وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ مَا يُشِيرُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى. قَالَ ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «لَقَدْ مَرَضَ عَبْدِي فَلَمْ تَعُدَّهُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ عَدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ». عَلَى مَا فِي بَعْضِ الرُّوَايَاتِ. وَلَا يَفْهَمُ هَذِهِ الْأَسْرَارَ إِلَّا مَنْ خَاضَ مَقَامَ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ. وَتَرَبَّى عَلَى يَدِ شَيْخٍ كَامِلٍ مُحَقِّقٍ. وَإِلَّا فَحَسْبُهُ التَّسْلِيمُ لِمَا رَمَزُوهُ، وَأَشَارُوا إِلَيْهِ: إِنْ لَمْ تَرَ الْهَلَالَ فَسَلِّمْ لِأَنَاسٍ رَأَوْهُ بِالْإِبْصَارِ وَإِيَّاكَ أَنْ تَرْمِيَهُمْ بِمَا رَمَوْهُمْ بِهِ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مَقَامَهُمْ. وَلَمْ يَشْرَبْ مِنْ مَشْرِبِهِمْ، كَالاتِّحَادِ وَالْحُلُولِ. فَإِنَّهُمْ مَرْمُوهُونَ عَنْهُ. إِذْ لَمْ يَبْقَ لِلسَّوَى عِنْدَهُمْ وَجُودٌ. حَتَّى يَصْحَ الْإِتِّحَادُ وَالْحُلُولُ،

وإلى ذلك أُشْرُتُ فِي ثَانِيَةِ الْخَمْرَةِ، فِي وَصْفِ الْخَمْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ بِقَوْلِي:

تَنَزَّهَتْ فِي حُكْمِ الْحُلُولِ فِي وَصْفِهَا فَلَيْسَ لَهَا سَوَى فِي شَكْلِهَا حُلَّتِي
قال في الْحَكْمِ: يَا عَجَباً كَيْفَ يَظْهَرُ الْوُجُودُ فِي الْعَدَمِ. أَمْ كَيْفَ يَثْبُتَ
الْحَدِيثُ مَعَ مَنْ لَهُ وَصَفُ الْقَدَمِ. وقال رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيِ الْجُنَيْدِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ. ولم يزد
رب العالمين. فقال له الْجُنَيْدُ: كَمَلْهُ يَا أَخِي، فقال له الرَّجُلُ: أَيُّ قَدَرٍ لِلْأَشْيَاءِ
حَتَّى تُذَكِّرَ مَعَهُ. فقال الْجُنَيْدُ: كَمَلْهُ يَا أَخِي. فَإِنَّ الْحَادِثَ إِذَا قُرِنَ بِالْقَدِيمِ تَلَأَشَى
الْحَادِثُ وَبَقِيَ الْقَدِيمُ. انْتَهَى وبالله التوفيق. وقَوْلُهُ: وَلَا تَرْدَى رِذَاءَ الْكِبَرِ إِلَّا هُوَ.
يُشِيرُ إِلَى اخْتِصَاصِهِ تَعَالَى بِالْكَبَرِيَاءِ، وَغَايَةِ التَّعَالِي. كَمَا اخْتَصَصَ بِالْعِظَمَةِ وَكَمَالِ
التَّجَلِّي. وَكَأَنَّهُ يَشِيرُ إِلَى الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: الْعِظَمَةُ
إِزَارِي، وَالْكَبَرِيَاءُ رِذَائِي فَمَنْ نَازَعَنِي فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا فَصَمْتُهُ». فَالْعِظَمَةُ تَرْجِعُ إِلَى
كَمَالِ أَنْوَارِ الْمَلَكُوتِ وَالْكَبَرِيَاءُ تَرْجِعُ إِلَى تَعْظِيمِ أَسْرَارِ الْجَبَرُوتِ؛ لِأَنَّ الْمَلَكُوتَ
ظَهَرَتْ أَنْوَارُهُ فِي التَّجَلِّيَّاتِ؛ وَهُوَ مَا ظَهَرَ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِ الْجَمِيعِ.
وَالْجَبَرُوتُ. مَا لَمْ يَظْهَرَ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ؛ وَهُوَ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ؛ وَهُوَ الَّذِي كَانَ
كَثَرًا لَمْ يُعْرِفْ. وَإِلَيْهِ أَشَارَ ابْنُ الْفَارُضِ بِقَوْلِهِ:

صَفَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلُطْفٌ وَلَا هَوَى وَنُورٌ وَلَا نَارٌ وَرُوحٌ وَلَا جِسْمٌ
تَقْدَمُ كُلُّ الْكَائِنَاتِ حَدِيثُهَا قَدِيمًا وَلَا شَكْلٌ هُنَاكَ وَلَا رَسْمٌ
ولذلك خَصَصْتُ الْعِظَمَةَ بِالْإِزَارِ؛ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكُونَ لِلْأَسْفَلِ. وَالرِّدَاءِ
لِلْأَعْلَى. وَأَنْوَارُ الْمَلَكُوتِ ظَهَرَتْ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ، وَأَنْوَارُ الْجَبَرُوتِ أَحَاطَتْ بِهَا،
وَارْتَفَعَتْ عَنْ مَدَارِكِ الْعُقُولِ؛ فَهِيَ أَرْفَعُ وَأَعْلَى مِنْهَا مَعَ كَوْنِهَا لَا تَنفَكُ عَنْهَا، إِذْ
عَالَمُ الْمَلَكُوتِ قَائِمٌ بِأَسْرَارِ الْجَبَرُوتِ. فَمَا اخْتَجَبَتْ أَسْرَارُ الْجَبَرُوتِ. إِلَّا بِأَنْوَارِ
الْمَلَكُوتِ. وَلَا قَامَتْ أَنْوَارُ الْمَلَكُوتِ. إِلَّا بِأَسْرَارِ الْجَبَرُوتِ؛ وَهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ
شَيْءٌ وَاحِدٌ؛ وَمَا افْتَرَقَا إِلَّا بِاِغْتِيَارِ مَدَارِكِ السَّالِكِينَ:

فَأَوَّلُ مَا يَفْتَحُ لِلْمُرِيدِ عَنْ أَنْوَارِ الْمُلْكِ الْجَسَدِيِّ، فَإِذَا تَفَكَّرَ فِيهِ وَاعْتَبَرَ. أَدْرَكَ
عِظَمَةَ الصَّانِعِ، فَإِذَا تَفَرَّغَ مِنَ الشَّوَاغِلِ، وَتَطَهَّرَتْ مِرَاةُ قَلْبِهِ مِنَ الصُّدَا. أُشْرُقَتْ عَلَيْهِ
أَنْوَارُ الْمَلَكُوتِ. فَإِذَا تَمَكَّنَ مِنَ الشُّهُودِ، وَبَلَغَتْ الرُّوحُ غَايَةَ الصَّفَاءِ. أُشْرُقَتْ عَلَيْهِ
أَسْرَارُ الْجَبَرُوتِ. فَيَحْجُبُ حِينَئِذٍ عَنْ عَالَمِ الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ. وَصَارَ لَا يُشَاهِدُ إِلَّا
أَسْرَارَ الْجَبَرُوتِ. فَرِذَاءُ الْكَبَرِيَاءِ: هُوَ الْاِخْتِجَابُ لِحِجَابِ الْقَهْرِيَّةِ عَنْ مَدَارِكِ
الْعُقُولِ. مَعَ كَمَالِ ظُهُورِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي صِفَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: «مَابَيْنَ

النَّاسَ، وَيَبِينُ أَنَّ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ، إِلَّا رِذَاءَ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَاتِ عَدْنٍ
وَالْمُرَادُ بِهِ: إِسْدَالُ حِجَابِ الْحُسْنِ وَالْقَهْرِيَّةِ، عَلَى وَجْهِ مَعَانِي أَسْرَارِ الذَّاتِ الْعَالِيَةِ.
إِذْ لَا حِجَابَ بَيْنَ اللَّهِ، وَبَيْنَ خَلْقِهِ إِلَّا قَهْرِيَّةٌ تُورِيهِ، وَشِدَّةٌ ظُهُورِهِ. وَتَوْهُمُ وجود
الْعَبْدِيَّةِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ شَيْخَنَا الْبُوزِيْدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «وَاللَّهُ مَا حَجَبَ
الْخَلْقَ عَنِ اللَّهِ إِلَّا الْوَهْمَ، وَالْوَهْمُ أَمْرٌ عَدَمِي، لَا حَقِيقَةً لَوْجُودِهِ». أَيُّ مَا حَجَبَهُمْ
عَنِ الشُّهُودِ، إِلَّا وُجُودُ الْعَبْدِيَّةِ. وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ مُنْتَفِيَّةٌ. وَفِي الْحُكْمِ: مَا حَجَبَكَ
عَنِ اللَّهِ وُجُودٌ مُوْجُودٌ مَعَهُ. إِذْ لَا شَيْءَ مَعَهُ. وَإِنَّمَا حَجَبَكَ تَوْهُمُ مُوْجُودٍ مَعَهُ.
وَقَالَ أَيْضاً: «الْحَقُّ لَيْسَ بِمُخْجُوبٍ عَنْكَ. إِنَّمَا الْمَخْجُوبُ أَنْتَ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ. إِذْ
لَوْ حَجَبَهُ شَيْءٌ لَسْتَرَهُ مَا حَجَبَهُ. وَلَوْ كَانَ لَهُ سَاتِرٌ، لَكَانَ لَوْجُودُهُ حَاصِرٌ. وَكُلُّ
خَاصِرٍ شَيْءٌ فَهُوَ لَهُ فَاهِرٌ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ». وَقَالَ أَيْضاً: «مِمَّا يَدُلُّكَ عَلَى
وُجُودِ قَهْرِهِ أَنَّ حَجَبَكَ عَنْهُ بِمَا لَيْسَ بِمَوْجُودٍ مَعَهُ».

وَقَدْ أَشْرَحْتُ إِلَى هَذَا فِي تَائِيَّتِي، فِي وَصْفِ الْخُمْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ، فَقُلْتُ:

تَجَلَّتْ عَرُوسًا فِي مِرَائِي جَمَالِهَا وَأَزَحْتَ سُتُورَ الْكِبْرِيَاءِ لِعِزَّةِ
وَلَا يَذُوقُ هَذِهِ إِلَّا مَنْ كَحَلَ عَيْنَ بَصِيرَتِهِ بِإِثْمِ التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ، حَتَّى تَنْفَتَحَ
بَصِيرَتُهُ، فَيُنْبَصِرَ أَثْوَارُ الْمَعَانِي، خَلْفَ رِذَاءِ الْأَوَانِي. وَإِلَّا بَقِيَ أَرَمَدُ الْعَيْنِ، كُلَّمَا
طَلَعَتِ الشَّمْسُ انْطَمَسَ بَصَرُهُ كَمَا قَالَ الْبُوصِيرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكِرُ الْقَمُّ طُعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ
وَبِاللهِ التَّوْفِيقِ: وَهُوَ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

تَاهُوا بِحُبِّكَ أَقْوَامٌ وَأَنْتَ لَهُمْ نِعْمَ الْحَبِيبُ وَإِنْ تَاهُوا وَإِنْ تَاهُوا
قُلْتُ: النَّيَّةُ هُنَا: هُوَ التَّلَفُ، وَالْخُرُوجُ عَنِ الطَّرِيقِ الْمَعْتَادِ. وَالْحَبُّ هُوَ الْمَيْلُ
الدَّائِمُ بِالْقَلْبِ إِلَهُائِمُ، وَأَقْوَامٌ: فَاعِلٌ تَاهُوا عَلَى لُغَةِ أَزْدِ شُؤْءَةٍ. وَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ:
إِذَا سَارَ عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ. يَقُولُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّ أَقْوَاماً مِنْ خَوَاصِّ الْمُحِبِّينَ، لَمَّا
أَطْلَعَهُمُ اللهُ عَلَى أَسْرَارِ عَظَمَةِ ذَاتِهِ. وَكَشَفَ لَهُمْ شَيْئاً مِنْ رِذَاءِ كِبْرِيَائِهِ، تَاهَتْ
عُقُولُهُمْ، وَهَامَتْ قُلُوبُهُمْ. وَطَاشَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي مَحَبَّتِهِ. فَفَارَقُوا الْأَوْطَانَ وَالْذِّيَارَ،
وَأَلْفَوْا الْبَرَارِي وَالْقِفَارَ. وَتَأَنَسَّوْا بِالْحَبِيبِ، وَاشْتَغَلَوْا بِمُنَاجَاةِ الْقَرِيبِ. فَهُمْ بَيْنَ
سَالِكٍ وَمَجْذُوبٍ، وَمُحِبٍّ وَمُحْبُوبٍ. فَمِنْهُمْ الْعُبَادُ وَالرُّهَادُ. وَمِنْهُمْ الْأَبْدَالُ
وَالْأَوْتَادُ، عَمَرُوا قُلُوبَهُمْ بِمَحَبَّةِ الْمُحْبُوبِ. وَرَفَضُوا مَا سِوَاهُ مِنْ كُلِّ مَرْغُوبٍ.

وهذه مَحَجَّة الطالِبِينَ، أو السَّائِرِينَ مِنَ الْمُرِيدِينَ. وَأَمَّا الْوَاصِلُونَ إِلَى الْمَحْبُوبِ مِنَ الْعَارِفِينَ الْمُقَرَّبِينَ، سَكَنَتْ قُلُوبُهُمْ. وَاطْمَأَنَّتْ بِمُشَاهَدَةِ الْحَبِيبِ. وَمُنَاجَاةِ الْقَرِيبِ؛ فَهُمْ يَشَاهِدُونَ الْحَبِيبَ فِي مَرَاتِي تَجَلِّيَاتِهِ. وَأَثَارِ صِفَاتِهِ. فَلَمْ يَحْجِبْهُمْ الْخَلْقُ، عَنْ مُشَاهَدَةِ الْحَقِّ. بَلْ هُمْ مَخْجُوبُونَ بِالْجَمْعِ عَنِ الْفَرْقِ. وَبِمُشَاهَدَةِ الْحَقِّ، عَنْ رُؤْيَةِ الْخَلْقِ. بَلْ، لَوْ كُتِفُوا أَنْ يَشَاهِدُوا غَيْرَهُ، لَمْ يَسْتَطِيعُوا فَهْؤُلَاءِ يَرُدُّهُمْ الْحَقُّ تَعَالَى إِلَى مُرَافَقَةِ الْخَلْقِ وَمَخَالَطَتِهِمْ لِيَقَعَ الْإِنْتِفَاعُ بِصُخْبَتِهِمْ. فَهُمْ مُسْتَأْنِسُونَ بِالْحَقِّ فِي حَالِ مُخَالَطَتِهِمْ لِلْخَلْقِ؛ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا اللَّهَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَلَمْ يَسْتَوْحِشُوا مِنْ شَيْءٍ.

أَشْبَاهُهُمْ بَيْنَ الْخَلَائِقِ تَسْعَى، وَأَرْوَاحُهُمْ فِي أَنْوَارِ الْمَلَكُوتِ تَزْعَى، وَإِلَى حَالِ الْفَرِيقَيْنِ أَشَارَ فِي الْحُكْمِ بِقَوْلِهِ: «إِنَّمَا اسْتَوْحِشَ الْعِبَادُ وَالرُّهَادُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لِعَيْنِيهِمْ عَنِ اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَلَوْ عَرَفُوا اللَّهَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مَا اسْتَوْحِشُوا مِنْ شَيْءٍ». وَقَالَ أَيْضاً: «مَنْ عَرَفَ اللَّهَ رَأَى فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَمَنْ فَتَى بِهِ غَابَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَمَنْ أَحَبَّهُ أَثَرَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ». وَالْحَاصِلُ: أَنَّ الْمَحَبَّةَ لَهَا بَدَايَاتٌ وَهِيَ مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ فِي حَالِ التَّائِيهِينَ وَالْهَائِمِينَ. وَنِهَايَاتٌ وَهِيَ السُّكُونُ وَالطَّمَأْنِينَةُ فِي خُضْرَةِ الْمَحْبُوبِ. وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَحَبَّةُ: أَوَّلُهَا جُنُونٌ، وَوَسْطُهَا فَنُونٌ، وَآخِرُهَا سُكُونٌ وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى، أَشَارَتْ رَابِعَةُ الْعُدْوِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

أَحْبَبْتُ حُبِّينَ حُبُّ الْهَوَى وَحُبُّ أَتَتْ أَهْلَ لَذَاكَ
فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْهَوَى فَشَغْلِي بِذِكْرِكَ حَتَّى الْقَاكَ
وَأَمَّا الَّذِي أَتَتْ أَهْلَ لَهُ فَكَشْفُكَ الْحِجَابِ حَتَّى أَرَاكَ

أَشَارَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى ذِكْرِ الْمَقَامَيْنِ: بَدَايَةِ وَنِهَايَةِ أَوْ نَقُولُ: مَحَبَّةِ الْمُحِبِّينَ وَمَحَبَّةِ الْمُحْبُوسِينَ مَحَبَّةَ السَّائِرِينَ. وَمَحَبَّةِ الْوَاصِلِينَ. وَإِنَّمَا سَلَكَتِ الْأُمُورَ مَعاً. فَحُبُّ الْهَوَى هُوَ حُبُّ الْعِشْقِ وَالتَّمَلُّقِ مِنَ وَرَاءِ الْحِجَابِ. وَعَلَامَتُهُ: اللَّهْجُ بِذِكْرِ الْمَحْبُوبِ، وَالِاسْتِغْثَالُ بِخِدْمَتِهِ، وَالْفِرَارُ مِنَ الْخَلْقِ. لِلِقَاءِ الْحَقِّ. وَأَمَّا حُبُّ الْوَاصِلِينَ، فَتَمَرَّتُهُ كَشْفُ الْحِجَابِ. وَالدُّخُولُ مَعَ الْأَحْبَابِ، وَمُشَاهَدَةُ الْحَبِيبِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ تَجَلِّيَاتِهِ. كَمَا قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِيَّةِ:

تَجَلَّى حَبِيبِي فِي مِرَاتِي جَمَالِهِ فَفِي كُلِّ مَرَّةٍ لِلْحَبِيبِ طَلَائِعُ
فَلَمَّا تَبَدَّى خُسْنُهُ مُتَنَوِّعاً تَسَمَّى بِأَسْمَاءٍ فَهِيَ مَطَالِعُ
وَعَلَامَةُ صَاحِبِ هَذَا الْمَقَامِ، سُكُونُ ظَاهِرِهِ مِنْ تَعَبِ الْخِدْمَةِ. وَعِمَارَةُ قَلْبِهِ

بنور الكبرياء والعظمة أو تقول: علامته: شكون القلب وطمأنينته عند هيجان رياح الأقدار وورود الثغريفات من الواحد القهار. وقال بعضهم: علامة المحبة أربعة أشياء:

الإكثار من ذكره. وامثال أمره واجتناب نهيه والإستسلام لقهره.

واعلم أن الباعث على المحبة أمران: إما الذاتي. أو الإحسان الفعلي. وقد اجتمع في ذات الحق تعالى. وأما الجمال، فلا أجمل من جماله تعالى ولا أعظم إذ جماله يسبي العقول ويذهش الألباب. وقد ورد أن أهل الجنة إذا تجلى لهم الحق سبحانه، ذهبوا وعابوا عما كانوا فيه من النعيم الحسي فلولا أن الله تعالى يردهم إلى حسيهم بإسدال الحجاب فيما بينه وبينهم ما تنعموا بشيء من النعيم الحسي. وما ظهر في عالم الشهادة من الجمال. فإنما هو رشحة من رشحات جماله الأضلي. كما قال ابن الفارض:

عيني لغير جمالكم لا تنظر
وسواكم في خاطري لا يخطر
ويقدر ما تضافو الروح من عبس الحس.
وتترقى إلى عالم الملكوت. يكشف
لها عن جمال الحضرة. وتنعم بجمال الحبيب. ويقدر ما تتعلق بهذا العالم الحسي
ويكثر شغلها به، تحجب من شهود جمال الحضرة. ولذلك قال بعضهم: حضرة
القدوس محرمة على أهل القوس. وقال الشاعر:

أيتها العاشق مغنى حبتنا	مهرنا عال لمن يخطبنا
جسد مضى وروح في العنا	وجفون لا تذوق الوسا
وقد أذ ليس فيه غيرنا	وإذا ما شئت أذ الثمنا
وأن إن شئت فناء سزمدأ	فالفنا يذني إلى ذاك الفنا
واخلع الثقلين إن جئت إلى	ذلك الحي فيه قدسنا
وعن الكونين كن منخلعاً	وأزل ما بيننا من بيننا
وإذا قيل لمن تهوى قل	أنا من أهوى ومن أهوى أنا

وأما الباعث الثاني: وهو الإحسان، وهو الإحسان، فلا شك أن النفس تميل إلى من أحسن إليها. ولا إحسان إلا منه تعالى. ولا نعم ظاهرة وباطنة. إلا من فضله تعالى وثوابه. قال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ مِّنْ أَهْوَى﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾

طَهْرَةً وَبَاطِنَةً». أَنْعَمَ أَوَّلًا بِنِعْمَةِ الْإِبْجَادِ، وَأَنْعَمَ ثَانِيَةً بِتَوَالِي الْإِمْدَادِ. وَأَفْضَلَ النِّعَمِ وَأَعْظَمُهَا الْهِدَايَةَ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ. وَالْوُصُولَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ تَعَالَى وَالْإِطْلَاعَ إِلَى جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ فَهَذِهِ النِّعْمَةُ الْمَغْتَبَرَةُ عِنْدَ الْأَكْيَاسِ.

وَأَمَّا النِّعَمُ الْحَسِيَّةُ فَقَدْ اشْتَرَكَ فِيهَا الْبَهَائِمُ وَسَائِرُ النَّاسِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. وَقَوْلُهُ: «وَأَنْتَ لَهُمْ نِعَمُ الْحَبِيبِ، يَغْنِي أَنْ أَقْوَامًا تَاهُوا فِي حُبِّ الْحَبِيبِ. وَطَاشَتْ عُقُولُهُمْ بِقُرْبِ الْقَرِيبِ. وَخَرِبُوا ظَوَاهِرَهُمْ، وَعَمَرُوا بَوَاطِنَهُمْ. وَغَابُوا عَنِ الْأَسْبَابِ بِمُشَاهَدَةِ مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ. كَانَ الْحَقُّ تَعَالَى نِعَمَ الْحَبِيبِ، وَالْمُؤْنَسُ. أَنْسَهُمْ فِي بَوَاطِنِهِمْ. وَقَدَّمَ لَهُمْ بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي ظَوَاهِرِهِمْ. قَامُوا بِخِدْمَتِهِ. وَقَامَ لَهُمْ بِإِصْصَالِ قِسْمَتِهِ. مَنْ انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ مَزُونَتَهُ. وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ. كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «الْعِلْمُ كُلُّهُ مَجْمُوعٌ فِي كَلِمَتَيْنِ: لَا تَتَكَلَّفُ بِمَا كُفِيتَ. وَلَا تُضَيِّعُ بِمَا اسْتَكْفَيْتَ». أَيْ لَا تَتَكَلَّفُ مَا كُفِيتَ أَمْرَهُ مِنَ الرِّزْقِ الْمَقْسُومِ، وَلَا تُضَيِّعُ مَا اسْتَكْفَيْتَ بِهِ الْفَرَضَ الْمَحْتَمِ. وَقَوْلُهُ: «وَإِنْ هَامُوا وَإِنْ تَاهُوا» تُشِيرُ إِلَى مَنْطُوقِهِ وَمَقْهُومِهِ إِلَى حَالِ الْقَرِيبَيْنِ. أَغْنَى حَالُ أَهْلِ الْبِدَايَةِ؛ وَهُمْ الْهَائِمُونَ التَّائِبُونَ؛ وَيُسَمَّوْنَ أَهْلَ السُّكْرِ، وَأَهْلَ الْخَمَرَةِ؛ وَهُمْ الْمَجْدُبُونَ. وَحَالُ النِّهَايَةِ؛ وَهُمْ السَّالِكُونَ الْمُطْمَئِنُّونَ. وَهُمْ أَهْلُ الصَّخْرِ السَّالِكُونَ بَعْدَ السُّكْرِ وَالْجَذْبِ. فَأَخْبَرَ أَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى هُوَ حَبِيبٌ. وَنِعَمُ الْحَبِيبِ لِلْجَمِيعِ. أَيْ وَأَنْتَ لَهُمْ نِعَمُ الْحَبِيبِ هَذَا إِنْ سَكَنُوا وَاطْمَأَنَّنُوا. بَلْ وَإِنْ هَامُوا، وَإِنْ تَاهُوا. وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا قَبْلَ الْمُبَالَغَةِ أَوْكَدُ وَأَعْظَمُ بِمَا بَعْدَهَا. كَمَا هُوَ مَقْهُومٌ مِنْ تَرَائِيهِ الْعَرَبِ. تَقُولُ: أَكْرَمَ زَيْدًا وَإِنْ جَاءَ عَاصِيًا. أَيْ هَذَا إِنْ جَاءَ طَائِعًا، بَلْ وَإِنْ جَاءَ عَاصِيًا. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُطْمَئِنِّينَ الرَّاسِخِينَ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَاشِقِينَ التَّائِبِينَ: لِأَنَّ الْأَوَّلِينَ وَاصِلُونَ. وَالْآخِرِينَ سَائِرُونَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَخْصُوصِينَ بِالْمَحَبَّةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: فَيُقَسَّمُ سَالِكُونَ فَقَطْ. وَيُقَسَّمُ مَخْدُولُونَ فَقَطْ. وَيُقَسَّمُ سَالِكُونَ مَجْدُوبُونَ: الْجَذْبُ فِي بَوَاطِنِهِمْ، وَالسَّلُوكُ فِي ظَوَاهِرِهِمْ. فَالْأَوَّلُونَ لَا يَصِلُونَ لِلتَّزْيِينِ. إِذْ لَا جَذْبَ فِي قُلُوبِهِمْ يَجْدِبُونُ بِهِ قَلْبَ الْمُرِيدِ إِلَى الْحَضَرَةِ. وَلَا هِمَّةَ عِنْدَهُمْ تَنْهَضُ إِلَى الْخِدْمَةِ. قَالَ فِي الْحِكْمِ: «لَا تَضْحَبْ مَنْ لَا يَنْهَضُكَ حَالُهُ، وَلَا يَذُلُّكَ عَلَى اللَّهِ مَقَالُهُ».

وَالْقِسْمُ الثَّانِي أَيْضًا، لَا يَصْلُحُ لِلتَّزْيِينِ؛ لِأَنَّهُ مَطْمُوسٌ الْأَثَرِ غَرِيقُ الْأَنْوَارِ. غَلَبَ سُكْرُهُ عَلَى صَخْرِهِ. فَلَا يَعْرِفُ سُلُوكَ الطَّرِيقِ لَغَلَبَةِ سُكْرِهِ.

وَأَمَّا الثَّالِثُ؛ وَهُوَ الْجَامِعُ بَيْنَ جَذْبٍ وَسُلُوكٍ؛ فَهُوَ الَّذِي يَصْلَحُ لِلتَّزْيِينَةِ لِكَمَالِهِ. لِكُونِهِ سَلَكُ الطَّرِيقِ. وَعَرَفَ وَغَرَّهَا وَسَهَّلَهَا وَجَذَّبَهَا وَخَضَبَهَا. سَلَكُ طَرِيقِ الْجَذْبِ، وَذَاقَ أَسْرَارَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى طَرِيقِ السُّلُوكِ، وَحَقَّقَ آثَارَهَا. الْجَذْبُ فِي بَاطِنِهِ لَا يَزُولُ. وَالسُّلُوكُ فِي ظَاهِرِهِ لَا يَحُولُ؛ فَهُوَ جَامِعٌ بَيْنَ جَذْبٍ وَسُلُوكٍ. مَعْتَدِلٌ فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا. لَمْ يَغْلِبْ سُكْرُهُ عَلَى صَحْوِهِ. وَلَا صَحْوُهُ عَلَى سُكْرِهِ. وَلَا جَمْعُهُ عَلَى فَرْقِهِ. وَلَا فَرْقُهُ عَلَى جَمْعِهِ. وَلَا حَقِيقَتُهُ عَلَى شَرِيعَتِهِ. وَلَا شَرِيعَتُهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ. يُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. وَيُوفِي كُلَّ ذِي قِسْطٍ قِسْطَهُ. نَفَعَنَا اللَّهُ بِبَرَكَاتِهِ. وَأَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْ سَيِّبِهِ. وَقَدْ أَذْرَكْنَاهُمْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَشَهِدْنَا لَهُمْ، وَأَخَذْنَا عَنْهُمْ وَصَحْبَتَانَهُمْ. فَلِلَّهِ الْمِنَّةُ وَالْفَضْلُ وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ، مَنْ يُنَكِّرُ وُجُودَهُمْ وَيَسُدُّ بَابَ الرَّحْمَةِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ. ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾. وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

وَكَمْ غَائِبٌ لَيْلًا وَلَمْ يَزِرْ وَجْهَهَا فَقَالَ لَهُ الْحَزْمَانُ حَسْبُكَ مَا فَاتَ

وحقيقة الجذب: هُوَ شُهُودٌ حَقٌّ بِلَا خَلْقٍ. وَحَقِيقَةُ السُّلُوكِ: هُوَ شُهُودٌ خَلْقٌ بِحَقٍّ أَوْ شُهُودٌ حَقٌّ مَعَ خَلْقٍ. وَلَا يَذُوقُ هَذِهِ الْمَعَانِي إِلَّا مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ عَلَى أَيْدِي الرُّجَالِ. ذَوْقًا وَكُشْفًا. وَإِلَّا فَشَأْنُهُ الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلِي حَبِيبٌ عَزِيزٌ لَا أَبُوحُ بِهِ أَخْشَى فُضِيحَةً وَجْهِي يَوْمَ الْقَاءِ

الحبيب هُوَ الْمَحْبُوبُ. إِلَّا أَنْ فَعِيلٌ، أَبْلَغُ مِنْ مَفْعُولٍ وَالْعَزِيزُ: يُطْلَقُ عَلَى الْقَلِيلِ الْوُجُودِ. الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ. وَيُطْلَقُ عَلَى الْغَالِبِ الْقَاهِرِ. وَلَعَلَّ الْمُرَادَ هُنَا غَيْرَ هَذَيْنِ. وَإِنَّمَا أَرَادَ بِالْعَزِيزِ هُنَا الْبَالِغَ فِي الْمَعْرِزَةِ وَالْمَحْبُوبِيَّةِ؛ كَمَا تَقُولُ الْعَامَّةُ: فَلَأَنْ عِنْدِي عَزِيزٌ. أَيْ مَحْبُوبٌ غَايَةَ الْمَحَبَّةِ. وَبَاحَ بِالْيَسِيرِ: أَفْشَاهُ يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عِنْدِي حَبِيبٌ عَزِيزٌ قَدْ بَلَغَتْ مَحَبَّتُهُ فِي قَلْبِي الْغَايَةَ الْقُضْوَى. فَلَمَّا عَشِقْتُهُ وَأَخْبَيْتُهُ، أَطْلَعَنِي عَلَى مَكُونِ سِرِّهِ، وَكَشَفَ لِي عَنْ أَسْتَارِ غَيْبِهِ. فَلَا أَبُوحُ بِسِرِّهِ. وَلَا أَطْلِعُ أَحَدًا عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ. فَإِنِّي إِنْ بَحْتُ بِسِرِّهِ، وَكَشَفْتُهُ لَغَيْرِ أَهْلِهِ. أَخَافُ أَنْ يَفْضَحَنِي يَوْمَ لِقَائِهِ. فَيَقُولُ: يَا عَبْدِي، قَدْ أَطْلَعْتَكَ عَلَى سِرِّي، وَأَمْنْتُكَ عَلَى غَيْبِي. ثُمَّ أَفْشَيْتَهُ لِغَيْرِي فَالْيَوْمَ أَحْرَمَكَ مِنْ نَعِيمِ حَضْرَتِي، لِكُونِكَ لَمْ تَكْتَفِ بِعِلْمِي. وَلَمْ تَصْنُ سِرِّي. قُلْتُ: وَالْغَالِبُ أَنَّ هَذَا الْعِتَابَ يَقَعُ قَبْلَ الْلِقَاءِ فِي دَارِ الدُّنْيَا. فَإِنَّ كُلَّ مَنْ أَفْشَى سِرَّ الرُّبُوبِيَّةِ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَيْفٌ

الشريعة. فَيَبَاحُ دَمُهُ، وَيُهْتَكُ عِرْضُهُ. كَمَا وَقَعَ لِلْحَلَّاجِ وَغَيْرِهِ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

مَنْ شَهِدَ الْحَقِيقَةَ فَلْيَصْنُهَا وَإِلَّا سَوْفَ يُقْتَلُ بِالسُّنَانِ
كَحَلَّاجِ الْمَحْبَبَةِ إِذْ تَبَدَّتْ لَهُ شَمْسُ الْحَقِيقَةِ بِالثَّدَانِي
بِالسُّرِّ إِنْ بَاخُوا ثَبَاحَ دِمَاؤِهِمْ وَكَذَا دِمَاءُ الْبَائِحِينَ ثَبَاحُ
وَفِي السُّرِّ أَسْرَارٌ دِقَاقٌ لَطِيفٌ تُرْقَى دِمَائًا جَهْرَةً لَوْ بِهَا بُحْنَا
قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: رَأَيْتَ رَبَّ الْعِرْزَةِ فِي الثُّومِ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ. كَيْفَ
سَلَطْتَ عِبَادَكَ عَلَى وَلِيِّكَ الْحَلَّاجِ حَتَّى قَتَلُوهُ؟ فَقَالَ: «يَا عَبْدِي إِنِّي أَطْلَعْتُهُ عَلَى سِرِّ
مِنْ أَسْرَارِي فَأَفْشَاهُ لِعَبْدِي. فَسَلَطْتُ عَلَيْهِ عِبَادِي فَقَتَلُوهُ» انتهى بالمعنى.

وَمِنْ كَلَامِهِ الَّذِي قُتِلَ بِسَبَبِهِ: «أَنَا أَنْتَ بِلَا شَكٍّ، فَسُبْحَانَكَ سُبْحَانِي.
فَتَوَحِيدُكَ تَوْحِيدِي وَعِصْيَانُكَ عِصْيَانِي». وَكَقَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ
نَاسُوتَهُ سِرًّا لِأَهْوِيَةِ الثَّاقِبِ. ثُمَّ بَدَأَ فِي خَلْقِهِ ظَاهِرًا فِي سُورَةِ الْآكِلِ وَالشَّارِبِ،
حَتَّى لَقَدْ عَايَنَهُ خَلْقُهُ كُلِّحِظَةِ الْحَاجِبِ بِالْحَاجِبِ».

وَلَمَّا تَقَدَّمَ لَهُ السَّيَافُ، لِيَضْرِبَ عُنُقَهُ. وَجَدَهُ يَقُولُ وَيَضْحَكُ:

نَدِيمِي غَيْرُ مَنْسُوبٍ إِلَى الْحَنِيفِ سَقَانِي مِنْ شَرَابِ الْحُبِّ كَسَفِي الضُّعْفِ
لِلضُّعْفِ. فَلَمَّا دَارَتْ الْأَكْوَاسُ دَعَا بِالنُّطْعِ وَالسِّنْفِ. كَذَلِكَ مَنْ يَشْرَبُ الرَّاحَ مَعَ
الْأَمِيرِ فِي الضُّعْفِ. ثُمَّ قَالَ:

اللَّهُمَّ إِنَّكَ مُتَوَدِّدٌ لِمَنْ يُؤْذِيكَ. فَكَيْفَ لَا تَتَوَدَّدُ لِمَنْ يُؤْذِي فِيكَ. فَهَذَا أَنَا فِي
دَارِ الْعَجَائِبِ أَتَعَجَّبُ فِي الْغَرَائِبِ. ثُمَّ قَالَ:

يَا لَأَيْمَانَ فِي هَوَاهُ كَمْ تَلُومُ فَلَوْ عَايَنْتَ مِنْهُ الَّذِي عَايَنْتَ لَمْ تَلُمِ
لِلنَّاسِ حَجٌّ وَلِي حَجٌّ إِلَى سَكْنِي تُهْدِي الْأَصَاحِي وَأَهْدِي مُهْجَتِي وَدَمِ
يَطُوفُ بِالْبَيْتِ قَوْمٌ بِلا جَارِحَةٍ بِاللَّهِ طَافُوا فَأَغْنَاهُمْ عَنِ الْحَرَمِ

قَالَ لَهُ الشُّبْلِيُّ: يَا أَبَا الْمَغِيثِ: مَا مَعْنَى التَّفَرُّدِ؟ فَقَالَ لَهُ: هُوَ أَنْ يَنْفَرِدَ الْعَبْدُ
بِالْوَاحِدِ الْفَرْدِ. فَإِذَا رَأَى الْحَقَّ قَدْ انْفَرَدَ عَنِ الْخَلْقِ أَمَّنَهُ مِنْ عَذَابِ الطُّرْدِ. فَيَصِيرُ
لِلْحَقِّ مُشَاهِدًا. وَالْحَقُّ عَلَى لِسَانِهِ شَاهِدًا. فَحِينَئِذٍ يَتَخَلَّفُ لِمَقَامِ الْمَعْرِفَةِ. وَيُوحِي
إِلَى خَاطِرِهِ وَيُخْرِسُ سِرَّهُ بِمَا سِوَاهُ. فَلَا يَزْشُخُ فِيهِ غَيْرُ الْحَقِّ مِنْ حَضْرَةِ الْحَقِّ

بالحق. قال الشبلي رضي الله عنه فقلت له: ما المعرفة؟ قال: استيهلاك الحس في المعنى. فقلت له: ما المحبة؟ قال: العينية عما سوى المحبوب. فقلت له: ما الجود؟ فقال: لهيب ينشأ من الشوق في الأسرار. تضطرب به الجوارح ثم يزول؛ لأنه مفزوع بالزوال. وتبقى نتيجته العرفانية لا تحول ولا تزول. فقلت له: ما الأسر؟ فقال: وجود الهية مع ارتفاع الخشية وغلبة الرجا على الخوف. ثم قال يا شبلي: «من راقب الله عند خطرات قلبه. عصمه عند حركات جوارحه». ثم قال يا شبلي: ألتست تحفظ كتاب الله. فقال الشبلي نعم. فقال: «قد قال لنبية عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ يا شبلي: إذا رمى الله قلب عبده بحبه من حبه نادى عليه مدى الأزمان، بلسان العتاب». وأيضاً: «من أنفى سر المليك كان خائناً ومن كان خائناً لا يؤمن على السر. فهو حقيق أن يترع منه إن أنشأ لغير أهله. وإنما يؤمن على السر أهل الثقة والصيانة». كما قال القائل:

لَا يَكُفُّ السَّرَّ إِلَّا ذُو ثِقَةٍ فَالسَّرُّ عِنْدَ خِيَارِ النَّاسِ مَكْثُومٌ
وَقَالَ آخَرُ:

سَأَكْتُمُ عِلْمِي عَنِ ذَوِي الْجَهْلِ طَاقَتِي وَلَا أَنْثُرُ الدَّرَّ الثَّفِيرَ عَلَى الْبَنَمِ
فَإِنْ قَدَّرَ اللَّهُ الْكَرِيمُ يَلْطِفُهُ وَلَا يَقِيتُ أَهْلًا لِلْعُلُومِ وَلِلْحُكْمِ
بَذَلْتُ عُلُومِي وَاسْتَفَدْتُ عُلُومَهُمْ وَإِلَّا فَمَخَزُونٌ لَدَيَّ وَمُكْتَمٌ

وقال سيدنا علي كرم الله وجهه: «حدّثوا الناس بقدر ما يفهمون أتريدون أن يكذب الله ورَسُولُهُ». وقال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُخَاطِبَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ». وقال رجل لبعض العلماء. وقد سألته ولم يجبه: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَتَمَ عِلْمًا أَلْجَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلُجَامٍ مِنَ النَّارِ». فقال له العالم: «اترك اللجام واذهب. فإن من جاء يستحقه وكتمته قال جنني». وقولنا لغير أهله. وأما من كان أهلاً له. فلا بأس بإطلاعه عليه؛ وهو من بذل نفسه وفلسه. وزهد في جنسه. وخط رأسه لأقدام الرجال. كما قال سيدي عبد الوارث اليلهوتي رضي الله عنه: بذل النفوس، وخط الرؤوس. صفاء الكؤوس. لا إله إلا الله. وقال الشاعر:

يَا مَنْ يَلُومُ خَمْرَ الْمَحَبَّةِ فَخُذُوا عَنِّي هِيَ خَلَالٌ

وَمَنْ يُرِدْ يُنْسَقِ مِنْهَا غِيَابًا خَذَهُ يَضَعُ لَأَقْدَامِ الرُّجَالِ
رَأْسِي خَطَطْتُ بِكُلِّ شَيْبَاهُمْ الْمَوَالِي سَقُونِي زُلَالِ
فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَحِطْ رَأْسُهُ لِأَهْلِ السَّرِّ، وَلَمْ يَتَحَكَّمْ لَهُمْ، فَأُطْلَاعُهُ عَلَى سِرِّ
الرُّبُوبِيَّةِ حَرَامٌ. وَالْمُرَادُ بِسِرِّ الرُّبُوبِيَّةِ: التَّوْحِيدُ الْخَاصُّ: الَّذِي هُوَ الشُّهُودُ وَالْعِيَانُ
الْمَخْصُوصُ بِأَهْلِ الْعِرْقَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَنَفَعْنَا بِهِمْ. وَهُوَ الَّذِي أَزَادَ النَّاسَ
بِقَوْلِهِ: لَا أَبْرُحُ بِهِ. أَنِّي لَا أَبْرُحُ بِسِرِّهِ وَلَا أُطْلِعُ عَلَيْهِ أَحَدًا غَيْرَ أَهْلِهِ. وَاللَّهُ تَعَالَى
أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَعَالِطُ النَّاسَ طَرَا فِي مَحَبَّتِهِ وَلَيْسَ يَعْلَمُ مَا فِي الْقَلْبِ إِلَّا هُوَ
الْمُغَالِطَةُ: إِظْهَارُ الْغُلْطِ، وَإِيقَاعُ الْغَيْرِ فِيهِ، مَعَ إِخْفَاءِ الصَّوَابِ. وَتَسْمَى عِنْدَ
الصُّوفِيَةِ التَّلْبِيسِ. كإِظْهَارِ الرُّغْبَةِ وَإِخْفَاءِ الزُّهْدِ. وَإِخْفَاءِ الْمَحَبَّةِ وَإِظْهَارِ السُّلْوَانِ،
يَفْعَلُونَ ذَلِكَ صَيَانَةً لِلْسَّرِّ. وَتَحْقِيقًا لِمَقَامِ الْأَخْلَاقِ. وَمِنْهُ تَخْرِيبُ الظَّاهِرِ، وَتَغْمِيرُ
الْبَاطِنِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِ الصُّوفِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَالْمَحَبَّةُ: أَخَذَ جَمَالَ الْمَحْبُوبِ، بِمَحَبَّةِ الْقَلْبِ. حَتَّى لَا يُمَكِّنَهُ الْإِتِّفَاتُ إِلَى
غَيْرِهِ، وَلَا الْعَمَلُ بِمَا فِيهِ رِضَاهُ، إِثَارًا لَهُ عَمَّا سِوَاهُ، يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنِّي
أَعَالِطُ النَّاسَ جَمِيعًا فِي مَحَبَّةِ الْمَخْبُوبِ. فَأُظْهِرُ لَهُمْ السُّلْوَانَ عَنْهُ، وَالِاشْتِغَالَ
بِغَيْرِهِ. وَأُخْفِي عَنْهُمْ الْاسْتِغْرَاقَ فِي شُهُودِهِ. وَدَوَامَ ذِكْرِهِ. اكْتِفَاءً بِعِلْمِهِ. وَغَيْرَةَ عَلَى
سِرِّهِ. أَنْ يَظْهَرَ لِبَغْيَرِ أَهْلِهِ. وَأُظْهِرُ لَهُمُ الْجَهْلَ، وَأُخْفِي عَنْهُمْ الْعِلْمَ، وَالْمَعْرِفَةَ لَهُ،
وَأُظْهِرُ لَهُمُ الرُّغْبَةَ فِي الدُّنْيَا. وَأُخْفِي عَنْهُمْ الزُّهْدَ فِيهَا. وَأُظْهِرُ لَهُمُ الْحُمُقَ وَالسَّفَهَ.
وَأُخْفِي عَنْهُمْ الْعَقْلَ وَالسَّكِينَةَ. وَأُظْهِرُ لَهُمُ مَخَالِطَةَ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَأُخْفِي عَنْهُمْ الْعَزْلَةَ
فِي قَلْبِي. فَالْقَلْبُ مَعَ الْحَقِّ. وَالْجِسْمُ مَعَ الْخَلْقِ. وَأُظْهِرُ لَهُمُ مَحَبَّةَ الْمُلُوكِ
وَمَخَالِطَتَهُمْ. وَأُخْفِي عَنْهُمْ الْعَيْنِيَّةَ عَنْهُمْ بِشُهُودِ مَلِكِ الْمُلُوكِ. وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ
الْجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِي أَزْبِعُونَ سَنَةَ تُنَاجِي الْحَقَّ. وَالنَّاسُ يَزَوُّونَ أَنِّي تُنَاجِي
الْخَلْقَ». إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِ الْمَحَبَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ. وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَحَبَّةِ،
وَأَكْثَرُوا الْكَلَامَ فِيهَا. كُلُّ عَلَى قَدَرٍ مِنْهَا لِهَ وَشُرْبِهِ.

قال القطبُ ابنُ مشيش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْمَحَبَّةُ أَخَذَةُ مِنْ اللَّهِ قَلْبَ مَنْ أَحَبَّ
بِمَا يَكْشِفُ مِنْ نَوْرِ جَمَالِهِ. وَقُدْسَ كَمَالِ جَلَالِهِ. وَشَرَابَ الْمَحَبَّةِ: مَرْجُ الْأَوْصَافِ
بِالْأَوْصَافِ وَالْأَخْلَاقِ بِالْأَخْلَاقِ. وَالْأَنْوَارِ بِالْأَنْوَارِ وَالْأَسْمَاءِ بِالْأَسْمَاءِ، وَالتُّعُوتِ

بِالْعُتُوبِ، وَالْأَفْعَالِ بِالْأَفْعَالِ وَيَتَشَبَّحُ فِيهِ النَّظَرُ لَمَنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَالشَّرَابُ سَقَى الْقُلُوبَ وَالْأَوْصَالَ، وَالْعُرُوقُ مِنْ هَذَا الشَّرَابِ حَتَّى يَسْكُرَ وَيَكُونُ الشَّرْبُ بِالتَّدْرِيبِ، بَعْدَ التَّدْرِيبِ وَالتَّهْدِيدِ. فَيُسْقَى كُلُّ عَلَى قَدَرِهِ. فَمِنْهُمْ مَنْ يُسْقَى بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَتَوَلَّى ذَلِكَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يُسْقَى مِنْ جِهَةِ الْوَسَائِطِ، كَالْمَلَائِكَةِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْأَكَابِرِ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَسْكُرُ بِشُهُودِ الْكَأْسِ وَلَمْ يَذُقْ بَعْدَ شَيْئاً فَمَا ظَنُّكَ بَعْدَ الذَّوْقِ. وَبَعْدَ الشَّرَابِ، وَبَعْدَ الرِّيِّ، وَبَعْدَ السَّكْرِ بِالْمَشْرُوبَاتِ. ثُمَّ الصُّحُورُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مَقَادِرَ شَيْءٍ. كَمَا أَنَّ السُّكْرَ أَيْضاً كَذَلِكَ. وَالْكَأْسُ مِغْرَفَةُ الْحَقِّ. يُعْرَفُ بِهَا مِنْ ذَلِكَ الشَّرَابِ الطُّهُورُ الْمَخْصُصُ الصَّافِي لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُخْصُوصِينَ مِنْ خَلْقِهِ. فَتَارَةً يَشْهَدُ الشَّارِبُ ذَلِكَ الْكَأْسَ صَوْرَةً، وَتَارَةً يَشْهَدُهَا مَعْنًى. وَتَارَةً يَشْهَدُهَا عِلْمِيَّةً.

فَالصُّورَةُ حَظُّ الْأَبْدَانِ وَالنُّفُوسِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ حَظُّ الْقُلُوبِ وَالْعُقُولِ. وَالْعِلْمِيَّةُ: حَظُّ الْأَرْوَاحِ وَالْأَسْرَارِ. فَيَأْتِي لَهُ مِنْ شَرَابٍ مَا أَغْذَبَهُ فَطَوَّبَى لِمَنْ شَرِبَ مِنْهُ، وَدَامَ وَلَمْ يَقْطَعْ عَنْهُ. نَسْأَلُ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ. ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ. وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. وَقَدْ تَجَمَّعَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحِبِّينَ، فَيُسْقَوْنَ مِنْ كَأْسٍ وَاحِدَةٍ. وَقَدْ يُسْقَوْنَ مِنْ كُؤُوسٍ كَثِيرَةٍ. وَقَدْ يُسْقَى الْوَاحِدُ بِكَأْسٍ وَبِكُؤُوسٍ، وَقَدْ يَخْتَلِفُ الْأَشْرَبَةُ عَلَى حَسَبِ عَدَدِ الْأَكْوَاسِ. وَقَدْ يَخْتَلِفُ الشَّرْبُ مِنْ كَأْسٍ وَاحِدَةٍ. وَإِنْ شَرِبَ مِنْهُ الْجَمُّ الْغَفِيرُ مِنَ الْأَجَبَةِ. انْتَهَى كَلَامُ الْقُطْبِ ابْنِ مَشِيشٍ.

وَقَالَ تَلْمِيذُهُ: الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْمَحَبَّةُ أَخْذَةٌ مِنَ اللَّهِ قَلْبَ عَبْدِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ. فَتَرَى النَّفْسَ مَائِلَةً لَطَاعَتِهِ. وَالْعَقْلَ مُتَحَصِّنًا بِمَعْرِفَتِهِ، وَالرُّوحَ مَأْخُودَةً فِي حَضْرَتِهِ. وَالسُّرَّ مَغْمُورَةً فِي مُشَاهَدَتِهِ، وَالْعَبْدَ يَسْتَزِيدُ مِنْ حُبِّهِ، فَيَزَادُ وَيَفَاتِحُ بِمَا هُوَ أَغْذَبَ مِنْ لَذِيذِ مُتَاجَاتِهِ. فَيُكْسَى حُلُلَ التَّقَرُّبِ. عَلَى بَسَاطَةِ الْقُرْبَى، وَيَمْسُ أَهْبَكَارَ الْحَقَائِقِ. وَثَبَّتَاتِ الْعُلُومِ. فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَالُوا:

الْأَزْيَاءُ عَرَائِسُ وَلَا يَرَى الْعَرَائِسُ الْمُجْرِمُونَ. ثُمَّ قَالَ: الشَّرَابُ: هُوَ النُّورُ السَّاطِعُ مِنْ جَمَالِ الْمَحْجُوبِ. وَالْكَأْسُ: هُوَ اللَّطْفُ الْمُؤَصَّلُ ذَلِكَ إِلَى أَفْوَاهِ الْقُلُوبِ وَالسَّاقِي: هُوَ الْمُتَوَلَّى ذَلِكَ لِمَخْصُوصِ الْكَبِيرِ، وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ؛ وَهُوَ اللَّهُ الْعَالِمُ بِالْمَقَادِيرِ، وَمُصَالِحُ الْعِبَادِ. فَمَنْ كُشِفَ لَهُ عَنْ هَذَا الْجَمَالِ، وَحُطِّي بِشَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا أَوْ نَفْسَيْنِ أَوْ أَرْجَحِي عَلَيْهِ الْحِجَابَ؛ فَهُوَ الدَّائِقُ الْمَشْتَاقُ. وَمَنْ دَامَ لَهُ ذَلِكَ سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ؛ فَهُوَ الشَّارِبُ حَقًّا. وَمَنْ تَوَالَى عَلَيْهِ الْأَمْرُ، وَدَامَ لَهُ الشَّرْبُ، حَتَّى

امْتَلَأَتْ عَرُوقُهُ وَمَقَاصِلُهُ. مِنْ أَنْوَارِ اللَّهِ الْمَخْزُونَةِ؛ فَذَلِكَ هُوَ الرَّيُّ وَرُبَّمَا غَابَ عَنِ
الْمَخْسُوسِ وَالْمَقْعُولِ. فَلَا يُدْرَى مَا يُقَالُ. وَلَا مَا يَقُولُ. فَذَلِكَ هُوَ السُّكْرُ، وَقَدْ
تَدَوَّرَ عَلَيْهِمُ الْكَاسَاتُ. وَتَخْتَلَفُ لَدَيْهِمُ الْحَالَاتُ. وَيَرُدُّونَ إِلَى الذُّكْرِ وَالطَّاعَاتِ،
وَلَا يُحْجِبُونَ عَنِ الصِّفَاتِ. مَعَ تَزَاحُمِ الْمَقْدُورَاتِ، فَذَلِكَ وَقْتُ صَخُوحِهِمْ، وَاتِّسَاعِ
نَظَرِهِمْ. وَمَزِيدِ عِلْمِهِمْ، فَهُمْ. بِتُجُومِ الْعِلْمِ وَقَمَرِ التَّوْحِيدِ يَهْتَدُونَ فِي لَيْلِيهِمْ.
وَبِشْمُوسِ الْمَعَارِفِ يَسْتَضِيئُونَ فِي نَهَارِهِمْ. «أَوَّلُكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ
الْمُفْلِحُونَ». انتهى كلام القطب الشاذلي رضي الله عنه.

وقال أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه:

«حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت، حتى لا يبقى منه شيء» وقال أبو
الحسين الوراق: «المحبة سرور بالله من شدة المحبة له. والمحبة في القلب نار
تحرق كل دس». وقال بغضهم:

«من ادعى محبة الله من غير تورع محاربه؛ فهو كذاب. ومن ادعى محبة
الجنة من غير إنفاق ملكه فهو كذاب ومن ادعى حب رسول الله ﷺ من غير حب
الفقراء فهو كذاب. وكان كرابعة تنشد:

نغصي الإله وأنت تظهر حبه هذا محال في الفعال بديع
إن كنت صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وقال بغض الشعراء في هذا المتنزع:

قالت وقد سألت عن حال عاشقها لئله صفة ولا تنقص ولا تزيد
فقلت لو كان رهن الموت من ظمإ وقلت قف على ورود الماء لم يرد
وقال آخر:

ولو عذبني في النار حتماً دخلت مطاوعاً وسط الجحيم
وقال آخر:

إذا كان الجحيم رضاك عني فما ذاك الجحيم سوى نعيم
إن كان سفك دمي أقصر مرادكم فما علت نظرة منكم بسفك دم

وقال سخون رضي الله عنه: «ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة؛ لأن
النبي ﷺ قال: «المرء مع من أحب». فهو مع الله تعالى». وقال أبو يعقوب

السوسي: لا تصلح المحبة، حتى تخرج عن رؤية المحبة، إلى رؤية المحبوب. بفناء علم المحبة. من حيث كان المحبوب في الغيب. ولم يكن هذا بالمحبة. فإذا خرج المحب إلى هذه. كان مجباً من غير محبة. وسئل الشبلي عن المحبة فقال: كأس له وهج إذا استقر في الحواس، وسكن في النفوس ثلاثت. وقيل للمحبة ظاهر وباطن. ظاهرها اتباع رضى المحبوب. وباطنها أن يكون مفتوناً بالحبيب عن كل شيء فلا تبقى فيه باقية لغيره ولا لنفسه.

وقال في المعارف: كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي ونفسي وبصري، وأهلي ومالي، ومن الماء البارد». فكان رسول الله ﷺ طلب بحكم العلم والحيلة، تتعاضده بضد العلم. مثل أن يكون راضياً. والحيلة قد تنكره، ويكون النظر إلى الانقياد بالعلم، وإلى الاستقصاء بالحيلة. فقد يحب الله ورسوله بحكم الإيمان. ويحب الأهل والولد بحكم الصبح المراد منه. فأشار إلى أن محبة العوام بالعلم والإيمان بالغيب. ومحبة الخواص بالدوق على نعت مشاهدة الحبيب. والله تعالى أعلم. وقوله: «وليس يعلم في القلب إلا هو». هكذا في جل النسخ بعد السطر أي لا يعلم ما في قلبي من الشغف والمحبة إلا المحبوب. وفي بعض النسخ: وفي الأغاليط سر رق معناه، يشير إلى مقام الإخلاص. فالسر الذي خفي معناه هو الإخلاص، إذ لا يتحقق ذوقاً، إلا بإظهار ما يتأفاه من الأغاليط، ومزجها إلى تخريب الظاهر. إذ يقدر ما يخرّب الظاهر، يعمر الباطن. ويقدر ما يعمر الظاهر، يخرّب الباطن. ويقدر ما يزيّن الظاهر، يقبح الباطن. وبالعكس: يتنور الظاهر بالتأثني في الثياب، وتحسين الهيئة وبه يتظلم الباطن. وهذا مجرب عند أهل الفن. لا ينكره إلا الجاهل بالطريق.

والإخلاص: إفراد الحق بالطاعة بالعقل: وهو أن يريد بطاعته، القرب إلى الله تعالى، دون شيء آخر، من تصنع لمخلوق. أو اكتساب محمدة عند الناس ومحبة مدح الخلق. أو مغنى من المعاني. سوى التقرب إلى الله تعالى. قال القشيري. وأحسن منه تفسير الحق تعالى في الحديث القدسي، قال الحسن: سألت حذيفة عن الإخلاص فقال: سألت النبي ﷺ عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت جبريل عليه السلام عن الإخلاص فقال: سألت رب العزة عن الإخلاص ما هو فقال: «سر من أسراري أودعته قلب من أحببت من عبادي» وقال الجنيد رضي الله عنه: «الإخلاص سر بين الله تعالى وبين العبد. لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا

شَيْطَانٌ فَيُفْسِدُهُ. وَلَا هَوَى فَيَبْطِلُهُ. وله درجات: إخلاص العوام: هو أفراد الحق بالطاعة، مع ملاحظة الجزاء في الدنيا والآخرة. وإخلاص الخواص: وهو أفراد الحق بالطاعة مع ملاحظة الجزاء الأخروي فقط وإخلاص خواص الخواص، هو أفراد الحق بالطاعة، مع الغيبة؛ بَلْ مَحَبَّةٌ وَتَعْظِيمٌ وَعُبُودِيَّةٌ.

قال مكحول رضي الله عنه: «مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا إِلَّا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ». وهو مَوْثُوفٌ عَلَيْهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَيُوجَدُ فِي بَعْضِ النَّاسِ: أُرِيهِمْ أَنَّنِي بَغَيْرِهِ كَلَفٌ؛ أَيْ أَظْهَرُ لِلنَّاسِ أَنَّنِي بَغَيْرِ الْمَحْبُوبِ كَلَفٌ؛ أَيْ مُوَلِّعٌ وَتَكْلُفٌ بِهِ، وَمَشْغُولٌ بِمَحَبَّتِهِ. وَلَيْسَ يَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِي مِنْ مَحَبَّةِ الْحَبِيبِ إِلَّا هُوَ: لِأَنَّنِي لَمَّا عَرَفْتُهُ، وَكَشَفَ الْحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ. قُلْتُ لَا يَحْجُبُنِي عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ تَجَلِّيَاتِهِ. فَيُظْهِرُ لِلنَّاسِ أَنَّنِي أَشَاهِدُ الْخَلْقَ. وَتُعْظِمُهُمْ، وَتَتَأَدَّبُ مَعَهُمْ. وَأَنَا فِي الْبَاطِنِ لَا نَشَاهِدُ إِلَّا الْمَلِكَ الْحَقَّ. وَلَا تَتَأَدَّبُ إِلَّا مَعَهُ. وَلَا تَتَكَلَّفُ إِلَّا بِهِ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَلَهُ الشُّكْرُ.

قال الشيخ أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّا لَنَنْتَظِرُ إِلَى اللَّهِ بِبَصَرِ الْإِيمَانِ وَالْإِيقَانِ. فَأَعْتَانَا ذَلِكَ عَنِ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ. وَأَنَا لَا نَرَى أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ. فَهَلْ فِي الْوُجُودِ سِوَى الْمَلِكِ الْحَقِّ. فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ كَالْهَبَاءِ فِي الْهَوَى إِنْ فَتَشْتَهُ لَمْ تَجِدْهُ شَيْئًا» وَيَاللَّهُ التَّوْفِيقُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قَالُوا أَتُنْسَى الَّذِي تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ يَا قَوْمِي مَنْ هُوَ رُوحِي كَيْفَ أُنْسَاهُ وَكَيْفَ أُنْسَاهُ وَالْأَشْيَاءُ بِوَ حَسُنَتْ مِنْ الْعَجَائِبِ يَنْسَى الْعَبْدُ مَوْلَاهُ

يقول رضي الله عنه: قَالَ لِي قَوْمِي: أَتُنْسَى الْمَحْبُوبَ الَّذِي تَهْوَاهُ وَتَغْشَاهُ حَتَّى تَغِيبَ عَنْ ذِكْرِهِ وَمَشَاهِدَةِ مَبْرَاهِيمَ. فَقُلْتُ لَهُمْ: يَا قَوْمِي مَنْ هُوَ رُوحِي وَبِهِ قَوَامِي وَنَشْأَتِي. قَدْ سَرَى سِرُّهُ فِي سِرِّي، وَنُورُهُ فِي كَلْبِي دَاتِي، وَتَخَلَّلَتْ مَحَبَّتُهُ جَمِيعَ أَجْزَائِي كَيْفَ أُنْسَاهُ. وَأَغِيبُ عَنْهُ. وَكَيْفَ أَيْضًا أُنْسَاهُ وَأَغِيبُ عَنْهُ. وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا بِهِ قَامَتْ. وَبُنُورُ جَمَالِهِ حَسُنَتْ وَابْتَهَجَتْ. فَمَا ظَهَرَ فِي الْكَوْنَيْنِ إِلَّا نُورُ بَهَائِهِ وَجَمَالِهِ. فَلَيْسَ فِي الْوُجُودِ قَبِيحٌ، وَلَا بَشِيعٌ؛ لِأَنَّ الْوُجُودَ كُلَّهُ بِقُدْرَةِ الْحَكِيمِ الْبَدِيعِ. وَإِلَى هَذَا، أَشَارَ صَاحِبُ الْعَيْنِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَكُلُّ قَبِيحٍ إِنْ تَسَبَّحْتَ لِحُسْنِهِ أَتَشْكُ مَعَانِي الْحُسْنِ فِيهِ تُسَارِعُ يَكْمُلُ نُفُصَانُ الْقَبِيحِ جَمَالُهُ فَمَا تَمَّ نُفُصَانُ وَلَا تَمَّ بَاشِعُ

ثُمَّ تَعَجَّبَ نِسْيَانُ الْعَبْدِ مَوْلَاهُ وَهُوَ مَعَهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. فَمِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ، أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ قَائِمًا بِأَمْرِ عَبْدِهِ، لَا يَنْسَاهُ مِنْ إِحْسَانِهِ وَرَفْقِهِ. وَالْعَبْدُ غَافِلٌ عَنْ ذِكْرِهِ. مَشْغُولٌ بِذِكْرِ غَيْرِهِ. قَالَ الْوَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ، اسْتِفْرَاحُ طَاقَتِهِ وَجُهِدُهُ فِي ذِكْرِ سَيِّدِهِ؛ وَمَشَاهِدَةُ إِحْسَانِهِ وَرَفْقِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ وَقَدْ رَأَيْتُ أَحَادِيثَ وَأَخْبَاراً فِي التَّرْغِيبِ فِي ذِكْرِ اللَّهِ، «وَالْتَفَكُّرِ فِي عَظَمَتِهِ. فَلَا نَطِيلَ بِسَرْدِهَا؛ لِأَنَّهَا مَقْرَرَةٌ فِي مَحَلِّهَا مِنَ الْمُطَوَّلَاتِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. ثُمَّ صَرَّحَ بِحَالِهِ مَعَ مَحْبُوبِهِ؛ وَهُوَ الاسْتِفْرَاقُ فِي شَهْوَدِهِ فَقَالَ:

مَا غَابَ عَنِّي وَلَكِنْ لَسْتُ أَبْصُرُهُ إِلَّا وَقُلْتُ جَهَاراً قَدْ هُوَ اللَّهُ
يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا غَابَ عَنِّي مَحْبُوبِي طَرَفَةً عَيْنٍ؛ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ وَبِهِ حَيَاتِي، وَبِقِيَامِ دَاتِي كَمَا قَالَ ابْنُ الْفَارَضِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَنْتُمْ شُمُوسِي وَعَيْنُ دَاتِي وَوَجْهُكُمْ قَبْلُ لِلشُّحُودِ
فَمَحْبُوبِي لَا يَغِيبُ عَنِّي قَطُّ. وَلَكِنْ لَسْتُ أَبْصُرُهُ، وَأَشَاهِدُهُ فِي مِرَانِي جَمَالَهُ، وَتَجَلِّيَاتِ دَاتِي، إِلَّا وَقُلْتُ جَهَاراً بِلِسَانِ الْحَالِ. قُلْ هُوَ اللَّهُ. إِذْ لَا نَشَاهِدُ سِوَاهُ. وَلَا نَرَى إِلَّا آيَاهُ؛ لِأَنَّنِي مَخْجُوبٌ بِالْجَمْعِ عَنِ الْفَرْقِ. وَيَشْهَدُ الْمُؤَثِّرُ عَلَى الْأَثَرِ. وَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ مِنْ رُؤْيَةِ الْأَثَرِ، فَيَرَاهُ قَائِمًا بِهِ، وَنُوراً مِنْ أَنْوَارِهِ. لَا وَجُودَ لَهُ مَعَهُ. لِثَبُوتِ أَحَدِيَّتِهِ. فَالْأَكْوَانُ ثَابِتَةٌ بِإِثْبَاتِهِ. مَمْنُوحَةٌ بِأَحَدِيَّةِ دَاتِي.

مَنْ لَا وَجُودَ لِدَاتِهِ مِنْ دَاتِهِ فَوُجُدُهُ لَوْلَاهُ عَيْنُ مُحَالٍ
قَالِ الْعَارِفُونَ قَنُوا الْمَالَمْ يَشْهَدُوا شَيْئاً سِوَى الْمُتَكَبَّرِ الْمُتَعَالِي
وَرَأَوْا سِوَاهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ هَالِكاً فِي الْحَالِ وَالْمَاضِي وَالْآسِتِقْبَالِ

قَالَ الْقُطُبُ بْنُ مَشِيشٍ؛ لِأَبِي الْحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يَا أَبَا الْحَسَنِ: «حَدِّدْ بَصَرَ الْإِيمَانِ. تَجِدْ اللَّهَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَعِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَعَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ. وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ. وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَحْتَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَرِيباً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَمُحِيطاً بِكُلِّ شَيْءٍ. بِقُرْبٍ هُوَ وَضْفُهُ. وَبِحِيطَةٍ هِيَ نَعْتُهُ. وَعُدٌّ عَنِ الطَّرْفَةِ وَالْحُدُودِ، وَعَنِ الْأَمَاكِينِ وَالْجِهَاتِ. وَعَنِ الصَّحْبَةِ وَالْقُرْبِ فِي الْمَسَافَاتِ. وَعَنِ الدُّورِ بِالمَخْلُوقَاتِ. وَامْحَقْ الْكُلَّ بِوصفه الأول والآخِر، وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ؛ وَهُوَ هُوَ، هُوَ. كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ. وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ». وَأَشَارَ

بقوله، وعُدَّ الخ. إلى أنَّ ما جرى في كلامه من الظروف ليست بزمانية ولا مكانية؛ لأنها من جملة الأكوان. وإنما هي أمور ذوقية. فاعتقد كمال الثنوية. وبطلان التشبيه. وتمسك بقول الله عز وجل:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وَسَلَّم ذَلِكَ لِأَهْلِهِ. فَإِنَّهُمْ عَلَى بصيرة فيما رمزوا إليه. فيما ذاقوه ووجدوه. بل هي من محض الإيمان، وخالص العرفان؛ وهو حقيقة التوحيد. وصَفُو الإيمان؛ كما قال بعض العارفين. قال بعض المحققين من العارفين:

الحقُّ تَعَالَى مُنْزَعٌ عَنِ الْأَثْنِ، وَالْجَهَةِ وَالْكَثْفِ، وَلَا جِسْمَ وَلَا جَوْهَرَ، وَلَا عَرْفَ؛ لِأَنَّهُ لِلطَّيْفِ سَارٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلِنُورِيَّتِهِ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَلِلْإِطْلَاقِ وَإِحْاطَتِهِ مُتَكَيِّفٌ بِكُلِّ كَيْفٍ غَيْرِ مُتَقَيِّدٍ بِذَلِكَ. وَمَنْ لَمْ يَذُقْ هَذَا، وَلَمْ يَشْهَدْ؛ فَهُوَ أَعْمَى الْبَصِيرَةِ. مَخْرُومٌ مِنْ مُشَاهَدَةِ الْحَقِّ. وَمِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ ابْنِ الْفَارُضِ:

هُوَ الْحَقُّ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ	هُوَ الرَّخْمَنُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ
هُوَ الثَّوْرُ الْمُبِينُ بِغَيْرِ شَكٍّ	هُوَ الرَّبُّ الْمَخْبُوبُ فِي الْعَبِيدِ
هُوَ الْمَشْهُودُ فِي الشَّاهِدِ يَبْدُو	فَيُخْفِيهِ الشُّهُودُ عَنِ الشَّهِيدِ
هُوَ الْعَيْنُ الْعَيَانُ لِكُلِّ غَيْبٍ	هُوَ الْمَقْصُودُ فِي بَيْتِ الْقَصِيدِ
جَمِيعُ الْعَالَمِينَ لَهُ ظِلَالٌ	سُجُودٌ فِي الْقَرِيبِ وَفِي الْبَعِيدِ
وَهَذَا الْقُدْرُ فِي التَّخْفِيقِ كَافٍ	فَكُفَّ النَّفْسَ عَنْ طَلَبِ الْمَزِيدِ
ولا ين عطاء الله، رضي الله عنه:	

فَالثَّوْرُ يَظْهَرُ مَا تَرَى مِنْ صُورَةٍ	إِلَّا بِوُجُودِ الْكَائِنَاتِ بِلا امْتِرَا
لِكَيْتَهُ يَخْفَى لِقَرْطِ ظُهُورِهِ	حِسًّا وَيُذِرْكُهُ الْبَصِيرُ مِنَ الْوَرَا
فَإِذَا نَظَرْتَ بِعَيْنٍ عَقْلِيَّكَ لَا تَجِدُ	شَيْئاً سِوَاهُ عَنِ الذَّاتِ مُصَوِّراً
وَإِذَا طَلَبْتَ حَقِيقَةً مِنْ غَيْرِهِ	فَيَزِيدُ جَهْلَكَ لَا تَزَالُ مُعْتَمِراً

وهذه الأسرار لا يذوقها، إلا مَنْ صَحِبَ أَهْلَ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ. وَمَنْ لَمْ يَضَحَّيْهُمْ، فَحَسْبُهُ الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

ثُمَّ اَعْلَمُ أَنَّ مِنْ عَادَةِ الشُّعْرَاءِ أَنْ يَتَغَزَّلُوا فِي مَذْحِ الْحَبِيبِ. بِذِكْرِ الرُّقْبَا وَالْعَوَازِلِ إِذْ لَا تَحُلُو الْمَحَبَّةَ إِلَّا بِوُجُودِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَذْكُرُ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ مَذْحِهِ.

كما فَعَلَ كَغَبِ بْنِ زُهَيْرٍ، والإمام البوصيري في بُزْدَتِهِ؛ وغيرهما. ومنهم مَنْ يَسْتَعْمَلُهُ فِي آخِرِ مَذْجِهِ، كما فعل النَّاطِمُ حيث قال:

مَاذَا يَقُولُ اللَّوَاخِي ضَلَّ سَعْيُهُمْ وَمَاذَا تَقُولُ الْأَعَادِي زَادَ مَغْنَاهُ
هَلْ غَيْرُ أَنِّي أَهْوَاهُ وَقَدْ صَدَّقُوا نَعَمْ نَعَمْ أَنَا أَهْوَاهُ وَأَهْوَاهُ

قلتُ: اللَّوَاخِي: هو التَّخَاضُمُ. وَتَلَاخَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ تَخَاضَمًا. وَاللَّوَاخِ: جمع لائحة أي مُخَاصَمَةٌ وَمَاذَا: إمَّا أَنْ تكون استِفْهَامِيَّةً بُرْمَتِيهَا. أَوْ ذَا مَوْضُوعَةٍ. وَمَا استِفْهَامِيَّةٌ. يقول رضي الله عنه على طريق التَّشْبِيهِ والتَّسْيِيبِ: مَاذَا: أَيُّ شَيْءٍ تقول اللَّوَاخِي. في لُزْمِي وَعَتَابِي على مَحَبَّةِ الْحَبِيبِ. أَوْ مَا الَّذِي تقوله الْعَوَاذِلُ وَالرَّقَبَا في عَذْلِي وَلُزْمِي على فَرْطِ مَحَبَّتِي، والتَّهْلَاكِ في عَشْقِي أَضَلَّ اللَّهُ سَعْيَهُمْ، وَحَيِّبَ قَصْدَهُمْ. فَإِنَّهُمْ أَرَادُوا سُلُوَانِي مِنْ عَشْقِي، وَبُعْدِي مِنْ حَبِيبِي. فَلَا أَسْمَعُ قَوْلَهُمْ. وَلَا أَقْبِلُ نَصَحَتَهُمْ. وما تقول الأعادي، أَيُّ شَيْءٍ تقوله الأعادي والحُسادُ في دُخُولِهِمْ بَيْنِي وَبَيْنَ مَحْبُوبِي؛ بِالتَّخْلِيلِ والتَّخْوِيفِ. فَمَا وَقَعَ ذَلِكَ مِنْهُمْ. إِلَّا لِمَا رَأَوْا مِنْ شِدَّةِ إِقْبَالِ الْمَحْبُوبِ عَلَيَّ. وتقريبه إِلَيَّ. واغْتِنَائِي بِشَأْنِي. فإِنَّهُ يَزِيدُنِي مِنْ تِلْكَ الْمَعْنَى وَيَحْقُقُنِي بِذَلِكَ الْمَقْصِدِ الْأَسْنَى. وهل يَقُولُونَ شَيْئًا؛ غَيْرَ أَنِّي أَهْوَاهُ وَأَجِبُهُ. أَيُّ لَا يُنْكِبُهُمْ أَنْ يَعِيبُوا عَلَيَّ شَيْئًا. إِلَّا أَنِّي أَجِبُهُ وَأَهْوَاهُ. وَلَقَدْ صَدَّقُوا فِي دَعْوَاهُمْ. فَإِذَا أَقْرَأَ بِذَلِكَ، وَأَفْصَحَ بِالْجَوَابِ. فنقول: نَعَمْ نَعَمْ. أَنَا أَهْوَاهُ. ثُمَّ أَهْوَاهُ وَلَا نَسْلُو عَنْهُ أَبَدًا. وهذا الذي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ مِنْ ذِكْرِ الْخُصُومِ وَالْأَعَادِي. لَا يَشْتَرِطُ تَحْقِيقَهُ فِي الْخَارِجِ. بَلْ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ الشَّعْرَاءِ. أَوْ يُسَمَّى التَّغَزُّلَ والتَّسْيِيبَ. يَخْسَنُ ذِكْرُهُ فِي أَوَّلِ الْمَذْجِ. أَوْ فِي أَثْنَائِهِ كَمَا تَقَدَّمَ. ويمكن أَنْ يُقْصِدَ بِذَلِكَ مَنْ يَلُومُهُ عَلَى التَّجَرِيدِ، وَتَرْكِ الْأَسْبَابِ، وَالانْقِطَاعِ إِلَى الْمَحْبُوبِ لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ لَهُ مَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ أَهْلِ وَأَوْلَادِهِ. فَإِنَّ أَهْلَ الظَّاهِرِ لَا يُسَلِّمُونَ لِأَهْلِ الْبَاطِنِ فِي هَذَا الْمَعْنَى، وَكَذَلِكَ تَخْرِيبُ الظَّاهِرِ، وَإِتْلَافُ الْمَالِ الَّذِي يَشْغُلُ الْبَاطِنَ. فَإِنَّ غَالِبَ النَّاسِ يَعِيبُونَ عَلَى مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ. وَقَدْ فَسَّرَ بَعْضُهُم الْعَوَاذِلَ وَالرَّقَبَا، وَالْأَعَادِي بِالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَالْهَوَى وَالذَّنْبِ؛ وَكُلُّ مَا يَشْغُلُ عَنْ اللَّهِ. ذَكَرَهُ فِي شَرْحِ تَائِيَةِ ابْنِ الْفَارُضِ وَقَالَ: هَذَا مَرَادُ الصُّوفِيَةِ. بِالْعَوَاذِلِ وَالرَّقَبَا وَهُوَ حَسَنٌ. ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْعَوَاذِلَ؛ وَهِيَ الْقَوَاطِعُ الَّتِي تَقْطَعُ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى؛ هِيَ فِي الظَّاهِرِ قَوَاطِعٌ. وَفِي الْبَاطِنِ مُحْسُوسَاتٌ. وَمَوْصَلَاتٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ ذَكَرَهُمْ صَاحِبُ الْحِكْمِ الْعَطَائِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَقَالَ فِي شَأْنِ النَّفْسِ: حَرَّكَ

النفس عليك ليدوم إقبالك عليه. وقال في شأن الشيطان: إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَغْفُلُ عَنْكَ، فَلَا تَغْفُلْ أَنْتَ عَنْ نَاصِيَتِكَ بِيَدِهِ. وقال في شأن الدنيا: إِنَّمَا جَعَلَهَا مَحَلًّا لِلْاِكْتِدَارِ تَزْهِيداً لَكَ فِيهَا. وقال في شأن الناس: إِنَّمَا جَرَى الْأَذَى عَلَيْهِمْ كَيْ لَا تَكُونَ سَاكِناً إِلَيْهِمْ. أَرَادَ أَنْ يُزْعِجَكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى لَا يُشْغَلَكَ عَنْهُ شَيْءٌ. وقد كَانَ شَيْخٌ شَيْخَنَا مَوْلَايَ الْعَرَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي شَأْنِ النَّفْسِ إِذَا اسْتَكَى لَهُ أَحَدٌ بِنَفْسِهِ. جَزَاهَا اللَّهُ خَيْرًا عَنِّي. وَاللَّهُ مَا رَبَّحْنَا إِلَّا مِنْهَا. يَغْنِي أَنَّهُ جَاهِدَهَا وَرَبِّضَهَا. حَتَّى انْقَادَتْ، وَأَسْلَمَتْ وَتَزَوَّجَتْ. فَجَعَلَتْ تَأْتِيهِ بِالْعِلْمِ وَالْمَوَاهِبِ مِنْ أَسْرَارِ الْغَيْبِ، فَإِنَّ الرُّوحَ كَانَ أَصْلَهَا عَلَامَةً ذَرَاكَةً. فَمَا حَجَبَهَا إِلَّا الشَّهَوَاتُ، وَالْعَوَائِدُ الَّتِي تَعَوَّدَتْ بِهَا. حَتَّى تَظَلَّمَتْ. فَسُمِّيَتْ نَفْسًا. فَإِذَا مُنِعَتْ مِنْ شَهَوَاتِهَا وَعَوَائِدِهَا، رَجَعَتْ إِلَى أَصْلِهَا. وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى، أَشَارَ ابْنُ الْبَنَّا فِي مَبَاجِئِهِ حَيْثُ قَالَ:

وَلَمْ تَزَلْ كُلُّ نَفُوسٍ الْأَخْيَا عَلامَةً ذَرَاكَةً لِلْأَشْيَا
وَأِنَّمَا تَعَوَّقُهَا الْأَبْدَانُ وَالْأَنْفُسُ النَّزَاغَ وَالشَّيْطَانُ
فَكُلُّ مَنْ أَذَاقَهُمْ جَهَادَةً أَظْهَرَ لِلْقَاعِدِ خَرْقَ الْعَادَةِ
ثم قال رضي الله عنه:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا مِنْ مَحَبَّتِهِ فَإِنَّهَا حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقَاءِ
فَإِنْ يَقُولُوا بِأَنَّ الْحُبَّ مَغْصِبَةٌ فَالْحُبُّ أَحْسَنُ مَا يُلْقَى بِهِ اللَّهُ
يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ: أَيْ أَطْلُبُ مَغْفِرَتَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَصْدُرُ مِنِّي، قَوْلًا وَعَمَلًا وَعَقْدًا. إِلَّا مِنْ مَحَبَّتِهِ، فَإِنَّهَا لَا يَدْخُلُهَا خَلَلٌ؛ لِأَنَّهَا مَحْمُودَةٌ فِي كُلِّ حَالٍ. فَلَا تَحْتَاجُ إِلَى اسْتِغْفَارٍ فَتَقُولُ لَهُ: الْحُبُّ أَحْسَنُ مَا يُلْقَى بِهِ اللَّهُ. لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ». وَلَا يُجِبُ لِقَاءَ اللَّهِ. إِلَّا مَنْ تَمَكَّنَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ. فَظَهَرَ أَنَّ الْمَحَبَّةَ أَفْضَلُ الْمَقَامَاتِ، وَأَكْمَلُ الْحَالَاتِ، فَلَا تَفْتَقِرُ إِلَى اسْتِغْفَارٍ وَلِذَلِكَ قَالَ الْقُطُبُ ابْنُ مَشِيشٍ: وَاعْلَمْ أَنَّ حُبَّ اللَّهِ قُطْبُ تَدَوُّرٍ عَلَيْهِ الْخَيْرَاتِ. وَأَصْلُ جَامِعٍ لِجَمِيعِ الْكَرَامَاتِ. إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ فِي بَعْضِ وَصَايَاهُ. ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ الْمَقَامَاتِ؛ إِنَّمَا تَكُونُ مَعَ تِمَامِ الْمَعْرِفَةِ، إِذِ الْمَحَبَّةُ بِلَا مَعْرِفَةٍ، قَدْ يَصْدُرُ مِنْ صَاحِبِهَا سُوءُ أَدَبٍ. بِمَا يَضْحِكُهَا مِنَ الْقَلْقَرِ، أَوْ الْإِذْلَالِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ. فَيَطْرُدُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِخِلَافٍ مَنْ تَرَفَّقَى إِلَى

مَقَامُ الْمَعْرِفَةِ، بَعْدَ كَمَالِ الْمَحَبَّةِ. فَالْأَدَبُ مُحَقَّقٌ لَدَيْهِ. إِذَا الْمَعْرِفَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا
 بَعْدَ التَّهْذِيبِ وَالتَّنْأِيبِ. فَيَلْزَمُهُ الرِّضَى وَالتَّسْلِيمُ. وَالصَّبْرُ وَالتَّوَكُّلُ. وَغَيْرُ ذَلِكَ
 مِنَ الْمَقَامَاتِ؛ لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ ضَمَّتْهُ لَجَمِيعِ ذَلِكَ. إِذَا لَا يَسْلُكُ لَهَا إِلَّا وَيَقْطَعُ هَذِهِ
 الْمَقَامَاتِ. بِخِلَافِ الْمَحَبَّةِ وَخَذَهَا: فَقَدْ تَوَجَّدَ مَعَ الْحِجَابِ. فَيَكُونُ صَاحِبَهَا
 غَيْرَ كَامِلٍ، كَمَا هُوَ شَأْنُ كَثِيرٍ مِنَ الْعِبَادِ وَالزُّهَادِ، وَالْعُشَّاقِ. وَأَمَّا الْمَعْرِفَةُ فَلَا
 تَخْصُلُ إِلَّا بَعْدَ التَّزْيِينِ وَالتَّنْأِيبِ، وَالتَّهْذِيبِ بَعْدَ التَّدْرِيبِ وَالتَّهْذِيبِ. فَصَاحِبُهَا
 مَأْمُونٌ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ فِي الْعَالَمِ. مَنَحَنَا اللَّهُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ الْكَامِلَةِ أَوْفَرَ نَصِيبٍ،
 إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ. يَجَاوِزُ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا، أَفْضَلَ كُلِّ مُجِيبٍ وَخَبِيرٍ.
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَعِثْرَتِهِ وَأَخْرَاجِهِ. وَسَلَامُ تَسْلِيمٍ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ.

تَلَمَّعَ رَصْفٌ مِنْ أَوْسَانِ مَالِكٍ
 تَلَمَّعَ رَصْفٌ مِنْ أَوْسَانِ مَالِكٍ
 تَلَمَّعَ رَصْفٌ مِنْ أَوْسَانِ مَالِكٍ
 تَلَمَّعَ رَصْفٌ مِنْ أَوْسَانِ مَالِكٍ

شرح بعض مقتطفات الششتري للعارف بالله، سيدي أحمد بنعجية، رضي الله عنه

سُبْحَانَ مَنْ اخْتَصَرَ بِالْحَمْدِ وَالثَنَاءِ مِنَ الْعِبَادِ. وَتَقَدَّسَ ذَاتًا وَصِفَاتًا عَنِ الشُّرَكَاءِ وَالنُّظَرَاءِ وَالْحُلُولِ وَالْإِتِّحَادِ. خَصَّ أَقْوَامًا بِكَمَالِ الْمَحَبَّةِ وَالْوُدَادِ. فَهُمْ بَيْنَ سَائِلِكَ وَمَجْدُوبٍ، وَمُحِبٍّ وَمَحْبُوبٍ. لَا يَطْرُق سَاخَةٌ قُلُوبُهُم الْأَغْيَارُ وَالْإِنْكَارُ. وَاخْتَصَّ أَقْوَامًا بِغَايَةِ الْخِدْمَةِ وَالْاجْتِهَادِ فَهُمْ بَيْنَ عِبَادٍ وَرُهَادٍ، وَبَدَلَاءَ وَتَجَبَاءَ. وَصَالِحِينَ وَأَوْتَادٍ، يَقُومُونَ فِي دَيْجِي اللَّيْلِ بِمُنَاجَاةِ الْحَبِيبِ. وَالتَّعَلُّقِ بَيْنَ يَدَيِ الْقَرِيبِ الْمَجِيبِ. وَإِذَا قَبَّ عَلَيْهِمْ نَبِيمُ الْأَشْخَارِ. فَاضَتْ أَعْيُنُهُم بِالْبُكَاءِ وَالنُّجِيبِ. فَكُلُّ هَؤُلَاءِ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا. ﴿كَلَّا لُئِمْتُ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾. نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَشْكُرُهُ حَمْدًا وَشُكْرًا يَقْضِيَانِ بِتَوَالِي الْإِمْدَادِ. وَيَعْطِفَانِ عَلَى قَاتِلِهِمَا بِالتَّعَرُّفِ وَالْوَدَادِ. وَتُصَلِّي وَتُسَلِّمُ عَلَى مَتْنِعِ الْأَنْوَارِ. وَمَعْدِنِ الْمَعَارِفِ وَالْأَسْرَارِ سَيِّدِ الْوُجُودِ، وَمَنْبِتِ الْكَرَمِ وَالْجُودِ. سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَفْضَلَ كُلِّ حَامِدٍ وَمَحْمُودٍ. وَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَبْرَارِ. وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَطْهَارِ. أَمَّا بَعْدُ: كُلُّ شَيْءٍ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ فَعَلِمَ الْبَاطِنِ عِلْمٌ كَبِيرٌ. وَفَضْلُهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ شَهِيرٌ. بَذَلَ الْمَهْجَ وَالْأَرْوَاحَ فِي نَيْلِهِ نَزَرَ يَسِيرٌ وَرَكُوبٌ بَخَرَهُ الْهَائِلُ أَمْرٌ خَطِيرٌ. إِلَّا مَنْ رَكِبَهُ مَعَ رَئِيسٍ عَارِفٍ كَبِيرٍ. عَالِمٍ بِأَحْوَالِ الْبَحْرِ وَأَهْوَالِهِ. عَارِفٍ بِاسْتِخْرَاجِ يَوَاقِيتِهِ وَلَاكْتِنِهِ. إِذَا تَعَاصَفَتْ عَلَيْهِ الْأَمْوَاجُ وَالرِّيَاحُ. أَوَى إِلَى سَفِينَةِ السَّنَةِ وَالْأَخْبَارِ الصَّحَاحِ. وَمَذَارَ هَذَا الْعِلْمِ عَلَى تَرْبِيَةِ الْيَقِينِ وَتَحْقِيقِ شَهَادَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَبَدَايَتِهِ مُجَاهِدَةٌ. وَنَهَايَتُهُ مُشَاهَدَةٌ. وَمِمَّنْ خَاضَ هَذَا الْبَحْرَ الْخَطِيرَ، وَتَضَلَّعَ مِنْ مَاءِ عِلْمِهِ الْغَزِيرِ الشَّيْخُ الْكَامِلُ الْمُحَقِّقُ الْوَاصِلُ بِحَرِيِّ زَمَانِهِ. وَرَئِيسُ دَهْرِهِ وَأَوَانِهِ. أَبُو الْحَسَنِ سَيِّدِي عَلِيٌّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّمِيرِيِّ الشَّشْتَرِيِّ، الْأَنْدَلُسِيِّ الْأَصْلِ. الرِّبَاطِيِّ الدَّارِ. وَشُشْتَرِ بَشِيتَيْنِ مُعْجَمَتَيْنِ، أَوْلَهُمَا مَضْمُومَةٌ، وَثَانِيَهُمَا سَاكِنَةٌ، بَعْدَهَا تَاءٌ مَضْمُومَةٌ فَوْقِيَّةٌ، هِيَ قَرْيَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ. وَشُشْتَرُ أَيْضًا. مَدِينَةٌ بِالْعِرَاقِ.

سَكَنَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الرِّبَاطَ. ثُمَّ جَالَ فِي الْبِلَادِ. فَدَخَلَ فَاسَ

ومكناس، ثم رَحَلَ إلى المشرق فجال في بلادها. وبها توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رُوي أَنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّامِ. نَزَلَ بِسَاحِلِ دِمَاطٍ؛ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَتَزَلَّ قَرْيَةً هُنَاكَ، عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ. يَضْطَادُ فِيهَا السَّمَكُ. فَقَالَ: مَا اسْمُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ؟ فَقِيلَ لَهُ: الطَّيْنَةُ. فَقَالَ: حَتَّى الطَّيْنَةُ إِلَى الطَّيْنَةِ فَوَضَى أَنْ يُدْفَنَ بِمَقْبَرَةِ دِمَاطٍ. فَحَمَلَهُ الْفُقَرَاءُ عَلَى أَغْنَاقِهِمْ، فَتُوفِيَ بِهَا يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ تَاسِعَ عَشَرَ صَفَرًا، سَنَةَ ثَمَانِيَةَ وَسِتِينَ وَسِتْمِائَةَ (19 صَفَرِ سَنَةِ 668هـ).

كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْأَمْرَاءِ، وَأَوْلَادِ الْأَمْرَاءِ. فَصَارَ مِنْ سَادَةِ الْفُقَرَاءِ. أَخَذَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طَرِيقَ التَّجْرِيدِ وَالتَّخْرِيبِ، فَنَالَ غَايَةَ التَّفْرِيدِ وَالتَّقْرِيبِ. رُوي أَنَّهُ لَمَّا التَقَى شَيْخَهُ ابْنَ سَبْعِينَ، وَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ عَنْهُ: قَالَ لَهُ الشَّيْخُ: لَا تَتَأَلَّ مِنْ عِلْمِنَا هَذَا حَتَّى تُسْقِطَ جَاهَكَ. وَتُفْنِي مَالَكَ. فَبَاعَ كُلَّ مَا عِنْدَهُ وَتَصَدَّقَ بِهِ. وَلَبَسَ قَشَّابَةً، وَاتَى إِلَى الشَّيْخِ، فَقَالَ: خُذْ بِنْدِيرًا وَادْخُلِ السُّوقَ. فَقَالَ لَهُ: مَا نَقُولُ؟ فَقَالَ: قُلْ: بَدَأْتُ بِذِكْرِ الْحَبِيبِ، فَدَخَلْتُ السُّوقَ. وَجَعَلْتُ يُعْنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. ثُمَّ خَرَقْتُ لَهُ الْحُجُبَ. وَفَاضَتْ عَلَيْهِ الْمَوَاهِبُ. فَزَادَ عَلَى مَا قَالَ لَهُ الشَّيْخُ: بَدَأْتُ بِذِكْرِ الْحَبِيبِ، وَهِنْتُ وَعَيْنِي يَطِيبُ. وَيَخْتِ بِسِرٍّ عَجِيبٍ. لَمَّا دَارَ الْكَاسُ مَا بَيْنَ الْجَلَّاسِ. وَاحْتِيَهُمُ الْأَنْفَاسُ. عَنْهُمْ زَالَ الْبَاسُ الْخِ كَلَامِهِ. هَكَذَا سَمِعْتُ الْحِكَايَةَ مِنْ شَيْخِنَا، وَسَمِعْتُهَا أَيْضًا مِنْ غَيْرِهِ. مِمَّنْ لَهُ اغْتِنَاءٌ بِكَلَامِهِ. وَلَمْ أَفْقَ عَلَيْهَا. وَلَهُ تَأْلِيفٌ مِنْهَا: كِتَابُ الْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، فِي بَيَانِ السُّنَنِ، وَإِخْصَاءِ الْعُلُومِ. وَمَا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْلَمَهُ وَيَعْتَقِدَهُ إِلَى وَفَاتِهِ. وَمِنْهُ اخْتَصَرَ رِسَالَتَهُ، الَّتِي اخْتَصَرَهَا الشُّجْبِيُّ فِي الْإِنَائَةِ، وَمِنْهَا الْمَقَالِيدُ الْوُجُودِيَّةُ فِي أَسْرَارِ إِشَارَاتِ الصُّوفِيَّةِ. وَلَهُ الرِّسَالَةُ الْقُدْسِيَّةُ، فِي تَوْحِيدِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَالْمَرَاتِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالْإِيمَانِيَّةِ، وَالْإِحْسَانِيَّةِ. وَلَهُ أَشْعَارُ وَأَزْجَالُ وَمَقْطَعَاتُ فِي غَايَةِ النَّبْلِ. جُمِعَتْ فِي دِيْوَانٍ كَبِيرٍ. وَمِنْهَا قَصِيدَتُهُ الَّتِي أَرَدْنَا الْكَلَامَ عَلَيْهَا. الَّتِي أَوَّلُهَا: صَحَّ عِنْدِي الْخَبَرُ، وَسَرَى فِي سِرِّي... إِلَى آخِرِهَا. وَقِيلَ هِيَ لِشَيْخِهِ عَبْدِ الْحَقِّ ابْنَ سَبْعِينَ. لَكِنِّي رَأَيْتُهُ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ جُمْلَةِ أَشْعَارِهِ. فَاللهُ أَعْلَمُ. وَتُوفِيَ شَيْخُهُ ابْنَ سَبْعِينَ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِسَنَةٍ. قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْمَقْطَعَةُ الْأُولَى».

(ص) (1) صَحَّ عِنْدِي الْخَبَرُ... وَسَرَى فِي سِرِّي... إِنَّ عَيْنَ النَّظَرِ... عَيْنُ الْفِكْرِ...

أَغْمَضُ طَرَفَكَ تَرَى... وَتَلُوحُ أَسْرَارُكَ... وَافَقَ عَنِ الْوَرَى... وَتَبْدُو لَكَ
أَخْبَارُكَ...

(ش)⁽¹⁾ يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صَحَّ عِنْدِي الْخَبَرُ وَحَقَّقْتَهُ. وَسَرَى فِي قَلْبِي
وَرُوحِي وَسِرِّي حَتَّى ذُقْتَهُ وَهُوَ أَنَّ عَيْنَ النِّظَرِ، الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِاسْتِعْمَالِهَا، وَالنَّظَرُ بِهَا
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. وَبِقَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾. هِيَ عَيْنُ الْقَلْبِ؛ الَّتِي هُوَ مَحَلُّ
الْفِكْرِ وَالِاغْتِبَارِ. لَا عَيْنَ الْبَصَرِ الْجَسَدِيِّ؛ لِأَنَّ عَيْنَ الْقَلْبِ؛ وَهِيَ عَيْنُ الْفِكْرِ. لَا
تَرَى إِلَّا الْمَعَانِي الْقَدِيمَةَ وَالْأَنْوَارَ الْقَدْسِيَّةَ. وَتَسْمَى الْبَصِيرَةَ. بِخِلَافِ عَيْنِ الْبَصَرِ
الْجَسَدِيِّ، لَا يَرَى إِلَّا الْمَحْسُوسَاتِ الْحَدِيثَةَ الْمَفْرُوقَةَ. فَإِذَا انْفَتَحَتِ الْبَصِيرَةُ؛ وَهِيَ
عَيْنُ الْفِكْرِ، اسْتَوَلَتْ عَلَى الْبَصَرِ الْجَسَدِيِّ. فَلَا يَرَى الْبَصَرُ حِينَئِذٍ إِلَّا الْمَعَانِي الَّتِي
تَرَاهَا الْبَصِيرَةُ. فَيَسْتَوْلِي الْمَعْنَى عَلَى الْجِسْمِ. وَالْجَمْعُ عَلَى الْفَرْقِ. وَتَسْتَوْلِي
الزُّوْحَانِيَّةَ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ. فَتَخْشُ الْبَشَرِيَّةَ، وَلَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ. فَيَغِيْبُ الْأَثَرُ، وَيَبْقَى
الْمُؤَثَّرُ. وَحِينَئِذٍ يَقُولُ صَاحِبُ هَذَا الْمَقَامِ: طَلَعَ الثَّاهِرُ عَلَى الْأَقْمَارِ، وَلَا بَقِيَ إِلَّا
رَبِّي. وَيَقُولُ أَيْضاً:

مُذْ عَرَفْتُ الْإِلَهَ لَمْ أَرْ غَيْرَهُ وَكَذَلِكَ الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعٌ
مُذْ تَجَمُّعْتُ مَا خَشِيتُ افْتِرَاقَهُ فَأَنَا الْيَوْمَ وَاصِلٌ مَجْمُوعٌ
وَيَقُولُ أَيْضاً:

لَوْ كُنْتُ أَنْ أَرَى غَيْرَهُ لَمْ أَسْتَطِعْ. فَإِنَّهُ لَا غَيْرَ مَعَهُ حَتَّى أَشْهَدَهُ فَمَشْهُدُ الْبَصَرِ
وَالْبَصِيرَةِ ضِدَّانِ. يَحْجُبُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ. فَمَنْ وَقَفَ مَعَ الْمَحْسُوسَاتِ الَّتِي هِيَ
مَشْهُدُ الْبَصَرِ. وَاشْتَغَلَ بِجَسَدِيَّتِهَا. وَاعْتَزَّ بِزُخْرُفِهَا، حُجِبَ عَنِ الْمَعَانِي اللَّطِيفَةِ؛ الَّتِي
هِيَ مَشْهُدُ الْبَصِيرَةِ وَصَارَ مَحْجُوباً عَنِ اللَّهِ. وَاقْفَا مَعَ الْقِشْرِ الظَّاهِرِ. لَمْ يَنْفِذْ إِلَى
اللَّبِّ الْبَاطِنِ. قَالَ فِي الْحِكْمِ: الْأَكْوَانُ ظَاهِرًا غَرَةً. وَبَاطِنًا عِبْرَةً. فَالْنَفْسُ تَنْظُرُ
إِلَى ظَاهِرِ غَرَّتِهَا. وَالْقَلْبُ يَنْظُرُ إِلَى بَاطِنِ عِبْرَتِهَا هـ. وَقِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَنْ
أُولِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. فَقَالَ: «الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ
الدُّنْيَا، حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا وَاهْتَمَّوْا بِأَجَلِ الدُّنْيَا. حِينَ اهْتَمَّ النَّاسُ
بِعَاجِلِهَا. فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشَوْا أَنْ يَمِيتَهُمْ. وَتَرَكَوْا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّ سَيِّئَتُكَهُمْ. فَمَا

(1) ش: شرح سيدي أحمد بنعجية له. توضيح من المصحح.

عَارِضِهِمْ مِنْ نَائِلِهَا عَارِضٌ إِلَّا رَفُضُوهُ. وَلَا خَادِعُهُمْ مِنْ رَفَعْتِهَا خَادِعٌ إِلَّا وَضَعُوهُ. خلقت الدنيا في قلوبهم فما يُجَدِّدُونَهَا. وخربت بيوتهم فما يُعَمِّرُونَهَا. وماتت في صدورهم فما يُخَيِّوْنَهَا. بل يُهَدِّمُونَهَا، فينبون بها آخِرَتَهُمْ. ويبيعونها فيشترون بها ما يَبْقَى لَهُمْ. نَظَرُوا إِلَى أَهْلِهَا صَرَخَى قَدْ خَلَّتْ بِهِمِ الْمَثَلَاتُ. فَمَا يَرَوْنَ أَمَانًا دُونَ مَا يَرْجُونَ، وَلَا خَوْفًا دُونَ مَا يَجِدُونَ هـ. ويحتمل أن يريد بعَيْنِ النَّظَرِ محلَّهُ أَوْ ذَاتَهُ. فيكون الْمَعْنَى جَيِّدًا: صَحَّ عِنْدِي الْخَبَرُ. إِنَّ مَحَلَّ النَّظَرِ، هو محلَّ الفكر؛ وذلك لِاتِّحَادِهِمَا عِنْدَ الْعَارِفِ؛ لِأَنَّ مَا كَانَ غَيْبًا يُدْرِكُ بِالْفِكْرِ، صَارَ عِنْدَهُ شَهَادَةً يُدْرِكُ بِالنَّظَرِ. فَصَارَ عَيْنُ النَّظَرِ. هُوَ عَيْنُ الْفِكْرِ. وعَيْنُ الْفِكْرِ هو عَيْنُ النَّظَرِ؛ لِأَنَّ الْبَصِيرَةَ إِذَا فَتَحَتْ، اسْتَوْلَتْ عَلَى الْبَصَرِ فَاتَّحَدَ مَذْرُكُهُمَا. وأما غَيْرُ الْعَارِفِ، ففكرته في المعاني الغيبية، ونظرة في الأشياء الحسية. قال في الْحَكَمِ: الْفِكْرَةُ فِكْرَتَانِ: فِكْرَةُ تَصْدِيقٍ وَإِيمَانٍ. وَفِكْرَةُ شَهُودٍ وَعَيَانٍ فَالْأُولَى لِأَزْيَابِ التَّصْدِيقِ وَالْآخِرَةُ لِلْإِيمَانِ. وَالْأَزْيَابُ الشُّهُودِ وَالْإِسْتِنْبَاطِ. هـ. والحاصل أنه كلما يغمضُ بصره عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْحَسِّيَّاتِ الْفَانِيَةِ، تُشْرِقُ عَلَيْهِ أَنْوَارُ الْمَعَانِي الْبَاقِيَةِ. وإليه أشار بقوله: اغمض طرفك، ترى وتلوح أسرارك. أي اغمض طرفك عن المحسوسات الحادثة الفانية، ترى المعاني القديمة الباقية. اغمض طرفك مِنْ وَجُودِكَ الْوَهْمِيِّ تَلُوحُ أَسْرَارُكَ الْحَقِيقِيَةِ الْأَزْلِيَّةِ؛ وَهِيَ الْعِلْمُ الْوَهْبِيُّ فَالْحَسْرُ فِي الْحَقِيقَةِ عَيْنُ الْمَعْنَى. لكنه رداء وحجاب للمعاني. فَإِذَا تَنَحَّى رِذَاءُ الصُّوْنِ عَنِ الْكَوْنِ. أَشْرَقَتْ أَنْوَارُ الْقِدَمِ، عَلَى صَفَحَاتِ الْعَدَمِ. فَتَلَأَسَى الْحَادِثُ، وَبَقِيَ الْقَدِيمُ. وَقَدْ أَشْرَزَتْ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي عَيْنَيْهِ فَقُلْتُ:

تَنَحَّى رِذَاءُ الصُّوْنِ عَنِ كَوْنِ رَبِّنَا فَصِرْنَا إِلَى نُورِ الْحَبِيبِ نُسَارِعُ
فَقَالَ لَنَا أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فَهَذَا جَمَالِي حَقًّا فِيهِ تَمَثَّلُ
أَوْ نَقُولُ الْمَحْسُوسَاتِ أَوَانِي، حَامِلَةٌ لِلْمَعَانِي، فَإِذَا تَكَسَّرَتِ الْأَوَانِي، سَقَطَتْ الْمَعَانِي، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ النَّازِمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا تَنْظُرْ إِلَى الْأَوَانِي وَخُضْ بِخَرِّ الْمَعَانِي لَعَلَّكَ تَرَانِي.

وَأَكْبَرُ الْمُحْجَبِ: النَّظَرُ إِلَى ظَاهِرِ الْخَلْقِ. وَالْغَيْبَةُ عَنِ الْمَلِكِ الْحَقِّ. وَالْإِغْتِرَابُ بِمَا هُمْ فِيهِ. وَالْخَوْضُ مَعَهُمْ فِي جِسْمِهِمُ الَّذِي هُوَ لَعِبٌ وَلَهْوٌ. فَمَنْ فَنَى عَنْهُمْ، وَغَابَ عَنِ جِسْمِهِمْ، لَاحَتْ لَهُ أَنْوَارٌ. وَظَهَرَتْ لَهُ أَسْرَارٌ وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: وَافَقَ عَنِ الْوَرَى، تَبْدُو لَكَ أَخْبَارُكَ. أَيِ افْقَ عَنْ رُؤْيَا الْوَرَى؛ بِعَيْنِ الْفَرْقِ. تَبْدُو لَكَ

أَخْبَارُكَ أَيَّ عُلُومِكَ، حَتَّى تَرَاهُمْ بَعَيْنَ الْجَمْعِ. وَفِي هَذَا الْمَعْنَى، قَالَ شَيْخُ شَيْوَحْنَا الْمَجْدُوبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْخَلْقُ نَوَازٍ وَأَنَا زَعِثٌ فِيهِمْ هُمُ الْحُجُبُ الْأَكْبَرُ. وَالْمَدْخَلُ فِيهِمْ هُمُ الْحُجُبُ الْأَكْبَرُ لِمَنْ وَقَفَ مَعَ ظَاهِرِهِمْ. وَالْمَدْخَلُ فِيهِمْ، لِمَنْ نَفَّذَ إِلَى شُهُودِ خَالِقِهِمْ فِي ظَاهِرِهِمْ. قَالَ فِي لَطَائِفِ الْمِنَّنِ: فَمَا نُصِيبَتِ الْكَائِنَاتُ لَتَرَاهَا، وَلَكِنْ لَتَرَى فِيهَا مَوْلَاهَا. فَمُرَادُ الْحَقِّ مِنْكَ. أَنْ تَرَاهَا بِعَيْنٍ مَنْ لَا يَرَاهَا. تَرَاهَا مِنْ حَيْثُ ظُهُورُهُ فِيهَا. وَلَا تَرَاهَا مِنْ حَيْثُ كَوْنِيَّتِهَا. قَالَ: وَلَنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى: مَا أَثْبَتَ لَكَ الْمَعَالِمَ إِلَّا لَتَرَاهَا بِعَيْنٍ مَنْ لَا يَرَاهَا.

فَارَقَ عَنْهَا رُفَى مَنْ لَيْسَ يَرْضَى حَالَةَ دُونَ أَنْ يَرَى مَوْلَاهَا هـ. قَالَ النَّاطِرُ لِلْكَائِنَاتِ غَيْرَ شَاهِدٍ لِلْحَقِّ فِيهَا، غَافِلٌ. وَالْقَائِي عَنْهَا عَبْدٌ بِسَطَوَاتِ الشُّهُودِ ذَاهِلٌ. وَالشَّاهِدُ لِلْحَقِّ فِيهَا عَبْدٌ مَخْصَصٌ كَامِلٌ. وَإِنَّمَا تُزْفَعُ الْهِمَّةُ عَنِ الْكُؤُوبِ مِنْ حَيْثُ كَوْنِيَّتُهُ، لَا مِنْ حَيْثُ ظُهُورُ الْحَقِّ فِيهِ فَاغْضَاءُ الزُّهَادِ وَالْعُبَادِ وَأَهْلُ الْإِرَادَةِ، عَنِ الْكُؤُوبِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا ظُهُورَ الْحَقِّ فِيهِ. وَذَلِكَ لِغَدَمِ نُفُوذِهِمْ إِلَيْهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَا لِعَدَمِ ظُهُورِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ. فَإِنَّهُ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ. حَتَّى إِنَّهُ ظَهَرَ فِيمَا بِهِ اخْتَجَبَ بِلَا حِجَابٍ هـ.

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي بَعْضِ كُتُبِ اللَّهِ. الْمَنْزِلَةُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ: «مَنْ أَطَاعَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ، يَهْجُرَانِي لِكُلِّ شَيْءٍ أَطَعْتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. بِأَنْ أَتَجَلَّى لَهُ دُونَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى يَرَانِي أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ». قَالَ: وَهَذِهِ طَرِيقُ أُولَى. وَهِيَ طَرِيقُ السَّالِكِينَ. وَطَرِيقُ أُخْرَى كُنْزِي: مَنْ أَطَاعَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ، بِإِقْبَالِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. لِحَسَنِ إِزَادَةِ مَوْلَاهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. أَطَعْتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. بِأَنْ أَتَجَلَّى لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى يَرَانِي كَأَنِّي كُلِّ شَيْءٍ هـ. قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ فِي لَطَائِفِهِ: وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّهُمَا وَلِيَّانِ. وَلِيٌّ يَفْقَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. فَلَا يَشْهَدُ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا. وَلِيٌّ يَفْقَى فِي كُلِّ شَيْءٍ. فَيَشْهَدُ اللَّهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَهَذَا أَتَمُّ: لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُظْهِرِ الْمَمْلُوكَةَ إِلَّا حَتَّى يُشْهَدَ فِيهَا. فَالْكَائِنَاتُ مِرَاةُ الصِّفَاتِ. فَمَنْ غَابَ عَنِ الْكُؤُوبِ، غَابَ عَنِ شُهُودِ الْحَقِّ فِيهِ هـ. وَقَالَ فِي الْحُكْمِ: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ رَأَى فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَمَنْ فُقِيَ فِيهِ، غَابَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَمَنْ أَحْبَبَهُ، آثَرَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ هـ.

وَفِي بَعْضِ الْأَثَرِ: «مَا رَأَيْتُ شَيْئًا، إِلَّا رَأَيْتُ اللَّهَ فِيهِ». وَلَا تَخْصُلُ هَذِهِ الرُّؤْيَا إِلَّا لِمَنْ صَقَلَتْ مِرَاةَ قَلْبِهِ. وَتَطَهَّرَتْ مِنَ الْأَغْيَارِ وَحِينَئِذٍ تَتَجَلَّى فِيهِ الْحَقَائِقُ وَالْأَسْرَارُ وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ بِقَوْلِهِ:

(ص) وَيَصْقِلِ الْمِرْآةَ... بِهِ تَزُولُ أَغْيَارُكَ... وَتُلَوِّخُ لَكَ أَسْرَارُ...
مِنْ أَغْيُونِكَ تَسْرِي... وَالتَّيْتُتُ إِنَّ ظَهَرَ... فِي سَمَاكَ الدَّرِّي.

(ش) قلت: المِرْآةُ بِكَسْرِ الميم، هي المِرْآةُ التي تنطبعُ فيها الأشياءُ عِنْدَ مُقَابَلَتِهَا، إِذَا صُقِلَتْ مِنَ الصَّدَا. وَكَذَلِكَ عَيْنُ البصيرة؛ وهي عَيْنُ الْفِكْرِ أَوْ عَيْنُ الْقَلْبِ، مِثْلُ الْمِرْآةِ كُلَّمَا اشْتَدَّ صَقْلُهَا وَصَفَاؤُهَا. اشْتَدَّ ظُهُورُ الْأَنْوَارِ فِيهَا. وَصَقْلُهَا يَكُونُ بِذِكْرِ اللَّهِ بِالْحُضُورِ وَانْجِمَاعِ الْقَلْبِ. وَالتَّفَرُّغُ مِنَ الْاشْتِغَالِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «لِكُلِّ شَيْءٍ مِضْقَلَةٌ. وَمِضْقَلَةُ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللَّهِ، وَقَالَ (ص) أَيْضاً: «إِنَّ الْقُلُوبَ تُضْدِي كَمَا يَضْدِي الْحَدِيدُ. وَإِنِ الْإِيمَانَ يَخْلُقُ كَمَا يَخْلُقُ الثُّوبُ الْجَدِيدُ». أَيْ يَنْتَلِي كَمَا يَنْتَلِي الثُّوبُ. فَلِذَا صُقِلَ الْقَلْبُ مِنَ الْأَغْيَارِ أَشْرَقَتْ فِيهِ شَمُوسُ الْمَعَارِفِ وَالْأَنْوَارِ. فَرِغَ قَلْبِكَ مِنَ الْأَغْيَارِ. يُمَلَأُ بِالْمَعَارِفِ وَالْأَسْرَارِ قَاسِرَارِ الذَّاتِ الْعَالِيَةِ. وَأَنْوَارِ الصِّفَاتِ الْأَزَلِيَّةِ، ظَاهِرَةِ بَادِيَةِ. وَمَا مَنَعَ الْقُلُوبَ أَنْ تَشْهَدَ إِلَّا أَنْطِبَاعَ صُورِ الْأَكْوَانِ فِي مِرْآةِهَا. فَتَظَلَمَتِ الْقُلُوبُ بِالْأَكْثَارِ. وَفِي الْحَكَمِ كَيْفَ يَشْرِقُ قَلْبُ صُورِ الْأَكْوَانِ مُنْطَبِعَةً فِي مِرْآةِهِ. أَمْ كَيْفَ يَرْحَلُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُكَبَّلٌ بِشَهَوَاتِهِ أَمْ كَيْفَ يَطْمَعُ أَنْ يَدْخُلَ حَضْرَةَ اللَّهِ؛ وَهُوَ لَمْ يَتَطَهَّرْ مِنْ جَنَابَةِ غَفْلَاتِهِ. أَمْ كَيْفَ يَقْهَمُ دَقَائِقَ الْأَسْرَارِ؛ وَهُوَ لَمْ يَتَبَّ مِنْ هَفَوَاتِهِ هـ. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

إِنْ تَلَأَسَى الْكَوْنُ عَنْ عَيْنِ قَلْبِي شَاهَدْتُ غَيْبَهُ فِي بَيَانِي
فَاطْرَحَ الْكَوْنُ عَنْ عَيْنِكَ وَامْجِ ثُقْطَةُ الْغَيْبِ إِنْ أَرَدْتُ تَرَانِي

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ النَّازِمِ: وَبِصْقِلِ الْمِرْآةِ - أَيْ مِرْآةِ - الْقَلْبِ بِهِ تَزُولُ أَغْيَارُكَ. أَيْ بِذَلِكَ الصَّقْلِ يَزُولُ أَغْيَارُكَ. أَيْ مَا يُغَيِّرُ قَلْبَكَ عَنْ الشُّهُودِ. وَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رُؤْيَا الْمَلِكِ الْمَعْبُودِ. جَمْعُ غَيْرِ بَكْسَرِ الْغَيْبِ، وَغَيْرِ بَفَتْحِهَا وَهُوَ مَا سِوَى الْحَقِّ. وَإِذَا زَالَتْ عَنِ الْقَلْبِ الْأَغْيَارُ. أَشْرَقَتْ فِيهِ الْأَنْوَارُ وَالْأَسْرَارُ. أَغْنَى أَنْوَارُ الصِّفَاتِ، وَأَسْرَارِ الذَّاتِ. فَتَرَى الْوُجُودَ كُلَّهُ نَوْرًا مُتَصِلًا بِأَنْوَارِ الْجَبَرُوتِ. هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ. وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ. وَلَا يَذُوقُ هَذَا إِلَّا مَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِصَحْبَةِ شَيْخٍ كَامِلٍ يَأْقِيهِ مِنْ ظُلْمَةِ عَالَمِ الْأَشْبَاحِ. إِلَى أَسْرَارِ الْجَبَرُوتِ. وَإِلَّا فَالْعَالِبُ عَلَيْهِ احْتِجَابُهُ بِظُلْمَةِ الْأَغْيَارِ. أَوْ وَقُوفُهُ مَعَ الْأَنْوَارِ. وَفِي الْحَكَمِ: رَبُّمَا وَقَفَتِ الْقُلُوبُ مَعَ الْأَنْوَارِ، كَمَا حَبَّبَتِ الثُّقُوسُ بِكَثَائِفِ الْأَغْيَارِ وَقَالَ النَّازِمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي نُونِيته:

تَقَيَّدْتُ بِالْأَوْهَامِ لَمَّا تَدَاخَلْتُ عَلَيْكَ وَتَوَرَّعْتُ الْعَقْلَ أَوْزَعْتَ السُّجُنَا

وَهَمَّتْ بِأَنْوَارِ فَهْمِنَا أَصُولَهَا وَمَنْبَعَهَا مِنْ أَيْنَ كَانَ فَمَا هَمُّنَا
وَقَدْ تَحْجُبُ الْأَنْوَارُ لِلْعَبْدِ مِثْلَ مَا تَبْعَدُ مِنْ أَظْلَامِ نَفْسٍ حَوَتْ ضِغْنًا
والله تعالى أعلم.

وقوله: وتلوح لك الأسرار، معطوفة على نزول. أي ويسبب صفلي مرآة قلبك، نزول عنك الأغيار. وتلوح لك الأسرار؛ وهي أسرار الذات. مُرتدية بأنوار الصفات. أو تقول تلوح لك أسرار الملكوت. فائضة من بخار الجبروت، جارية بالقدرة. مُرتدية بحجاب الحكمة؛ التي مدارها على عالم الملك. فالملك ما ظهر من التجليات. والملكوت ما بطن من أسرار الذات. والجبروت. ما سبق قبل التجليات. فإذا ضمت الفروع إلى الأصول، صار الجميع جبروتاً ولأهوتاً؛ وهذه الأسرار مجموعة فيك أيها الإنسان. فظاهرُك مُلكٌ. وباطنُك ملكوت. فإذا تَلَطَّفْتَ عَوَالِمُك، وفنيت دائرة حسك، صرْتَ جبروتاً. فتكون تلك الأسرار تُسري منك إليك. وهذا معنى قوله: من عيونك تُسري. أي تُسري إليك من عيني وجودك والجمع للتعظيم. وهذا كقوله في بعض أشعاره: مِنِّي عَلَيَّ دَارَتْ كُؤُوسِي. وكقوله أيضاً:

يَا قَاصِدَ عَيْنِ الْخَبَرِ غِطَاهُ أَتَيْنَاكَ
الْخَبِيرُ مِنْكَ وَالْخَبِيرُ وَالشُّرُّ عَنَّاكَ
ارْجِعْ لِدَاثِكَ وَاعْتَبِرْ مَائِثَمَ غَيْنِ رُكْ
وكقول صاحب العينية:

نَفْسُكَ تَخْوِي بِالْحَقِيقَةِ كُلَّهَا
أَشْرْتُ بِجِدِّ الْقَوْلِ مَا أَنَا خَادِعُ

وقوله: والتفت إن ظهر في سما قلبك... الخ أي التفت إلى الوجود تجده ظاهراً في سما قلبك الصافي كالذر؛ لأن القلب إذا صفاً، اتسعَت دائرة شهوده، فانطبع فيه الوجود بأشربه من عرشه إلى فرشه. وصار فيك كنقطة من بحر ولذلك قال بعضهم:

لَوْ كَانَ الْعَرْشُ فِي زَاوِيَةِ قَلْبِ الْعَارِفِ. مَا أَحْسَنَ بِهِ. وقال آخر:
العرش والكرسي مُتَدَقَّانِ فِي تَرْسِي. وقال صاحب المباحث:

الْيَسَّ فِيكَ الْغَرَضُ وَالْكَرْسِيُّ... وَالْعَالَمُ الْغُلُوبِيُّ وَالسُّفْلِيُّ... مَا الْكَوْنُ إِلَّا
رَجُلٌ كَبِيرٌ... وَأَنْتَ كَوْنٌ مِثْلُهُ صَغِيرٌ. قُلْتُ؛ كَوْنُ الْكَوْنِ رَجُلًا كَبِيرًا وَالْإِنْسَانُ
كَوْنًا صَغِيرًا. مَحَلَّهُ مَا لَمْ يَصِرْ عَارِفًا بِاللَّهِ. وَأَمَّا إِذَا كَانَ عَارِفًا؛ فَهُوَ رَجُلٌ كَبِيرٌ،
وَالْكَوْنُ رَجُلٌ صَغِيرٌ لَا تَسَاعُ دَائِرَةُ شَهِيدِهِ. فَتَسْرَحُ فِكْرَتُهُ. حَتَّى تَسْتَوِلِيَ عَلَى الْوُجُودِ
بِأَسْرِهِ. وَمِمَّا يُنْسَبُ لِأَبِي عَبَّاسٍ الْمُرْسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يَا ثَانَهَا فِي مَهْمِهِ عَنْ سِرِّهِ انْظُرْ تَجِدُ فِيكَ الْوُجُودَ بِأَسْرِهِ
أَنْتَ الْكَمَالُ طَرِيقُهُ وَحَقِيقَةُ يَا جَامِعًا سِرَّ الْإِلَهِ بِأَسْرِهِ
وَقَالَ النَّازِمُ أَيْضًا فِي بَعْضِ أَشْعَارِهِ

وَأَنْتَ مَرَّالٌ لَطِيفٌ قُطِبُ الزَّمَانِي...
وَفِيكَ يَطْوِي مَا انْتَشَرَ مِنْ الْأَوَانِي

وَقَالَ أَيْضًا فِي بَعْضِ أَزْجَالِهِ: إِذَا رَأَيْتَ الْوُجُودَ قَدْ لَاحَ فِي ذَاتِكَ كَذَا وَلَازِمَ
الْجُحُودِ ذَلِكَ صِفَاتُكَ وَاضْرِبْ بِتَرْمِيكِ الْعُقُودِ. وَأَلْقِ عَصَاتِكَ. وَأَشَارَ إِلَى هَذَا
الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ:

(ص): الْفُلُكُ فِيكَ يَدُورُ وَيُضِيءُ وَيَلْمَعُ... وَالشُّمُوسُ وَالْبُدُورُ... فِيكَ
تَغِيْبُ وَتُظْلَعُ... فَاقْرَأْ مَعْنَى السُّطُورِ... الَّتِي فِيكَ اجْمَعُ... لَا تُغَادِرُ سِطْرَ مَنْ
سُطُورِكَ وَادْرِبِي... أَشْرُهُ مَعْنَى الْقَمَرِ... الَّذِي فِيكَ يَسْرِي.

(ش): قُلْتُ: الْفُلُكُ شَيْءٌ مُسْتَدِيرٌ بِكُرَةِ الْأَرْضِ عِنْدَ أَهْلِ التَّنْجِيمِ؛ وَهُوَ عِنْدَهُمْ
مُتَعَدِّدٌ إِلَى تِسْعَةِ أَفْلَاقٍ. وَهَلْ هِيَ السَّمَاوَاتُ أَوْ غَيْرُهَا قَوْلَانِ عِنْدَهُمْ. فَيَحْتَمِلُ أَنْ
يُرِيدَ بِهِ الْحَسِّي؛ لِأَنَّ الْعَارِفَ اتَّسَعَ عَلَيْهِ الْفَضَاءُ؛ فَلَا يَخْصُرُهُ الْكَوْنُ؛ لِأَنَّ رُوحَانِيَّتَهُ
اسْتَوَلَتْ عَلَى الْوُجُودِ بِأَسْرِهِ. مِنْ غَرَضِهِ إِلَى فَرْشِهِ. فَالْأَفْلَاقُ تَدُورُ فِي جَوْفِهِ،
بِشَّمْسِهَا وَقَمَرِهَا وَنُجُومِهَا؛ فَهِيَ تَغِيْبُ وَتُظْلَعُ فِي وَسْطِ رُوحَانِيَّتِهِ. وَتُضِيءُ وَتَلْمَعُ
فِي عَيْنِ فِكْرَتِهِ. هَذَا بِإِغْتِبَارِ الرُّوحَانِيَّةِ. وَأَمَّا بِإِغْتِبَارِ الْبَشَرِيَّةِ؛ فَهِيَ مَخْصُورَةٌ
بِالْأَفْئِدَةِ دَائِرَةِ عَلَانِيَتِهَا. قَالَ فِي الْحِكْمِ: وَسِعَكَ الْكَوْنُ مِنْ حَيْثُ جُثْمَانِيَّتُكَ، وَلَمْ
يَسْغَكَ مِنْ حَيْثُ ثُبُوتِ رُوحَانِيَّتِكَ. وَلَا يَفْهَمُ هَذَا إِلَّا مَنْ غَلَبَتْ رُوحَانِيَّتُهُ عَلَى
بَشَرِيَّتِهِ. وَفِي الْحِكْمِ أَيْضًا: الْكَائِنُ فِي الْكَوْنِ؛ وَلَمْ يَفْتَحْ لَهُ مَيَادِينُ الْغُيُوبِ،
مَسْجُونٌ بِمُحِيطَاتِهِ. مَخْصُورٌ فِي هَيْكَلِ ذَاتِهِ هـ. فَيَكُونُ حِينَئِذٍ مِنْ أَهْلِ الدَّلِيلِ
وَالْبُرْهَانِ، يَسْتَدِلُّ بِوُجُودِهِ عَلَى وُجُودِ خَالِقِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ أَفْشَرْنَا أَفْلا

يُصِرُّونَ». وَإِلَى هَذَا الْقِسْمِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: فَأَقْرَأْ مَعْنَى السُّطُورِ الَّتِي فِيكَ أَجْمَعِ. وَهُوَ مَا سَطَّرَتْهُ الْقُدْرَةُ فِي ظَاهِرِ الْبَشَرِيَّةِ، مِنْ تَسْوِيَةِ الْأَعْضَاءِ، وَحُسْنِ التَّقْوِيمِ. فَقَدْ انْطَوَى فِي هَذِهِ الْبَشَرِيَّةِ الْجَسَنِيَّةِ مَا وَجَدَ فِي الْوُجُودِ الْجَسَنِيِّ، مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الْفَرَشِ. وَالرَّأْسِ كَالْعَرْشِ. وَالصُّدْرُ كَالْكُرْسِيِّ وَالْأَمْعَاءُ كَالْأَفْلَاقِ. وَالْعِظَامُ كَالْجِبَالِ. وَاللَّحْمُ كَالْتُرَابِ. وَالشَّعْرُ كَالشَّجَرِ. وَالْقَمَلُ كَالدُّوَابِّ. وَالْعُرُوقُ الَّتِي تَجْرِي فِيهَا الدَّمُ، كَالْعُيُونِ وَالْأَنْهَارِ. فَسُبْحَانَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ. فَتَحْصُلُ مِنْ هَذَا أَنَّ الرُّوحَ إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِا، وَرَجَعَتْ إِلَى أَصْلِهَا، اسْتَوَلَّتْ عَلَى الْوُجُودِ بِأَسْرِهِ. فَتَكُونُ الْأَفْلَاقُ تَدُورُ فِي بَاطِنِهَا. وَإِلَيْهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ:

الْفَلَكَ فِيكَ يَدُورُ إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ. وَإِنْ لَمْ يَفْتَحْ عَلَيْهَا، وَبَقِيَتْ مَحْصُورَةً فِي هَيْكَلِ ذَاتِهَا اسْتَدَلَّتْ بِحُسْنِ صُورَتِهَا عَلَى وُجُودِ خَالِقِهَا. كَمَا يَسْتَدِلُّ الْقَارِئُ بِالرُّسُومِ عَلَى الْمَعَانِي وَالْفُهُومِ. وَإِلَيْهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: فَأَقْرَأْ السُّطُورَ، الَّتِي فِيكَ أَجْمَعِ لَا تَغَادِرُ... أَي لَا تَتْرَكَ سَطْرًا وَاحِدًا مِنْ سَطُورِكَ الَّتِي سَطَّرَتْهَا فِيكَ الْقُدْرَةُ الْأَزَلِيَّةُ. وَالْحِكْمَةُ الْبَاقِيَّةُ. وَآذِرْ حِينَئِذٍ مَعْنَى قَمَرِ التَّوْحِيدِ؛ الَّذِي نُورُهُ يَسْرِي فِي قَلْبِكَ. فَتَهْتَدِي بِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ رَبِّكَ. فَإِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ بِصُحْبَةِ عَارِفٍ. أَخْرَجَكَ مِنْ سَجَنِ نَفْسِكَ إِلَى قَضَاءِ شُهُودِ رَبِّكَ. فَتَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ؛ الَّذِينَ تَدُورُ الْأَفْلَاقُ فِي وَسْطِ رُوحَانِيَّتِهِمْ، وَتَطْلُعُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ، وَتَغِيبُ فِي جَوْفِ فِكْرَتِهِمْ. فَبَدَأَ النَّاطِقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْقِسْمِ الْعَالِيِّ. ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْقِسْمِ الْأَسْفَلِ، مِنْ بَابِ التَّدَلِّيِ. كَقَوْلِهِ ﷺ فِي تَفْسِيرِ الْإِحْسَانِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ. فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». فَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَى. فَكُنْ مِمَّنْ يَعْْبُدُ كَأَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ، عَلَى أَحَدِ التَّفَاسِيرِ. وَعِنْدَ أَهْلِ الْإِشَارَةِ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ، فَحِينَئِذٍ تَرَاهُ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِالْفَلَكَ فَلَكَ الْحَقِيقَةُ؛ وَهِيَ الْأَنْوَارُ الْمَحِيطَاتُ بِالْأَغْيَارِ الْمَاحِيَةِ لِلْأَنْوَارِ. قَالَ فِي الْحِكْمِ: مَحَقَّتْ الْأَنْوَارُ بِالْأَنْوَارِ. وَمَحَوَتْ الْأَنْوَارَ بِمَحِيطَاتِ أَفْلَاقِ الْأَنْوَارِ. هـ. فَالْأَنْوَارُ الَّتِي مَحَقَّتْ بِالْأَنْوَارِ؛ هِيَ الْأَكْوَانُ الَّتِي اخْتَوَى عَلَيْهَا الْعَرْشُ. فَإِنَّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، كَمَحَلَّةٍ فِي فَلَاةٍ. فَقَدْ مَحَقَّتْ فِي جَانِبِ الْعَرْشِ وَاضْمَحَلَّتْ. وَلِلْأَنْوَارِ الَّتِي مَحَبَّتْ بِمَحِيطَاتِ أَفْلَاقِ الْأَنْوَارِ؛ هِيَ الْعَرْشُ وَمَا اخْتَوَى عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ لَا وَجُودَ لَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَفْلَاقِ الْأَنْوَارِ الْأَزَلِيَّةِ الْمَحِيطَةِ بِهِ. فَقَدْ مَحَقَّتْهُ وَأَفْنَتْ وَجُودَهُ. وَلِذَلِكَ قِيلَ: حَقِيقَةُ الْفَنَاءِ عِنْدَ الصُّوفِيَةِ هُوَ مَخَوٌ وَاضْمَحْلَالٌ وَذَهَابٌ عِنْدَكَ وَزَوَالٌ هـ. أَيُّ يَقْنَى مَا لَمْ يَكُنْ، وَيَبْقَى مَا لَمْ يَزَلْ. وَالْمُرَادُ بِالشَّمُوسِ حِينَئِذٍ شَمْسُوسُ الْمَعَارِفِ. وَبِالْبُدُورِ بُدُورُ التَّوْحِيدِ الذَّاتِيِّ وَالصِّفَاتِيِّ وَالْفِعْلِيِّ. فَإِذَا غَابَتْ

شموس المعارف، أغني الأذواق. أشرقت عليهم بدور التوحيد، ونجوم العلم. فإذا أردت أن تترقى إلى هذا المقام. فاقراً معنى السطور التي سطرتها القدرة في ظاهري بشريتك. حتى تتمشق إلى صانعك، فإذا رأى تعطشك رزقك من يأخذ بيدك إلى أن يوصلك إلى شهوده. فتكون من هذا الطريق الأعلى؛ الذي تدور الأفلاك في وسط قلوبهم، وتشرق شمس المعارف على روحانيتهم، فتكون من المقرين مع النبيين والصديقين. وحسن أولئك رفيقاً. والحمد لله رب العالمين. جعلنا الله منكم وخسراً معهم آمين بيمينه وكرمه، ويسئداً محمد نبيه. ثم قال رضي الله عنه:

بخر فكري عميق... ربح منك يغبق... من دخلوا حقيق... لا ش يخاف أن يفرق... يذري هذا الطريق... من كان عبد الحق.

يقول رضي الله عنه: بخر فكري عميق. أي لا قعر له ولا حد ينتهي إليه؛ لأن الفكرة إذا تسرحت تبع المعاني. ومعاني الربوبية لا نهاية لأوليئها ولا آخريتها. هو الأول والآخر والظاهر والباطن. ولهذا المعنى أشار ابن الفارض في خمريته بقوله:

فلا قبلها قبل ولا بعدها بعد وقبلي الأبعد هي لها ختم

فإذا سبحت الفكرة في بحر عظمه الأزلية وجدته لا ساحل له. وإذا سبحت في بحر عظمه الأخدية. وجدته لا ساحل له. وكذلك بحر الفوقية والثخنية. لا حد له ولا نهاية، لا تحيط به الأفكار. ولا تذكره الأبصار. ولا تكتفه العقول. فالعارفون يعمون بسفن أفكارهم في بحر العظمه الأزلية والأبدية. فإذا خافوا من العرق رجعوا إلى عش العبودية. فأقروا بالعجز وتأذّبوا بين يدي الربوبية. روي أن ملكاً استأذن ربه أن يطير إلى سماء العظمه العلوية. فطار ثلاثين ألف سنة. فقال يا رب أين أنت؟ فقال له: أنا معك. ثم طار كذلك، فقال يا رب. أين أنت؟ فقال له: أنا معك. فقال: سبحانك. ما أعظم شأنك! فطلب من الحق تعالى أن يرده إلى موضعه فرجع إلى عبوديته. وكذلك فكرة العارفين، تعم في بحر العظمه الأزلية والأبدية. والفوقية والثخنية. فلا تجد له ساحلاً ينتهي إليه. فترجع إلى عش العبودية والعجز. فتقول حينئذ العجز عن الإدراك إدراك.

وقوله: ربح منك يغبق: يعني أن من دخل بحر الفكرة، وعام فيه، هب عليه نسيم الوصال. وريحان الجمال. حتى يلج به جنان الكمال، فيسكن في روح وريحان وجنة نعيم. وقوله: من دخلوا حقيق... الخ أي من دخل هذا البحر مع رئيس عارف

كالشيخ النّاظم وأمثاله، لَا يَخَافُ أَنْ يَغْرُقَ؛ لِأَنَّ الرَّئِيسَ عَارِفٌ بِأَهْوَالِ الْبَحْرِ، كَلِمَا هَاجَتْ عَلَيْهِمْ عَوَاصِفُ الرِّيحِ آوَى بِهِمْ إِلَى سَفِينَةِ السَّنَةِ الْمَحْمُودَةِ: وَهِيَ مَضْمُونَةٌ مِنَ الْغُرُقِ، كَسَفِينَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقَوْلُهُ: لَا شَيْءَ يَخَافُ. يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الشَّيْنُ زَائِدًا. أَيْ حَقِيقٌ بِأَنْ يُقَالَ فِي حَقِّهِ: لَا شَيْءَ يَخَافُ أَنْ يَغْرُقَ؛ وَهُوَ مَأْمُونٌ إِنْ آوَى إِلَى سَفِينَةِ النِّجَاةِ. وَقَوْلُهُ: يَنْذِرِي هَذَا الطَّرِيقَ... الْخَ يَغْنِي أَنْ طَرِيقَ اسْتِعْمَالِ الْفِكْرَةِ وَدُخُولِ بَحْرِهَا يَعْرِفُهَا مَنْ كَانَ عَبْدًا لِلَّهِ حَقِيقَةً خُرًّا مِمَّا سِوَاهُ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ عَبْدًا لِنَفْسِهِ وَهَوَاهُ. فَهُوَ ضَالٌّ فِي عِلْمِهِ. جَاهِلٌ بِحُكْمِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمِهِ﴾... الْآيَةُ. فَإِنْ تَبَحَّرَ أَوْ دَخَلَ الْبَحْرَ وَخَذَهُ، هَاجَتْ عَلَيْهِ الرِّيَاحُ. وَتَلَاطَمَتْ عَلَيْهِمُ الْأَمْوَاجُ. فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ فِي بَحْرِ الزُّنْدَقَةِ وَالْكَفْرِ. وَفِي قَوْلِهِ: عَبْدُ الْحَقِّ: إِشَارَةٌ لَطِيفَةٌ إِلَى تَقْطِيعِ شَيْخِهِ: عَبْدُ الْحَقِّ بْنِ سَبْعِينَ أَيْ يَنْذِرِي هَذَا الطَّرِيقَ، مَنْ كَانَ مِثْلَ عَبْدِ الْحَقِّ. فِي مَعْرِفَتِهِ وَتَحْقِيقِهِ. وَإِنْ كَانَتْ الْقَصِيدَةُ لَشَيْخِهِ، فَيَكُونُ أَشَارَ إِلَى أَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ، لَا يَنْذِرُهَا إِلَّا مَنْ عَلَا قَدَمُهُ، مِنَ التَّجْرِيدِ وَالتَّخْرِيبِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ص) إِنْ ذَاكَ الْبَحْرُ... لَا شَيْءَ يُقَاسُ بِبَحْرِي... بَحْرُ فِكْرِي دُرُّ. وَالزُّهْرُ فِي بَرِّي.

(ش) قُلْتُ: الْإِشَارَةُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ إِلَى الْبَحْرِ الْحَسِّيِّ. وَإِنْ كَانَ لَمْ يَتَقَدَّمْ لَهُ ذِكْرُ بِالْخُصُوصِ. أَيْ إِنْ ذَاكَ الْبَحْرُ الْحَسِّيُّ، لَا شَيْءَ يُقَاسُ بِبَحْرِي أَوْ لَا يُقَاسُ بِبَحْرِي؛ لِأَنَّ الْبَحْرَ الْحَسِّيَّ مَخْدُودٌ مَخْصُورٌ. وَبَحْرِي عَمِيقٌ لَا نِهَآيَةَ لَهُ بِبَحْرِي كُلِّهِ دُرُّ الْحِكْمِ، وَيَوَاقِيتُ الْعُلُومِ بِخِلَافِ الْبَحْرِ الْحَسِّيِّ. فَدُرُّهُ حَسْبِيَّةٌ حَجَرِيَّةٌ. وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ قَلِيلَةٌ نَادِرَةٌ. وَبَحْرِي أَيْضًا دَاخِلُهُ دُرُّ. وَظَاهِرُهُ أَزْهَارٌ أَغْنِي بَاطِنُهُ تَحْقِيقَ وَظَاهِرُهُ تَشْرِيعَ. بَاطِنُهُ مُتَوَرِّدٌ بِنُورِ الْحَقِيقَةِ الْأَزَلِيَّةِ. وَظَاهِرُهُ مُبْهَجٌ بِزَهْرِ جَمَالِ الشَّرِيعَةِ الْمَحْمُودَةِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(ص) فَالْتَفَتُ الْخِطَابَ... وَسَمِعْتُ مِنِّي... كُلِّي عَنْ كُلِّ غَابٍ... وَأَنَا عَنِّي مَفْنِي... وَازْتَفَعْتُ لِي الْجَحَابَ... وَشَهِدْتُ أَنِّي...

- (ش) يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا دَخَلْتُ فِكْرَتِي مَيْدَانَ التَّوْحِيدِ، وَخَاضْتُ فِي بَحَارِ التَّفْرِيدِ. حَصَلَ لِي الْجَمْعُ الْكُلِّيُّ. حِينَ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلِي، فَاجْتَمَعَتِ الْفُرُوعُ بِالْأَصُولِ. وَصِرْتُ بِالْوُضُولِ نَصُولَ. فَاتَّحَدَ عِنْدِي الْوُجُودَ وَصَقَلَ لِي غَايَةَ الشُّهُودِ. فَالْتَفَتُ إِلَى الْخِطَابِ الصَّادِرِ مِنَ الْأَحْبَابِ. فَإِذَا هُوَ مِنِّي لِي. حِينَ صَارَ بَعْضِي كُلِّي. فَصِرْتُ بِاللَّهِ أَنْطَقُ. وَمِنْ اللَّهِ أَسْمَعُ. قَدْ غَابَ كُلِّي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، فِي شُهُودِ

الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . فَأَنَا عَنْ شُهُودِ نَفْسِي مَفْنِي . حِينَ غِبْتُ عَنْ وُجُودِي
الْوَهْمِي . فَارْتَفَعَ عَنِّي الْحِجَابُ . وَدَخَلْتُ مَعَ الْأَخْبَابِ . وَانْقَشَعَ عَنْ عَيْنِ قَلْبِي
الْغَيْنُ . وَشَهِدْتُ أَنِّي عَيْنُ الْعَيْنِ . فَإِنْ لَمْ تَذُقْ مَا ذَاقَتِ النَّاسُ فِي الْهَوَى . فَلَيْلَهُ يَا
خَالِي الْحَسَا لَا تُعْنَفْنَا . إِنْ لَمْ تَرَ الْهَلَكَ فَسَلِّمْ . لِأَنَّا رَأَوْهُ بِالْأَبْصَارِ . ثُمَّ قَالَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

مَا بَقِيَ لِي أَثَرٌ . . . غِبْتُ عَنْ أَثَرِي . . . لَمْ أَجِدْ مَنْ حَضَرَ . . . فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرِي .

أَخْبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ غَابَ عَنْ جِسْمِهِ ، وَشُهُودِ رُسْمِهِ . فَانْطَوَى وُجُودُهُ فِي
وُجُودِ مَخْبُوءِهِ . وَشُهُودُهُ فِي شُهُودِ مَغْبُودِهِ ؛ فَهُوَ غَرِيقُ الْأَنْوَارِ . مَطْمُوسُ الْأَنْوَارِ قَدْ
اتَّحَدَ عِنْدَهُ الوجودُ ، فَصَارَ وجوداً وَاحِداً . فَلَمْ يَجِدْ فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرَ وجودِهِ ؛ لِأَنَّ
وجودَهُ صَارَ مَوْضُوعاً بِالْحَضْرَةِ الْقَدْسِيَّةِ ؛ وَالْأَنْوَارِ الْأَزَلِيَّةِ . فَلَمْ يَشْهَدْ فِي الْحَقِيقَةِ
سِوَاهُ . وَلَمْ يَرِ فِي الْكَوْنَيْنِ إِلَّا إِيَّاهُ . فَإِنْ قُلْتَ : الْعَيْنَةُ عَنِ الْأَثَرِ بِالْكُلِّيَّةِ ، نَقْصُ
بِاعْتِبَارِ مَا بَعْدَهُ مِنْ شُهُودِ الْأَثَرِ وَالْمُؤَثِّرِ . كَمَا قَالَ فِي الْحَكْمِ وَأَكْمَلَ مِنْهُ رَجُلٌ
شَرِبَ . فَازْدَادَ صَخَواً ، وَغَابَ ، فَازْدَادَ حُضُوراً . فَلَا قَرْقُهُ يَحْجُبُهُ عَنْ جَمْعِهِ . وَلَا
جَمْعُهُ يَحْجُبُهُ عَنْ قَرْقِهِ . وَلَا فَنَاءُهُ يَصُدُّهُ عَنْ بَقَائِهِ . وَلَا بَقَاؤُهُ يَصْرِفُهُ عَنْ فَنَائِهِ .
يُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، وَيُوفِي كُلَّ ذِي قِسْطٍ قِسْطَهُ . قُلْتُ : لَا طَرِيقَ لِشُهُودِ الْأَثَرِ
وَالْمُؤَثِّرِ ، إِلَّا الْغَيْبَةَ أَوَّلًا عَنِ الْأَثَرِ ؛ فَهِيَ قَنْطَرَةٌ تُوْدِي إِلَيْهَا . وَكُلُّ مَنْ دَخَلَ مَقَامَ
الْفَنَاءِ لَا بُدَّ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى مَقَامِ الْبَقَاءِ . إِنْ كَانَ لَهُ شَيْخٌ يُرَبِّيهِ ، كَالنَّاطِمِ وَأَمْثَالِهِ . فَلَعَلَّهُ
فِي هَذَا الْوَقْتِ ، كَانَ غَرِيقُ الْأَنْوَارِ ثُمَّ تَكْمَلُ بَعْدَ ذَلِكَ . فَالْفَنَاءُ ضَامِنٌ لِلْبَقَاءِ لَا
مَحَالَةَ . بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَسْلُكْ مَقَامَ الْفَنَاءِ ، لَا يَطْمَعُ فِي مَقَامِ الْبَقَاءِ أَبَداً . وَقَدْ رَأَيْتُ
كَثِيراً مِنْ غُلَطٍ فِي نَفْسِهِ ، فَادَّعَى الْمَقَامَ الثَّانِي ؛ وَهُوَ الْبَقَاءُ ، قَبْلَ سُلُوكِهِ مَقَامَ
الْفَنَاءِ . بَلْ هُوَ ظَاهِرِي مَخْضُ ، لَمْ يَصْحَبِ الرُّجَالَ ، وَلَا سَلَكَ عَلَى أَيْدِي الْكُمَالِ
وَهُوَ يَتَرَامَى عَلَى هَذَا الْمَقَامِ الرَّفِيعِ . فَإِنْ لَيْلَهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

فصل : وَقَدْ تَكَلَّمْتُ مَعَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَجَمِّدِينَ عَلَى ظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ فَقَالَ
لِي : نَحْنُ هُمْ أَهْلُ مَقَامِ الْإِحْسَانِ إِذْ هُوَ فِيهِمُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ . فَقُلْتُ لَهُ : وَاللَّهِ مَا
هُوَ الَّذِي تَفْهَمُ . ثُمَّ قُمْتُ عَنْهُ وَتَرَكْتُهُ فَاللَّهُ يَعَصِمُنَا مِنَ الْغَلَطِ وَالزَّلِيلِ وَيُوفِقُنَا لِصَالِحِ
الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ . ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

(ص) سَادَتِي وَافْهَمُوا . . . الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِي . . . هَذَا لِأَنْ نَكْتِمُوا . . . عَنْ أَحَدٍ
مِنْ أَهْلِي . . . سِرِّي لَا يَفْهَمُوهُ . . . إِلَّا مَنْ هُوَ مِثْلِي . . .

(ش) أَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ سَمِعَهُ، أَنْ يَفْهَمَ الْمُرَادَ مِنْ تِلْكَ الْعِبَارَاتِ، وَمَا وَرَاءَ تِلْكَ الْإِشَارَاتِ مِنْ دَقَائِقِ الْأَسْرَارِ. وَحَقَائِقِ الْأَنْوَارِ؛ فَإِنْ عَلِمْنَا كُلَّهُ إِشَارَةً. فَإِذَا صَارَ عِبَارَةً خَفِيَ ثُمَّ عَاتَبَ مَنْ فَهِمَ تِلْكَ الْأَسْرَارَ ثُمَّ كَتَمَهَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِهَا. لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تُؤْتُوا الْحِكْمَةَ غَيْرَ أَهْلِهَا، فَتُظْلِمُوهُمْ وَلَا تَمْنَعُوهُمْ أَهْلَهَا فَتُظْلِمُوهُمْ». وَأَهْلُ هَذَا السِّرِّ: هُوَ مَنْ أُعْطِيَ كُلِّيَّتُهُ لِلَّهِ. أُعْطِيَ نَفْسَهُ وَفَلْسَفَهُ. وَزَهْدَهُ فِي جَنَسِهِ. وَتَجَرُّدَ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ فَإِذَا فَعَلَ حَرُمَ كَتْمُ السِّرِّ عَنْهُ. كَمَا حَرُمَ التَّصْرِيحُ بِهِ لِغَيْرِ أَهْلِهِ، لِقَوْلِ سَيِّدِنَا عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: «خَاطِبُوا النَّاسَ بِقَدْرِ مَا يَفْهَمُونَ أَتُرِيدُونَ أَنْ يَكْذِبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». وَقَالَ الشَّاعِرُ: وَمَنْ مَنَعَ الْجُهَالَ عِلْمًا أَضَاعَهُ وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمَ. . . وَقَدْ كَانَ الْجَنِيدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُلْقِي الْحَقَائِقَ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ. فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ: عَلِمْنَا مُحْفُوظٌ مِنْ أَنْ يَأْخُذَهُ غَيْرُ أَهْلِهِ. أَوْ كَلَامٌ هَذَا مَعْنَاهُ. وَإِلَيْهِ أَشَارَ النَّازِمُ بِقَوْلِهِ: سِرِّي لَا يَفْهَمُوهُ. إِلَّا مَنْ هُوَ مِثْلِي أَيْ مِمَّنْ دَخَلَ الْفَنَاءَ وَعَرَفَ مَقَامَ الْإِخْسَانِ وَإِلَّا لَمْ يَذُقْ مِنْهُ شَيْئًا. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ. ثُمَّ اعْتَذَرَ عَنْ إظهارِ تِلْكَ الْحَقَائِقِ لِلنَّاسِ وَفِيهِمُ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ. بِكَوْنِ السُّكْرِ غَالِبًا عَلَيْهِ فَقَالَ:

(ص) سَبَلَكَ عِقْدِي انْتَثَرَ. . . وَبَدَا لِي دُرِّي. . . نَظَّمُوهُ يَا جَوَازَ. . . إِنِّي فِي سُكْرِي.

(ش) قُلْتُ: سَبَلَكَ الْعِقْدُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ: هُوَ الْخِيطُ الَّذِي انْتَضَمَتْ فِيهِ الْجَوَاهِرُ. وَانْتِثَارُهُ قَطْعُهُ. فَإِذَا قُطِعَ انْتَثَرَتِ الْجَوَاهِرُ وَسَقَطَتْ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَتْ هَذِهِ الْأَسْرَارُ الَّتِي نَطَقْتُ بِهَا فِي هَذَا النَّظْمِ: جَوَاهِرُ وَيَوَاقِيتُ فِي سِرِّي مُحْفُوظَةٌ، مَنُظَّمَةٌ فِي سَبْلِكُمْ. فَلَمَّا غَلَبَ عَلَيَّ السُّكْرُ انْقَطَعَ عِقْدُهَا وَانْتَثَرَ. فَتَنَطَّقْتُ بِهَا وَالسُّكْرُ غَالِبٌ عَلَيَّ. فَانْظُمُوا أَيُّهَا السَّامِعُونَ وَصُوتُوا عَنْ غَيْرِ أَهْلِهَا. وَقِيدُوا، وَاحْفَظُوا كَيْ لَا تَضِيعَ. فَإِنِّي غَائِبٌ فِي سُكْرِي وَالْجَوَازُ بِكَسْرِ الْجِيمِ، جَمْعُ جَارٍ أَوْ جَارِيَةٍ، أُطْلَقَ عَلَى أَصْحَابِهِ الْمَجَاوِرِينَ لَهُ. وَعَبَّرَ عَنْهُمْ بِالْجَوَازِ مُجَازًا وَتَلْمِيحًا: لِأَنَّ الشَّعْرَ يَحْسُنُ فِيهِ اسْتِعْمَالُ الْجَوَازِيِّ وَالْمَغْنِيَّاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّنْ هُوَ مَقْرُونٌ بِالْخَمْرِ الْحَسِيِّ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.

هَذَا آخِرُ التَّقْيِيدِ الْمُبَارَكِ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ. وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ تَبْيِيزِهِ زَوَالُ يَوْمِ الْخَمِيسِ سَابِعِ صَفَرٍ عَامِ أَرْبَعَةِ عَشَرَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفَ بَعْدَ الْمِائَةِ الشَّرِيبِيِّ مِنْ بَسَاتِينِ تَطَوُّانٍ عَمَّرَهَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ. وَبِالصَّالِحِينَ أَهْلِ الشُّهُودِ وَالْعِيَانِ آمِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هـ.

«المقتطفة الثانية: في الاسم المفرد».

وقال رضي الله عنه: في قصيدة يذكر فيها الاسم المفرد، وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَسْرَارِ، فَقَالَ:

(ص) أَلِفٌ قَبْلَ لَامَيْنِ.. وَهَاءُ قَرَّةَ الْعَيْنِ..

(ش) أَي هُوَ قَرَّةَ الْعَيْنِ وَقَرَّةَ الْعَيْنِ: بِرُودَتِهَا يَدْمَعُ الْفَرْحُ؛ لِأَنَّهُ بَارِدٌ. وَالْقُرَّةُ فِي اللُّغَةِ: هُوَ الْبَرْدُ. وَهُوَ بِضَمِّ الْقَافِ عَلَى الْمَشْهُورِ. وَدَمَعُ الْفَرْحِ بَارِدٌ، كَمَا هُوَ مَجْرِبٌ أَي هَذَا الْاسْمُ، هُوَ قَرَحَ قَلْبِي وَسُرُورِهِ، وَبِهِجَتِهِ وَحُبُورِهِ وَالْاسْمُ هُنَا هُوَ عَيْنُ الْمُسَمَّى. إِذِ الْفَرْحُ إِنَّمَا هُوَ بِالذَّاتِ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(ص) أَلِفٌ أَوَّلُ الْاسْمِ.. وَلَا مَانَ بِلَا جِسْمٍ.. وَهَاءُ آيَةُ الرَّسْمِ... تَهْجَا سِرِّ حَرْفَيْنِ.. تَجِدُ اسْمًا بِلَا أَتَيْنِ..

قلت: هَذَا تَقْرِيرٌ لِمَا قَبْلَهُ وَتَوْضِيحٌ لَهُ. وَقَوْلُهُ: وَلَا مَانَ: الصَّوَابُ أَنَّهُ مَرْفُوعٌ، مَعْطُوفٌ عَلَى الْأَلِفِ. وَقَوْلُهُ: بِلَا جِسْمٍ. [أَي] مُسَمَّى ذَلِكَ الْاسْمِ هُوَ بِلَا جِسْمٍ بَلْ مُنْتَزَعٌ عَنِ الْحَضَرِ فِي الْجِسْمِيَّةِ وَالْأَيْنِيَّةِ. وَقَوْلُهُ: آيَةُ الرَّسْمِ. أَي عَلَامَةُ تَمَامِهِ فِي الرَّسْمِ وَالْخَطِّ. لَا فِي الْمَعْنَى. إِذْ لَا نِهَآيَةَ لَهُ. قَوْلُهُ: تَهْجَا سِرِّ حَرْفَيْنِ هُمَا الْهَاءُ وَالْوَاوُ. مِنْ هُوَ كَأَنَّهُ تَكَلَّمَ عَلَى الْمَفْرَدِ وَلَفْظُهُ هُوَ لِأَن طَرِيقَ الْمَشَارِقَةِ. يَذْكُرُونَ اسْمَ الْجَلَالَةِ مَفْرَدًا ثُمَّ يَذْكُرُونَهُ هُوَ هُوَ. حَتَّى يَسْتَغْرِقُوا فِي الْهُوِيَّةِ. وَهِيَ الْحَقِيقَةُ وَقَوْلُهُ تَجِدُ اسْمًا بِلَا أَتَيْنِ. أَي تَجِدُ مُسَمَّى ذَلِكَ الْحَرْفَيْنِ هُويَّةً وَحَقِيقَةً بِلَا جِهَةٍ وَلَا أَتَيْنِيَّةٍ. لَا زَمَانِيَّةً وَلَا مَكَانِيَّةً. كَانَتْ قَبْلَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ. وَقَدْ بَقِيَ الْأَمْرُ عَلَى مَا كَانَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(ص): «حُرُوفٌ كُلُّهَا تُثَلَّى.. تَرَى الْقَلْبَ بِهَا يُجَلَّى.. وَيَسْلَى بَعْدَ مَا يَبْلَى... وَيَنْدَرِجُ بَيْنَ كَفَيْنِ.. بِرَمْزَيْنِ وَاقِعَيْنِ».

(ش) قلت: المراد بالحروف التي تُثَلَّى: حُرُوفُ اسْمِ الْجَلَالَةِ. وَذَلِكَ إِذَا ذَكَرْتَ الْحُرُوفَ كُلِّهَا، صَارَ مَدْخُولَهَا: اللَّهُ. وَإِذَا حُذِفَتِ الْهَمْزَةُ وَالْأَمَانُ صَارَ: هُ وَلَا تُحْذَفُ الْهَاءُ؛ لِأَنَّهَا آيَةُ الرَّسْمِ. وَعَلَامَتُهُ كَمَا تَقْدَمُ فَحُرُوفُ اسْمِ الْجَلَالَةِ كُلُّهَا تُثَلَّى مَعَ صَحَّةِ الْمَعْنَى. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ. وَقَوْلُهُ: تَرَى الْقَلْبَ فِيهَا يُجَلَّى؛ أَي يُضَقَّلُ وَتَنْجَلِي عَنْهُ عِظْمَةُ الْغَفْلَةِ وَضُورُ الْأَكْوَانِ؛ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشُّهُودِ وَالْعِيَانِ. إِذَا دَامَ عَلَى مَذْكَرِ مَدْخُولِ تِلْكَ الْحُرُوفِ، وَهُوَ اللَّهُ: أَوْ هُوَ لَمَنْ اسْتَغْرَقَتْ فِكْرَتُهُ فِي الْهُوِيَّةِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «لِكُلِّ شَيْءٍ مِصْقَلَةٌ وَمِصْقَلَةُ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللَّهِ». وَقَوْلُهُ: وَيَسْلَى بَعْدَ مَا يَبْلَى؛

أَي وَيَسْأَلُنِي عَنِ الْهُمُومِ وَالْإِكْدَارِ بِالْغَيْبَةِ عَنْهَا فِي ذِكْرِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ بَعْدَ مَا بَيَّنَّنِي وَيَخْتَبِرُ
بِالْفِكْرَةِ فِيهَا، وَالنَّصُوصِ فِي ظَلَمَتِهَا. فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ أَنْجَلَنِي عَنْهُ ذَلِكَ تَسْلَى عَنْهَا. وَأَنْسَ
بِاللَّهِ وَخَذَهُ. وَاسْتَوْحَشَ مِمَّا سِوَاهُ. وَقَوْلُهُ: يَنْدَرُجُ بَيْنَ كَفَنَيْنِ: الضَّمِيرُ فِي يَنْدَرُجُ يَعُودُ
عَلَى الْقَلْبِ. وَالْمُرَادُ بِالْكَفَنَيْنِ: الْبَشَرِيَّةُ وَالرُّوحَانِيَّةُ؛ أَوِ الْحَسَّ وَالْمَعْنَى أَوِ الْقُدْرَةَ
وَالْحِكْمَةَ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا مَاتَ عَنْ حُطُوطِهِ وَشَهَوَاتِهِ. كُفِّنَ بِرَدَائِنِ رِداءِ نُورَانِي رُوحَانِي،
وَرِداءِ ظُلُمَانِي جِسْمَانِي؛ وَهُوَ مُقِيمٌ بَيْنَهُمَا. يُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. وَيُؤْفِي كُلَّ ذِي
قَسْطٍ قَسْطَهُ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى جَعَلَ فِيهِ عَيْنَيْنِ: إِحْدَاهُمَا تَنْظُرُ لِلْبَشَرِيَّةِ وَالْحِكْمَةِ.
وَالْأُخْرَى تَنْظُرُ لِلرُّوحَانِيَّةِ وَالْقُدْرَةِ. فَإِذَا نَظَرَتْ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ أَعْطَتْهَا حَقَّهَا مِنَ الْعِبَادِيَّةِ.
قِيَاماً بِرِسْمِ الْحِكْمَةِ. وَإِذَا نَظَرَتْ إِلَى الرُّوحَانِيَّةِ، أَعْطَتْهَا حَقَّهَا مِنَ الشُّهُودِ وَالْمَعْرِفَةِ.
قِيَاماً بِحَقِّ الْقُدْرَةِ. فَإِذَا أَهْمَلَ الْقَلْبُ النَّظَرَ إِلَى إِحْدَى الْجِهَتَيْنِ، كَانَ أَعْوَرَ وَإِذَا أَهْمَلَهُمَا
مَعاً كَانَ أَعْمَى وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي
فِي الصُّدُورِ﴾. وَقَوْلُهُ: بِرَمَزَيْنِ رَقِيقَيْنِ: أَيِ بِإِشَارَتَيْنِ رَقِيقَتَيْنِ لَطِيفَتَيْنِ؛ لَا يَفْهَمُهَا إِلَّا
مَنْ تَلَطَّفَتْ رُوحَهُ. وَرَقَّتْ بِشَرِيَّتِهِ. إِذْ لَا يَعْرِفُ الْبَشَرِيَّةُ وَالرُّوحَانِيَّةُ، وَالْقُدْرَةُ
وَالْحِكْمَةُ، وَالْحَسَّ وَالْمَعْنَى، إِلَّا مَنْ تَلَطَّفَتْ عَوَالِمُهُ، وَرَقَّتْ بِشَرِيَّتِهِ. وَفَنِيَتْ دَائِرَةُ
حَسَنِهِ وَإِلَّا فَحَسَبَهُ الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ، وَالتَّسْلِيمُ لِأَرْبَابِ الْمَعْرِفَةِ. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ثُمَّ
قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(ص): عَرَامِي فِي الْهَوَى قَدْ بَاخَ.. وَفَجَرِي بَعْدَ لَيْلِي لِأَخ.. وَصِرْتُ
لِلْوُجُودِ مِصْبَاحَ.. وَشَمْسُ بَيْنَ قَمَرَيْنِ.. وَلَا أَذْرِي أَيْنَ أَيْنِ.. (ش) قُلْتُ: الْعَرَامُ
هُوَ الْعِشْقُ. وَالْهَوَى: مَا تَمِيلُ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَتَنْجَذِبُ إِلَيْهِ، فِي الْحَقِّ أَوْ فِي الْبَاطِلِ.
فَأَخْبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ عِشْقَهُ فِي هَوَى الْحَبِيبِ قَدْ بَاخَ. أَيِ ظَهَرَ وَاشْتَهَرَ. وَفَجَرَ
وَصَوْلَهُ لِلْمُخْبُوبِ، بَعْدَ لَيْلٍ قَطِيعَتِهِ عَنْهُ قَدْ لَأَخَ. أَيِ طَلَعَ وَانْتَشَرَ. وَصَارَ مِصْبَاحَ
أَهْلِ زَمَانِهِ. يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي ظُلْمَةِ الْجَهْلِ وَالْكَفْرِ وَيُهْتَدَى بِهِ فِي سُلُوكِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.
وَقَوْلُهُ: وَشَمْسُ بَيْنَ قَمَرَيْنِ: يَوْجَدُ فِي النَّسْخِ بِالرُّفْعِ. أَيِ وَأَنَا شَمْسُ بَيْنَ قَمَرَيْنِ.
وَيَصِخُّ فِيهِ النَّضْبُ لِلْعَطْفِ عَلَى مِصْبَاحٍ لِأَنَّهُ مَنْصُوبٌ. وَوَقَفَ عَلَيْهِ بِالسُّكُونِ، عَلَى
لُغَةِ رُبْعَةِ اللَّوْزَيْنِ. وَالْمُرَادُ بِالْقَمَرَيْنِ: قَمَرُ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ الظَّاهِرَةِ، وَقَمَرُ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ
الْبَاطِنَةِ. أَخْبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ صَارَ مِصْبَاحاً لِلْفَرِيقَيْنِ، يَقْتَبِسُ مِنْ نُورِهِ أَهْلُ
الظَّاهِرِ، وَأَهْلُ الْبَاطِنِ كَمَا يَقْتَبِسُ الْقَمَرُ نُورَهُ مِنْ نُورِ الشَّمْسِ. وَقَوْلُهُ: وَلَا أَذْرِي
أَيْنَ أَيْنِ. أَيِ لَا أَذْرِي أَيْنَ وَجُودِي وَآثِرِي لِغَلْبَةِ سُكْرِي. وَهَذِهِ حَالَةُ شَرِيفَةٍ، وَمَرْتَبَةٍ
مَنْيَفَةٍ. وَلِلَّهِ دَرُ بْنُ الْفَارَضِ حَيْثُ قَالَ:

فَلَا عَيْشَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ عَاشَ صَاحِبِيَا وَمَنْ لَمْ يَمُتْ سَكْرَانٍ بِهَا فَاتَهُ الْحَزْمُ
عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكْ مَنْ ضَاعَ عُمرُهُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْهَا نَصِيبٌ وَلَا سَهْمٌ
فَالسَّكْرُ ضَامِنٌ لِلصُّخْرِ وَالْفَنَاءُ ضَامِنٌ لِلْبَقَاءِ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ
يُرِيدَ بِالْقَمَرَيْنِ : قَمَرِ تَوْحِيدِ الْأَفْعَالِ وَقَمَرِ تَوْحِيدِ الصِّفَاتِ . أَوْ قَمَرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ،
وَقَمَرِ أَهْلِ الْإِيمَانِ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ . ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

(ص) : فَمَعْنَى حُبِّي الْأَتَقَى . . بِأَنْ أَفْتَى فِيهِ عِشْقًا . . وَأَفْتَى فِي الْفَنَاءِ حَقًّا . .
بُجُودٍ دُونَ فَقْدَيْنِ . . حَيَاةٍ فِي فَنَاءَيْنِ . . (ش) قلت : الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحُبِّ
هُنَا هُوَ النَّبِيُّ ﷺ . لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «أَنَا أَتَفَاكُمُ لِلَّهِ . وَأَنَا أَغْرَفُكُمْ بِهِ» أَوْ كَمَا قَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَسَبَ مَا هُوَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَلَا بُدَّ مِنْ حَذْفِ مُضَافٍ قَبْلَ
الْمُبْتَدَأِ . وَمَتَعَلَّقِ الْخَبَرِ قَبْلَ الْخَبَرِ . وَالتَّقْدِيرُ : فَشُهُودٌ مَعْنَى حُبِّي الْأَتَقَى يَحْصُلُ بِأَنْ
أَفْتَى فِيهِ عِشْقًا ، فَيَكُونُ الشَّيْخُ أَخْبَرَ أَوَّلًا عَنْ جَذْبِهِ وَفَنَائِهِ . بِقَوْلِهِ : وَشَمْسٌ بَيْنَ
قَمَرَيْنِ . وَأَخْبَرَ ثَانِيًا عَنْ صَحْوِهِ وَبَقَائِهِ . بِشُهُودِ الْوَاسِطَةِ ، بَعْدَ شُهُودِ الْمَوْسُوطِ
بِقَوْلِهِ : فَمَعْنَى حُبِّي . . الْخ . فَيَكُونُ كَقَوْلِ الشَّيْخِ ابْنِ مَشِيشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي
تَصْلِيَتِهِ الْمَشْهُورَةِ : وَاجْعَلْ الْحِجَابَ الْأَعْظَمَ حَيَاةً رُوحِي . أَيْ وَاجْعَلْ شُهُودَ
الْحِجَابِ الْأَعْظَمِ ؛ وَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ . سَبَبَ حَيَاةٍ رُوحِي . بَعْدَ أَنْ قَالَ : وَأَغْرَقْنِي فِي
عَيْنِ بَحْرِ الْوَحْدَةِ . . الْخ . وَقَوْلُهُ : وَأَفْتَى فِي الْفَنَاءِ حَقًّا . هُوَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ . أَيْ
وَأَفْتَى فِي ذِي الْفَنَاءِ حَقًّا ؛ وَهُوَ الْحَقُّ تَعَالَى . لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُفْتَى فِيهِ دُونَ
غَيْرِهِ . خَافَ أَنْ يَقِفَ مَعَ الْوَاسِطَةِ ، دُونَ شُهُودِ الْمَوْسُوطِ . فَاخْتَبَرَ أَنَّهُ فَتَى فِي الذَّاتِ
الْعَالِيَةِ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى شُهُودِ الْوَاسِطَةِ . لَكِنْ عَلَى وَجْهِ بَحِثٍ لَا تُخْجِبُهُ عَنْ
الْمَوْسُوطِ ؛ وَهُوَ الْحَقُّ تَعَالَى فَهُوَ كَقَوْلِ الْقُطُبِ ابْنِ مَشِيشٍ أَيْضًا . «بِتَحْقِيقِ الْحَقِّ
الْأَوَّلِ» أَيْ اجْعَلْ شُهُودَ الْحِجَابِ الْأَعْظَمِ حَيَاةً رُوحِي مَعَ تَحْقِيقِ شُهُودِ الْحَقِّ
الْأَوَّلِ ؛ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى . ثُمَّ كَمَّلَ هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ : «بُجُودٍ دُونَ فَقْدَيْنِ» . فَهُوَ
عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ . وَالبَاءُ بِمَعْنَى مَعَ . أَيْ مَعَ شُهُودِ وَجُودِ قَدِيمِ بَاقٍ دُونَ فَقْدٍ فِي
أَوَّلِهِ ، وَلَا فَقْدٍ فِي آخِرِهِ . بَلْ هُوَ وَاجِبُ الْوُجُودِ لَا يَتَصَوَّرُ فَقْدَهُ أَوَّلًا وَلَا آخِرًا . «هُوَ
الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ» . فَإِذَا تَحَقَّقَ وَجُودُ هَذِهِ الذَّاتِ الْقَدِيمَةِ الْبَاقِيَةِ . مَعَ
شُهُودِ الْوَاسِطَةِ الْمَحْمُودِيَةِ . فَقَدْ حَصَلَتْ حَيَاةٌ فِي فَنَاءَيْنِ . فَنَاءٍ فِي ذَاتِ الْحَقِّ ؛ وَهُوَ
الْمَوْسُوطُ . وَفَنَاءٍ فِي ذَاتِ الرَّسُولِ ﷺ ؛ وَهُوَ الْوَاسِطَةُ ؛ وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ .
وَالْعَيْشَةُ الرَّاغِبَةُ . مَتَّعَنَا اللَّهُ بِهَا عَلَى أَكْمَلِ حَالٍ نَحْنُ وَأَحِبَّاءُنَا ، وَمَنْ تَعَلَّقَ بِنِ
آمِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(ص) مُنَائِي مَنْ بِهِ هِمْتُ .. وقوت الرُّوحِ إِنَّ مِثْ .. وَحَرْفَ الْبَيْنِ أَنْشَدْتُ ..
مَتَى يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ .. أَرَى وَضْلاً بِلَا أَيْنِ .

(ش) قلت : المُنَا : هو ما يتمنى الإنسان ويقصده . والبَيْن : هو الفرق والبُعد
أخبر رضي الله عنه أَنَّ مُنَاهُ وَهَوَاهُ ؛ هو مَنْ هَامَتْ بِهِ رُوحُهُ . وانجذب إليه سِرُّهُ ؛
وهو الحق تعالى . وهو قوت الرُّوح ، لمن ماتت نفسه عن شهواتها وحظوظها ، فقد
سُئِلَ سهل بن عبد الله رضي الله عنه عن القوت فقال : هو الحي الذي لَا يَمُوتُ .
فَقِيلَ : إِنْمَا سَأَلْنَاكَ عَنِ الْقِيَامِ فَقَالَ : الْقِيَامُ : هو الْعِلْمُ فَقِيلَ : سَأَلْنَاكَ عَنِ الْغَدَاءِ
فَقَالَ : الْغَدَاءُ هو الذَّكْرُ ، فَقِيلَ : سَأَلْنَاكَ عَنِ طَعْمِ الْجَسَدِ . فَقَالَ : مَا لَكَ وَلِلْجَسَدِ
دَغٌ مَنْ تَوْلَاهُ أَوَّلًا . يَتَوَلَّاهُ آخِرًا إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ عِلَّةً ، رَدَّه إِلَى صَانِعِهِ . أَمَا رَأَيْتَ
الضَّنَّةَ إِذَا عَيْثَ رَدَّوْهَا إِلَى صَانِعِهَا حَتَّى يُضْلِحَهَا هـ . وَأَنْشَدُوا :

كَمَلْ حَقِيقَتَكَ الَّتِي لَمْ تَكْمَلْ .. وَالْجِسْمَ دَغَةً فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ ..
أَتَكْمَلُ الْفَانِي وَتَتْرُكُ بَاقِيًا .. هَمَلًا وَأَنْتَ بِأَمْرِهِ لَمْ تَحْفَلْ .. فَالْجِسْمُ لِلنَّفْسِ النَّفِيسَةِ
أَيَّةٌ .. مَا لَمْ تَحْصُلْهُ فِيهَا لَمْ يَحْصُلْ .. يَفْنَى وَتَبْقَى دَائِمًا فِي غِبْطَةٍ أَوْ شَقْوَةٍ وَنَدَامَةٍ
لَا تَنْجَلْ .. أُعْطِيتَ جِسْمَكَ خَادِمًا فَخَدَمْتَهُ .. أَتَمَلَّكَ الْمَفْضُولُ رَقِ الْأَفْضَلِ ..
شِرْكَكَ كُنْتَ أَنْتَ فِي حِبَالِهِ .. مَا دَامَ يُمَكِّنُكَ الْخَلَاصُ فَعَجَلْ .. مَنْ يَسْتَطِيعُ بُلُوغَ
أَعْلَى مَنَزَلٍ .. مَا لَهُ يَرْضَى بِأَذْنَى مَنَزَلٍ هـ .

وقال آخر (1) :

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِهِ وَتَطْلُبُ الرِّيحَ فِيمَا فِيهِ خُسْرَانُ
عَلَيْكَ بِالنَّفْسِ فَاسْتَكْمِلْ فَضِيلَتَهَا فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ
والمراد بالنفس الرُّوح ؛ لِأَنَّهَا شَيْءٌ وَاحِدٌ . وَإِنَّمَا تَفْتَرِقُ التَّسْمِيَةَ ، بِاِغْتِبَارِ
التَّصْفِيَةِ . فَالرُّوحُ هِيَ الْمُتَعَمَّةُ فِي عَالَمِ الْبَرَزَخِ وَمَا بَعْدَهُ . أَوْ مُعَذِّبَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ
لَهَا . وَلِلْعَرَّالِيِّ رَضِيَ اللَّهُ فِي قَصِيدَةٍ وَجَدَتْ تَحْتَ عِمَامَتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ . وَقِيلَ لَعْنَتُهُ :
قَالَ فِيهَا :

قُلْ لِإِخْوَانِ رَأَوْنِي مَيِّتًا .. فَبُكُونِي وَرَثَتُنِي حَزَنًا .. أَتَطْلُونَ بِأَنِّي مَيِّتُكُمْ ..
لَيْسَ ذَلِكَ الْمَيِّتُ وَاللهُ أَنَا .. أَنَا فِي الصُّورِ وَهَذَا جَسَدِي .. كَانَ لِبَسِي وَقَمِيصِي
زَمَنًا .. أَنَا كُنْتُ وَطَلِسَمُ وَحَجَابٌ .. مِنْ ثَرَابٍ قَدْ تَهَيَّأَ لِلْفَنَاءِ .. أَنَا دُرٌّ قَدْ حَوَانِي

(1) أبو الفتح علي بن محمد الباشي/الجواهر المختارة.

صَدَفَ . . طَرِثُ عَنْهُ فَتَخَلَّى وَهَنَا . . أَنَا عُضْفُورٌ وَهَذَا قَفْصِي . . كَانَ سِجْنِي
 قَالَيْتُ السَّجْنَا . . فَأَشْكُرُ اللَّهَ الَّذِي خَلَصَنِي . . وَبَتَى لِي فِي الْمَعَالِي وَطْنَا . .
 كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ مَيِّتًا بَيْنَكُمْ فَحَيِّتُ وَخَلَعْتُ الْكَفَنَّا . . فَأَنَا الْيَوْمَ أَنَا حَيٌّ مَكْلَمًا . .
 وَأَرَى الْحَقَّ جَهَارًا عَلَنًا . . عَاكِفًا فِي اللُّوْحِ أَقْرَأُ وَأَرَى . . كُلَّمَا كَانَ أَوْ يَأْتِي أَوْ
 دَنَا . . وَطَعَامِي وَشَرَابِي وَاحِدٌ . . وَهُوَ رَمَزٌ قَافَهُمُوهُ حَسَنًا . . لَيْسَ خَمْرًا سَائِغًا
 أَوْ عَسَلًا . . لَا وَلَا مَاءَ وَلَكِنْ لَبَنًا . . هُوَ مَشْرُوبٌ رَسُولِ اللَّهِ إِذْ . . كَانَ سِرُّ فِطْرَةِ
 فُطْرَنَا . .

انتهى المراد منها:

وقوله: وحرف البين أنشدت: حرف البين هو ياء النداء. لأنه يُنادي بها
 البعيد. وأما مَنْ كَانَ حَاضِرًا، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى نِدَاءٍ. وإنما استعملت في حقِّه
 تعالى، مَعَ كَوْنِهِ قَرِيبًا مِنَ الدَّاعِي تَنْزِيلًا لِلدَّاعِي مَنَزِلَةَ الْبَعِيدِ. تحقيرًا لَشَأْنِ
 النَّفْسِ وَجِسْتَهَا. وَأَمَّا مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْحُضُورُ وَالْقُرْبُ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى نِدَاءٍ؛
 وَهَذَا الْحَرْفُ الَّذِي أَنْشَدَهُ الشَّيْخُ، هُوَ قَوْلُهُ: مَتَى يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ الْخ. أَيِ يَا قُرَّةَ
 عَيْنِي، مَتَى أَرَى وَضَلًا مُتَابِدًا. لَا يَصْحَبُهُ بَيْنٌ وَلَا فَرْقٌ. وَمُرَادُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا
 يَخْصُلُ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنَ الرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ وَجَنَّةِ النَّعِيمِ؛ وَهُوَ الشَّهَادَةُ الدَّائِمَةُ.
 وَالنَّعِيمُ الْمُقِيمُ. فَهُوَ كَقَوْلِ الشَّيْخِ ابْنِ مَشِيش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مُحَاطِبًا لِرُوحِهِ
 عَلَى اقْتِبَاسِ أَهْلِ الْإِشَارَةِ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَاكَ إِلَى مَعَاوٍ﴾.
 وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِحَرْفِ الْبَيْنِ، مَا أَنْشَدَهُ فِي الْقَصِيدَةِ كُلِّهَا مِنَ التَّغْزَلَاتِ
 وَالْإِشَارَاتِ؛ لِأَنَّ الْإِشَارَاتِ بِهَا تَدَلُّ عَلَى الْبَيْنِ وَالْبُعْدِ قَالَ فِي الْحِكْمِ: مَا الْعَارِفُ:
 مَنْ إِذَا أَشَارَ وَجَدَ الْحَقَّ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ إِشَارَتِهِ. بَلِ الْعَارِفُ مَنْ لَا إِشَارَةَ لَهُ، لَفَنَائِهِ
 فِي شَهِيدِهِ. وَانْطَوَّاهُ فِي وُجُودِهِ. هـ. قَالَ فَالْعَارِفُونَ حِينَ حَصَلَ لَهُمُ الْوُصُولُ.
 فَنَوَّاهُ عَنْ رُؤْيَا وَجُودِهِمْ، فِي وُجُودِ مَخْبُورِهِمْ. فَلَا مُشِيرَ غَيْرَ الْمَشَارِ إِلَيْهِ قَدْ اتَّحَدَ
 الْوُجُودُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمَلِكُ الْمَغْبُودُ؛ وَهَذَا هُوَ الَّذِي تَمَنَّاهُ النَّاطِقُ بِقَوْلِهِ: مَتَى يَا
 قُرَّةَ الْعَيْنِ . . أَرَى وَضَلًا بِلَا أَيْنٍ . . أَيِ بَغَيْرِ وُجُودِي، وَلَا شَهَادَةِ نَفْسِي. وَقَدْ حَقَّقَ
 اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ بِلَا مَنِينٍ. كَمَا يَشْهَدُ بِذَلِكَ كَلَامُهُ فِي قَصَائِدِهِ وَأَرْجَالِهِ. إِذْ الْكَلَامُ صِفَةُ
 الْمُتَكَلِّمِ. وَمَا فِيكَ، ظَهَرَ عَلَى فِيكَ. وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَرْتَشِحُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَمُنُّنَا
 وَأَحْبَاءَنَا مَا مِنْهُمْ بِهِ، أَوْ أَعْظَمَ. بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ. وَبِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَحَبِيبِهِ صَلَّى
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

وَهَذَا آخِرُ التَّقْيِيدِ الْمُبَارَكِ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ . وَتَوْفِيقِهِ وَحُسْنِ عَوْنِهِ . كَسَاهُ
 اللَّهُ جِلْبَابَ الْقَبُولِ . وَبَلَغَ بِهِ الْقَصْدَ وَالْمَأْمُولَ آمِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
 وَوَافَقَ الْفَرَاغَ مِنْ تَبْيِيزِهِ زَوَالَ يَوْمِ الْخَمِيسِ أَوَاسِطَ صَفَرٍ . عَامِ أَرْبَعَةِ عَشَرَ ،
 وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ فِي ثَغْرِ وَادِي اللَّيَّانِ . عَمَّرَهُ اللَّهُ بِأَهْلِ الْإِحْسَانِ آمِينَ . سُبْحَانَ رَبِّكَ
 رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
 المؤلف : أحمد بن محمد بن عجيبة .

شرح الآيات الثلاثة لأبي القاسم الجنيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله وحده. وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا إلى أخينا الفقيه الأجل السيد علي بن عبد الرحمن. أضحكك الله ورعاك. وأعانك على الدين والدنيا. سلامُ الله تعالى عليك وبركاته. وبعد فقد وردَ علينا كتابك ومسطورك. وتأمّلناه، فظهر لنا أنك تريد الجواب عن مسألة الآيات الثلاثة المنسوبة لشيخ الطريقة، وإمام الصوفية، ومُحيي الحقيقة، الشيخ: أبو القاسم الجنيد، نفعا الله ببركاته آمين:

تَوْضُأً بِمَاءِ الْغَيْبِ إِنْ كُنْتَ ذَا سِرٍّ وَإِلَّا تَيْمُّنٌ بِالصَّعِيدِ أَوْ الصَّخْرِ
وَقَدْ مَ إِماماً كُنْتَ أَنتَ إمامُهُ وَصَلَّ صَلَاةَ الْفَجْرِ فِي أَوَّلِ الْغَضْرِ
فَهَذَا صَلَاةُ الْعَارِفِينَ بِرَبِّهِمْ فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَانْصَحِ الْبَرَّ بِالْبَخْرِ

فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْأَخ: أَنَّ كَلَامَ الْأَوْلِيَاءِ الْعَارِفِينَ، والعلماء العاملين، الَّذِي لَيْسَ بِمَنْقُولٍ عَنْ مَنْ تَقَدَّمَ. وَإِنَّمَا تَكَلَّمُوا بِهِ مِنْ قَرِيبَةٍ أَنْفُسِهِمْ. فَيَكُونُ مَنْطَوِيًّا عَلَى أَسْرَارٍ مَصُونَةٍ، وَجَوَاهِرٍ مَكْنُونَةٍ، لَا يَكْشِفُهَا إِلَّا هُمْ. وَلَا تَتَبَيَّنُ حَقَائِقُهَا بِالتَّلَفُّي عَنْهُمْ. وَمِثْلُ هَذَا يَسْأَلُ عَنْهَا الْأَوْلِيَاءُ الْعَارِفُونَ. وَأَمَّا أَنَا بِمَعزَلٍ عَنْ هَذَا. وَبَعِيدٍ لِكثَرَةِ جَهْلِي، وَمُخَالَفَةِ رَبِّي، وَكثرة زُلَّتِي، وَعَمَى بِصِيرَتِي. وَنَقْصَانِ عَقْلِي. لَكِنْ لَمَّا أَتَانِي كِتَابُكَ. اسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَهْمِلَهُ. وَلَمْ أَجِبْهُ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَ يَثُوبُ عَلَى صَاحِبِهِ. وَأَجِيبُ عَلَى قَدْرِ مَا مَنَحَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِفَضْلِهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ. فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَلِلْشُكْرِ. عَلَى قَدْرِ فَهْمِنَا كَلَامَ الْمُتَقَدِّمِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْأَخ بِأَنَّ الطَّهَارَةَ طَهَارَتَانِ: طَهَارَةٌ حَسِيَّة، وَطَهَارَةٌ مَعْنَوِيَّة. فَالطَّهَارَةُ الْحَسِيَّة، صَغْرَى وَكَبْرَى، كَمَا هِيَ مَعْلُومَةٌ وَالطَّهَارَةُ الْمَعْنَوِيَّة طَهَارَتَانِ: ظَاهِرِيَّة وَبَاطِنِيَّة. فَالطَّهَارَةُ الظَّاهِرَةُ، طَهَارَةُ الْجَوَارِحِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْبَاطِنَةُ طَهَارَةُ الْقَلْبِ مِنَ الْأَذْنَانِ وَالْأَغْيَارِ

وَمِنْ مَخَالَفَةِ الدِّيَانِ: الْمَلِكُ الْجَبَّارُ. وَأَنْ يَمَثِلَ الْإِنْسَانُ بِجَمِيعِ جَوَارِحِهِ مَا أَمَرَ بِهِ الْوَاحِدَ الْقَهَّارُ فَجَمَعَ الْمَصْنَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ: الطَّهَارَةُ الْمَغْنُوبَةُ كُلُّهَا، وَعِلْمُ الصُّوفِيَّةِ. وَالْحَقِيقَةُ وَالشَّرِيعَةُ. فَقَوْلُهُ: «تَوَضَّأَ بِمَاءِ الْغَيْبِ إِنْ كُنْتَ ذَا سِرٍّ» أَيِ تَطَهَّرَ لِلدُّخُولِ فِي الْحَضْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ؛ أَيِ تَطَهَّرَ مِنَ الْمَعَاصِي بِالتَّوْبَةِ. وَالتَّجَرُّدِ مِنَ الْأَغْيَارِ وَالتَّذَمُّعِ عَلَى مَا فَاتَ مِنْ عُمْرِكَ، وَكَثْرَةِ الْإِسْتِغْفَارِ، وَالنِّيَّةِ، وَصِحَّةِ الْيَقِينِ. كَمَا لَا تَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ إِلَّا بِالطَّهَارَةِ الْحَسِيَّةِ. فَكَذَلِكَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ فِي حَضْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ. فَتَطَهَّرْ وَتَوَضَّأْ بِمَاءِ الْغَيْبِ. أَيِ الْيَقِينِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَا شَكَّ مَعَهُ. وَالنِّيَّةِ، وَالصَّدَقِ، وَالْإِحْلَاصِ. وَدَلِيلُ مَاءِ الْغَيْبِ هُوَ الْيَقِينُ وَاللَّهُ أَغْلَمُ. فَقَوْلُهُ تَعَالَى: «الَّذِينَ يَكْتُبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُمْنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْفُونَ وَالَّذِينَ يُمْنُونَ بِمَا أُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ». وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «الَّذِينَ يُمْنُونَ بِالْغَيْبِ». أَيِ يُمْنُونَ بِقُلُوبِهِمْ، وَيُمْنُونَ بِالْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ الْآخِرَةَ غَيْبٌ. وَلَا يُمْنُونَ بِالْآخِرَةِ إِلَّا الْمُوقِنُونَ. فَلِذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ: تَوَضَّأَ بِمَاءِ الْغَيْبِ؛ الَّذِي هُوَ الْيَقِينُ، وَفَسَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «الَّذِينَ يُمْنُونَ بِالْغَيْبِ إِلَى قَوْلِهِ: يُوقِنُونَ». بِقَوْلِهِ: «أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ». فَهَذِهِ مَزِيَّةُ هَذَا الْوُضُوءِ، وَأَيُّ مَزِيَّةٍ أَغْلَى، لِمَنْ شَهِدَ اللَّهُ لَهُ بِالْهُدَى وَالْفَلَاحِ. وَقَوْلُهُ: «إِنْ كُنْتَ ذَا سِرٍّ». أَيِ إِنْ كُنْتَ صَاحِبَ سِرٍّ. وَالسِّرُّ هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ لِأَنَّهَا شَرْطُ فِي جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ. فَإِذَا انْتَفَى الشَّرْطُ، انْتَفَى الْمَشْرُوطُ. وَقَوْلُهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. هُوَ سِرُّ الْأَسْرَارِ. وَأَضَلُّ جَمِيعِ أَعْمَالِ الْأَخْيَارِ؛ لِأَنَّا لَوْ قَرَضْنَا أَنْ أَحَدًا يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ كُلُّهَا؛ مِنْ صَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَقِرَاءَةٍ، وَيَأْتِي بِوَجْهِ الْعِبَادَاتِ كُلِّهَا، وَاسْتَكْبَرَ عَنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. أَوْ نَطَقَ بِهَا وَلَمْ يَعْرِفْ مَعْنَاهَا، بَلْ نَطَقَ بِهَا خَاصَّةً، فَلَا يَنْفَعُهُ عَمَلٌ مِنَ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا. وَإِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ الْمُبَارَكَةُ؛ هِيَ أَضَلُّ الْأَسْرَارِ الرَّبَّانِيَّةِ. وَالْمَوَاهِبِ الْإِلَهِيَّةِ؛ وَبِهَا يَسْتَحِقُّ الْمُؤْمِنُ رِضَاءَ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَجْهَ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَهَا. وَبَيْنَ الْوُضُوءِ الْمَذْكُورِ. حَتَّى جَعَلَهَا شَرْطًا فِي صِحَّةِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْكُفْرَ نَجَسٌ. لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «يَكْفُرُهَا إِلَيْكَ» أَمَنُوا إِنَّمَا الشُّرُكُوتُ نَجَسٌ». الْآيَةُ. وَبِقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَذْكُورَةِ، يَظْهَرُ ذَلِكَ النَّجَسُ مِنْ حَيْثُ. وَيَصِيرُ مِنْ نَفْسِ قَوْلِهَا. وَاعْتِقَادِهَا وَلِيَا اللَّهُ تَعَالَى. وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ. فَهَذَا مُرَادُ النَّاطِمِ بِقَوْلِهِ: «إِنْ كُنْتَ ذَا سِرٍّ». وَاللَّهُ تَعَالَى أَغْلَمُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ تَدْخُلُ تَحْتَهَا جَمِيعُ الْأَسْرَارِ الرَّبَّانِيَّةِ. وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ ذِكْرَهَا

مفتاح الولاية الكبرى. فَأَيُّ سِرٍّ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا السِّرِّ. وَقَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلَا تَيْتَمُّمُ بِالضَّعِيدِ أَوْ الصَّخْرِ»: أَيُّ إِذَا عَدِمْتَ الْغَيْبَ؛ وَهُوَ الْيَقِينُ. وَكُنْتَ مِنْ أَصْحَابِ السِّرِّ. فَيَتَمُّمُ بِالضَّعِيدِ أَوْ بِالصَّخْرِ؛ لِأَنَّكَ لَا تَدْخُلُ الْحَضْرَةَ حَضْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى، إِلَّا بِالطَّهَارَةِ الْمُغْنَوِيَّةِ. كَمَا لَا تَدْخُلُ لِلصَّلَاةِ إِلَّا بِالْوُضُوءِ، أَوْ بِالتَّيَمُّمِ إِنْ عُدِمَ الْمَاءُ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ. وَمَرَادُهُ بِالضَّعِيدِ هُنَا: مَخَالِطَةُ الْأَوْلِيَاءِ الْعَارِفِينَ. وَالْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ، أَهْلُ الْيَقِينِ. لِأَنَّ الطَّبَاعَ تَسْرُقُ الطَّبَاعَ. فَتَقْتَدِي بِأَهْلِ الْيَقِينِ. وَتَهْتَدِي بِهِمْ، حَتَّى تَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْيَقِينِ؛ وَلِذَلِكَ اتَّفَقَ أَهْلُ هَذَا الطَّرِيقِ عَلَى أَنَّ الشَّيْخَ لَا بُدَّ مِنْهُ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْقَاسِمِ الْخَلِيلُ: «مَنْ لَا شَيْخَ لَهُ. فَالشَّيْطَانُ شَيْخُهُ». وَقَالَ: وَمَخَالِطَةُ الْأَخْبَارِ مُحِبَّتُهُمْ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ وَإِنْ كَانَ جَنْبًا. لِقَوْلِهِمْ: إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ، فَعَلَيْكَ بِمُحِبَّتِهِمْ؛ لِأَنَّكَ بِحَبِّكَ لَهُمْ تَصِلُ إِلَيْهِمْ. وَلِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُسْرَ مَعَهُمْ» وَقَالَ بَغْضُهُمْ: «مَنْ فَاتَتْهُ دَرَجَةُ الْوَلَايَةِ وَالصَّلَاحِ، فَعَلِيهِ بِمُحِبَّةِ أَهْلِهَا؛ لِأَنَّ مُحِبَّتَهُمْ وَلَايَةٌ». وَمَنْ أَحَبَّ أَهْلَ الْخَيْرِ، وَإِنْ كَانَ جَنْبًا، فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَّطَهَّرَ بِمَخَالِطَتِهِمْ فَهَذَا مُرَادُ النَّازِمِ بِالتَّيَمُّمِ بِالضَّعِيدِ. وَالْمُرَادُ بِالْجَنْابَةِ: الْجَنْابَةُ الْمَغْنَوِيَّةُ؛ وَهِيَ الْغَفْلَةُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ. وَالْإِنْهَمَاكَ فِي مَعَاصِي اللَّهِ؛ وَالْإِصْرَارُ عَلَيْهَا فَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَتَّطَهَّرَ مِنْ غَفْلَتِهِ، وَسَوْءِ فِعْلِهِ، بِتَوْبَتِهِ، وَرَجُوعِهِ إِلَى رَبِّهِ، وَوُقُوفِهِ عِنْدَ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ. وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. إِنْ كَانَ عَارِفًا بِذَلِكَ وَكَثْرَةَ الْيَقِينِ. وَالتَّصَدِيقَ، وَالنِّيَّةَ وَالْإِخْلَاصَ. وَإِنْ كَانَ جَاهِلًا بِذَلِكَ، وَغَلِبَهُ الْأَمْرُ فَعَلَيْهِ بِمَخَالِطَةِ الْأَخْبَارِ الْعَارِفِينَ، وَأَهْلِ الْيَقِينِ. نَسَأَلَ اللَّهُ التَّوْفِيقَ لَنَا وَلَكُمْ: وَقَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوْ بِالصَّخْرِ. أَيُّ أَلَّاكَ إِذَا لَمْ تَجِدْ مَاءَ الْغَيْبِ الَّذِي يَزْقَعُ الْحَدِيثَ الْأَكْبَرَ؛ وَهِيَ الْغَفْلَةُ، فَلَا غِنَى لَكَ عَنْ التَّيَمُّمِ بِالثَّرَابِ؛ وَهِيَ مَخَالِطَةُ الْأَوْلِيَاءِ الْعَارِفِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ. لِأَنَّ التَّرَابَ يَنْبِتُ فِيهِ كُلَّ نَبَاتٍ. فَكَذَلِكَ الْأَوْلِيَاءُ الْعَارِفُونَ كَلَامُهُمْ حِكْمَةٌ، يَنْبِتُ فِي الْقُلُوبِ شَيْئًا فَشَيْئًا. وَالْإِنْتِفَاعُ بِهِمْ حَاصِلٌ. نَفَعْنَا اللَّهُمَّ بِهِمْ. فَإِنْ لَمْ تَطْلُعْ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ عَرَائِسُ، وَالْعَرَائِسُ لَا يَزَاهُمُ إِلَّا مَخْرَمٌ مِنْهُمْ فَعَلَيْكَ بِمَخَالِطَةِ عُلَمَاءِ السُّوءِ وَالْمُنْتَسِبِينَ وَالْمُدَّعِينَ؛ لِأَنَّكَ رُبَّمَا تَسْمَعُ كَلِمَةً تَنْتَفِعُ بِهَا مِنْ نِيَّتِكَ وَصِدْقِكَ؛ لِأَنَّ مِنْ أَعْتَقَدَ الْخَيْرَ فِي صَخْرَةٍ نَالَ مِنْهَا. وَمُرَادُ النَّازِمِ بِالصَّخْرِ: الْحَجَرُ لِكَوْنِهِ لَا يَنْبِتُ فِيهِ نَبَاتٌ فِي غَالِبِ الْأَخْيَانِ، وَرُبَّمَا يَنْبِتُ فِي بَعْضِ بَكْشَرَةِ الْأَمْطَارِ. أَوْ بِكَثْرَةِ مُرُورِ الْمَاءِ عَلَيْهِ. فَكَذَلِكَ عُلَمَاءُ السُّوءِ، وَالْمُنْتَسِبُونَ، لَا يُنْتَفِعُ بِهِمْ فِي غَالِبِ الْأَحْوَالِ، لَكِنْ إِذَا دَامَ عَلَى مَجَالَسَتِهِمْ، فَرُبَّمَا يَنْتَفِعُ بِهِمْ؛ أَيُّ بِأَقْوَالِهِمْ؛ وَلِأَنَّ مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ. وَلِذَلِكَ أُمِرَ بِالْإِنْصَاتِ لِلْوَرَّاقِ، وَالْخَطِيبِ. وَقِرَاءَةِ كِتَابِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ؛

لأنه ربما يسمع كلمة فيتعبط بها. قال الشيخ زروق رحمه الله تعالى في صدر شرحه على المباحث الأصلية، قال:

تَشَاخَرُ الحق والباطل، فَعَلَبَهُ الباطلُ فقتله. فخاف أن يطلب به، فأخرقه. فجاء أهلُه وَفَرَّ مِنْهُمْ الْبَاطِلُ. وجمعوا رماد الحق وَجَعَلُوهُ فِي الْمَحَابِرِ وَكَتَبُوا بِهِ الْكُتُبَ. فَمَنْ أَرَادَ الْحَقَّ فِي زَمَانِنَا هَذَا فَلَا يَجِدْهُ إِلَّا فِي الْكُتُبِ. فهذا مراد الناظم بالصَّخْرِ لِكُونِهِمْ يَسْمَعُ مِنْهُمْ مَا كَانَ مُوَافِقاً، ويترك فِعْلَهُمْ لِمَا قِيلَ: «الْجَنُّ الثَّمَارِ وَخَلَّ الْعُودَ لِلثَّارِ». وَلِذَلِكَ قِيلَ وَرَبَّمَا يَسْمَعُ كَلِمَةً، يَنْتَفِعُ بِهَا سَامِعُهَا وَيُخْرَمُ مِنْهَا قَائِلُهَا. والله الموفق بِمَنْهُ لِلصَّوَابِ. وقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَقَدْ مَ إِماماً كُنْتُ أَنتَ إِمامُهُ». فالإمام هو المتبوع، والمأموم هو التابع. والمراد به هُنا. هو النبي ﷺ. فيجبُ على الإنسان أن يتبعه، ويُقدِّمه، ويتخذهُ إماماً. باتِّباعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. قال الله تعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ». فهو إمامٌ بِاتِّبَاعِهِ لَهُ. وقوله: كُنْتُ أَنتَ إِمامُهُ. فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَمَّا كَانَ مُرْتَكِباً لِلْمَعَاصِي، وَالْكَبَايِرِ، قَبْلَ التَّوْبَةِ فِي حَالِ الْمُؤْمِنِ الْعَاصِي. أَوْ حَالِ الْكَافِرِ، أَوْ مُشْرِكٍ؛ لِمَنْ كَانَ كَافِراً قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ وَهُوَ يَقِرُّ مِنَ التَّوْبَةِ، وَالْإِسْلَامِ. وَدَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ تَتَّبَعُهُ. حَتَّى عَمَّتِ الْآفَاقُ كُلُّهَا بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى فَعَلَى هَذَا الْمَتَّبِعِ هُوَ الْكَافِرُ. حَيْثُ فَرَّ مِنَ الْحَقِّ لِلْبَاطِلِ. فَالْمَتَّبِعُ: إماماً. والتابع: المأموم؛ وهو التابع لَهُ؛ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. طَوَّلَ حَيَاتِهِ: بِالْمُعْجَزَاتِ وَالْبَرَاهِينِ، وَالْحُجَّةِ، وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالنَّذْرِ وَالْوَعْدِ، وَالْقِتَالِ وَهُمْ فَارُودٌ مِنْهُ؛ وَهُمْ يَتَّبِعُهُمْ؛ حِرْصاً عَلَى هِدَايَتِهِمْ حَتَّى هَدَاهُمُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، فَأَمَرُوا بِاتِّبَاعِهِ. فَحِينَ كَانُوا مَتَّبِعِينَ لَهُ. كَانُوا أئِمَّةً لَهُ. لِكُونِ الْمَتَّبِعِ كَانَ إماماً لِتَابِعِهِ. وَالْآنَ أَمَرَهُمُ الشَّرْعُ الْعَزِيزُ بِأَنْ يَتَّبِعُوا النَّبِيَّ ﷺ. فَصَارَ إمامَهُمْ بِاتِّبَاعِهِمْ لَهُ. وَكَذَلِكَ عَصَا الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَزَالُوا هَارِبِينَ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَطَاعَتِهِ. وَالْأَوْلِيَاءُ يَتَّبِعُونَهُمْ بِالْمَوَاعِظِ، مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَيَأْمُرُونَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ. وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَكَذَلِكَ الْعُلَمَاءُ. وَلَمْ يَزَلْ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى يُخَاطِبُهُمْ وَسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِلَى أَنْ اسْتَيْقَضُوا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ. وَسُكْرَةِ الْأَهْوَاءِ. وَبَادَرُوا إِلَى التَّوْبَةِ، بِالرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ، عَلَى قَدَرِ صِدْقِهِمْ فَيَعِزُّونَ نَفْسَهُمْ مِنْ هَذِهِ التَّبَعِيَةِ. وَيَكُونُونَ تَابِعِينَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْعُلَمَاءِ، فَكَانُوا قَبْلَ التَّوْبَةِ مَتَّبِعِينَ، وَالْمَتَّبِعِ إماماً لِمَنْ تَبِعَهُ كَمَا تَقَدَّمَ، وَالْآنَ حِينَ تَابُوا أَمَرُوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْعُلَمَاءِ، وَالْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ كَانُوا تَابِعِينَ لَهُمْ، صَارُوا مَأْمُومِينَ لِمَنْ كَانَ إماماً لَهُمْ. وَهَذَا مُرَادُ النَّاطِمِ بِقَوْلِهِ: «وَقَدْ مَ إِماماً كُنْتُ أَنتَ إِمامُهُ». وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وقوله: «وَصَلِّ صَلَاةَ الْفَجْرِ فِي أَوَّلِ الْعَصْرِ». أي مراده واللَّهُ أَعْلَمُ بِالْفَجْرِ: الطَّاعَةِ فِي حَالَةِ الشَّبَابِ، وَالْعَصْرِ آخِرَ الْعَمْرِ.

وَلَمَّا كَانَ حَالُ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَأَوَانُ مَوْتِهِ مَجْهُولًا، لَا يَعْلَمُ كُلُّ أَحَدٍ بِمَوْتِهِ. أَيَّ يَوْمٍ أَوْ أَيِّ سَاعَةٍ. وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُوتُ صَغِيرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُوتُ كَبِيرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُوتُ شَابًا. وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُوتُ شَيْخًا. صَارَ كُلُّ إِنْسَانٍ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا فِي عَصْرِ يَوْمِهِ. أَيَّ آخِرِ عُمُرِهِ. وَيُصَلِّيُ صَلَاةَ الْفَجْرِ فِي حَالَةِ شَبَابِهِ. بَأَن يَطِيعَ اللَّهَ تَعَالَى، وَيَتَوَبَّ فِي أَوَّلِ عَصْرِه أَيَّ فِي أَوَّلِ عُمُرِهِ؛ لِأَنَّ صَلَاةَ الْفَجْرِ فِي كَلَامِ النَّاطِلِ: الطَّاعَةُ وَالتَّوْبَةُ، وَالتَّوْبَةُ، وَالتَّوْبَةُ، وَالتَّوْبَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي حَالَةِ الشَّبَابِ، وَهُوَ أَوَّلُ الْعَصْرِ أَيَّ أَوَّلِ الْعُمُرِ؛ لِأَنَّ عَصْرَ النَّهَارِ هُوَ آخِرُهُ. وَكُلُّ سَاعَةٍ مِنَ السَّاعَاتِ عَلَى الْإِنْسَانِ؛ فَهِيَ آخِرُ عُمُرِهِ لَا يَدْرِي هَلْ يَفُوتُهَا أَمْ لَا. فَهَذَا مُرَادُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَصْبَحَ، فَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِالْمَسَاءِ. وَإِذَا أَمْسَى فَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِالصُّبْحِ. وَقَوْلُهُ: «فَهَذِهِ صَلَاةُ الْعَارِفِينَ بِرَبِّهِمْ»؛ لِأَنَّ الْعَارِفِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مَهْمَا تَفَكَّرُوا أَوْ تَبَقَّظُوا مِنَ الْعَقْلَةِ، رَجَعُوا إِلَى اللَّهِ. وَتَابُوا تَوْبَةً نَصُوحًا. خَوْفًا أَنْ يَذْرَكَهُمُ الْمَوْتُ قَبْلَ الْوُفُودِ. وَيَنْدُمُونَ عَلَى مَا قَاتَ مِنْ عُمُرِهِمْ. فَهَذِهِ حَالَةُ أَكْبَرِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُوَفِّقِينَ فِي حَالِ شَبَابِهِمْ. بَلْ كَانُوا عُصَاةَ مُذْنِبِينَ. فَلَمَّا كَانُوا فِي آخِرِ عُمُرِهِمْ. تَذَارَكَهُمُ اللَّهُ بِعَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ. فَكَانَ أَوَّلُ عَصْرِهِمْ، وَصَلَاةُ فَجْرِهِمْ فَتَابُوا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَرَجَعُوا إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. وَبَلَّغَهُمْ حَضْرَةَ قَدْسِهِ فِي الْحَيِّ، بِفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ. كَالْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَأَكْبَرِهِمْ مِنْهُمْ. بَلْ جَلَّاهُمْ نَفْعًا اللَّهُ بِبَرَكَاتِهِمْ فَكَانَ الْوَقْتُ الَّذِي تَفَكَّرُوا فِيهِ، هُوَ صَلَاةُ فَجْرِهِمْ وَأَوَّلُ عَصْرِهِمْ. وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا فِي أَوَّلِ الشَّبَابِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ الْمُبَادَرَةُ إِلَى التَّوْبَةِ. مَهْمَا تَفَكَّرَ وَتَبَقَّظَ. سَوَاءً فِي حَالَةِ الشَّبَابِ. أَوْ فِي حَالَةِ الْكِهُولَةِ أَوْ الشَّيْخُوخَةِ. وَمِنْهُمْ نَفَعَنَا اللَّهُ بِبَرَكَاتِهِمْ، كَانَ مُوَافِقًا فِي حَالِ الصَّغَرِ، كَمَعْرُوفِ الْكَرَّخِيِّ، وَالشَّيْخِ الْجِيلَانِيِّ، وَالشَّيْخِ مَوْلَانَا عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ مَشِيشٍ، وَأَمْثَالِهِمْ، فَقَلِيلُونَ، نَفَعَنَا اللَّهُ بِبَرَكَاتِهِمْ. وَاللَّهُ الْمُوفِقُ بِمَنْنِهِ. وَقَوْلُهُ: «فَإِنْ كُنْتُ مِنْهُمْ فَأَنْضَحُ الْبَرَّ بِالْبَحْرِ». التَّنْضِجُ: هُوَ الرُّشُّ بِالْيَدِ تَقُولُ: نَضَجْتُ الشَّيْءَ إِذَا رَشَشْتَهُ بِالْمَاءِ. وَالْبَرُّ: الشَّرِيعَةُ، وَالْبَحْرُ: الْمَرَادُ بِهِ الْحَقِيقَةُ. أَيَّ كُنْ مُلْتَبِسًا بِالشَّرِيعَةِ. مُلَازِمًا لِلْحَقِيقَةِ.

الشريعة هي أَنْ تَعْبُدَهُ؛ وهي أَمْرٌ وَنَهْيٌ. والحقيقة أَنْ تُشَاهِدَهُ؛ وهي قَضَاءٌ وَقَدْرٌ، فيجب عليك أَنْ تَقِفَ مَعَ الشريعة في حالِ الأَمْرِ والنَّهْيِ. وَلَا تَخْرُجَ عَنِ الْحَقِيقَةِ، في حالِ القَضَاءِ والقَدْرِ. وَدُمْ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَحِينِ الْمَمَاتُ.

الْقُشَيْرِيُّ: الشريعة: مُلَازِمَةُ الْعِبَادَةِ. وَالْحَقِيقَةُ: مُشَاهَدَةُ الرَّبُّوبِيَّةِ. فَكُلُّ شَرِيعَةٍ غَيْرُ مَقِيْدَةٍ بِالْحَقِيقَةِ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ. وَكُلُّ حَقِيقَةٍ غَيْرُ مَقِيْدَةٍ بِالشَّرِيعَةِ؛ فَهِيَ غَيْرُ مَحْمُودَةٍ. وَهَذَا مُرَادُ النَّاطِمِ بِقَوْلِهِ: «فَانْضَحِ الْبَرْ بِالْبَحْرِ». أَيِ انْضَحِ الشَّرِيعَةَ بِالْحَقِيقَةِ. أَيِ اجْمَعْ بَيْنَهُمَا.

قَالَ الشَّيْخُ الشَّرِيشِيُّ:

وَلِلشَّيْخِ آيَةٌ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ فَمَا هُوَ إِلَّا فِي لَيْالِي الْهَوَى يَسْرِي
إِذَا لَمْ يَكُنْ عِلْمٌ لَدَيْهِ بِظَاهِرٍ وَلَا بَاطِنٍ فَاضْرِبْ بِهِ لُجَجَ الْبَحْرِ
فَعِلْمُ الشَّرِيعَةِ هُوَ عِلْمُ الظَّاهِرِ. قَالَ الشَّيْخُ: عِلْمٌ لَدَيْهِ بِظَاهِرٍ. وَعِلْمُ الْحَقِيقَةِ:
هُوَ عِلْمُ الْبَاطِنِ الَّذِي قَالَ الشَّيْخُ: وَلَا بَاطِنٌ إِلَّا أَنْ عِلْمَ الشَّرِيعَةِ مُحْصُورٌ فِي خَمْسَةِ
أَقْسَامٍ عَلَى مَا قَالَ الْمَطْرَفِيُّ. وَعَلَى مَا قَالَ ابْنُ السَّبْكِ بِسِتَةِ بَزِيَادَةِ الْأُولَى. وَعِلْمُ
الْحَقِيقَةِ مُوَاهِبٌ لَا تُحْصَى. وَهَذَا مَا خَصَرَ لِأَخِيكُمْ فِي اللَّهِ فِي هَذَا الْجَوَابِ.

وَأَمَّا هَذِهِ الْأَبْيَاتُ، فَقَدْ اخْتَوَتْ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعُلُومِ لَوْ جَعَلْنَا عَلَيْهَا
الْمُجَلَّدَاتِ، وَالِدَوَاوِينَ وَالْأَسْفَارَ، مَا اخْتَوَتْ عَلَى أَحَدِهَا بِكَوْنِهِ كَلَامٌ مَثُورٌ، صَدَرَ
مِنْ شَيْخٍ كَامِلٍ جَلِيلٍ. فَكَيْفَ لِعَاجِزٍ مِثْلِي تَحْوُمُهُ⁽¹⁾ وَكَيْفَ لِنَاقِصٍ بِطَاعَةٍ مِثْلِي
يَتَسَوَّقُ سَوْقَهُ. فَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِفَتْحِ بَصِيرَتِنَا، وَأَنْ يَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِنَا
بِحَبْلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى ﷺ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَإِلَيْهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا

(1) قَوْلُهُ رَبِّهِ اللَّهُ عَنْهُ: كَيْفَ لِعَاجِزٍ مِثْلِي الْخ. قَالَهُ نَوَاضِعُ اللَّهِ تَعَالَى. أَوْ كَانَ هَذَا الشَّرْحُ فِي بَدَايَةِ الْفَتْحِ عَلَيْهِ فِي عِلْمِ الْبَاطِنِ. لِأَنَّهُ بَعْدَ الْفَتْحِ الْأَكْبَرِ غَرِقَ فِي عُلُومِ الْمَعَانِي، وَغَابَ عَنِ الْأَوَانِي. كَلَامُ الْحَجِّ الْعَمْرَانِيِّ الْخَالِدِيِّ عَبْدَ السَّلَامِ.

شرح الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الأجرومية

قال الشيخ الإمام، الحَبْرُ الهَمَامُ، العَارِفُ الرَّبَّانِي، والقُطْبُ الصَّمَدَانِي، قُدْوَةُ السَّالِكِينَ. وَمَنَارُ الوَاصِلِينَ، بحر العِزِّفَان، ومَشْرِقُ شَمْسِ العِيَان، مُوَضِّحُ الطَّرِيقَةِ. الجامع بين الشريعة والحقيقة. أَبُو العَبَّاس، سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ سَيِّدِي مُحَمَّدُ بْنُ عَجِيْبَةِ الحَسَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ آمِينَ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الْمَثَانِ، الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَفَضَّلَهُ بِالْعَقْلِ عَلَى سَائِرِ الْأَكْوَانِ، ثُمَّ خَصَّ الْعَرَبَ الْعَارِبَةَ بِالْبَرَاغَةِ وَالْبَلَاغَةِ، وَفَصَاحَةِ اللِّسَانِ، فَأَنْزَلَ عَلَى لِسَانِهَا، وَمَحَاوَرَةَ كَلَامِهَا الْقُرْآنَ، فَأَعْجَزَ بِبَلَاغَتِهِ وَبَرَاغَتِهِ الْإِنْسَانَ وَالْجَانَّ، وَأَخْرَسَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ فِرْسَانَ الْبَرَاغَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانَ. نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَوْلَانَا مِنْ سَوَابِغِ الْإِحْسَانِ. وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. شَهَادَةُ أَهْلِ الدُّوْقِ وَالْعِيَانِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ قُطْبُ دَائِرَةِ الزَّمَانِ. وَأَنْصَحُ مَنْ نَطِقُ بِالْحَقِّ وَالتَّيْبَانِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَعِثْرَتِهِ وَأَخْرَاجِهِ الَّذِينَ أَظْهَرَ اللَّهُ بِهِمْ مَنَارَ الْإِسْلَامِ. وَأَشْرَقَ بِهِمْ أَنْوَارَ الْإِيمَانِ، وَشَمُوسَ الْعِزِّفَانِ.

وَبَعْدُ: فَأَهْمُ مَا يَغْنِيُنِي بِهِ الْإِنْسَانُ، بَعْدَ إِصْلَاحِ دِينِهِ بِتَحْقِيقِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، إِصْلَاحُ لِسَانِهِ مِنَ اللَّحْنِ فِي الْكَلَامِ. وَذَلِكَ بِالتَّغْلُغِ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَةِ. إِذْ بِذَلِكَ يَتَقَوَّى عَلَى فَهْمِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَسُئَةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ الَّذِينَ بِهِمَا قَامَ الدِّينُ. وَاسْتَقَرَّ بِقَاوُذِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَلَوْلَا هَذَا الْعِلْمُ الشَّرِيفُ لَدَخَلَ فِي السُّئَةِ الْمُحَمَّدِيَةِ التَّغْيِيرُ وَالتَّحْرِيفُ، وَلَوْ قَعَّ الْخَلَلُ فِي فَهْمِ كِتَابِ اللَّهِ الْحَكِيمِ، فَتَعَيَّنَ حِفْظُ هَذَا الْعِلْمِ وَتَحْصِيلُهُ عَلَى كُلِّ عَاقِلٍ لَبِيبٍ. ثُمَّ يَجِبُ عَلَيْهِ بَعْدَ إِصْلَاحِ لِسَانِهِ، إِصْلَاحُ عَقْلِهِ وَجَنَانِهِ بِتَضْفِيفَتِهِ مِنَ الرُّذَائِلِ، وَتَحْلِيلَتِهِ بِأَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ لِيَتَأَهَّلَ بِذَلِكَ قَلْبُهُ لِإِشْرَاقِ أَنْوَارِ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ، وَأَسْرَارِ التَّفْرِيدِ فِإِصْلَاحِ اللِّسَانِ كِمَالِ دُونَ كِمَالِ، وَإِصْلَاحِهَا مَعًا. كَمَالُ الْكَمَالِ. وَلِلَّهِ دَرُ سَيِّبَوِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ يَقُولُ:

لِسَانٌ فَصِيحٌ مُعَرِّبٌ فِي كَلَامِهِ فَيَايَتُهُ مِنْ حَسْرَةِ الْعَرْضِ يَسْلَمُ
وَمَا يَنْفَعُ الْإِعْرَابُ إِنْ لَمْ يَكُنْ تُقَى وَمَا ضَرَدَا تَقْوَى لِسَانٍ مُعْجِمُ

وقال الشيخ الصالح، الفقيه الميموني رضي الله عنه: وَأَتْبَعَ مِنَ الْقَبِيحِ، أَنْ يَتَعَلَّمَ الْإِنْسَانُ، أَوْ يُعَلِّمَ إِضْلَاحَ اللِّسَانِ. وَلَا يَتَعَلَّمَ أَوْ يُعَلِّمَ إِضْلَاحَ الْقَلْبِ، الَّذِي هُوَ مَحَلُّ الرَّبِّ. فَالْتَّخُوْا عَلَى قِسْمَيْنِ، تَخَوُّ لِسَانَ الْقَمِ، وَتَخَوُّ الْقَلْبِ، وَمَعْرِفَةُ تَخَوُّ الْقَلْبِ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ أَكْثَرُ وَأَنْفَعُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللِّسَانِ بِذَلِيلٍ: أَنَّنَا نَجِدُ مَنْ لَا يُحَسِّنُ التَّلَفُّظَ بِكَلَامِ الْعَرَبِ، فَيَلْتَحِنُ فِي كَلَامِهِ، بَرَفْعِ الْمَنْصُوبِ، وَنَصْبِ الْمَرْفُوعِ، وَيَكُونُ فِي حَالِهِ مُتَخَلِّقاً بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَهَذَا هُوَ الْغَالِبُ فِي زَمَانِنَا هَذَا. وَهَذَا مَذْمُومٌ عِنْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ، فَسَاقُ أُمَّتِي قُرْأَتُهُمَا. وَقَالَ أَيْضاً: الْعِلْمُ عِلْمَانِ، عِلْمُ اللِّسَانِ، فَذَلِكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ. وَعِلْمُ الْقَلْبِ، فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ هُوَ، وَعِلْمُ الْقَلْبِ هُوَ الْيَقِينُ الْكَبِيرُ، وَمَعْرِفَةُ اللَّهِ بِنِعْتِ الْعَيَانِ؛ وَهُوَ هُوَ النُّحُو الْقَلْبِي؛ وَهُوَ فَرَضُ عَيْنٍ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، أَغْنِي عِلَاجَ الْقَلْبِ مِنَ الْأَمْرَاضِ، كَحُبِّ الدُّنْيَا الَّذِي هُوَ رَأْسُ الْخَطَايَا وَهَمُّ الرِّزْقِ، وَخَوْفُ الْخَلْقِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تَعْوِقُ عَنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَشَهَادَتِهِ. وَهَذَا النُّحُو الْقَلْبِي؛ تَسْمِيهِ الصُّوفِيَةِ الْمَخَوِّ بِالْمِيمِ؛ لِأَنَّهُ يَمْحُو مِنَ الْقَلْبِ كُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ. وَهَذَا الْعِلْمُ هُوَ مُحِطٌ بِحَالِهِمْ، وَمَجَالُ أَفْكَارِهِمْ، قَدْ اسْتَعْنَوْا بِهِ عَنْ جَمِيعِ الْعُلُومِ، قِيلَ لِلْوَلِيِّ الْكَبِيرِ سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلْ قَرَأْتَ شَيْئاً مِنَ التَّخَوِّ، فَقَالَ: قَرَأْتُ بَيْنَيْنِ مِنَ الْأَلْفِيَةِ. قَوْلُهُ: فَمَالْنَا إِلَّا اتِّبَاعُ أَحْمَدَ. وَقَوْلُهُ: فَمَا أُبَيِّحُ أَفْعَلَ وَدَعَ مَا لَمْ يَبَيِّحْ. وَقَالَ شَيْخُ شَيْخِنَا وَمَادَّةُ طَرِيقِنَا مَوْلَايَ الْعَرَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا عَرَفْتُ مِنَ التَّخَوِّ إِلَّا إِعْرَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. إِنْ شَرِطُ، وَيُغْنِيهِمْ جَوَابُ الشَّرْطِ، وَالْمُرَادُ بِالْغِنَا الْأَكْبَرُ، فَيَكُونُ خُطَاباً لِلْمُتَوَجِّهِينَ عَلَى طَرِيقِ أَهْلِ الْإِشَارَةِ. وَأَجَلٌ مَا صُتِفَ فِي عِلْمِ التَّخَوِّ لِلْمُبْتَدِئِ، وَفَتْحٌ بِهِ عَلَى الْمُتَمَتِّهِ: الْمَقْدَمَةُ الْجُرُومِيَّةُ، الْمُبَارَكَةُ الْمِيمُونَةُ. عَمَّ نَفْعُهَا الْمَشَارِقُ وَالْمَغَارِبُ، وَتَلَقَّاهَا بِالْقَبُولِ كُلُّ سَالِكٍ وَطَالِبٍ، فَذَلِكَ عَلَى خُلُوصِ نِيَّةِ مُؤَلِّفِهَا وَصِلَاحِهِ. وَقَدْ أَرَدْتُ بَعْوَنَ اللَّهِ أَنْ أَضَعَّ عَلَيْهَا شَرْحاً مُتَوَسِّطاً، مُتَوَشِّحاً بِتُكَيْتٍ عَجِيبَةٍ قُلُّ أَنْ تَوْجِدَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَطْوَلَاتِ. وَإِشَارَاتٌ صُوفِيَّةٌ غَرِيبَةٌ قُلُّ أَنْ يَغُوصَ عَلَيْهَا مَنْ لَهُ شَأْنٌ فِي عِلْمِ الْأَذْوَاقِ وَالْإِشَارَاتِ.

وَسَمَّيْتُهُ الْفَتْوحَاتِ الْقُدُوسِيَّةَ، فِي شَرْحِ الْمَقْدَمَةِ الْأَجْرُومِيَّةِ. وَكُلَّ عِلْمٍ لَا يَنْبَغِي الشُّرُوعُ فِيهِ، حَتَّى يَعْلَمَ الْخَائِضُ فِيهِ حِلَّةً وَمَوْضُوعَهُ وَوَضْعَهُ، وَاسْتِمْدَادَهُ، وَسَائِرَ

مبادئه العشرة التي أشار إليها الفقيه العالم، المحرر، سيدي أحمد بن زكريا التلمساني بقوله:

الْحَدُّ وَالْمَوْضُوعُ ثُمَّ الْوَاضِعُ وَالاسْمُ الِاسْتِعْدَادُ حَكْمُ الشَّارِعِ
تَضَوُّرُ الْمَسَائِلِ الْفَضِيلَةُ وَنَسَبَةُ فَائِدَةٍ جَلِيلَةٍ
حَقٌّ عَلَى طَالِبِ عِلْمٍ أَنْ يُحِطَ بِفَهْمِ ذِي الْعَشْرَةِ مِيزَهَا يُنِيطُ

أَمَّا حَذُّهُ. فهو علم مستخرج بالمقاييس، المستنبطة من استقراء كلام العرب، أو علم يعرف به أحوال أواخر الكلام إغراباً وبناءً، وموضوع الكلمات الثلاث، الاسم والفعل والحرف؛ لأنه يُنَحَّثُ عنها. من حيث إعرابها وبنائها، وإفرادها وتركيبها. وواضعه أمير المؤمنين. سيدنا عليّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، بسبب شكوى أبي الأسود الدؤلي لحن بنوه فقال له: يَا أَبَا الْأَسْوَدِ، اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، الكلمة اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أُنبِئَ عن المُسَمَّى. والفعل ما أُنبِئَ عن حركة المُسَمَّى، والحرف مُوَصَّلٌ بينهما. وانحُ على هذا النُحُو، أي انسج على هذا الشُّبْهِ. ولهذا سُمِّي علم النحو؛ وهو من إطلاق لفظ المُضَدِّ على المفعول، فالنحو بمعنى المنخو. كالنَّسَجِ بِمَعْنَى المنسوج. واعلم أن إعراب الكلام كان للعرب سجية لا يقدرُونَ على اللُّحْنِ. فلما ظَهَرَ الْإِسْلَامُ، ونكحت الصحابة بنات العجم. اختلطت الألسن، فكادت العربية تتلاشى. فوضع عليّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ علم النُّحُو. وقال الفخر الرازي في كتابه المحرر في علم النحو: رَسَمَ عَلِيّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ لِأَبِي الْأَسْوَدِ بَابَ إِنَّ. وباب الإضافة، وباب الإمامة. ثم صنف أبو الأسود باب العطف، وباب الثَّغْتِ ثم صَنَّفَ بَابَ التَّعَجُّبِ، وباب الْإِسْتِفْهَامِ. وقيل: واصله أبو الأسود من غَيْرِ واسطة. وقيل أول من وَضَعَهُ نصر بن عاصم، وقيل عبد الرحمن بن هُرْمُز، والمشهور الأول. وتقدم وَجْهٌ تسميته بِالنُّحُو. والمتصف به نَحْوِي، يجمع على نَحْوِيَّيْنِ. وأما نَحَاة، فجمع ناح. كقاص وقضاة. واسْتِمْدَادُهُ من كَلَامِ الْعَرَبِ نَظْماً وَنَثْراً. وَحُكْمُهُ فَرَضُ الْكِفَايَةِ؛ لِأَنَّهُ وَسِيلَةٌ لِحِفْظِ الْعِلْمِ وَمِفْتَاحُهُ. إِلَّا مَنْ تَصَدَّى لِنَفْسِهِ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَلَامَ رَسُولِهِ ﷺ، فَيَكُونُ فِي حَقِّهِ فَرَضٌ عَيْنٍ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مَتَعَمِداً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». وَالْجَاهِلُ مُلْحَقٌ بِالْعَامِدِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ. وَقَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ فِي الْمَحْصُولِ: اَعْلَمْ أَنَّ مَعْرِفَةَ اللَّغَةِ، وَالنَّحُوَّ وَالتَّصْرِيفَ، فَرَضُ كِفَايَةٍ؛ لِأَنَّ مَعْرِفَةَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَاجِبَةٌ بِالْإِجْمَاعِ؛ وَمَعْرِفَةُ الْأَحْكَامِ دُونَ مَعْرِفَةِ أَدْلَتِهَا مُسْتَحِيلٌ. فَلَا بَدَّ مِنْ

معرفة أدلتها، والأدلة راجعة للكتاب والسنة، وهما واردان بِلغة العرب. فقد توقف علم الأحكام على الأدلة، ومعرفة الأدلة تتوقف على معرفة اللغة والنحو. وما يتوقف عليه الواجب المطلق، فهو واجب، وقال عز الدين بن عبد السلام: من أنواع الواجبات، الاشتغال بعلم النُحو الذي يفهم كلام الله. وكلام رسوله ﷺ. وذلك لأن حفظ الشريعة واجب، ولا يتأتى حفظها إلا بذلك. وما لا يتم الواجب المطلق إلا به، فهو واجب. وتصور مسائله، هي معرفة كَوْنِ الفاعِل مرفوعاً، والمفعول منصوباً، والمضارع معرباً، والماضي والأمر مبنيين.

والضمير لا يعود على ما بعده إلا في مسائل. وقس على هذا من قواعده، وفضيلته: معرفة كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وصونهما من اللحن والتحريف. ونَاهِيكَ به شرفاً. وقد قال عليه السلام: «نُصِّرَ الله امرءاً سَمِعَ منا حديثاً فحفظه حتى يُبْلَغَهُ عَنَّا كما سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبْلَغٍ أَوْعَى لَه من سَامِعٍ» رواه الترمذي. ومعنى نُصِّرَ: حَسَّنَ وبهَج. وعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: إعراب القرآن أَحَبُّ إِلَيَّ من حفظ بعض حُرُوفِهِ. وعن عمر رضي الله عنه: تعلموا العربية، فإنها تزيد في العقل والمروءة. وعن علي رضي الله عنه:

النُحو يصلح من لسان الأَلَكَنِ والمَرْء تعظمه إذا لم يلحن
وإذا كَلَبَتْ مِنَ الْعِلْمِ أَجَلُهَا فأَجَلُهَا منها مقيم الألسن
وكان عُمَرُ رضي الله عنه: يضربُ ولده على اللحن. وعن الحسن البصري رضي الله عنه: من لحن في القرآن، فقد كَذَبَ على الله هـ. وقال أبو حيان في قصيدة له بعد كلام:

وَقَدْ قَصُرَتْ أَعْمَارُنَا وَعِلْمُنَا يطول علينا حصرها ونكايد
وَفِي كِلَيْهَا خَيْرٌ وَلَكِنْ أَضْلَاهَا هو النحو فاحذر من جهول يعانده
بِهِ يَعْرِفُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ الَّتِي هما أضل دين الله ذو أنت عابده
وقال ابن الوردي في أول تحفته:

وبعد فالجاهل بالنحو اختقر إذ كُلُّ عِلْمٍ فَإِلَيْهِ يَفْتَقِر
وقال السيوطي في ألفيته:

النُحو ما بِهِ خَيْرٌ ما بِهِ الْمَرْءُ عُنِي إذ لَيْسَ عِلْمٌ عَنْهُ حَقّاً يَغْتَنِي

وقال آخر:

لو تعلم الطير ما في النحو من أدب

وقال آخر:

ازكب جواد النحو لم يكن

تفلسف ثم تقوف فلنيس

ونسبته من العلوم الجزئية؛ لأنه جزئي لها، وآلة توصل إليها. ولأعلم إلا

وهو محتاج إليه كملاً أو شرطاً كما تقدم. وفائدته، أي غايته: ملكة يحترز بها من

الخطأ في النطق: حتى لا يفت يخرج عن القواعد العربية في الغالب. وأعلم أن

النحو مركب من علم الإعراب، وعلم التعريف، فهما كالقن الواجد. لا تتم إلا

بهما. ولذا يجمعان غالباً في الموضوعات، غير أن الكثير يصدر عن الإعراب؛ لأنه

هو الأول وضعاً كما تقدم عن سيدنا علي كرم الله وجهه، ثم وضع علم

التصريف، ومنهم من يبدأ بالتعريف؛ لأن مبحثه المفرد، وهو قبل المركب. وقد

تذكر جملة من التعريف في علم الإعراب، كبناء صيغة المضارع، والأمر، وأبنية

المصادر. وأسماء الفاعلين والمفعولين. والصفة المشبهة بها. واسم التفضيل،

والزمان، والمكان، والإصالة، والتكسير والتصغير ونحو ذلك. فإن هذا شعبة من

علم التصريف. أدرج في علم الإعراب، وذلك؛ لأن علم التصريف على قسمين.

قسم يرجع لتغيير الكلمة لمعنى. كبناء الفاعل والمفعول؛ وهو المذكور غالباً في

باب الإعراب، وقسم يرجع إلى تغييرها لغير معنى، وهو المذكور في باب

التصريف. والكتب الموضوعة لهذا العلم ثلاثة أقسام: مختصرة، ومتوسطة،

ومطولة. فالأولى كهذه المقدمة. وجمل المجرد، وقواعد ابن هشام. والثانية.

كألفية ابن مالك، والسيوطي، ومغنى ابن هشام وأضرابها. والثالثة: ككتاب

سببويه، وتسهيل ابن مالك وأضرابها. فقد قال أبو حيان: من قرأ التسهيل؛ لم

يكن تحت إديم السماء أنحى منه. وقد حلف ألا يقرأ من كتب النحو إلا هو. وها

هنا اصطلاحات قد يتوقف عليها في علم النحو، منها تفسير الشاذ والضعيف

والضرورة. فالشاذ من خالف القياس من غير نظر إلى قلة وجوده، وكثرته.

والضعيف ما قل وجوده في كلام العرب. والضرورة ما ليس للشاعر عنه مندوحة.

وقد يستعملون غالباً، وكثيراً ونادراً وقليلاً ومطرداً. فالمتطرد: ما لا يتخلف،

والغالب ما كثر لكن يختلف. والكثير دونه والقليل دونه. والتأدير: أقل من القليل،

وَلَا يُقَاسُ إِلَّا عَلَى الْكَثِيرِ وَالْمُطَرَّدِ عَلَى الْمَشْهُودِ. وَالشَّاهِدُ: مَا يَذْكَرُ لِتَقْرِيرِ قَاعِدَةِ
مِنْ كَلَامِ اللَّهِ، أَوْ كَلَامِ رَسُولِهِ، أَوْ كَلَامِ الْعَرَبِ. وَالْمِثَالُ: مَا يَذْكَرُ لِإِيضَاحِ تِلْكَ
القاعدة. وَالْبَصْرِيُّونَ هُمُ النَّحْوِيُّونَ النَّاشِئُونَ بِالْبَصْرَةِ، كَسِييُوهُ، وَمَنْ أَخَذَ هُوَ عَنْهُمْ
كَالْخَلِيلِ، وَيُونُسَ، وَأَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ. وَمَنْ تَبَعَ هَؤُلَاءِ فِي الْمَذْهَبِ، وَإِنْ لَمْ
يَنْشَأْ بِالْبَصْرَةِ. لَكِنْ أَخَذَ بِمَذْهَبِهِمْ. وَالْكُوفِيُّونَ: هُمُ النَّحْوِيُّونَ النَّاشِئُونَ بِالْكُوفَةِ،
وَأَشْهَرُهُمُ الْكَسَائِيُّ الْمَقْرِي، وَمَنْ أَخَذَ عَنْهُ كَيْحِي بْنِ زَكْرِيَا. وَخَلْفَ الْأَحْمَرِ،
وَهْشَامُ الضَّرِيرِ. وَأَبِي إِسْحَاقَ الْبَغَوِيِّ وَأَصْرَابِيهِمْ. وَمَنْ تَبَعَ مَذْهَبَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَنْشَأْ
بِالْكُوفَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ إِنْ كَانَ عَقْلِيًّا أَوْ ذَوْقِيًّا لَمْ يَحْتَجْ إِلَى نِسْبَةِ قَائِلِهِ. إِذْ بُرْهَانُهُ فِي
نَفْسِهِ، وَشَاهِدُهُ مَعَهُ. فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ قَائِلِهِ إِلَّا حَيْثُ الْكَمَالُ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ
نَقْلِيًّا، فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ قَائِلِهِ؛ لِأَنَّهُ مُوَكَّلٌ إِلَى أَمَانَتِهِ، فَمَنْ اعْتَمَدَ فِي نَقْلِهِ عَلَى مَنْ
لَا يُعْرَفُ حَالُهُ، كَانَ كَالْبَانِي عَلَى غَيْرِ أَسَاسٍ. ثُمَّ مَا تَرَكِبَ مِنْهُمَا كَالْفَقِيهِ وَالنَّحْوِيِّ،
فَإِنَّ كِلَاهُمَا مَنْقُولٌ مَعْقُولٌ، لَكِنْ يَغْلِبُ فِيهِ جَانِبُ النُّقْلِ، فَيَنْبَغِي مَعْرِفَةَ الْقَائِلِ،
لِتَطْمَئِنَّ النَّفْسُ، فَإِنَّ الْمُؤَلِّفَ رَحِمَهُ اللَّهُ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ دَاوُدَ الصَّنَهَاجِيِّ،
عَرَفَ بِابْنِ أَجْرُومَ، بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ الْمَمْدُودَةِ، وَضَمِّ الْجِيمِ وَالرَّاءِ الْمَشْدُودَةِ، وَمَعْنَاهُ
بِلُغَةِ الْبَرَبْرِ، الْفَقِيرُ الصَّوْفِيُّ. وَلَعَلَّمَهُ فِي لُغَتِهِمُ بِالْقَافِ الْمَعْقُودَةِ، وَوَصَفَهُ بَعْضُ
الشُّرَاحِ بِالْفَقِيهِ، الْإِمَامُ الصَّالِحُ الْبَرَكَةُ. وَبَعْضُهُمْ بِالْأُسْتَازِيَّةِ وَالْأُسْتَازِ بِالذَّالِ
الْمَعْجَمَةِ، وَهَمْزَةُ مَضْمُومَةٍ، لَفْظَةً فَارْسِيَّةً عَرَبِيَّتُهَا الْعَرَبُ. وَمَعْنَاهُ عِنْدَ الْفَرَسِ الْعَالِمُ
بِالشَّيْءِ. الْمَاهِرُ فِيهِ، وَالْجَمْعُ أَسَاتِيزُ. وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَالِمًا بِالْقُرْآنِ، مَاهِرًا فِيهَا.
شَرَحَ جِرْزَ الْأَمَانِيِّ شَرْحًا عَجِيبًا، وَتَمَهَّرَ فِي الْعَرَبِيَّةِ، فَكَانَ مُجْتَهِدًا فِيهَا، لَا يَتَّقِي
بِمَذْهَبِ الْبَصْرِيِّينَ. وَلَا مَذْهَبِ الْكُوفِيِّينَ، بَلْ يَمِيلُ مَعَ الْحَقِّ أَيْنَمَا ظَهَرَ لَهُ. أَخَذَ
عَنْ أَبِي حَيَّانَ، وَمُغِيرَةَ. وَوُلِدَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَامَ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ وَسِتْمِائَةَ، وَفِي هَذِهِ
الْمِائَةِ تَوَفَّى جَمَالَ الدِّينِ. ابْنَ مَالِكٍ، صَاحِبَ الْأَلْفِيَّةِ: فَكَانَ يَقُولُ: تَوَفَّى نَحْوِي،
وَوُلِدَ نَحْوِي، وَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةَ، فَعَمَرَهُ إِحْدَى
وْخَمْسُونَ سَنَةً. رُوِيَ أَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَجَّ وَأَلْفَ هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ تَجَاهُ الْكُفَّةِ،
وَلِذَلِكَ عَمَّتْ بَرَكَتُهَا. وَلَمْ يَفْتَحْ كِتَابَهُ بِالْحَمْدِ لَهُ، بَلْ اِكْتَفَى بِالْبِسْمَةِ أَوَّلًا فَقَالَ:
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَالْبَاءُ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحْذُوفٍ، يَقْدَرُ كُلُّ وَاحِدٍ، مَا جَعَلَتْ
التَّسْمِيَةَ مَبْدَأً لَهُ. فَيَقْدَرُ هُنَا، أَوَّلُفَ، وَيُقْدَرُ مُؤَخَّرًا لِلْإِبْتِدَاءِ بِالْحَضَرِ وَالِإِخْتِصَاصِ،
وَالْبَاءُ لِلْإِسْتِعَانَةِ، أَوِ الْمَصَاحِبَةِ وَالْمَلَابَسَةِ، وَطَوَّلَتْ خَطَا، عَوْضًا مِنَ الْأَلْفِ

المحذوف. والاسم مشتق من التَمَوُّ عند البصريين؛ وهو العلو والارتفاع، لأنه يدلُّ على مسماء ويظهره. وأضله سمو حذفت لأمه، وعوض عنها همزة وصل وعند الكوفيين من الوشم؛ وهو العلامة؛ لأنه علامة على مسماء. حذفت فاؤه، وعوض عنها همزة وصل قَوَزَنه عند البصريين أفع، وعند الكوفيين اعل. والله عَلمٌ على الذات الواجبة الوجود، المستحقة للكمالات؛ وهو أعزف المعارف عند الجمهور، وبعده الضمير، وهل هو مترجل أو منقول خلاف. والرحمن والرحيم صفتانِ بنيتا للمبالغة من رَحِمَ بعد نقله إلى فَعَلَ بالضم لأنَّ الصفة المشبهة لا تكون إلا من القاصِر، والجمهور على أنَّ الرَّحْمَنَ أبْلَغ من الرحيم؛ لأنَّ كثرة المبني تدلُّ على كثرة المعنى. واختلف في تعيين معناهما، فقليل الرَّحْمَن في الدنيا، والرحيم في الآخرة. ولا شك أن الرحمة في الدنيا أعم؛ لأنها تشمل المؤمن والكافر. وفي الآخرة خاصة بالمؤمن. وقيل: الرَّحْمَان بجلال النعم، والرحيم بدقائقها. وقيل: الرَّحْمَان بنعمة الإيجاد. والرحيم بنعمة الإمداد، وهذا أحسنها، ويجوز فيهما سبع إعرابات جرَّهما ورفعهما ونصبهما. ورفع الثاني ونصبه، مع جر الأول ورفع الأول، ونصب الثاني، وعكسه. ولا يجوز جز الثاني مع رفع الأول أو نصبه. إذ لا يجوز الاتباع بعد القطع على المشهور.

إعلان: علامة الصاد في هذا الكتاب تدل على المصنف. وعلامة الشين تدل على الشارح هـ. ولما كان المقصود من عِلْم النَّحْو، إصلاح الكلام من اللَّحْن، بدأ به فقال رحمه الله. (ص): الكلام هو اللَّفْظ المركب المفيد بالوضع. (ش). قلت: الكلام عند اللُّغَوِيَّين، كل ما يفهم المقصود، كان قولاً أو غيره. وعند النحويين ما أشار إليه المصنف بقوله: هو اللفظ، أي الصَّوْت المشتمل على بعض الحروف الهجائية، فاحترز به، مما يفهم المعنى وليس بلفظ كالخط. تقول العرب: الخط أخذ اللسانين، والإشارة كقول الشاعر:

حَوَاجِبُنَا تَقْضِي الحَوَائِجَ بَيْنَنَا ونحن صُمُوت والهوى يتكلَّم

ولسان الحال كقول الشاعر:

امتلاً الحوض وقال خطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني

وحديث النفس. قال الشاعر:

إن الكلام في الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

والتكليم؛ وهو مصدر كَلَّمَ. كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

قالوا كلامك هنداً وهي مصغية يشفيك قلت صحيح ذاك لو كنا
فَأَطْلَقَ الْكَلَامَ عَلَى التَّكْلِيمِ، الَّذِي هُوَ مَعْنَى؛ وَهُوَ إِيْصَالُ الْكَلَامِ إِلَى الْغَيْرِ؛
فهذه الأمور كُلُّهَا تُسَمَّى كَلَامًا فِي اللُّغَةِ لَا فِي اصْطِلَاحِ النُّحَوِيِّينَ. قَالَ فِي الْكَلَامِ،
عَوْضًا عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، أَيْ كَلَامِ النُّحَوِيِّينَ، وَقِيلَ لِلِاسْتِغْرَاقِ. قَالَ الْمُبَرِّدُ: الْكَلَامُ
كُلُّ عَرَبِيٍّ وَعَجَمِيٍّ لَا يَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ: الْفَلِظِ وَالتَّرْكِيبِ وَالْإِفَادَةِ.
وَبِقَوْلِهِ بِالْوَضْعِ، يَخْرُجُ غَيْرُ كَلَامِ الْعَرَبِ. وَالْمَرْكَبُ: مَا تَرَكَّبَ مِنْ كَلِمَتَيْنِ فَأَكْثَرُ،
سواء كَانَ مَلْفُوظًا أَوْ مَقْدَرًا كَاسْتَقَمَ.

وسواء تَرَكَّبَ فِي اسْمَيْنِ، أَوْ مِنْ فِعْلٍ وَاسْمٍ، أَوْ مِنْ فِعْلٍ وَاسْمَيْنِ، أَوْ مِنْ
فِعْلٍ وَثَلَاثَةِ أَسْمَاءَ، أَوْ مِنْ جُمْلَتَيْنِ. وَاحْتَرَزَ بِهِ مِنَ الْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ. إِمَّا حَقِيقَةً،
كَكَلِمَةِ وَهْلٍ وَبَلٍّ، أَوْ حَكَمًا كَبَغْلَبِكَ. وَامْرَأَةُ الْقَيْسِ وَتَابَطُ شَرًّا عَلَمًا. وَأَسْقَطَ هَذَا
الشَّرْطَ أَيْ التَّرْكِيبَ، كَثِيرٌ مِنَ النُّحَوِيِّينَ، اسْتِغْنَاءً عَنْهُ بِالْمَفِيدِ.

تنبيه: لَا يَشْتَرِطُ فِي الْمَرْكَبِ أَنْ يَكُونَ مِنْ مَتَكَلِّمٍ وَاحِدٍ، فَلَوْ اتَّفَقَ رَجُلَانِ أَنْ
يَقُولَ أَحَدُهُمَا كَلِمَةً، وَالْآخَرُ كَلِمَةً وَحَصَلَتِ الْفَائِدَةُ لِلْسَّامِعِ، لَكَانَ كَلَامًا. كَمَا أَنَّ
الْكَاتِبَ لَا يَشْتَرِطُ اتِّحَادَهُ، فِي كَوْنِ الْحَطِّ خَطَّهُ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ، وَغَيْرُهُ. وَالْمَفِيدُ:
مَا أَفَادَ فَائِدَةً يَحْسُنُ سَكُوتُ الْمُتَكَلِّمِ عَلَيْهَا، بِحَيْثُ لَا يَصِيرُ السَّامِعُ مُنْتَظِرًا لشيءٍ
آخَرَ. وَاحْتَرَزَ بِهِ، مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ. لِتَوْقِفِهِ عَلَى غَيْرِهِ لَجُمْلَةِ الشَّرْطِ دُونَ الْجَزْأِ أَوْ
مَا هُوَ مَعْلُومٌ عِنْدَ الْمُخَاطَبِ كَالسَّمَاءِ فَوْقَنَا، وَالْأَرْضِ تَحْتَنَا، وَالنَّارُ حَارَّةٌ، وَاللَّهُ
رَبُّنَا، إِذَا خَاطَبَ بِهِ الْمُؤْمِنَ. هَكَذَا قَالَ الْجُمْهُورُ. وَقَالَ أَبُو حَيَّانٍ، لَا وَجْهَ
لِاسْتِثْنَاءِ كَوْنِ الْفَائِدَةِ جَدِيدَةٍ. وَإِلَّا لَزِمَ فِي كُلِّ مَا عَلِمَ مَذْلُوقُهُ أَلَّا يَكُونَ كَلَامًا.
وَاللَّازِمُ بَاطِلٌ. قُلْتُ: أَمَّا الْإِخْبَارُ بِمَعْلُومٍ فَلَا وَجْهَ لِلنُّطْقِ بِهِ؛ إِلَّا عَلَى وَجْهِ التَّبَرُّكِ
وَالْتَلَذُّذِ أَوْ التَّرْقِي فِي الْيَقِينِ، أَوْ التَّحْذِيرِ وَالتَّبَشِيرِ فِي الْوَعْظِ. فَهَذَا لَا بَأْسَ بِذِكْرِهِ.
وَيُسَمَّى كَلَامًا بِاعْتِبَارِ قَالِبِهِ وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَقَوْلُهُ بِالْوَضْعِ: الْمُرَادُ بِهِ الْوَضْعُ
الْعَرَبِيُّ؛ وَهُوَ جَعْلُ الْفَلِظِ دَلِيلًا عَلَى الْمَعْنَى. احْتَرَزَ بِهِ مِنَ كَلَامِ الْعَجَمِ. وَهُوَ كُلُّ
مَا خَالَفَ الْعَرَبِيَّةَ، كَالْعِبْرَانِيَّةِ، وَالسَّرْيَانِيَّةِ، وَالشَّلَحِيَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. فَلَا يُسَمَّى شَيْءٌ
مِنْ ذَلِكَ كَلَامًا عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ، إِذْ لَا يَبْحَثُ لَهُمْ فِيهِ بِإِعْرَابٍ وَلَا بِنَاءٍ. وَقِيلَ الْمُرَادُ
بِالْوَضْعِ: الْقَضْدُ. وَهُوَ أَنَّ يَقْصِدُ الْمُتَكَلِّمُ إِفَادَةَ السَّامِعِ، فَاحْتَرَزَ بِهِ مِنَ كَلَامِ النَّائِمِ،
وَالسَّكَرَانِ. وَمَحَاكَاةِ الطَّيُورِ، فَلَا يُسَمَّى شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ كَلَامًا. وَهَذَا الْقَيْدُ اعْتِبَرَهُ

الجزولي، وابن مالك، وابن عصفور وغيرهم. ورد بأن المفيد يغني عنه. فإن حصلت الفائدة للسامع من هؤلاء، وأيقن بصحة كلامهم، سمي كلاماً في حقه. قال الأزهري، وهذا الخلاف له التفات إلى الخلاف في دلالة الأحكام، هل هي وضعية أو عقلية، والأصح الثاني. فإن من عَرَفَ مُسَمًى زَيْدٍ، وعَرَفَ مُسَمًى قائم. وسمع زيد قائم بإعرابه المخصوص فهِمَ بِالضَّرُورَةِ مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ هـ. يغني أن الخلاف في تفسير الوَضْعِ بِالْوَضْعِ الْعَرَبِيِّ، أو بِالْقَضْدِ مَبْنِي عَلَى الْخِلَافِ فِي دِلَالَةِ الْكَلَامِ وَعَلَى الْمَعْنَى، هل هي وضعية أو عقلية. فإن قلنا دلالة الكلام على المعنى وضعية. فسرنا الوَضْعَ بِالْقَضْدِ. وقوله: والأصح الثاني: فيه نظر، بل الأصح. أن دلالة الكلام وضعية؛ لأن العرب، كما وضعت المفردات تدل على الأشخاص، وضعت الجمل تدل على النسب، لكن وضع المفردات بالشخص، بأن وضعت كل مفرد يدل على مُسَمَّاء. ووضع الجمل بالنوع بأن وضعت بعض الجمل تدل على النسب، بأن تكلمت ببعض الجمل، وسكتت عن الباقي. فقيس ما لم تتكلم به على ما تكلمت به. فانظر الشنواني. هذا ما يتعلق بالكلام. وأما الكلم فهو اسم جنس جمعي، أقله ثلاثة. أفاد أم لا. فقولك قام زيد كلام لا كلم. وقولك إن قام زيد كلم لا كلام. وقولك قد قام زيد كلام، وكلم. والكلمة: اسم مفرد كزيد. والقول عام. فيصدق بالكلام والكلم والكلمة. وينفرد بقولك غلام زيد، فبين الكلام والكلم عموم وخصوص من وجه، ويبحث فيه الأزهري بعد اتحاد المادة، فانظره، والله تعالى أعلم.

الإشارة: الكلام عند الأكياس، هو اللفظ المركب من المقال والحال. بأن يكون المتكلم ممن ينهض حاله. ويدل على الله مقاله، المفيد في قول المستمعين. إما علوماً أو أنواراً، أو أسراراً. وفي الحكم: تنبئ أنوار الحكماء أقوالهم، فحيث ما سار التنوير، وصل التعبير. فيفيد بمجرد وضعه في القلوب، نهوضاً واشتياقاً إلى الحضرة المقدسة، أو خوفاً زاجراً عن المعصية. والحاصل أن الكلام إذا خرج من القلب، وضع في القلب. فيفيد إما خوفاً مُزْعِجاً، أو شوقاً مقلقاً. وإذا خرج من اللسان، كان حذو الأذان. أو تقول: الكلام عند الحكماء هو اللفظ المركب من القول والعمل. فإذا كان الكلام خالياً عن العمل، كان غيره مفيداً في القلوب لكون الحال يكذب المقال؛ لأن المتكلم الواعظ، إذا عمل أولاً. ثم تكلم ووعظ، نفَع قولُه. وأنهض حاله. وإلا كان ضرباً من حديد بارد، وفي ذلك يقول الشاعر:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلَّمُ غَيْرُهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ

تَصِفُ الدَّوَاءَ لَدِي السَّقَامِ وَذِي الضُّعْفِ
وَتَرَاكَ تُضْلِحُ بِالرِّشَادِ عَقُولَنَا
إِنْدَا بِنَفْسِكَ فَانْهَاهَا عَنْ غِيَّهَا
فَهَنَّاكَ يُقْبَلُ إِن وَعِظْتَ وَيَقْتَدِي
وَمِنَ الضُّعْفِ وَجَوَاهُ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
تُضْحَا وَأَنْتَ مِنَ الرِّشَادِ عَدِيمٌ
فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّغْلِيمُ
عَارَ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ
لَأَتْنَهُ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلُهُ

وإن شئت قلت: الكلام الذي يعود بالتثفع على صاحبه هو اللفظ المركب من القلب واللسان. المفيد بوضعه في القلب؛ تنويراً أو ترقية وشهوداً؛ وهو الذكر الحقيقي باللسان والقلب. أو بالقلب والروح، أو بالروح والسر؛ وهو دوام الشهود، أو المفيد أجراً جزيلاً، وإحساناً جميلاً. وهو ذكر اللسان والقلب. إذا كان بلا شينخ، أو أمراً بمعروف، أو نهياً عن منكر. وما سوى ذلك لغو وهدر، ولهو وتضييع العمر. واشتغال بما لا يغني. قال تعالى: ﴿لَا حَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾. وقال عليه السلام: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ». فالكلام كله عليك لا لك. إلا ذكر الله وما والآه. وفي الحديث: «رَجِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَكَتَ فَسَلِمَ، أَوْ تَكَلَّمَ فَغْنِمَ». ويرحم الله القائل:

لَوْ يَكُونُ الْكَلَامُ فِي الْقِيَّاسِ
إِذَا لَكَانَ الصُّمُوتُ مِنْ عَيْنِ الدَّهَبِ
مِنْ فِضَّةٍ بَنِيضَاءٍ عِنْدَ النَّاسِ
فَأَفْهَمَ هَذَاكَ اللَّهُ آدَابَ الطَّلَبِ

وسمعت شيخنا البوزيدي رضي الله عنه يقول: الفقير الصادق، يتكلم بكلمة واحدة، يقضي بها ألف حاجة، والفقر الكاذب، يتكلم بألف كلمة، يقضي بها حاجة واحدة هـ. وقلت في بعض الرسائل لبعض الإخوان بعد كلام: طالب الوصول، لا تجده إلا ذاكرة، أو متفكرة، أو تالياً، أو مصلياً، أو مذكراً، أو مستمعاً. أوقائه معمورة، وحركاته وسكناته بالإخلاص ملحوظة، إن تكلم فبذكر الله. أو ما يقرب إلى الله، وإن صمت فعن الغيبة في الله يجول في عظمة الله. أو فيما يقربه إلى الله. وإن تحرك فبالله وإلى الله. وإن سكن فمع الله، مستأنساً بالله مشغلاً بربه، غائباً عن نفسه ليس له عن نفسه إخبار، ولا مع الله قرار. أنسه بالله، ومجالسته مع الله التقوى زاده، والقناعة رفاذه. ومن بحر العرفان استمداده. قد استغنى بالله عما سواه. ورفض وراء ظهره دنياه وهواه، قد اتخذ الله صاحباً.

وترك الناس جانباً، وفي الصّفت عن غير ذكر الله جكم وأسرار لا يدوقها إلا من استعمله وتخلق به. والله تعالى أعلم: هذا ما يتعلق بكلام الخلق عبارة وإشارة. وأما كلام الحق تعالى، فهو معنى قائم بذاته، قديم بقديم الذات، ممتزج عن الحروف والأصوات، وعن التركيب والتقديم والتأخير، وسائر أنواع التغيرات المتعلقة تعلق دلالة بما يتعلق به العلم من المتعلقات.

ولما كانت المغنى لا تظهر إلا بالحس، خلق الله حروفاً وأصواتاً تدل على ذلك المغنى، فتارة يخلقها من الجمادات كالشجرة وغيرها مثلاً، وتارة من الحيوانات كالملائكة والادمي وغيرهما. فكما أن الذات لا تظهر إلا في مظاهر التجليات الخليفة. فالكلام معنى قائم بالذات، ولا تقبض المعنى إلا بالحس فأظهر الله حروفاً وأصواتاً تدل على معنى كلامه تعالى. ولما كانت كل صفة من صفاته تعالى لا تنتهى. كان ما يدل عليها لا يتناهى جنسه ونوعه. فالكلام الذي هو معنى قائم بذاته تعالى؛ لا نهاية له؛ لأنه تابع لعلمه. كذلك ما يدل عليه، لا يتناهى جنسه ونوعه: «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَفُتِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِثًّا بِمِثْلِهِ مَدَدًا». «وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَاتِ اللَّهِ». وقول المتكلمين: كُلَّمَا دَخَلَ الوجودُ مُتَنَاهٍ خَاصَّ بالمخلوقات وصفاتها. وأما ذات الحق تعالى وصفاته فلا نهاية لها، ولا لِمَا يدل عليها فتجليات الذات لا تنحصر ولا تنتهى. وكذلك تجليات الصفات لا تنحصر ولا تنتهى نوعاً وجنساً. فكلام الخلق يتناهى لفظاً ونوعاً، وكلام الحق لا يتناهى نوعاً، وإن كان يتناهى لفظاً. فكل كلمة برزت للوجود تنتهى في نفسها؛ لأنها مخلوقة، ولا تنتهى في نوعها؛ لأنها دالة على معنى لا نهاية لها. فإذا انقضت كلمة من جهة لفظها، فلا بد من كلمة أخرى، تدل على المعنى الذي لا نهاية له. وهكذا: لأن الكلام تابع للعلم، وعلمه تعالى لا نهاية له. فكذلك كلامه الدال عليه. فالحروف والأصوات مخلوقة حادثة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ تَحْدِيثٌ﴾. والمعنى قديم بقديم الذات والله تعالى أعلم.

ولما كان كل مركب لا بد له من أجزاء يتركب منها، بين ذلك فقال: (ص): وأقسامه ثلاثة: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، (ش). قلت: الضمير يعود على الكلام؛ فهو من تقسيم الشيء إلى أجزائه لا إلى أنواعه، والفرق بينهما أن تقسيم الشيء إلى أنواعه، يصح حمل المفسوم على كل نوع من أنواعه كتقسيم الإعراب

إلى أربعة كما يأتي فيصح أن يقول: الرفع إعراب، والنصب إعراب، والخفض إعراب بخلاف تقسيم الكلام إلى الاسم والفعل والحرف. فلا يصح أن تقول: الاسم كلام، والفعل كلام، والحرف كلام. فهو من تقسيم الشيء إلى أجزائه، أي أجزاء الكلام التي يتركب منها، من حيث مجموعها لا جميعها ثلاثة. والتحقيق أن التقسيم إنما هو الكلمة التي يتركب الكلام منها. فلو قال: وأقسامه الكلمة التي يتركب منها ثلاثة، لكان أحسن؛ لأن الكلام قد يتركب من جزءين فقط. فلا يفي بتمام التقسيم. وحقيقة الاسم: ما دل على معنى في نفسه؛ ولم يتعرض بصيغته للزمان؛ وهو على ثلاثة أقسام، ظاهر، ومضمر، ومُنبه كالموصولات والإشارات. وحقيقة الفعل ما دل على معنى في نفسه، وتعرض بصيغته للزمان؛ وهو ثلاثة: ماضٍ، ومضارع، وأمر، وحقيقة الحرف: ما دل على معنى في غيره فقط؛ وهو ثلاثة: مختص بالأسماء، كحرف الجر، ومختص بالأفعال كالنواصب والجوازم، ومشترك بينهما، كهل وبِل وكم. وقولنا في مد الحرف فقط، احتراز من أسماء الشروط وإنها تدل في نفسها وفي غيرها. فهي أسماء لا حُرُوف. وسُمي الاسم اسماً لِسُموه؛ لأنه يدل على شرف مسماة، غالباً، ولأنه يخبر به وعنه. ولذلك استحق التقديم، وسُمي الفعل فعلاً؛ لأنه يدل على فعل صدر من الفاعل، ولذلك قال سيدنا علي كرم الله وجهه، ورضي عنه الاسم ما دل على المسمى. والفعل ما دل على حركة المسمى. وقد لا يدل على فعل كَمَاتَ وَهَلَكَ. فيدل على الاتصاف بالشيء أي اتصف بالموت والهلاك. ومنه عز وذو أي اتصف بالعز والذل. وسُمي الحرف حرفاً لوقوعه طرفاً من الكلام ليس مقصوداً بالذات، ومن حرف الجبل، أي طرفه. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾. أي طرف من الدين غير متمكن منه بل أقل شيء يُزلزله عنه. واختَرَزَ بقوله، جاء لمعنى من حروف المعاني التي هي جزء الكلمة، كالضاد من ضَرَبَ. والعَيْن من عَمَرَ. ومن حروف المُعْجَم التي هي أصل مدار اللغة عريبها وعجميها. وهي ألف، وباء، وتاء إلى آخره فإنها أسماء، والمعنى الذي جاء إليها الحرف هي المعنى في غيره كَمِنَ لتبعض الكلام فهي تدل على تبعض غيرها لا نفسها أو ابتداء غاية غيرها، وهكذا. وكذلك إلى تدل على انتهاء غيرها. الواقع بعدها، وكذلك سائر حروف المعاني كإن لتوكيد ما بعدها ولت للتمني وقس على ذلك.

الإشارة: وأقسام الكلام الذي يصل به العبد إلى حضرة مولاه ثلاثة اسم أي ذكر الاسم المفرد؛ وهو الله. قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَنَّم رَّبِّكَ وَتَبْتَئِلْ إِلَيْهِ تَتَذَكَّرُ﴾. أي

انقطع إليه انقطاعاً كلياً لئلاً ونهاراً. فالاسم المفرد هو سلطان الأسماء؛ وهو اسم الله الأعظم، فلا يزال العريد يذكره بلسانه، ويستهل به، حتى يمتزج بلحمه ودمه. وتسري أنواره في كليته وجزئياته. فيتجدد الذكور والمذكور، فينتقل الذكر إلى القلب، ثم إلى الروح، ثم إلى السر، فحينئذ يخرس اللسان، ويحضر على محل الشهود والعيان. فيصير ذكر اللسان ذنباً من الذنوب عند مشاهدة علام الغيوب حسنات الأبرار، سيئات المقربين. وفي ذلك يقول الشاعر:

مَا إِنْ ذَكَرْتَكَ إِلَّا هَمَّ يَلْعُنُنِي سِرِّي وَقُلُوبِي وَرُوحِي عِنْدَ ذِكْرِكَ
حَتَّى كَأَنْ رَقِيباً مِنْكَ يَهْتَفُ بِي إِيَّاكَ وَيَحْكُ وَالْتِدَارُ إِيَّاكَ
أَمَا تَرَى الْحَقَّ قَدْ لَاحَظَتْ شَوَاهِدُهُ وَوَصَلَ الْكُلُّ مِنْ مَغْنَاهُ مَغْنَاكَ
فَالذِّكْرُ مَنْشُورُ الْوِلَايَةِ، وَلَا بُدَّ مِنْهُ فِي الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ. وهو باب عظيم للدخول على الله، كما قال الشاعر:

الذِّكْرُ بَابٌ عَظِيمٌ أَنْتَ دَاخِلُهُ فَاجْعَلْ بِمَنْزِلِهِ الْأَنْفَاسَ حُرَّاسَا
والثاني الفِعْلُ: والمراد به مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ فِي خَرْقِ عَوَائِدِهَا، كَيْفَ تَخْرُقُ لَكَ العوائد، وأنت لم تغير من نفسك العوائد. فتخرق كثرة الكلام بالصُّمُتِ، وكثرة الثَّوْمِ بالسُّهْرِ. وكثرة الأكل بشيءٍ من الجوع. وأهمَّ العَوَائِدِ الشَّاقَّةِ عَلَى النَّفْسِ حُبُّ الرِّيَاسَةِ وَالنَّجَاهِ، فيتخرقها بالذلِّ والفقر، والنزول بها إلى أرض الخُمُولِ. اذفن وجودك في أرض الخُمُولِ، فما نبت مما لم يذفن لا يتم نتاجه. والمراد بالخُمُولِ، كل ما يسقط جاهها. ويخط قدرها عند الناس فقد قالوه: هم كُلُّ مَا سَقَطَ مِنْ عَيْنِ الْخَلْقِ، عَظُمَ مِنْ عَيْنِ الْحَقِّ. وبِالْعَكْسِ فَإِذَا صَارَ الذَّلُّ وَالضَّعْفُ وَالْخُمُولُ عِنْدَهُ أَخْلَى مِنَ الْعِزِّ. فَقَدْ مَلَكَ نَفْسَهُ. وَمَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ، مَلَكَ الْوُجُودَ بِأَسْرِهِ. وَوَصَلَ إِلَى خَضِرَةِ رَبِّهِ. قَالَ بَغْضَهُمْ: انْتَهَى سَيْرَ السَّائِرِينَ بِالظَّفَرِ لِنَفْسِهِمْ. فَإِنْ ظَفِرُوا بِهَا وَصَلُوا.

والثالث: الحرف. والمراد به الهمة والقريحة، وطلب الوصول إلى الله تعالى، وهذا الحرف لا بُدَّ مِنْهُ فِي الْبِدَايَةِ. فَإِذَا وَصَلَ إِلَى اللَّهِ حَذَفَهُ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. إِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ مِنَ الْحَرْفِ، فَحَرْفُ بَيْنِكَ وَبَيْنَ اللَّهِ، خَيْرٌ مِنَ الْحَرْفِ يَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْخَلْقِ. والمراد بالحرف الطمع في الوصول إلى مرتبة من المراتب. فالحرف التوراني، هو الطمع في الوصول إلى الله أو إلى رضوانه أو إلى

كرامة من كرامة أوليائه، أو إلى نعيمه الدائم. والحرف الظلماني، هو الطمع في الوصول إلى حظ من حظوظ النفس العاجلة، كالرياسة والتعظيم والجاه، وحب الدنيا وغير ذلك من المقاصد الدنيوية، التي يقصدها أهل الهَمَم الدنيوية. والحاصل من الإشارة، أنها ترجع إلى الأقسام الثلاثة التي يقطعها المريد؛ وهي الشريعة، والطريقة، والحقيقة فالشريعة أقواله عليه السلام. والطريقة أفعاله والحقيقة أخواله. قال ﷺ: «الشريعة مقالي والطريقة فعالتي والحقيقة حالتي» فالشريعة أن تعبده، والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده، فالشريعة جلها أقوال. والطريقة جلها أفعال، أي مجاهدة ومكابدة. والحقيقة جلها أخلاق وأذواق، وإلى هذا ترجع الإشارة بقوله: اسم وفعل وحرف، كما تقدّم فالشريعة لِلْعَوَام، والطريقة لِلْخَوَاص، والحقيقة لِلْخَوَاصِ الْخَوَاص. فَالْعَوَام اقْتَصَرُوا عَلَى التَّمَسُّكِ بِالشَّرِيعَةِ الظَّاهِرَةِ. وَالْخَوَاص تَمَسَّكُوا بِالشَّرِيعَةِ فِي الظَّاهِرِ وَزَادُوا سُلُوكَ الطَّرِيقِ إِلَى الْحَقِيقَةِ بِتَهْدِيبِ النُّفُوسِ، وَتَطْهِيرِ الْقُلُوبِ. وَهُمْ السَّائِرُونَ مِنَ الْمُرِيدِينَ. وَخَوَاصِ الْخَوَاص: تَمَسَّكُوا بِالشَّرِيعَةِ فِي الظَّاهِرِ. وَبِالطَّرِيقَةِ فِي الْبَاطِنِ. فَأَشْرَقَتْ عَلَيْهِمُ أَنْوَارُ الْحَقَائِقِ، فَتَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَرِثُوا حَالَهُ وَمَقَالَهُ. فَهُمْ الْوَرِثَةُ الْحَقِيقِيُّونَ وَرِثُوا التَّرَكَّةَ بِتَمَامِهَا، أَقْوَالَهُ، وَأَفْعَالَهُ، وَأَخْوَالَهُ، وَإِلَى هَذَا أَشَارَ صَاحِبُ الْمَبَاحِثِ حَيْثُ قَالَ:

تَبِعَهُ الْعَالِمُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْعَابِدُ النَّاسِكَ فِي الْأَفْعَالِ
وَفِيهِمَا الصُّوْفِيُّ فِي السَّبَاقِ لِكَيْتَهُ قَدْ زَادَ بِالْأَخْلَاقِ
وَذَكَرَ الْقَشِيرِيُّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ قَالَ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ: هُوَ الْمَتَمَسِّكُ بِأَقْوَالِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمُقْتَصِدُ، أَيِ الْمَتَوَسِّطُ، الْمَتَمَسِّكُ بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَالسَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ الْمَتَمَسِّكُ بِأَخْلَاقِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ هـ. أَيِ الْمَتَمَسِّكُ بِأَخْلَاقِهِ. بَعْدَ التَّمَسُّكِ بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَتَمَيَّزُ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ. فَقَالَ (ص): فَالاسْمُ يَعْرِفُ بِالْخَفْضِ وَالتَّنْوِينِ وَدُخُولِ الْأَلِفِ وَاللَّامِ، وَحُرُوفِ الْخَفْضِ. (ش) قُلْتُ الْفَاءُ فَصِيحَةٌ جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ مَقْدَرٍ، كَأَنَّ قَائِلًا قَالَ: فِيمَاذَا يَعْرِفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ فَقَالَ، فَالاسْمُ يُعْرِفُ بِالْخَفْضِ؛ لِأَنَّ الْأَفْعَالَ لَا خَفْضَ فِيهَا. وَالْحُرُوفُ كُلُّهَا مَبْنِيَّةٌ؛ وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْكُسْرَةِ الَّتِي يَحْدُثُهَا الْعَامِلُ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ، سِوَاكَ كَانَتْ بِالْحَرْفِ، أَوْ بِالْإِضَافَةِ، أَوْ بِالتَّبْعِيَةِ. وَقَدْ اجْتَمَعَتْ فِي الْبَسْمَلَةِ، أَوْ بِالْمَجَاوِرَةِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

كَأَنَّ أَبَانَا فِي أَفَانِينَ وَدَقَهُ كَبِيرُ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مَزْمَلٍ فَمَزْمَلٌ نَعْتُ لَكَبِيرٍ خَفَضَ،
مَبْجَاوِرَةٌ بِجَادٍ، أَوْ بِالتَّوْهُمِ.

كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

بَدَا لِي أَنِّي لَسْتُ مَدْرَكَهَا مَضَى وَلَا سَابِقَ شَيْئاً إِذَا كَانَ جَائِباً
فسابق عطف على مدرك المنصوب، لكئنه خفض على توهم دخول بَاء الجر
في خبر ليسْ أَنِّي لَسْتُ بِمَدْرَكٍ شَيْئاً لم يسبق به القدر، وَلَا لَاحِقٍ شَيْئاً سَبَقَ به
القَدْرُ قَبْلَ وَقْتِهِ. وعبر المصنف بالخفض، وهو عبارة الكوفيين، وعبارة البصريين
الجر؛ وهو أَفْصَحُ، ويعرف أيضاً بالتَّنْوِينِ؛ وَهُوَ مُصَدَّرٌ نُونُتِ الْكَلِمَةِ، أَدْخَلْتُ
عَلَيْهَا نُوناً، وَفِي الْإِصْطِلَاحِ: نُونٌ سَاكِنَةٌ زَائِدَةٌ تَلْحَقُ الْآخَرَ، تَثْبِتُ لَفْظاً لَا خَطَأً،
لِغَيْرِ تَوْكِيدٍ، فنون جنس وساكنة: أخرج به ضيفين ورعشين لغة في الضيف
والمزتعش. وزائدة: أخرج به نون لدن. وتلحق الآخر: أخرج نحو غَضَنْفَرٍ. اسم
للأسد، ولغير توكيد: أخرج كنسفعاً وليكوناً، فَإِنَّهَا نُونُ التَّوْكِيدِ. وَكُتِبَتْ بِالْأَلْفِ
مِرَاعَاةً لِلْوَقْفِ؛ لِأَنَّهَا تَبْدُلُ فِي الْوَقْفِ أَلِفاً. قَالَ فِي الْأَلْفِيَةِ: وَأَبْدَلْنَهَا بَعْدَ فَتْحِ أَلِفٍ.
وَفَقْأً كَمَا تَقُولُ فِي قِصَصٍ قِصَا. وَهُوَ أَزْبَعَةُ أَقْسَامٍ، تَنْوِينُ التَّمَكِّينِ؛ وَهُوَ الَّذِي يَدُلُّ
عَلَى تَمَكِّينِ الْإِسْمِ فِي بَابِ الْإِسْمِيَّةِ. بَحِثْ لَا شِبْهَ فِيهِ لِلْحَرْفِ قِيَمَتِي، وَلَا لِلْفِعْلِ
فِيَمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ، كَرَزِيدٍ وَرَجُلٍ وَتَنْوِينُ النُّكْرَةِ، وَهُوَ الَّذِي يَدْخُلُ عَلَى بَعْضِ
الْأَسْمَاءِ الْمُبْنِيَّةِ، فَيَدُلُّ عَلَى تَنْكِيرِ الْكَلِمَةِ أَيْ شَيْئِهَا إِنْ وَجَدَ وَعَلَى تَعْرِيفِهَا أَيْ
تَشْخِصِهَا إِنْ قُدِّرَ كَسَيِّبِيَّةِ، فَإِنْ نُونَتْهُ دَلَّ عَلَى كُلِّ شَخْصٍ اسْمُهُ سَيِّبِيَّةِ، وَإِنْ لَمْ
تُنُونْهُ دَلَّ عَلَى النَّحْوِيِّ الْمَعْلُومِ إِمَامِ النَّحْوِيِّينَ. وَكَذَلِكَ قُلْ: إِنْ نُونَتْهُ دَلَّ عَلَى أَيْ
سُكُوتٍ، كَانَ وَإِنْ لَمْ تُنُونْهُ دَلَّ عَلَى سُكُوتٍ مَعْلُومٍ، وَكَذَلِكَ أَيَّْةٌ بِمَعْنَى حَدَّثَ، فَإِنْ
نُونَتْهُ دَلَّ عَلَى الْأَمْرِ بِأَيِّ حَدِيثٍ، كَانَ. وَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِيَّاهُ يَأْتِي
الْخُطَابُ». أَيْ حَدَّثَ بِمَا شِئْتَ. وَإِنْ لَمْ تُنُونْهُ، دَلَّ عَلَى الْأَمْرِ بِحَدِيثٍ مَعْهُودٍ،
وَتَنْوِينُ الْعَوَاضِ؛ وَهُوَ الَّذِي يُعَوِّضُ عَنْ حَرْفٍ، كَجَوَارٍ وَعَوَاشٍ. فَأَصْلُهُ جَوَارِي
وَعَوَاشِي مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ، ثُمَّ اسْتَشْقَلَتِ الضُّمَّةُ فَحَذَفَتْ، فَصَارَ جَوَارِي
وَعَوَاشِي، ثُمَّ حَذَفَتْ الْبَاءُ وَعَوِّضَ مِنْهَا التَّنْوِينُ، عَلَى الْمَشْهُورِ، أَيْ عَنْ كَلِمَةِ
كَتْنُونٍ كُلِّ وَبَعْضٍ عَنِ الْجُمْهُورِ. أَيْ عَنْ جُمْلَةٍ كَيَوْمُنِي وَحِينُنِي، وَسَاعَتُنِي وَعَامَتُنِي.
نَحْوُ: «وَيَوْمُنِي يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ» وَأَنْتُمْ حَيِّذُ تَنْظُرُونَ». وَالْأَصْلُ يَوْمٌ إِذَا غَلَبَتْ الرُّومُ
فَارِساً يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. وَحِينَ إِذَا بَلَغَتِ الرُّوحُ الْحَلْقُومَ. فَعَوِّضَ التَّنْوِينُ عَنْ
الْجُمْلَةِ. وَتَنْوِينُ الْمُقَابَلَةِ؛ وَهُوَ الَّذِي يَدْخُلُ عَلَى جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ؛ فَهُوَ فِي

مُقابِلَةُ الثُّونِ. فِي الْجَمْعِ الْمَذْكُورِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى تَمَامِ الْكَلِمَةِ. فَإِنَّ التَّنْوِينَ يَدُلُّ عَلَى تَمَامِهَا فِي الْمَفْرَدِ. وَالتَّنُونُ فِي الْمَفْرَدِ. وَالتَّنُونُ يَدُلُّ عَلَى تَمَامِهَا فِي الْجَمْعِ الْمَذْكُورِ السَّالِمِ بِذَلِيلٍ خَذَفَهَا لِلْإِضَافَةِ، فَجَعَلَ التَّنْوِينَ يَدُلُّ عَلَى التَّمَامِ فِي جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ فِي مُقَابِلَةِ الثُّونِ فِي الْمَذْكُورِ. وَيُعْرَفُ أَيْضاً بِدُخُولِ الْإِلِفِ وَاللَّامِ. سِوَاهُ كَانَتْ لِلتَّعْرِيفِ، أَوْ زَائِدَةٍ، كَالْحَارِثِ وَالضُّحَاكِ، أَوْ مَوْصُولَةٍ كَالضَّارِبِ وَالْقَائِمِ عَلَى قَوْلِ الْأَكْثَرِ. وَقِيلَ الْمَوْصُولَةُ غَيْرُ مُخْتَصَةٍ بِالْأَسْمَاءِ. فَقَدْ تَدَخَّلَ عَلَى الْمَضَارِعِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

مَا أَلَيْتَ بِالْحَكَمِ التَّرَضَى حُكُومَتُهُ وَلَا الْأَصِيلَ وَلَا ذِي الرُّأْيِ وَالْجَدِلِ
أَيُّ الَّذِي تُرَضَى حُكُومَتُهُ. وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ ضَرُورَةٌ. وَهَلْ أَلِ بُرْمَتَهَا لِلتَّعْرِيفِ؛ وَهُوَ مَذْهَبُ الْخَلِيلِ، أَوْ اللَّامُ فَقَطْ؛ وَهُوَ مَذْهَبُ سَيِّوِيٍّ، خِلَافَ. وَيَعْرِفُ أَيْضاً بِحُرُوفِ الْخَفْضِ، وَيُسَمَّىهَا الْبَصْرِيُّونَ حُرُوفَ الْجَرِّ؛ لِأَنَّهَا تَجْزُءُ مَا بَعْدَهَا. نَحْوُ بَزِيدَ وَبَيْتٌ وَمِنْكَ وَإِلَيْكَ وَفِي ذَلِكَ. فَهَذِهِ كُلُّهَا أَسْمَاءٌ، وَقَدْ تَجْتَمِعُ عَلَى مَتَانٍ فَأَكْثَرُ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ.

الإِشَارَةُ: فَالْأَسْمُ الَّذِي تَذَكَّرَهُ وَتَسْتَهْلُ بِهِ وَهُوَ اللَّهُ؛ لِأَنَّ الْأَسْمَ هُوَ عَيْنُ الْمُسَمَّى يَعْرِفُ بِالْخَفْضِ؛ وَهُوَ التَّحْقِيقُ بِالذَّلِّ وَالسُّفْلِيَّاتِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

تَذَلَّلْ لِمَنْ تَهْوَى فَلَيْسَ الْهَوَى سَهْلٌ إِذَا رَضِيَ الْمَحْبُوبُ صَحَّ لَكَ الْوَضَلُ
وَقَالَ آخَرُ:

تَذَلَّلْ لِمَنْ تَهْوَى لَتَكْسِبَ عِزَّةً فَكَمْ عِزَّةٌ قَدْ نَالَهَا الْمَرْءُ بِالذَّلِّ
إِذَا كَانَ مَنْ تَهْوَى عَزِيزاً وَلَمْ تَكُنْ دَلِيلًا لَهُ فَأَقْرَأَ السَّلَامَ عَلَى الْوَضَلِ

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللَّهُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ حَكَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالذَّلِّ حَتَّى عَزَّوْا، وَحَكَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالْفَقْدِ حَتَّى وَجَدُوا. وَالْمُرَادُ بِالذَّلِّ، هُوَ ذُلُّ النَّفْسِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ. يُظْهِرُ ذَلِكَ بَيْنَ الْأَقْرَانِ، لَمَمْتُ بِهِ النَّفْسَ سَرِيعاً فَتَحِيَا الرُّوحَ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَشُهُودِهِ؛ وَذَلِكَ كَالْمَشْيِ بِالْحَقِّ. وَتَعْرِيةُ الرَّأْسِ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَرَاهَا النَّاسُ، وَالسُّؤَالُ فِي الْأَسْوَاقِ، وَالْحَوَانِيتِ، فَهَذَا هُوَ الذَّلُّ الَّذِي يَعْقِبُهُ الْعِزُّ بِاللَّهِ. وَتَحِيَا بِهِ الرُّوحَ بِشُهُودِ مَوْلَاهَا. وَيَعْرِفُ بِهِ اللَّهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ؛ وَهُوَ مَعْرِفَةُ الْعَيَانِ لَا مَعْرِفَةَ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ. وَيَعْرِفُ اللَّهُ تَعَالَى أَيْضاً بِالتَّنْوِينَ، إِذَا تَنَوَّنَ التَّمَكِّينَ بِأَنَّهُ يُمْكِنُهُ اللَّهُ مِنْ صَحْبَةِ شَيْخٍ كَامِلٍ عَارِفٍ بِاللَّهِ. ثُمَّ يُمْكِنُهُ مِنْ

خِدْمَتِهِ وَصَحْبَتِهِ، ثُمَّ يُمْكِنُهُ مِنْ شَهُودِ الْحَقِّ وَمَعْرِفَتِهِ وَإِمَّا تَتَوَيْنِ التَّنْكِيرُ، بِأَنْ يَتَنَكَّرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ، وَيَفْرُ مِنْهُمْ، حَتَّى يَتَأَسَّ بِاللَّهِ، فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الصُّوفِيَةِ فِي شَأْنِ مَنْ دَخَلَ مَعَهُمْ تَنَكَّرَ لِمَنْ تَعْرِفَ، وَلَا تَتَعَرَّفَ لِمَنْ لَا تَعْرِفَ. وَفِي الْحِكْمِ: مَهْمَا أَوْخَشَكَ مِنْ خَلْقِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُوَسِّكَ بِهِ. وَقَالَ أَيْضاً: مَا نَفَعَ الْقَلْبَ شَيْءٌ مِثْلُ عَزْلَةٍ يَدْخُلُ بِهَا مِيزَانُ فِكْرَةٍ. وَإِمَّا تَتَوَيْنِ الْعِوَضُ، بِأَنْ يُعَوِّضَ الْغِنَى بِالْفَقْرِ، وَالْعِزَّ بِالذُّلِّ. الْخِلَاطَةُ بِالْعَزْلَةِ، وَهَكَذَا يُبْدَلُ الْأَشْيَاءُ الْقَبِيحَةُ بِأَصْدَادِهَا. وَإِمَّا تَتَوَيْنِ الْمَقَابِلَةَ، فَيُقَابِلُ عِزَّ الرَّبُّوبِيَّةِ بِذُلِّ الْعِبُودِيَّةِ. تَحَقُّقٌ بِوَصْفِكَ، يَمُدُّكَ بِوَصْفِهِ تَحَقُّقٌ بِفَقْرِكَ، يَمُدُّكَ بِغِنَاهُ. تَحَقُّقٌ بِضَعْفِكَ، يَمُدُّكَ بِقُوَّتِهِ وَقُوَّتِهِ. وَلَنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى:

تَحَقُّقٌ بِوَصْفِ الْفَقْرِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ	فَمَا أَسْرَعَ الْغِنَى إِذَا صُحِّحَ الْفَقْرُ
وَإِنْ تُرِدَنَّ تَبْسِطَ الْمَوَاهِبِ عَاجِلاً	فَفِي الْفَاقَةِ رِيحُ الْمَوَاهِبِ يُنَشَّرُ
وَإِنْ تُرِدَنَّ عِزّاً مَنِيعاً مُؤَيَّداً	فَفِي الذُّلِّ يَخْفَى الْعِزُّ بَلْ ثُمَّ يَظْهَرُ
وَإِنْ تُرِدَنَّ رَفْعاً لِقَدْرِكَ عَالِياً	فَفِي وَضْعِكَ النَّفْسِ الدُّنْيَا يَخْضَرُ
وَإِنْ أُرِدْتَ الْعِزَّ فَاغْنِ عَنِ الْوَرَى	وَعَنْ كُلِّ مَطْلُوبٍ سِوَى الْحَقِّ تَظْهَرُ
تَرَى الْحَقَّ فِي الْأَشْيَاءِ حِينَ تَلَطَّفْتَ	فَفِي كُلِّ مَوْجُودٍ حَبِيبِي ظَاهِرُ

وَيُقَابِلُ أَيْضاً الْأَوْصَافَ الْمَذْمُومَةَ، بِالْأَوْصَافِ الْمَحْمُودَةِ، كَالْبُخْلِ بِالسَّخَاةِ، وَالتَّكَبُّرِ بِالتَّوَاضُعِ، وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ بِسَلَامَةِ الصُّدْرِ. وَالْقَلْقُ وَالْحِدَّةُ بِالرَّزَانَةِ وَالتَّائِي. وَهَكَذَا يُقَابِلُ الْمَسَاوِي بِالْمَحَاسِنِ، وَيُقَابِلُ الدَّاءَ بِالدَّوَاءِ. وَيَعْرِفُ أَيْضاً بِدُخُولِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ؛ وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى دُخُولِهِ الْحَضْرَةَ الْمَقْدَّمَةَ، فَإِنَّهَا مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ الْعَارِفِينَ، وَمَعْرِفَتُهَا بِتَعْرِيفِ اللَّهِ إِثَابُهَا عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ وَخُلَفَائِهِمْ؛ وَهِيَ مَحَلُّ الْمَشَاهِدَةِ وَالْمَكَالِمَةِ، وَالْمُوَاجَهَةِ وَالْمُكَافَحَةِ. وَدُخُولُهَا يَكُونُ بِتَحْقِيقِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْعَلَامَاتِ الْمَتَقَدِّمَةِ. وَيُعْرِفُ اللَّهُ تَعَالَى أَيْضاً الَّذِي هُوَ سَمَّى الْأَسْمَاءَ بِحُرُوفِ الْخَفْضِ، أَيْ بِأَسْبَابِ الْخَفْضِ؛ وَهِيَ كُلُّ مَا يَخْفِضُ النَّفْسَ وَيُنْزِلُ بِهَا إِلَى أَرْضِ التَّوَاضُعِ وَالسُّفُلِيَّاتِ كَمَا تَقَدَّمَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ بَيَّنَّ حُرُوفَ الْخَفْضِ فَقَالَ: (ص): وَهِيَ مِنْ: (ش) مَبْنِيَّةٌ عَلَى السَّكُونِ، إِلَّا إِنْ وَلِيَهَا سَاكِنٌ كَمَا لِلْأَلْفِ وَاللَّامِ، فَتُفْتَحُ عَلَى خِلَافِ أَصْلِ التَّقَاءِ السَّاكِنِينَ. قَالَ الْجَرِيرِيُّ إِنَّمَا ذَلِكَ لِكُسْرَةِ الْمِيمِ، فَكَرِهُوا التَّقَاءَ كُسْرَتَيْنِ. قُلْتُ: يَرَدُّ بِمَا إِذَا كَانَ السَّاكِنُ غَيْرَ الْأَلْفِ وَاللَّامِ. فَإِنَّهُمْ يَكْسِرُونَهُ نَحْوَ فَفَرَّتْ مِنْ اعْتِدَاءِ زَيْدٍ وَإِنَّمَا فَتَحَ مَعَ الِ التَّحْقِيقِ. وَبَقِيَ عَلَى أَصْلِهِ فِي

غير ال. وقال الكِسائي والفرءاء. أضلها مئاً، فخففت بحذف الألف وتسكين الثون، كثرة الاستعمال هـ. فإذا وليها ال رجعت إلى أصلها من فتح الثون ولها معان، أشهر ابتغاء الغاية، أي ابتداء شيء له غاية في المكان كثير، وفي الزمان قليل، فمن الأول. «من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى» «من تراب ثم من نطفة». من محمد رسول الله إلى هرقل. ومن الثاني: «من أول يوم أحق أن تقوم فيه». مُطَرَّنَا مِنْ الجمعة إلى الجمعة. وللتبويض؛ وهي التي يصح موضعها بعض. نحو: «منهم مَنْ كَلَّمَ اللَّهَ». «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ». وللبيان: أي لبيان الجنس، وكثيراً ما تقع بعدما، ومهما، لكثرة إنباهما، كقوله تعالى: «مَا تَنَفَّحَ مِنْ آيَةٍ» «مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ» «مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ». ومن غيرهما. «فَاجْتَنِبُوا الرُّجُسَ مِنَ الْأَوْثَانِ». «يلبسون ثياباً خضراً مِنْ سُندُسٍ». وتزاد للتصنيف على العموم، مسبوقه بنفي أو تنهي أو استفهام بهل. نحو: «مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ» ونحو: لا تضرب من أحد. «هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ». زاد في المعنى: أن يكون المزيد فيه فاعلاً أو مفعولاً أو مبتدأ، بخلاف الخبر، أو الحال أو التمييز المنفيين. ولها معانٍ غير هذا تركناها ذكرها خوف الإطالة، وهي أقوى حروف الجر. ولذلك اختصت بالدخول على عند ولدن من ظروف المكان. (ص): وإلى (ش) لانتفاء الغاية في الزمان والمكان. نحو: «إلى المسجد الأقصى». «ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ». وتكون بمعنى في، وبمعنى اللام، وبمعنى من. كما في التسهيل. (ص). وَعَنْ (ش): للتجاوز. نحو: رميت السهم عن القوس. وبمعنى على نحو: «وَمَنْ يَخْلُ فَإِنَّمَا يَخْلُ عَنْ نَفْسِهِ» أي على نفسه. وقد نجيء بمعنى بعد. كقوله تعالى: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ». أي حالاً بعد حال. (ص): وَعَلَى (ش)، للاستغلاء حساً. نحو: «وعليها وعلى الفلك تخملون». أو معنى نحو. «أولائك على هدى من ربهم» أي راكبين على متن الهداية. مُتَمَكِّنِينَ مِنْهَا. وبمعنى في، نحو: «على مُلْكٍ سَلِيمَانٍ». (ص): وَفِي (ش): للظرفية، مكانية أو زمانية. نحو: «غَلَبَتِ الرُّوحُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ». «فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ»، أي في زمانه. والسببية، نحو: «لَمَسْكُكُمْ فِيمَا أَفْضَضْتُمْ». أي بسبب ما أفضضتم فيه من حديث الإفك. (ص): وَرُبُّ (ش) للتقليل دائماً عند الأكثر، أو للتكثير دائماً عند الغرض، أو للتقليل غالباً، والتكثير قليلاً. وقيل: لم توضع لواحدهما، وإنما يفهم ذلك من خارج، واختاره أبو حيان. وقيل: وُضِعَتْ لهما معاً من غير غلبة. وقال الأعلام، وإن السيد بكسر السين للتكثير في موضع الافتخار، وللتقليل فيما عداه. وهل يجب

نَعَتْ مجرورها قولاً. قال في التسهيل: لا يلزم وصف مجرورها، خلافاً للمُبَرِّدِ
وَمَنْ وافقَهُ. وَلَا مَضِيَّ ما تتعلق به، بل يلزم تصديرها، وتنكير مجرورها. فَإِنْ
دَخَلَتْ عليها مَا دَخَلَ عَلَى الْجُمْلِ، وزال اختصاصها بالأسماء. نحو: «رُبَّمَا يَوَدُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا». وتخفيف المبالغة فيها. وقد تدخل عليها تاء التانيث في اللغتين
معاً. (ص) وَالْبَاءُ (ش): للإلصاق، نحو أَمْسَكَتْ بَزَيْدٍ. ومنه: «وَامْسَحُوا
بِرُؤُوسِكُمْ» عند مالك، وللتعويض عند الشافعي. وتكون للاستيعانة، نحو: كَتَبْتُ
بِالْقَلَمِ. والمصاحبة كالْبَسْمَلَةِ، وللتغذية، نحو مَرَزْتُ بَزَيْدٍ، إِذَا كَانَ الْفِعْلُ قَاصِراً
عُدِّي بِهَا. وَلِلْعَوَضِ «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ». أَيِ عَوَضَ ما كنتم تعملون؛
لأنَّ الَّذِي يُعْطَى بِعَوَضٍ، قد يُعْطَى مَجَاناً، أَيِ بِلَا عَوَضٍ، بخلاف الَّذِي يُعْطَى
بِسَبَبٍ. فلا بُدَّ مِنْ وُجُودِ سَبَبِهِ. فَلَيْسَتْ الْبَاءُ حِينَئِذٍ سَبَبِيَّةً. لقوله عليه السلام: «لَنْ
يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ». فينتفي التعارف بين الآية والحديث. ويُجَابُ أَيْضاً بِأَنَّ
الآية شرعت، والحديث حقق. فالجَمْعُ بينهما لازم. (ص) والكاف (ش) للتشبيه.
نحو: «وَرَدَّةٌ كَالذَّهَانِ». وللتعليل: «وَأَذْكُرُهُ كَمَا هَذَاكُمْ». ومنه قول القطب ابن
مشيش في تعليته المشهورة: كَمَا هُوَ أَهْلُهُ. وللمبادرة، كقول صاحب الرسالة:
وَلِيرِقَ الْمِنْبَرِ كَمَا يَدْخُلُ. وقد تزايد نحو: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ». (ص) واللام. (ش)
للاستحقاق: الحمد لله. وللملك: «لِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ». وللتَّمْلِكِ
نحو: وَهَبْتُ لَزَيْدٍ مَالاً، وشبه التملك، نحو: «جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهَاداً» وللتعليل؛
نحو: «لِإِيلَافٍ قُرَيْشٍ». أَيِ فَلْيَعْبُدُوا لِأَجْلِ إِيْلَافِهِمُ الرَّحْلَتَيْنِ؛ وهي مَكْسُورَةٌ. إِلَّا
إِنْ دَخَلَتْ عَلَى الْمُضْتَرِّ فَتُفْتَحُ، بخلاف الباء، مكسورة مطلقاً. وَرُويَ فَتَحَهَا مع
الظاهر فيقال بزيد. قال السوداني: (ص) وحروف الْقَسَمِ (ش) يصح أن يقرأ بالرفع
عطفاً على مَنْ، وبِالْخَفْضِ عطفاً على بِالْخَفْضِ، بناءً على أَنَّ الْعَاطِفَ إِذَا تَعَدَّدَتْ
هَلْ تَعَطَّفَ عَلَى الْأَوَّلِ أَوْ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَى مَا يَلِيهِ؛ قَوْلَانِ أَوْ خِلَافٌ. والقسم: اسم
مصدر أَقْسَمَ؛ وهو الحلف، وهو في عَرَفِ الْفُقَهَاءِ: تحقيق، ما لم يجب بذكر
اللَّهِ، أَوْ صِفَتِهِ. (ص) وهي الواو (ش)، وتختصُّ بِالظَّاهِرِ نحو: «وَاللَّهِ زَيْنًا مَا كُنَّا
مُشْرِكِينَ». «وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى». ويجب مَعَهَا إِضْمَارُ فِعْلِ الْقَسَمِ، فلا
يظهر أَبَدًا. وهل هذه الواو هي العاطفة، كواو رُبُّ عَطَفْتُ عَلَى مُقَدَّرٍ، قاله البيهقي
وغيره. أَوْ بَدَلُ مِنَ الْبَاءِ وَالتَّاءِ بَدَلُ مِنْهَا، وبه جَزَمَ الزُّمَخْشَرِيُّ وَابْنُ مَالِكٍ
وغيرهما، قولان، والأصح الثاني. (ص) والتاء، (ش) وتختصُّ بِاللَّهِ، نحو تَالله
لقد أرسلنا، فلا تجزَّ غيره ظاهراً وَلَا مضمراً، وسمع تالرحمان وترب الكعبة

وتحياتك . وتقدم أنها بَدَل من الباء . وقال قطرب هي حرف مستقل للقسم اكتفاء بذكرها ، في حروف الجر ؛ لأنَّ القسم معنًى من معاني الباء . والقسم في الباء أصلي ، ولذلك جاز إظهار فعل القسم ، أي يرفع على المبتدأ ، نحو قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴾ قريء بالوجهين معاً في الأول . والله تعالى أعلم . وبقي من علامات الاسم النَّداء . والإسناد إليه ، نحو : يَا زَيْد ، وقمت ، وعلمت ، فالتاء اسم ، لأنك أسندت إليها القيام والعلم ، فالاسم يُسند ويُسند إليه ، بخلاف الفعل ، فإنه يُسند ولا يُسند إليه . وبالله التوفيق .

الإشارة : فَمِنْ : إشارة إلى ابتداء السَّير ، وإلى إشارة إلى انتهائه ، فَلِلْمُرِيد بداية ؛ وهي المجاهدة ، ونهاية ، وهي المشاهدة . فَمَنْ أَشْرَقَتْ بِدَايَتُهُ ، أَشْرَقَتْ نَهَايَتُهُ . فإِشْرَاقُ الْبِدَايَةِ . هي القريحة الْوَقَّادَةُ ، والكَدَّ والجَدَّ في مجاهدة النفس ، وعمارة الأوقات ، وإِشْرَاقُ النِّهَايَةِ : هي دَوَامُ شُهُودِ الْحَقِّ ، والعكوف في حضرة القدس ، ومحلّ الأنس . والثَّاسِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ : قَوْمٌ قَتَعُوا بِمَقَامِ الْإِيمَانِ ، وَلَمْ تُرْفَعْ هِمَّتُهُمْ إِلَى طَلَبِ الْعَيَانِ . فَهَؤُلَاءِ لَا سَيْرَ لَهُمْ فَهُمْ مِنْ عَوَامِ الْمُسْلِمِينَ . وقوم تعلقت هِمَّتُهُمْ بِالْوُصُولِ ، واستعملوا شيئاً من عبادة الظَّاهِر ، لكن لَمْ يَظْفَرُوا بِشَيْخِ التَّزْيِيَةِ ، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى صُحْبَتِهِ ، وَلَمْ تَسْمَحْ نَفُوسُهُمْ بِالتَّجَرُّيدِ وَخَرَقِ الْعَوَائِدِ ، فَهَؤُلَاءِ صَالِحُونَ أَبْرَارٌ ؛ وَهُوَ أَيْضاً مِنْ عَامَّةِ أَهْلِ الْيَمِينِ . سواء كانوا مِنَ الْعُبَادِ ، أَوْ الزُّهَادِ ، أَوْ الْعُلَمَاءِ الْأَنْجَادِ ؛ لِأَنَّهُمْ ، حَيْثُ لَمْ يَخْرِقُوا عَوَائِدَ أَنْفُسِهِمْ لَمْ يَتَحَقَّقْ سَيْرُهُمْ ، فَلَوْلَا مَيَادِينُ النَّفُوسِ ، مَا تَحَقَّقَ سَيْرُ السَّائِرِينَ ، كَيْفَ تَخْرُقُ لَكَ الْعَوَائِدُ . وَأَنْتَ لَمْ تَخْرُقْ مِنْ نَفْسِكَ الْعَوَائِدَ ، وَقَوْمٌ ارْتَفَعَتْ هِمَّتُهُمْ إِلَى الْوُصُولِ وَظَفَرُوا بِشَيْخِ التَّزْيِيَةِ ، وَقَوَّاهُمُ اللَّهُ عَلَى صُحْبَتِهِ وَخِدْمَتِهِ . وَتَجَرَّدُوا مِنْ عَوَائِدِهِمْ ، فَأَشْرَقَتْ بِدَايَتُهُمْ بِالْمُجَاهِدَةِ وَالْمُكَابَدَةِ . وَأَشْرَقَتْ نَهَايَتُهُمْ بِدَوَامِ الْمَشَاهِدَةِ . فَهَؤُلَاءِ خَاصَّةُ الْخَاصَّةِ ؛ وَهُمْ الْمَقْرُؤُونَ السَّابِقُونَ جَعَلْنَا اللَّهَ مِنْ خَوَاصِّهِمْ ، بِمَنْهِ وَكَرَمِهِ . وَعَنْ تَشْيِيرٍ إِلَى الْمَجَاوِرَةِ عَنِ الْعَلَائِقِ وَالشَّوَاعِلِ . إِذْ لَا يَصُحُّ السَّيْرُ مَعَ الْعَلَائِقِ وَالشَّوَاعِلِ . وَكَانَ شَيْخُنَا الْبُورِزِيذِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَقْسِمَ لَكُمْ : لَا يَدْخُلُ عَالَمُ الْمَلَكُوتِ فِي قَلْبِهِ عِلْقُهُ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدًا كَمَا خَلَقْتُمْكُمْ ﴾ أي فرادى مِنْ عِلَائِقِ الْقَلْبِ وَشَوَاعِلِهِ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ يَحْذَكِ يَتِيمًا فَتَاوًى ﴾ ، أي يَتِيمًا مِنَ السُّوَى فَأَوَّاكَ إِلَى حَضْرَتِهِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

فَارَ مَنْ خَلَّ الشَّوَاعِلَ وَلَمَّوْلَاهُ تَوَجَّه . وَعَلَى : إشارة على الاستغلاء على

النفس بالقهر والغلبة. وعلى السَّيْرِ بِالنَّضْرِ والرَّعَايَةِ. وعلى الهداية بالتمكين والعناية. «أولئك على هدى من رَبِّهِمْ. وأولئك هم المفلحون». وفي، إشارة إلى دخول الحضرة والتمكن فيه، تَمَكَّنَ المظروف في الظرف، فتصير مأواه. ومعشش قلبه فيها سَكَنَ، وإليها يَأْوِي، أو تشير إلى الذهاب في الله، بعد الذهاب إليه قال تعالى حاكياً عن خليله عليه السلام: «وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهِدِينَ»، إلى الذهاب فيه، بعد الذهاب إِلَيْهِ؛ وهو الغرق في بَحْرِ الأَحَدِيَةِ. فالذهاب إليه حال السَّائِرِينَ، والذهاب فيه حال الوَاصِلِينَ، وَزَبَّ إشارة إِلَى قِلَّةِ وَجُودِ أَهْلِ الْخُصُوصِيَّةِ. قال تعالى: «وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ» وقال تعالى: «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ». فَهُمُ إِكْسِيرُ الْوُجُودِ. مَنْ ظَفِرَ بِهِمْ ظَفَرُ الْغَنَّا الْكَبِيرِ وَالسَّرِ الْأَبْهَرِ، أَوْ إِلَى كَثْرَتِهِمْ لَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ الْعَنَايَةُ، وَحَسَنَ ظَنُّهُ بِاللَّهِ وَبِعِبَادِهِ. وَالْبَاءُ إشارة إِلَى اسْتِعَانَتِهِمْ بِاللَّهِ فِي سَيْرِهِمْ. وَظَفَرَهُمْ بِاللَّهِ فِي وَصُولِهِمْ، فَمَنْ كَانَتْ بِاللَّهِ بَدَايَتُهُ. كَانَتْ إِلَيْهِ نَهَايَتُهُ. فَهُمُ مَبْرُؤُونَ مِنْ حَوْلِهِمْ وَقَوْتِهِمْ. فِي سَيْرِهِمْ وَوُصُولِهِمْ أَوْ إِشَارَةَ إِلَى مُصَاحَبَتِهِمْ لِلَّهِ فِي غَيْبَتِهِمْ وَحُضُورِهِمْ، وَفِي جَمِيعِ شُؤْنِهِمْ. قَدْ اتَّخَذُوا اللَّهَ صَاحِبًا. وَتَرَكُوا النَّاسَ جَانِبًا. «فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ اسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ». فَلَاغْتِزَالَ عَنِ الْخَلْقِ سَبَبٌ فِي مَوَاضِعِ الْحَقِّ. أَوْ إِلَى مُصَاحَبَتِهِمْ، لَمْ يَدُلْ عَلَى اللَّهِ بِمَقَالِهِ، وَيَنْهَضُ إِلَيْهِ بِحَالِهِ. فَالصحبة عند هؤلاء رُكْنٌ كَبِيرٌ مِنْ أَرْكَانِ التَّصَوُّفِ، يُدْرِكُ بِهَا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، مَا لَا يُدْرِكُ فِي سِنِينَ بِالْمَجَاهِدَةِ وَالْمَكَابِدَةِ. وَجَرَّبَ، فَإِنَّ التَّجْرِبَ عِلْمَ الْحَقَائِقِ. وَالْكَافُ تُشِيرُ إِلَى التَّشْبِيهِ بِالْقَوْمِ، فِي رِزْقِهِمْ وَسَيْرِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ. فَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ بِشَرْطِ الْعَمَلِ وَالْإِخْلَاصِ، وَالتَّجْرِيدِ مِنَ الْعَلَاقِ، حَتَّى تَشْرُقَ عَلَيْهِ أَنْوَارُ الْحَقَائِقِ، وَيَمْلِكُ الْوُجُودَ بِأَسْرِهِ مِنْ عَرْشِهِ إِلَى فَرْشِهِ. يَتَصَرَّفُ فِيهِ بِهَيْئَتِهِ. وَيُدَوِّرُهُ فِي لَمَحَةٍ بِفِكْرِهِ. وَيُقَالُ لَهُ حَيْثُذُ:

لَكَ الدَّهْرُ طَوْعٌ وَالْأَنَامُ عَبِيدُ فَيُشِ كل يوم من أيامك عيد

وحروف القسم، إشارة إِلَى كَوْنِهِمْ: لَوْ أَقْسَمُوا عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُمْ فِي قَسْمِهِمْ. وَهَذَا مَقَامُ الْمَحْبُوبِينَ، جَعَلْنَا اللَّهَ مِنْ خَوَاصِهِمْ بِمَنْهُ وَكَرَمِهِ. ثُمَّ ذَكَرَ عَلَامَةَ الْفِعْلِ فَقَالَ: (ص). وَالْفِعْلُ يَعْرِفُ بِقَدِّ وَالسَّيْنِ وَسَوْفَ وَتَاءِ التَّائِيثِ السَّائِكَةِ. (ش): يَعْنِي أَنَّ الْفِعْلَ يَتَمَيَّزُ عَنْ صَاحِبِيهِ بِقَدِّ. فَهِيَ مَخْتَصَّةٌ بِالْفِعْلِ الْمُتَصَرِّفِ الْخَبِيرِ الْمَثْبُوتِ الْمَجْرُودِ مِنْ نَاصِبٍ وَجَازِمٍ. فَلَا تَدْخُلُ عَلَى الْجَامِدِ، كَعَسَى وَلَيْسَ، وَلَا عَلَى الْإِنْسَانِيِّ كِبَغْتَ وَأَنْكَحْتَ، وَلَا عَلَى الْمَنْفِيِّ، وَلَا عَلَى الْمُقْتَرَنِ بِنَاصِبٍ أَوْ جَازِمٍ.

ومغناها: التوقع في المضارع، نحو قد يقدم الغائب إذا كَانَ ينتظر وقوعه، وتقريب الماضي والحال، تقول: قام، فتحتمل الماضي والقريب والبعيد. فإذا قلت: قد قام، اختصَّ بالقريب، والمشهور من أخوالها. أنها تفيد التحقيق مع الماضي، والتقليل مع المضارع. إلا في كتاب اللّٰه؛ فإنها تفيد التحقيق فيهما، ولّا تفيد التقليل في كتاب اللّٰه إلا بتأويل. وقد تفيد التكثير، نحو: «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ». وقد تدخل على الجملة الاسمية، كقول الششتري:

لقد أنا شيء عجيب لمن رأيي أنا المحبّ والحبيب لشر مائتم ثاني
ويحمله أن يحمل على حذف الفعل، أي لقد علمت أنني أنا شيء عجيب، وقد تكون اسماً بمعنى حسَب، فتضاف إلى الاسم نحو: قد زيد دِزْهم. والسين وسوف؛ وهما مختصان بالمضارع فالسين التنفيس، وسوف للتسويق، وهو أوسع زماناً من التنفيس، هذا مذهب البصريين، وقال الكوفيون زمانهما واحد. ويؤيده تعاقبهما على معنى واحد. قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. وفي سوف لغات سو وسى. وسف. وتاء التأنيث الساكنة؛ وهي مختصة بالفعل الماضي، واحتَرَزَ بِالسَّائِكَةِ مِنَ الْمُتَحَرِّكَةِ، فإنها مختصة بالأسماء كَرَحْمَةٍ وَنِعْمَةٍ، ومن المتحركة بحركة البناء كلات وربت وتمت، فإنها تلحق بالحروف، وبهذه العلامة استدلّ على فعلية ليس، وعسى، وبيس ونعم. لقولهم: نعمتٍ وَيَسْتٌ وليست وعست، خلافاً لِمَنْ رَعَمَ اسمه نعم وبيس، وهم الكوفيون. وبحرفية عسى. وهو ثعلب. وحرفية ليس وهو الفارسي، وبقي من علامة الفعل تاء الفاعل نحو قمت، وباء المخاطبة كقولي. ونون التوكيد كاضربن والله تعالى أعلم.

الإشارة: والفعل الذي يتصل به إلى الله تعالى، ويحصل به الوصول إلى حضرة القدس، يعرف بقدر التي تفيد الجزم والتصميم؛ وهو العزم على البرّ والتقوى، والجزم بدوام السّير حتى يصلّ أو يموت فهذا يحصل للمريد الوصول. فقد قالوا في شروط الفقير، هي حسن الخدمة، وحفظ الحرمة، وتعظيم النعمة، ونفوذ العزيمة هو تصميم العزم على السّير إلى الوصول فإذا كلّ أو ضعف جدد العزم حتى يصلّ. وفي ذلك يقول القائل:

قَدْ جَدُّوا فِي السَّيْرِ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ وَفَى وَمَنْ صَبَرَ

فإذا خاف على نفسه المَلَل والرجوع، نَقَسَ لها شيئاً ما، بترك المجاهدة. وسوف لها بالراحة والبشارة بالوصول وإليه الإشارة بقوله: والسين وسوف. ويحتمل أن يكون على حذف مُضَافٍ، أي يُعرف بترك السين وسوف، أي بترك التسويف، فيكون إشارة إلى المبادرة، وانتهاز الفرصة قبل فوات الوقت، وإليه أشار ابن الفارض بقوله:

وَجَدَ بِسَيْفِ الْعَزْمِ سَوْفَ فَإِنْ تَجَدَّ تجد نفساً فالنفس إن جُدَّتْ جُدَّتْ
وكذا يُقال في قوله: وتاء التأنيث، أي وترك صحبة التأنيث، فإنَّ صحبة النساء من أعظم القواطع للمريد. قال رحمه الله: «ما تَرَكْتُ بَعْدِي أَصْرَ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» وقد حَذَرَ كثير من الصوفية الفقير من التزُّوج، قبل الوصول، إلا إن كان في صحبة الشيخ، ملتصقاً به، وقد أذن له في التزوج، فقد لا يضره، واللَّهُ تعالى أَعْلَمُ. ثم ذكر علامة الحَرْف فقال: (ص): والحَرْفُ مَا لَا يَصْلُحُ مَعَهُ دَلِيلُ الْأَسْمِ وَلَا دَلِيلُ الْفِعْلِ، (ش) يَعْنِي أَنَّ الْحَرْفَ هُوَ الَّذِي لَا يَقْبَلُ شَيْئاً مِنْ عِلَامَاتِ الْأَسْمَاءِ، وَلَا مِنْ عِلَامَاتِ الْأَفْعَالِ، كَهَلْ، وَقَدْ. فلا تقبل علامات الأسماء، وَلَا علامات الأفعال. فلا تقول: الهَلْ، وَلَا الْقَدْ، وَلَا شَيْئاً مِنْ حُرُوفِ الْجَرِّ، وَلَا السِّينِ وَلَا سَوْفَ، وَلَا تاء التأنيث. فَعَلَامَةُ الْحَرْفِ هُوَ تَرْكُ الْعِلَامَةِ، فمثاله كحرف الجيم والحاء والخاء، فالجيم يعرف بالنقطة من تحت. والحاء بالنقطة من فوق. والحاء بالإهمال، وإليه أشار بغضهم بقوله:

وَالْحَرْفُ مَا لَيْسَتْ لَهُ عِلَامَةٌ ترك العلامات له عِلَامَةٌ
الإشارة: والحَرْفُ. أي وذو الحَرْفِ الظَّلْمَانِي؛ وهو الَّذِي يعبد الله على حَرْفٍ أي طرفٍ من الدِّينِ وطَمَعٍ، فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَأَنَّ بِهِ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ، لَا يَصْلُحُ لِلسَّيْرِ بِالذِّكْرِ وَلَا بِالْعَمَلِ. وهو الَّذِي دَخَلَ فِي طَرِيقِ الْقَوْمِ طَمَعاً فِي رِيَاسَةٍ أَوْ عِزٍّ أَوْ جَاهٍ أَوْ مَالٍ. فَلَا يَأْتِي مِنْهُ شَيْءٌ. خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ. والعياذ بالله.

الإعراب في اللغة هو البيان، يقال: أَغْرَبَ الرَّجُلُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ، أي بَيَّنَّهُ. وفي الحديث: «الْبُكْرُ تُسْتَأْمَرُ، وَالشَّيْبُ تَعَرَّبُ عَنْ نَفْسِهَا» أي تَبَيَّنُ. وفي الاصطلاح على أنه لَفْظِي. ما جِيءَ بِهِ لِبَيَانِ مُقْتَضَى الْعَامِلِ، مِنْ حَرَكَةٍ أَوْ حَرْفٍ أَوْ سُكُونٍ أَوْ حَذَفٍ؛ وهو مذهب البُضْرِيِّينَ، وَعَلَى أَنَّ مَعْنَوِي، ما قاله المصنّف. (ص): تَغْيِيرُ أَوَاخِرِ الْكَلِمِ لِاخْتِلَافِ الْعَوَامِلِ الدَّاخِلَةِ عَلَيْهَا. (ش) فاخترت بالأواخر، من تغيير النُوسَطِ، كما في التَّضْعِيرِ، كزَيْدٌ وَزَيْنِدٌ. والتكسير، كدَرَهْمٌ وَدَرَاهِمٌ، والمراد

بالآخر حقيقة أو حكماً، كَيَدَ وَدَمَ. فأصله يدي وَدَمِي، فحذفت لأمه، بدليل رده في الثنية والجمع، فقالوا: يديان، ودميان، واحترز باختلاف العوامل، من التغيير الذي يكون بلا اختلاف العاملِ كاختلاف اللغات في كلمة واجدة نحو: حَيْثُ ففيها ثلاث لغات. الضَّمُّ وهو المشهور، والفتح والكسْر. وكحركة الثقلِ فيَمَنْ قَرَأَ بِهِ، نحو: قد أَفْلَحَ مَنْ آمَنَ. فالسكون أَضَلَّ، والحركة نُقِلَ. وحقيقة العامل: ما به يتقوَّم المعنى المقتضى للإعراب. فالشأن في اختلاف الإعراب، أن يكون لاختلاف العامل. وقد يكون مع اتحاده، كما في مفعول الصفة، فإنه يجوز رفعه ونصبه وجره مع اتحاد العامل نحو: الحسن الوجه، فيجوز رفعه على أنه فاعل ونصبه على التشبيه بالمفعول به. وجره بالإضافة، وكذلك نحو: زَيْد قائم الأب. فيجوز رفعه ونصبه وجره. وكذلك اسم المفعول المضاف مفعوله. نحو: زيد مضروب الأب، فتجوز فيه الثلاثة أيضاً. واحترز بالداخلية عليها، مما يتغير باختلاف العوامل الداخلية على غيره كحركة الحكاية. كقولك مَنْ زَيْدٌ؟ لِمَنْ قال جاء زيد. وَمَنْ زَيْدٌ؟ لِمَنْ قال: وَمَنْ زَيْدٌ لِمَنْ قال: مَرَزْتُ بزَيْدٍ، فإنها في الجميع حركة حكاية، لا حركة إعراب، فمن مبتدأ، وزيد خبر مَرْفُوعٌ. وعلامة رفعه ضمة مقدرة لاشتغاله اللفظي يكون في الصحيح الآخر كزيد ونحوه، والتقدير يكون في المعتل، نحو: مُوسَى، والقاضي، ويرمي، ويغزو. فالألف يُقَدَّرُ فيه الإعراب كله، نحو جاء موسى، ورأيت موسى، ومَرَزْتُ بموسى. فالحرركات الثلاث، مقدرة في المانع، المانع من ظهورها التعذر. والياء يقدر فيه الرفع والجر، نحو جاء القاضي، مَرَزْتُ بالقاضي، ويظهر نصبه نحو أن القاضي لن يَرْمِي. وَالْوَاوُ يُقَدَّرُ فيه الرفع، ويظهر نصبه، نحو: «إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُو». والجزم بحذف الجميع، وسواء كان هذا الحرف الذي يُقَدَّرُ فيه الإعراب موجوداً أو محذوفاً، نحو جاء قاضٍ، ومَرَزْتُ بقاضٍ، أو جاء فتى، ومَرَزْتُ بفتى، وَرَأَيْتُ فتى. ويحتمل أن يرجع قوله: لفظاً أو تقديراً، للعوامل، فالعامل اللفظي ما تقدم ذكره، والمقدر كباب الاشتغال، والإغراء، نحو: زَيْدٌ ضَرَبْتَهُ. أي ضَرَبْتُ زَيْدًا ضَرَبْتُهُ. والعِلْمُ العلم، أي الزم العلم وغير ذلك من حذف العوامل، وهو كثير، ويكون في عوامل: الرفع والنصب والجر، كما هو مقرر في محلّه.

الإشارة: كَمَا يَتَغَيَّرُ أَوَاخِرُ الكَلِمِ، لاختلاف العوامل تتغير أحوال القلوب، لاختلاف الواردات الداخلية عليها. فتارة يرد عليها وارد القبض، وتارة يرد عليها وارد البسط. فالقبض والبسط حالتان يتعاقبان على العبد تعاقب الليل والنهار.

القشيري؛ إذا كاشف العبد بنعمة جماله بسطه، وإذا كاسف بنعمة جلاله قبضه. فالقبض يوجب إباحته، والبسط يوجب إيناسه. وأعلم أنه يرزد العبد إلى أحوال بشريته، فيقبضه حتى لا يطيق ذرة. ويأخذه مرة عن نعوته، فيجد لحمل ما يرد عليه قوة وطاقة. قال الشبلي رضي الله عنه: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ حَمَلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ عَلَى شَعْرَةٍ مِنْ شَعْرَاتِ جَفْنِ عَيْنِهِ. ومن لم يعرف الله جَلَّ وَعَلَا. فلو تعلق به جناح بعوضة فَجَّ. فحمل منه هذا على حالتي القَبْضِ والبَسْطِ. وقال أهل المعرفة: إِذَا قَبِضَ قَبْضٌ حَتَّى لَا طَاقَةَ. وَإِذَا بَسَطَ بَسْطٌ حَتَّى لَافَاقَةَ. وهذا سيد الرسل ﷺ، حِينَ وَرَدَ عَلَيْهِ وَارِدُ الْقَبْضِ شَدُّ الْحَجَرِ عَلَى بَطْنِهِ. وَحِينَ وَرَدَ عَلَيْهِ وَارِدُ الْبَسْطِ، أَطْعَمَ أَلْفًا جِيعًا مِنْ صَاعٍ. وَلِكُلٍّ مِنَ الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ آدَابٌ. فَآدَابُ الْقَبْضِ السَّكُونُ تَحْتَ مَجَارِي الْأَقْدَارِ، وَانْتِظَارُ الْفَرْجِ مِنَ الْكَرِيمِ الْغَفَّارِ. وَآدَابُ الْبَسْطِ كَفُّ اللِّسَانِ، وَقَبْضُ الْعَنَانِ، وَالْحَيَاءُ مِنَ الْكَرِيمِ الْعَتَانِ، وَالْبَسْطُ مَنْزِلَةُ أَقْدَامِ الرِّجَالِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: فَتَحَ عَلَيَّ بَابَ مِنَ الْبَسْطِ، فَزَلَّتْ رِزَّةٌ، فَحُجِبَتْ عَنْ مَقَامِي ثَلَاثِينَ سَنَةً. وَلِذَلِكَ قِيلَ: قِفْ بِالْبَسْطِ، وَإِيَّاكَ وَالْانْبِسَاطَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَبْضَ وَالْبَسْطَ فَوْقَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ. وَفَوْقَ الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ الْهَيْبَةُ وَالْأُنْسُ لِلْعَارِفِينَ. ثُمَّ الْمَخَوُ فِي وَجُودِ الْعَيْنِ، لِلْمُتَمَكِّنِينَ، فَلَا هَيْبَةَ لَهُمْ وَلَا أُنْسَ، وَلَا عِلْمَ وَلَا حَسْرَ. وَأُشَدُّوا:

فلو كنت من أهل الوجود حقيقة لغبت عن الأكوان والعرش والكرسي
وكننت بلا حالٍ مع الله واقفاً ثَمَّازَعَنِ التَّذْكَارَ لِلْجَنِّ وَالْإِنْسِ

وإن قلنا الإعراب هو البيان، فتقول في الإشارة، الإعراب عما في البواطن؛ هو تغيير أحوال الظواهر، لاختلاف الواردات الداخلة عليها، فما كمن في السرائر، ظهر في شهادة الخواطر، تنوعت أجناس الأعمال، بتنوع واردات الأحوال. والله تعالى أعلم. ثم ذكر أنواع الإعراب فقال: (ص) وأقسامه أربعة: رُفْعٌ ونَصْبٌ وَخَفْضٌ وَجُزْمٌ. (ش) قلت: تقدم الفرق بين تقسيم الشيء إلى أجزائه وإلى أنواعه، فهذا من التقسيم النوعي، ووجه انحصاره في الأربعة، أنه ليس في الوجود، في كلام العرب، إلا حركة وسكون. والحركة لها ثلاثة مخارج. إمَّا فم الشفتين؛ وهو مخرج الضمة، أو كسر السفلي؛ وهو مخرج الكسرة، أو مجرد فتحهما؛ وهو مخرج الفتحة. وأمَّا السكون فهو سلب الحركة؛ فهو قسم رابع. فالرُفْعُ ما أحدثه عامل الرفع؛ وهو خاص بالعمد أو ما ناب عنها. والنصب ما أحدثه عامل النصب،

وغالب وجوده في الفضلات، والجزء ما أحدثه عامل الجزم. وهو ملحق بالفضلات. والجزء ما أحدثه عامل الجزم؛ وهو خاص بالأفعال. وأسقط الكوفيون. والمازني الجزم؛ لأنه عدم الحركة، وجعلوا الإعراب ثلاثة. والله تعالى أعلم.

الإشارة: وأقسام التغيير؛ الذي يعتري الإنسان، وينزل به أربعة: رفع: أي رفع القدر، والعز والجاه عند الله تعالى. وعاملة: العلم بالله، والعمل بطاعته، وصحبة أهل العز والغناء؛ وهم الأولياء، وضده الخفض؛ وهو الدل والهوان، وعاملة الجهل وارتكاب المعاصي، واتباع الهوى كما قال الشاعر:

لَا تَتَّبِعِ النَّفْسَ فِي هَوَاهَا إِنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَى هَوَا
وقال آخر:

إِنَّ الْهَوَى هُوَ الْهَوَا يَعْنِيهِ فَإِذَا هَوَيْتَ فَقَدْ لَقِيتَ هَوَا
وإذا هويته تعبدك الهوى فإخضع لحبك كائناً من كانا

والمراد بالهوى: ما تهواه النفس، وتعشقه من الحظوظ الجسمانية: المحرمة أو المكروهة، أو المباحة قبل الوصول. والنفس نصب العين لمجاري الأقدار؛ وهو مقام الرضى والتسليم؛ وهو حال أهل الطمأنينة من العارفين الواصلين. والجزم: هو التصميم والعزم على الشئ والمجاهدة والمكابدة، إلى الوصول إلى تمام المشاهدة. فأهل الرفع والتضبط عارفون واصلون. وأهل الخفض تالفون تائهون. وأهل الجزم سائرون. وقد يتلون العبد بين الرفع والخفض. فتارة يغلب نفسه فترتفع، وتارة تغلب عليه نفسه، فتتخفض. وهؤلاء أهل التلويح قبل التمكين. وقد يكون التلويح بعد التمكين؛ وهو تلويح العارف مع المقامات، فيتلون في كل مقام يلوّنه. فتارة يظهر عليه الهيبة، والخوف. وتارة يظهر عليه الرجاء والبسط. وتارة يظهر عليه الورع والكف، وتارة يظهر عليه الرغبة والأخذ. وتارة يظهر عليه الشوق والقلق، وتارة يظهر عليه السكون والطمأنينة. وهكذا. وقد يطلب العبد الرفع؛ فينخفض، وهو من سبق له الجزمان والعياذ بالله. وقد يطلب الخفض فيرتفع، وهو: من سبق له العناية، فلا تضره الجناية. رُبما قضى عليك بالذنب فكان سبب الوصول والله تعالى أعلم. ثم قسم الإعراب على الأسماء والأفعال فقال: (ص): فللأسماء من ذلك الرفع والتضبط والخفض ولا جزم فيها. وللأفعال من ذلك، الرفع والتضبط والجزم ولا خفض فيها. (ش) قلت: الفاء

فصيحة، والتقدير: إن أردت معرفة مواردِهِ. فَلِلْأَسْمَاءِ المَتمكِّنة، بحيث لم يشبهه الحرف شَبَهَا قَوِيًّا فَتَبَيَّنَ. فَإِذَا سَلِمَتِ مِنَ الشُّبْهِ القوي، أعرب. فَلَهَا الرُّفْع، وهو لِلْعَمْدِ. وما ناب عنها والنُّضْب، وهو لِلْفُضْلَاتِ غالباً. والخفض، وهو لما تَرَدَّدَ بين العمد والفضلات، فقد يقع في مَوْضِع يكمل العمد، نحو جاء غلام زيد، فغلام عُمْدَة، وزيد مكْمِل لهُ. وَيَقَعُ في مَوْضِع الفضلة، نحو هذا ضارب زيد، فزيد مفعول، لكنه أَضِيفَ إلى عامِلِهِ بِجَرٍّ، وَلَا جَزْمَ فيها، أي في الأَسْمَاءِ؛ لِأَنَّ الجَزْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْعَوَامِلِ وعوامل الجَزْم خاصة بالأفْعَالِ، ولِلأفْعَالِ من ذلك الإِعْرَابُ، الرُّفْعُ خَالِ التجريد، والنُّضْبُ والجَزْمُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ عامِلُهُما، والمراد بِالْأفْعَالِ. الفعل المضارع الخالي من نون التوكيد المباشرة، ومن نون الإناث، فإذا بَاشَرَتْهَا نون التوكيد بنيت. نحو: لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي. وَتُونُ الْإِنَاثِ بُنِيَتْ أَيْضاً؛ نحو: «إِلَّا أَنْ يَعْيُونَ». وَإِنَّمَا بَنِيَتْ لِشَبْهِ التَّركيبِ. وأما الماضي والأمر، فمبنيان على ما يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَلَا خَفْضَ فِيهَا. أَيْ فِي الْأَفْعَالِ؛ لِأَنَّ عَوَامِلَ الْخَفْضِ خَاصَّةٌ بِالْأَسْمَاءِ فَتَحْصُلُ. أَنَّ الرُّفْعَ والنُّضْبَ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ. والجَزْمُ مُخْتَصٌّ بِالْأَفْعَالِ. وَالْخَفْضُ مُخْتَصٌّ بِالْأَسْمَاءِ، وَإِنَّمَا اخْتَصَّتِ الْأَفْعَالُ بِالْجَزْمِ، لِأَنَّهُ ثَقِيلٌ، والجَزْمُ خَفِيفٌ. فَأَعْطِيَ الْخَفِيفَ لِلثَّقِيلِ لِيَتَعَادَلَ. وَوَجْهٌ ثَقُلَهَا أَنَّهَا حَامِلَةٌ، إِذْ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ فَاعِلٍ مُضْمَرٍ أَوْ ظَاهِرٍ. وَإِنَّمَا اخْتَصَّتِ الْأَسْمَاءُ بِالْخَفْضِ؛ لِأَنَّهَا خَفِيفَةٌ، وَالْخَفْضُ ثَقِيلٌ، فَلَوْ أُعْطِيَ الْخَفِيفَ لِلْخَفِيفِ لَطَارَ. كَمَا لَوْ أُعْطِيَ الثَّقِيلُ لِلثَّقِيلِ لَسَقَطَ، فَأَعْطِيَ الْخَفِيفَ لِلثَّقِيلِ، وَالثَّقِيلَ لِلْخَفِيفِ، لِيَتَعَادَلَ الْأَمْرُ، وَوَجْهُ خُفَّةِ الْأَسْمَاءِ، أَنَّهَا فَارِغَةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى فَاعِلٍ، إِلَّا إِذَا اشْتَبَهَتِ الْأَفْعَالُ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الإِشَارَةُ: تَقَدَّمَ أَنَّ الْقِسْمَةَ ثَلَاثِيَّةٌ: شَرِيعَةٌ، وَطَرِيقَةٌ، وَحَقِيقَةٌ. فَأَهْلُ الشَّرِيعَةِ قَائِمُونَ بِأَقْوَالِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَأَهْلُ الطَّرِيقَةِ قَائِمُونَ بِأَفْعَالِهِ، وَأَهْلُ الْحَقِيقَةِ قَائِمُونَ بِأَحْوَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ. فَأَهْلُ الْأَقْوَالِ؛ هُمُ الْمَعْبُورُونَ عَنْهُمْ بِالْأَسْمَاءِ. لِأَنَّهُمْ قَائِمُونَ فِي الْأَسْمَاءِ؛ لِأَنَّ ذِكْرَهُمْ جُلَّه لِسَانِي، وَعَمَلُهُمْ جُلَّه بَدَنِي. فَيَقَالُ مِنْ طَرِيقِ الْإِشَارَةِ، قَالِ أَهْلُ الْأَسْمَاءِ مِنْ ذَلِكَ الرُّفْعِ تَارَةً، إِنْ اسْتَعَاصَتْ أَحْوَالُهُمْ، وَقَوِيَتْ دَلَائِلُهُمْ فَيَرْتَفِعُونَ إِلَى دَرَجَةِ الصَّالِحِينَ. وَالنُّضْبُ، أَيْ التَّوَسُّطُ بَيْنَ الِارْتِفَاعِ وَالْإِنْخِفَاضِ، فَيَتَّبِعُونَ لِمَجَارِي الْأَقْدَارِ؛ وَهُوَ حَالُ فَتَوَرُّهُمْ وَبِرُودَتِهِمْ عَنِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالْخَفْضُ تَارَةً أُخْرَى. وَهُوَ حَالُ عَصْيَانِهِمْ، فَيَسْقُطُونَ عَنْ دَرَجَةِ الصَّلَاحِ. وَيَنْخَفِضُونَ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ، حَيْثُ لَمْ تَسْبِقْ لَهُمْ عَنَايَةُ مُقَرَّبِينَ. وَلَا جَزْمَ لَهُمْ.

جزم أهل كالعيان. إذ لا يحصل الجزم الحقيقي، إلا لأهل الشهود والعيان، فليس الخبر كالعيان، إذ لا ينسلم صاحب الدليل، من الخواطر الرديئة، والشبه الشيطانية، فجلهم يعبدون الله على ظن قوي، لذلك عبّر تعالى بالظن في مقام الجزم، فقال تعالى: ﴿يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ تيسيراً أو تخفيفاً على أهل الدليل من أهل الإيمان إذ لو عبر بالعلم لخرج من دائرة الإسلام خلق كثير. والحاصل، أن الإنسان لا يخرج من مقام الظنون، حتى يصحب العارفين، أهل اليقين الكبير، وقد قال عليه السلام: «تَعَلَّمُوا الْيَقِينَ فَإِنِّي أُنْعَلِمُهُ». في رواية، بمجالسة أهل اليقين. ثم أشار إلى أهل الطريقة، التي توصل إلى عين الحقيقة بقوله: وللأفعال، أي ولأهل الأفعال التي هي المجاهدة والمكابدة. الرّفع إلى أعلى عليين، والنّصب، أي نصب أبدانهم إلى مجاري أقدار ربهم، بالرضى والتسليم. والجزم في عقائدهم وعلومهم؛ لأنها عين شهود وعيان. ولأخفّض فيها، لأنهم سبقوا لهم من الله العناية، فلا تضرهم الجناية. فكلما طلبهم عامل الخفض، استدرجهم عامل الرّفع، فبرفعهم، فلا خفض لهم أبداً. جعلنا الله من خواصهم أمين.

بَابُ مَعْرِفَةِ عَلَامَاتِ الْإِعْرَابِ:

قلت: الناظم إن الإعراب إما مغنوي؛ وهو التغيير والانتقال، من حال إلى حال. وهذا التغيير له علامات؛ وهي الأشكال والحروف الثابتة عنها. فالرّفع مثلاً معنى. وهو كَوْنُ الكلمة مرفوعة، والضمّة علامة على رَفْعِهَا، وقَسْ على هَذَا أنواع الإعراب كلها. وإما على أنه لفظي فالضمّة والألف والواو مثلاً. هي عين الرّفع، وكذلك الفتحة والألف والكسرة، هي عين النصب، ولذلك قيل في حقيقته ما جيء به لبيان مقتضى العامل، من حركة أو حرف، إلى آخر ما تقدم.

الإشارة: ذكر هنا علامة تقال العبد من حال إلى حال، على حسب الواردات القلبية، والخواطر السنية، والرديئة، إما من الرّفع إلى الخفض، أو العكس أو من حالة القبض إلى البسط، أو العكس. وهكذا من تخالف الآثار، وتنقلات الأطوار، فليكل واحد من هذه الآثار علامات تظهر على صاحبه كما تقدّم، ولكل واحد من القبض والبسط آداب، وقد أشرت في قصيدي العينية قلت:

وإن جئتك لبيل من القبض حالك فهيء له صبراً قسوة تابع
سكون وتسليم لما قد جرى به قضاء محثم من الحق واقع
وللبسط آداب إذا لم تقم بها نزل بك الأقدام والقلب تابع

خضوع وهيبته وتعظيم بغمته ومُسْك لِسَان الْقَوْلِ إِنَّهُ رَاتِعٌ
ثُمَّ بَيَّنَّ الْعَلَامَةَ فَقَالَ: (ص) لِلرَّفْعِ أَرْبَعُ عِلَامَاتٍ: الضَّمَّةُ والوَاوُ والأَلِفُ
والتَّوْنُ. (ش) يعني، أَنَّ الْكَلِمَةَ إِذَا كَانَتْ مَرْفُوعَةً، بَانَ طَلِبُهَا عَامِلُ الرَّفْعِ، فَلِزْفَعِهَا
أَرْبَعُ عِلَامَاتٍ، أُولَاهَا الضَّمَّةُ فِي آخِرِهِ ظَاهِرَةٌ. نَحْوُ: «وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ». ومقدرة
نَحْوُ: «وَقَالَ مُوسَى». وَبَدَأَ بِهَا؛ لِأَنَّهَا الْأَوَّلُ، ثُمَّ الْوَاوُ؛ لِأَنَّهَا بَنَتَهَا، وَنَاشَتْ عَنْهَا،
وَلِذَلِكَ ذَكَرْتُ بَعْدَهَا. ثُمَّ الْأَلِفُ؛ لِأَنَّهَا أَخْتَهَا فِي الْعِلَّةِ وَاللَّيْنِ، ثُمَّ التَّوْنُ لِقُرْبِ
مَخْرَجِهَا مِنَ الْوَاوِ، وَلِذَلِكَ أُذْغِمْتُ فِيهَا إِذَا سَكُنَتْ، وَآخِرَهَا لِبَعْدِ الشَّبَّهِ،
وَلَاخْتِصَاصِهَا بِالْأَفْعَالِ وَسَيَاتِي أَمْثَلُهَا بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَمَنْ قَالَ: إِنْ الْإِعْرَابَ
لِفِظِي، قَالَ: إِنَّهَا مَرْفُوعَةٌ بِنَفْسِ الضَّمَّةِ، وَالْوَاوِ وَالْأَلِفِ وَالتَّوْنِ. فَالْإِعْرَابُ هُوَ
نَفْسُ الْحَرَكَاتِ. أَوِ الْحُرُوفِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الإِشَارَةُ: لِلرَّفْعِ إِلَى مَقَامِ الْمُقَرَّبِينَ أَرْبَعُ عِلَامَاتٍ، أُولَاهَا الضَّمَّةُ، أَيِ ضَمَّ
الْمُرِيدَ إِلَى الشَّيْخِ، وَصَحْبَتَهُ وَخِدْمَتَهُ، وَتَعْظِيمَهُ وَمَحَبَّتَهُ. وَاللَّهُ مَا أَفْلَحَ مَنْ أَفْلَحَ.
إِلَّا بِصَحْبَةِ مَنْ أَفْلَحَ.

وثانيها: وَאוּ הָהוּיَةِ وَالْحَقِيقَةِ. فَلَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ أَنْ يَفْتَى فِي الذَّاتِ حَقِيقَةً، فَمَنْ
لَا فَنَاءَ لَهُ، لَا بَقَاءَ لَهُ. فَيَفْتَى أَوَّلًا فِي الْأَسْمِ ثُمَّ فِي الذَّاتِ، فَيَقْدِرُ الْفَنَاءَ، يَكُونُ
الْبَقَاءَ. وَيَقْدِرُ السُّكْرَ، يَكُونُ الصُّخُوفُ. وَثَالِثُهَا: أَلِفُ الْوَحْدَةِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَرْدُ
الْفَرْدِ، فَيَكُونُ لَهُ قَصْدٌ وَاحِدٌ. وَمَحَبَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَإِرَادَةٌ وَاحِدَةٌ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِقَلْبِ
مُفْرَدٍ فِيهِ تَوْحِيدٌ مُجَرَّدٌ. وَرَابِعُهَا نَوْنُ الْإِنَّانِيَّةِ، فَلَا يَزَالُ يَذْكُرُ الْأَسْمَ، حَتَّى يَكُونَ
عَيْنُ الْمُسَمَّى. فَيَقُولُ حِينَئِذٍ: أَنَا مِنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا، فَيَغِيبُ الذَّاكِرُ فِي
الْمَذْكُورِ، فَلَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ فِي مَقَامِ الْفَنَاءِ أَنَا. وَقَالَ آخَرُ فِي مَقَامِ الْبَقَاءِ هُوَ. فَيَقَالُ
لِلْأَوَّلِ صَدَقْتَ وَمَا كَذَبْتَ. وَيَقَالُ لِلثَّانِي: أَحْسَنْتَ وَتَأَذَّبْتَ، كَمَا قَالَ بَعْضُ
الْعَارِفِينَ. وَهَذَا إِشَارَةٌ أُخْرَى، فَيَسِيرُ بِالضَّمِّ إِلَى ضَمِّ النَّفْسِ وَكَفُّهَا عَنْ حُطُوطِهَا
وَهَوَاهَا، بَلَجَامِ الْمَجَاهِدَةِ وَالْمُخَالَفَةِ، فَيَرْجِعُ إِلَى مَقَامِ الْمَشَاهِدَةِ، وَبِالْوَاوِ إِلَى الْوَدِّ
وَالْمَحَبَّةِ فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالشَّيْخِ الَّذِي يُوَصِّلُهُ إِلَى حَضْرَتِهِ. وَالْإِخْوَانِ وَسَائِرِ عِبَادِ
اللَّهِ. فَالْمَحَبَّةُ أَصْلُ الطَّرِيقِ. وَبِهَا يَقَعُ السَّيْرُ إِلَى عَيْنِ التَّحْقِيقِ. فَإِذَا وَصَلَ، أَحَبَّهُ
اللَّهُ، فَكَانَ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَكَلِمَتُهُ. لِقَوْلِهِ: «إِذَا أَحَبَّيْتَهُ كُنْتُهُ». فَإِذَا أَحَبَّهُ اللَّهُ، نَادَى
فِي السَّمَاوَاتِ، فَيَجِيبُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ. ثُمَّ تَنْزِلُ مَحَبَّتُهُ إِلَى الْأَرْضِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ.
قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُمْ مَقَامًا وَدًّا﴾ وَيُسَمَّى

بالألف إلى ألف الوخدة كما تقدّم. وبالثون إلى ثون التوجه، ثم نون المواجهة، فنور التوجه للسائرين، ونور المواجهة للواصلين. والمراد بنور التوجه، خلّوة المعاملة، وما يجده المريد في سيره من النشوة والسكر، ونور المواجهة، هو نور الشهود، يواجهه الحق تعالى بأسرار ذاته فيغيب عن رؤية الوجود، سوى ذات المعبود، وفي ذلك يقول الجنيّد رضي الله عنه:

وَجُودِي أَنْ أُغِيبَ عَنِ الْوُجُودِ بِمَا يَبْذُو عَلَيَّ مِنَ الشُّهُودِ
ثُمَّ عَيَّنَ الْمَوَاضِعَ الَّتِي تَنُوبُ فِيهَا الضُّمَّةُ عَنِ الرُّفْعِ فَقَالَ: (ص) فَأَمَّا الضُّمَّةُ
فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلرُّفْعِ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ، فِي الْأَسْمِ الْمَفْرُودِ (ش) نحو: «وَقَالَ رَجُلٌ
مُؤْمِنٌ». «وَقَالَ مُوسَى». وَالْمُرَادُ بِالْمَفْرُودِ هُنَا: مَا لَيْسَ مَجْمُوعاً وَلَا مَثْنً وَلَا وَاحِداً
مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ، مَتَصَرِّفاً أَوْ غَيْرَ مَتَصَرِّفٍ، مَذْكَراً أَوْ مَوْثَلاً. اسماً أَوْ صِفَةً، تَابِعاً
أَوْ مَتَبَوِّعاً. مَقْصُوراً أَوْ مَقْصُوصاً. فَالْمَقْصُورُ مَا كَانَ آخِرَهُ أَلِفاً؛ قَبْلَهُ فَتَحَةٌ لَزِمَةٌ،
كَمُوسَى وَعِيسَى، وَعَصَى وَفَتَى، وَالْمَقْصُوصُ: مَا كَانَ آخِرَهُ ياءً؛ قَبْلَهَا كَسْرَةٌ لَزِمَةٌ.
كَالْمُتَعَالِي وَالِدَاعِي، وَوَالٍ وَهَادٍ، فَالْمَقْصُورُ يُرْفَعُ بِضُمَّةٍ مَقْدَرَةٍ، الْمَانِعُ مِنْ ظُهُورِهِ
التَّعَذُّرُ. إِذْ يَتَعَذَّرُ ظُهُورُهَا الْاِسْتِثْقَالُ، إِذْ يَثْقُلُ ظُهُورُ الضُّمَّةِ أَوْ الْكُسْرَةِ عَلَى الْيَاءِ.
(ص) وَجُمُعُ التَّكْسِيرِ (ش) وَهُوَ فِي اللَّغَةِ التَّغْيِيرُ وَتَفْرِيقُ الْأَجْزَاءِ. وَفِي الْأَصْطِلَاحِ:
مَا تَغْيَرُ بِنَاءُ مُفْرَدِهِ، تَغْيِيراً ظَاهِراً أَوْ مَقْدَراً، لَغَيْرِ إِعْلَالٍ. وَالتَّغْيِيرُ الظَّاهِرُ إِمَّا بِزِيَادَةِ
فَقَطْ نَحْوُ: صِنُوْ أَوْ صِنَوَانٍ، أَوْ بِنَقْصٍ فَقَطْ نَحْوُ: تُخْمَةٌ وَتُخَمٌ، وَشَجَرَةٌ وَشَجَرٌ. أَوْ
بِتَبْدِيلِ شَكْلِ فَقَطْ نَحْوُ: أَسَدٌ وَأَسْدٌ، أَوْ بِنَقْصٍ مَعَ تَبْدِيلِ شَكْلٍ، نَحْوُ كِتَابٍ وَكُتِبَ،
أَوْ بِزِيَادَةِ مَعَ تَبْدِيلِ شَكْلٍ، نَحْوُ رَجُلٍ وَرِجَالٍ، أَوْ بِنَقْصٍ وَزِيَادَةِ وَتَبْدِيلِ شَكْلٍ، نَحْوُ
غُلَامٍ وَغُلَمَانٍ، وَالتَّغْيِيرُ الْمَقْدَرُ، كَمَا فِي فُلْكَ، فَإِنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ
بِلَفْظٍ وَاحِدٍ. وَيَتِمَّيزُ الْمَفْرُودُ مِنَ الْجَمْعِ بِالْوَصْفِ. تَقُولُ: عِنْدِي فُلْكَ جَيِّدٌ، وَفُلْكَ
كَثِيرَةٌ. فَحَرَكَةُ الْمَفْرُودِ غَيْرُ حَرَكَةِ الْجَمْعِ، وَإِنْ تَسَاوَتَا فِي اللَّفْظِ وَقَلْنَا: لَغَيْرِ إِعْلَالٍ
احْتِرَازَ مَنْ نَحْوُ قَاضِيُونَ، فَإِنْ وَاحِدَةٌ مَغْيَرٌ. لَكِنْ لَا إِعْلَالٌ فَأَصْلُهُ قَاضِيُونَ،
اسْتِثْقَالُ الضُّمَّةِ عَلَى الْيَاءِ فَحَذَفْتُ، ثُمَّ حَذَفْتُ الْيَاءَ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، ثُمَّ قَلَبْتُ
الْكَسْرَةَ ضُمَّةً، لِتَنَاسُبِ الْوَاوِ. وَيَدْخُلُ فِي جَمْعِ الْكُسْرِ اسْمُ جَمْعٍ، كَقَوْمٍ وَرَهْطٍ،
وَاسْمُ الْجِنْسِ، كَشَجَرٍ وَنَخْلٍ، وَسَيَأْتِي الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فِي جَمْعِ الْمَذْكَرِ. (ص) وَجَمْعُ
الْمَذْكَرِ السَّالِمِ. (ش) وَحَقِيقَتُهُ: مَا جُمِعَ بِالْأَلِفِ وَتَاءٍ مَزِيدَتَيْنِ، نَحْوُ: «وَالسَّمَاوَاتُ
مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ» «إِذَا جَاءَ الْمُؤْمِنَاتُ». فَالسَّمَاوَاتُ مُبْتَدَأٌ، الْمُؤْمِنَاتُ فَاعِلٌ، وَالضُّمَّةُ

ظاهرة فيه . واحترز بقيد الزيادة من إقالة الألف نحو : قضاة ، جمع قاضٍ ، وأضله قضية . مال في الألفية : في نحو رام واضطراد فعلة . فقلبت الياء أيضاً لتحركها ، وانفتاح ما قبلها ؛ فهو جمع تكسير أيضاً . ولما كان الغالب في هذا الجمع ، أن يكون لمؤنث . قيل فيه : جمع المؤنث . وقد يستعمل في غير المؤنث ، ويطرّد في ست مسائل ، في كل ما فيه تاء زائدة للتأنيث اللفظي ، نحو : طَلْحَة وطلّحات بفتحها ، والتاء في الجمع غير التاء في المفرد ؛ لأنّ تاء المفرد تحذف عند الجمع . قال في الألفية . وتاء ذي التأنيث الزمن تحيه . ويطرّد أيضاً فيما كان مقصوراً كذفرى وذكري . تقول : ذفريات وذكريات . وفي نحو درهم مقفّر . تقول : ذُرَيْهَمَات ، وفيها كان اسماً ممدوداً نحو صحراء وصحراوات ، وسماء ، وسماءات ، وفيما كان مؤنثاً بغير تاء ، نحو زينب ، وهند تقول : زينبات وهندات . وفيما كن وصفاً لغير العاقل . نحو جبال راسيات وشامخات . وقد نُظِّمَها بعضهم فقال :

وقسنن في ذي التّاء ونحو ذكري ودرهم مصغر وصحراء
وزينب وغير وصف العاقل وغير ذي مسلم للعاقل
وقد يستعمل في غير هذه المواضع سماعاً ، نحو حمامات واصطبلات . والاصطبل بقطع الهمزة وفتح الطاء . الأزوى الذي يكون فيه الدواب . وتكون الضمة علامة للرفع أيضاً : (ص) وفي الفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره شيء (ش) نحو : « وإذ يقول الله . » « ويوم تشقّق السماء بالغَمِّ » . فيقول . وتشقق مضارع مرفوع بضمّة ظاهرة . واحترز بقوله ، لم يتصل بآخره شيء ، مما إذا اتصل به ، واوا جمع ، أو ألف اثنين ، أو ضمير المؤنثة المخاطبة ، فإنه يرفع بالحروف ، كما يأتي ، وأما إذا اتصل به ضمير نون التوكيد المباشرة أو نون الإناء ، فهو مبني كما تقدّم ؛ فلا يدخل هنا ؛ لأنّ الكلام هنا في المَعْرَب . ويشمل ما إذا لم يتصل به شيء الصحيح نحو : « ونمير أهلنا » . والمعتل بالألف كَيْخُشَى ، وبالأوا وكَيْدَعُو . وبالياء كبيرة فلكن معرب بضمّة مقدرة . والله أعلم .

الإشارة : فأما الضّم بالأولياء ، والصحة لهم ، فيكون علامة للرفع إلى مقام المُقَرَّبِينَ . وسبباً في نيل مقام السابقين ؛ في ذكر الاسم المفرد والفناء فيه . سمعت شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول : بقيت فانياً في الاسم المفرد أُرَنِّع سنين . حتى كان بدني كله يتحرك بغير اختيار مني ، إذا شددت على الرجل الواحد انهز الآخر هـ . فالقناء في الاسم مقدمة للقناء في الذات . بقدره يعظم ويقل ،

ويكون أيضاً علامة للرفع في صحبة جميع الأولياء، الذين هم أهل التكسير والإكسير، يتصرفون في الوجود بهمهمهم، يكسرون مَنْ شَاءُوا، وَيُجَبِّرُونَ مَنْ شَاءُوا، يكسرون أَعْدَاءَهُمْ ومن ناوَاهُمْ، بِإِزَادَةِ مَوْلَاهُمْ وَيُجَبِّرُونَ أَحِبَّائَهُمْ بِمَشِيئَةِ مَوْلَاهُمْ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ فِي وَصْفِهِمْ:

هَمُّهُمْ تَقْضِي بِحُكْمِ الْوَقْتِ مُنْكَرُهُمْ مُعْرِفُ لِمَقَاتِ

وَيَرْتَفِعُ أَيْضاً بِضَمِّهِ إِلَى الشَّيْخِ فِي جَمْعِ الْمُؤْنِثِ، أَيِ فِي جَمْعِهِ بِالْمُؤْنِثِ، عَلَى طَرِيقِ التَّزْوِجِ، السَّالِمِ مِنْ غَوَائِلِهِ، وَشَغْلِهِ عَنْ رَبِّهِ؛ لِأَنَّ التَّزْوِجَ لِلْفَقِيرِ الْمَعْتَنِي، يَزِيدُ فِي تَرْبِيَةِ يَقِينِهِ، وَيُوسِّعُ أَخْلَاقَهُ، فَتَتَّسِعُ مَعْرِفَتُهُ، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ، فَالسَّلَامَةُ فِي تَرْكِهِ، وَكَانَ شَيْخُ شَيْخِنَا رَضِيَّيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:

الصُّوفِيَةُ خَذَرُوا مِنَ التَّزْوِجِ لِلْفَقِيرِ. وَأَنَا أَمُرُّ بِهِ؛ لِأَنَّ الْفَقِيرَ إِذَا تَزَوَّجَ. تَقَوَّى يَقِينُهُ. وَاتَّسَعَتْ أَخْلَاقُهُ، وَتَتَّسِعَ مَعْنَاهُ. أَوْ كَلَاماً مَا هَذَا مَعْنَاهُ. وَيَرْتَفِعُ أَيْضاً بِالْفِعْلِ الْمَضَارِعِ: الْعَمَلُ الْمَشَابِهَ لِفِعْلِ الْأَضْفِيَاءِ، بِمُوَافَقَتِهِ لِلْسَّنَةِ. وَسَلَامَتِهِ مِنَ الْبِدْعَةِ، وَتَحَقُّقِهِ فِيهِ بِالْإِخْلَاصِ، وَالتَّبَرِّيِ فِي الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرَكَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ لَعَلَّهُ يُدْخِلَهُ فِي الْإِخْلَاصِ فِي أَوَّلِهِ، وَالْإِتْقَانِ فِي وَسْطِهِ. وَالْغَيْبَةِ عَنْهُ فِي آخِرِهِ. وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: لَمْ يَتَّصِلْ بِآخِرِهِ شَيْءٌ مِنَ الْعِلَلِ كَالْإِظْهَارِ لَهُ، وَالْبَجْحِ بِهِ. وَفِي الْجُحْمِ: لَا عَمَلٌ أَرْحَبَ لِلْقُلُوبِ، مِنْ عَمَلٍ يَغِيبُ عَنْكَ شَهُودُهُ وَيَحْتَقِرُ لَدَيْكَ وَجُودُهُ. وَفِي نَسْخَةِ أُخْرَى لِلْقَبُولِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ. ثُمَّ ذَكَرَ الْعَلَامَةَ الثَّانِيَةَ لِلرُّفْعِ فَقَالَ: (ص) وَأَمَّا الْوَاوُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلرُّفْعِ فِي مَوْضِعَيْنِ، فِي جَمْعِ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ (ش). وَهُوَ مَا دَلَّ عَلَى ثَلَاثَةِ فَاكْثَرٍ، بِزِيَادَةِ فِي آخِرِهِ مَعَ سَلَامَةِ بِنَاءٍ وَاحِدَةٍ، فَخَرَجَ مَا دَلَّ عَلَى أَقَلِّ كَاثِنَيْنِ. وَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ لَا بِزِيَادَةِ كَاسْمِ الْجَمْعِ، وَمَا لَمْ يُسَمَّ بِنَاءٍ وَاحِدٍ، فَهُوَ جَمْعُ التَّكْسِيرِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ يَعْرَبُ بِالْحَرَكَاتِ. وَمُفْرَدُ هَذَا الْجَمْعِ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ اسْمًا كَزَيْدٍ وَعَمْرُو، فَتَقُولُ: زَيْدُونَ وَعَمْرُونَ. وَشَرْطُهُ أَنْ يَكُونَ مُذَكَّرًا عَاقِلًا، خَالِيًا مِنْ تَاءِ التَّانِيثِ، وَمِنْ التَّرْكِيبِ، فَلَا يَجْمَعُ هَذَا الْجَمْعُ نَحْوَ صَائِفٍ، وَزَيْنَبٍ، لِعَدَمِ التَّذْكِيرِ، وَلَا وَاشِقَ عِلْمًا لِكُلِّ سَابِقٍ، صِفَةً لِفَرَسٍ، لِعَدَمِ الْعَقْلِ وَلَا طَلْحَةٍ، وَعَلَامَةً لِنَاءِ التَّانِيثِ، وَلَا بَغْلَبِكُ، وَبَرَقَ نَحْرُهُ لِلتَّرْكِيبِ الْمَرْجِي، وَالْإِسْنَادِ، وَأَمَّا الْمُرَكَّبُ الْإِضَافِي، فَإِنَّهُ يَجْمَعُ صَدْرَهُ وَيُضَافُ إِلَى عَجْزِهِ. وَقِيلَ يَجْمَعُ الْجَزْآنَ مَعًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ صِفَةً كَصَالِحٍ وَعَالِمٍ، فَتَقُولُ: صَالِحُونَ وَعَالِمُونَ. وَشَرْطُهُ أَنْ يَقْبَلَ

التاء أو يدل على التفضيل، كقائم ومُذنب، وأفضل، بخلاف نحو جريح وصبور، فلا يُجمع هذا الجمع؛ لأنه لا يقبل التاء، لأنه يستوي فيه المذكر والمؤنث، تقول: رجل جريح، وامرأة جريح. ورجل صبور، وامرأة صبور. وكذلك سكران وأحمر، إذا لم يقولوا سكرانة ولا أحمرة. بل سكراء وحمرء. وحملوا على هذا الجمع أربعة أنواع. فأعربوها إعراب جمع المذكر السالم. وإن لم تتوثر فيها الشروط، أحدها أسماء جموع؛ وهي أولو، وعالمون، وعشرون وبابه إلى التسعين، فإنها تعرب بالواو رفعاً، وبالياء نصباً. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. فاعتبروا يا أولي الأبصار، وتمثيل الباقي ظاهراً. وجعل عالمين اسم جمع هو رأي ابن مالك. والتحقيق، أنه جمع عالم، ويقصد به نوع من أنواع العلم. فلا يكون المفرد أوسع من جمعه، كما قال: من فعل اسم جمع. الثاني: جموع التكسير، نحو بنون وإخرون بكسر الهمزة جمع حرة؛ وهي الأرض ذات حجارة سوداء. ومنه أرضون وسئون وبابه. فإن هذا الجمع شائع في كل ثلاثين، حذفت لامه، وعوض منها هاء التانيث وإن لم يُكسر نحو سئة وسنين وعضة وعضين، وعزة وعزين، وثبة وثبين. قال تعالى: ﴿كَمْ لِفَتْحِ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِينٍ﴾. ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْفِرْعَانَ عِضِينَ﴾. ﴿وَعَنِ الشَّامِ عِزِينَ﴾. وأصل مفردها سنو وعضو أو عضه. وعزّي، وتو. فحذفت منها اللام وعوض منها تاء التانيث، ولا يجوز ذلك في نحو ثمرة، لعدم الحذف. ولا في نحو عدة وزنة؛ لأن المحذوف الفاء، ولا في نحو يد ودم لعدم التعويض. وشرابون وأخوان، ولا في نحو اسم وأخت وبنت؛ لأن عوض غير الهاء، ولا في نحو شاة وشفة؛ لأنهما كسراً على شياء وشفاء. الثالث: جموع تصحيح؛ لأنها لم تستوف الشروط، كأهلون ووابلون؛ لأن أهلاً ووابلاً، وهو المطر الغزير، ليس علمين ولا صفتين؛ لأن وابلأ اسم للمطر لا صفة، الرابع: ما سمي به من هذا الجمع، وما ألحق به، كعَلِين وزَيْلِين مستمى به، ويجوز في هذا النوع أن يجري مجرى غسلين في لزوم الياء، والإعراب بالحركات على الثوْنِ منونة، ودون هذا أن يجري مجرى غربون في لزوم الواو كقوله:

طَالَ لَيْلِي وَبِتْ كَأَلْمَجْثُونِ واعتراني الهموم بالمطاطرون

ودون هذا أن تلزمه الواو وفتح النون، وبعضهم يجري سنين وباب سنين مجرى غسلين في لزوم الياء في الأحوال الثلاثة. قال الشاعر:

وَكُنَّا لَنَا أَبُو حَسَنٍ عَلَى أَبَا بَرٍّ وَنَحْنُ لَهُ بَنِينَ
ومنه الحديث:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سَيْنًا كَسَيْنِ يَوْسُفَ» تذييل: اعلم أَنَّ الجمع هو الاسم الموضوع للأحاد المجتمعة ذَالاً عَلَيْهَا دلالة الواحد بالعطف؛ وهو أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ: اسم الجمع، واسم الجنس، وجمع التكسير، وجمع السَّالِمِ أَمَّا اسم الجمع، فهو الاسم الموضوع للأحاد ذَالاً عَلَيْهَا، دلالة المفرد على جملة أَجْزَاءِ مُسَمَّاءُ. وَلَا مفرد لَهُ لفظاً، كقوم وَرَهْطٍ وَرُكْبٍ وَصُخْبٍ. وَأما اسم الجنس؛ فهو الاسم الموضوع للحقيقة. ملغى فيها اعتبار الفردية وهو قِسْمَانِ: إفرادي وَجَمْعِي، فالأول كالماء والغسل. والثاني كتركِ وَرُومٍ. والفرق بَيْنَهُمَا أَنَّ الأول ينتفي الواحد بِنَفْيِهِ، بخلاف الثاني. فإنه لا ينتفي الواحد والاثنان بِنَفْيِهِ، فإذا قُلْتَ: ليس هُنَا ماء انتفى كل فَرْدٍ من أفراد الماء، وإن قُلْتَ: ليس هُنَا تَرْكٌ، لَا يُنَافِي أَنْ يوجد تركي أو تركيبان؛ وهو اسمُ الجنس على ثلاثة أَقْسَامٍ، ما يميز واحده عنه بِيَاءِ التَّسْبِ، كَرُومٍ ورومي. وَتَرْكٍ وَتَرْكِي، وَمَا يُمَيِّزُ وَاحِدَهُ عَنْهُ بِتَاءِ التَّانِيثِ، كَثَمَرَةٍ وَثَمَرٍ، وَنَخْلَةٍ وَنَخْلٍ، وَنَبْقَةٍ وَنَبَقٍ، وكلمة وكلم؛ وهو الغالب وَمَا يُمَيِّزُ هُوَ عَنْ مُفْرَدِهِ بِتَاءِ التَّانِيثِ، كَكَمَاءٍ وَكَمَا فَكَصَاءَ جمع، ومفرده كما. وأما جمع التكسير، وجمع السلامة، مذكراً أو مؤنثاً، فقد تَقَدَّمَ الكلامُ عليه، والله تعالى أَعْلَمُ. وتكون الواو أيضاً علامة للرفع. (ص): في الأسماء الخمسة؛ وهي أَخُوكَ وَأَبُوكَ وَحَمُوكَ وَفُوكَ (ش). قلت: أما أَخُوكَ وَأَبُوكَ، فأصلهما أَخُوكَ وَأَبُوكَ، فاستثقلت الضمة على الواو، فحُذِفَتْ، ثم حذفت الواو الأولى لالتقاء الساكنين، وقد تشدد الخاء والباء، من أخ وأب. وقد يُقال: أَخُوكَ بِسُكُونِ الخاءِ. قال الشاعر:

مال المرء أخوك إن لم تلفه وزراً عند الكريهة مغواناً على الثوب
ويجمع الأخ من التَّسْبِ على إخوة، ومن الصَّدَاقَةِ والخلة على إخوان، ومن الدين عليهما، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. فإخوانكم في الدين. وأما حَمُوكَ فَلَا يُقال إِلَّا بِكُسْرِ الكَافِ؛ لأنه لَا يكون خطاباً إِلَّا لِلْمُؤْنِثِ؛ لأن الأحما أقارب الزَّوْجِ كما أَنَّ الأختان أقارب المرأة. والأصهار يطلق عليهما؛ لأنه مِنْ الصُّهْرِ وهو الاختلاط. هذا أَخُوكَ وَأَبُوكَ وَحَمُوكَ. فيعرب بالحركة الظاهرة. قال الشاعر:

بَابِهِ اقْتَدَى عُدِي فِي الْكَرَمِ وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ

وقد تَلَزَمَ الألف في الأَحْوالِ الثلاثة، فيقال: هَذَا أَحَاكَ وَأَبَاكَ وَحَمَاكَ، فيقدر الإعراب في الألف. وأما فُوكَ، فيعرب بالحروف، ما لم تظهر فيه الميم، فيعرب حينئذٍ بالحركة، تقول: هَذَا فَمَكَ، وقد تَشَدَّدَ ميمُهُ، وتثَلَّثَ فاؤُهُ، قال في التَّسْهِيلِ: وقد يُثَلَّثُ ما فم منقوصاً أو مقصوراً، أو بضَعْفِ مفتوح الفاء. أو مضمومها أو تتبع فاؤه حرف إعرابه في الحركة، كأفعل بفاء مرء وعيني أُمري وَابْنُهم، ونحوهما. وأصل فم فوه، بدليل أَفْواه وفويه، وأما ذو، فأصلها دُؤوا. وهل المحذوف لأمها أَوْ عينيها قولاًن. وهل وزنها فعل وهو مذهب الخليل، أو فَعَلَ بالفتح، وهو مذهب سيبويه قولاًن. وَلَا تضاف إلا لظاهرٍ على المشهور. وشُدَّ قول الشاعر: أَفضل المعروف ما لم تبتدل فيه الوجوه إنما يعرف ذا الفضل من النَّاسِ ذاووه. وَلَا يكون ذَلِكَ الظاهر إلا ما فيه شَرَفٌ كذي علم، وذِي عَزٍّ وَجَلالٍ، وَلَا يُقال دُؤ حِجامة وذو حياكة. مما ليس فيه شَرَف. قال الزِّيَّاتِي، وترك المصنف الهَنَ؛ وهو الفَرْج، أو ما يَسْتَقْبَحُ مِنَ الإنسان. وقد ذكره بَعْضُهُم من الأسماء الخمسة، والمشهور فيه النقص، وإعرابه بالحركات، قال في الألفية:

والنقص في هَذَا الأخير أَحْسَن. ويشترط في إعراب هذه الأسماء بالحروف، أن تكون مكبرة لا مصغرة وَلَا مجموعة. وأن تكون مُضَافَةً لِعَينٍ ياء المتكلم. فإن أُضِيفَت للياء، أُعْرِيت بِالْحَرَكَاتِ المَقْدُورَةِ. فيما قبل ياء المتكلم، والله تعالى أَعْلَمُ.

الإشارة: وَأَمَّا وَاو المودة والمحبة من الخلق. فتكون علامة للرفع عند الخلق في مَوْضِعَيْن: في جمع المَذْكُورِ أي إذا كانت تلك المحبة من الجمع الكثير، والجمع الغفير من أَهْلِ الْعَقْلِ السَّلِيمِ، والرَّأْيِ الْمُسْتَقِيمِ، وَلَا عِبْرَةَ بِمَحَبَّةِ السُّفْهَاءِ وَلَا بَعْضِهِمْ، إذ لَيْسُوا من الْعَقْلِ السَّلِيمِ، وأن يكونَ ذَلِكَ الْوَدَّ سالماً من الأغراض والأهواء، بل يكون لِلَّهِ، وفي اللُّهِ، وَمِنْ اللُّهِ، بلا عَوَضٍ وَلَا حَرْفٍ. فهذه المحبة التي تدلُّ على رفع قَدْرِ صاحبها عند اللُّهِ، وتكون أيضاً علامة لِرَفْعِهِ في الأسماءِ الْخَمْسَةِ، أي إذا وقعت من الأجناس الخمسة، الإنس والجن والملائكة وَالْحَيَوَانَاتِ، والجمادات فإنَّ اللَّهَ تعالى، إذا أَحَبَّ عَبْدًا، قَدَّرَ محبته في قلوب جميع خَلْقِهِ، فيشتاق إليه كل شيء، ويطيعه كل شيء. ويدل على هذا تسخير الحيوانات، والجمادات للأولياء، وتقديم الحديث. إذا أَحَبَّ الله عبداً نادى جِبْرِيلُ إني أحب فلاناً فأحبه. فيحبه جبريل، ثم يُنادي جبريل في السماوات. إني لله أحبُّ فلاناً فأحبه. جَنَّهُم وإنسهم. وفي الحديث: إن العالم يستغفر له دوام البرِّ وأنعامه، ودوام البحر وهوامه.

وفي حديث آخر: «إن العالم يستغفر له مَنْ في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتان في جوف الماء، وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء، لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه، بحظِّ وافرٍ هـ. والمراد بالعلماء، العلماء باللَّهِ، أو بأحكام اللّهِ، إذا خلصت النية والاستغفار يدل على المحبة، والله تعالى أَعْلَمُ، ثم قال: (ص): وأما الألف فتكون علامة للرفع في تثنية الأسماء خاصة. (ش) قلت: التثنية مصدر أطلقه على اسم المفعول في مثني الأسماء. قال في التسهيل في حقيقة التثنية: جعل الاسم القابل لدليل اثنين متفقين في اللفظ غالباً وفي المعنى. على رأى بزيادة ألف في آخره رفعاً، وباء نصباً وجرّاً، تليهما نون مكسورة فتحها لغة. وقد تُضَمُّ وتسقط للإضافة والضرورة، أو لتقصير صلة هـ. وأقرب منه ما قاله غيره: ما دل على أقل أو أكثر. ويقول بزيادة في آخره، ما دل على اثنين بلا زيادة، كزوج وشفع وزكى وكلاً وكلتاً. إلا أن كلا وكلتا ملحقاتاً بالتثنية في الإعراب على ما يأتي. ويقول صالحاً للتجريد: اثنان واثنتان، فإنهما ملحقاتان بهما. ويقول: وعطف مثله عليه، ما لا يعطف عليه مثله. بل غيره، كالقمرين والعمرين، في التغليب. فإنهما مما يلحق بالتثنية، وقال ابن هشام: والذي أراه أنهما مثني حقيقة لا محققان بهما. وقوله في التسهيل: القابل خرج بلا ما لا يقبل التثنية، والذي يقبلها ما توفرت فيه ثمانية شروط، جمعها بعضهم فقال:

وَلِلَّذِي ثِنْيِي قَلْ ثَمَانِ مِنْ الشُّرُوطِ قُضِيَ بِالْبَيَانِ
أَوَّلُهَا الإِعْرَابُ وَالتَّنْكِيرُ وَعَدَمُ التَّرْكِيبِ وَالتَّظْيِيرِ. وَأَنْ يَكُونَ مُفْرَداً وَأَلَّا يَغْنَى
عنه غيره عين نقلاً. كذا اتفاق اللفظ والمعنى فذي، شروطها مجموعة للمبتدي.
فلا يثنى المبني كالضمير وأسماء الشروط، والاستفهام، والموصولات،
والإشارات. وأما اللذان واللتان وهذان فملحق بالتثنية، ولا تثنى المعارف حتى
يقدر شيوعها، فلا يثنى العَلَمُ باقياً عَلَى عِلْمِيَّتِهِ، بل إذا أريد تثنيته، قدر تنكيره،
بدليل دخول الألف واللام عليه، نحو الزيدان والعمران، ولا المركب تركيب إسناد
اتِّفَاقاً. وفي المَزْجِي ثالثها إن لم يَخْتَمَ بُوْنُهُ، وَلَا مَا لَا نَظِيرَ لَهُ كَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ،
إلا على سبيل التغليب، فقد قالوا: القمران للشمس والقمر، والعمران لأبي بكر
وعمر، ولا تثنى الجمع والمثنى باقياً على جمعيته وتثنيته، غير مسمى بهما، ولا
يثنى أيضاً ما أغنى عنه غيره كسواء، فَلَمْ يَقُولُوا سَوَاءَآ، بل قالوا: سَيَّانِ، فَأَغْنَى
تثنية سي عن تثنية سواء، وشذ قول الشاعر:

يَا رَبِّ إِنْ لَمْ تَجْعَلِ الْحُبَّ بَيْنَنَا سَوَاءً بَيْنَ فَاجِعَلْنِي عَلَى حُبِّهَا جَلداً

وَلَا يَشْنِي أَيْضاً مَا اخْتَلَفَ لَفْظاً. كَزَيْدٍ وَعَمْرُو، إِلَّا مَا تَقَدَّمَ مِنَ التَّغْلِيْبِ: فَقَدْ
 قَالُوا: الْأَبْوَانُ لِلْأَبِ وَالْأُمِّ. وَالذُّرْهَمَانِ، لِلذُّرْهَمِ وَالذِّينَارِ، وَالْأَذَانَانِ، لِلأَذَانِ
 وَالْإِقَامَةِ، وَالْعِشَاءَانِ، لِلْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ. وَالْفَاظُ كَثِيرَةٌ. وَالتَّغْلِيْبُ يَكُونُ لِلْأَخْفِ.
 أَوْ لِلْأَفْضَلِ، فَالْمَغْرُودُ أَخْفَ مِنَ الْمَرْكَبِ، وَالْمَذْكُورُ، أَفْضَلُ مِنَ الْمُؤَنَّثِ، فَلِذَلِكَ
 قَالُوا: الْعُمَرَانِ وَالْقَمَرَانِ، وَكَذَلِكَ مَا اخْتَلَفَ مَعْنَى، كَأَن يَكُونُ أَحَدُهُمَا حَقِيقَةً،
 وَلِأُخْرٍ مَجَازاً، فَلَا تَقُولُ: جَاءَ الْأَسَدَانِ، وَتَغْنِي السَّيِّعُ الْمَعْلُومُ بِالرَّجُلِ الشَّيْبُ بِهِ.
 تَنْبِيْهَاتٍ، الْأَوَّلُ: هَذِهِ الشُّرُوطُ الثَّمَانِيَةُ الَّتِي جَرَتْ فِي الْمَعْنَى، كُلُّهَا تَجْرِي أَيْضاً فِي
 جَمْعِ الْمَذْكُورِ السَّالِمِ، فَلَا يَجْمَعُ جَمْعَ سَلَامَةٍ إِلَّا بِهَا. وَإِلَّا كَانَ مُلْحَقاً بِالْجَمِيعِ.
 هَكَذَا سَمِعْتُ مِنْ شَيْخِنَا ابْنِ قَرِيْشٍ، وَأُظْهِرَ نَقْلَهُ عَنِ الرَّيَّانِيِّ. الثَّانِي: مِمَّا أُلْحِقَ
 بِالْمُثْنِيِّ كِلَا وَكِلْتَا، يَشْتَرِطُ إِضَافَتُهُمَا إِلَى الضَّمِيرِ. تَقُولُ: جَاءَ الْجَيْشَانِ كِلَاهُمَا.
 وَالْقَبِيلَتَانِ كِلْتَاهُمَا. وَرَأَيْتُ الْجَيْشَيْنِ كِلَيْهِمَا، وَالْقَبِيلَتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا، وَمَرَزْتُ بِالْجَيْشَيْنِ
 كِلَيْهِمَا، وَبِالْقَبِيلَتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا، وَإِعْرَابُهُمَا تَوْكِيدُ تَابِعٍ لِلْمَوْكَّدِ. فَإِذَا أُضِيفَ لِلظَّاهِرِ،
 أُعْرِبَ بِالْحَرَكَةِ الْمَقْدُورَةِ، نَحْوُ كِلْتَا الْجَيْتَيْنِ آتَتْ أَكْلَهَا، فَكِلْتَا مَبْتَدَأٍ، مَرْفُوعَةٍ بِضَمَّةٍ
 مَقْدُورَةٍ فِي الْأَلْفِ. وَجُمْلَةُ آتَتْ خَبَرَ. وَإِنَّمَا أُعْرِبَ بِالْحَرَكَةِ إِذَا أُضِيفَ لِلظَّاهِرِ إِعْطَاءً
 الْأَصْلَ لِلْأَصْلِ، فَأَصْلُ الْإِضَافَةِ أَن تَكُونَ لِلظَّاهِرِ، وَأَصْلُ الْإِعْرَابِ أَن يَكُونَ
 بِالْحَرَكَاتِ، فَجِئْنَا أُضِيفَتْ لِلظَّاهِرِ، رَجَعَتْ لِأَصْلِهَا، فَأُعْرِبَتْ بِالْحَرَكَاتِ. الثَّالِثُ:
 الْبَاعِثُ عَلَى التَّنْيِيزِ الْإِخْتِصَارُ، وَكَذَلِكَ الْجَمْعُ، وَأَصْلُهُمَا الْعَطْفُ، بِدَلِيلِ رَجُوعِ
 الشَّاعِرِ إِلَيْهِ فِي الْإِضْطِرَارِ كَقَوْلِهِ إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلَهَا، فَقَدَانِ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
 وَمُحَمَّدٌ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الإِشَارَةُ: وَاللَّهُ أَلِفُ الْوَحْدَةِ، أَيْ التَّحَقُّقِ بِهَا. فَيَكُونُ عَلَامَةً لِرَفْعِ صَاحِبِهَا
 وَكَمَالِهِ، فِي تَنْبِيْهِ الْأَسْمَاءِ خَاصَّةً. أَيْ فِي التَّمَسُّكِ بِالشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ فَقَط. فَمَنْ
 تَحَقَّقَ وَلَمْ يَتَشَرَّعْ فَقَدْ تَزَنَّدَقَ. إِلَّا أَن يَكُونَ مَجْذُوباً. أَوْ تَقُولُ: تَكُونُ أَلِفُ الْوَحْدَةِ
 عَلَامَةً لِلرَّفْعِ فِي تَنْبِيْهِ الْأَشْيَاءِ الدَّالَّةِ عَلَيْهَا الْأَسْمَاءُ. وَتَنْبِيْهِهَا جَعْلُهَا وَرُؤْيَاهَا قَائِمَةً بَيْنَ
 الضَّادَيْنِ بَيْنَ الْحَسِّ وَالْمَعْنَى، بَيْنَ الْحِكْمَةِ وَالْقُدْرَةِ. بَيْنَ عِبُودِيَّةٍ وَرَبُوبِيَّةٍ. بَيْنَ مَلِكٍ
 مُلْكُوتٍ، بَيْنَ أَثَرٍ وَمُؤَثَّرٍ. بَيْنَ كَوْنٍ وَمُكُونٍ، بَيْنَ خَلْقٍ وَحَقٍّ. فَلَا يَكُونُ الْعَارِفُ
 كَامِلاً حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ، فَإِن وَقَفَ مَعَ الضَّدِّ الْأَوَّلِ، كَانَ مُحْجُوباً مَطْمُوسَ
 الْبَصِيرَةِ. وَفِيهِ قَالَ الْمَجْذُوبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ نَظَرَ الْكَوْنَ بِالْكَوْنِ. عِزَّةٌ فِي عَمَى
 الْبَصِيرَةِ. وَمَنْ نَظَرَ الْكَوْنَ بِالْكَوْنِ، صَادَفَ عِلَاجَ السَّرِيرَةِ. وَإِن وَقَفَ مَعَ الضَّدِّ
 الثَّانِي، كَانَ سَكْرَاناً غَيْرَ صَاحٍ. فَانِياً غَيْرَ بَاقٍ، مَجْذُوباً غَيْرَ سَالِكٍ. فَلَا يَكُونُ

كَمَيْلاً. وبالله التوفيق. ثم قال (ص) وأما النون فتكون علامة للرفع في الفعل المضارع. إذا اتَّصَلَ بِهِ ضمير تشبیه. أو ضمير جمع، أو ضمير المؤنثة المخاطبة. (ش) قالت: ضمير تشبیه، نحو الزَّيْدَانِ يَقومَانِ، أو يَقومَانِ الزَّيْدَانِ، وضمير جمع، نحو الزَّيْدَانِ يَقومونَ، أو يَقومونَ الزَّيْدَانِ، على لغة عدم تجريد الفعل فيهما، وضمير المؤنثة المخاطبة. أنت يا هند تقومينَ. فالنون علامة للرفع. في الجميع، سواء كَانَ الألف والواو ضميرين، أو حرفين، دَالِّينَ على التشبیه والجمع، وَلَا فَرْقَ في هذا الفعل المتَّصِل بضمير تشبیه، أو ضمير جَمْع، بَيْنَ أن يكون مؤكداً بنون التوكيد الشَّيْئِلَة. أَمْ لَا. فإنه في كل ذلك مرفوع بالنون، نحو قوله تعالى: ﴿تَتَّبَلَّوْا﴾، فَأَصْلُهُ تَبَلَّوْا، كَتَتَّصِرُونَ، تحرَّكَتِ الواو وَانْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا. فَقِيلَتْ أَلْفًا، فَصَارَ تَبَلَّوْا، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين. فصار تَبَلَّوْا. ثم أَكَّد بنون التوكيد، فصار تَبَلَّوْنا، اجتمع ثلاث نونات، فحذفت نون الرفع لاجتماع الأمثال. فالتقى ساكنان: سكون الواو وسكون نون التوكيد المشددة. فحرَّكَتِ الواو بِالضَّمَّة لمجانستها لَهُ، فَهَذَا الْفِعْلُ مَرْفُوعٌ بِالنُّونِ المحذوفة، لاجتماع الأمثال. وَمِنْهُ لتخرجزْ يا هند، أَصْلُهُ تخرجزينَ. فَأَكَّد، فصار تخرجزينَ. فالتقى ثلاث نونات، فحذفت نون الرفع لاجتماع الأمثال. وكذلك تقول يا زيدان. واللَّهِ لتخرججانَ، أَصْلُهُ لتخرججاننَ، فاجتمع ثلاث نونات، فحذفت نون الرفع كَمَا تَقَدَّمَ، وكسرت نون التوكيد. وما ذكره المصنف، من أَنَّ ياء المخاطبة ضمير هو مذهب الجمهور. وقال الأخفش والمازني، إنها حرف، والفاعل على ضمير مستتر. قال بعضهم: أصل هذه النون بسكون، وإنما حرَّكَتْ لالتقاء الساكنين. سكونها، وسكون ما قبلها، فكسرت بعد الألف على أَصْلِهَا، وَفُتِحَتْ بعد الواو والياء تخفيفاً، لِاسْتِغْثَالِ الْكُسْرَةِ بَعْدَهُمَا، وقيل تشبیهاً للأول بالمتنى. وللثاني بالجمع. وقد تفتح بعد الألف، قُرْيَاءً أَتَعَدُّ إِنِّي. وقد تضم قريء شاذاً (طعام ترزقانيه) بضم النون. وقد تحذف النون في الأمر. وفي الصحيح: «لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا»، وفي النظم كقول الشاعر: أبيت أسري تبين تَذَلُّكِي وَجْهَكَ بِالْعَنَبَرِ وَالْمِسْكِ الذُّكِّي. وإذا اجتمعت هذه النون، مع نون الوقاية، جاز فيهما الفك والإدغام والحذف. وقريء بالجميع. وهل المحذوف حيثئذٍ نون الرفع أو نون الوقاية قولان. تنبيه: قد تلتبس هذه النون بنون الإناث. التي يُبْنَى المضارع معها، وذلك في المضارع المُغْتَل به الواو والياء، نحو الزَّيْدُونِ يَدْعُونَ. والهِئَذَاتِ تَدْعُونَ، أو الرجال يغزُونَ. والنساء تغزُونَ. فالأول مُعَرَّب، والثاني مُبْنِي. ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَمْعُوثَ﴾ وقوله

تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ الْمَسِيحُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ «والقواعد من النساء التي لا يرجون». فهذه الأفعال الثلاثة كلها مبنية لاتصالها بنون الإناث. فالنون فيها فاعل. والواو عين لام الكلمة؛ بخلاف. «وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ». فإنه معرب، والواو فاعل وأصله يرجوون، على وزن يفعلون، وأما: «الْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ». فأصله يرجون. على وزن يفعلن، فالواو أصلي، والنون فاعل. وقس على ذلك نظائره، وكذلك الهندات ترمين، مبني. والنون فاعلا بخلاف أنت ي هند ترمين، فمعرب بثبوت النون. والياء فاعل، وهذه مسألة ابن خميسة مع أهل سبته التي ذكرها ابن غازي في حاشيته على الألفية. فانظرها فيه، إذ لم تحضر لي الآن.

الإشارة: وأما نون الأنانية؛ وهو مقام الفنا الذي يقول فيه صاحبه. أنا من أهوى ومن أهوى أنا. فيكون علامة لرفع صاحبه، اتصال به ضمير، أي قلب تشنية: وهو الذي يقر الشريعة في محلها، والحقيقة في محلها. والشريعة للظواهر، والحقيقة للبواطن. فلا يكمل مقام الفناء إلا بالبقاء. الذي يعطى فيه كل ذي حق حقه كما تقدم. أو تقول ضمير تشنية. هو رؤيته الضدين في جميع التجليات كما تقدم. أو ضمير جمع على الله في جميع الأوقات، وكل الحالات، فيكون مستغرقاً في الشهود، غائباً عن كل موجود، مستديم الشرب والورود. غارقاً من عين الجنة والجود. أو ضمير المؤنثة، أي ذي البصيرة المؤنثة المخاطبة، بالواردات الإلهية، والعلوم اللدنية. والأسرار الربانية. وبالله التوفيق. ثم ذكر علامة النصب. فقال (ص): وَلِلنَّصْبِ خَمْسُ عَلَامَاتٍ: الفتحة والألف والكسرة، والياء، وحذف الثون. (ش). قلت: قدّم الفتحة لأصلها. وثنى بالألف لأنه بنتها. وثلث بالكسرة لأنها أختها. وذكر الياء بعدها لأنها بنتها، وأخت الألف في اللين. وختم بالنون. لأنه مختص بالأفعال، اختصاص الألف والياء. والكسرة بالأسماء. وتشترك الفتحة بين الأسماء والأفعال.

الإشارة: وَلِلنَّصْبِ الْعَبْدُ نَفْسَهُ لِلْمَقَادِيرِ فِي مَقَامِ الرِّضَى خَمْسَ عَلَامَاتٍ. الفتحة، أي فتح قلبه لمعرفة الحق. فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ رَضِيَ بِحُكْمِهِ. ومن جهله سخط أحكامه. قيل لبعض العارفين: قال: ما يقضي الله. وقال آخر، أخلجت ومالي سرور إلا في مواقع القدر. وفي الحكم: العاقل إذا أصبح، نظر إلى ما يفعله الله. والغافل ينظر ما يفعل بنفسه. وعلامة النصب للمقادير أيضاً، والرضى بما يجري من عنصر القدرة، ألف الوحدة. فلا يرى إلا الله. وَلَا يَرْكَنُ إِلَى شَيْءٍ سِوَاهُ؛ لِأَنَّ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا. لَا يَعْرِفُ غَيْرَهُ. وعلامته أيضاً: الكسرة. أي

الخضوع والسكون تحت مجاري أقداره. والدّل والافتقار إليه. وعلامته أيضاً: اليقين التام، والطمأنينة الكبرى. فالياء يُشار بها هنا إلى اليقين. وعلامته أيضاً: حذف نون الأنانية، بخروجه إلى البقاء. فالفاني يقول: أنا. والباقي يقول: هو. كما تقدّم. ثم فصل ما تقدّم. فقال (ص): فأما الفتحة فتكون في ثلاثة مواضع. (ش) الأول (ص) في الاسم المفرد (ش)؛ وهو ما ليس مشى ولا مجموعاً. ولا واحداً من أسماء الخمسة. نحو: رأيت زيدا، وعبد الله، والفتى والقاضي. (ص) و(ش) الثالث (ص) الفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره شيء. (ش) نحو: «لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا» وَلَنْ يَخْشَى اللَّهَ مِنْ يَغْصِيهِ.

الإشارة: لا يكون الفتح ذاته على تحقق العبد بمقدم الرضى. إلا بعد تحققه بثلاثة أمور، في بدايته: الاستغراق في الاسم المفرد، وصحبته للذاكرين، وتمسكه بالعمل الصالح، الذي لم يتصل بآخره شيء من العلل؛ وهو التمسك بالشرعية المحمدية. وبالله التوفيق. ثم قال (ص) وأما الألف فيكون علامة للنصب في الأسماء الخمسة (ش) المتقدمة في علامات الرفع. (ص) نحو رأيت أخاك وأباك وما أشبه ذلك. (ش) نحو رأيت حماك لي. وقبّلت فاك. ورأيت ذا مال. فأخاك وما بعده منصوبات. وعلامة نصبها الألف.

الإشارة: وأما ألف الوحدة، إذا تحقق به المرید، وتمكّن منه، فيكون علامة لنضبه للمشيخة والتذكير، في خمسة أمور. فإذا تحقق بها، كانت علامة على صحة نضبه وظهوره بذكر ثلاثة في سيره؛ وهي الضخبة للشيخ. وخرق عوائد نفسه، وإذن له من شيخه. واثان بعد وصوله؛ وهو التحقق بمقام الفناء والبقاء. وبالله التوفيق. (ص): فأما الكسرة فتكون علامة للنصب في جمع المؤنث السالم. (ش) نحو قوله تعالى: ﴿وَبِيعْ كَرِيمَتُهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فالسماوات مفعول به منصوب. وعلامة نضبه الكسرة الثابتة عن الفتحة. وهما هنا بحث، وهو أن من شأن المفعول به أن يكون موجوداً قبل الفعل، ثم يجيء الفاعل. فيفعل فيه فعله، نحو زيدا ضربت، فزيد موجود قبل الضرب، ثم وقع الضرب عليه. والسماوات لم تكن موجودة قبل الخلق، بل وجدت به؛ فهو أشبه شيء بالمفعول المطلق، الذي من شأنه أن يوجد بالفعل والجواب، أن هذه القاعدة، إنما هي في غير أفعال الإيجاد الاختراع. وأما ما يدل على الإيجاد والاختراع، فالمفعول يوجد بها، نحو صنعت شينة وقضعة، ونحوهما. وقد تقدّم الكلام على جمع المؤنث السالم، فلا نعيد الكلام عليه.

الإشارة: وأما الكسرة. أي الزلّة والهفوة، فتكون علامة على نصب العبد وجهه لجهة التوجه، بحيث لم تُضَرَّ ولم تفتَر. بل تزيده انكساراً وإحاشاً في ربه. في جمع المؤنث السالم أي إذا كان ذلك ميلاً منه بطبعه، لجهة النساء. ثم سليم من غائلتهن، ورحل إلى ربه بانكساره. معصية أورت ذلاً وافتقاراً. خير من طاعة أورت عزاً واستكباراً. وبالله التوفيق. (ص): وأما الياء فتكون علامة للنصب (ش) أي نائبة عن الفتحة (ص) في التثنية. (ش) نحو رأيت الزيدتين. وقوله تعالى في قراءة أبي عمرو: «إِنَّ هَذَانِ لَسَاجِرَانِ» فالياء نائبة عن الفتحة فيهما. (ص) والجمع (ش) نحو رأيت الزيدتين. وقوله تعالى: «وَأَنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» فالياء نائبة عن الفتحة فيهما. مفتوح ما بعدها، مكسور ما قبلها، بخلاف التثنية، فإن ما قبلها مفتوح، وما بعدها مكسور. وإنما خص المشي بالكسر، والجمع بالفتح لما بعد الياء، لخفة المشي، وثقل الجمع، فأعطي الثقيل للخفيف. والخفيف للثقيل، ليتعادل. والله تعالى أعلم.

الإشارة: وأما اليقين والطمأنينة، فيكون علامة لنصب العبد وتوجهه إلى ربه، في التثنية، أي في ضم الشريعة إلى الحقيقة. فإن ظاهره متمسكاً بالشريعة، وباطنه منوراً بأسرار الحقيقة علمنا كماله وصحة توجهه. وإن أخل بأحدهما علمنا نقصانه، وإن ظهر أثر اليقين عليه من سكون الظاهر وطمأنينته. فإن كثيراً من العباد والزهاد ظهر عليهم أثر اليقين؛ وهم غير كمال. ثم هم أشد حجاباً عن الله. ويظهر أيضاً نصبه وتوجهه في الجمع الدائم. والقلب الهائم، فيكون شربه متواليّة، وشكره متواصلة، كما قول الشاعر:

مِنْ أَحْسَنَ الْمَذَاهِبِ سَكْرَ عَلَى الدَّوَامِ
وَأَكْمَلَ الرُّغَائِبِ وَضَلَّ بِلاَ إِنْصَرَامِ

(ص) وأما حذف النون فيكون علامة للنصب في الأفعال التي رفعها بثبات النون. (ش) وهي الفعل المضارع الذي اتصل به ضمير تثنية، أو ضمير جمع. أو ضمير المؤنثة المخاطبة، نحو: لن تفعلوا، ولن تفعلوا. ولا تفعلين. فلن حرف نصب واستقبال. وتفعلا فعل مضارع منصوب، وعلامة نصبه، حذف النون، الكميات في كلام المصنف مصدر. يقال: ثبت ثبوتاً، وثباتاً. فالأول مقيس والثاني سماعي. ومثله: ذهب ذهاباً وذهوياً. والله تعالى أعلم.

الإشارة: وأما حذف نون الإنانية، بالخروج إلى التحقق بالهوية. في مقام

البقاء . وقد تقدّم أَنَّ الفاني أَنَا . والباقي يقول : هُوَ . فَعَلَامَةٌ تُضَيِّهِ فِي مَقَامِهِ ، اِشْتِعَالُهُ بِالْأَفْعَالِ الَّتِي تَرْفَعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى . بِثَبُوتِ الثُّورِ الَّذِي يُخَفِّفُهَا . وَهُوَ الْإِخْلَاصُ وَالْإِثْقَانُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . ثُمَّ ذَكَرَ عَلَامَةَ الْخَفْضِ فَقَالَ (ص) : وَلِلْخَفْضِ ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ . الْكُسْرَةُ (ش) نَحْوَ بِسْمِ اللَّهِ . (ص) وَالْيَاءُ (ش) نَحْوَ رَبِّ الْعَالَمِينَ . (ص) وَالْفَتْحَةُ (ش) نَحْوَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ . قَدْ أَمَّ الْكُسْرَةَ لِأَصَالَتِهَا . وَتُئِي بِالْيَاءِ ؛ لِأَنَّهَا ابْتَهَتْهَا . وَتُلْتِ بِالْفَتْحَةِ لِأَنَّهَا أَخْتَهَا .

الإِشَارَةُ : وَلِلْخَفْضِ الْعَبْدُ وَتَوَاضَعُهُ ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ : إِنْكَسَارُهُ لِرَبِّهِ دَائِمًا . هَيْبَةُ مِنْهُ وَاجْتِلَالُهُ ، وَلِعِبَادِ اللَّهِ تَوَاضَعًا . وَلِأَوْلِيَائِهِ تَعْظِيمًا . وَتَحَقُّقُهُ بَيَاءِ النُّسَبِ . أَيِ يَكُونُ مَنْسُوبًا إِلَى الصُّوفِيَّةِ ، مُتَحَقِّقًا بِمَقَامِهِمْ . حَتَّى يُقَالَ فِيهِ صُوفِي ، أَوْ مَنْسُوبًا لِأَوْلِيَائِ اللَّهِ مُضَافًا إِلَيْهِ . الثَّلَاثُ : أَنْ يَكُونَ مَفْتُوحًا عَلَيْهِ . قَدْ تَحَقَّقَ الْفَتْحُ الْكَبِيرُ . وَفِي الْحُكْمِ : التَّوَاضُّعُ الْحَقِيقِيُّ ، مَا كَانَ نَاشِئًا عَنْ شُهُودِ عَظَمَتِهِ . وَتَجَلَّى صِفَاتِهِ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ . (ص) فَأَمَّا الْكُسْرَةُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلْخَفْضِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ . فِي الْأَسْمِ الْمَفْرُودِ الْمُنْصَرَفِ . (ش) نَحْوَ مَرُوتِ بَرَجَالٍ . وَاخْتَرَزَ مِنْ غَيْرِ الْمُنْصَرَفِ ، نَحْوَ مِنْ مُحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَسِيَّاتِي . (ص) وَ (ش) فِي (ص) جَمْعِ الْمُؤْنِثِ السَّالِمِ (ش) نَحْوُ : «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ» . فَإِنَّ حَرْفَ تَوْكِيدٍ وَنَصْبٍ ، وَفِي السَّمَاوَاتِ جَارَ وَمَجْرُورٍ وَعِلَامَةُ جَرِّهِ . كُسْرَةُ فِي آخِرِهِ . وَهُوَ خَبَرٌ إِنَّ مُقَدِّمٌ . وَآيَاتُ اسْمُهَا مُؤَخَّرٌ . مَنْصُوبٌ بِالْكَسْرِ نَائِبَةٌ عَنِ الْفَتْحَةِ : لِأَنَّهُ جَمْعُ مُؤْنِثٍ سَالِمٍ كَمَا تَقَدَّمَ . وَلَمْ يُقَيِّدْهُ بِالْمُنْصَرَفِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا مُنْصَرَفًا عَلَى الْمَشْهُورِ .

الإِشَارَةُ : فَأَمَّا الْإِنْكَسَارُ فَيَكُونُ عَلَامَةً لِلتَّوَاضُّعِ الْحَقِيقِيِّ . فِي ثَلَاثٍ ، أَوَّلُهَا الْإِشْتَغَالُ بِذِكْرِ اللَّهِ . وَأَعْظَمُ الذِّكْرِ . الْأَسْمِ الْمَفْرُودِ ؛ لِأَنَّهُ سُلْطَانُ الْأَسْمَاءِ ، فَإِنَّ الذِّكْرَ يَهْدَبُ وَيُؤَدَّبُ . قَالَ تَعَالَى : «وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ» . ثَانِيهَا : جَمْعُهُ مَعَ الْأَوْلِيَائِ ، أَهْلِ الْإِكْبَرِ وَالتَّكْسِيرِ . ثَالِثُهَا : تَحْصِيلُهُ لِلْسَّنَةِ ، وَاحِرَازُهُ لِإِدِينِهِ . بِجَمْعِهِ بِالْمُؤْنِثِ السَّالِمِ مِنْ غَوَائِلِهِ . وَهُوَ التَّزْوِجُ . فَلَا يَظْهَرُ تَوَاضُّعُ الْعَبْدِ وَحُسْنُ خُلُقِهِ إِلَّا مَعَ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ . قَالَ ﷺ خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِ . وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِنِسَائِي . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ . (ص) وَأَمَّا الْيَاءُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلْخَفْضِ . فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ . فِي الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ (ش) أَيِ الْمَتَقَدِّمَةِ . نَحْوِ مَرُوتِ أَخِيكَ ، وَأَبِيكَ ، وَحَمِيكَ . وَنَظَرْتَ إِلَى فَيْكَ . وَذِي مَالٍ . وَفِي الثَّنِيَّةِ ، نَحْوَ مَرُوتِ الْزَيْدَيْنِ ، وَالْجَمْعِ ، نَحْوَ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

الإِشَارَةُ : وَأَمَّا يَاءُ النُّسْبَةِ الَّتِي تَحَقُّقُهُ بِاللَّحُوقِ بِالصُّوفِيَّةِ ، فَتَكُونُ عَلَامَةً عَلَى

خَفَضَهُ وتَوَاضَعَهُ حتى يتحقق بما تحققوا بِهِ في ثلاثة مَوَاضِع، في الأَسْمَاءِ الخَمْسَةِ، أي يظهر تَوَاضَعُهُ في الأَسْمَاءِ الخَمْسَةِ، في الإنس والجنّ والملائكة، والحيوانات، والجمادات. فَإِنَّ العَارِفَ يتَوَاضَعُ مَعَ الحَجَرِ والمَدَرِ، ومع الأشياءِ كُلِّهَا؛ لأنَّ تَوَاضَعَهُ ناشيء عن شهود عَظْمَةِ الذَّاتِ التي تَجَلَّتْ في كل شيء. وفي الثَّانِيَةِ، أي في شهود الضَّيِّدِينَ في الأشياءِ كُلِّهَا. فيتَوَاضَعُ مع الربوبية، ويقوم بحقوق العبودية. وفي الجمع، أي في جمع الإِخْوَانِ، فيتَوَاضَعُ مع صغيرهم وكبيرهم، ويرحم صغيرهم، ويوقر كبيرهم. وفي الحديث: «إِزْحَمُوا صَغِيرَكُمْ، ووقروا كَبِيرَكُمْ، أو كما قال عليه السَّلَامُ. كما في الجامع. والله در القائل. ارحم بني جميع الخلق كلهم. وانظر إليهم بعين الحِلْمِ والشفقة.

وَقَرَّزَ كَبِيرَهُمْ وَارْحَمَ صَغِيرَهُمْ وراعى في كل خلق حق من خَلْقِهِ

(ص) وأما الفتحة فتكون علامة للخفض في الاسم الذي لا ينصرف. (ش)

قلت: الاسم على قسمين، معرب وهو الأصل. ومبني وهو الفَرْع، وإنما بني الاسم إذا أشبه الحرف شيئاً قوياً، يقربه من الحروف، فيبنى حينئذٍ؛ لأنَّ الحروف كلها مبنية، وأنواع الشَّبهِ ثلاثة: أحدها الشبه الوضعي؛ وهو أن يكون الاسم على حرف أو حرفين، كناءِ قَمَتْ، فإنها شبيهة بِتَلْ وقد، فالضماير كلها مبنية، إذ جلها على حرف أو حرفين، وما وجدنا منها على ثلاثة؛ فهو شبيه بمنذ الحرفية. والثاني: الشَّبهِ المعنوي؛ وهو أن يتضمن الاسم معنى من معاني الحروف، أي المعاني التي حقها أن تؤدِّي الحروف، سواء وُضِعَ لذلك المعنى حرف أم لا، فالأول كمَتَّى، فإنها تستعمل شرطاً، فهي شبيهة حينئذٍ بإما الشرطية. وتستعمل استفهاماً؛ فهي شبيهة حينئذٍ بهمزة الإستفهام، وإنما أعربت أي الشرطية في نحو: «أَيُّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ»، والإستفهامية في نحو: «أَيُّ القَرَبَيْنِ أَحَقُّ بالأَمْرِ». لضعف الشَّبهِ بما عَارَضَهُ مِنْ لُزُومِهَا الإِضَافَةِ؛ التي هي من خَصَائِصِ الأَسْمَاءِ، والثاني: وهو المعنى التي لم يوضع لها حرف، نحو هُنَا، فإنها مضمنة لمعنى الإشارة؛ وهذا المعنى لم تَضَعْ له العرب حرفاً، ولكنه من المعاني التي حقها أن تؤدِّي بالحروف، ومعنى الإشارة؛ هو المعنى الذي لا يصحُّ النطق بِهِ؛ لأنه لا يؤدِّي بالكلام. وأما ذا مثلاً، فاسم للمشارِ إليه، لكنه تضمن معنى الإشارة التي لم تقع لها العرب حرفاً يدل عليها مع أنها من المعاني التي من حقها أن تؤدِّي بالحروف، كالثنية والخطاب، وإنما أعرب هَذَانِ وهَاتَانِ لضعف الشَّبهِ بمجيئها على صورة

المعنى التي هي من خصائص الأسماء. والثالث: الشبه الإستعمالي. وضابطه أن يلزم الاسم طريقة من طرائق الحروف، كَأَنْ يَنْوَبَ عَنِ الْفِعْلِ، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ عامل فيؤثر فيه، وكان يفتقر افتقاراً. موصلاً إلى جملة، فالأول كَهَيْهَاتَ وَصَّةٍ وَأَيٍّ، فَإِنَّهَا نَائِبَةٌ عَنْ بَعْدٍ، وَاسْكُتْ وَأَتَوَجَّعْ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهَا عامل، فيؤثر فيها، فَأَشْبَهَتْ لَعْلٌ وَلَيْتٌ مثلاً، أَلَا تَرَى إِنَّهَا نَائِبَةٌ فِي الْمَعْنَى عَنْ أَتَرَجَّى وَأَتَمْنَى. وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا عامل، واحترز بالتأثير، من المصدر النائب عن فعله، فإنه يتأثر بالفعل النائب عنه، فأعرب. والثاني؛ وهو: الشبه الإفتقاري كإِذْ رَمِيتَ والموصولات، فَإِنَّهَا مَفْتُقَةٌ إِلَى مَا بَعْدَهَا. فلا يتم معناها إِلَّا بِذِكْرِ مَا بَعْدَهَا. فَأَشْبَهَتْ الحروف في الإفتقار، إِذْ مِنْ شَأْنِ الْحَرْفِ أَلَّا يَسْتَقِلَّ بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا أُعْرِبَ اللَّذَانِ وَاللَّتَانِ. وَأَيُّ الْمَوْصُولَةِ، لضعف الشبه كما تقدّم. وَإِذَا سَلِمَ الْأِسْمُ مِنْ شَبْهِ الْحَرْفِ أُعْرِبَ؛ وهو على قسمين، متمكّن أمكن؛ وهو المتصرف. ومتمكّن غير أمكن؛ وهو الممنوع من الصرف، وسبب منعه مِنَ الصَّرْفِ، لشبهه بالفعل؛ لأنَّ الفعل لَا يَدْخُلُهُ الْخَفْضُ وَلَا التَّنْوِينُ. فَإِذَا أَشْبَهَ الْأِسْمُ مَنَعَ مِنْهُمَا، فَيَكُونُ غَيْرَ مَنْصَرَفٍ، والصرف هو التثوين الذي يدلُّ على خِفَّةِ الْأِسْمِ وتمكنه في باب الإسمية، وشبهه بالفعل؛ أن توجد فيه علَتانِ فرعيتانِ، أَوْ عِلَّةٌ تَقُومُ مَقَامَ عِلَّتَيْنِ، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، مَنَعَ مِمَّا يَمْنَعُ مِنَ الْفِعْلِ. وَكَذَلِكَ أَنَّ الْفِعْلَ فِيهِ أَمْرَانِ زَائِدَانِ عَلَى مَجْرُودٍ مَعْنَاهُ، أَحَدُهُمَا رَاجِعٌ إِلَى لَفْظِهِ، وَالْآخَرُ إِلَى مَعْنَاهُ، فَالرَّاجِعُ لِلْفِعْلِ اشْتِقَاقُهُ أَيَّ أَخْذِهِ عَنِ الْمَصْدَرِ، كَقَامَ مِنَ الْقِيَامِ، وَعَلِمَ مِنَ الْعِلْمِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَالْأَصْلُ فِي الْأَشْيَاءِ عَدَمُ أَخْذِهَا عَنْ غَيْرِهَا، وَالرَّاجِعُ إِلَى مَعْنَاهُ، افْتِقَارُهُ إِلَى فَاعِلٍ فَإِنَّ الْأَصْلَ فِي الْأَشْيَاءِ اسْتِقْلَالُهَا بِنَفْسِهَا، وَعَدَمُ افْتِقَارِهَا إِلَى غَيْرِهَا. أَمَّا وَجْهُ جَعْلِهَا عِلَّتَيْنِ، فَلِوَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا كَوْنُهُمَا أَمْرَيْنِ زَائِدَيْنِ عَلَى أَصْلِ الْمَعْنَى، وَارْتِدَائِهِمَا عَلَيْهِ، فَهِيَ بِمَنْزِلَةِ الْعِلَلِ الْوَازِدَةِ عَلَى الْأَجْسَامِ الصَّحِيحَةِ، وَالْآخَرُ كَوْنُهُمَا صَالِحَيْنِ لِلْإِلْحَاقِ بِمَحَلِّمَا، وَالْجَمْعُ بِهِمَا، كَمَا شَأْنُ الْقِيَاسِ، وَأَمَّا جَعْلُهُمَا فِرْعَتَيْنِ، فَلَا يَخْفَى أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْكَلِمَةِ أَلَّا تَكُونَ مُشْتَقَّةً، وَلَا مَأْخُودَةً مِنْ غَيْرِهَا، وَإِنْ عَدِمَ الْاسْتِثْقَالُ وَالْإِحْتِيَاجُ إِلَى الْغَيْرِ فَرَعَ عَنِ الْاسْتِثْقَالِ. وَعَدَمُ الْإِحْتِيَاجِ إِلَى الْغَيْرِ. فَإِذَا كَانَ الْأِسْمُ مُشْتَمِلاً عَلَى عِلَّتَيْنِ فِرْعَتَيْنِ، إِخْدَاهُمَا رَاجِعَةً إِلَى اللَّفْظِ. وَالْآخَرَى إِلَى الْمَعْنَى. حَصَلَ لَهُ الشَّيْبَةُ بِالْفِعْلِ قَمْنَعٌ مِمَّا مَنَعَ مِنَ الْفِعْلِ وَلَيْسَتْ الْعِلَّتَانِ الْمَوْجُودَتَانِ فِي الْفِعْلِ، هُمَا اللَّتَانِ تَكُونَانِ فِي الْأِسْمِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّهُمَا يَتَشَابَهُانِ فِي مَجْرُودٍ وَجُودٍ

العِلَّتَيْنِ . وَجُمْلَةُ الْعِلَلِ الَّتِي تَوْجَدُ فِي الْأَسْمِ؛ فَيُشَبِّهُ بِهَا الْفِعْلُ تَشَعُّ جَمْعُهَا بَغَضُهُمْ فِي بَيْتٍ فَقَالَ:

أَجْمَعُ وَزْنَ عَادِلًا أَنْتَ بِمَغْرِقَةٍ رَكِبَ وَزْدَ عَجْمَةٍ فَالْوَصْفُ قَدْ كَمَلَا

فَقَوْلُهُ: أَجْمَعُ، يُشِيرُ بِهِ إِلَى صِيغَةِ مُنْتَهَى الْجُمُوعِ؛ وَهُوَ مَا كَانَ عَلَى وَزْنِ مَفَاعِلٍ، أَوْ مَفَاعِيلٍ، وَمَا أَشْبَهَهُ، كَقَوَاعِلٍ وَتَفَاعِيلٍ؛ لِأَنَّهُ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الْمَفْرَدَاتِ، نَحْوُ: «مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ». وَدَرَاهِمٍ. فَمَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَدَرَاهِمٍ مَجْرُورَةٌ بِالْفَتْحَةِ نَائِبَةٌ عَنِ الْكُسْرَةِ؛ لِأَنَّهُ اشْتَمَلَ عَلَى عِلَّتَيْنِ فَرْعِيَّتَيْنِ؛ إِحْدَاهُمَا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ؛ وَهُوَ صِيغَةُ الْجَمْعِ، وَالْأُخْرَى مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى، وَهُوَ عَدَمُ النَّظِيرِ فِي الْآحَادِ، فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، إِلَّا أَنَّ التَّخَوِيلَ يَقُولُونَ فِي هَذَا. فِيهِ عِلَّةٌ وَاحِدَةٌ تَقُومُ مَقَامَ عِلَّتَيْنِ؛ لِأَنَّ الْعِلَّةَ الظَّاهِرَةَ، هِيَ كَوْنُهُ جَمْعًا؛ وَهِيَ لَفْظِيَّةٌ، وَأَمَّا عَدَمُ النَّظِيرِ؛ فَهِيَ عِلَّةٌ لَازِمَةٌ لَا صِيغَةَ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ مُنْتَهَى الْجُمُوعِ؛ لِأَنَّ الْمَفْرَدَ قَدْ يَجْمَعُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً؛ فَإِذَا انْتَهَى إِلَى هَذَا الْجَمْعِ، لَمْ يُجْمَعْ بَعْدَهُ ذَلِكَ. تَقُولُ: كَلْبٌ وَأَكْلَبُ، وَأَكَالِبُ، وَلَا تَزِدُ. وَقَوْلُهُ وَزْنَ أَشَارَ بِهِ إِلَى وَزْنِ الْفِعْلِ نَحْوُ: أَحْمَدُ وَيَعْلَى. فَأَحْمَدُ عَلَى وَزْنِ أَكْرَمَ. وَيَعْلَى عَلَى وَزْنِ يَعْلَمُ، وَتَكُونُ فِي الْأَسْمِ، كَأَحْمَدَ، وَالْوَصْفُ كَأَحْسَنَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ فَأَحْسَنَ مَجْرُورٌ بِالْبَاءِ، وَعَلَامَةٌ جَرِّهِ، الْفَتْحَةُ نَائِبَةٌ عَنِ الْكُسْرَةِ، وَالْمَانِعُ لَهُ مِنَ الصَّرْفِ: الْوَصْفُ وَوَزْنُ الْفِعْلِ، كَمَا أَنَّ أَحْمَدَ، الْمَانِعُ لَهُ الْعِلْمِيَّةُ، وَوَزْنُ الْفِعْلِ. وَالْمَرَادُ بِوَزْنِ الْفِعْلِ الْمُخْتَصَّ بِهِ. أَوْ الْغَالِبُ فِيهِ، فَالْأَوَّلُ كَشْمُرُ اسْمٍ لِفَرَسٍ. وَالثَّانِي كَأَحْمَدَ وَأَحْسَنَ. وَقَوْلُهُ عَادِلًا، أَشَارَ بِهِ إِلَى الْعَدْلِ وَحَقِيقَتِهِ صَرَفَ لَفْظَ أَوَّلِي بِالْمُسْمَى إِلَى لَفْظِ آخِرٍ لِعِلَّةٍ، وَيَكُونُ فِي الْعِلْمِ وَالْوَصْفِ، فَالْأَوَّلُ، نَحْوُ: عُمَرُ وَمُضْمَرٌ، نَحْوُ مَرَزَتْ بِعُمَرَ، فَعُمَرُ مَجْرُورٌ بِالْفَتْحَةِ نَائِبَةٌ عَنِ الْكُسْرَةِ، وَالْمَانِعُ لَهُ مِنَ الصَّرْفِ الْعِلْمِيَّةُ وَالْعَدْلُ؛ لِأَنَّهُ عَدْلٌ بِهِ عَنِ عَامِرٍ وَمَا ضَرَّ لِلْخَفَةِ، لِأَنَّ عُمَرَ وَمُضْمَرَ أَخْفَ مِنْ عَامِرٍ وَمَا ضَرَّ. فَانْعَدِلْ عِلَّةً لَفْظِيَّةً وَالْعِلْمِيَّةَ. وَالْعِلْمِيَّةُ مَعْنَوِيَّةٌ، وَمِثَالُ الْعَدْلِ فِي الْوَصْفِ: مِثْنٌ وَثَلَاثٌ وَرُبَاعٌ وَأَخْرَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ أَجْنَمُوا مِثْنًا وَثَلَاثًا وَرُبْعًا﴾. فَمِثْنٌ وَمَا بَعْدَهَا نَفَتْ لِأَجْنَحَةٍ، مُخْفُوضَةٌ بِالْفَتْحَةِ، وَالْمَانِعُ لَهُ مِنَ الصَّرْفِ: الْوَصْفُ وَالْعَدْلُ، فَالْعَدْلُ لَفْظِيٌّ، وَالْوَصْفُ مَعْنَوِيٌّ. وَمَعْنَى الْعَدْلِ فِيهَا، كَوْنُهَا مَعْدُولَةً عَنِ إِعْدَادِهَا الْمَكْرُورَةِ، فَمِثْنٌ مَعْدُولٌ عَنِ اثْنَيْنِ. وَثَلَاثٌ، عَنِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثٌ، وَرُبَاعٌ عَنِ أَرْبَعٍ أَرْبَعٌ، بِحَسَبِ مَا وَقَعَتْ وَصْفًا لَهُ وَاحِدًا. وَأَمَّا آخِرُ. كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، صَلَاةُ اللَّيْلِ مِثْنٌ مِثْنٌ.

وتقع حالاً، كقوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَى وَكُنْتُمْ وَرِثَةً﴾. أي اثنين اثنين. وثلاث ثلاث، وأربع أربع لكل واحد. وأما آخر، فمعدول عن آخر؛ لأن اسم التفضيل، إذا جَرَدَ لَزِمَ الإفراد والتذكير. فحقه هُنَا أن يكون مُفْرَداً، فعدل به إلى الجَمْعِ لِلخِفَةِ، كعمر وقوله: أَيْتُ: أشار به إلى التَّائِيثِ، وهو على قسمين: الأول ما فيه ألف التائيث المَقْصُورَة، كَحَبْلَى. والممدودة، كصحراء، وحمراء، فهذا يُمنَع صَرْفُهُ، على أي حال، كَانَ اسماً ووصفاً. تقول: مَرَزْتُ بِحَبْلَى وبحراء، فالأول مجرور بالفتحة المقدرة، والثاني ظاهرة؛ وهذا القسم يقول فيه النحويون، فيه عِلَّةٌ وَاحِدَةٌ تقوم مقام عِلَّتَيْنِ؛ لأنَّ التَّائِيثَ عِلَّةٌ. ولزومه عِلَّةٌ أُخْرَى؛ لأنَّ هذه لَازِمَةٌ للتَّائِيثِ، لا تخرج عنه أبداً، بخلاف النَّاءِ؛ فقد تكون لغير التَّائِيثِ بِغَيْرِ أَلْفٍ. وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ مع العلمية. وسواء كَانَ التَّائِيثُ لفظياً أو معنوياً؛ وهو على قسمين، ما كان مؤنثاً بِالنَّاءِ، كطلحة وقاطمة وهبة علماً، فهذا يُمنَع مطلقاً ثلاثياً أو رباعياً. والمانع لَهُ: الْعِلْمِيَّةُ والتَّائِيثُ. فَالْعِلْمِيَّةُ معنوية. والتَّائِيثُ لَفْظِيَّةٌ، وما كَانَ مؤنثاً بِغَيْرِهَا، نحو زَيْنَب، فَإِنْ كَانَ رَبَاعِياً كَزَيْنَب، أو عَجَمِياً كَجُورِ بِضَمِّ الْجِيمِ اسم امرأة، أو محرَكاً وسطه كَسَقَرٍ أو أَضْلَه المذکور. وَسَمِّيَ بِهِ مؤنثاً، كزید، مُنِعَ مِنَ الصَّرْفِ على كل حال، وَإِنْ كَانَ مَسْكُونِ الوسط. نحو هُند ودُغْد، ففيه وجهان، أشهرهما المَنعُ. والعِلَّتَانِ فِيهِ: الْعِلْمِيَّةُ والتَّائِيثُ كما تقدَّم، وَأشارَ بقوله: بِمَعْرِفَةٍ، إِلَى عِلَّةِ التَّعْرِيفِ، والمراد بِهِ الْعِلْمِيَّةُ. وتكون مَعَ الْعَدَلِ والتَّائِيثِ، ومع التَّركِيبِ الذي أشار إليه بقوله: مَرَكَّب. والمراد بِهِ التَّركِيبُ المَرْجُحِي، نحو بَغْلَبَكْ وَمَعْدِيكَرَب. نحو مررت بِبَغْلَبَكْ: اسم بلدة. فبَغْلَبَكْ مجرور بفتحة نَائِبَةٍ، والمانع من الصَّرْفِ، الْعِلْمِيَّةُ والتَّركِيبُ، الْأَوَّلَى معنوية. والثانية لَفْظِيَّةٌ، وتكون العلمية مع زيادة الألف والنون، وإليه أشار بقوله، وَزِدْ نحو عمران وعثمان، وتزاد أيضاً في الوصف، نحو سكران وعطشان، فَالمانع في الأول العلمية والزيادة، وفي الثاني، الوصف وزيادة الألف والنون. فالوصف مغنوي، والزيادة لَفْظِيَّةٌ، لكن يُشْتَرَطُ في الوَصْفِ أَلَّا يُونِثَ بِالنَّاءِ، احترازاً من نحو نَدَمَان، من الْمُتَادِمَةِ؛ وهي المصاحبة، فهذا يُصْرَفُ، تقول: مَرَرْتُ بِنَدَمَانِ بالتَّوْنِ؛ لأنَّ مؤنَّثَهُ نَدَمَانَةُ بِالنَّاءِ، فليس له كَغَضَبَانِ، لأنَّ مؤنَّثَهُ غَضَبَى. وكذلك نَدَمَانُ مِنَ النَّدَمِ، ومُؤنَّثُهُ نَدَمَى، فيمنَع مِنَ الصَّرْفِ.

تنبيه: إذا احتملت النون أن تكون أَصْلِيَّةً أو زائدة، كَانَ فِيهِ وَجْهَانِ: الصَّرْفُ وعدمه. وكذلك نحو حسان وشيطان ورمآن، فيحتمل أن يكون من الحسن فيُمنَعُ. أو من الحسن فيصرف. وكذلك شيطان يحتمل فيه أن يكون من شاط أي بعد أو

من شطن، وكذلك رمان، يحتمل أن يكون من الرم، أو من الرمن. انظر المرادي. والمشهور في الثلاثة الصّرف كما في القرآن. وتكون العَلَمِيّة أيضاً مع العُجْمَة وإليه أشار بقوله، عجمة. نحو: إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وَيَعْقُوبَ، فكلّها مجرّورة بالفتحة الثابتة. والمانع، العَلَمِيّة والعُجْمَة؛ الأولى معنوية. والثانية لفظية، وَلَا بُدَّ أن يكون معرفة عند العَجَم. وأمّا إن كَانَ عندهم نكرة، وصار عند العرب علماً، فلا يُمنع على المشهور. وَلَا بُدَّ أيضاً أن يكون زائداً على ثلاثة أحرف. فإن كَانَ ثلاثياً صُرف، كنوح ولوط. قوله: وَالْوَصَفُ قَدْ كَمُلَا. أشار إلى علّة الوصفية، وقد سَبَقَ ذِكْرُهَا، مع ما تجتمع من العلل، إذ هو لَا تستقل باليمن كالعلمية. فَتَحْصُلُ فِي الْعِلَلِ الْمَذْكُورَةِ، أَنَّهَا أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ: قِسْمَانِ يَسْتَقِلَّانِ بِالْمَنَعِ؛ وهما ألف التانيث، وصيغة منتهى الجموع، وقِسْمَانِ لَا يَسْتَقِلَّانِ؛ وهما العلميّة والوصفية. فالعلميّة تمنع مَعَ الْعَدَلِ. والتانيث، والتركيب الزيادة، والعُجْمَة والوصفُ يمنع مع الْعَدَلِ ووزن الْفِعْلِ، والزيادة السابقة، فكل ما أثر فيه التعريف بالعلمية، يُصرف إذا نكر وإليه أشار في الألفية بقوله:

وَاضْرِبْ قِنْ مَائِكُورَا مِنْ كُلِّ مَا تَعْرِيفُ فِيهِ أَثَرَا

تقول: رَبُّ أَحْمَدَ وَعُمَرُ وَفَاطِمَةُ وَمَعْدِيكِرَبَ وَعُثْمَانُ لِقِيَتِهِمْ، وما أثر فيه ألف التانيث، أو صيغة منتهى الجموع، أو الوصف، فلا يصرف أضلاً، وَاعْلَمْ أَنَّ الاسم الذي لا ينصرف، إِنَّمَا يُمنع من التصريف ما لَمْ يُضَفْ، أو يَكُ بعد ال، وإِلَّا صُرف بكقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ فَوْقَ الْمَسْكُونَةِ﴾. وقوله تعالى: ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ وقد يُصرف الممنوع من الصّرف للضرورة، أو للتناسُب، كقول الشاعر:

وَيَوْمَ دَخَلْتَ الْحَذْرَ حَذْرَ غَنِيْرَةٍ فَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ رَاجِلٌ

والثاني، كقوله تعالى: ﴿سَكَنِيلاً وَأَغْلَلاً﴾ فهي قراءة نافع والكسائي. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغُوثًا وَيَعُوقًا﴾ في قراءة الأعمش، فصرف سلاسلًا ليناسب أغللاً، وصرف يغوثًا ويعوقًا مع كونه عجمياً، ليناسب نقرأ. والله تعالى أعلم.

الإشارة: قد يكون الفتح على العبد في علم الحقائق سبباً لطرده، وعلامة لخفضه عن مقام الأكابر. وذلك في العبد الذي لَا ينصرف عن هواه، وَلَا ينفك عن طبعه ومتابعة مثاه. وذلك لوجود عِلَّتَيْنِ، وهما حب الرياسة والجاه، وعلّة تقوم مقامهما؛ وهي حب الدنيا التي هي رأس الخطايا. واعلم أَنَّ علم الحقائق، لا تطيقه إِلَّا الْأَقْوِيَاءُ، والرجال الذين قتلوا نفوسهم بالمجاهدة والمخالفة، وتفرغوا

من جميع الشواغل والعلائق القلبية. وصحبوا المشايخ وخدموهم. ورسخت أحكام الشريعة في ظواهرهم. فحينئذ إذا دخلوا بلد الحقائق، أشرقت عليهم أنوارها وأسرارها. وذاقوا خلاوة معانيها. ورسخت في قلوبهم أسرار المعارف. وأما قبل ذلك، فإما أن يتزندقوا. ويرفضوا الشريعة وراء ظهورهم، فينسل الإيمان من قلوبهم انبسال الشعرة من العجين. وإما أن يتقهقروا ويرجعوا إلى مقام العمومية. وليست القلوب كلها تطبق أنوار الحقيقة، بل بعضها فقط، وربما تكون بعض القلوب تفر من الذكر، وتنشئ إلى اللهو والغنا، فهي كالجعل، الذي تقول فيه العامة أبو فساس، فإن من شأنه إن قرب منه رائحة طيبة مات من ساعته. ولا يعيش إلا بالثمن والخبث، فكذلك بعض الأرواح الخبيثة، تنشئ باللهو، وتفر من الذكر ينسحب عليها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ وبالله التوفيق. ثم ذكر علامة الجزم، فقال (ص): وللجزم علامتان: السكون والحذف. (ش): قلت. السكون: حذف الحركة. والحذف: حذف حرف العلة، أو نون الرفع للجازم. وقولنا للجازم احترازاً من نحو: «وَيَمُحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ» «سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ» فإن الواو حذفت خطأ تبعاً لحذفها في اللفظ. فإن يمح مضارع مجرّد مرفوع، وليس معطوفاً على ما قبله. بدليل رفع ما بعده من قوله: «وَيُحَقِّقُ الْحَقَّ» وكذلك سَنَدْعُ، لا سبب لحذفه إلا ما تقدّم. واحترازاً أيضاً من نحو لتبلون، فإن الثون حذفت لتوالي الأمثال كما تقدّم. والله تعالى أعلم..

الإشارة: وللجزم بمعرفة الحق والرسوخ فيها بحيث ينقطع عن القلب التهمم والخواطر والشكوك والأوهام، علامتان، السكون: أي سكون القلب وطمأنينته، فيكون كالجبل الراسخ، لا تحلّ بساحته الهموم، ولا تطرقه عوارض الغموم، ولو انطبقت السماء على الأرض، فلا تحركه واردات الأحوال ولا تهزه الزلازل والأهوال. وفي أمثاله يقول الشاعر:

لأتهدي نوب الزمان إليهم ولهم على الخطب الجليل لجام

فيسكن الظاهر من تعب المجاهدة، ويرتاح الباطن في ظل المشاهدة، إذ لا تجتمع المجاهدة، مع المشاهدة. إنما يكون التعب في حالة السير. وأما من وصل إلى الحبيب، فلا تعب له ولا نصب. قال تعالى في جنات الزخارف: «لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ». وأولى جنّة المعارف. وعلامة الجزم أيضاً: شهود الحق حذف علائق

القلب، وشواغله، فلا يَبْقَى إِلَّا قلب مُفْرَد، فيه توحيد مجرّد. مَنْ جعل الهموم واحداً فكفاه الله هَمُّ دُنياه، وضمن له عاقبة أخراه. جعلنا الله مِنْهُمْ، بِمَنْهُ وَكَرَمِهِ آمين. ثم فَصَّلَ ما تَقَدَّمَ فقال (ص): فَأَمَّا السكون فيكون علامةً للجَزْم في الفعل المضارع الصحيح الآخر (ش) أي إذا دَخَلَ عليه لَازِمٌ وَلَمْ يتصل بآخره شيءٌ مِنْ الأشياءِ المتقدمة، نحو: «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» فلم حَزَفَ جَزَم ونفي وقلب، وَيَلِدُ مجزومٌ بِالسَّكُونِ الظَّاهِرِ. أي لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدْ وَلَا وَالِدٌ ولم يَكُنْ أَحَدٌ شَيْبًا لَهُ. (ص): وَأَمَّا الحذف فيكون علامةً للجَزْم في الفعل المضارع المُغْتَلِ الآخر. (ش) أي الذي في آخره حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الْعِلَّةِ: الألف والواو والياء، نحو: «لَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ». وَلَمْ يَذْغُ، وَلَمْ يَزْم. فهذه الأفعال مجزومة، وعلامة جَزْمها حَذْفُ حَرْفِ الْعِلَّةِ. وإبقاء الشكلة دليل عليه. وما مشى عليه المصنف، من كَوْنِ المحذوف حرف العِلَّة، إنما يتمشى على قول ابن السراج ومن تبعه، إن هذه الأفعال لا يقدر فيها الإعراب بالفتحة والضمة، وعُلِّلَ ذلك، بأن الإعراب في الفعل فُرِغَ. فلا حاجة لتقديره. وجعل الجازم كاللِّدَاءِ المسهل، إن وَجَدَ فضلة أخذها. وإِلَّا أَخَذَ مِنْ قَوَى الْبَدَنِ. وذهب سيبويه إلى تقدير الإعراب فيها. فعلى قول سيبويه: لَمَّا دَخَلَ الجازم، أخذ الحركة المقدرة، واكتفى بها، ثم لَمَّا صارت المجزوم والمرفوع واحدة فرقوا بينهما بالحذف بحرف العلة فحرف العلة محذوف عند الجازم لا به وعلى قول ابن السراج: الجازم حذف نفس الحرف هـ. وقد ثبتت هذه الحروف الثلاثة مع الجازم ضرورة كقول الشاعر:

إِذَا الْعَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلَّقِي وَلَا تَرْضَاهَا وَلَا تَمْلُقِي
وقول آخر:

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَأَقْتَ لِبَنِي بَنِي زِيَادٍ
وقول الشاعر: لَمْ تَهْجُوا وَلَمْ تَدَّعِي هـ. ويكون الحذف أيضاً علامةً للجَزْم (ص) في الأفعال التي رفعها بشبوت الثَّوْنِ. (ش) وهو الفعل المضارع المتَّصِلُ بِهِ أَلِفُ الْإِثْنَيْنِ، نحو: «وَلَا تَتَّبِعَانَّ». فَلَا نَاهِيَةٌ جَازِمَةٌ، وتتبعان مجزومٌ بِحَذْفِ الثَّوْنِ. وَالباقِي ثَوْنُ التَّوَكُّيدِ، وكُسِّرَتْ لالتقاء السَّاكِنَيْنِ. أو واو الجمع، نحو: «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا، وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ». أو ضمير المؤنثة المخاطبة، نحو: «وَأَمَّا تَرَيْنَ» أَضْلَهُ: تَرَيْنَ، تحرَّكَتِ الياء وانْفَتَحَ ما قَبْلَهَا، فقلبت أَلِفًا، فصارت تَرَايْنِ، التَّيْنِ سَاكِنَانِ، فحذفت الألف، فصارت تَرَيْنَ. فَلَمَّا دَخَلَ الْجَازِمُ، وهو ما حذف النون.

فصار تريّ، ثم أتى بنون التوكيد، فالتقى ساكنان، فخرّكت الياء لمجانسها وهو الكسّر، فصار ترين، فهو معرب؛ لأنّ نون التوكيد لم تباشره لانفصاله عنه بالياء الفاعلة، واللّه تعالى أعلم.

الإشارة: فأما سكون الظاهر، من تعب المجاهدة، فيكون علامة لجزم الباطن، ورسوخه في مقام المشاهدة، في الفعل المضارع، أي في العمل الصالح، المشابه لأفعال المخلصين، بموافقة السنة، ومجانبة البدعة. الصحيح الآخر، أي الصافي من العلل، التي تلحقه بغد ثمايه، كالتيجج به، واعتقاد المزية على الناس بسببه، أو طلب العوض عليه، كيف تطلب عن عمل لست أنت فاعله. والحاصل أنّ سكون الظاهر بعد التعب، يدلّ على جزم الباطن وتحققه بمعرفة اللّه؛ وهي الحياة الطيبة، والعيش الهناء. قال السري السقطي: من عرف اللّه عاش، ومن مال إلى الدنيا طاش، والأحمق يغدو ويروح في لاش. واعلم أنّ سكون الظاهر من تعب المجاهدة، قد يكون مع سكون الباطن براقعة المشاهدة، وقد يكون مع بقاء تعب، بالأهوال والخواطر الدنيوية، وذلك أنّ المرید إذا التقى بالشيخ، وأخذ عنه. جاء جند الثور يريد أن يخرج جند الظلمة من القلب. ويريد جند الظلمة البقاء في وطنه، فتشتعل الحرب بينهما، وهذا سبب اضطراب الظاهر، وتوارد الأحوال عليه. وذكر اللسان كالمذفع، يدوي عليه من خارج، فإذا دخل يذكر القلب وخالط معه البلاد. سكت اللسان وما بقي إلا السيوف تضرب ثم يرتحل جند الظلمة من القلب، ويترتاح القلب من تعب التدبير والاختيار، وأهوال الدنيا، ويسكن الظاهر أيضاً؛ من تعب المجاهدة. وقد ينزل جند الثور على جند الظلمة، فلا يقدر على إخراجه من القلب فيرتحل النور من حيث الثور على جند الظلمة، فلا يقدر على إخراجه من القلب فيرتحل النور من حيث جاء ويسكن الظاهر على جند الظلمة ويبقى الباطن متعوباً كما كان. فهذا حال من رجع من الفقراء قبل. واشتغل بالأسباب قبل الوصول والعياذ بالله من السلب بعد العطاء. وبالله التوفيق.

وأما حذف الشواغل والعلائق الظاهرة، كانت ظلمانية أو نورانية، فيكون علامة لجزم الباطن، وتحققه بمقام الأذواق والوجدان، تخلصه لمقام العيان، في الفعل المضارع، أي العلم الشائب وفعال الصالحين، المعتل الآخر، بما تقدّم فإن حذف علله وصفاه وطهره من تلك العلل كان ذلك علامة على جزمه وتحققه بالعرفان، على نعت الشهود والعيان. وإن لم يحذف علله، ولم يطهره ممّا يشوبه،

كَانَ عَلَامَةً عَلَى ثُبُوتِ جِزْمَانِهِ، وَكَذِبِهِ فِي دَعْوَاهُ. يَغْنِي أَنْ الْعَبْدَ إِذَا تَجَرَّدَ وَانْقَطَعَ
لِلَّهِ، وَتَرَكَ شَوَاعِلَ الظَّاهِرِ، كَانَتْ تِلْكَ الشَّوَاغِلُ ظُلُمَانِيَّةً، كَكُونِهَا دُنْيَاوِيَّةً، أَوْ
نُورَانِيَّةً، كَكُونِهَا دِينِيَّةً، لِكَيْفَ تَشْتَتِ الْقَلْبَ، وَتَفْرُقَ الْهَمَّ، كَتَدْرِيسِ الْعِلْمِ الظَّاهِرِ،
وَتَتَّبِعَ الْفَضَائِلَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُفَرِّقُ قَلْبَ الْمُرِيدِ وَيُشْتَتُهُ، فَلَا يَلِيقُ بِهِ إِلَّا ذِكْرُ وَاحِدٍ،
حَتَّى يَذُوقَ مَرَّةً، فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ عَلَامَةً عَلَى جِزْمِ صَاحِبِهِ، وَطُمَأْنِينَتِهِ حَتَّى يَضْلَحَ
عَمَلُهُ، وَيَخْلَصَهُ مِنَ الْعِلَلِ؛ الَّتِي تَلْحَقُهُ ظَاهِرًا أَوْ بَاطِنًا، وَيَكُونُ عَلَامَةً عَلَى جِزْمِهِ،
وَتَحْقِيقِهِ فِي الْأَفْعَالِ، الَّتِي رَفَعَهَا بِثُبُوتِ الثُّبُونِ، أَنَّى فِي الْأَفْعَالِ الَّتِي تَرْفَعُ صَاحِبِهَا،
يُثْبِتُ نُورَانِيَّتَهَا، وَوُجْدَانَ خَلَاوَتِهَا فَوْجِدَانَ الْخَلَاوَةِ عَاجِلًا، دَلِيلَ عَلَى وَجْدَانِ
الْقَبُولِ آجِلًا. فَإِذَا تَحَقَّقَ جِزْمُهُ. وَعَقَدَهُ فِي أَسْرَارِ التَّوْحِيدِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ.

(ص) فصل: (ش): وهو لغة: الحاجز بين الشيئين، وفي الاصطلاح: اسم
لطائفة من المسائل، اشتركت في حكم، وهو هنا بمعنى الفلزكة لما تقدم اعتناء
لباب الإعراب؛ لأنه معظم النحو، وأصل قواعده، فمن أتقنه، أتقن ما بعده، ومن
لم يتقنه، لم يدرك ما بعده. وكان بعض من يقرأ هذه المقدمة من النحويين، يصل
إلى هذا الفعل، ثم يرجع إلى إعادة ما تقدم، حتى يتحققه من يأخذها عنه اعتناء
بأمر الإعراب، ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى. (ص): المعربات قسمان: قسم
يعرب بالحركات، وقسم يعرب بالحروف (ش). قلت: المعربات مبتدأ. وقسمان
خبر، فإن قلت: الخبر لا بد أن يطابق المبتدأ في التثنية والجمع، وهن غير
مطابق. قلت: لما كان قوله قسمان في معنى أقسام، ساغ ذلك؛ لأن كل قسم من
القسمين فيه أقسام. فكأنه قال: المعربات أقسام، فهو كقوله تعالى: «هَذَانِ
خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا». لأن المراد بالخصم جماعة المسلمين والكفار، قبل نزلت في
المبارزين يوم بدر، فكان في كل فرقة من المتبارزين ثلاثة. وقوله قسم. إم بدل
مفعل من قسمين، وجملة يعرب صفة له، أو مبتدأ. ويعرب خبره والمسوغ
للابتداء بالتركبة التقسيم كقول الشاعر:

يَوْمَ عَلَيْنَا وَيَوْمَ لَنَا وَيَوْمَ نَسَاء وَيَوْمَ نَشْر

وحصل ما ذكر أن المعربات التي تقدمت، منحصرة في قسمين: قسم يعرب
بالحركات الظاهرة، أو المقدره، وقسم يعرب بالحروف الثابتة عنها، ثم بين ذلك
فقال (ص): فالذي عرب بالحركات أربعة أنواع: الاسم المفرد، وجمع التكسير،
وجمع المؤنث السالم، والفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره شيء (ش) قلت:

وتقدم أمثلة ذلك كله. ثم ذكر ضابطها فقال (ص): فالذي يعرب بالحركات أربعة أنواع: اسم المفرد، وجمع التكسير، وجمع المؤنث السالم، والفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره شيء. (ش) قلت: وتقدم أمثلة ذلك كله. ثم ذكر ضابطها فقال (ص) وكلها ترفع بالضمة (ش) أي. إما ظاهرة، أو مقدرة. (ص) وتُنصب بالفتحة. (ش) ظاهرة أو مقدرة. (ص) وتخفض بالكسرة. (ش) أي كذلك (ص) وتجزم بالسكون. (ش) أي إن كان الفعل صحيحاً. قال في الألفية:

فَارْفَعْ بِضَمٍّ وَانْصِبْ فَتَحاً وَجُزْ كَسْراً كَذِكْرِ اللّهِ عِنْدَهُ يَسُرُّ
واجزم بتسكين. ثم استثنى من هذه القاعدة أموراً فقال (ص) وخرج عن ذلك ثلاثة أشياء، جمع المؤنث السالم، نصب بالكسرة (ش) نحو: «إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي حِزْفٍ تَوْكِيدٌ وَنُصْبٌ وَفِي السَّمَاوَاتِ جَارٌ وَمَجْرُورٌ خَبَرٌ مَقْدَمٌ، وَلآيَاتٍ اسْمُهَا مُؤَخَّرٌ، مَنْصُوبٌ بِالكسرة الثابتة عن الفتحة (ص) والاسم الذي لا ينصرف، خُفِفَ بالفتحة. (ش) كقوله تعالى: ﴿لَلَّذِي يَبْكُ﴾ أي مكّة. والمائع له: العلمية والتأنيث. (ص) والفعل المضارع المعتل الآخر، جُزِمَ بِحَذْفِ آخِرِهِ (ش) نحو: «مَنْ يَهْدِهِ اللّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ». «وإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ» «وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ» (ص) والذي يُعْرَبُ بِالْحُرُوفِ أَرْبَعَةٌ أَنْوَاعٌ: الثنية، وجمع المذكر السالم والأسماء الخمسة، والأفعال الخمسة (ش). ثم بيّنها بقوله: (ص) وهي يَفْعَلَانِ (ش) بَيَاءُ الْغَيْبَةِ (ص) وَتَفْعَلَانِ (ش) بَيَاءُ الْخُطَابِ (ص) وَيَفْعَلُونَ (ش) بِالْغَيْبَةِ. (ص) وَتَفْعَلُونَ (ش) بِالْخُطَابِ (ص) وَتَفْعَلِينَ (ش) بَيَاءُ الْمُؤَنَّثَةِ الْمُخَاطَبَةِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ كَوْنِ الْأَلْفِ وَالْوَاوِ ضَمِيرًا وَعَلَامَةً، فَتَصِلُ إِلَى عَشْرَةِ سِتَّةٍ فِي الثْنِيَةِ؛ وَهِيَ الزَّيْدَانِ يَقُومَانِ، يَقُومَانِ الزَّيْدَانِ، أَمَّا يَا زَيْدَانَ تَقُومَانِ، الْهِنْدَانِ تَقُومَانِ، الْهِنْدَانِ أَنْتَمَا يَا هِنْدَانِ تَقُومَانِ، وَثَلَاثَةٌ فِي الْجَمْعِ؛ وَهِيَ: الزَّيْدُونَ يَقُومُونَ، يَقُومُونَ الزَّيْدُونَ، أَنْتُمْ تَقُومُونَ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْمُؤَنَّثَةِ الْمُخَاطَبَةِ: أَنْتِ يَا هِنْدَ تَقُومِينَ، وَيُقَالُ لَهَا: الْأُمْلَةُ الْخَمْسَةُ، وَهِيَ أَحْسَنُ لِيَدْخُلَ فِيهَا غَيْرُهَا مِنَ الصَّبِغِ، نَحْوُ يَنْفَعَلَانِ، وَيَسْتَفْعَلَانِ، وَيَتَفَاعَلُونَ، وَشَبَهُ ذَلِكَ مِنْ أَمْثَلَةِ الْأَفْعَالِ. بِخِلَافِ الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ، فَإِنَّهَا مُحْصُورَةٌ بِالْعَدِّ، ثُمَّ فَصَّلَ مَا أَجْمَلَ فَقَالَ (ص) فَأَمَّا الثْنِيَةُ فترفع بالالف (ش) نحو: إِنْ هَذَا لِسَاحِرَانِ فِي قِرَاءَةٍ مِنْ رَفْعٍ، فَقِيلَ: إِنَّ هُنَا مُهْمَلَةً، بِمَعْنَى نَعَمْ، وَهَذَا مُبْتَدَأٌ، وَلَسَّاجِرَانِ خَبَرٌ. أَيُّ لِهَمَّا سَاحِرَانِ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. (ص) وَتُنْصَبُ وَتُخَفَّفُ بِالْيَاءِ. (ش) فَالنُّصْبُ نَحْوُ. قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَصْحَبِي آلِيَّيْنِ﴾ فَيَا حَرْفُ بَدَاءٍ، وَصَاحِبِي مُنَادَى مُضَافٌ

منصوب الياء، وحُذفت الثُّون للإضافة والجزء، نحو قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ
أُكَلِّمَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾، فإحدى مفعول، وابنتي مضاف مجرور بالياء،
وحُذفت الثُّون للإضافة، وهاتين بذل تابع له. (ص) وأما جمع المذكر السالم،
فترفع بالواو. (ش) ونيابة عن الضمة. كقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَغْلَوْنَ﴾، أضله
الأغْلَوْنَ تحركت الواو وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فصارت الأعلأُون، فحذفت
الألف لالتقاء الساكنين، فصار الأغْلَوْنَ، فالواو الباقية هي علامة الرفع. (ص)
ويُنصَب ويخفف بالياء (ش). فالتنصب نحو: «إن المتقين في جنات ونهر» والجر
نحو: «المن المصطفين الأخيار» وأضله المصطفين «استثقلت الكسرة على الياء،
فحذفت، فبقت الياء ساكنة، فحذفت لالتقاء الساكنين، أو تقول: تحركت الياء،
وانفتح ما قبلها، فقلبت أيضاً، فصار مصطفىين، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين،
فصار مصطفىين. (ص) وأما الأسماء الخمسة، فترفع بالواو (ش) نحو: «وأبونا
شيخ كبير»، وتقول: هذا أخوك وأبوك وحموك وفوك وذو مالٍ (ص) وتنصب
بالألف (ش) «إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ». وقال تعالى: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ﴾. (ص)
وتخفف بالياء، (ش) نحو: «آيَتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ». وتقول: مررت بأخيك،
وحميك، ونظرتُ إلى فيك، وذو مالٍ، قال الأضمعي رضي الله عنه: بينما أنا في
بعض الطرق إذ أنا بصبيّة تحمل قرينة وقد غلبتها وفيها ماء، فقالت: يا أبت أدرك
فأها، غلبتي فوها لا طاقة لي بفيها. وقيل كان ذكراً. قال الأضمعي: والله لقد
جمعت العربية في ثلاث كلمات، وروي أنه بقي ستة عشر سنة يطوف في قبائل
العرب، يجمع اللغة العربية من كلام العرب، التي بقيت على لغتها الأصلية التي لم
تختلط، حتى قال له بعض العرب: أنت مثل الحفظة تكتب لفظ اللفظة. فقال له
الأضمعي، هذا مما أكتب. (ص) وأما الأفعال الخمسة، فترفع بالثُّون، (ش)
نحو: «أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ». فيقسمان بالله، أنت يا هُند تقومين. (ص)
وتُنصَب وتجرَم بحذف الثُّون (ش) نحو: «فَلِإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ»
فجملة لن تفعلوا اغتراضية بين الشرط والجواب. وحاصل علامة الإعراب أربع
عشرة: أربعة أصول، وفي الحركات الثلاث، والسكون، والباقي فروع: ثلاثة،
تنوب عن الضمة. وهي الألف والواو والثُّون. وأربعة تنوب عن الفتحة، وهي
الألف والياء والكسرة. وحذف الثُّون، واثنان تنوبان عن الكسرة؛ وهي الياء
والفتحة، وواحد ينوب عن السكون، وهو الحذف للثُّون، أو لحذف العلة. والله
أَعْلَمُ.

الإِشَارَةُ: أسرار المعربات هي المُنْظَهَرَاتُ من عَالَمِ الْغَيْبِ إلى عَالَمِ الشَّهَادَةِ. أو من تجر الجبروت إلى عَالَمِ الْمَلَكُوتِ وَالْمُلْكِ وهي أسرار الذَّاتِ الْأَزَلِيَّةِ، قسمان: قسم يعرب. أي يظهر بالحروف، أو بالرسوم، وقسم يُعَرَّبُ، أي يظهر بالأشكال. ويُقال للجميع: التجليات، وذلك أن الذَّاتِ الْعَالِيَةِ في حالة الْكُنْزِيَّةِ، كانت ذاتاً لطيفة خفية قديمة أزلية، متصفة بأوصافِ الْكَمَالِ، ثم تجلَّتْ وظهرت بالرسوم والأشكال، فالرسوم هي التجليات الْعَظِيمَةُ، كالعرش والكرسي، والسموات والأرضين، والجبال، وغير ذلك من الأجرام الْكَبِيرَةِ، والأشكال هي التجليات الرقيقة، ك بعض الملائكة، وأصناف الحيوانات، شبهوا التجليات الْعَظَامِ، بالحروف والرسوم، والتجليات الرقيقة، بالأشكال وأسرار الذَّاتِ الْأَزَلِيَّةِ بِالْمَعَانِي. وشأن المعاني أن تُفْهَمَ من الحروف والأشكال، فما ظهرت الْكَائِنَاتُ الْحَسِيَّةُ، إلا لتقبض منها المعاني الْأَزَلِيَّةِ، فما نُصِبَتِ الْكَائِنَاتُ لَتَرَاهَا، بل لترى فيها مَوْلَاهَا، فمن رَأَى الْكَوْنَ، ولم يشهد الحق فيه، أَوْ قَبْلَهُ، أَوْ مَعَهُ، أَوْ بَعْدَهُ، فقد أعوزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شمس المعارف بِسُحْبِ الْأَثَارِ كَمَا فِي الْحِكْمِ: فما ظَهَرَ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ، هو عَيْنُ مَا فِي عَالَمِ الْغَيْبِ، الْأَكْوَانُ ثَابِتَةٌ بِإِثْبَاتِهِ. مَمْحُوءَةٌ بِأَحْدِيَّةِ ذَاتِهِ. وقد أشار ابن الفارض في خمرة، في وصف الذَّاتِ الْأَزَلِيَّةِ، في حال الْكُنْزِيَّةِ فَقَالَ:

صفاء وَلَا ماء وَلطف وَلَا هَوَاً وَنُورٌ وَلَا عَنَازُورٌ وَلَا جِسْمٌ
تَقْدِمُ كُلَّ الْكَائِنَاتِ حَدِيثُهَا قَدِيمٌ وَلَا شَكْلٌ هُنَاكَ وَلَا رَسْمٌ

أي صفاء كصفاء الماءِ وَلَا ماء، ولطف كلطف الهواءِ وَلَا هَوَا. ونور كنور النَّارِ وَلَا نَارٌ وَرُوح، أي حياة كحياة الأجسام، وَلَا جِسْم. ويسمى هذا الحال الْأَزَلِيَّ بِالْعَمَاءِ. قيل يا رسول الله أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ، قال: كَانَ فِي عَمَاءٍ لَيْسَ فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَلَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، أَيْ كَانَ فِي خَفَاءٍ وَلَطَافَةٍ، لَيْسَ فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَلَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، بل عَظَمَتُهُ عَمَّتْ فَوْقَ الْفَوْقِ، وَتَحْتَ الْتَحْتِ، وَقَبْلَ الْقَبْلِ، وَبَعْدَ الْبَعْدِ، ثم أشار إليها بعد التجلّي بالرسوم والأشكال فقال:

وَقَامَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ ثُمَّ لِحَكْمَةٍ احْتَجَبَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ لَأَلَهُ فَهْمٌ

وقد أَوْضَحْنَا الْمَسْأَلَةَ وَبَيَّنَّاها فِي شَرْحِنَا عَلَيْهَا، فَلْيَنْظُرْهُ مِنْ أَرَادِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ إشارات الرفع والنَّصْبِ والخفض والجزم وما ينوب عنها، فقيه، كفاية، وعلمنا كله إشارة. وبالله التوفيق، ولما أنهى الكلام على المقدمات؛ وهي الكلام وأجزاؤه، ما

تعرف به تلك الأجزاء، وحدّ الإعراب وأقسامه وموارده ومعرفة علاماته، بسطاً وإيجازاً، شرع في المقاصد فقال:

بَابُ الْأَفْعَالِ:

وإنما قدّم الأفعال؛ وكان حقها التأخير؛ لأن الاسم قبل الفعل لسموه بالإخبار به وعنه. لأن الأفعال لما كان الكلام عليها قليلاً قدّمها، ليتفرغ للأسماء، لتتنوعها إلى المرفوعات والمنصوبات، والمخفوضات. وتكون تابعة ومتبوعة، ونكرة ومعرفة، إلى غير ذلك من كثرة أنواعها. ومن شأن المؤلفين تقديم ما هو أقصر، وتأخير ما يستدعي طولاً. قال رحمه الله (ص) الأفعال ثلاثة، ماضٍ ومضارع وأمر (ش) قلت: ماضٍ بذل من ثلاثة، مرفوع بضمة مقدرة في الياء، وأصله ماضي، استقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان، فحذفت الياء، ووجه الانحصار في الثلاثة، أن الزمان الذي هو أحد مذلولي الفعل، إما أن يكون ماضٍ وقته، أو حاضراً أو مستقبلاً، بفتح الباء على المشهور، والقياس كسرهما، اسم فاعل، لأن الزمان هو المتصف بالاستقبال، أو الماضي أو الحال. ومما يؤيد الانحصار في الثلاثة قول زهير:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدِ عَمِي

وقال آخر:

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا الْيَوْمُ وَالْأَمْسُ أَوْ غَدٌ كُلُّ الدَّهْرِ فِيمَا بَيْنَنَا يَتَرَدَّدُ

وقدّم الماضي لأنه سابق في الوجود على المضارع، الذي هو أجزاء من طرف الماضي والمستقبل، يغيب بعضها بعضاً، من غير فرض مهلة، وتراخ، ويسمى الحال، ولذلك قيل: هو أقل من طرفة العين، وآخر الأمر، لأنه يدل على المستقبل الذي هو بعد الحال، فحقيقة الماضي: ما دل على حدث في زمن ماضٍ. وحقيقة المضارع: ما دل على حدث مقترن بالحال والاستقبال. وحقيقة الأمر: ما دل على طلب حدث في زمن مستقبل، فتحصل أن الماضي: ما دل على زمن ماضٍ. والمضارع: ما دل على زمن حاضِرٍ أو مستقبل. فالأمر مستقبل أبداً. وقد يخرج كل واحد منهن على أصله.

قال في التسهيل: وينصرف الماضي إلى الحال بالإنشاء، أي كعبت ونحوه. وإلى الاستقبال بالطلب، نحو: غفر الله لك. والوعد: نحو: «إِنْ أُعْطِينَاكَ

الْكُوثَرُ». وبالعطف على ما علم استقباله، نحو: «يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ»، وبالثني بلام؛ نحو: لَا عَقَرَ اللَّهُ لَكَ. وإنَّ في جوابِ الْقَسَمِ، نحو ولئن زلَّنا إن أَمْسَكْهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ». ويحتمل الماضي والاستقبال، بعد هَمْزَةِ المنسوبة، وحرف التخفيض، وكلّما، نحو: «كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذْبُوهُ». فهذا مثال الماضي، ومثال المستقبل: «كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ». وَبَعْدَ حَيْثُ، فالماضي نحو: «فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ». والمستقبل، نحو: «وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ». وَيَكُونُ صِلَةً، فالماضي، نحو: «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ». والاستقبال: «لِلَّذِينَ تَأْتُوا». أو صفة لنكرة عامة، وقال أيضاً: والأمرُ مستقبل أبداً، والمضارع صالح له وَلِلْحَالِ. ولو نفي بلامٍ خلافاً لَمَنْ خصصها بالمستقبل، وترجع الحال مع التجريد، ويتعيّن عند الأكثر، بمصاحبة الآن، وما في معناه، أي كالساعة والحين، وبلاد الابتداء، مثاله: إنَّ زيدا لا يقوم. وينفيه بليس، نحو: إن زيدا يقوم، أي الآن، وبما وإن. ويتلخص الاستقبال بظرف المستقبل. نحو: أزورك إذا تزورني، وبإسناده إلى متوقع، أي كقول الشاعر:

يَهْوُلُكَ أَنْ تَمُوتَ وَأَنْتَ مَلَقَى لِمَا فِيهِ النِّجَاءُ مِنَ الْعَذَابِ

وبإقتضائه طلباً، أي نحو: «وَالْوَالِدَاتِ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ». أو وَعْد، نحو: «يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ». أو بمصاحبة ناصب، أي ظاهر، مقدراً أو أداة تَرْجٍ، نحو: «لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابِ». أو اشتقاق، نحو: لعلَّ زيدا يهلك. أو مجازات، نحو: إنَّ يقيمُ زيدٌ يقيمُ عمرو. أو ذُو الْمَصْدَرِيَّةِ، نحو: «يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ». أو نون توكيد، أي مطلقاً، أو حرف تنفيس، وهو السين وسوف. نحو: «سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ». «وَسَوْفَ يَوَدُّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ» مع زيادة الأمثلة.

تنبيه: ما ذكر عليه المصنف، من أنَّ الأفعال ثلاثة؛ هو مذهب جمهور البصريين، وَجَرَى عليه أكثر المتأخرين، وَذَهَبَ الْكُوفِيُّونَ وَالْأَخْفَشُ، إِلَى أَنَّ الْأَفْعَالَ اثْنَانِ. وَأَسْقَطُوا فِعْلَ الْأَمْرِ وَقَالُوا: إِنَّهُ مُقْتَطَعٌ مِنَ الْمَضَارِعِ، فَهُوَ عِنْدَهُمْ مَعْرَبٌ بِلَامٍ مُقَدَّرَةٌ. قَالَ فِي الْمَغْنِيِّ: وَيَقُولُهُمْ أَقُولُ، لِأَنَّ الْأَمْرَ مَعْنَى، أَحَقُّهُ أَوْ يُوْدَى بِالْحُرُوفِ، إِنَّهُ أَخُو الثَّنْيِ، وَلَمْ يَدُلُّوا عَلَيْهِ إِلَّا بِالْحُرُوفِ، وَلِأَنَّ الْفِعْلَ إِنَّمَا وَضِعَ لَتَقْيِيدِ الْحَدَثِ بِالزَّمَنِ الْمَحْصَلِ فِيهِ، وَكَوْنُهُ أَمراً أَوْ خَبيراً خَارِجاً عَنْ مَقْصُودِهِ. وَلِأَنَّهُمْ قَدْ نَطَقُوا بِذَلِكَ الْأَصْلِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ فِي شَأْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَتَقُومَ أَنْتَ يَا بَنَ خَيْرِ قَرِينِشْ كُنِي لَتَقْضِي حَوَائِجَ الْمُسْلِمِينَ
ثم أطال في ذلك فانظره فيه، والله تعالى أعلم.

الإشارة: الأفعال التي سبق بها القدر ثلاثة: أفعال سابقة، وأفعال لاحقة تابعة
للسابقة، وأفعال حاصلة، والثالث فيها أربعة أقسام، قسم غلب عليهم خوف
السابقة، وقسم غلب عليهم خوف العاقبة. وقسم غلب عليهم الاشتغال بعمارة
الأوقات، وما كلّفهم به مقدّر الأوقات. غائبين عن السوابق واللواحق؛ وهم العباد
والزهاد، وقسم غلب عليهم الاستغراق في شهود الفاعل المختار، فأثوّن عن
أنفسهم، غائبون عن وجودهم، في وجود مغبّوهم لم يخطر على بالهم سوابق ولا
لواحق. مستسلمون لمولاهم في حكمه وقضائه؛ وهؤلاء هم العارفون بالله، وإن
شئت قلت: الأفعال التي تصدر من العبد ثلاثة: فعل مَضَى، وفعل هو مشغول به
في الحال. وفعل يأتي، لا يندري ما الله مانع فيه. وبين أجل، قد بقي لا يدري ما
الله قاض فيه، فليأخذ العبد من نفسه لتقصيه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبهة قبل
الكبر، ومن الحياة قبل الموت، فوالذي نفس محمد بيده. ما بغد الموت
بمستغيب، ولا بعد الدار من دار إلا الجنة أو النار هـ. فأداب الماضي نسيانه
والغيبه عنه، فإن تذكر ما مضى من إساءته، جدّد الندم والاستغفار، وإن تذكّر ما
سلف من إخوانه، حمد وشكر. وآداب الأمر: الغيبة عنه، والنظر لما يبرز من
عُضُر القدرة، تاركاً للتدبير والاختيار، مستسلماً كما يبرز من عند الواحد القهار؛
لأن من لم يدبّر، دبّر له. وما دبّر، دبّره الحق لك، إحسن من تدبيرك لنفسك،
فَعَسَى أن تدبّر شيئاً وتختاره وهو وبّال عليك، فالله أرحم بك من نفسك، وأعلم
بمصالحك منك. والله درّ القائل:

وَكَمْ رَمَتْ أَمْرًا خَرْتُ لِي بِي انصرافه
عَزَمْتُ عَلَى الْأَحْسِ بِخَاطِرِ
وَأَلَّا تَرَانِي عِنْد مَنْ قَدْ نَهَيْتَنِي
وَأَدَابُ الْخَاصِلِ اغْتِنَامُ الْوَقْتِ قَبْلَ الْمَمَاتِ، وانتهاز الفرصة قبل الفوات،
والمسابقة على فعل الخيرات، كما قال الشاعر:

السِّبَاقُ السِّبَاقُ قَوْلًا وَفِعْلًا حَنَرَ النَّفْسَ حَسْرَةَ الْمَسْبُوقِ
وبالله التوفيق، ثم مثل للأفعال الثلاثة فقال (ص) نحو ضربت يضرب

واضرب. (ش) فالأول ماضٍ، والثاني مضارع، والثالث أمر، فإن كان الماضي فَعَلَ بالفتح، فالمضارع يفعل بالكسر، نحو ضَرَبَ يضرب، ما لم يشتهر بالضم، كدخل وخَرَجَ ونَصَرَ. فمضارعه يفعل بالضم، وما لم يكن حلقي العين، كسأل وسقى وذهل، فمضارعه بالفتح، تقول: يسأل ويسعى ويذهل ويقس عليه، وإن كان فَعِلَ بالكسر، فالمضارع يُفَعِّلُ بالفتح، كَعَلِمَ يَعْلَمُ وَفَرِحَ يَفْرَحُ، وخافَ يَخَافُ، وإن فَعَّلَ بالضم، فمضارعه كذلك. نحو كَرَّمَ يَكْرُمُ وَحَسَّنَ يَحْسُنُ. والأمر تابع للمضارع في الأوجه الثلاثة. تقول: اضرب وأعلم وأكرم. وإن كان رباعياً فمضارعه يُفَعِّلُ بضم حَزَفِ المضارعة. نحو يَكْرُمُ ويحسُن، مضارع أكرم وأحسن. والأمر منه إِفْعَلْ بقطع الهمزة، والله تعالى أَعْلَمَ، ثم ذكر أحكامها في البناء والإعراب فقال (ص) فالماضي مفتوح الآخر أبداً. (ش) يعني أن الماضي مبني على الفتح أبداً. أما بناؤه فلا سؤال عليه؛ لأنه أصل في الأفعال. وأما تحريكه مع أن الأصل في المبني أن يسكن، لشبهه بالمضارع، لوقوعه صلة وصفة، وخبراً، وحالاً، وشرطاً وجزاء. وأما كَوْنُ الحركة فتحة، فلطلب التخفيف، والفتح الذي يُبْنَى عليه الماضي. إما أن يكون ظاهراً كضرب؛ وهو الذي لم يتصل بآخره، ضمير رفع كضربوا، فَيَضُمُّ، لمناسبة الواو أو ضمير تكلم أو خطاب. فيسكن، كضربنا وضربت؛ فهو مبني على فتحة مقدرة فيما قبل الواو، المانع من ظهورها، اشتغال المحل بحركة المناسبة، أو فيما قبل الثون والتاء. المانع من ظهورها أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة؛ لأن الفاعل لشدة لصوقه صار كالحزء من الكلمة، والعرب لا تجمع بين أربع متحركات في الكلمة الواحدة، وإلما ضربنا زَيْد، فالمفعول منفعل عن الفعل بالفاعل، فصار كأنه كلمة أخرى. (ص) والأمر مجزوم أبداً (ش) أي بُنِيَ على السكون، وفي عبارته، تجوز؛ لأن الجزم من ألقاب الإعراب. والسكون من ألقاب البناء، كالفتح، والكسر، والضم. وألقاب الإعراب، والرفع والنصب، والخفض والجزم، فيقال: مبني على الضم، أو على الفتح، أو على الكسر، أو على السكون. كما يقال في المغرب. معرب بالرفع أو النصب، أو الخفض أو الجزم. وإنما بُنِيَ الأمر على السكون، إذا كان صحيح الآخر. وأما إن كان معتلاً الآخر، فبُنِيَ على ما يجزم به مضارعه، من حذف الألف أو الواو أو الياء. أو حذف الثون إن أسند إلى ضمير تشية، أو جمع، أو مؤنثة مخاطبة. وقد نظم بعضهم فقال: والأمر مبني على ما يجزم به مضارعه يا من يفهم. كَضَمَ وصل واخش واذع وارغبوا، وكازغباً وكازغبى يا زينب. هذا. وكَوْنُ

الأمر مبيناً، هو مذهب البصريين، وقال الكوفيتون؛ هو معرب مجزومٌ بِلامِ الأمرِ، لأنه مقتطع منه، كما تقدم عنهم.

تنبيه: الأصل في الأسماء الإعراب، لأنها قد تتوارد عليها المعاني المختلفة بلفظ واحد. فلا يتميز المعنى إلا بالإعراب تقول: مَا أَحْسَنَ زَيْدٌ بِالْوَقْفِ، فلا يَدْرِي هل تعجب أو نفي أو استفهام. فإذا نصبت، علمنا أنه تعجب. وإذا رفعت علمنا أنه نفي، وإذا جررت علمنا أن ما استفهامية. أي أي شيء فيه حسن. وأما الأفعال، فالأصل فيها هو البناء على مذهب البصريين. وإنما أعرب المضارع لشبهه بالاسم كما يأتي. والأصل في المبني هو السكون، فإذا بُني الاسم على السكون تَوَجَّهَ إليه سؤال واحد؛ وهو لِمَ بُنِيَ؟ وقد تقدم أنه لشبه الحرف، وإذا بُني على حركة؛ تَوَجَّهَ إليه ثلاث أسئلة: لِمَ بُنِيَ؟ وَلِمَ كَانَتْ حركة؟ وَلِمَ كَانَتْ فتحة أو ضمة مثلاً. وإذا بني الحرف أو الفعل فلا سؤال عليه؛ لأنه جاء على أصله. وإنما يُسأل إذا بُني على حركة فيقال: لِمَ بُنِيَ على حركة؟ وَلِمَ كَانَتْ كذا؟ وقد ذكر المرادي في شرح الألفية، أسباب البناء على الفتح والضم والكسر، تركناه خشية الإطالة. ثم ذكر المضارع فقال: (ص) والمضارع ما كَانَتْ في أوَّلِهِ إحدى الزوائد الأربع بجمعها قولك أَتَيْتُ (ش) قلت: الْمُضَارِعَةُ، هي المشابهة: يُقال: ضَارَعَهُ. أي شابهَهُ. وَسُمِّيَ الْمُضَارِعُ بِهِ. لأنه أشبه اسم الفاعل في الحركات والسكنات؛ وعَدَد الحروف. وَأَشْبَهَ مُطْلَقَ الاسم في الإنباه والتخصيص، ودخول لام الابتداء عليه، وأيضاً قد تتوارد عليه المعاني المختلفة بلفظ واحد كما تقدم في الاسم. نحو تأكل السمكة وتشرب اللبن. بالنصب والرفع والجزم. ولكل إعراب معنى يَخْصُهُ على ما يأتي في النواصب. وقال بعضهم: المضارعة من الضرع، كَأَنَّ الفعل ضَرَعَ مع الاسم ضرعاً واحداً. وَعَنُوا بِذَلِكَ مُشَابَهَتَهُ لِه فيما تقدم ثم عَرَفَهُ بِكُونِهِ ما افتتح بأحد هذه الحروف الهمز والثون، والياء والتاء يجمعها قولك أَتَيْتُ. أي أدركت. من أنا يأتي أدرك. فيشترط في الهمزة أن تكون زائدة تدل على المتكلم وَخِذْهُ نحو أقام فخرج أنيت لإصالة الهمزة، وأيدع اسم لعدم دلالتها على المتكلم، ويشترط في الثون، أن تكون زائدة، وأن تدل على المتكلم المُعْظَم نفسه، أو معه غيره، فالأول كقوله: «إِنَّا نَحْنُ ثَرْتُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا»، والثاني كقول الملائكة: «وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ».

فخرج نحو: نرجس اسم نباتٌ مَعْرُوفٌ، نَرْجَسُ الدَّوَاءَ جعل فيه النرجس. إذ لا تدل على المتكلم، فهي في الأول اسم، وفي الثاني فعل ماضٍ، ويشترط في

الياء أن تكون زائدة، وأن تدل على الخطاب، نحو: أنت تقول: وأنتما تقولان، وأنتم تقولون، وأنت تقولين، وأنثن تقولن، أو على التانيث والغيبة، نحو: هند تقوم، والهندان تقومان، والهندات تقمن، والهنود تقمن، وتقوم الهندان، ونحو ذلك. فخرج نحو تَبَّ أي خَسِرَ. وتَرَمَّسَ بمعنى رَمَسَ. أي تَسَرَّ. فهذا كله ماضٍ، لإصالة التاء في الأوَّل ولعدم الدلالة على الخطاب، أو غيبة المؤنث في الثاني.

حكاية: روي عن بعض ملوك سبته من المعروفين، أنه طلب من الشيخ أبي إسحاق الغافقي شارح الجمل لأبي إسحاق الزجاجي حتى انتهى إلى هذا الموضع؛ فقال له: يجمعه قولك نأيت، بتقديم النون على الهمزة، فقال له التلميذ، يا سيدي، ينبغي أن تقدم الهمزة على النون، فيقول: أنيت لما في ذلك من حسن اللفظ والمناسبة. يكون لكل واحد من هذه الحروف ضعف ما قبله. فإن الهمزة لمعنى واحد للمتكلم وحده. والنون للمعنيين؛ للمعظم نفسه ومعه غيره. والياء لأربعة. فضعف ما قبلها للغائب وللغائبين، وللغائبات. والتاء لثمانية معانٍ. ضعف ما قبلها للواحد المخاطب، وللواحد المخاطبة، وللمذكَّرين المخاطبين، وللمؤنثين المخاطبتين. ولجماعة الذكور المخاطبين. ولجماعة الإناث المخاطبات، وللواحدة الغائبة. نحو هُنَّ تقوم. وللغائبتين نحو الهندان تقومان وما أشبه ذلك، فلما سمع الشيخ كلام تلميذه قال: من يفهم هذه المسألة ليس بمحتاج إلى من يشغله. بل يستحق أن يشغل غيره. ولم يشغله بعد ذلك هـ من السوداني.

الإشارة: فالماضي، أي الزمن الماضي الذي اشتغل فيه صاحبه بأنواع الطاعات والمجاهدات والسياحات في طلب الحق، مفتوح آخره، بالفتح الكبير أبدأ؛ لأن البدايات مجالات النهايات، فمن أشرقت بدايته، أشرقت نهايته. والأمير الذي يوصل صاحبه إلى حضرة الأنس مجزم ومعزوم عليه أبدأ، لا يصحبه فتور ولا قصور. ولا عي ولا ملل بل لم تزل مَطِيَّة عزمه، لا يقر قراؤها دائما تسيارها إلى أن ناخث في حضرة القدس، ومحل الأنس: محل المشاهدة والمواجهة والمكالمة والمفاتحة والمؤانسة: فتصير حضرة معشش قلبه فيها يسكن وإليها يأوي والمضارع أي المتشبه بالقوم. وليس في ناهضة حب وإنما قُضِدَ التزي بأحوال القوم، والتطفل عليهم؛ وهو ما كانت فيه إحدى العلل الأربع الزائدة على الروح والعارضة فيها؛ وهي حب الدنيا، والعز وخوف الخلق، وهم الرزق يجمعها الرضى عن النفس، الذي هو أصل كل معصية، وغفلة وشهوة. وينشأ عن الرضى عن النفس الدعوى فيدعي الوصول، ويقول: أنيت أي قريت من الحضرة ووصلت

إِلَيْهَا. وَبَيَّنَّهَ وَبَيْنَهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَسَبَبَ ذَلِكَ الْغَلْطَ وَالْجَهْلَ الْمَرْكَبَ. وَسَبَبَ الْغَلْطَ عَدَمَ صَحْبَةِ الرِّجَالِ. إِذْ لَا تَعْرِفُ الْمَقَامَاتِ، إِلَّا بِصَبْحَةِ أَهْلِ الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةِ. وَبِاللهِ التَّوْفِيقِ. ثُمَّ ذَكَرَ حَكْمَهُ فَقَالَ (ص) وَهُوَ مَرْفُوعٌ أَبَدًا حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهِ نَاصِبٌ أَوْ جَازِمٌ (ش) يَعْنِي أَنَّ الْمَضَارِعَ إِذَا تَجَرَّدَ عَنِ النَّاصِبِ وَالْجَازِمِ، كَانَ مَرْفُوعًا دَائِمًا. وَهَلْ رَافِعُهُ التَّجَرُّدُ، وَهُوَ مَذْهَبُ حَدَاثِ الْكُوفِيِّينَ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ مَالِكٍ أَوْ وَقَّوعُهُ مَوْضِعَ الْاسْمِ؛ وَهُوَ مَذْهَبُ سَيِّبُونِ، وَجُمْهُورُ الْبَصْرِيِّينَ. أَوْ يَحْزِفُ الْمَضَارِعَ؛ وَهُوَ قَوْلُ الْكَسَائِيِّ، أَيْ بِنَفْسِ الْمَضَارِعَةِ؛ وَهُوَ قَوْلُ ثَعْلَبٍ، أَقْوَالٌ لَا يَنْبَنِي عَلَيْهِ شَيْءٌ. رُبَّمَا يَفْهَمُ مِنْ أَغْنِيَاءِ الْمُصَنِّفِ بِقَوْلِهِ، حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهِ نَاصِبٌ أَوْ جَازِمٌ، إِنْ رَافِعَهُ التَّجَرُّدُ كَمَا اخْتَارَهُ ابْنُ مَالِكٍ. وَقَالَ إِنَّهُ سَالِمٌ مِنَ النَّقْضِ.

الإِشَارَةُ: وَالْمُتَشَبِّهُ بِالْقَوْمِ الْمُتَزَيِّنِ بِزَيَّتِهِمْ مَرْفُوعٌ أَبَدًا؛ لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا خَيْرَ مَعَهُمْ، وَمَنْ تَزَيَّا بِزَيِّ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ. فَلَا يَزَالُ عَزِيزًا مَرْفُوعًا مَا دَامَ مَنْخَرُطًا فِي سِلْكِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهِ نَاصِبٌ فَيُنْصَبُ بِطَلَبِ الدُّنْيَا. أَوْ جَازِمٌ يَرُدُّهُ فَيَقْهَرُهُ عَلَى الرَّجُوعِ عَنْ طَلَبِ الْمَوْلَى، فَيَتْرِكُ صَحْبَةَ الْمَشَايِخِ وَالْفُقَرَاءِ، وَالْوُصُولَ إِلَيْهِمْ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ رَجُوعِهِ إِلَى مَقَامِ الْعُمُومِيَّةِ وَالْعِيَاذِ بِاللَّهِ. ثُمَّ ذَكَرَ النَّوَاصِبَ الَّتِي تَنْصَبُ الْمَضَارِعَ فَقَالَ (ص) النَّوَاصِبُ عَشْرَةٌ (ش) أَيِ إِذَا أَرَدْتَ مَعْرِفَةَ النَّوَاصِبِ، فَهِيَ عَشْرَةٌ مِنْ جِهَةِ التَّقْرِيبِ؛ وَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ، قَسَمٌ يَنْصَبُ بِنَفْسِهِ. وَقَسَمٌ يَنْصَبُ بِأَنْ مَضْمُورَةٌ بَعْدَهَا. فَالْأَوَّلُ أَرْبَعَةٌ؛ وَهِيَ: (ص) أَنْ (ش) بِالْفَتْحِ وَالسَّكُونِ، وَهِيَ الْمَصْدَرِيَّةُ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾. فَإِنَّ النَّاصِبَةَ مَسْبُوقَةَ بِالْمَصْدَرِ مَبْتَدَأًا وَخَيْرٌ خَيْرٌ، أَيْ صَوْمُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ. وَأَمَّا التَّفْسِيرِيَّةُ فَلَا عَمَلَ عَلَيْهِ؛ وَهِيَ الْمَسْبُوقَةُ بِجُمْلَةٍ فِيهَا مَعْنَى الْقَوْلِ دُونَ حُرُوفِهِ كَقَوْلِكَ أَشْرْتُ لَزِيدَ أَنْ يَفْعَلَ، وَكَذَلِكَ الرَّائِدَةُ، نَحْوُ: «وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا»، وَالْمُخَفَّفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ؛ وَهِيَ الْمَسْبُوقَةُ بِعَلِيمٍ، نَحْوُ: «عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى». أَفَلَا يَزُونَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا. وَفِي الْمَسْبُوقَةِ بظنٍّ وَجَهَانٍ، قَرِئَ بِهِمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَةً﴾. وَاعْلَمْ أَنَّ نَاصِبَةً، هِيَ أُمُّ النَّوَاصِبِ، بِدَلِيلِ إِعْمَالِهَا ظَاهِرَةً وَمَقْدَرَةً. وَيَكُونُهَا تَخْلُفُ الْفِعْلَ لِلْإِسْتِقْبَالِ، وَالْبَاقِي مَحْمُولٌ عَلَيْهَا. قَالَ أَبُو حَيَّانَ وَغَيْرُهُ. وَالثَّانِي مِنَ النَّوَاصِبِ (ص) لَنْ (ش)؛ وَهِيَ حَرْفُ نَصَبٍ وَنَفْيٍ وَاسْتِقْبَالٍ. وَهِيَ بَسِيطَةٌ لَا مَرْكَبَةَ مِنْ لَأَ. وَإِنْ حَذَفْتَ الْهَمْزَةَ تَخْفِيفًا. وَالْأَلْفُ لِلتَّنْقِاطِ السَّاكِنَيْنِ. مُسْتَدَلًّا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ فَاحْتِجَّ بِسَبَبِ ذَلِكَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَرْنِي﴾ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى أَبَدًا؛ وَهُوَ بَاطِلٌ. قَالَ فِي الْكَافِيَةِ:

ولن يرى النفس بلن مؤبداً فاردد كلامه وغيره أعضدا
 وَرَدَ عَلَيْهِ بِأَنهَا لَوْ كَانَتْ تَفِيدُ التَّابِيدَ بِذَاتِهَا لَمْ يَقَيِّدْ نَفْسَهَا بِالْيَوْمِ، فِي قَوْلِهِ
 تَعَالَى: ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْشِيَاءً﴾. وَلَمْ يَصْغُ التَّوْقِيتَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنْ نَبْرَحَ
 عَلَيْكَ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوقِنًا﴾ وَأَمَّا التَّابِيدُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾
 فَاسْتَفِيدَ مِنْ خَارِجٍ قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ: هَذَا فِي إِفَادَتِهِ التَّابِيدَ. وَأَمَّا التَّأْكِيدُ
 فَمُسَلَّمٌ. وَمَعْنَاهُ مَكَابِدَةٌ. فَلَا شَكَّ أَنَّ قَوْلَكَ: زَيْدٌ لَنْ يَقُومَ، أَوْ كَذُّ مَنْ قَوْلَكَ زَيْدٌ لَا
 يَقُومُ. وَقَدْ تَرَدَّدَ لِلدَّعَاءِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَنْ تَزَالُوا كَذَلِكَ ثُمَّ لَا زِلْتُ لَكُمْ خَالِدًا خُلُودَ الْجِبَالِ
 قَالَ ابْنُ عَصْفُورٍ، وَخَالَفَهُ الْجُمْهُورُ، وَمَا قَالَهُ ابْنُ عَصْفُورٍ ظَاهِرٌ مِنْ بَيْتِ
 الشَّاعِرِ. وَالثَّلَاثُ: (ص) إِذْنٌ (ش) وَهِيَ حَرْفٌ جَزَاءٌ غَالِبًا، وَجَوَابٌ دَائِمًا. تَقُولُ:
 أَزُورُكَ غَدًا. فَيَقُولُ: إِذْنٌ أَكْرِمَكَ. وَقَدْ تَمَحَّضَ لِلْجَوَابِ دُونَ جَزَاءٍ، تَقُولُ إِنِّي
 أَجِبُكَ. فَيَقُولُ إِذْنٌ أَصَدِّقَكَ. وَلِنَضْبِهَا ثَلَاثَةَ شُرُوطٍ: أَحَدُهَا أَنَّ تَكُونَ مُصَدِّرِيَّةً فِي
 أَوَّلِ الْكَلَامِ، فَلَوْ لَمْ تَصْدُرْ لَمْ تَنْصَبْ. نَحْوُ: وَاعْتَغِرَ الْفَضْلُ بِالْقِسْمِ؛ لِأَنَّ الْقِسْمَ
 يُقْصَدُ بِهِ تَوْكِيدُ الْكَلَامِ، فَكَأَنَّهُ مَثْنٌ، تَقُولُ: إِذْنٌ وَاللَّهِ أَكْرِمَكَ. وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

إِذْنٌ وَاللَّهِ نَزَمِيهِمْ بِحَرْبٍ تُشَيِّبُ الطِّفْلَ مِنْ قَبْلِ الْمَشْيِيبِ
 وَبِلَا الثَّافِيَةِ، نَحْوُ: إِذْنٌ لَا أَهْيَنُكَ. وَأَجَازُ ابْنِ بَابِشٍ إِذَا لِلْفَصْلِ بِالنَّدَاءِ،
 نَحْوُ: إِذَا يَا زَيْدَ أَحْسَنَ إِلَيْكَ، وَأَجَازُ ابْنِ عَصْفُورٍ وَالْأَبْرِي الْفَصْلَ بِالظَّرْفِ، نَحْوُ:
 إِذْنٌ غَدًا أَكْرِمَكَ. وَثَالِثُهَا: أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ مُسْتَقْبَلًا. فَلَوْ كَانَ دَالًّا عَلَى الْحَالِ
 لَأَهْمِلْتُ، نَحْوُ: إِذْنٌ أَكْرِمَكَ الْآنَ؛ لِأَنَّ الْجَزَاءَ إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَأَمَّا
 الْأَمْرُ الْحَاصِلُ فَلَا يُسَمَّى جَزَاءً. وَإِنْ وَقَعَتْ بَعْدَ عَاطِفٍ؛ فَلَا كَثْرَ إِهْمَالِهَا، كَقَوْلِهِ
 تَعَالَى: ﴿وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلْفَكَ﴾ «وَإِذْنٌ لَا يَأْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا». وَقُرِئَ شَاذًا.
 وَإِذْنٌ لَا يَلْبِثُوا فَمَنْ أَلْفَى رَعَى تَقْدُمَ الْحَرْفِ فَكَأَنَّمَا لَمْ تَصْدُرْ، وَمَنْ نَصَبَ رَعَى كَوْنُ
 مَا بَعْدَ جُمْلَةٍ مُسْتَقْلَةٍ. وَنَظُمَ بَعْضُهُمْ هَذِهِ الشُّرُوطَ فَقَالَ:

إِذَا إِذْنٌ أَتَى تَعَالَى أَوَّلًا
 وَشُفْتُ فِعْلًا بَعْدَهَا مُسْتَقْبَلًا
 وَإِذَا إِذْنٌ أَعْمَلْتُهَا أَنْ تَفْقَهُ
 إِلَّا بِحَلْقِي أَلَا نَدَاءٌ أَوْ بَلَا
 وَأَفْصِلَ بِظَرْفٍ أَوْ بِمَجْرُورٍ عَلَى
 رَأْيِ ابْنِ عَصْفُورٍ رَأْسِ الثُّبَلَا
 وَإِنْ تَجِيءُ بِحَرْفٍ عَاطِفٍ أَوَّلًا
 فَأَحْسَنَ الْوُجُوهَ أَلَا تَغْمِلَا

وَقَدْ تَلَفَى مَعَ تَوْفَرِ الشَّرْطِ، لَكِنَّهُ نَادِرٌ كَمَا أُلْفِيَتْ مَا الْجَازِمَةُ، لَعَدَمَ
 اخْتِصَاصِهَا بِالْأَفْعَالِ. وَهَلْ تَكْتُبُ بِالْأَلْفِ مِرَاعَاةَ لِلْوَقُوفِ عَلَيْهَا؛ وَهُوَ قَوْلُ
 الْجُمْهُورِ، أَوْ بِالثُّنُونِ مِرَاعَاةَ لِأَضْلَاهَا. ثَالِثُهَا: التَّفْصِيلُ، إِنْ أَعْمَلْتَ كَتَبْتَ بِالثُّنُونِ،
 وَإِذَا أَهْمَلْتَ كُتِبَتْ بِالْأَلْفِ. وَقِيلَ بِالْعَكْسِ. وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ: اشْتَبَهَ أَنْ
 أَكُونَ يَدٌ مَنْ يَكْتُبُ إِذَا بِالْأَلْفِ؛ لِأَنَّهَا مِثْلُ أَنْ وَلَا يَدْخُلُ التَّنْوِينُ فِي الْحَرْفِ هـ.
 قَالَ السُّودَانِيُّ. وَالرَّابِعُ (ص) كَي (ش) الْمُضَدَّرِيَّةُ؛ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهَا اللَّامُ. إِمَّا لَفْظًا
 كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ أَوْ تَقْدِيرًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ فَإِنْ لَمْ
 تُقَدَّرِ اللَّامُ كَانَتْ حَرْفٌ جَرٌّ بِمَنْزِلَةِ لَا لِلتَّعْلِيلِ، وَكَانَتْ أَنْ مُضْمَرَةً بَعْدَهَا. هَذَا
 مَذْهَبُ سَيِّئِيهِ وَجُمْهُورِ الْبَصْرِيِّينَ، وَذَهَبَ الْكُوفِيُّونَ إِلَى أَنَّهَا حَرْفٌ نَصْبٌ دَائِمًا مِنْ
 غَيْرِ تَفْصِيلٍ، وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهَا حَرْفٌ جَرٌّ دَائِمًا. الْقِسْمُ الثَّانِي، مَا يُنْصَبُ بِأَنْ
 مُضْمَرَةً بَعْدَهَا؛ وَهِيَ سِتَّةٌ. أَحَدُهَا (ص) لَامٌ كَي (ش)، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرًا
 لِتُسَلِّمَ رَبِّكَ الْمَلَكَيْنِ﴾ وَسُمِّيَتْ لَامٌ كَيَ لِمَسَاوَاتِهَا لَكَيَ فِي التَّعْلِيلِ. وَالثَّانِي نَصْبٌ فِي
 الْحَقِيقَةِ، إِنَّمَا هُوَ أَنْ مُقَدَّرَةٌ بَعْدَهَا. وَيَجُوزُ إِظْهَارُهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرًا لِأَنْ أَكُونَ
 أَوَّلَ السَّالِفِينَ﴾. وَجِبَ إِظْهَارُهَا إِنْ وَقَعَتْ بَعْدَهَا لَا، نَحْوُ: «لِيَلَّا يَغْلَمَ». وَثَنَاوِيهَا
 لَامُ الصُّيُورَةِ فِي إِضْمَارِ أَنْ، نَحْوُ: «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا». وَالثَّالِثُ
 وَاللَّامُ الزَّائِدَةُ نَحْوُ: «يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ». وَثَانِيهَا: (ص) لَامُ الْجُحُودِ (ش) أَيِ
 الثَّقَمِ، وَهِيَ الدَّاخِلَةُ عَلَى خَبَرٍ كَانَ، أَوْ لَمْ يَكُنِ الْمَنْفِيَّتَيْنِ. نَحْوُ: «وَمَا كَانَ اللَّهُ
 لِيُعَذِّبَهُمْ» «لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغَيِّرْ لَهُمْ». أَيِ مَا كَانَ اللَّهُ مُرِيدًا لِيُعَذِّبَهُمْ، فَالْفِعْلُ مَنْصُوبٌ
 بَعْدَهَا بِأَنْ مُضْمَرَةً. وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ، مَنْصُوبٌ بِنَفْسِ اللَّامِ. وَثَالِثُهَا (ص) حَتَّى (ش)
 وَهِيَ الْجَارَةُ. وَالْفِعْلُ بَعْدَهَا مَنْصُوبٌ بِأَنْ مُضْمَرَةً وَجُوبًا، نَحْوُ: «حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا
 مُوسَى». هَذَا مَذْهَبُ الْبَصْرِيِّينَ. خِلَافًا لِلْكَوفِيِّينَ، الْقَائِلِينَ بِنَصْبِهَا. وَلَعَمَلُهَا النَّصْبُ
 شَرْطٌ: إِحْدَاهَا أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ بَعْدَهَا مُسْتَقْبَلًا. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَبِّلُوا إِلَهِي تَبَيَّنَ حَقُّ
 نَفْسِي إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ «حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى» فَلَوْ كَانَ حَالًا يَرْفَعُ، نَحْوُ: مَرَضٌ زَيْدٌ حَتَّى
 لَا يَرْجُوهُ؛ لِأَنَّهُ فِي التَّقْدِيرِ، حَتَّى أَنَّهُمْ لَا يَرْجُوهُ، فَهُوَ فِي قُوَّةِ الْمَجْرُودِ وَالِاسْتِقْبَالِ
 يَكُونُ زَمَنُ التَّكَلُّمِ. وَقَدْ يَكُونُ بِاعْتِبَارِ مَا قَبْلَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَزِلُوا حَتَّى يَقُولَ
 الرُّسُولُ﴾ فِي قِرَاءَةِ النَّصْبِ. فَإِنْ قَوْلُ الرُّسُولِ وَمِنْ مَعَهُ مُؤَخَّرٌ عَنِ الزَّلْزَلَةِ. وَأَمَّا
 بِاعْتِبَارِ زَمَنِ التَّلُزُّلِ، فَإِنَّهُ إِخْبَارٌ عَمَّا مَضَى. فَتَكُونُ مُؤَوَّلَةً بِالْحَالِ، فَيَكُونُ رَفْعُهُ،
 وَعَلَيْهِ تَجْرِي قِرَاءَةُ الرَّفْعِ. وَالْمَعْنَى، وَزَلُّوا حَالَةَ الرُّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ. يَقُولُونَ:
 مَتَى نُضْرُ اللَّهَ. فَتَقْدَرُ الْمَاضِي وَالْفِعْلُ الْآنَ، وَتَحْكِيهِ كَأَنَّهُ وَاقِعٌ، فَلْيَرْفَعِ الْمَاضِي بَعْدَ

حتى ثلاثة . فيؤيد . أَخَذَهَا : أَنْ يَكُونَ خَالاً ، أَوْ مُؤَوَّلاً بِالْحَالِ كَمَا تَقَدَّمَ . ثَانِيهَا : أَنْ يَكُونَ الْمَضَارِعُ مُسَبِّباً عَمَّا قَبْلَهُ ، كَمَا فِي الْمَثَالِ الْمُتَقَدِّمِ ، فَإِنَّ الْمَرَضَ سَبَبٌ فِي عَدَمِ الرَّجَاءِ . وَتَقُولُ : سَرْتُ حَتَّى أَدْخَلَ الْبَلَدَ بِالرَّفْعِ بِخِلَافِ مَا : سَرْتُ حَتَّى أَدْخَلَهَا فَالِنَصْبِ وَاجِبٌ ؛ لِأَنَّ السَّبَبَ مُنْفِيٌّ ، وَالْقَيْدُ الثَّالِثُ : كَوْنُ الْمَضَارِعِ فِي ذَلِكَ فِي مَحَلِّ الْفَضْلَةِ ، نَحْوُ : سَرْتُ حَتَّى أَدْخَلَهَا بِخِلَافِ إِذَا كَانَ فِي مَحَلِّ الْعُمْدَةِ ، نَحْوُ : سِيرِي حَتَّى أَدْخَلَهَا ، فَالِنَصْبُ وَاجِبٌ ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ فِي مَحَلِّ الْخَبَرِ ، وَكَذَا قَوْلُكَ : كَانَ سِيرِي أَمِينٍ حَتَّى أَدْخَلَهَا ، إِنْ جَعَلْتَ كَانَ نَاقِصَةً ، وَالْخَبَرُ الْمَجْرُورُ ، فَالِنَصْبُ وَاجِبٌ ، وَإِنْ جَعَلْتَهَا تَامَةً ، فَالرَّفْعُ أَوْ جَعَلْتَ الظَّرْفَ الْخَبَرَ . وَالضَّابِطُ فِي حَتَّى الَّتِي يَرْتَفِعُ الْفِعْلُ بَعْدَهَا ، هُوَ أَنْ يَصْخُ فِي مَوْضِعِهَا الْفَاءُ . فَتَقُولُ فِي قَوْلِهِ : مَرَضَ حَتَّى لَا يَرْجُوهُ ، وَزَلْزَلُوا ، فَيَقُولُ الرَّسُولُ حِينَئِذٍ حَتَّى نُضِرَّ اللَّهُ ، لِأَنَّ الْفَاءَ تَوْذَنَ بِالنَّسَبِ ، وَضَابِطُ حَتَّى الَّتِي يَنْتَصِبُ مَا بَعْدَهَا أَنْ تَجْعَلَ فِي مَوْضِعِهَا كِي التَّعْلِيلِيَّةِ ، أَوْ إِلَى الْغَاثِيَةِ . فَتَقُولُ : «فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : «لَا تُفْضُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا» أَيِ كِي يَنْفَضُوا وَنَظْمَ بَعْضِهِمْ هَذِهِ الْقِيُودَ ، وَهَذَا الضَّابِطُ فَقَالَ :

تَرْفَعُ حَتَّى الْحَالِ أَوْ مُؤَوَّلاً بِهِ فَضْلَةٌ مُسَبِّبَةٌ عَمَّا
مَا قَبْلَهُ كَحَتَّى لَا يَرْجُوهُ يُخْبِرُ ذَا يَجْعَلُ فَاءَ دُونَهُ
وَمَا سِوَاهُ فَانْصَبَتْهُ أَبَدًا وَاخْبِرْ بِكِي كَذَا إِلَى بَلَّتِ الْهُدَى

وَمَعْنَى يَخْبِرُ يَخْتَبِرُ ، أَيِ تَخْتَبِرُ حَتَّى الَّتِي يَرْتَفِعُ بَعْدَهَا الْفِعْلُ ، يَجْعَلُ الْفَاءَ مَوْضِعَهَا ، وَاخْتَبِرَ الَّتِي يَنْصَبُ بَعْدَهَا ، يَجْعَلُ مَوْضِعَهَا كِي . وَقَالَ فِي التَّسْهِيلِ : وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ خَالاً أَوْ مُؤَوَّلاً بِهِ رَفَعٌ . وَعَلَامَةُ ذَلِكَ . صِلَاحِيَّةُ جَعْلِ الْفَاءِ مَكَانَ حَتَّى ، وَكَوْنُ مَا بَعْدَهَا فَضْلَةً مُسَبِّبَةً عَمَّا قَبْلَهَا ذَا مَحَلِّ صَالِحٍ لِلْإِبْتِدَاءِ هـ . فَحَتَّى الرَّافِعَةُ إِبْتِدَائِيَّةٌ ؛ وَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِالْدُخُولِ عَلَى الْجُمْلَةِ اسْمِيَّةٍ أَوْ فَعْلِيَّةٍ ، وَحَتَّى الَّتِي يَنْصَبُ الْفِعْلُ بَعْدَهَا ، جَارَةٌ لِمَصْدَرٍ مُسَبِّكٍ مِنْ أَنْ وَالْفِعْلُ الَّذِي بَعْدَهَا . ثُمَّ ذَكَرَ الثَّامِنَ فَقَالَ (ص) وَالْجَوَابُ بِالْفَاءِ (ش) وَفِي عِبَارَتِهِ قَلَقٌ ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَقُولَ : وَالْفَاءُ فِي الْجَوَابِ ؛ لِأَنَّ الْجَوَابَ هُوَ مَا بَعْدَ الْأَلْفِ ، لَا الْفَاءَ . وَالْمَعْنَى أَنَّ الْفِعْلَ الْمَضَارِعَ يَنْتَصِبُ بَعْدَ فَاءِ السَّبَبِيَّةِ فِي الْجَوَابِ فِي أُمُورٍ : أَخَذَهَا النِّفْيُ الْمَحْضُ ، نَحْوُ : «لَا يُفْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا» . وَالثَّانِي : التَّنْهِي ، نَحْوُ : «لَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي» .

والثالث: الطلب، فيشمل الأمر، نحو: اضرب زيدا فيستقيم، والدعاء، نحو: رب وفقني فلا أعدل عن سُنَنِ الماضين، في خير سنن. والاستفهام، نحو: «قَهْلُ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا». والعرض، نحو: لا تنزل علينا فنكركم. والتخصيص، نحو: هَلَا تَأْتِنَا فتنزل عندنا. والفرق بينهما، أن العرض تكون برفق ولين. والتخصيص يكون بحث وإزعاج، والرابع التمني. نحو: «بَلِّغْنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَافُوزَ». والخامس: الترجي، نحو: «أَلْعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلِعَ». قراءة حفص؛ وهو مذهب الكوفيين، ورجح ابن مالك ثبوته في النثر الصحيح كما تقدم في الآية وإليه أشار في الألفية بقوله:

وَالْفَاءُ بَعْدَ الْفَاءِ فِي الرَّجَاءِ تُصِيبُ كَنُصْبٍ مَا إِلَى التَّمْنِي يَنْتَسِبُ

فرع: إذا أسقطت هذه الفاء وقصد الجواب، جزم الفعل. نحو: اضرب زيدا ليستقيم، ومنه قوله تعالى: «قُلْ تَكَلَّوْا أَتْلُ». وهل جزمه بأن مقدرة أو بالجملة لتضمناها معنى الشروط، قولان. وهي الحكم يجري في الأمور الخمسة. إلا في النفي المنخفض. فلا يجزم الفعل بإسقاطها؛ لأنه لا يستقيم تقدير أن قبله. ويشترط في جواب النفي تقدير ألا تفعل موضعه، فإن لم يصح تقديره رفع. تقول: لا تَذْنُ مِنَ الْأَسَدِ تَسْلَمُ بالجزم، لأنك تقول: لا تَمْدَنُ تَسْلَمُ بخلاف لا تَذْنُ مِنَ الْأَسَدِ يَأْكُلُكَ. فيجب رفعه؛ لأنه لا يصح أن تقول: ألا تدن من الأسد يأكلك. قال في التسهيل: فإن لم يُحَسَّنْ إقامة أن يَفْعَلَ مقام الأمر. وألا تفعل مقام النفي لم يجزم جوابها خلافاً للكسائي هـ. وقال أيضاً: ويرفع مقصوداً به الوصف أو الإِسْنَاد هـ. قلت: مثال الأمرين قوله تعالى: «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْثُنِي». «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ» فيصح فيه الجزم على الجواب، والرفع على الوصفية، أو الاستئناف. ثم قال: والأمر المدلول عليه بالخبر قولك: اتق الله امرؤ، وأفعل خيراً ثب عليه، ومنه قوله تعالى: «هَلْ أَذْكَرُ عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ مِنْ عَذَابِ آلِمِ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ» ثم قال: «يَغْفِرْ لَكُمْ». أي آمِنُوا وَجَاهِدُوا يغفر لكم. ومثال اسم الفعل صه نكلمك، وحسبك الحديث ينم الناس.

تنبيه: إذا نُصِبَتِ الْفِعْلُ بَعْدَ الْفَاءِ. في جواب ما تقدم، ثم عطفت عليه فعلاً آخر يصح فيه الجزم بالعطف على المحل، والنُصْبُ عطفاً على اللفظ. ثم اعلم أن هذه الفاء، مع كونها تؤذن بالجواب، هي على أصلها من العطف عطفت مضدراً مسبوكاً من الفعل بعدها على مصدر مؤمهم مأخوذ من الفعل السابق. فالتقدير في

قوله تعالى: ﴿لَا يَنْفَعُ عَلَيْهِمْ قِيمُوتُهُمْ﴾ أي لا يكون قضاء بموت. «وَلَا تَطْعُمُوا فِيهِ فَيْحَلْ» أي لا يكن طغياناً فعل غضب. وهكذا فيما بقي ولذلك لم يجز النضب في غير الثني والطلب المنخضين. فتأمل. وما قوله (ص) والواو (ش) فينبغي أن يجعل معطوفاً على قوله. والجواب أن يكون مرفوعاً على الفاء، لئلا يقتضي أن الواو تكون في الجواب. فإن الواو هنا ليست للجواب فقط. وإنما هي وار المعية التي أضلها العطف. فالمراد حينئذ أن المضارع ينتصب بعد الواو التي تفيد معنى مع. حيث وقعت بعد الثني والطلب بأقسامه السابقة، على مقتضى القياس لكن لم يسمع ذلك في جميعها، والمسموع من ذلك في الثني. نحو: «وَلَمَّا يَغْلِمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ». أي لم يكن علم جهاد منكم مع علم صبر. والمراد على ظهور. وفي الثني نحو قوله:

لَا تَنَّةَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ عَارَ عَلَيْكَ إِذَا قَمَلَتْ عَظِيمُ
وقوله لا تأكل السمكة وتشرب اللبن بالنضب. أي لا تجمع بينهما، ويصح الجزم، فيكون نهي عن كل واحد منهما. والرفع على الاستئناف. أي لا تأكل السمكة، ولك شرب اللبن. وفي الأمر كقول الشاعر:

قلت ادعي وأدعو أن أندي لصوت أن ينادي ذا عيان
أي ليكن منك دعاء مع دعائي، وفي التمني كقوله تعالى: ﴿يَلَيْلَتَا تَرَدُّ وَلَا تَكْذِبَ يَكَايَتِي رَبًّا﴾. ونكون في قراءة للنضب في نكون وأما تَرَدُّ فخير ليت، ونكذب عطف عليه، أي يا ليتنا يكون منا ردّ للذنب مع إيمان. وفي الاستفهام، كقول الشاعر:

أتيت ريان الجفون من الكرا وأبيت منك بلسعة الملسوع
وتقول في العرف والتضيض والدعاء: ألا تأتنا وتحدثنا. هلاً تأتنا وتحدثنا. رب وفقني وأتوب علي. وأما إن كانت الواو لا تفيد المعية، وإنما هي لمجرد العطف: والفعل بعدها معطوف على ما قبله، فيجري عليه ما جرى على ما قبله، من رفع ونضب وجزم، وقد تجتمع الوجوه الثلاثة في مثال واحد، كما تقدم في قولهم: لا تأكل السمكة وتشرب اللبن. فإن أراد النهي عن اجتماعهما افتراقاً، جزمًا معاً، وكسر الثاني للقاء الساكنين. وإن أراد النهي عن اجتماعهما فقط نصّب وإن نهى عن الأول فقط، وأباح الثاني رفع. والله تعالى أعلم. (ص) أو (ش) فإنها

تَنْصِبُ المضارع بعدها بأن مضمرة وجوباً، وضابطها أن يصلح موضعها إلى وإلا أو حتى، فالأول: إِذَا كَانَ ما قبلها ينقضي شيئاً فشيئاً كقول الشاعر:

لَا تَسْتَسْهِلَنَّ الصُّعْبَ أَوْ أدركَ المُنَا فما انقذتِ الآمالَ إِلَّا لِصَابِرٍ
أي لَا تَرْكِبَنَّ الأمورَ الشَّاقَّةَ، واستسهلِ الصَّعْبَ إلى أن أدركَ ما تَتِمُّهُ.
والثاني: إِذَا كَانَ ينقضي دفعةً ولعدة، كقول الشاعر:

وَكُنْتُ إِذَا عَمَزَتْ قَتَاةٌ يَوْمَ كُرْتُ كَعُوبِهَا أَوْ تَسْتَقِيمُ

أي إِلَّا أَنْ تَسْتَقِيمَ. أو تقول: لَا قَتْلَنَّ الكَافِرَ أَوْ يَسْلَمَ، أي إِلَّا أَنْ يَسْلَمَ.
والثالث: إِذَا كَانَ عَلَةً لِمَا قَبْلَهُ، نحو: لَا تَنْظُرْنِي أَوْ يَجِيءُ أي حَتَّى يَجِيءَ؛ وهي في هذا كله عاطفة مصدرًا مؤوَّلاً، من دخولها على مصدر متوهم من الفعل الذي قبلها، فإذا قلت: لَا قَتْلَنَّ الكَافِرَ أَوْ يَسْلَمَ، كانت تقدير: ليكن مني قتل للكافر أو إسلام منه. وقس عليه أمثاله. فإن لم تكن أَوْ بِمَعْنَى الحروف المذكورة، فقد ينتصب المضارع بَعْدَ مَا بَانَ. لكن لأيّ جب إضمارها، بل يجوز الأمران، ومنه قوله تعالى، في قراءة ابن كثير: «أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا» فأَوْ عاطفة على وخياً، أي أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَخياً، أو إرسال رسول، وإليه أشار في الألفية بقوله:

وإن علم اسم خليص فعلاً عَطِفَ نصبه أن ثابتاً أو من حذف

فَتَحْصَلَ أَنَّ أَنْ بِالنُّسْبَةِ إلى إظهارها وإضمارها ثلاثة أقسام: قسم يجب إضمارها، وذلك بعد الفاء الواقعة في جواب الطلب والنفي المخضين، وبعد واو المعية. وبعد حتى، وبعد أو المقيدة بما مر، وبعد لَامَ الجحود. فهذه خمسة مواضع. وقسم يجب فيه إظهارها وإضمارها وذلك بعد لَامَ كَيٍّ، من غَيْرَ لَاءٍ. وبعد أَوْ، والواو والفاء، وثم العاطفة على اسم خالص، كما تقدّمت الإشارة إليه والله تعالى أعلم. ثم شرع في الجوازم فقال (ص): والجَوَازِمُ ثمانية عشر (ش). قلت: التحقيق أنها خمسة عشر فقط. وأما أَلَمْ وَأَلَمَّا، فَهِيَ لَمْ وَلَمَّا، بزيادة هَمْزَةِ التقرير، وهي على قسمين. ما يعجزم فعلاً واحداً وهي ثمانية على ما ذكر الناظم فأشار إلى أولها بقوله: (ص) وهي لَمْ (ش)، نحو: لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. فلم حرف جَزَم ونفي وَقَلْب؛ لأنها تقلب المضارع إلى الماضي. وفي قلبها للمعنى أو اللفظ قولان. فعلى الأول، هي داخلة على المضارع الصالح للحال أو الاستقبال. فتقلب معناه إلى النفي في الماضي، وعلى الثاني؛ هي داخلة على لفظ الماضي فتقلب لفظه إلى

المضارع . والاول أَرْجَحُ . (ص) وَلَمَّا (ش) وهي أيضاً حَزَمَ وَنَفَى وَقَلَبَ . كما في لَمْ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ . «وَلَمَّا يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ» «وَلَمَّا يَذُرُقُوا عَذَابٍ» . وتشترك لَمْ في أُمُورٍ . وتفترق في أُمُورٍ . فيشتركان في الحرفية ، والجزم والثني والقلب . ويفترقان في أن الثني قد يتصل بزمان الحال ، وقد لا يتصل . تقول : لَمْ يَقَمْ زَيْدٌ بِالْأَمْسِ . وَإِنْ كَانَ قَدْ قَامَ بَعْدَ ذَلِكَ . ومثله قوله تعالى : ﴿قُلْ أَقْبَلَ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ لَمْ يَنْفَخْ الْفُخْرُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ . وقد كَانَ بِخِلَافِ الثَّانِي بَلَمَّا ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَّصِلَ بِزَمَانِ الْحَالِ . تقول : لَمْ يَقَمْ زَيْدٌ . إِذَا كَانَ ثَنِي قِيَامِهِ مُسْتَمِرًّا لِرِمَانِ الْحَالِ . ومثله قوله تعالى : وَ ﴿لَمَّا يَذُرُقُوا عَذَابٍ﴾ فَإِنْ كَفَارَ قَرِيشٌ لَمْ يَكُونُوا ذَاقُوا الْعَذَابَ حِينَ نَزَلَتِ الْآيَةُ . وفي أَنْ مَنَعِي كَمَا يَتَوَقَّعُ ثَبُوتُهُ فِي الْغَالِبِ ، كَالْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، أَيِ وَسَيَذُوقُهُ ، وكقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ . أَيِ وَسَيَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ . «وَلَمَّا يَجْتَمِعُ الضُّدَّانِ» . وَلَا يَصِحُّ أَنْ تَقُولَ : وَلَمَّا يَتَّبِ إِبْلِيسُ . وتقول : لَمْ يَتَّبِ إِبْلِيسُ ؛ لِأَنَّ تَوْبَتَهُ مُحَالٌ عَرْضِي ، وفي إِنْ لَمْ قَدْ يَدْخُلُ عَلَيْهَا أَدَوَاتُ الشَّرْطِ ، نَحْوُ : «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا» ، بِخِلَافِ لَمَّا ، وفي أَنْ لَمَّا يَجُوزُ ، حَذَفَ مَجْزُومَهَا ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

فَجِئْتُ قَبُورَهُمْ بَذَاءً وَلَمَّا أَيِ وَلَمَّا أَكُنْ بَذَاءً
بِخِلَافِ لَمْ . فلا تقول : جِئْتُ بَغْدَادَ وَلَمْ ، أَيِ وَلَمْ أَدْخُلَهَا إِلَّا فِي الْضُرُورَةِ . قال في التسهيل : وقد تلي لَمْ معمول مجزومها اضطراراً . وقد لَا يَجُزَمُ بِهَا جَمَلًا عَلَى لَا هـ . وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَنَصَّبَ بِهَا ، كَقِرَاءَةِ بَعْضِهِمْ . أَلَمْ نَشْرَحَ . (ص) وَأَلَمْ وَالْمَا (ش) : هُمَا لَمْ وَلَمَّا . دَخَلَتْ عَلَيْهِمَا هَمْزَةُ التَّقْرِيرِ أَوْ التَّوْبِيخِ . فالأول كقوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ والثاني : كقول الشاعر : «على حين عاتبت المشيب على الصبا» فقلت أَلَمَّا أَصَحَّ وَالْمَشِيبَ وَازْعُ . فالهمزة للتوبيخ . وَأَصَحُّ مَجْزُومٍ بِحَذْفِ الْوَاوِ ، وَيُقَالُ صَحَاً يَضْحُو . إِذَا فَاقَ مِنْ سَكْرَتِهِ ، وقال آخر :

الْمَا تَعْرِفُوا مَنَا الْيَقِينِ أَلَمَّا تَعْرِفُوا مَنَا وَمِنْكُمْ
كشباب يطعمن ويرتمين .

(ص) وَلَامَ الْأَمْرَ (ش) : نَحْوُ : «لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ» . (ص) وَالذَّعَاءُ . (ش) نَحْوُ : «لِيَقْضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ» . ابن هشام وجزمهما فعلى المتكلمين المبنيين للفاعل قليل نحو قوموا فَلَا حَالُ لَكُمْ . ولتحمل خطاياكم . وَأَقْلُ مِنْهُمَا جَزْمُهُمَا لِفِعْلِ الْفَاعِلِ الْمُخَاطَبِ ، نَحْوُ : فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا فِي قِرَاءَةِ يَعْقُوبَ . وقوله عليه

السلام: لتأخذوا مصافاكم، والأكثر الإغناء عن هذا بفعل الأمر هـ. وهما لأم الطلب، فإن كان من الأعلى إلى الأدنى فأمر، وإن كان من الأدنى فذعاء، وإن كان من المتماثلين فالتماس كقولك لِمَنْ يُساويك لتستقم يا زَيْد. وتسكينها بغد الواو والفاء، أكثر من تحريكها. نحو: «فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي». وقد تسكن بغد ثم. نحو: «ثم ليَقْضُوا» في قراءة من سَكَن. قال في التسهيل: منها لأم الطلَب مكسورة، وفتحها لغة. وقد تسكن بغد الفاء والواو، ثم وتلزم في الثَّور، في فعل غير الفعل المخاطب به مطلقاً خلافاً لِمَنْ أجاز حذفها في نحو: قلْ لَهُ لِيَفْعَلْ هـ. ومن حذفها قول الشاعر:

مَحَمَّدٌ تَفْدِي نَفْسَكَ كُلَّ نَفْسٍ إِذَا مَا خَافَتْ مِنْ أَمْرٍ تَبَالَا
أَي لَتَفْدِي. (ص) وَلَا فِي التَّهْيِي (ش): نحو: «لَا تَوَاحِدْنَا» والفرق بينهما ما تقدم في الأمر والذعاء، فإنَّ التَّهْيِي طلب الكَفِّ. فَإِنْ كَانَ مِنَ الْأَعْلَى فَتَهْيِي. وَمِنْ الْأَدْنَى ذُعَاءٌ. ومن المساوي التماس. والطلب يشمل الجميع، ولذلك اقتصر في الألفية عليه فقال:

قَالَتْ بَنَاتُ الْعِلْمِ يَا سَلَمًا وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا مَعْدُومًا قَالَتْ وَإِنْ
أَي وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا مَعْدُومًا تَتَزَوَّجُهُ، ومنها جواز حذفها عند بعضهم، والجمهور منعه، ومنها أنه يجوز إيلاؤها الاسم على إضمار الفعل، نحو: «وَإِنْ أَخَذَ مِنَ الْمَشْرِكِينَ اسْتِجَارَكَ» أي، وَإِنْ اسْتِجَارَكَ أَخَذَ (ص) وَمَا (ش)، نحو: «وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ». «مَا تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا»، وهي اسم موضع للدلالة على من لا يغفل ثم ضمن معنى الشرط (ص) ومن (ش) وهي اسم وُضِعَ للدلالة على مَنْ يَغْفُل، ثم ضَمَّنَ مَعْنَى الشَّرْطِ، نحو: «وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَ بِهِ» (ص) وَمَهْمَا (ش)؛ وهي اسم موضع للدلالة على مَنْ لَا يَغْفُل، كما ثم ضمن معنى الشرط، نحو قوله تعالى: «مَهْمَا تَأْتَا مِنْ آيَةٍ لِنَسْخَرَنَّ بِهَا فَمَا تَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ» ومن آية حال من الضمير المجرور، ولتَسْخَرَنَّ منصوب بلام كَي، وجُمْلَةٌ فَمَا تَحْنُ الخ جَوَابُ الشَّرْطِ. (ص) وَإِذْمَا (ش) عند سيبويه حرف موضوع للدلالة، على مجرّد تعليق الجواب على الشرط. وعند غيره اسم موضع للدلالة على الزَّمانِ، ثم ضَمَّنَ مَعْنَى الشَّرْطِ كقول الشاعر:

وَإِنْكَ إِذْ مَا تَأْتِ مَا أَنْتِ أَمِيرٌ بِهِ تَلْقَى مِنْ إِيَّاهُ تَأْمُرَاتِيَا

فتأت فعل الشرط: وتلق جوابه: جُزِمَا بحذف الياء (ص) وأي (ش) وهو اسم متردّد بَيْنَمَا تَقْدَمُ، وَمَا سِيَّاتِي، بِحَسَبِ مَا يُضَافُ إِلَيْهِ، فهو في قولك: أَيُّهُمْ يَاقُمُ أَقِمُ مَعَهُ: بمنزلة من وفي قولك: أَيُّ دَوَابٍّ تَرْكَبُ ارْكَبْ، بِمَنْزِلَةِ مَا. وفي قولك: أَيُّ يَوْمٍ تَصُومُ أَصُومُ بمنزلة مَتَى. وفي قولك: أَيُّ مَكَانٍ تَجْلِسُ أَجْلِسْ فيه، بمنزلة أَيْنَ. وقوله تعالى: ﴿أَيُّهَا تَدْعُوا﴾ لا بمعنى أَيُّ اسم تدعو. فأَيُّا مفعول بتدعو. وما صَلَّةٌ، وتدعوا فعل الشرط مجزوم بحذف الثون. وجُمْلَةٌ فله الأسماء الحسنَى في محلّ جَزَمِ جواب أَي قَالَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُعَرَّبِينَ، والذي يظهر لي أن الجواب محذوف، دلّ عليه جملة فله الأسماء الحسنَى. والتقدير: أَيُّ اسم تدعوا بِهِ فهو اسمُهُ. فله الأسماء الكثيرة الحسنَى، فبأي اسم دَعَوْتُمُوهُ فهو اسمُهُ. (ص) وَمَتَى وَأَيَّانَ (ش) وهما مَوْضُوعَانِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الزَّمَانِ، ثُمَّ ضُمُّنَا مَعْنَى الشَّرْطِ، فمثال الأول، قول الشاعر:

مَتَى تَأْتِيَنَا تَلَمُّمٌ بِنَافِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَظْبًا جَزَلًا وَتَارًا تَأْجُجَا
ومثال الثاني قوله:

أَيَّانَ نُؤْمِنُكَ تَأْمَنُ غَيْرِنَا وَمَتَى لَمْ تُذِرْكَ الْأَمَنَ مِمَّا لَمْ تَزَلْ حَظَرَا
فمتى وَأَيَّانَ منصوبان على الظرفية الزمانية، بمعنى أي وقت، والعامل فيهما فعل الشرط التالي لهما. فَهُمَا عَامِلَانِ مَعْمُولَانِ، والجهات منفكة. (ص) وَأَيْنَ (ش) كقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾. وهي موضوعة للدلالة على الْمَكَانِ، ثُمَّ ضُمُّنَتْ مَعْنَى الشَّرْطِ. (ص) وَأَيُّ (ش) هي كَأَيْنَ في المعنى، كقول الشاعر:

خَلِيلِي أَنَّى تَأْتِيَانِي تَأْتِيَانَا أَخَا غَيْرِ مَا يَرْضِيكُمَا لَا يَحَاوِلُ
فتأتيناني فعل الشرط مجزوم بحذف النون، والنون الباقية: نون الوقاية، وتأتينا جَوَابُهُ مجزوم بحذف الثون. وقد تكون استفهامية فقط، كقوله تعالى: ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ أَي مِنْ أَيْنَ. وتكون ظرفية فقط كقوله تعالى: ﴿فَأَتُوا حَرَّكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي من أي مَكَانٍ شِئْتُمْ، مع اتحاد المَحَلِّ. وفي أي وقت شِئْتُمْ (ص) وَخَيْشُمَا: (ش) هي ظرف مَكَانٍ أَيْضًا، ضمن معنى الشرط، كقول الشاعر:

خَيْشُمَا تَسْتَقِمُّ يُقْدِرُكَ اللَّهُ نَجَاحًا فِي غَايِرِ الْأَزْمَانِ

أَيُّ أَيُّ مَكَانٍ تَسْتَقِمُّ فِيهِ مَعَ زَيْدٍ، يَقْدِرُ لَكَ نَجَاحًا وَفَلَاحًا وَظَفَرًا، بكل ما

تريد في الأزمان الباقية من عمرك؛ لأن استقامة الصَّغَرِ تَصُونُ عَوَاقِبَ الْكِبَرِ، وتقي أَرَذَلَ الْعُمُرِ، وَلَا تُجْزَمُ حَيْثُ إِلَّا إِذَا كَانَتْ مَعَهَا مَا. وَإِلَّا لَمْ تَجْزَمْ. وكذلك إِذَا مَا وَأَمَّا (ص) كَيْفَمَا (ش) فَلَا تَجْزَمْ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ. وقال الكوفيون: تجزم قياساً على حيثما، ووافقهم قطرب كالمؤلف؛ وهي موضوعة للدلالة على الحال، ثم ضمنت معنى الشرط. وَلَا تَجْزَمْ إِلَّا فَعْلَيْنِ مُتَّفَقَيْنِ لَفْظاً وَمَعْنَى. نحو: كَيْفَمَا تَصْنَعُ أَصْنَعُ، وَكَيْفَمَا تَجْلِسُ أَجْلِسُ وظاهره حيث نطق بها، بما أنها لَا تَجْزَمْ إِلَّا مقرونة بها كحيثما؛ وهي رأي قوم. وقال الكوفيون تجزم بها مطلقاً. وقال البصريون لَا مطلقاً. وإنما يجازى بها وَلَا تَجْزَمْ، ويوجد في بعض النسخ بعد الثمانية عشر (ص) وَإِذَا فِي الشَّعْرِ: (ش) قال الزجاجي في الجمل: وَلَا يَجْزَمْ بِإِذَا إِلَّا فِي الشَّعْرِ:

وَأَنشُد:

إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَتْ وَصَلْنَا خُطَاباً إِلَى أَعْدَائِنَا فَنَضَارِبُ
قال بعض شراحه: وإنما لم يجزم بها؛ لأن حق ما يجزم به، ألا يدري أَيْكون أم لا. وما بعد إِذَا معلوم؛ كَوْنُهُ، كقولك: إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَأَتَيْتَنِي. ولو قلت: إِنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ لَمْ يُخَسَّنْ. وَمِنْ أَعْمَالِهَا أَيْضاً قول الشاعر:

اسْتَفْنِ مَا أَغْنَاكَ رُبَّكَ بِأَلْفِنَا وَإِذَا تُصِيبُكَ خَصَاصَةٌ فَتَجْمَلِي
أي استغن بالله عَمَّنْ سِوَاهُ. وَلَا تَفْتَقِرْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا تَطْمَعِ فِي أَحَدٍ سِوَى خَالِقِكَ. مَدَّةُ مَا أَغْنَاكَ اللهُ بَغْنَاهُ الْحَسْبُ أَوْ الْمَعْنَوِي. وَإِذَا تُصِيبُكَ حَاجَةٌ وَفَاقَةٌ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا؛ وهو الذي لَا شَكْوَى مَعَهُ لِأَحَدٍ.

تَنْبِيهَاتُ: الأول: هذه الأدوات منها ما هو حَرْفٌ باتفاق، ومنها ما هو مختلف فيه كما تقدَّم. ومنها ما هو اسم غير ظرف. ومنها ما هو اسم غير ظرف. ومنها ما هو ظرف مكان، ومنها ما هو ظرف زمان، وقد نظَّم ذلك بعضهم فقال:

سَائِلًا عَنْ أَدْوَاتِ الشَّرْطِ قَاصِغٌ لِمَا ذَكَرْتَ وَأَلْهَمَ بَسْطِ
إِنْ بَاتِفَاقِي حَرْفٌ إِذْ مَا لِلْإِمَامِ وَعِنْدَ غَيْرِهِ لِلْأَسْمَاءِ تُضْمُ
مِنْهَا وَمَا وَمَنْ وَكَيْفَمَا أَجْمَلًا أَسَاسِيًّا غَيْرَ مَظْرُوفٍ مُسَجَّلًا
وَحَيْثَمَا أَنَّى وَأَيْنَ لِلْمَكَانِ مَتَى وَأَيَّانَ وَإِذَا مَا لِلزَّمَانِ
إِذَا بِشِعْرِهِمْ لَوْ قَتَّ تَنَسَّبُ أَيُّ لِمَا أَضْفَتِ حَقًّا تُخَسَّبُ

الثاني: هذه الأدوات، بالنسبة إلى حقوق ما بها على ثلاثة أقسام قسم لا يجوز لحوقها بها وهي: مَنْ، وَمَا، وَمَهْمَا، وقسم يكون لحوقها بها شرطاً في عملها، وهي إذْ وحيث، وقسم يجوز لحوقها بها وعدمه، وهو إِنْ ومتى وأَيْنَ وأَيُّ وأَيَّانَ.

وأما كيفاً فبمن القسم الثاني عند قَوْمٍ؛ وهو ظاهر كلام المصنف، ومن القسم الثالث في رأي الكوفيين وقطرب. وأما إذا، فالظاهر أنه من القسم الثالث هـ. قاله السوداني. الثالث: فعل الشرط والجواب، قد يكونان ماضيين أو مضارعين، أو متخالفين. فإن كان الأول ماضياً والثاني مضارعاً جاز رفع المضارع كقول الشاعر:

وإن أتاه الخليل يوماً مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم
وجازم الشرط الأدوات على المشهور. وأما الجواب، فقال محققو
البصريين: الأدوات. والأخفش: الشرط، وسيبويه والخليل هما معاً. والكوفيون
الجواز. ونقل ابن جني عن الأخفش أيضاً أنهما تجاز ما قال في التسهيل: وجزم
الجزء بفعل الشرط لا بالأداة وحدها ولا بهما. ولا على الجواز، خلافاً للزاعمي
ذلك. الرابع: إذا لم يصح الأداة لمباشرة الشرط، قُرِنَ بِالفاء، أو بإذا الفجائية؛ إن
كانت الجملة اسمية، وعدم صلاحية ذلك في ست مسائل: الأولى: أن تكون
الجملة اسمية، نحو: أي يقيم زيد فَعَمَرُوْهُ قائم ونحوه، وإن تجدد إذا لنا مكافأة.
ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِإِنْ تُبِيتُمْ سِتَةً يَمَا فَدَمَتْ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾. الثانية: أن
تكون فعلية فاعلها جامد، نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَوْا أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا فَعَسَىٰ
رَيْحٌ﴾ الخ. الثالثة: أن يكون فاعلها إنشائية، كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾
فَاتَّبِعُونِي. الرابعة: أن يكون فاعلها ماضياً لفظاً أو معنى. إما حقيقة نحو: ﴿إِنْ يَسْرِقْ﴾
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ. وإما مجازاً، نحو: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْبَتْ وَجُوهُهُمْ﴾
في النار. هذا الفعل لتحقق وقوعه منزلة ما وقع، وإنما لم يصح مباشرة هذا
الفعل للأداة، لأنها تخلص للاستقبال، والغرض من هذا الفعل، هو بقاؤه على
مضيه، فلا يصلح لمباشرة. الخامسة: أن تَقَرَنَ بحرف استقبال، كقوله تعالى: ﴿مَنْ
يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْرٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾. ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ
يُكْثَرُوا﴾. السادسة: أن تَقَرَنَ بحرف له الصدر نحو: إِنْ تَأْتِنِي فَمَا تَرَىٰ مِنِّي إِلَّا
الخير الجليل. وقد أشار إلى هذا كله في الألفية بقوله:

وَأَقْرَبُ بِهَا حَتْمًا جَوَابًا لَوْ جُعِلَ شَرْطًا لِأَنَّهُ أَوْ غَيْرَهَا لَمْ يَنْجَعِلْ
وَتَخَلَّفَ الْفَاءُ إِذَا الْمَفْاجَأَةُ كَلِمَةٌ تَجِدُ إِذَا لَنَا مُكَافَأَةٌ
الخامس: يجوز حذف الشرط إن كانت الأداة إن مقرونة.

كقول الشاعر:

فَطَلْتُهَا فَلَسْتُ لَهَا بِكُفٍّ وَإِلَّا يَغْلُ يَفْرُقُكَ الْحُسَامُ
أي وإلا تطلقها، وهو كثير. ويجوز حذف الجواب إذا عُلِمَ. كقوله تعالى: ﴿إِنِ اسْتَفْطَيْتَ أَنْ تَبْلُغَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية. أي فافعل، ويجب حذفه إن دُلَّ عليه
ما تقدم، نحو: أنت صالح إن فعلت. وقد يحذفان معاً، إن دُلَّ عليهما دليل كما
تقدم في قول الشاعر:

وإن كان فقيراً معدوماً قالت. وإن، وبالله التوفيق.

الإشارة: والنواصب التي تنتصب للعبد، وتمنعه من الوصول إلى ربه، عشرة
حب الدنيا، والجاه والمال، وهم الرزق، وخوف الفقر، ومراقبة الخلق وسوء
الظن بأهله النسبة، وإنكار، وجود أهل الخصوصية. وإنكار أهل التربية، والشفقة
على النفس، حتى لا يقدر على مخالفتها، ورذها عن هواها.

والجوازيم التي تجزئها، وتحرمه من الخصوصية ثمانية عشر: الكبر،
والحسد، وحب العلو، والعجب، والرياء، وعدم الخضوع للأولياء، والانتقاد
عليهم، والطمع على الفقراء، والطمع في الخلق، والخوف منهم، والميل إلى أهل
الظلم والزكون إليهم. والوقوف مع المقامات والكرامات، وحلاوة الطاعات.
والاستغراق في علم الرسوم والتجند مع ظاهر الشريعة، والتعرف للعلويات،
والظهور قبل التمكين. وبالله التوفيق.

ولما فرغ من الأفعال، شرع في الأسماء؛ وقسمها إلى ثلاثة أقسام:
مرفوعات، ومنصوبات، ومخفوضات، وبها ختم، وبدأ بالمرفوعات فقال:

بَابُ مَرْفُوعَاتِ الْأَسْمَاءِ: أي هذا باب أذكر فيه المرفوعات من الأسماء،
فالإضافة على معنى من. وإنما جاز جمع المرفوعات والمنصوبات والمخفوضات
بالألف والناء، مع أن معناها مذكّر، لأنها صفة للفظ، وما لا يغفل، يجوز فيه
الأمران، كقوله تعالى: ﴿الْحَيُّ أَشْهُرُ مَعْلُومَتٌ﴾. وبدأ بالمرفوعات لأنها عند، لا
يخلو منها كلام، فإن قلت: قد يكون عمدة وهو منصوب، كاسم إن، وخبر كان،

ومفعولي ظَنُّ. والفاعل المجرور بالباء، قلت: أضل هذه الأشياء كلها عند مرفوعة، ونُضِبُهَا عَارِضٌ. وكذلك جرُّ الفاعل بالباء الزائدة، كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾، أضله: كَفَى اللّهُ شَهِيداً، كما قال الشاعر:

كَفَى الشَّيْبَ وَالْإِسْلَامَ لِلْمَرْءِ نَاهِيَاً. قال ابن عَقِيل: حقيقة العُمدة: ما عُدِم الاستغناء عَنْهُ. أصيلاً لَا عَارِضاً كالمبتدأ هـ. والْفُضْلَةُ: ما جَارَ الاستغناء عَنْهُ، أصيلاً لَا عَارِضاً. وعروض امتناع الاستغناء عن الْفُضْلَةِ، لَا يُخْرِجُهَا عَنْ كَوْنِهَا فَضْلَةً، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْشُرُ بِكُشْرٍ جَبَّارِينَ﴾ ثم عَدَمًا فقال: (ص) المرفوعات سبعة وهي الفاعل والمفعول الَّذِي لَمْ يَتِمَّ فَاعِلُهُ. (ش) ويقال فيه الثَّابِتُ عن الفاعِلِ، وسيأتي. (ص) والمبتدأ وَخَبَرُهُ (ش) نحو: اللّهُ رَبُّنَا. ومحمَّد نبينا. (ص) وَاسْمُ كَانَ وَأَخَوَاتِهَا (ش) نحو: «كَانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً». (ص) وَخَبَرُ إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا (ش) نحو: «إِنَّ اللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ». (ص) والثَّابِتُ لِلْمَرْفُوعِ (ش) قدَّم الفاعل؛ لأنه أضل المرفوعات، ثم نائبه؛ لأنه مبتدأ وَخَبَرُهُ، لأنه فاعل معنى. لكون الْخَبَرِ مُسْتَنَدًا، والمبتدأ مُسْتَنَدًا إِلَيْهِ، فقولك زَيْدٌ قَاتِمٌ، بمنزلة قَامَ زَيْدٌ. ثم اسْمُ كَانَ وَأَخَوَاتِهَا؛ لأنه مبتدأ في الْأَصْلِ، ثم خَبَرُ إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا؛ لأنه خبر في الْأَصْلِ، ثم التابع؛ لأنه مؤخر عن المتبوع، ويبيِّنُه فقال (ص) وهو أربعة أشياء: الثَّغْتُ والعطف والتوكيد والبَدَل. (ش) ودليلك الْخَضَرُ، أَنَّ الْأَوَّلَ إمَّا أَنْ يَكُونَ مَقْصُودًا بِالْحُكْمِ أَمْ لَا. الثاني الْبَدَلُ وَالْأَوَّلُ إمَّا أَنْ يَتَخَلَّلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَتْبُوعِهِ شَيْءٌ أَوْ لَا. الأول العطف، والثاني إمَّا أَنْ يَدُلَّ عَلَى أَمْرٍ فِي الْمَتْبُوعِ، وإمَّا أَنْ يَقَرَّرَ أَمْرُهُ فِي النِّسْبَةِ وَالشُّمُولِ. الْأَوَّلُ الثَّغْتُ، والثاني التوكيد. والله تعالى أعلم.

الإِشَارَةُ: الْأَسْمَاءُ الْمَرْفُوعَةُ؛ هِيَ أَسْمَاءُ الْحَقِّ تَعَالَى؛ وَهِيَ كَثِيرَةٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْكُتُبُ فَادْعُوهُمْ بِهَا﴾ وَالَّذِي وَزَدَ بِهَا التَّوْقِيفَ سَبْعَةٌ وَتَسْعُونَ، وَالَّذِي ظَهَرَ مِنْهَا فِي الْوُجُودِ، وَقَامَ بِهَا عَالَمُ التَّكْوِينِ سَبْعَةٌ؛ وَهِيَ الَّتِي نَشَأَتْ عَنْ صِفَاتِ الْمَعَانِي؛ الَّتِي هِيَ: الْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ وَالْعِلْمُ وَالْحَيَاةُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلَامُ، فَيَقَالُ: قَادِرٌ وَمَرِيدٌ وَعَالِمٌ وَحَيٌّ وَسَمِيعٌ وَبَصِيرٌ وَمَتَكَلِّمٌ. فَظَهَرَ الْأَثَرُ؛ وَهِيَ: تَجَلِّيَاتُ الْحَقِّ، يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ الْأَسْمَاءِ؛ وَالْأَسْمَاءُ تَدُلُّ عَلَى وُجُودِ الصِّفَاتِ وَالصِّفَاتُ تَدُلُّ عَلَى وُجُودِ الذَّاتِ فِي تِلْكَ التَّجَلِّيَّاتِ؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ لَا تُفَارِقُ الْمَوْصُوفَ؛ فَظَهَرَ هَذَا الْعَالَمُ، يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ الْقَادِرِ؛ الَّذِي أَظْهَرَهُ بِقُدْرَتِهِ. وَالْقَادِرُ يَدُلُّ عَلَى قِيَامِ الْقُدْرَةِ بِهِ. وَالْقُدْرَةُ تَدُلُّ عَلَى وُجُودِ الذَّاتِ فِي تِلْكَ التَّجَلِّيَّاتِ؛

لأنَّ الصِّفَةَ لَا تُفَارِقُ الْمَوْصُوفَ فَمَهْمَا ظَهَرَتِ الصِّفَاتُ ظَهَرَتِ الذَّاتُ. ومهما
 ظهرت الذَّاتُ، ظهرت الصِّفَاتُ وهذا مَعْنَى من قال: الذَّاتُ عَيْنُ الصِّفَاتِ أَيْ
 مُتَلَازِمَانِ فِي الظُّهُورِ وَالتَّجَلِّيِ. وفي الْحُكْمِ: دَلَّ بِوُجُودِ آثَارِهِ، عَلَى وُجُودِ أَسْمَائِهِ.
 وبوجودِ أَسْمَائِهِ، عَلَى وُجُودِ صِفَاتِهِ، وبوجودِ صِفَاتِهِ عَلَى وُجُودِ ذَاتِهِ. فَالسَّالْتُ
 يُكْشَفُ لَهُ أَوَّلًا عَنْ وُجُودِ أَسْمَائِهِ ثُمَّ يَرْتَقِي إِلَى شُهُودِ صِفَاتِهِ ثُمَّ يَكْشِفُ لَهُ عَنْ
 كَمَالِ ذَاتِهِ، وَالْمَجْذُوبُ بِالْعَكْسِ الْخ. فَالْفَاعِلُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ اللَّهُ، وَالتَّائِبُ عَنْهُ
 خَلِيفَتُهُ؛ وَهُوَ الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وَهُوَ آدَمُ
 وَذَرِيَّتُهُ الْكُمَالُ. وَالْمَبْتَدَأُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ اللَّهُ. وَالْخَبَرُ هُوَ الَّذِي تَجَلَّى بِهِ مِنْ
 الْأَثَرِ؛ لِأَنَّهُ يَخْبِرُ عَنِ الذَّاتِ وَكَمَالَاتِهَا. وَاسْمُ كَانَ؛ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ فَاعِلُ
 الْكَوْنِ؛ الَّذِي هُوَ مُضَدَّرُ لَهَا؛ وَهُوَ أَيْضًا خَبَرٌ إِنَّ؛ لِأَنَّهُ بِهِ تَأَكَّدَتِ النِّسْبُ، وَعَزِمَ
 عَلَيْهَا. وَالتَّابِعُ لِلْمَرْفُوعِ؛ هُوَ الْوَلِيُّ الْكَامِلُ؛ لِأَنَّهُ تَابِعُ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ الَّذِينَ هُمَا أَضَلُّ
 كُلِّ رَفْعَةٍ وَشَرَفٍ وَعِزٍّ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

ثُمَّ بَدَأَ بِالْفَاعِلِ فَقَالَ: بَابُ الْفَاعِلِ:

الْفَاعِلُ لُغَةً: مَنْ صَدَرَ مِنْهُ فِعْلٌ، وَاصْطِلَاحًا مَا عَرَّفَهُ الْمُصَنِّفُ بِقَوْلِهِ. (ص)
 هُوَ الْاسْمُ (ش) أَيْ الصَّرِيحُ، نَحْوُ: «وَقَالَ اللَّهُ». أَوْ الْمُؤَوَّلُ نَحْوُ: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ
 ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ». فَإِنَّ تَخْشَعَ فَاعِلٌ؛ لِأَنَّهُ مُؤَوَّلٌ بِخُشُوعٍ. أَيْ أَلَمْ
 يَحْضُرْ لِلَّذِينَ آمَنُوا خُشُوعُ قُلُوبِهِمْ لِذِكْرِ اللَّهِ (ص) الْمَرْفُوعُ (ش): إِمَّا لِفِظًا إِذَا خَلَا
 مِنَ الْبَاءِ، أَوْ مِنَ الزَّائِدَتَيْنِ، أَوْ حُكْمًا. إِذَا جَرَّ بِهِمَا، أَوْ بِإِضَافَةِ الْمُضَدَّرِ. (ص)
 الْمَذْكُورُ قَبْلَهُ فِعْلُهُ (ش) الْمُسْتَدُّ إِلَيْهِ. إِمَّا لِكَوْنِهِ صَدَرَ مِنْهُ كَقَامٍ وَضَرَبَ، أَوْ اتَّصَفَ
 بِهِ، كَعَلِمَ وَمَاتَ. وَاعْتَرَضَ عَلَى الْمُصَنِّفِ إِذْ خَالَه الرِّفْعُ وَتَقَدَّمَ الْفِعْلُ فِي حَدِّ
 الْفَاعِلِ، مَعَ أَنَّهُمَا حُكْمٌ مِنْ أَحْكَامِهِ. وَقَدْ قَالَ فِي السَّلَامِ:

وَعِنْدَهُمْ مِنْ جُمْلَةِ الْمَزْدُودِ أَنْ تَدْخُلَ الْأَحْكَامُ فِي الْحُدُودِ

وَالْحَدَّ السَّالِمُ: أَنْ يُقَالَ: هُوَ اسْمٌ أَوْ مَا فِي تَأْوِيلِهِ، أَسْنَدٌ إِلَيْهِ فِعْلٌ، أَوْ مَا فِي
 تَأْوِيلِهِ، أَصْلِي الْمَحَلِّ، وَالصِّيغَةُ كَمَا فِي الْمَوْضِعِ، وَقَوْلُهُ: أَسْنَدٌ إِلَيْهِ فِعْلٌ أَوْ مَا فِي
 تَأْوِيلِهِ، يَشْمَلُ الْفِعْلَ الْجَامِدَ: كَنَفِمْ وَبِشْسَ وَلَيْسَ وَعَسَى. وَالْمُتَصَرِّفُ: كَضَرَبَ
 وَنَحْوِهِ، وَالَّذِي فِي تَأْوِيلِ الْفِعْلِ، اسْمُ الْفَاعِلِ، نَحْوُ: «مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ». وَمُنِيرٌ
 وَجْهُهُ. وَالصِّفَةُ الْمَشْبَهَةُ، نَحْوُ: الْحَسَنُ وَجْهُهُ. وَالْمُضَدَّرُ، نَحْوُ: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ
 حِجَابُ الْبَيْنِ مَنْ اسْتَطَاعَ» عَلَى قَوْلِ. وَاسْمُ الْفِعْلِ نَحْوُ: هِنَاهَا الْعَقِيقُ. وَالظَّرْفُ

وَسِبْهُهُ . نَحْوُ أَعْنَدَكَ زَيْدٌ . «أَفِي اللَّهِ شَكٌّ» . وَقَوْلُهُ : أَضْلَى الْمَحَلَّ ، خَرَجَ نَحْوُ : قَائِمٌ زَيْدٌ ، فَرَزَيْدٌ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ لَا فَاعِلَ . لِأَنَّ قَائِمًا أَضْلَى التَّأخِيرَ . وَاعْتَرَضَ هَذَا الْقَيْدَ ، بِأَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فِيْمَا فِي تَأْوِيلِ الْفِعْلِ ، عَلَى مَذْهَبِ الْبَصْرِيِّينَ ؛ لِأَنَّهُ عِنْدَهُمْ لَا يَلْحَقُ بِالْفِعْلِ إِلَّا بَعْدَ الشَّرْطِ وَهُوَ الْإِعْتِمَادُ . وَأَمَّا عَلَى مَذْهَبِ الْكُوفِيِّينَ ، فَالْمُرَادُ دُخُولُهُ ، وَخَرَجَ بِقَوْلِهِ : أَضْلَى الضَّيْعَةَ . نَحْوُ : ضَرَبَ زَيْدٌ ، مَبْنِيٌّ لِلْمَفْعُولِ ، فَإِنَّ صِيغَتَهُ مَفْرَعَةٌ عَنْ ضَرْبِ الْمَبْنِيِّ لِلْفَاعِلِ . وَقَوْلُ الْمُصَنِّفِ : الْمَذْكُورُ قَبْلَهُ فَعَلَهُ ، فَإِنَّ ظَهَرَ مَا صَوَّرْتُهُ فَاعِلٌ مُقَدَّمٌ جُعِلَ مُبْتَدَأً . وَالْفَاعِلُ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَيْهِ ، نَحْوُ زَيْدٌ قَامَ . وَقَدْ يُذَكَّرُ الْفِعْلُ وَلَا يَظْهَرُ فَاعِلٌ لَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ ، فَيُجِبُ أَنْ يُجْعَلَ ضَمِيرًا مُسْتَتَرًّا ، يَعُودُ إِثْمًا عَلَى اسْمِ فَاعِلٍ مَأْخُوذٍ مِنَ الْفِعْلِ نَفْسِهِ . كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» . فَفَاعِلٌ يَشْرَبُ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الشَّارِبِ ، الْمَفْهُومُ مِنْ يَشْرَبُ ، وَإِثْمًا عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ . أَيِ الرُّوحِ الْمَفْهُومَةِ مِنَ السِّيَاقِ .

تَنْبِيْهَاتُ : الْأَوَّلُ : إِنَّمَا رُفِعَ الْفَاعِلُ ، وَنَصَبَ الْمَفْعُولُ لِلْفَرْقِ بَيْنَهُمَا . وَنَاسِبُ الرُّفْعِ لِلْفَاعِلِ ، لِرَفْعَةِ قُدْرَةٍ فِي الْمَعْنَى ؛ لِأَنَّهُ فَاعِلٌ . وَنَاسِبُ النَّصْبِ لِلْمَفْعُولِ ؛ لِأَنَّهُ مَنْصُوبٌ ، لَوُقُوعِ الْفِعْلِ الصَّادِرِ مِنَ الْفَاعِلِ عَلَيْهِ ، كَالْغَرَضِ الْمَنْصُوبَةِ لِلرَّمْيِ وَالْغَرَضِ فِي اللُّغَةِ هُوَ الْمَسْمُومُ الْيَوْمَ بِالْبَشَارَةِ . **الثَّانِي :** رَافِعُ الْفِعْلِ مَا اسْتَنْدَ إِلَيْهِ مِنْ فِعْلٍ ، وَشَبَّهَهُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ . وَقِيلَ الْإِسْنَادُ ، وَقِيلَ كَوْنُهُ فَاعِلًا فِي الْمَعْنَى ، **الثَّالِثُ :** يُفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ : الْمَذْكُورُ قَبْلَهُ فَعَلَهُ ؛ أَنَّ الْفَاعِلَ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَى فِعْلِهِ ؛ وَهُوَ مَذْهَبُ الْبَصْرِيِّينَ . وَأَجَازَ الْكُوفِيُّونَ تَقْدِمَهُ ، مُسْتَدْلِينَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

مَا لِلْجَمَالِ مَشِيهًا وَثَبَدًا أَجْنَدًا لَا يَحْمِلُنَّ أَمْ حَدِيدًا

فَتَأَوَّلَهُ الْبَصْرِيُّونَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ . وَحَذَفَ الْخَبَرَ ، أَيِ مَشِيهًا يَظْهَرُ وَثَبَدًا . **الرَّابِعُ :** قَيَّدَ بَعْضُهُمْ فِعْلَ الْفَاعِلِ ، بِكَوْنِهِ تَامًا قَضْدًا ؛ لِإِخْرَاجِ اسْمِ كَانَ ، بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فَاعِلًا . وَمَذْهَبُ سَبِيئُونِهِ أَنَّهُ فَاعِلٌ ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ لَا يُسَمَّى فَاعِلًا ، وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْقَيْدَ فِي التَّسْهِيلِ ، فَقَالَ : الْفَاعِلُ : هُوَ الْاسْمُ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ فِعْلٌ أَوْ ضَمْنٌ مَعْنَاهُ تَامَ الْخ ، قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ ، سَمِيَ سَبِيئُونُهُ اسْمَ كَانَ فَاعِلًا عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ وَالتَّوَسُّعِ . ثُمَّ قَالَ : (ص) وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ : ظَاهِرٌ وَمُضْمَرٌ . (ش) : أَيُّ مِنْهُ ظَاهِرٌ ، وَمِنْهُ مُضْمَرٌ . (ص) فَالظَّاهِرُ نَحْوُ قَوْلِكَ ، قَامَ زَيْدٌ وَيَقُومُ زَيْدٌ . (ش) فَحَقِيقَةُ الظَّاهِرِ : مَا

دَلَّ بلفظه وحروفه على معناه، فيدخل فيه النكرات والأغلام، وأسماء الإشارات، والموصولات، إلا أن الإشارات والموصولات، يقال فيهما المبهمات، ولا فرق في الفاعل بين أن يكون مفرداً كما ذكر، أو تثنية أو جمعاً، أو واحداً من الأسماء الخمسة. ولا فرق أيضاً بين كون الفعل ماضياً أو مضارعاً، ولذلك نوع الأمثلة فقال: (ص) وقَامَ الزَّيْدَانِ. ويقوم الزَّيْدَانِ. وقَامَ أَخوكَ وَيَقُومُ أَخوكَ (ش) وقد يكون جمع تكسير، كقام الرجلان، وقامت الهنود، أو اسم جمع، نحو: «كذَّبَ به قومك». أو اسم جنس نحو: أَوْرَقَ الشَّجَرُ. وسقطت النخل اللبن. ويجب تجريد الفعل من علامة التثنية والجمع قال في الألفية:

وَجَرِدَ الْفِعْلُ إِذَا مَا أُنْبِذَ لائِثَيْنِ أَوْ جَمْعٍ كَفَارَ الشَّهَادَا

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّلَيْنِ﴾. وقال الظالمون. وقد تلحقه علامة التثنية والجمع، فيقال: سعدا الزَّيْدَانِ، وسعد والزَّيْدُونِ. وقالوا: أكلوه البراغيث، وهي لغة أزد شنوءة، يلحقون علامة التثنية والجمع للفعل، مع إسناده للظاهر، فهي عندهم حروف علامات المثني والجمع لا ضمائر. وما بعدها مبتدأ أو بدل، خلافاً لِمَنْ زَعَمَ ذَلِكَ. ويجب إلحاق تاء التانيث للفعل الماضي والمضارع، إذا كان الفاعل مؤنثاً حقيقي التانيث؛ وهو ماله فَرْجٌ نحو: قَامَتْ هُنْدٌ، وتقوم هُنْدٌ، وقامت الهنْدَانِ، وتقوم الهنْدَانِ. وقَامَتِ الهنْدَاتِ، وتقوم الهنْدَاتِ. فإن كان مجازي التانيث، جاز الأمران تقول: طلعت الشمس. وطلع الشمس. وسقط اللبنة، وسقطت اللبنة. إلا إن كان الفاعل ضميراً مستتراً متصلاً، فيجب التانيث مطلقاً، نحو الشمس طلعت، أو الشمس تطلع. ونحو هذا في التثنية والجمع، وأما الجموع. كلها سوى جمع المذكر السالم فيجوز فيها تذكير الفعل، وتأنيثه. تقول: قام الرجال وقامت الرجال، وقام الهنود، وقامت الهنود. «وكذَّبَ به قومك». «كذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قوم نوح». وأَوْرَقَ الشَّجَرُ. وأَوْرَقَتِ الشَّجَرُ. وكذلك المضارع. فتحصل، أن جمع المذكر السالم، يجب تذكيره من التاء. وجمع المؤنث السالم يجب تأنيثه، والباقي؛ وهو جمع التكسير. واسم الجمع، واسم الجنس يجوز فيه الأمران. فإن أنثت الفعل مع أخذ هذه الجموع، ثم أعدت ضميراً على ذلك الجمع، وجب تأنيثه. ثم قامت الرجال لإخوتها. وإن ذكرت ثم أعدت ضميراً عليه، وجب تذكيره، تقول: قام الرجال لإخوتهم. يجوز ترك التاء فيما يجب فيه، مع الفصل بالمفعول ونحوه. كقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ إلا مع الفصل

بإلّا. فَإِنْ تَرَكَ التَّاءَ حِينَئِذٍ هُوَ الْمُخْتَارُ. نحو: مَا قَامَ إِلَّا هُنْدُ؛ لِأَنَّ الْإِسْنَادَ حِينَئِذٍ فِي الْمَعْنَى إِلَى اسْمِ مُذَكَّرٍ. وَهُوَ الْمُسْتَتْنَى مِنْهُ. لِأَنَّ التَّقْدِيرَ: مَا قَامَ أَحَدٌ إِلَّا هُنْدُ. وَمَنْ أَثَبَتَ التَّاءَ رَأَى أَنَّ مَا بَعْدَ إِلَّا فَاعِلًا فِي الظَّاهِرِ. وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

مَا بَرِئْتُ مِنْ رَيْبَةٍ وَدَمٍّ فِي حِزْبِنَا إِلَّا بَنَاتِ الْعَمِّ

تَنْبِيْهَانِ: الْأَوَّلُ، إِذَا أَخْبَرَ بِمُضَارِعٍ عَنْ ضَمِيرٍ غَيْبَةٍ لِمَوْثِقٍ، نَحْوُ: الْهِنْدَانِ هُمَا يَفْعَلَانِ. جَازَ فِي الْمُضَارِعِ التَّائِيثُ، حَمَلًا عَلَى الْمَعْنَى. وَرَجَّحَهُ أَبُو حَيَّانَ، وَالتَّذْكِيرُ حَمَلًا عَلَى اللَّفْظِ، وَهُوَ الظَّاهِرُ الثَّانِي: هَذَا التَّعْرِيفُ بَيْنَ حَقِيقَةِ التَّائِيثِ وَمَجَازِهِ فِي لُزُومِ التَّاءِ فِي الْحَقِيقِيِّ وَجَوَازِهَا فِي الْمَجَازِيِّ. إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ الْفِعْلِ، وَالصِّفَةِ الْجَارِيَةِ مَجْرَاهُ، وَأَمَّا فِي غَيْرِ هَذَا الْبَابِ مِنَ الْأَبْوَابِ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْحَقِيقِيِّ وَغَيْرِهِ، بَلْ يَجْرِي كُلُّهُ عَلَى سَبِيلِ التَّائِيثِ فِي الْإِضْمَارِ. وَالْإِشَارَةُ إِلَيْهِ. وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَحْكَامِ. قَالَ السُّودَانِيُّ عَنِ الرَّاعِي، ثُمَّ ذَكَرَ الْمُضْمَرُ فَقَالَ (ص) وَالْمُضْمَرُ، نَحْوُ قَوْلِكَ، ضَرَبْتَ (ش) بِضَمِّ التَّاءِ، لِلْمُتَكَلِّمِ الْوَاحِدِ، مُذَكَّرًا أَوْ مُؤَنَّثًا. (ص) وَضَرَبْنَا (ش) لِلْمُتَكَلِّمِ الْمُعْظَمِ نَفْسَهُ، أَوْ مَعَهُ غَيْرُهُ. (ص) وَضَرَبْتَ (ش) يَفْتَحُ التَّاءَ، لِلْمُذَكَّرِ الْمُخَاطَبِ. (ص) وَضَرَبْتَ (ش) يَكْسِرُ التَّاءَ لِلْمُخَاطَبَةِ الْمُؤَنَّثَةِ. (ص) وَضَرَبْتُمَا (ش) لِلْمُخَاطَبَيْنِ. مُذَكَّرَيْنِ أَوْ مُؤَنَّثَيْنِ. (ص) وَضَرَبْتُمْ (ش) لِلْمُخَاطَبَيْنِ الْمَذَكَّرَيْنِ، (ص) وَضَرَبْتُنَّ (ش) لِلْمُخَاطَبَاتِ الْمُؤَنَّثَاتِ. (ص) وَضَرَبَ (ش) لِلْغَائِبِ الْمَذَكَّرِ الْوَاحِدِ (ص). وَضَرَبْتَ (ش) لِلْغَائِبَةِ الْوَاحِدَةِ. (ص) وَضَرَبَا (ش) لِلْغَائِبِ الْمَذَكَّرِ الْوَاحِدِ (ص). وَضَرَبْتَ (ش) لِلْغَائِبَةِ الْوَاحِدَةِ. (ص) وَضَرَبَا (ش) لِلْغَائِبَيْنِ الْمَذَكَّرَيْنِ، وَمِثْلُهُ ضَرَبْتَا. لِلْغَائِبَتَيْنِ الْمُؤَنَّثَتَيْنِ. وَبَقِيَ عَلَى الْمُؤَلِّفِ (ص) وَضَرَبُوا (ش) لِلْغَائِبِيْنَ الْمَذَكَّرِيْنَ. (ص) وَضَرَبْنَ. (ش) لِلْغَائِبَاتِ. وَبَقِيَ عَلَيْهِ مِنْ أَقْسَامِ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ بِيَاءِ الْمُؤَنَّثَةِ الْمُخَاطَبَةِ. نَحْوُ: تَقُومِينَ يَا هِنْدُ. وَقُومِي يَا هِنْدُ. وَالْمُنْفَصِلِ اثْنَا عَشَرَ، نَحْوُ قَوْلِكَ: مَا قَامَ إِلَّا أَنَا، وَمَا قَامَ إِلَّا تَخْنُ، وَمَا قَامَ إِلَّا أَنْتَ، وَمَا قَامَ إِلَّا هُمْ، وَمَا قَامَ إِلَّا مَنْ. تَكْمِيلُ: يَجُوزُ حَذْفُ الْفِعْلِ، وَإِبْقَاءُ الْفَاعِلِ؛ وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ: مَا يَحْذَفُ وَجُوبًا. وَمَا يَحْذَفُ جَوَازًا. كَقَوْلِهِ تَعَالَى، «وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ»، فَأَحَدٌ فَاعِلٌ بِفِعْلِ مُحْذُوفٍ، وَجُوبًا؛ لِأَنَّهُ مَفْسَرٌ بِمَا بَعْدَهُ، مِنْ بَابِ الْإِسْتِغْثَالِ فِي الْمَرْفُوعِ، وَالثَّانِي، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾. فَاللهُ فَاعِلٌ، أَيِ خَلَقَهُنَّ اللَّهُ. وَقَدْ أَظْهَرَهُ فِي قَوْلِهِ: خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللهُ مُبْتَدَأً وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهُ خَبَرًا، أَيِ اللهُ خَلَقَهُنَّ، وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الإشارة: الفاعل الحقيقي؛ هو الاسم المرفوع القدر، العظيم الشأن؛ وهو الحق جل جلاله، المذكور قبله فعله عند الغافلين. والمذكور بعده فعله عند الدّاكرين. المذكور قبله فعله عند الطالبين أو السّائرين. والمذكور بعده فعله عند العارفين الواصلين. المذكور قبله فعله عند أهل الدليل والبرهان، والمذكور بعده فعله عند أهل الشهود والعيان. أهل الدليل والبرهان بذكرون فعله، ويستدلون به عليه. وأما الواصلون من العارفين، فيذكرونه ويرونه قبل رؤية فعله فهم يستدلون بالله على غيره، فلا يرون إلا هو، كما قال شاعرهم:

مُذْ عَرَلْتُ الْإِلَهَ لَمْ أَرْ غَيْرَا وَكَذَا الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعُ
مُذْ تَجَمُّعْتُ مَا خَشِيتُ افْتِرَاقَا فَأَنَا الْيَوْمَ وَاصِلٌ مَجْمُوعُ

فرؤية الفعل قبل الفاعل، هي مقام العموم، من أهل الدليل والبرهان، ورؤية الفاعل قبل الفعل، أو معه، مقام الخصوص من أهل الشهود والعيان.

وفي الحكم: فمن رأى الكون ولم يشهد الحق فيه أو قبله أو معه أو بعده، فقد أغوّزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شمس المعارف بسحب الآثار هـ. وفيه أيضاً: شتان بين من يستدل به، أو يستدل عليه. المستدل به عرف الحق لأهله، وأثبت الأمر من وجود أضله، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه، وإلا فمتى غاب حتى يحتاج إلى دليل يدلّ عليه، ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه. قال الشاعر:

عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْغِي عَلَيْكَ شَهَادَةً وَأَنْتَ الَّذِي أَشْهَدْتُهُ كُلُّ شَاهِدٍ

ثم قال: وهو على قسمين: ظاهر عند العارفين، لا يخفى على أحد عندهم إلا على الأعمى، كما قال الشاعر:

لَقَدْ ظَهَرَتْ فَمَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَكْثَمِهِ لَا يُبْصِرُ الْقَمَرَا

ومضمّر، أي مستتر، باطن عند الغافلين، كما قال في الشطر الثاني.

لكن بطئت بما أظهرت محتجباً وكيف يبصر من بالعمرة استترت

وفي مناجاة الحكم: إلهي، كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك. أكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك، وفي عبارته نوع من الفرق. فلو قال: إلهي كيف يستدل عليك، بما هو سر من أسرار ذاتك. ونور من أنوار تجلياتك الخ، وقال أيضاً، كيف تخفى وأنت

الظاهر. أم كيف تَغِيبُ وأنت الرقيب الحاضر. فالحق جَلُّ جلاله، قد تجلَّى وظهر في الأشياء كلها، ثم بطنَ في ظهوره، فَمَا ظَهَرَ سِوَاهُ. وكَمَا تجلَّى إِلَّا نورَ بَهَائِهِ وَسَنَاه. وقد قلت في خَمْرِي:

فَمَا ظَهَرَ فِي الْكَوْنِ غَيْرَ بَهَائِهَا وَمَا اخْتَجَبَتْ إِلَّا لِحُجُبِ سِرِّي
إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ أَي هُوَ
الْأَوَّلُ بِلاَ بِدَايَةٍ، وَالْآخِرُ بِلاَ نِهَايَةٍ. وَالظَّاهِرُ فِيمَا تَجَلَّى بِهِ مِنْ أَسْرَارِ ذَاتِهِ، وَأَنُورِ
صِفَاتِهِ. وَهُوَ الْبَاطِنُ فِي عَيْنِ ظَهْوَرِهِ، ظَهَرَ بِذَاتِهِ. وَبَطَنَ بِأَنَارِ صِفَاتِهِ. وَفِي الْحِكْمِ:
أَظْهَرَ كُلَّ شَيْءٍ بِأَنَّهُ الْبَاطِنُ. وَطَوَى وَجُودَ كُلِّ شَيْءٍ بِأَنَّهُ الظَّاهِرُ، أَي أَظْهَرَ حَسَّ
الْكَاثِنَاتِ، بِسَبَبِ اسْمِهِ الْبَاطِنُ. وَطَوَى وَجُودَ كُلِّ شَيْءٍ، بِسَبَبِ اسْمِهِ الظَّاهِرُ. إِذْ لَا
ظَاهَرَ مَعَهُ. وَهَذَا الْأَمْرُ لَا يَقْتَضِيهِ إِلَّا أَهْلُ الْأَذْوَاقِ، الَّذِينَ يَثْبُتُونَ الضَّدَّتَيْنِ فِي مَظْهَرٍ
وَاحِدٍ. وَيَعْطُونَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. وَحَسَبُ مَنْ لَمْ يَذْكُرْ مَقَامَهُنَّ، التَّسْلِيمَ لِمَا
رَمَزُوا إِلَيْهِ:

إِنْ لَمْ تَرَ الْهِلَالَ فَسَلِّمْ لِأَنَّا سِرَ رَأَوْهُ بِالْأَبْصَارِ
وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ

بَابُ الْمَفْعُولِ الَّذِي لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ: قلت: عبارة الثَّابِتِ عَنِ الْفَاعِلِ أَحْسَنُ،
لَاخْتِصَارُهَا وَكَوْنُهَا جَامِعَةً. وَأَمَّا الْمَفْعُولُ الَّذِي لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، فَقَدْ يَصْدُقُ عَلَى
الْمَفْعُولِ الثَّانِي فِي قَوْلِكَ: أُعْطِيَ زَيْدٌ دِرْهَمًا، فِدْرَهُمْ مَعْطَى، لَمْ يَذْكُرْ فَاعِلُهُ. مَعَ
كَوْنِهِ مَنْصُوبًا. وَعَلَى مَعْمُولِ الْمَصْدَرِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يُطْعَمُوا فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ﴾
يَكْمًا. فَهَذَانِ الْمَثَلَانِ، يَصْدُقُ عَلَيْهِمَا أَنَّهُمَا مَفْعُولَانِ لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُمَا مَعَ كَوْنِهِمَا
بِمَنْغُزٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ، ثُمَّ عَرَفَهُ الْمَصْنُفُ بِقَوْلِهِ: (ص) وَهُوَ الْأَسْمُ (ش) أَي
صَرِيحًا أَوْ مُؤَوَّلًا. نَحْوُ: «قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ» أَي اسْتَمَاعَ نَفَرٍ. (ص)
الْمَرْفُوعُ. (ش) تَقْدِمُ الْبَحْثُ فِيهِ بِأَنَّهُ حَكْمٌ، فَلَا يَنْبَغِي إِدْخَالُهُ فِي الْحَدِّ. وَقَدْ يَجَابُ
بِأَنَّهُ لَمْ يَقْصُدْ بِهِ هُنَا الْحَكْمَ، وَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَهُ فِعْلٌ، أَخْرَجَ بِهِ الْمَنْصُوبُ فِي الْمَثَلَيْنِ
الْمُتَقَدِّمَيْنِ (ص) الَّذِي لَمْ يَذْكُرْ مَعَهُ فَاعِلُهُ (ش) بَلْ يُخَذَفُ، وَيَنْوِبُ عَنْهُ الْمَفْعُولُ بِهِ.
فَيَسْتَحِقُّ مَا كَانَ يَسْتَحِقُّهُ الْفَاعِلُ مِنَ الرَّفْعِ وَالْعُمْدَةِ. وَتَأْنِيثُ الْفِعْلِ لَهُ، وَتَجْرِيدُهُ مِنْ
عَلَامَةِ التَّنْيَةِ وَالْجَمْعِ. وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ. وَإِنَّمَا يُخَذَفُ الْفَاعِلُ لِفَرْضِ
مِنِ الْأَغْرَاضِ. بَعْضُهَا مَعْنَوِيَّةٌ، وَبَعْضُهَا لَفْظِيَّةٌ، جَمَعَهَا أَبُو حَيَّانٍ فِي بَيِّنَتَيْنِ فَقَالَ:

وَحَذَفَهُ لِلْخَوْفِ وَالْإِبْهَامِ وَالنُّوْزَنِ وَالْخُفْيَةِ وَالْإِغْظَامِ

وَالْعِلْمُ وَالْجَهْلُ وَالْاِخْتِصَارُ وَالسَّجْعُ وَالْوِفَاقُ وَالْإِثَارُ
وَهَذِهِ الثُّلُثُ، هِيَ مِنْ وَطِيقَةِ عِلْمِ الْبَيَّانِ، لَا مِنْ وَطِيقَةِ عِلْمِ النُّحُو، وَإِذْخَالُهَا
فِي عِلْمِ النُّحُو، زِيَادَةٌ فَائِدَةٌ. فَمِثَالُ الْخَوْفِ: وَهُوَ شَامِلٌ لِلْخَوْفِ، مِنْهُ أَوْ عَلَيْهِ.
فَالأَوَّلُ: نُحُو: قُتِلَ زَيْدٌ. إِذَا خِفْتُ مِنْ قَاتِلِهِ، بَأَن كَانَ ظَلُومًا غَشُومًا. فَإِنْ كَانَ
الْقَاتِلُ ضَعِيفًا. كَانَ مِثَالُ الْخَوْفِ عَلَيْهِ. وَمِثَالُ الْإِنْهَامِ عَلَى السَّامِعِ: تَصَدَّقَ الْيَوْمَ
بِكَذَا إِخْفَاءً لِلْعَمَلِ، خَوْفًا مِنَ الرِّبَاءِ. وَهَذَانِ غَرَضَانِ مَعْتَوِيَانِ. وَمِثَالُ الْوَزْنِ قَوْلُ
الشَّاعِرِ:

عَهَدْتُ مَغِيثًا مَغْنِيًّا مَنْ أَجْرَتُهُ فَلَمْ أَتَّخِذْ إِلَّا قَنَاءَكَ مَوْئِلًا
وَقَالَ آخَرُ:

يَذَاكَ يَدَا مَجْدُ فَكَفْ مَفِيدَةٌ وَكَفْ إِذَا مَا ضُنَّ بِالْمَالِ تَنْفَقُ
فَضُنَّ مَبْنِيٍّ لِلْمَجْهُولِ، مِنْ ضُنَّ، بِمَعْنَى بَخْلٍ. فَلَوْ قَالَ: ضُنَّ النَّاسُ بِالْمَالِ.
لَمْ يُوزَنَ. وَمِثَالُ التَّحْقِيرِ. طُعِنَ عَمْرُو، وَقُتِلَ الْحُسَيْنُ، تَرَكَ ذِكْرَ الْفَاعِلِ احْتِقَارًا
لَهُ. وَمِثَالُهُ لِلْأَعْظَمِ: حُدَّ الشَّارِبُ، وَجَلَدَ الزَّانِي، فَحُذِفَ الْفَاعِلُ؛ وَهُوَ الْحَاكِمُ.
إِعْظَامًا لَهُ. وَمِثَالُ الْعِلْمِ بِالْفَاعِلِ: «خَرَمْتُ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ»، «أَجَلَ لَكُمْ صَيْدَ
الْبَحْرِ». إِذَا مَعْلُومٌ، اسْمُ الْمُحْرَمِ وَالْمَحَلِّ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَمِثَالُ الْجَهْلِ: ضُرِبَ
فُلَانٌ، إِذَا لَمْ تَذَرِ فَاعِلُهُ. وَمِثَالُ الْاِخْتِصَاصِ، نَحْوُ: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، عَمَّا يَلْبَسُ
الْمُحْرَمُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَمِثَالُ السَّجْعِ. وَالْمُرَادُ بِهِ: تَقَارُبُ الْفَوَاصِلِ بَعْضُهَا مِنْ
بَعْضٍ، لِيَلَّا تَبْعُدَ بَعْدًا يَنْفَرُ مِنْهُ الطَّبْعُ. كَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ فِي الْمَقَامَاتِ: مَا طَلَعَ
هَلَالٌ، وَسَمِعَ إِهْلَالٌ. فَلَوْ قَالَ، وَسَمِعَ النَّاسُ إِهْلَالًا لَبُعِدَتِ الْفَاصِلَةُ، وَتَغَيَّرَتْ.
فَهَذَا الْمِثَالُ يَصْلَحُ لِلْوِفَاقِ الْآتِي بَعْدَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ أَيْضًا: حَتَّى نَأْمَنَ مِنْ خَصَائِدِ
الْأَلْسِنَةِ. وَتُكْفَى غَوَائِلَ الزُّخْرَفَةِ. فَلَوْ بَنَاهُ لِلْفَاعِلِ فَقَالَ، وَيَكْفِينَا اللَّهُ غَوَائِلَ
الزُّخْرَفَةِ. لَطَالَتِ الْفَاصِلَةُ. وَمِثَالُ الْوِفَاقِ فِي إِعْرَابِ الْقَوَافِي، أَوْ إِعْرَابِ الْفَوَاصِلِ.
فَالأَوَّلُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشُّهَابِ وَضُوئِهِ بِحُورٍ رَمَادًا بَعْدَمَا هُوَ سَاطِعُ
وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيعَةٌ وَلَا بُدَّ مِنْ يَسُومِ تُرْدِ السُّودَائِعِ
فَلَوْ قَالَ: يَرُدُّ النَّاسُ الْوَدَائِعَ. لَاخْتَلَفَتِ الْقَافِيَاَتِ، وَالثَّانِي: وَهُوَ وَفَاقُ
الْفَوَاصِلِ. مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: مَا طَلَعَ هَلَالٌ، وَسَمِعَ إِهْلَالًا، وَمِثَالُ الْإِثَارِ. وَمَغْنَاهُ:

إِثَارَ غَرَضِ السَّامِعِ عَلَى غَيْرِهِ. كَمَا إِذَا كَانَ غَرَضُ السَّامِعِ، أَلَّا يُذَكَّرَ الْفَاعِلُ. إِمَّا لِكِرَاهَةِ سَمَاعِ ذِكْرِهِ. أَوْ خَوْفِ مَنَّهُ، أَوْ عَلَيْهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. فَيَقُولُ: أَكْرِمَ فُلَانٌ، أَوْ ضَرَبَ. وَيُحذفُ الْفَاعِلُ. فَهَذِهِ اثْنَا عَشَرَ غَرَضاً. بَعْضُهَا لَفْظِيَّةٌ، وَبَعْضُهَا مَعْنَوِيَّةٌ، وَلَا يَخْفَى التَّمْيِيزُ بَيْنَهُمَا، وَلَمَّا كَانَتْ صِغَةُ الْفِعْلِ الْمُبْنِيِّ لِلْمَفْعُولِ، مَغَايِرَةً لِّصِغَةِ الْمُبْنِيِّ لِلْفَاعِلِ؛ لِيَقَعَ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا؛ وَهِيَ مِنْ مَسَائِلِ التَّصْرِيفِ، نَبْةُ الْمُصَنَّفِ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: (ص) فَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ مَاضِياً ضُمَّ أَوَّلُهُ وَكُسِرَ مَا قَبْلَ آخِرِهِ. (ش) إِمَّا تَحْقِيقاً. كَضَرَبَ، وَحَمَدَ، أَوْ تَقْدِيرًا، كَقِيلَ وَغِيضَ وَبِئْسَ. وَأَصْلُهُ: قَوْلُ. وَغَوْضُ، وَسَوْءُ. فَاسْتَقَلَّتِ الْكُسْرَةُ عَلَى الْوَائِ، فَنَقَلْتُ إِلَى فَاءِ الْكَلِمَةِ. وَقَلْبْتُ الْوَائِ يَاءً، لِمُنَاسَبَةِ الْكُسْرَةِ. وَكَذَلِكَ شَدَّ، وَزَدَّ أَصْلُهُ شَدَدٌ وَزَدَدٌ. فَأُذِغِمَ أَحَدُ الْمِثْلَيْنِ فِي الْآخَرِ. فَكُسِرَ مَا قَبْلَ الْآخِرِ مُقَدَّرٌ فِي هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ. وَهَذَا التَّغْيِيرُ شَامِلٌ لِلْمَاضِي الثَّلَاثِي، كَضَرَبَ. وَالرُّبَاعِي كَأَكْرَمَ، وَدَخَرَجَ. وَالْخُمَاسِي، كَانْطَلَقَ، وَالسُّدَاسِي كَاسْتَخْرَجَ. وَالْمَبْدُوءُ بِهَمْزَةِ الْوَصْلِ كَالْمِثَالَيْنِ. وَالْمَبْدُوءُ بِتَاءٍ مَزِيدَةٍ، كَتَعَلَّمَ وَتَكَبَّرَ. فَضُمَّ الْأَوَّلُ، وَكُسِرَ مَا قَبْلَ الْآخِرِ، وَاجِبٌ فِي الْجَمِيعِ، وَيَجْرِي أَيْضاً فِي نَحْوِ اخْتَارَ وَانْقَازَ وَشَبَّهَهُمَا، فَتَقُولُ: اخْتَيَّرَ وَانْقَيْدَ بِإِخْلَاصِ الْكُسْرَةِ وَالْإِشْمَامِ، وَإِنْ كَانَ مَبْدُوءاً بِتَاءٍ زَائِدَةٍ، ضُمَّ ثَانِيهِ أَيْضاً، كَتَعَلَّمَ وَتَكَلَّمَ. وَإِنْ كَانَ مَبْدُوءاً بِهَمْزَةٍ وَضَلَّ، ضُمَّ ثَالِثُهُ كَانْطَلَقَ وَاسْتَخْرَجَ وَنَحْوَهُمَا. (ص) وَإِنْ كَانَ مُضَارِعاً ضُمَّ أَوَّلُهُ، وَفُتِحَ مَا قَبْلَ آخِرِهِ. (ش). أَيْ سَوَاءٌ كَانَ صَحِيحاً أَوْ مَعْتَلأً، مَفْتُوحاً مَا قَبْلَ آخِرِهِ، أَوْ مَكْسُوراً مِنَ الثَّلَاثِي أَوْ غَيْرِهِ. فَتَقُولُ: يَضْرِبُ زَيْدٌ، وَيُكْرَمُ عَمْرُو. وَيُنْطَلَقُ بِهِ. وَيُسْتَخْرَجُ، وَيُتَدَخَّرُ. وَالْفَتْحَةُ فِي الْمُبْنِيِّ لِلْمَفْعُولِ، غَيْرُ الْفَتْحَةِ فِي الْمُبْنِيِّ لِلْفَاعِلِ. وَمِثْلُهُ: يُقَالُ وَيُبَاعُ، وَيُسْتَعَانُ بِهِ. وَأَصْلُهُ يَقُولُ وَيُسْتَعُونَ، فَقَلْبْتُ الْوَائِ أَلِفاً، حَسْبَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي عِلْمِ التَّصْرِيفِ. (ص) وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ، ظَاهِرٌ وَمُضْمَرٌ، فَالظَّاهِرُ نَحْوُ قَوْلِكَ ضَرَبَ زَيْدٌ. (ش) أَصْلُهُ: ضَرَبَ عَمْرُو زَيْدًا، فَحذِفَ الْفَاعِلُ لَغَرَضِ كَمَا تَقْدِمُ، وَأَقِيمَ الْمَفْعُولُ مَقَامَهُ. فَصَارَ مَرْفُوعٌ عِنْدَهُ مُتَصِلاً بِفَعْلِهِ، مُتَأَخِراً عَنْهُ كَمَا كَانَ الْفَاعِلُ (ص) وَيَضْرِبُ زَيْدٌ (ش) أَصْلُهُ: يَضْرِبُ عَمْرُو زَيْدًا. فَفُعِلَ بِهِ مَا فُعِلَ بِالْمَاضِي. (ص) وَأَكْرِمَ عَمْرُو وَيُكْرَمُ عَمْرُو (ش). هَذَا مِثَالٌ لِلرُّبَاعِي، وَالْأَصْلُ أَكْرَمَ اللَّهُ عَمْرًا أَوْ يَكْرِمُهُ. فَحذِفَ الْفَاعِلُ كَمَا تَقْدِمُ. وَفَعِلَ بِهِ مَا فَعِلَ بِالْمَاضِي. (ص) وَالْمُضْمَرُ (ش) قِسْمَانِ. مُتَصِلٌ وَمُنْفَصِلٌ، فَالْمُتَصِلُ اثْنَا عَشَرَ: اِثْنَانِ لِلْمُتَكَلِّمِ، وَخَمْسَةٌ لِلْمُخَاطَبِ، وَخَمْسَةٌ لِلْغَائِبِ، وَبَقِيَ عَلَيْهِ وَاحِدٌ لِلْمُخَاطَبَةِ. وَذَلِكَ. (ص) نَحْوُ قَوْلِكَ ضَرَبْتُ (ش) بِضَمِّ التَّاءِ لِلْمُتَكَلِّمِ.

وأضله: ضَرَبْتِي زَيْدًا، فالياء مفعول بضَرَبَ، فلما أريد نِيَابَتُهَا عَنِ الْفَاعِلِ، وَكَانَتْ الياء لَا تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ؛ لِأَنَّ يَاءَ الْمُتَكَلِّمِ لَا تَكُونُ إِلَّا مُجْرُورَةً أَوْ مَنْصُوبَةً، وَلَا تَكُونُ مَرْفُوعَةً أَبَدًا. فَأَتَى بِتَاءِ الْمُتَكَلِّمِ، الصَّالِحَةِ لِلذَّكَاءِ مَعَ كَوْنِهَا فِي الْمَعْنَى كَالْيَاءِ. فَقِيلَ: ضَرَبْتُ. (ص) وَضَرَبْنَا (ش) وَأَضْلَهُ: ضَرَبْنَا زَيْدًا، فلما أريد حَذْفُ الْفَاعِلِ، وَنَابَ الْمَفْعُولُ، بَقِيَ الضَّمِيرُ بِحَالِهِ لِصِلَاحِيَّتِهِ، لِلْمَحَالِّ الثَّلَاثَةِ. قَالَ فِي الْأَلْفِيَةِ:

لِلرَّفْعِ وَالنُّصْبِ وَجَرْنَا صَلَحَ كَاغْرِفَ بِنَا فَإِنَّا نِلْنَا الْمِنْخَ

أَيُّ نِلْنَا الْمَوَاهِبَ الْعَطَائِيَّةَ، وَالْأَسْرَارَ الْقُدْسِيَّةَ. (ص) وَضَرَبْتُ (ش) بِتَاءِ الْخِطَابِ. وَأَضْلَهَا ضَرَبْتُكَ زَيْدًا. فلما أريد بِنَاؤُهُ لِلْمَفْعُولِ، وَحَذْفِ الْفَاعِلِ، وَكَانَتْ الْكَافُ غَيْرَ صَالِحَةٍ لِمَحَلِّ الرَّفْعِ، أَتَى بِالتَّاءِ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى الْكَافِ، وَصَالِحَةٍ لِمَحَلِّ الرَّفْعِ (ص) وَضَرَبْتُ (ش) بِكَسْرِ التَّاءِ لِلْمَخَاطَبَةِ، وَأَضْلَهَا ضَرَبْتُكَ زَيْدًا، ففعل بها مَا تَقَدَّمَ (ص) وَضَرَبْتُمَا (ش) لِلْمَخَاطَبَيْنِ: مُذَكَّرَيْنِ وَمَوْثَنَيْنِ، وَأَضْلَهَا: ضَرَبْتُمَا زَيْدًا. (ص) وَضَرَبْتُمْ (ش) لِلْمَخَاطَبَيْنِ الْمُذَكَّرَيْنِ. وَأَضْلَهُ: ضَرَبْتُمْ فَلَان. (ص) وَضَرَبْتُنَّ (ش) لِلْمَخَاطَبَاتِ الْمَوْثَنَاتِ، وَ (ص) وَضَرَبَ (ش) وَأَضْلَهُ زَيْدٌ ضَرَبَهُ عَمْرُو، فَلَمَّا حَذَفَ الْفَاعِلُ، وَأَرِيدَ نِيَابَتُهُ عَنْهُ، وَلَمْ تَكُنْ الْهَاءُ صَالِحَةً لِلرَّفْعِ، لِأَنَّ الْهَاءَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلْجَرِّ وَالنُّصْبِ، أَتَى بِمَا يَصْلُحُ لِلذَّكَاءِ. مِمَّا فِيهِ مَقَادِهَا مِنَ الْغَيْبَةِ؛ وَهُوَ: هُوَ، فَقِيلَ: ضَرَبَ أَيُّ هُوَ. (ص) وَضَرَبْتُ (ش) لِلْمَوْثَنَةِ الْغَائِبَةِ؛ وَأَضْلَهُ هُنْدٌ ضَرَبَهَا زَيْدًا فَأَجْرِي عَلَى مَا ذَكَرْنَا؛ لِأَنَّ الْهَاءَ غَيْرَ صَالِحَةٍ لِلرَّفْعِ، فَأَتَى بِهَيِّ الصَّالِحِ لِلرَّفْعِ، وَاسْتَتَرَ، لِتَقَدُّمِ الظَّاهِرِ. (ص) وَضَرَبْنَا (ش) لِلْغَائِبَيْنِ الْمُذَكَّرَيْنِ، وَأَضْلَهُ الزُّيْدَانِ ضَرَبَهُمَا عَمْرُو، ثُمَّ جَرَى فِيهِ مَا ذُكِرَ؛ لِأَنَّ الْهَاءَ غَيْرَ صَالِحَةٍ لِلرَّفْعِ. (ص) وَضَرَبْنَا (ش) وَكَذَلِكَ ضَرَبْنَا لِلْمَوْثَنَيْنِ الْغَائِبَتَيْنِ، وَأَضْلَهُ الْهَنْدَانِ ضَرَبَهُمَا عَمْرُو، فَقُفِّلَ بِهِ كَذَلِكَ (ص) وَضَرَبُوا (ش) لِلْغَائِبَيْنِ الْمُذَكَّرَيْنِ. وَأَضْلَهُ الزُّيْدُونَ ضَرَبَهُمْ عَمْرُو. (ص) وَضَرَبْنِ (ش) لِلْغَائِبَاتِ، وَأَضْلَهُ: الْهَنْدَاتِ ضَرَبَهُنَّ عَمْرُو، قَالَ الْأَمْرُ فِيهِ إِلَى مَا ذَكَرْنَا، وَبَقِيَ ضَمِيرُ الْمَوْثَنَةِ الْمَخَاطَبَةِ، نَحْوُ: أَنْتَ يَا هُنْدُ تُضْرَبِينَ.

وَالْمُنْفَعِلُ اثْنَا عَشَرَ، نَحْوُ مَا أَكْرَمَ إِلَّا أَنَا، وَمَا أَكْرَمَ إِلَّا نَحْنُ، وَمَا أَكْرَمَ إِلَّا أَنْتَ، وَمَا ضَرَبَ إِلَّا أَنْتَ، وَمَا ضَرَبَ إِلَّا أَنْتُمَا. وَمَا ضَرَبَ إِلَّا أَنْتُمْ، وَمَا ضَرَبَ إِلَّا أَنْتُنَّ، وَمَا ضَرَبَ إِلَّا هُوَ، وَمَا ضَرَبَ إِلَّا هِيَ، وَمَا ضَرَبَ إِلَّا هُمَا، وَمَا ضَرَبَ إِلَّا هُنَّ، وَمَا ضَرَبَ إِلَّا هُنَّ.

تَنْبِيْة: قد يُفهم من قوة كَلَامِ المصنف، أي صيغة فعل المفعول. مفرعة عن فعل الفاعل؛ وهو كذلك عند الجمهور. وقال المبرد والكوفيون؛ هو أَضَلُّ، بدليل لزومه في أفعال لَمْ تنطق بها العرب إلّا مبنية للمفعول، كَرُزِي عَلَيْنَا، أي تكبر، وَعُنِي بِحَاجَتِكَ، وَجَن وَطَل دَمُهُ، أي هُدر، ونفست المرأة، أي تنفّس رحمها بالحيفض والنفاس، واختاره ابن مالك، ولذلك قال في الألفية في باب التصريف: وزد نحو ضمن هـ. تَيَمَّنَانِ: الأولى: الأفعال ثلاثة، قِسْم لا يجوز بناؤه للمفعول اتفاقاً، وهي الأفعال التي لا تتصرف؛ وهي نعم ويس، وعسى، وليس، وحبذا. وفعل التعجب، وَقَلْماً وَطَالَمَا، وَيَذَر، ويدع، وتبارك الله.

وقسم فيه خلاف، وهي كَانَ وأخواتها المتصرفة، وقسم لا خِلَاف في جواز بنائه للمفعول وهي ما بقي من الأفعال التي تتصرف، والخلاف الَّذِي في كَانَ وأخواتها، ذكره ابن السراج فقال: وَأَجَاز قوم في كَانَ زَيْد قائماً. أَنَّ كَانَ فعل غير حقيقي، وإنما تدخل على المبتدأ والخبر فاعلها غير فاعل حقيقة، ومفعولها غير مفعول به على الصحة. فليس فيه مفعول يقوم مَقَامَ الفاعل هـ. قلت: وكذلك مَفْعُولاً ظَنُّ. فَإِنْ أَضْلَهَا المبتدأ والخبر، وفيهما خلاف. قال في الألفية:

فِي بَابِ ظَنٍّْ وَآرَى الْمَنْعُ اسْتَهْزَ وَلَا أَرَى مَنَعاً إِذَا الْقَضْدُ ظَهَرَ

وأما باب كَسَى وَأَعْطَى، فيجوز بناء الأول اتفاقاً. تقول: كُسي زيد جبّة. وكذلك الثاني، إِذَا أَمِنَ اللَّبْسُ. والله تعالى أعلم. الثانية: إِذَا فَقَدَ المفعول به، جاز إقامة غيره، مِنْ ظَرْفٍ وَجَارٍ ومجرور أو مصدر، وَشَرْطُ إقامة الظرف، إِنْ يَكُونُ مُخْتَصِصاً فلا يُقال: سير وقت، ولا جلس مكان، ويقال: سير وقت صعب، وجلس مكان بعيد. وَأَنْ يَكُون متصرفاً. بخلاف نحو: سَحَرَ وَعِنْدَ، وقبل وبعد، ودُون، وثُمَّ، ممّا لزم الظرفية. وشرط المصدر أَنْ يَكُون متصرفاً. بخلاف نحو: سَبَحَانَ الله. وَمَعَاذَ الله، وَأَنْ لَا يَكُون مؤكداً، بخلاف نحو قَامَ زَيْدٌ قِيَاساً. وَشَرْطُ المجرور أَلَّا يَلْزَم حالة واحدة كَمُدَّ وَمَنَدَّ، وَالْكَاف، وَرَبِّ، وما خَصَّ بِقِسْم واستثناء. وَأَنْ لَا يَكُون التعليل كاللّام والباء، وَمِنْ إِذَا دَلَّتْ على التعليل. ذكره بعض النحويين، وَإِذَا اجْتَمَعَت الثلاثة، فَأَنْت مخير في إنابة ما شئت على المشهور. والله تعالى أعلم.

الإِشَارَةُ: المفعول الَّذِي لَمْ يُسَمَّ فاعِلُهُ مَعَهُ. بل يصير عين الفاعل حقيقة، هو العارف باللّو، المتحقق بمقام الفناء والبقاء؛ وهو الثّاب عن الفاعل الحقيقي. في

تصريف أحكامه التكليفية، والتعريفية الجلالية، والجمالية، وهو القطب الجامع، ويقال فيه العُوث، وسُمي قطباً، تشبيهاً له بقطب الرِّحَا؛ وهو قلبها الذي تَدُورُ عَلَيْهِ؛ وكذلك القطب، هو قطب الكَوْنِ. عليه يدور مِنْ عَرْشِهِ إلى فَرْشِهِ، فينقبض بِقَبْضِهِ، وَيَنْبَسِطُ بِنَبْطِهِ؛ وهو الذي يصل منه المَدَدُ الروحاني إلى دَوَائِرِ الأولياء؛ مِنْ تَجِيبٍ وَتَقِيبٍ، وَأَوْتَادٍ وَأَبْدَالٍ إِلَّا الْأَفْرَادَ، فَإِنَّهُمْ خَارِجُونَ عَنْ دَائِرَاتِهِ؛ وَلَهُ الْإِقَامَةُ، وَالْأَرثُ، وَالنِّيَابَةُ وَالْخَلَافَةُ الْبَاطِنَةُ؛ وهو روح الكَوْنِ الذي عليه مَدَارُهُ. ما يشير إلى ذَلِكَ. كونه بمنزلة إِنْسَانٍ الْعَيْنِ مِنَ الْعَيْنِ. وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ، إِلَّا مَنْ كَحَلِ عَيْنٍ بِصِيرَتِهِ بِأَمَدِ التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ، وَكَانَ لَهُ قَسْطٌ وَنَصِيبٌ مِنْ سَيْرِ الْبَقَاءِ بِاللَّهِ. وَأَمَّا تَسْمِيَتُهُ بِالْعُوثِ؛ فَمِنْ حَيْثُ إِغَاثَتُهُ لِلْعَوَالِمِ بِهَيْمَتِهِ وَمَادَّتِهِ، وَرُتَبَتِهِ الْخَاصَّةِ. فهذا يكون واحداً في الوجود، وله علامات يَتَمَيَّزُ بِهَا. قال القطب الشهير، سيدي أَبُو الْحَسَنِ الشاذلي رضي الله عنه: للقطب خمسة عَشَرَ عِلَامَاتٍ: فَمِنْ أَدْعَاهَا أَوْ شَيْئاً مِنْهَا، فَلْيَبْرِزْ بِمَدَدِ الرَّحْمَةِ وَالْعِصْمَةِ، وَالْخَلَافَةِ، وَالنِّيَابَةِ؛ وَمَدِّ حِمْلَةِ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَيُكْشَفْ لَهُ عَنْ حَقِيقَةِ الذَّاتِ، وَإِحَاطَةِ الصِّفَاتِ. وَيَكْرَمُ الْحَكْمَ وَالْفَصْلَ بَيْنَ الْوُجُودَيْنِ، وَانْفِصَالِ الْأَوَّلِ عَنِ الْأَوَّلِ. وما انفصل عنه إلى مَتْنَهَاءِ. وما ثبت فيه. وَحُكْمُ مَا قَبْلَ، وَحُكْمُ مَا بَعْدَ. وما لَا قَبْلَ وَلَا بَعْدَ، وَعِلْمُ الْبَدْءِ، وهو الْعِلْمُ الْمَحِيطُ بِكُلِّ مَعْلُومٍ. وما يعود إليه هـ. وقد بَيَّنَّا مَعْنَاهَا، فِي كِتَابِنَا مَعْرَاجَ التَّشَوُّفِ إِلَى حَقَائِقِ التَّصَوُّفِ. وفي تَفْسِيرِ الْفَاتِحَةِ الْكَبِيرِ. وَلَا يَشْتَرِطُ فِي الْقُطْبِ مَعْرِفَةُ مَعَانِي هَذِهِ الشُّرُوطِ، وَإِنَّمَا يَشْتَرِطُ وُجُودَهَا فِيهِ بِالدَّوْقِ وَالْكَشْفِ، بِحَيْثُ لَوْ بَيَّنَّ مَعْنَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا لَوَجَدَهَا فِيهِ ذَوْقاً وَكُشْفاً؛ لِأَنَّ الْقُطْبَ قَدْ يَكُونُ أُمياً فِي عِلْمِ الظَّاهِرِ، وَفِي مَعْرِفَةِ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ، لَكِنَّهُ مُتَخَلِّقٌ بِكُلِّ كَمَالٍ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

قوله: وهو الاسم المرفوع قدره. العظيم شأنه. لكونه خليفة الله في كَوْنِهِ يَغْنِي الثَّابِتُ عَنِ الْفَاعِلِ الْحَقِيقِيِّ. وقوله: الذي لم يذكر مَعَهُ فاعله، أي بل صار عَيْنُ الْفَاعِلِ الْحَقِيقِيِّ، لِفَنَائِهِ فِي وُجُودِهِ. وانطوائه فِي شَهَادَتِهِ. قد انطوى وجوده فِي وجود فاعله. فانتقل من المفعولية إلى الفاعلية بل صار عَيْنُ الْعَيْنِ، كما قال بعض المشارقة، فِي بَعْضِ أَرْجَائِهِ:

قَبْلَ الْيَوْمِ كُنْتُ مَقْبِداً بِقُبُودِ الْبَيْنِ مَخْجُوباً بِالْوَهْمِ نَحْسِبُ مُفْرَدِي اثْنَيْنِ
فَلَمَّا تَبَدَّى جَمَالُكَ زَالَ عَنِّي الضَّمْنِ شَهِدْتُ عَيْنِي بِعَيْنِي صِرْتُ عَيْنَ الْعَيْنِ
وَكُلُّ مَنْ تَحَقَّقَ بِمَقَامِ الْفَنَاءِ، يَصِيرُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى، فَإِنَّ كَانَ الْفِعْلُ الَّذِي

صَدَرَ مِنْهُ مَاضِيًّا ضَمُّ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، وَصَارَ وَقْتًا وَاحِدًا؛ وَهُوَ إِسْقَاطُ الْهَوَى، وَمَحَبَّةُ الْمَوْلَى، وَتُكْسَرُ مَا قَبْلَ آخِرِهِ، أَيْ تَوَاضَعُ فِي آخِرِ نَهَائِيَّتِهِ، مَعَ عَظِيمِ قُدْرِهِ، وَكِبَرِ شَأْنِهِ. لِيَعْتَمِدَ الْإِنْتِفَاعُ بِهِ، كَمَا عَمَّ الْإِنْتِفَاعُ بِمَوْرَثِهِ ﷺ. وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ الْوَاقِعَ مِنْهُ مُضَارِعًا، أَيْ مُشَابِهًا لِأَفْعَالِ أَهْلِ السُّلُوكِ، بِأَنْ تَنْزِلَ إِلَى سَمَاءِ الْحَقُوقِ، أَوْ أَرْضِ الْحُظُوظِ، بِالْإِذْنِ وَالتَّمَكُّينِ، وَالرَّسُوخِ فِي الْبَقِيَّةِ ضَمُّ أَوَّلِهِ لآخِرِهِ، وَفَتْحُ لَهُ قَبْلَ آخِرِ عَمَرِهِ فِي التَّرْقِيِ أَبَدًا سَرْمَدًا، إِلَى مَا لَا نَهَايَةَ لَهُ. قَالَ تَعَالَى لِسَيِّدِ الْعَارِفِينَ: ﴿وَقُلْ رَبِّي زِدْنِي عِلْمًا﴾. وَهُوَ عَلَى قَسَمَيْنِ: ظَاهِرٌ وَمُضْمَرٌ، ظَاهِرُ «لِمَنْ سَبَقَتْ لَهُ الْعِنَايَةُ، وَوَجِبَتْ لَهُ الْوِلَايَةُ. وَمُضْمَرٌ، أَيْ خَفِيَ عَنْ سَبَقِ لَهُ الْخِذْلَانِ. وَحَظِي بِالْخِيْبَةِ وَالْخُسْرَانِ. فَالْأَوْلِيَاءُ عَرَائِسُ الرَّحْمَنِ، لَا يَعْرِفُهُمْ إِلَّا مَنْ أَكْرَمَهُ الْكَرِيمُ الْمَثَانِ، فَلَا يَعْرِفُ الْعَرَائِسَ الْمَجْرُمُونَ. فَلَا يُوَصِّلُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ، إِلَّا مَنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُوَصِّلَهُ إِلَيْهِ. سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ الدَّلِيلَ عَلَى أَوْلِيائِهِ إِلَّا مِنْ حَيْثُ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُوَصِّلْ إِلَيْهِمْ، إِلَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يُوَصِّلَهُ إِلَيْهِ. وَلِلَّهِ دَرُ الْقَاتِلِ، حَيْثُ يَقُولُ:

وَمَنْ نَفَى الْخُصُوصَ فِي زَمَانِهِ	فَذَاكَ مَكْرَزِيدَ فِي خِذْلَانِهِ
يَخْفِيهِمْ عَنْ خَلْقِهِ فِي خَلْقِهِ	وَذَاكَ فَاغْلَمَ مِنْ عَظِيمِ لَطْفِهِ
لَأَنَّهُمْ عَرَائِسُ الرِّخْمَنِ	يَخْجِبُهُمْ عَنْ كُلِّ ذِي خِذْلَانٍ
وَلَمْ يُوَصِّلْ لَوْلِي سَاعَتِهِ	إِلَّا الَّذِي أَهْلُهُ لِحَضْرَتِهِ
إِنْ لَمْ تُثَلَّقِ عَارِضًا فِي مُدَّتِكَ	لَا عَاشَ عُمَرُ عَيْشَةٍ كَعَيْشَتِكَ

وَالظَّاهِرُ هُوَ الَّذِي يَظْهَرُ عَلَيْهِ خَوَارِقُ وَكَرَامَاتُ، وَالْخَفِيُّ مَنْ لَمْ يَظْهَرِ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

بَابُ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ: الْمُبْتَدَأُ اسْمٌ مَفْعُولٌ، حُذِفَ مُتَعَلِّقُهُ بِكُسْرِ اللَّامِ أَيْ الْمُبْتَدَأُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ ابْتَدِءَ بِهِ الْكَلَامَ، وَالْخَبَرُ اسْمٌ مِنْ بَابِ تَسْمِيَةِ الْجُزْءِ بِاسْمِ الْكُلِّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتِمُّ الْخَبَرُ إِلَّا بِإِنْضِمَامِهِ لِلْمُبْتَدَأِ. وَخَصُّ اسْمِ الْخَبَرِ؛ لِأَنَّهُ كَمَالُ مَا أُرِيدَ أَنْ يَخْبَرَ بِهِ الْمُتَكَلِّمُ. وَعَرَفَهُ الْمُصَنِّفُ بِقَوْلِهِ: (ص) هُوَ الْاسْمُ (ش) الصَّرِيحُ، كَقَوْلِكَ: اللَّهُ رَبُّنَا. وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ نَبِيُّنَا. قَصْدًا لِلتَّعْظِيمِ، أَوْ إِبْخَارِ الْمَشْرُكِ أَوْ الْمُؤُولِ، نَحْوُ: «أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ» أَيْ صَوْمُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ. نَزَلَتْ الْآيَةُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، حِينَ كَانَ النَّاسُ مَخْتَارِينَ بَيْنَ الصَّوْمِ وَالْإِطْعَامِ. ثُمَّ تُسَيِّخُ بِقَوْلِهِ: «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ». أَيْ فَمَنْ حَضَرَ مِنْكُمْ فِي الشَّهْرِ، وَلَمْ يَكُنْ مُسَافِرًا فَلْيَصُمْ. (ص) الْمَرْفُوعُ (ش) تَقْدِمُ الْبَحْثُ فِيهِ وَالْجَوَابُ. (ص) الْعَارِي عَنْ الْعَوَامِلِ اللَّفْظِيَّةِ (ش)

غَيْرِ الزَّائِدَةِ. زَادَ فِي الْمَحَاضِي: مَخْبَرُ عَنْهُ، أَوْ وَاصِفٌ رَافِعٌ لِمَكْتَفِي بِهِ. فَخَرَجَ بِقَوْلِهِ: الْعَارِي عَنْ الْعَوَامِلِ، اسْمٌ كَانَ، وَإِنْ وَظَنَ، وَلَا الْمَجَازِيَّةَ. وَقَوْلُهُ: غَيْرِ الزَّائِدَةِ. وَأَمَّا الزَّائِدَةُ فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ، نَحْوَ بِحَسْبِكَ دَرَاهِمٌ، فَحَسْبُكَ مُبْتَدَأٌ، وَدَرَاهِمٌ خَبَرٌ. وَالْعَامِلُ لِلزِّيَادَةِ، لَا عِبْرَةَ بِهِ. وَقِيلَ: بِحَسْبِكَ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، وَدَرَاهِمٌ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ. وَاخْتَارَهُ الْكَافِيحِيُّ؛ قَالَ: لِأَنَّهُ مُحِطٌ بِالْفَائِدَةِ؛ لِأَنَّ الْقَصْدَ الْإِخْبَارَ عَنِ الدَّرَاهِمِ؛ لِأَنَّهُ كَافِيهِ. وَدَخَلَ فِي الْعَامِلِ الزَّائِدِ، نَحْوُ: رُبُّ رَجُلٍ صَالِحٍ لِقِيَّتِهِ، فَرَجُلٌ مُبْتَدَأٌ، وَلَا أَثَرُ لِرُبِّ، لِأَنَّهُمَا فِي حَكْمِ الزَّائِدِ، إِذْ لَا تَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ، وَفِي قَوْلِهِ: الْعَارِي عَنْ الْعَوَامِلِ الْخ. إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ عَامِلَ الْمُبْتَدَأِ مَعْنَوِيٌّ؛ وَهُوَ الْإِبْتِدَاءُ، وَهُوَ الصَّحِيحُ وَالْإِبْتِدَاءُ هُوَ التَّجَرُّدُ عَنِ الْعَوَامِلِ، أَيْ كَوْنُ الْمُبْتَدَأِ مَعْرِيَّ عَنْهَا. وَقَوْلُهُ مَخْبَرٌ عَنْهُ، نَحْوُ: زَيْدٌ عَالِمٌ، أَوْ وَصَفٌ رَافِعٌ لِمَكْتَفِي بِهِ، نَحْوُ: أَقَاتِمُ الزُّيْدَانِ، أَمْضُورُ الْعِمْرَانِ. وَقَوْلُ الشَّاعِرِ:

خَلِيلِي مَا وَافٍ بِعَهْدِي أَنَّمَا إِذَا لَمْ تَكُونَا لِي عَلَى مَنْ أَقْطَعُ
فَقَاتِمُ مُبْتَدَأٌ، وَالزُّيْدَانِ فَاعِلٌ أَغْنَى عَنِ الْخَبَرِ، وَكَذَلِكَ مَا وَافٍ مُبْتَدَأٌ، وَأَنْتَمَا فَاعِلٌ أَغْنَى عَنِ الْخَبَرِ، وَلَا بَدَأَ أَنْ يَعْتَمِدَ هَذَا الْوَصْفُ عَلَى نَفْيٍ أَوْ اسْتِفْهَامٍ، فَإِنْ لَمْ يَعْتَمِدَ تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْوَصْفُ خَبَرًا مُقَدِّمًا. وَالْإِسْمُ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ وَلَا بَدَأَ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ الْوَصْفُ مَفْرُودًا وَالْمَكْتَفِي بِهِ تَثْنِيَّةٌ أَوْ جَمْعًا، فَإِنْ كَانَا مُفْرَدَيْنِ مَعًا جَارَ الْوُجْهَانِ، نَحْوُ أَرَاغِبٍ عَنِ الْهَيْتِ، فَيَجُوزُ فِي رَاغِبٍ أَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأٌ، وَأَنْتَ فَاعِلٌ أَغْنَى عَنِ الْخَبَرِ. وَأَنْ يَكُونَ خَبَرًا مُقَدِّمًا، وَأَنْتَ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ، وَإِنْ اسْتَوِيَا فِي التَّثْنِيَّةِ وَالْجَمْعِ، تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْوَصْفُ خَبَرًا وَمَا بَعْدَهُ مُبْتَدَأٌ، نَحْوُ: أَقَاتِمَانِ الزُّيْدَانِ، أَوْ أَقَاتِمُونَ الزُّيْدُونَ، فَتَحْصُلُ أَنَّ الْمُبْتَدَأَ قَسْمَانِ، مُسْنَدٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي لَهُ خَبَرٌ وَمُسْنَدٌ؛ وَهُوَ الرَّافِعُ لِمَا أَغْنَى عَنِ الْخَبَرِ، ثُمَّ عَرَفَ الْخَبَرَ بِقَوْلِهِ: (ص) وَالْخَبَرُ (ش) هُوَ الْإِسْمُ أَيْ الْجُمْلَةُ عَلَى مَا يَأْتِي. (ص) الْمَرْفُوعُ (ش) تَقْدِمُ مَا فِيهِ. (ص) الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ. (ش) أَيْ إِلَى الْمُبْتَدَأِ فَالْخَبَرُ مُسْنَدٌ، وَالْمُبْتَدَأُ أَسْنَدٌ إِلَيْهِ، وَلَوْ قَالَ: وَالْخَبَرُ هُوَ الْجُزْءُ الَّذِي حَصَلَتْ بِهِ الْفَائِدَةُ لَكَانَ أَحْسَنَ وَأَبْيَنَ. وَالرَّافِعُ لِلْخَبَرِ هُوَ الْمُبْتَدَأُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ. قَالَ فِي الْأَلْفِيَّةِ:

وَرَفَعُوا مُبْتَدَأً بِالْإِبْدَاءِ كَذَلِكَ رَفَعُ خَبَرٍ بِالْمُبْتَدَأِ

قَالَ ابْنُ مَالِكٍ: وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، لِسَلَامَتِهِ، لِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ مَوَارِدِ الصَّحَّةِ، وَبِحِثِّ فِيهِ بِأَنَّهُ يُلْزَمُ عَلَيْهِ رَفْعُ مَعْمُولَيْنِ بِعَامِلٍ وَاحِدٍ مِنْ غَيْرِ تَبْعِيَّةٍ. فِي

نحو أقائم أبوه منطلق. وبأن معمول الاسم الجامد لا يتقدم عليه. وبأن المبتدأ يكون ضميراً. والضمير لا يغلّ وأجيب عن الأول، بأن جهة طلبه للفاعل، غير جهة طلبه للخبر. وإذا اختلفت الجهة زال المنع، وعن الآخرين بأن عمل المبتدأ بالأقالة لا بالشبهة بالفعل. وما ذكره إنما يؤثر فيما يعمل بالشبهة أنظر السوداني (ص) نحو قولك زيد قائم، والزيدان قائمان، والزيدون قائمون (ش) والزيدود قيام، وهند قائمة، والهندان قائمتان، والهندات قائمات، فلا بُد من مطابقة الخبر للمبتدأ في الإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث، وتقدم الجواب عن قوله: المعربات قسمان. وأما قوله تعالى: ﴿الْعَجُّ أَشْهُرٌ مِّنْ مَّوْتٍ﴾ فالأصل فيه الحج في أشهر. وسيأتي الكلام عليه في الإخبار بالظرف. وقد يتحد المبتدأ والخبر في اللفظ. وإذا قصد التعظيم والمبالغة، نحو قوله تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الشَّيْئُونَ﴾. وقول الشاعر: أنا أبو النجم وشعري شعري. (ص) والمبتدأ قسمان: ظاهر ومضمر، فالظاهر ما تقدم ذكره. والمضمر (ش) أي المتفصل. (ص) خمسة للغائب، وسبعة للحاضر، اثنان للمتكلم، وخمسة للمخاطب. (ص) وهي أنا (ش) للمتكلم وحده، مذكراً كان أو مؤنثاً. ومذهب البصريين، أن الضمير: الهمزة والنون دون الألف، فإنه زائد. وحرك فرقاً بينه وبين أن المصدرية (ومذهب الكوفيين. واختاره ابن مالك أن المجموع هو الضمير. (ص) ونحن (ش) للمتكلم المعظم نفسه. أو معه غيره. حرك لالتقاء الساكنين. وكانت ضمة، لأنه لما تضمن معنى الجمع أعطي أقوى الحركات، قاله المبرّد، بفتح الراء المشددة وأصله المبرّد بكسرهما؛ لأنه كان يبرّد العلوم. ففتحوا زاءه حسداً (ص) وأنت (ش) بفتح التاء للمخاطب المذكر. (ص) وأنت (ش) بكسرها للمؤنثة المخاطبة (ص): وأنتما (ش) للتثنية مطلقاً (ص) وأنتم (ش) للمخاطبين المذكرين. (ص) وأنن (ش) لجمع النسوة. والأصل في الجميع، أن الضمير الهمزة والنون فقط، والتاء حَرْف خطاب. وقال الفراء: الضمير المجموع. وقال ابن كيسان: الضمير التاء فقط. (ص) وهُوَ (ش) للغائب المذكر. والأصح أن الضمير المجموع، وقالت الكوفية، التاء فقط، والواو إشباع، ويصح تشديده. وهي لغة همدان كما في التسهيل. (ص) وهي (ش) للغائبة. والخلاف فيها، كالخلاف في هو. وقد تشدد الباء كهو. (ص) وهُمَا (ش) للغائبتين مطلقاً. (ص) وهُم (ش) للغائبتين المذكرين. (ص) وهُنَّ (ش) للغائبات المؤنثات. والضمير فيها عند البصريين الهاء؛ وعند الفارسي المجموع. (ص) نحو قولك: أنا قائم، ونحن قائمون، وما أشبه ذلك. (ش) نحو أنت قائم، وأنت

قائمة، وأنتما قائمان؛ وقائمتان، وهم قائمون، وهُنَّ قائمات. (ص) والخبر (ش) من حيث هو (ص) قسمان، مفرد وغير مفرد. (ش) والمراد بالمفرد هنا: ما ليس جملة، ولأشبهها بالجملة، فيدخل في المفرد هنا التثنية والجمع بأنواعه؛ وهو قسمان جامد فلا يتحمل ضميراً، نحو زيد أبوك. ومشتق؛ وهو الذي يختمل الضمير، نحو زيد عالم. وقد يرفع ظاهراً ملتبساً بضمير يعود على المبتدأ. نحو زيد عالم أبوه (ص) فالمفرد، نحو زيد قائم. (ش) فقائم خبر مشتق، يتحصل ضمير المبتدأ، وهل لضرورة الاشتقاق أو للربط قولان، الأول للمحققين، وقاله أبو البقاء ويشهده إنه نفس المبتدأ في المعنى، وإنما الربط بين المتغايين. وهذه المسألة مما فاتت التسهيل، وجمع الجوامع، قاله السودان رحمة الله، ثم قال: فإن قلت زيد قائم هو. فَعَن سيبويه، فيه وجهان، كونه فاعلاً بقائِم، أو توكيداً للضمير المستتر في قائم. نقله ابن عقيل في شرح الألفية. (ص) وغير المفرد أربعة أشياء. المجرور والظرف. (ش) التامان؛ وهما اللذان يُفهم معناه بمجرّد ذكرهما. فلا يجوز زيد فيه، ولا زيد أنس، ويتعلقان بالإستقرار المحذوف، أو الكون. وهو الخبر عند المحققين، ولا بد أن يكون كوناً مطلقاً. فلا يجوز في نحو زيد في الدار، أن يقدر ضاحك أو نائم. ونحو ذلك. وإنما يُقدَّر ما يدل على مطلق الثبات والحصول وتَجُوز أن يقدر اسماً أو فعلاً؛ وهل الراجع الاسم؛ لأن الأصل في الخبر الأفراد. ولتعيينه في بعض المواضع، نحو: إمّا عندك زيد، إذ لا يفصل بين إمّا والفاء بجملة تامة. وخرجت فإذا عندك زيد؛ لأن إذا الفجائية لا تدخل على الفعل، ورجح ابن الحاجب تبعاً للزمخشري والفارسي الفعل؛ لأنه أضل في العمل، ولتعيينه في الصلة. (ص) والفعل مع فاعله. والمبتدأ مع خبره (ش) ويسمى الفعل مع فاعله، جملة فعلية، والمبتدأ مع خبر، جملة إسمية، ثم إن بينت من مبتدأ وخبر فصغرى، وإن كان خبرها جملة فكبرى، والكبرى إذا كان صدرها اسماً، وعجزها فعلاً، تسمى ذات وجهين، نحو زيد قائم أبوه. ثم مثل للجار والظرف فقال. (ص) نحو زيد في الدار (ش) هذا مثال للمجرور، أي حاصل أو كائن في الدار، أو حصل لو كان في الدار. (ص) وزيد عندك (ش) وهذا مثال للظرف، ولأفروق بين ظرف الزمان والمكان، نحو: السفر يوم الجمعة. وزيد أمامك، ولا يكون اسم زمان خبراً عن اسم عين، فلا تقول زيد أنس ولا زيد اليوم لعدم الفائدة. ويكون اسم الزمان خبراً عن المعنى، نحو: الصيام غداً، أو السفر يوم الجمعة، ثم إن وقع في جميعه أو أكثره. وكان نكرة، رفع غالباً، نحو

السفر يوم، أو السفر شهر، إذا كان السفر في أكثره، لأنه لاستغراقه إيّاه، صار كأنه هو، ومنه قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ لوقوع الحج في أكثرها، ولا يمتنع نضبه ولا جره خلافاً للكوفيين. وإن كان الزمان معرفة، نحو الصيام يوم الجمعة لم يكن إلا الرفع غالباً، كما في الأول عند البصريين. فإن وقع الفعل لا في أكثر الزمان، سواء كان الزمان معرفة أو منكراً، فالأغلب نضبه أو جره يعني اتفاقاً بين الفريقين. نحو: الخروج يوماً أو في يوم، والسفر يوم الجمعة، أو في يوم الجمعة، ويجوز رفعه قال في التسهيل: وربما رفع خبر الزمان الموقع في بعضه، ويفعل ذلك في المكان المتصرف، بعد اسم عين، راجعاً إن كان المكاني نكرة، ومَرْجُوحاً إن كان معرفة. أنظر بقيته فيه، ثم مثل للجملة فقال. (ص) وزيد قام أبوه (ش) وهو مثال للفعل مع فاعل. (ص) وزيد جاريته ذاهبة (ش) وهو مثال للمبتدأ مع خبره، فجملة قام أبوه خبر. وهي جملة صغرى بائضمامها إلى المبتدأ، تكون كبرى ذات وجهين، وجاريته ذاهبة، خبر عن زيد جملة صغرى ومع المبتدأ جملة كبرى، ذات وجه واحد، ولا بد للجملة الواقعة خبراً من رابط يربطها مع المبتدأ، كانت اسمية أو فعلية، يكون ضميراً؛ وهو الأصل، كالهاء في زيد قام أبوه. ويغني عنه اسم الإشارة، كقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾. فيمن رفع أو تكرير المبتدأ بلفظه، كقوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾ أو معناها، نحو زيد جاءني، أبو عبد الله إذا كان أبو عبد الله كنية له. قاله الأخفش، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْسُكُوتُ إِلَيْنَا أَلْمُؤْمِنُونَ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضَاعُ آلْمُؤْمِنِينَ﴾. أو عموم يدخل تحته المبتدأ. نحو زيد نغم الرجل. وهذا ما لم يكن الجملة هي نفس المبتدأ في المعنى. وإلا فلا تحتاج إلى رابط. نحو: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. وقول القائل مجبراً أبي بكر لا إله إلا الله. أي ديدنه وشغله هو هذه الكلمة.

تنبيه تتعدد المبتدئات إلى عشرة فأكثر، ويخبر عنها بخبر واحد، نحو زيد أبوه أخوه خاله ابنه ابنته، ضمها جاره جاريته. سيدها صديقه قائم. فقائم خبر عما قبله؛ وهو مع خبره، خبر عما قبله، وهكذا إلى الأول، ولا بد في كل جملة من رابط كالمثال المذكور. فإن قلت: أي فائدة في تعدد المبتدأ في قولك، زيد أبوه منطلق، وهلاً قلت: أبو زيد منطلق، فيكون أخص. فالجواب: إن ذكر الشيء مرتين أوكد من ذكره مرة. وأيضاً: قد وقع الإلباس في قولك: أبو زيد منطلق. فلا يُدْرَى هل أبوه النسب أو الكنية، وأيضاً في جعل زيد وشبهه مبتدأ، عناية واهتمام بشأنه بخلاف ما إذا كان حشواً مضافاً. وبهذه المسألة استدلت الصوفية، على أن

الفقير الصابر، أعظم من الغني الشاكر. وذلك أَنَّ سيدنا سليمان عليه السلام ذُكر مضافاً لأبيه، ومنخرطاً في سلكه، ممتثلاً به عليه. وَلَمْ يُذَكَّرْ مُسْتَقِلًّا بِنَفْسِهِ، وَكَانَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ الشَّاكِرِينَ، بخلاف سيدنا أيوب عليه السلام، فَإِنَّ ذَكَرَ لَهُ تَرْجُمَةً مُسْتَقِلَّةً فَقَالَ: «وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ». فتأملهُ. ذكر ذَلِكَ صاحب القوت. فائدة: الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة. والأصل في الخبر أن يكون نكرة، فَإِنْ قُلْتَ: ما الفرق بين المبتدأ أو الفاعل، حتى جاوزوا تنكير الفاعل، من غير مسوِّغ دون المبتدأ. فأجازوا جاء رَجُلٌ، ولم يجيزوا رجل جاء، وَكِلَاهُمَا مُسْنَدٌ إِلَيْهِمَا فِي الْمَعْنَى. فالجواب، إِنَّ الْعَرَبَ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَتَأَنَّقَ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ، لِيَقَعَ الْإِضْغَاءُ إِلَيْهِ. فإذا كَانَ أَوَّلُ الْكَلَامِ مَجْهُولاً وَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، وَلَمْ تَتَشَوَّقْ إِلَى تَمَامِهِ. والنكرة مجهولة، بخلاف الفعل، فإنه يدل على وقوع شيء، فتتشوق إلى فاعله، فيقع الإضغاء إلى ذلك الكلام، والله تعالى أعلم. وقد تكلَّم النَّاسُ فِي مَسْوَغَاتِ الْإِبْتِدَاءِ بِالنُّكْرَةِ، فَمِنْهُمْ الْمُقَلِّلُ، وَمِنْهُمْ الْمُكَثِّرُ. ولم يشترط سببونه إِلَّا حُصُولَهُ أَوْ يَنْكِرَانِ، بِشَرَطِ الْفَائِدَةِ، وَحَصُولِهَا غَالِباً عِنْدَ تَنْكِيرِ الْمَبْتَدَأِ بِأَنْ يَكُونَ وَضْفاً أَوْ مَوْصُوفاً، ظاهراً ومقدراً، أَوْ عاملاً أَوْ معطوفاً عليه، أَوْ مقصوداً بِهِ الْعُمُومَ أَوْ الْإِبْهَامَ، أَوْ مَا فِي الْاسْتِفْهَامِ، أَوْ نَفْيِ لَوْلَا. أَوْ واو الحال أَوْ فاء الجزاء، أَوْ ظرف مختص، أَوْ لا حق به، أَوْ مَا يَكُونُ دَعَاءً أَوْ جَوَاباً، أَوْ وَاجِبَ التَّصْدِيرِ، أَوْ مَقْدَراً إِيْجَابُهُ بَعْدَ نَفْيِ هـ.

ومن المصوغات، أَنْ يَدُلَّ الْمَبْتَدَأُ عَلَى خَرَقِ الْعَادَةِ، كَقَوْلِكَ: ذَيْبٌ تَكَلَّمَ، أَوْ بَقَرَةٌ تَكَلَّمَتْ. تَنْبِيْهُ: يَجُوزُ حَذْفُ مَا عَلِمَ مِنْ مَبْتَدَأٍ أَوْ خَبَرٍ، أَوْ هُمَا مَعاً. فَمِنْ حَذْفِ الْمَبْتَدَأِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ﴾ أَي فَعَمَلُهُ لِنَفْسِهِ، وَمِنْ أَسَاءَ، فإِسَاءَتُهُ عَلَيْهَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَصَبِّرْ جَبِيلًا﴾. أَي فَأَمْرِي صَبْرٌ جَمِيلٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ حَذْفِ الْخَبَرِ، أَي فَصَبِرْ جَمِيلٌ أَمَثَلٌ، وَمِنْ حَذْفِ الْخَبَرِ، خَرَجْتَ فَإِذَا زَيْدٌ، أَي حَاضِرٌ. وَقَدْ يَجِبُ حَذْفُهُ إِذَا وَقَعَ بَعْدَ لَوْلَا الْإِمْتِنَاعِيَّةِ. إِذَا عَلِقَ الْإِمْتِنَاعُ عَلَى نَفْسِ الْمَبْتَدَأِ، نَحْوُ: لَوْلَا زَيْدٌ لَأَكْرَمْتِكَ، أَي مَوْجُودٌ، وَمِنْ حَذْفِهِمَا مَعاً، إِذَا دَلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي لَوْ يَخْتَفُونَ﴾ أَي فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ، وَمِنْ حَذْفِهِمَا مُفْتَرِقَيْنِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ سَنَنْقُمَنَّكُمْ﴾ أَي عَلَيكُمْ سَلَامٌ، أَنْتُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرِحَ، قَالَ فِي التَّسْهِيلِ، وَقَدْ يَكُونُ لِلْمَبْتَدَأِ خَبَرَانِ فَصَاعِداً بِعَطْفٍ وَبِغَيْرِ عَطْفٍ. وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ مَا تَتَعَدَّدُ لَفْظاً دُونَ مَعْنَى. وَلَا مَا تَتَعَدَّدُ بِتَعَدُّدِ صَاحِبِهِ. حَقِيقَةُ أَوْ حَكْمًا وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الإِشَارَةُ: الْمَبْتَدَأُ بِهِ وَالْمُنْتَهَى إِلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ جَلُّ جَلَالِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿الْأَوَّلُ

وَالْآخِرُ وَالْأَوَّلُ» وقال تعالى: «وَأَنَّ إِلَيْنَا الْمُنْتَهَى». والمبتدأ: إشارة إلى الذات العلية الأزلية، في حال الكثرية قبل التجلي. والخبر إشارة إلى حال الذات بعد التجلي؛ لأن ما وقع به التجلي من الفروع الكونية، أسماء لمسميات متعددة لفظاً. متحدة معنى. وهي مُسْتَدَّة إلى ما وقع به الإبتداء: وهو الذات العلية الأزلية؛ لأنها فرع عنها ومن تجل من تجلياتها، قال صاحب العينية:

تجلى حبيبي في مرآة جماله ففي كل مرآة للحبيب طلائع
فلما تبدى حسنه متنوعاً، تسمى بأسماء فهي مطلق. وفي الحديث القدسي
«كُنْتُ كَثْرًا لَمْ أُعْرَفْ. فَأَخْبَيْتُ أَنْ أُعْرَفْ. فَخَلَقْتُ خَلْقًا فَتَعَرَفْتُ لَهُمْ. فَبَيَّ
عَرَفُونِي». أي فأظهرت من سري الكثر خلقاً. وجعلت فيهم عقلاً. فتعرفت لهم،
فعرّفوني بي لا بغيري، إذ لا شيء معي. فالمبتدأ هو الاسم المرفوع القدر، العظيم
الشان العاري عن العوامل، أي المنزه عن التأثير والإنفعال، الذي هو الواجب
الوجود، السابق غير مسبوق. والعامل غير معمول هو المؤثر في الأشياء كلها
بقدرته وإرادته. وقهرته وإحاطته. تعالى جده. وتعظم شأنه: أن يلحقه نقص، أو
يحتاج إلى شيء، بل هو العني عما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه. (يا أيها الناس
أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد)، والخبر: هو الاسم المتحد بالذات
وإن تعددت أسماؤه؛ وهو ما وقع به التجلي من الفروع الكونية، والتجليات
الجمالية والجلالية، المرفوع، أي المرفوعة القدر، من حيث أنها سِر من أسرار
الذات، ونور من نورها، وإن وقع في الظاهر نقص في بغض أنواعها. فمن جهة
الباطن عين الكمالي، وفي ذلك يقول الجيلاني رضي الله عنه:

وكل قبيح إن نسبت لحسنه أتنك معاني الحسن فيه تسارع
يكمل نقصان القبيح جماله فمائم نقصان ولائم باشيع
المسند إليه فعلاً وإيجاداً، واختراعاً وتجلياً، والمبتدأ قسماً، ظاهر عند
العارفين، بظهور تجلياته، فلا يرون معه غيره كما قال شاعرهم:

فلم يبق إلا الله لم يبق كائن فمائم موصول ولائم بائن
بذا جاء برهان العيان فما أرى بعيني إلا عينه إذ أعين
ومضمر، أي خفي عند الغافلين. يستدلون بالأشياء عليه، وفي الحكم:
شأن بين من يستدل به أو يستدل عليه المستدل به عرف الحق لأهله، وأثبت الأمر

من وجود أَضْلِهِ. والاستدلال عليه، من عَدَم الوصول إليه هـ. والخَبَر الذي ظَهَرَ للعيان، من عَالَم الغَيْبِ إلى عالم الشهادة، قَسْمان أيضاً. مفرد وهو ما لَيْسَتْ له مادةٌ محصورة، كالملائكة والجن. وغير مُفْرَد؛ وهو مَالُهُ مَادَّةٌ محصورة؛ وهو المركَّب من جِسْمٍ وَلَحْمٍ وَدَمٍ، أو من جَوَاهِر حَسِيَّةٍ، والكلُّ منه وإليه، وبالله التوفيق.

بَابُ الْقَوَائِلِ الدَّاخِلَةِ عَلَى الْمَبْتَدِ وَالْخَبَرِ؛ وَتَسْمَى التَّوَاسِخُ؛ لِأَنَّهَا نَسَخَتْ حُكْمَ الْإِبْتِدَاءِ؛ الْعَامِلَ فِي الْخَبَرِ، وَصَارَ الْعَمَلُ لَهَا؛ وَهِيَ شِيَانٌ: أَعْمَالٌ وَحُرُوفٌ، فَلَا أَعْمَالُ كَانَتْ وَأَخَوَاتُهَا، وَظَنَنْتُ وَأَخَوَاتُهَا، وَالْحُرُوفُ أَنْ وَأَخَوَاتُهَا، وَلَا وَلَاتٌ وَأَنْ الْمَشَبَهَاتِ بَلِيسَ. (ص) وهي ثلاثة أشياء. (ش) ما يرفع المبتدأ، وَ يَنْصَبُ الْخَبَرُ. وهي: (ص) كَانَتْ وَأَخَوَاتُهَا (ش). وما يَنْصَبُ الْمَبْتَدَأُ وَيُرفَعُ الْخَبَرُ؛ وهي: (ص) إِنَّ وَأَخَوَاتُهَا (ش) وما يَنْصَبُ الْجَزْئَيْنِ؛ وهي: (ص) ظَنَنْتُ وَأَخَوَاتُهَا (ش) ثُمَّ بَيَّنَّ عَمَلُهَا فَقَالَ: (ص) قَامًا كَانَتْ وَأَخَوَاتُهَا، فَإِنَّهَا تَرْفَعُ الْأَسْمَ. (ش) رَفَعًا جَدِيدًا عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ. وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ، هُوَ مَرْفُوعٌ بِمَا كَانَ مَرْفُوعًا بِهِ قَبْلَ دُخُولِهَا. وَزَدَ بِاتِّصَالِ الضَّمِيرِ بِهِ فِي كُنْتُهُ، وَلَا يَتَّصِلُ إِلَّا بِالْأَفْعَالِ. (ص) وَتَنْصَبُ الْخَبَرُ (ش) اتِّفَاقًا، لَكِنْ انْتَصَبَ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ لَهَا. وَعِنْدَ الْكُوفِيِّينَ عَلَى أَنَّهُ خَالٌ. وَقَدْ يُسَمَّى اسْمُهَا فَاعِلًا مُجَازًا، وَخَبَرًا مَفْعُولًا مُجَازًا. (ص) وَهِيَ كَانَتْ (ش) نَحْوُ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا. وَهِيَ لَا تَصَافُ الْمَخْبِرُ عَنْهُ بِالْخَبَرِ فِي الْمَاضِي. إِمَّا مَعَ الدَّوَامِ، كَالْمَثَالِ. وَإِمَّا مَعَ الْإِنْقِطَاعِ، نَحْوُ: كَانَ الشَّيْخُ شَابًا. وَهِيَ أَمُّ الْبَابِ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ دَاخِلٌ تَحْتَ الْكَوْنِ، لَا يَنْفَكُ شَيْءٌ عَنْ مَغْنَاهَا، وَمَنْ ثُمَّ صَرَفُوهَا تَصَرُّفًا تَامًا عَلَى مَا يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَحَذَفُوا نَوْنَهَا، نَحْوُ: «وَلَمْ تَكْ شَيْئًا» (ص) وَأَمْسَى (ش) وَهِيَ لَا تَصَافُ الْمَخْبِرُ عَنْهُ بِالْخَبَرِ فِي الْمَسَاءِ، نَحْوُ أَمْسَى زَيْدٌ عَالِمًا. (ص) وَأَضْحَى (ش) وَهِيَ لَا تَصَافُ الْمَخْبِرُ عَنْهُ بِالْخَبَرِ فِي الضُّحَى بِنَحْوِ: أَضْحَى زَيْدٌ وَرَعًا. (ص) وَظَلَّ (ش) وَهِيَ لَا تَصَافُ الْمَخْبِرُ عَنْهُ بِالْخَبَرِ فِي النَّهَارِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا﴾ (ص) وَبَاتَ (ش) وَهِيَ لَا تَصَافُ الْمَخْبِرُ عَنْهُ بِالْخَبَرِ فِي اللَّيْلِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَبْسُوتُ رَيْنَهُمْ سُجْدًا وَفَيْكًا﴾ (ص) وَصَارَ (ش) وَهِيَ لِلتَّحْوِيلِ؛ وَالْإِنْتِقَالِ. نَحْوُ صَارَ الطَّيْنُ إِبْرِيْقًا (ص) وَلَيْسَ (ش) وَهِيَ لِنَفْيِ الْحَالِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، وَالتَّجَرُّدِ عَنِ الْقَرَائِنِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ (ص) وَمَا زَالَ وَمَا انْفَكَ وَمَا فَتِيَ وَمَا بَرِحَ (ش) وَهَذِهِ الْأَفْعَالُ تَفِيدُ مُلَازِمَةَ الْمَخْبِرِ عَنْهُ لِلْخَبَرِ عَلَى حَسَبِ مَا يَتَقَضِيهِ الْحَالُ، نَحْوُ: مَا زَالَ الْجُودُ مَحْبُوبًا. وَمَا انْفَكَ عَمْرُو جَالِسًا.

وَمَا فَتِيءَ الْعِلْمُ نَافِعًا. وما برح الجهل مضراً (ص) وَمَا دَامَ (ش) وهي للإستمرار، نحو لَا رَاحَةَ لِلْعَبْدِ مَا دَامَ مُسْجُونًا بِمَحِيطَاتِهِ، محصوراً في هيكل ذاته؛ وهذه الأفعال المذكورة، منها مَا تَعْمَلُ بِلَا شَرْطٍ؛ وهي ثمانية: كان وليس وما بينهما. ومنها مَا تَعْمَلُ بِشَرْطٍ تَقْدُمُ نَفْيٍ أَوْ شَبْهِهِ؛ وهي زَالٌ وَفَتِيءٌ وَانْفَكَّ. وَبَرَحَ وَالْمُرَادُ بِشَبْهِ النَّفْيِ النَّهْيِ وَالذَّعَاءُ بِلَا خَاصَّةٍ. مِثَالُهَا بَعْدَ النَّفْيِ: «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ». «لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ». وَمِثْلُهُ: «تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يَوْسُفَ». أَيُّ لَا تَفْتَأُ. وقول الشاعر:

غَيْرَ مِنْفِكَ أَسِيرُ هَوَى كُلُّ مَنْ لَهَى وَلَيْسَ يَفْتَقِرُ
وقال آخر:

لَيْسَ يَنْفَكَ ذَا غَيْئِي وَاعْتِزَّازِ كُلُّ ذِي عَفَةٍ يَقْلُ قَنْسُوعِ
وقال آخر:

فَلَمَّا بَرِحَ اللَّيْلِبِ إِلَى مَا يُوْرِثُ الْمَجْدَ دَاعِيًا وَمَجِيبًا
ومثالها بعد النَّهْيِ قول الآخر:

صَاحَ شَمْرُهُ وَلَا تَزَلْ ذَاكِرَ الْمَوْتِ فَنَسِيَانُهُ ضَلَالٌ مَبِينُ
ومثالها بعد الذَّعَاءِ:

أَلَا يَا سَلَمَتِي يَا دَارَ مَتَى عَلَى الْبَلَاءِ وَلَا زَالٌ مَثَلًا بِجَرِّ عَائِكَ الْقَطْرِ

ومنها مَا يَعْلَمُ بِشَرْطٍ تَقْدُمُ مَا الْمَصْدَرِيَّةُ الظَّرْفِيَّةُ، وهي دَامَ، نحو مَا دَمْتُ حَيًّا، أَيُّ أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَدَّةَ دَوَامِي حَيًّا، فَإِنْ لَمْ يَتَقَدَّمْ عَلَيْهَا مَا، أَوْ كَانَتْ غَيْرَ ظَرْفِيَّةٍ، كَانَتْ تَائِدَةً، نحو دَامَ زَيْدٌ صَحِيحًا، أَوْ يَعْجَبُنِي مَا دَامَ زَيْدٌ صَحِيحًا، أَيُّ يَعْجَبُنِي دَوَامُهُ صَحِيحًا فَمَا مَصْدَرِيَّةٌ، لَكِنَّا غَيْرَ ظَرْفِيَّةٍ، فَصَحِيحًا حَالُ الْمَثَالَيْنِ. وقوله: (ص) وَمَا تَعْرِفُ مِنْهَا. (ش) يَغْنِي يَعْمَلُ عَمَلَهَا كَالْمَصْدَرِ. واسم الفاعل، واسم المفعول، ثم هي باعتبار التصرف وعدمه على ثلاثة أقسام، منها مَا يَتَصَرَّفُ تَصَرُّفًا تَامًّا؛ وهي سَبْعَةٌ، كَانَ وَصَارَ، وَمَا بَيْنَهُمَا. ومنها مَا يَتَصَرَّفُ تَصَرُّفًا نَاقِصًا. وهي زَالٌ وَأَخَوَاتُهَا، فَقَدْ سَمِعَ لَهَا الْمَضَارِعَ، واسم الفاعل، ومنها مَا لَا يَتَصَرَّفُ؛ وهو لَيْسَ بِاتِّفَاقٍ. ودَامَ عِنْدَ الْجُمْهُورِ ثُمَّ مِثْلُ بَقُولِهِ: (ص) نَحْوُ كَانُ وَيَكُونُ وَكُنْ (ش) قَالَ تَعَالَى: «وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا». «قُلْ كُونُوا حِجَارَةً». وقال الشاعر:

وَمَا كَانَ مَنْ يُبْدِي الْبَشَاشَةَ كَائِنًا أَخَاكَ إِذَا لَمْ تَلْفَهُ لَكَ مِنْجِدًا

وقال آخر:

بَبَذِلْ وَجِلْمُ سَادٍ فِي قَوْمِهِ الْفَتَى وَكَوْنَهُ إِيَّاهُ عَلَيْكَ يَسِيرُ
وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَأَنَّ لَكُمْ أَجْرًا
وَكَأَنَّ لَكُمْ وَزْرًا». وقس على هذا. (ص) تقول: كَانَ زَيْدٌ قَائِمًا. وليس عمرو
شاخصًا. (ش) أَي مَسَافِرًا. (ص) وما أَشَبَّهَ ذَلِكَ (ش). وقد تُسْتَعْمَلُ هَذِهِ الْأَفْعَالُ
ثَامَةً، تُسْتَفْنِي بِالْفَاعِلِ عَنِ الْخَبَرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتَ ذُو غُرْبَرٍ﴾ أَي خَضَرَ.
﴿فَسُبْحَنَّ اللَّهَ حِينَ تُنْشَأُ وَحِينَ تُسْجَى﴾ أَي تَدْخُلُونَ فِي الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ، مَا
دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، أَي وَجَدْتَهَا، إِلَّا لَيْسَ وَزَالَ وَفَتَى، فَلَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا
نَاقِصَةً، ثُمَّ شَرَعَ فِي إِنْ وَأَخَوَاتِهَا فَقَالَ: (ص) وَأَمَّا إِنْ وَأَخَوَاتُهَا، فَإِنَّهَا تُنْصَبُ
الاسْمَ وَتَرْفَعُ الْخَبَرَ (ش) أَي رَفَعًا مُجَدِّدًا؛ وَهُوَ مَذْهَبُ الْبَصَرِيِّينَ، وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ
لَأَنَّ هُوَ بَاقٍ عَلَى رَفْعِهِ السَّابِقِ قَبْلَ دُخُولِهَا، وَإِنَّمَا عَمِلْتُ هَذِهِ الْحُرُوفَ، بِالْجَمْلِ
عَلَى الْأَفْعَالِ؛ لِأَنَّ أَضْلَ الْجَمْلِ، وَإِنَّمَا هُوَ الْأَفْعَالُ دُونَ الْأَسْمَاءِ وَالْحُرُوفِ. فَإِنْ
وَجَدَ عَامِلٌ لِلْحُرُوفِ أَوْ الْأَسْمَاءِ، فَلَشَبَّهَهَا بِالْأَفْعَالِ فِي اللَّفْظِ، أَوْ فِي الْمَعْنَى؛
وَهَذِهِ الْحُرُوفُ، لَمَّا أَشْبَهَتْ الْمَاضِي فِي الْبِنَاءِ عَلَى الْفَتْحِ، وَكَوْنُهَا عَلَى ثَلَاثَةِ
أَحْرَفٍ، وَدُخُولِ نُونِ الْوَقَايَةِ عَلَيْهَا، وَتَضَمُّنِهَا مَعْنَى الْأَفْعَالِ، فَمَعْنَى: إِنْ وَأَنَّ
حَقَّقَتْ، وَكَأَنَّ شَبَّهَتْ، وَلَكِنْ اسْتَدْرَكْتَ، وَلَيْتَ تَمَنَيْتَ، وَلَعَلَّ تَرْجَيْتَ عَمِلَتْ
بِالْحَمْلِ عَلَيْهَا، وَهَذَا فِي عَمَلِ النَّصْبِ وَالرُّفْعِ. وَأَمَّا الْحُرُوفُ الَّتِي تَجْرُ فَعْمَلُهَا
أَصْلِيٌّ مِنْ غَيْرِ شَبَّهَ. كَمَا قَالَ ابْنُ جَنِّي وَغَيْرُهُ. ثُمَّ عَدَّهَا فَقَالَ: (ص) وَهِيَ إِنْ (ش)
يَكْسُرُ الْهَمْزَةَ، وَشَدَّ الثُّونَ. (ص) وَأَنَّ (ش) يَفْتَحُ الْهَمْزَةَ وَالشَّدَّ. وَالْمَكْسُورَةُ هِيَ
الْأَصْلُ. وَالْمَفْتُوحَةُ فَرْعُهَا؛ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ مَعَ الْمَكْسُورَةِ مُسْتَقْلِلَةٌ بِنَفْسِهَا، غَيْرُ مُؤَوَّلَةٍ
بِالْمَفْرُودِ، وَالْمُسْتَقْبَلُ أَضْلُ الْمُؤَوَّلِ، وَقِيلَ الْمَفْتُوحَةُ أَضْلُ، وَقِيلَ: كِلَاهُمَا أَضْلُ
(ص) وَكَأَنَّ وَلَيْكُنْ (ش) بِشَدِّ الثُّونِ. (ص) وَلَيْتَ وَلَعَلَّ تقول: إِنْ زَيْدًا قَائِمٌ وَلَيْتَ
عَمْرًا شَاخِصٌ. (ش) وَكَأَنَّ زَيْدًا أَسَدٌ. «وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ» يَا لَيْتَنِي
كُنْتُ مَعَهُمْ «وَلَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ». وَعَمِلَ هَذِهِ الْحُرُوفُ مُقِيدٌ بِمَا؛ إِذَا لَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهَا
مَا الزَّائِدَةُ. فَإِنَّ دَخَلَتْ عَلَيْهَا بَطَلَ عَمَلُهَا، لِزَوَالِ اخْتِصَاصِهَا بِالْأَسْمَاءِ نَحْوُ: «إِنَّمَا
اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ». «كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ» إِلَّا لَيْتَ فَيَجُوزُ فِيهَا الْوَجْهَانِ؛ الْعَمَلُ
وَعَدَمُهُ. قَالَ الشَّاعِرُ:

أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا وَنَصَفَهُ فَقَدْ

وروي بنصب الحمام ورفعها، وقيل يجوز الإغمال بقله. فما الزائدة قد تبطل العمل كما هنا، وقد توجه كما تقدم في حيثما وإذ ما وألغز الجلال السيوطي فقال:

ألا أيها النحوي إن كنت بارعاً وأنت لأقول النحاة تفضل وأحكمت أبواب الأحاجي بأسرها ابن لي عن حرف يولي ويعزل

فإن قلت لم، أبطلت العمل في إن وأخواتها. ولم تبطله في حروف الجر. قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمُوا مِنْ آفُو لَيْتَ لَهُمْ﴾. ﴿فِيمَا نَقَضُوا مِنْهُمْ﴾. قلت: لأن حروف الجر عملها بالأصالة كما تقدم بخلاف إن وأخواتها، فبالحمل على الفعل كما قدمنا، فضعف أمرها. فأقل شيء يبطل عملها. (ص) فمعنى: إن وأن للتوكيد (ش) أي توكيد النسبة، ونفي الشك عنها، إذا كان المخاطب متردداً. فإن كان جاحداً، زيد التوكيد بالقسم. والحاصل: أن المخاطب إذا كان خالي الذهن. ألقى إليه الكلام غير مؤكد بشيء. فإن كان متردداً أكد له الكلام بإن. وإن كان منكراً له بأن والقسم. كقوله تعالى في قصة رسل عيسى: قالوا ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾. فآلقوا إليهم الكلام غير مؤكد باللام. فلما أنكروا وجحدوا قالوا ربنا يعلم إننا إليكم لمرسلون، فربنا يعلم بمنزلة القسم. فالتوكيد لنفي الشك مستحسن. ولنفي الإنكار واجب. ولغيرهما لا ولأ. (ص) وكأن للتشبيه. (ش) المؤكد لتركيبه من كاف التشبيه. وإن المفيدة للتوكيد، نحو: كأن زيدا أسداً، أو حماراً. مما الخبر فيه أرفع من الاسم أو أخفض (ص) ولكن للاستدراك (ش) وهو تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه نحو زيد شجاع لكنه بخيل؛ لأن إثبات الشجاعة توهم ثبوت السخاء؛ لأن من سخي بنفسه، فيماليه أولى فرفع بذلك الإيهام بالاستدراك. وتقول: زيد بخيل لكنه شجاع، لأن ثبوت البخل، يؤهم نفي الشجاعة فأثبتته بالاستدراك. (ص) ولينت للتثني (ش) وهو ما لا طمع فيه، أو ما فيه عسر فالأول كقول الشيخ: لبت الشباب يعود يوماً. والثاني: كقول الفقير المنقطع الرجاء: ليت لي مالا فأحج به. (ص) ولعل للترجي (ش) ويكون في المحبوب، نحو: لعل الحبيب قادم (ص) والتوقع. (ش) أي الانتظار. كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا لَكَ بَطِخٌ نَفْسَكَ﴾. ويكون في المحبوب والمكروه غير أن المحبوب فيه الترجي. والمكروه يقال فيه الإشفاق والتوقع. يصدق عليهما معاً فلو اقتصر على التوقع. أو قال الترجي والإشفاق لكان أقرب. وفي لعل لغات، تركنا ذكرها إذ ليس فيها غرض.

نحو: وقال المؤلف: ومعنى: إِنَّ وَأَنَّ للتوكيد. الصواب إسقاط اللام، فيقول: ومعنى إِنَّ وَأَنَّ للتوكيد الخ تتمات: الأولى: إذا خفقت إِنَّ المكسورة قل عملها كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ﴾ ومن إعمالها قراءة نافع. «وإن كُلاً لَمَّا يُؤْتِيهِمُ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ». وإذا أُمِلَّتْ فالأكثر أن يليها فعل ناقص. ليبقى أثرها في الجملة، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الْإِيْنُ كَرُورًا﴾. «وَإِنْ تَطُنُّكَ لِيْنَ الْكَذِبِينَ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَسِيقِينَ»، وإذا خُفِيتْ المفتوحة لم تُهْمَل. ويكون اسمها ضمير شأن ويفصل خبرها إن بُدِيَ بفعل متصرف غير دعاءٍ بَقْد. «وَنَعْلَمُ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا» أو نفي عَلِمَ أَنَّ لَنْ تحصوه. أو تنفيس. نحو: «عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى» أو لَوْ، نحو: «وَأَنَّ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ». وإنما فصلت بهذه الأشياء. ليلاً تلتبس بأن المصدرية؛ لأنَّ المصدرية لا تدخل على هذه الأشياء أبداً. وإذا خُفِيتْ كَانَتْ أَعْمِلَتْ محذوفة الاسم. والجملة بعدها خَبَر. ويجوز إظهاره كقول الشاعر:

وَيَوْمًا تَوَافَيْنَا بِوَجْهِهِ مَقْسَمٍ كان ظبية تعطوا إلى ورقة السلم
رُوي برفع ظبية ونصبها وجرها، على زيادة أن، أي كظبية. وتفصل بقدر إن بُدِثَ بماضٍ، نحو: كَانَ قد قام زيد وبكم، إن بُدِثَ بمضارع كقوله تعالى: ﴿كَانَ لَمْ تَقْتِ بِالْأَمْسِ﴾ وتخفف، فكن فَتُهْمَل، وتكون حَرْف عطف، نحو ما قام زيد لكن عمرو وعن يوسف والأخفش جواز إعمالها. الثانية: يجوز تقديم خبر هذه الحروف على اسمها، إذا كان مجروراً وظرفاً. نحو: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ». ونحو: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ» وَإِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا. وأما تقديم خبرها عليها فلا يجوز بخلاف كَانَ وأخواتها فيقدم، ويتوسط. ويكون ذلك جائزاً أو واجباً، إن كَانَ لَهُ صَدْرُ الْكَلَام. نحو: كَيْفَ كَانَ بَذءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. الثالثة: يجوز حذف اسمها، إذا عَلِمَ. قال في التسهيل: وَلَا يَخْتَصُّ حذف الاسم المفهوم معناه بالشعر. وقل ما يكون إلا ضميراً لشأن عليه يُحْمَلُ: إِنَّ من أشدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَصْرُورُونَ. أي إنه من أشد الخ. لا عَلَى زيادة خلافاً للكسائي. وإذا علم الْخَبَرُ جاز حذفه مطلقاً، خلافاً لِمَنْ اشترط تنكير الاسم. وقد يستد مصدره واو المصاحبة والحال، والتزم الحذف في ليت شعري، مردفاً باستفهام. ومن حذف لَخَبَرٍ، قول الشاعر:

أَلَا إِنَّ نَاساً مِنْ قَرِيشٍ تَفَضَّلُوا على النَّاسِ وابن المكارم تهشلا
أي تَفَضَّلُوا على النَّاسِ، وقد تنصب الجزءين معاً، كقول القائل: إِنَّ حِرَاسَنَا

أسدأ، قال في التسهيل، ويجوز نصبها بليت عند الفراء. وبالخمسـة عند بعض أصحابه. وما استشهد به محمول على الحال، أو على إضمار فعل؛ وهو أي الكسائي، ثم شرع في القسم الثالث فقال: (ص) وأما ظنٌ وأخواتها فإنها تنصب الاسم والخبر، على أنهما مفعولان لَهَا. (ش) أي عند البصريين. وقال الكوفيون الثاني حال. ونازع السهيلي في دخولها على المبتدأ والخبر (ص) وهي (ش) قسـمان، فعل قَلْب، وفعل حاشـة الثاني. سمعت والأول ما سواها؛ وهي ثلاثة أقسام: قسم يدل على اليقين. وقسم يدل على الرجحان، وقسم يدل على التحويل، فمِمَّا يدل على الرجحان (ص) ظَنَنْتُ (ش) نحو ظننت زيدا صديقاً. وقد تدل على اليقين، كقوله تعالى: ﴿يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ إذ لا يكفي الظن في اعتقاد البعث، وإنما عبر الحق تعالى بالظن اغتفاراً للخواطر، ولطفاً بالضعفاء. قال الورتجي: وإنما أقام الظن مقام اليقين؛ لأن في الظن طرفاً من اليقين. وإنما ذكر الظن إبقاء على المذبذبين. وتوفراً على العاصين الذين ليس لهم صفاء اليقين، ولو ذكر اليقين صرفاً لخرجوا من الجملة. (ص) وحسبت (ش). نحو قول الشاعر:

حَسِبْتُ التَّقَى وَالْجُودَ خَيْرَ تَجَارَةٍ إِذَا مَا الْمَرْءُ أَضْبَحَ ثاقلاً
(ص) وَخَلْتُ (ش) كقول الشاعر:

ضَعِيفَ النِّكَايَةِ أَعْدَاؤُهُ يَخَالُ الْفِرَارُ يَرِاضِي الْأَجَلَ
(ص) وَزَعَمْتُ (ش) نحو:

زَعَمْتَنِي شَيْخاً وَلَسْتُ بِشَيْخٍ إِنَّمَا الشَّيْخُ مَنْ يَدُبُّ ذَبِيباً
وَمِمَّا يَدْخُلُ عَلَى الْيَقِينِ (ص) رَأَيْتُ (ش) كقول الشاعر:

رَأَيْتُ اللَّهَ أَكْبَرَ كُلِّ شَيْءٍ مُحَاوَلَةً وَأَكْثَرَهُمْ جُنُوداً
(ص) وَعَلِمْتُ (ش)؛ وهي كَرَأَيْتُ. قد تُفيد اليقين، كقوله تعالى: ﴿قَالَ

أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾. وقد تفيد الظن، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَشْتُمْهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَقَدْ تُفِيدُ الْعِرْقَانَ، فَتَعْدِي إِلَى وَاحِدٍ فَقَطْ. نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَأُونَ﴾. أَيْ لَا تَعْرِفُونَ. (ص) وَوَجَدْتُ (ش) وقد تفيد اليقين، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾. وما يدل على التحويل (ص) اتَّخَذْتُ (ش) نحو: «واتخذ الله إبراهيم خليلاً». (ص) وجعلت (ش) نحو «فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً». وَذَكَرَ الْمُصَنِّفُ جَعَلْتُ إِثْرَ اتَّخَذْتُ، يَدُلُّ عَلَى

أنه أراد التحويلية. وقد تكون كاعتقاد، نحو: «وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنِثَاءً». وأما (ص) سَمِعْتَ (ش) فَعِنْدَ الْجُمْهُورِ تتعدى إلى مفعول واحد، نحو: سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ. النبي مفعول به. ويقول خَال. وعند أبي علي تنصب المفعولين، وعليه ذهب الْمُصَنِّف. فجملة يقول: مفعول ثان، وهذا الخلاف إنما هو إذا دَخَلْتَ على ما لا يَصْخُحُ أَنْ يُسْمَعَ. كسمعت زيدا يتكلم. وأما إِنْ دَخَلْتَ على ما يَصْخُحُ أَنْ يُسْمَعَ، كسمعت كلام زيدا، فَلَا تتعدى إلا لواحد فقط اتفاقاً، ثم مثل بقوله: (ص) نَحْو: ظَنَنْتُ زَيْدًا مُنْطَلِقًا. وَخَلْتُ عَمْرًا شَاخِصًا. وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. (ش) قلت: بقي على المصنف، أفعال من أفعال القلوب، تتعدى إلى مفعولين، منها ما تفيد اليقين. ومنها ما تفيد الرجحان. وقد نظمها بغضهم فقال:

النفى درأ كذا تعلم وجذ كل مفيد لليقين إن ورذ
ولليقين غالباً رأى علم وظن وخل وحسب عكس علم. أصار للتقصير صير
واتخذ، جعل رد ووهب ثم اتخذ.

وقد تتعدى رأى العلمية إلى مفعولين كعلم، لكونها مثلها، في كونها إدراكاً بالعلمي الباطني، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرْنِيَّ أَتَمِّمُ خَيْرًا﴾ فالياء مفعول أول وأغصر في محل الثاني. وقول الشاعر:

أراهم رفقتي حتى إذا ما تجافى الليل وانخذل انخذالاً
تتميم: قد تُلغى هذه الأفعال إذا تقدّم عليها معمولاً أو توسطت. وَقَدْ تَعَلَّقَ
إذا فَصَلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ معمولها مَالَهُ صَدْرُ الْكَلَامِ، نحو: ظَنَنْتُ ما زيد قائم. أو ظننت
زيداً ما هو قائم قال تعالى: ﴿وَعَلُّنَا مَا لَمْ يَنْجِيهِمْ﴾. وقد تسد أن المفتوحة ما
سد مفعولها، نحو ظننت أن زيدا عالم. ومنه: «يظنون أنهم ملأوا ربهم». وقد
يحذف المفعولان أو أحدهما للدليل، كقول الشاعر في شأن أهل البيت: بأي
كتاب أو بأي سئ ترى حُبهم عاراً علي وتحسب، أي وتحسب حُبهم عاراً علي.
قال في الألفية:

وَلَا تُجْزِئُ مَا بِدَلِيل سقوط مفعولين أو مفعول..
والله تعالى أعلم.

الإشارة: نَوَاسِخُ الْإِبْتِدَاءِ، إشارة إلى نواسخ الأحكام الذاتية؛ التي تتعلق
بالذات القديمة؛ التي هي مبتدأ الأشياء، ومنتهائاً. ويكون النسخ في الأحكام

الشرعية، ومعناه: ابتداء الحكم إلى وقت معلوم ثم يستأنف حكماً آخر على سابق الإرادة. ويكون في شرائع الجلال، وفي الشريعة الواحدة، ينسخ بعضها بغيرها، كما هو مقرر في محلّه. ويكون في الأقضية البارزة، إلى عالم الشهادة، فيظهر الله تعالى للملائكة أموراً يعلّقها على أسباب وشروط، علّم أنّها لا توجد، فإذا أراد المملّك الموكل بذلك الفعل إنراة. أظهر الله خلاف ذلك ليظهر اختصاصه تعالى بالعلم الحقيقي الذي لا يتبدّل ولا يتغيّر؛ هو أم الكتاب. فيقع النسخ بهذا المعنى بالسعادة، والشقاوة، والأعمار، وغيرها من القضايا، التي تبرز عند الحق تعالى. ولذلك كان سيدنا عمر وابن مسعود يقولان، اللهم إن كنت كتبتني من أهل الشقاء فامحني واكتبني من أهل السعادة. وأما العلم الأصلي الذي هو الأم، فلا يتبدّل ولا يتغيّر. ولا يصح أن يُنسخ في الأخبار؛ لأنه يلزم عليه الكذب. ويقع النسخ أيضاً في واردات القلوب الصافية. فيتجلى في طلب الولي أمر، فيخبر به، ثم ينسخه الله تعالى، ويظهر خلافه ولا يقدح ذلك في ولايته. وقد يشار هنا بالنسخ إلى تلوين الخمرة الأزلية، بالفروع التكوينية.

ويشير إلى كان الله ولا شيء معه حيث لا شكل ولا رسم، وأنسى وأصبح وأضحى إلى تلوينها بمرور الفلك، بالصباح والمساء والضحى، وبطل وبات إلى تولينها بمرور الليل والنهار ويصار إلى تحويلها بالظهور والبطون، وبليس إلى تنزيها، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. ويمّا زال وأخواتها إلى أنه تعالى؛ ما لا زال ولا يزال ولا يحول عما كان عليه. فالتغيير عليه تعالى محال. وبذام إلى دوام ربوبيته أزلاً وأبداً. ومن شأن هذه الأفعال، أن ترفع الاسم، وتُعظّمه وتجلّه، وهو الذي كان مبتدأ الأشياء، وأصل ظهورها، ورفعها له، وإلالتها على تلون الآثار، وتنقل الأطوار، فتدل على عظمة الواحد القهار. وتنصب الخبر؛ الذي هو عبارة عن الآثار لتجري أحكام الواحد القهار. وأمّا إن وأخواتها فتشير إلى أحوال الخلق، البارزة من حضرة الحق. وذلك ما يعتبر بها من تأكيد الأمور، والعزم عليها لإدراك نتائجها. إما دينية، أو دنيوية. إذ لا تذرك الأمور إلا بالعزم والجذ وسياتي الكلام عليها في باب التوكيد، وتشير أيضاً إلى ما ينزل بها من الرجاء والخوف، أو التمني والطمع الفارغ. وقد نهى الله عنهما فقال: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الآية، والمأمور به قوله: ﴿وَسَعَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾. إن الله كان بكل شيء عليماً. وأمّا ظننت وأخواتها فتشير إلى أحوال القلوب، فإن منها ما يدخل فيها اليقين الكبير الناشئ عن الشهود والعيان. وهو مقام

عين اليقين، أو حق اليقين، وهو مقام العارفين الراسخين في العلم باللّه، ولا سبيل له إلا بصحبة شيخ التربية، والدّخول تحت تربيته. ومنها ما يدخلها الظنّ القوي الراجح، وهي قلوب أهل البُزْهان والاستدلال، فتارة يقوى عليهم الدليل، فيستشرفون على عين اليقين، وتارة يكر عليهم الخواطر الرديئة. فلا يبقى لهم إلا الظنّ القوي. ومنهم من تلعب عليهم الشكوك والأوهام فيموتون على الشك والعياذ باللّه. ولقد نقل عن الرّازي أنه كان يقول عند الموت: اللهم إيماناً كإيمان العجائز. وكتب إليه ابن العربي الحاتمي، فقال له: ايتني نعرفك قبل أن تموت جاهلاً به، فتكره فيمن أنكره حين يتجلى لخليقه هـ. وقال بعضهم: إيمان علماء الكلام، كالخيوط المعلقة بالهواء يميل مع كل ريح، والعياذ باللّه من الفتن، وسوء الجحَن. وما رأيت أحداً حصل عن اليقين الكبير الذي هو عين اليقين، أو حق اليقين. الناشيء عن الشهود والعيان في زمننا هذا إلا شيخ شيخنا قطب دائرة التربية النبوية، مولاي العربي الذرقاوي الحسني، وشيخنا البوزيدي الحسني، وخواص أصحابهما رضي الله عنهم. وأمّا الباقي فكلهم في سجن الأكوان، يستدلون بها على المكون. فتارة يقوى يقينهم، ويتنور دليلهم، فيحصلون على علم اليقين. وتارة يضعف يقينهم، فتكر عليهم الخواطر الرديئة. والوساوس الشيطانية. فيحصلون على الظنّ القوي: عالماً كان أو صالحاً، أو عابداً، أو زاهداً وبالله التوفيق.

بَابُ الثُّغْتِ

قلت: الثُّغْتِ عبارة الكوفيين، والوصف عبارة البصريين، وهل هما مترادفان. المشهور كذلك. وحال بغضهم: الثُّغْتِ يتغيّر. والوصف لا يتغيّر، ولذلك يُقال: أوصاف الله، ولا يُقال نعوتُه. وبدأ بالثُّغْتِ، ثم بالنسَقِ، ثم بالتوكيد ثم بالبَدَلِ. وعكس غيره، وإذا اجتمعت في كلام واحد، قُدِّمَ الثُّغْتِ، ثم البيان، ثم التوكيد، ثم البَدَلِ، ثم النسَقِ. ورَمَزَ بعضهم بقوله:

نَبَتْ دُقٌّ، فالثُّون للثُّغْتِ، والباء للبيان، والثاء للتوكيد. والدال للبَدَلِ. والقاف للنسَقِ. تقول: جاء زيد العاقل برهان الدين نفسه أخوك وعمرو، وحقيقة الثُّغْتِ هو التابع لما قبله، لعلامة فيه، أو فيما تعلق به. وهو على ثلاثة أقسام، حقيقي ومجازي وسببي فالحقيقي هو الجاري على ما قبله، مع رفعه لضميره، نحو: جاء زيد العاقل، والمجازي: هو الجاري على ما بعده، لضمير ما قبله، نحو: جاء زيد الكريم الأب. والحسن الوجه، والسببي هو الجاري على ما بعده، ما رفعه لظاهره متلبس بضمير الموصوف، نحو: جاء زيد العاقل أمه. أو زيد العاقل أبوه،

ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَعْمَالُهَا﴾. فإذا علمت هذا، (ص) فالنعت (ش) [أكان] حقيقياً أو مجازياً (ص) تابع للمنعوت في رفعه ونصبه وخفضه وتعريفه وتنكيره. (ش) ثم إن رَفَعَ ضمير الموصوف، وَكَانَ حَقِيقاً أو مجازياً، تبعاً أيضاً في تذكيره وتأنيسه، وفي إفراده وتثنيته وَجَمْعِهِ. (ص) نحو جاء زيد العاقل، ورأيت زيدا العاقل. ومررت بزيد العاقل. (ش) وفي المجازي: جاء زيد الكريم الأب، ورأيت زيدا الكريم الأب. ومررت بزيد الكريم الأب. وإن رَفَعَ ظاهراً ملتبساً بضمير الموصوف، فَهُوَ كَالْفِعْلِ، فيلزم إفراده، كما يجزء الفعل من علامة التثنية والجمع، ويتبع منوعته في الإعراب والتذكير والتأنيث فقط. فتقول: جاء الزيدان العاقلان أمهما، وجاء الهندان العاقل أبوهما. وجاء الزيديون العاقل أبائهم. فتحصل: أن النعت الحقيقي يتبع منوعته في أربعة من عشر، الغالب الإعراب الثلاث، والتعريف والتنكير، والتذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع. وكذلك المجازي. وأما السببي، فيتبعه في اثنين من خمسة الغالب الإعراب والتعريف والتنكير، وأمثلة ذلك ظاهره والله تعالى أعلم.

الإشارة: الوصف تابع للموصوف لا يفتقران أبداً، وبعبارة أخرى، الصفة لا تفارق الموصوف. فمهما ظهرت الصفات، ظهرت معها الذات. ومهما تجلّت الذات، تجلّت الصفات، فامتحن حينئذ وجود الأثر، بظهور المؤثر إذ الأثر لا يظهر إلا بالقدرة؛ وهي لا تفارق الذات. فافهم وإلا فسلم. ومنهم من يعبر عن هذا بقولهم الذات عين الصفات. وإنما أراد بالعين التزام الظهور. وإلا فالذات حينئذ لطيفة لا تدرك. والصفات معنى قائم بها. وإن شئت قلت عين الذات تابع لها في الكمالات، وعدم النهايات. فكما أن الذات لا نهاية لها، ولا حصر. فأسرار الذات وكمالاتها خارجة عن مدارك العقول، كذلك الصفات. أو تقول: نعت الذات في مظاهر التجليات، يتبع المنعوت في تلواناته، فقد سئل الجنيد رضي الله عنه عن التوحيد فقال: لون الماء لون إنائه. يعني أن أسرار المعاني، حين تجلّت في قوالب الأواني، تلونت بتلون القوالب، بين أبيض وأسود، وأحمر، وأصفر وأخضر، إلى غير ذلك من ألوان الخمرة الأزلية في حال التجلي. وأما قبل التجلي؛ فهو سر لطيف ثوراني، له قدرة على التجلي كيف شاء. وإن اختلفت ألوانه بعد التجلي. قال الجيلاني رضي الله عنه في عينيته:

تجلّى حبيبي في مرآتي جماله ففي كل مرءٍ للحبيب طلائع

ثم قال :

وكل أسوداد في تصانف طرة وكل اخمرار في الضلائع باضع

ثم قال :

وأطلق عند الحق في كل ما ترى لتلك تجليات من هو صانع

ويدخل في بعض هذه التلونات، قول المصنف: الثغث تابع للمنعوت في رفيعه، إن تجلّى بمظهر رفيع، وخفضه، إن تجلّى بمظهر مخفوض، فظااهره خفض، وباطنه رفع وعزّ. ونضبه: إن تجلّى بمظهر منصور، لسهام الأقدار، فظااهره منصوب لفهرة العبودية. وباطنه مخض عزّ الربوبية. وتعريفه إن تجلّى فيه باسمه الظاهر. فأظهره للانتفاع به. حتى عرفه الخاصّ والعامّ. وتنكيره، إن تجلّى فيه باسمه الباطن. فأنكره جلّ الخلق؛ وهو في مقام عليّ عند الحق. وقد أشار شيخ شيوخنا، ومادّة طريقتنا، رئيس البحرية، وإمام أهل الخمرة الأزلية. سيدي علي العمراني المكنى بالجمال رضي الله عنه، إلى هذا المعنى في كتابه. فقال ما نضّه: انظر يا أخي وتأمل هذه الخمرة، كيف كملت فيها الأوصاف، وتوفّرت فيها الشروط، وكيف كمل نقصانها، كما كمل كمالها. فسبحان من أظهرها بالكمال في النقص والكمال، حتى صار الكلّ كمّالاً ولا نقص. فانظر يا أخي ما أقربها في بعدها. وما أبعداها في قُرْبها. وما أرفعها في أسفلها، وما أوضعها في علوّها، وما أكبرها في صغرها، وما أصغرها في كبرها، وما أقواها في ضعفها، وما أضعفها في قوتها، وما أغناها في فقرها، وما أفقرها في غناها، وما أعزّها في ذلّها، وما أدلّها في عزّها إلى آخر كلامه. فقد اجتمعت الضدّان، بل أضداد في مظهر واحد. وإلى ذلك أشار الجيلاني أيضاً بقوله:

تجمعت الأضداد في واحد البها وفيه تلاشت فهو عنهنّ شائع

ولا يبلغ هذا، إلا أهل الأذواق والوجدان، ممن خاض بحر الشهود والعيان وحسب من لم يبلغ هذا التسليم، وبالله التوفيق.

تنبيه: قول أهل الحقيقة: إنّ الضدّين أو الأضداد تجتمع في محل واحد، مغناه اختلاف الحيثية والجهة، ثم إنّ الأضداد على قسمين: أضداد عقلية، وأضداد عادية، فالأضداد العقلية، مثالها القدم، والوجود، والقيام والقعود، والبياض والسود، والربوبية والعبودية، والقدم والحدوث، وشبه ذلك مما لا يتصور في

العقل اجتماعهما. والأضداد العادية، مثالها: النار والماء، والحرّ والبرّد، والنهار والليل، وغير ذلك ممّا يُمكن اجتماعهما عقلاً ويستحيل عادة. أمّا الأضداد العقلية، فلا تجتمع أبداً في محلّ واحد، كالآدمي مثلاً. فالعبودية من حيث الغالب الحسي، والزبونية من حيث المظهر المعنوي، العبودية مُرتبة على الحسي البشري. والزبونية مُرتبة على المظهر المعنوي، العبودية ظاهرة، والزبونية كائنة. وكذلك القِدَم والحدوث، القِدَم من جهة مَعْنَاهُ. والحدوث من جهة جِسْمِ العارض ظهوره. وكذلك العِزّ والذَلّ، والغنا والفقر، فالعِزّ والغنا محلّهما البَوَاطِن. والذَلّ والفقر، مَحَلّهما الظواهر. وقد تجتمع فيه، في وَقت واحد. لَكِنْ مَعَ اختلاف الجِهَةِ كَمَا قُلْنَا، ومن يقل: إِنَّ الضّدين أو الأضداد تجتمع في محلّ واحد، مع اتِّحَادِ الجِهَةِ وَالْوَقْتِ، فَجَاهِلٌ؛ لأنَّ القدرة لا تتعلق بالمحَالِ. ولو تعلقت بالمحَالِ، لَزِمَ تعلّقها بإعدام الذاتِ العلية، وإثبات الشريك لله تعالى وموهوس عظيم، لا يقول به عاقل. وأما الضّدان العاديان، أو الأضداد العادية فتجاوز اجتماعهما في محلّ واحد. وفي وقت واحد، إذ القدرة صالحة لذلك ولم تقع في عالم الحِكْمَةِ إِلَّا معجزة، كنار إبراهيم عليه السلام، وإنما وقع اجتماعهما متفرقة المحلّ، مع اتِّحَادِ الوجود عند أهل الباطن، فالماء في محلّ، والنار في محلّ. وكذلك الحرّ والبرّد، والموت والحياة، والجَنَّة والنَّار. ولو جَمَعَ الله ذلك في محلّ واحد لَكَانَ جائزاً. وقول الجيلاني رضي الله عنه: تجمعت الأضداد العقلية، مع اختلاف الحيثية كما تقدم، والأضداد العادية، مع اختلاف الجِهَةِ في عالم الحِكْمَةِ، أو مطلقاً في عَالَمِ القُدْرَةِ، والوجود لله متحد. ذات واحدة. ومظهر واحد كما قال الشاعر:

هَذَا الوجود وإن تعدّد ظاهراً وحياتك ما فيه إلا أنثى

وقد اجتمعت فيه أضداد كثيرة؛ عقلية وعادية؛ لكن مع اختلاف الحيثية أو الجِهَةِ. فتحصّل: أن الأحكام العقلية: الواجبة والمستحيلة والجائزة، لا تنخرم عن أهل الباطن، وإنما بعض الممكنات عند أهل الظاهر، تصير واجبة عند أهل الباطن لجمعها بأصلها، وشهود الحق فيها، والجائز عند أهل الباطن هو تلوين الخمرة على سابق المشيئة. والله تعالى أعلم. (ص) والمعرفة خمسة أشياء: الاسم المُضْمَر نحو: أَنَا وَأَنْتَ، والاسم العَلَمُ: نحو زَيْد ومَكَّة. والاسم المُبْنَى نحو: هذا وهَذِهِ وهؤلاء. والاسم الَّذِي فِيهِ الألف اللام، نحو: الرجل والغلام. وما أُضِيفَ إِلَى واحدٍ من هذه الأربعة. والنكرة: كل اسم شائع في جنسِهِ، لا يختص

به واحد دون الآخر. وتقريبه: كل ما صلح دخول الألف واللام عليه. نحو الرجل والفرس. (ش) قلت: حَصَرَ المعرفة بالعد، ولم يحصرها بالحد؛ لأن حدها بحد جامع قد يتعدر؛ لأن من الأسماء ما هو معرفة لفظاً نكرة معنًى. كأسامة. وثعالة، ومنها ما هو نكرة لفظاً. معرفة معنًى نحو كان ذلك عام أول. ومنها ما يستعمل بالوجهين، نحو: واحد أمه. وفريد عضره. وعبد بطنه، فمنهم من يستعملها معرفة بالإضافة، ومنهم من ينصبها على الحال، فتكون نكرة، ومثلها واللام الجنسية. ولذلك يوصف بالمعرفة اعتباراً بلفظه، وبالنكرة، اعتباراً بمعناه. وإذا كان كذلك، فأحسن ما تعرف به المعرفة ذكر أقسامها ثم وما سوى ذلك نكرة. وبغضهم عرف النكرة، وقال: وما سوى ذلك معرفة؛ كآبن مالك وغيره. ومنهم من عرفها معاً فقال: المعرفة: ما وُضع ليُستعمل في معيّن. والنكرة ما شاع في جنس موجود أو مقدر، فالأول كرجل وقرس. والثاني كشمس وقمر فالشمس كوكب نهاري. والقمر كوكب ليلي؛ وهما صالحان للتعدد، لكن لم يوجد في الخارج إلا واحد. وعدّ بعضهم المعارف سبعة، الخمسة التي ذكر المؤلف. والمُنَادَى المعين. وأمثلة التأكيد، كأجمع وجمعاً، فإنَّهُمَا عَلِمَ عَلَى جنس التوكيد. والجهور، أن المعارف متفاوتة في التعريف. فأعرفها عند سببويه: اسم الجلالة الله، ثم الضمير العائد عليه، نحو هو. وقد رُئي في النوم فقال: غفر الله لي بقولي: أعرف المعارف الله. وقال غيره: أعرفها الضمير، ثم العلم، ثم الإشارة، ثم الموصول. وقد نظم السيوطي في الألفية فقال:

فَمُضَمَّرُ أَعْرِفَهَا ثُمَّ الْعِلْمُ وَاسْمُ إِشَارَةٍ وَمَوْصُولٌ مَتَمُّ
وَذُو أَدَاةٍ مُنَادَى عَيْنًا وَذُو إِضَافَةٍ بِهَا تَعْيِينًا
والمضاف في طبقة ما أضيف إليه، إلا المضاف للضمير، فإنه في درجة العلم. وثمرة هذا تظهر، إذا كان المبتدأ والخبر معرفتين. واسم كان وخبرها. فالأعرف يكون مبتدأ أو الأدنى منه يكون الخبر. وتظهر أيضاً إذا نصب الفعل ضميرين، فإن تقدم الأخص وهو الأعرف، جاز في الثاني الاتصال والانفصال، كقوله تعالى: ﴿أَتَذَكَّرُ أَمْ لَا﴾. ﴿تَذَكَّرُكُمْ أَمْ لَا﴾. والوصل أرجح. ومن الفضل، قول القطب سيدي عبد السلام بن مشيش في تضليته: وعرفني إياه، فارتكب غير الراجح أدباً معه عليه السلام، لئلا يأتي بضميره عليه السلام، متصلاً بضمير نفسه. فانظر، ما أدق نظره، وأكمل أدبه رضي الله عنه. ولو تقدم غير الأخص، وجب

الفضل، كقوله عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ مَلَكُهُمْ إِيَّاكُمْ، ولو شاءَ لَمَلَكَكُمْ إِيَّاهُمْ». ثَبِيهِ: قال الجمهور: المعارف كليات وضعاً. جزئيات استعمالاً. فزِيد مثلاً كَلَيْ يَصْلَح لكل شَخْصٍ، فإذا وضع له صار معيناً، وهكذا سائر المعارف، وبدأ المصنّف بالمعرفة؛ لأنها أشرف، إذ يجوز الابتداء بها، والحكم عليها، بالحال وغيره، وأيضاً: التعريف وجودي، والتنكير عَدَمِي، ومعرفة المَکَلَمات مقدمة على الإعدام، وعكس غيره؛ لأنَّ مَسْمَى الثَّكْرَة، أَسْبَقُ لِلذَّهْنِ من مَسْمَى المعرفة، لأنَّ التعريف طار على التنكير، وما سلكه المَصْنَف أَحْسَن. وعَدهَا خَمْسَةً، مَعَ أَنَّهَا سَبْعَةٌ؛ لأنه أَدْرَجَ المَوْصُولَ في المُبْتَهَم. وَأَمَّا المُنَادَى المُعَيَّنُ فإنما تعرف بالإقبال عليه، ويتكلم عليه في باب المنادى. وَبَدَأَ بِالضَّمِيرِ لأنه أعرفها بعد اسم الجلالة. وَيُسَمَّى عند البصريين بالمضمر، والضَّمِير اسم مفعول من أَضْمَرْتَهُ إِذَا أَخْفَيْتَهُ، وإِطْلَاقه على البارز توسع، والكُوفِيُّونَ يسمونه الكناية، والمَكْنَى بأنه ليس باسم صريح. والكناية تقابل الصريح. قال ابن هاني:

فَصَرَّخَ بِمَنْ تَهَوَّى وَدَغْنِي مِنَ الْكَنَّا فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سَتَرِ
وقبل هذا البيت:

أَلَا فَاسْقِنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمَكْنَ الْجَهْرُ
وللصوفية من هذين البيتين شَرْبُ غَزِيرٍ. وحقيقة الضمير عند النحاة: مَا وَضِعَ لتعيين مَسْمَاهُ مشعراً بتكلمه، أو خطابه، أو غيته؛ وهو عَلَى قَسْمَيْنِ، بَارِزٌ وَمُسْتَتَرٌ. فالبارز ماله صورة في اللفظ، والمستتر ضِدُّهُ، وهو عَلَى قَسْمَيْنِ: مَا يَجِبُ اسْتِتَارُهُ، وهو مَا لَا يَخْلُفُهُ الظَّاهِرُ، وَذَلِكَ فِي عَشْرَةِ مَوَاضِعَ، أَشَارَ إِلَيْهَا السُّيُوطِيُّ فِي أَلْفَيْتِهِ فَقَالَ:

وَسْتَرٌ مَرْفُوعٌ بِأَمْرٍ حَتْمًا وَدُونَ يَأْمُضَارِعٍ وَاشْتَائِيهِمَا
وَأَفْعَالُ التَّفْضِيلِ وَالتَّعْجُوبِ وَفِعْلُ الِاسْتِثْنَاءِ فَاحْفَظْ تُصِيبِ

وَدَخَلَ فِي الْأَمْرِ الْمَصْدَرُ النَّائِبُ عَنْ فِعْلِهِ. نَحْوُ: «فَضَرَبَ الرِّقَابَ» وَمَا يَسْتَتِرُ جَوَازًا؛ وَهُوَ مَا يَخْلُفُهُ الظَّاهِرُ؛ وَهُوَ مَا سَوَى مَا تَقَدَّمَ، وَالْبَارِزُ قِسْمَانِ: مُتَّصِلٌ؛ وَهُوَ مَا لَا يَبْتَدَأُ بِهِ. وَلَا يَقَعُ بَعْدَ إِلَّا فِي الْإِخْتِيَارِ. وَمُتَفَصِّلٌ، وَهُوَ مَا يَبْتَدَأُ بِهِ وَيَقَعُ بَعْدَ إِلَّا فِي الْإِخْتِيَارِ وَالْمُتَّصِلِ إِمَّا مَرْفُوعٌ أَوْ مَنْصُوبٌ أَوْ مَجْرُورٌ. وَكُلٌّ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ، إِمَّا مُتَكَلِّمٌ، أَوْ مُخَاطَبٌ، أَوْ غَائِبٌ، فَالْمَرْفُوعُ لِلْمُتَكَلِّمِ؛ فَعَلْتُ وَفَعَلْنَا

والمخاطب فعلت وفعلت، وفعلتما، وفعلتم، وفعلتن، وللغائب: فعل وفعلت،
وفعلأ وفعلتا، وفعلوا وفعلن. والمنصوب للمتكلم: أكرمني أكرمتا. وللمخاطب:
أكرمك أكرمك، أكرمكما، أكرمكم، أكرمكن. وللغائب: أكرمه أكرمتا، أكرمه
أكرمه، أكرمه. والمجرور المتكلم: مر بي، مر بنا، وللمخاطب: مر بك مر
بك، مر بكما، مر بكم، مر بكن. وللغائب: مر به، مر بها، مر بهما، مر بهم،
مر بهم، فهذه سبعة وثلاثون ضميراً، والثامن والثلاثون ياء المخاطبة نحو قومي،
والتحرير أن الضمائر تبلغ إحدى وستين ضميراً، فالمرفوع المتصل اثنا عشر،
والمنفصل كذلك. فهذه أربعة وعشرون، والمنصوب المتصل اثنا عشر، والمنفصل
كذلك فهذه ثمانية وأربعون. والمجرور لا يكون إلا متصلاً: اثنا عشر؛ بعد إلا في
الاضطرار، كقول الشاعر:

وما تبالي إذا كنت جارتنا ألا يجاورنا إلاك ذيَارُ
وقال آخر:

أعوذ بزب العرش من فئة بئت علي فمالي عوض إلا هو ناصرُ
والثاني من المعارف: الاسم العلم. وهو مشتق من العلم؛ لأنه يُعلم به
مسماه. ويُطلق العلم على الجبل. وقال الشاعر:

رُبما ألفيت في علم تربعن ثوبي شملات
حقيقة ما وضع لمعين خارجاً أو ذهنًا، لا يتناول غيره. فالذي وضع لمعين
في الخارج، يسمى علم شخص، والذي وضع لمعين في الذهن، يسمى علم
جنس، فالأول للعاقل، كزيد وعمرو، وزينب، ولغير عاقل، كسابت علماً لفرس
وشذقم لجمل، وهيلة لشاء. وواشق لكلب، ويكون للبُلْدان، كمكة، ودمشق،
وفاس ومراكش. وأما علم الجنس؛ وهو الذي وضع للحقيقة بعد تعيينها،
وتشخصها في الذهن كاسامة للأسد، وثعالة للثعلب. وأم عريط للعقرب، ويكون
للمعاني، كنكرة علم على جنس البرور وفجر على جنس الفجور. قال الشاعر:

إذا اقتسمنا خطيتنا بيننا فجملة برة واحتملت فجار

والفرق بين النكرة وعلم الجنس. إن النكرة تدل على الحقيقة الشائعة، من
غير تعيين لها من الذهن. وعلم الجنس وضع للحقيقة بعد تعيينها وتشخصها في
الذهن. فلذلك يتبدى بها، ويأتي الحال منها، فتقول أسامة اجراً من ثعالة. وهذا

أَسَامَةُ مُقْبِلًا، وَلَا تَقُول: هَذَا أَسَدٌ مُقْبِلًا. إِذْ لَا يَكُونُ صَاحِبَ الْحَالِ إِلَّا مَعْرِفَةً، وَيَكُونُ الْعِلْمُ اسْمًا كَمَا تَقْدَمُ، وَكُنْيَةً؛ وَهُوَ مَا صُدِّرَ بِأَبٍ أَوْ أُمٍّ. كَأَبِي الْقَاسِمِ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَأُمُّ الْخَيْرِ، وَأُمُّ كَلْثُومٍ، وَلَقَبًا. أَمَّا الْمَدْحُ، كَزَيْنِ الْعَابِدِينَ، أَوْ ذَمُّ كَقَفَّةٍ، وَبَطَّةٍ، وَأَنْفِ النَّاقَةِ، وَلَمْ يُسَمَّعْ مِنَ الْعَرَبِ تَلْقِيبُ النِّسَاءِ، وَإِذَا اجْتَمَعَ الْأَسْمَاءُ وَاللُّقَبُ كَزَيْنِ الْعَابِدِينَ. وَلَا تَرْتِيبُ بَيْنِ الْكُنْيَةِ وَغَيْرِهَا. وَالثَّالِثُ مِنَ الْمَعَارِفِ: الْأَسْمَاءُ الْمُتَّبِعَةُ، وَشَمْلُ الْإِشَارَةِ وَالْمَوْصُولِ. فَأَمَّا الْإِشَارَةُ فَقَالَ فِي التَّسْهِيلِ: مَا وَضَعَ لِمُسْتَمَى وَإِشَارَةً إِلَيْهِ، ثُمَّ إِنْ الْمَشَارَ إِلَيْهِ، إِمَّا مَذْكَرًا أَوْ مَوْثَنًا، وَكُلٌّ مِنْهُمَا، إِمَّا مُفْرَدًا أَوْ مَثْنً: أَوْ مَجْمُوعًا، فَلِلْمَذْكَرِ ذَا، وَلِلْمَوْثَنِ ذِي، أَوْ ذُو، أَوْ تِي، أَوْ تِهْ، أَوْ ذِهِي، أَوْ تِهِي، أَوْ تَا. وَلِلْمَثْنِ الْمَذْكَرِ، ذَانِ رَفْعًا، وَذَيْنِ نَصْبًا وَجَزًّا، وَلِلْمَوْثَنِ تَانِ رَفْعًا. وَتَيْنِ جَزًّا وَنَصْبًا، وَلِجَمْعِهِمَا أُولَى مَقْصُورًا فِي لُغَةٍ تَمِيمٌ مَمْدُودًا فِي لُغَةِ الْحِجَازِيِّينَ، فَإِنْ كَانَ الْمَشَارَ إِلَيْهِ بَعِيدًا قَرْنَ بِالْكَافِ حَرْفًا مُطَابِقَةً لِلْمَخَاطَبِ فِي التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ، وَالْإِفْرَادِ وَضَدَهُ مَجْرُودَةً مِنَ اللَّامِ، وَمَقْرُونَةً بِهَا، إِلَّا فِي الْمَثْنِ وَالْجَمْعِ، فِي لُغَةٍ مِنْ مَدَنِهِ، وَفِيمَا سَبَقَتْهَا التَّنْبِيهِ، وَيُشَارُ بِهِمَا لِمَكَانٍ الْقَرِيبِ، وَبِهُنَاكَ أَوْ بِهِنَاكَ، أَوْ ثُمَّ هِنَا بِالْفَتْحِ، وَالْكَسْرِ لِلْمَكَانِ الْبَعِيدِ. وَأَمَّا الْمَوْصُولُ فَحَقِيقَتُهُ مَا افْتَقَرَ أَبَدًا إِلَى عَائِدٍ، أَوْ خَلْفَةٍ، وَجُمْلَةٌ صَرِيحَةٌ أَوْ مُؤَوَّلَةٌ؛ وَهُوَ: الَّذِي لِلْمُفْرَدِ الْمَذْكَرِ، وَالتِّي: لِلْمُفْرَدَةِ الْمَوْثَنَةِ، وَاللَّذَانِ لِلْمَثْنَةِ الْمَذْكَرِ. وَالتَّانِ لِلْمَثْنَةِ الْمَوْثَنِ. رَفْعًا. وَاللَّذَيْنِ وَالتَّتَيْنِ نَصْبًا وَجَزًّا. وَالَّذِينَ لَجَمْعِ الْمَذْكَرِ مُطْلَقًا. وَالتَّانِي وَاللَّائِي لَجَمْعِ الْمَوْثَنِ، وَمَنْ لِمَنْ يَغْفُلُ مُفْرَدًا أَوْ مَثْنً أَوْ مَجْمُوعًا. وَمَا لِمَا لَا يَغْفُلُ، إِلَّا إِذَا نُزِلَ مَا لَا يَغْفُلُ، بِمَنْزِلَةٍ مَا يَغْفُلُ فَيُعْبَرُ عَنْهُ بِمَنْ. وَكَذَلِكَ إِذَا نُزِلَ مَنْ يَغْفُلُ، بِمَنْزِلَةٍ مَنْ لَا يَغْفُلُ، لَخَفَةِ عَقْلِهِ، فَيُعْبَرُ عَنْهُ بِمَا. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعَاقِلُ مَعَ غَيْرِهِ خَبِرَ النَّاطِقُ بَيْنَ مَنْ وَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. وَبَيْنَ الْمَوْصُولَاتِ الِ وَذُو، فِي لُغَةٍ طَلِيَّةٍ. وَذَا بَعْدَ مَنْ وَمَا الِاسْتِفْهَامَتَيْنِ، مَاذَا صَنَعَ كَذَا، وَمَاذَا صَنَعْتَ، أَيْ مَا الَّذِي صَنَعْتَ، وَكَذَلِكَ أَيْ تَقُولُ: أَعْجَبَنِي أَيُّهُمْ قَامَ. أَيْ الَّذِي قَامَ. وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ مَوْصُولَاتٍ؛ لِأَنَّهَا لَا تَفِيدُ إِلَّا إِذَا وُصِلَتْ بِشَيْءٍ تَصِيرُ بِهِ ذَالَةٌ عَلَى مَعْنَى. وَاشْتَمَلَتْ تِلْكَ الصِّلَةُ عَلَى رَابِطٍ يَرْبُطُهَا بِالْمَوْصُولِ، حَتَّى لَا تَكُونَ أَجْنِبِيَّةً. قَالَ فِي الْأَلْفِيَّةِ:

وَكُلُّهَا يَلْزَمُ بَعْدَهَا صِلَةٌ عَلَى ضَمِيرٍ لَا يَتَّقِي مُشْتَمِلَةٌ

وَتَقَدَّمَ. أَنَّ مَنْ. تَقَعَ عَلَى الْمَذْكُورِ وَالْمَوْثُوتِ، وَالْمَفْرُودِ وَالْمَثْنَى وَالْجَمْعِ، فَلَفْظُهُمَا مُجَرَّدٌ، وَمَعْنَاهُمَا يَقَعُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، فَالضَّمِيرُ إِنْ عَادَ عَلَيْهَا، يَصَحُّ فِيهِ مِرَاعَاةُ لَفْظِهَا. لِأَنَّ لَفْظَهَا مُفْرَدٌ مَذْكُورٌ، فَيَفْرُدُ وَيُذَكِّرُ ذَاتِهَا. وَمِرَاعَاةُ مَعْنَاهَا، فَيُطَابِقُ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ، فَمِنْ مِرَاعَاةِ لَفْظِهَا، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾. فَمِنْ رَاعَيْتِ اللَّفْظَ، فَلَكَ أَنْ تَرَاعِيَ الْمَعْنَى بَعْدَ ذَلِكَ، تَقُولُ: مَنْ عَرَفْتَهُ فَأَحْسَنْتِ إِلَيْهِمْ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾. وَإِنْ رَاعَيْتِ الْمَعْنَى أَوَّلًا. فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَرَاعِيَ اللَّفْظَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: جَاءَنِي مَنْ عَرَفْتَهُمْ فَأَحْسَنْتِ إِلَيْهِ. وَذَكَرَ فِي التَّشْهِيلِ، أَنَّهُ يَجُوزُ عَلَى قِلَّةٍ. قَالَ: وَيُعْتَبَرُ الْمَعْنَى بَعْدَ اعْتِبَارِ اللَّفْظِ كَثِيرًا. وَقَدْ يُعْتَبَرُ اللَّفْظُ بَعْدَ ذَلِكَ هـ. فَرَعَ: يَجُوزُ حَذْفُ الْمَوْصُولِ، وَإِبْقَاءُ صِلَتِهِ إِذَا عَلِمَ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾. أَيِ وَمَنْ عَبْدَ الطَّاغُوتِ، وَيَجُوزُ حَذْفُ الصِّلَةِ فِي مَقَامِ التَّهْوِيلِ وَالتَّفْخِيمِ، تَقُولُ: مَا فَعَلْتَ كَذَا إِلَّا بَعْدَ الَّتِي، وَالَّتِي؛ أَيِ بَعْدَ الْمَشَقَّةِ الَّتِي يَكُلُّ اللِّسَانَ عَنِ التَّعْبِيرِ عَنْهَا، وَالَّتِي تَفُوتُ التَّعْبِيرَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَالرَّابِعُ مِنَ الْمَعَارِفِ: الْأَسْمُ الَّذِي فِيهِ الْأَلْفُ وَاللَّامُ، نَحْوُ الرَّجُلِ وَالْغُلَامِ؛ وَهُوَ الْمَعْرِفُ بِأَدَاةِ التَّعْرِيفِ. وَهَلْ الْأَدَاةُ: الِ بَرَمَتِهَا؛ وَهُوَ مَذْهَبُ الْخَلِيلِ، فَهِيَ عِنْدَهُ كَهَلٌ، وَقَدْ وَالْهَمْزَةُ هَمْزَةٌ قَطْعٌ عُمِلَتْ مَعَامِلَةً هَمْزَةُ الْوَصْلِ لِكثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ، أَوِ اللَّامُ فَقَطْ. وَالْهَمْزَةُ هَمْزَةٌ وَضَلٌ، اجْتَلَبَتْ لِلِابْتِدَاءِ بِالسَّاكِنِ؛ وَهُوَ مَذْهَبُ سِيبَوِيهِ. دَلِيلُهُ: أَنَّ حَرْفَ التَّنْكِيرِ حَرْفٌ وَاحِدٌ. وَهُوَ التَّنْوِينُ، فَكَذَلِكَ دَلِيلُ نَقِيضِهِ وَهُوَ التَّعْرِيفُ. وَلِذَلِكَ كَانَتْ سَاكِنَةٌ كَالْتَّنْوِينِ؛ وَهِيَ إِمَّا لِبَيَانِ الْحَقِيقَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ؛ وَهِيَ الَّتِي لَا يَخْلُقُهَا كُلٌّ. نَحْوُ: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ». وَإِمَّا لَشُمُولِ أَفْرَادِ الْجِنْسِ؛ وَهِيَ الَّتِي يَخْلُقُهَا كُلٌّ. إِمَّا حَقِيقَةً، نَحْوُ: «وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا». «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ». أَوْ مُجَازًا نَحْوُ: أَنْتَ الرَّجُلُ عِلْمًا. أَيِ اجْتَمَعَ فِيكَ مَا افْتَرَقَ فِي الرُّجَالِ. وَإِمَّا عَهْدِيَّةً. وَالْعَهْدُ إِمَّا ذِكْرِي. نَحْوُ: «فَقَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ». أَوْ ذُهْنِي، نَحْوُ: «بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى». «إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ». وَخُضُورِي: نَحْوُ: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ». وَبَلَّغَهَا بَعْضُهُمْ إِلَى عَشْرِينَ. سِتْ مَعْرِفَاتٍ. وَأَرْبَعُ مَوْصُولَاتٍ، وَعَشْرُ زَائِدَاتٍ، وَنَظَمَ ذَلِكَ الْقَاضِي شُعْبَانُ فَقَالَ:

عَرَفَ بِأَلْ وَلَامِهِ وَصِلَ وَزَدَ وَأَقْسَمَ عَلَى عَشْرِينَ قَسَمًا تَسْتَفِئِلُ
عَرَفَ بِسِتْ نَصْفِهَا إِلَى الْعَهْدِ وَنَصْفِهَا جَنْسِيَّةً فِي الْعَدِّ

وصل بأربع ما اسم الفاعل وصنوه والوصف والمماثل
 وزد بِعَشْرٍ والتزم بأربعة وغير لازم ترى لثامعة
 وانظر التوضيح والتصريح، تستخرج ذلك إن شاء الله. والله تعالى أعلم.
 الخامس من المعاني: ما أضيف إلى واحد من هذه الأربعة. نحو غلامك، وغلام
 زَيْد، وغلام هذه، وغلام الذي قام أبوه، وغلام الرجل، ثم ذكر النكرة فقال: (ص):
 والنكرة: كل اسم شائع في جنسه، لا يختص به واحد دون آخر. (ش) فإذا قلت:
 رجل أو امرأة، صدق ذلك على جنس الرجال، أو النساء. وكذلك أسد بخلاف
 أسامة، فإنه وُضع للحقيقة بعد تعيينها في الذهن. وإن صدقت على كثير، فإن العلم قد
 يعرف له الاشتراك والعموم في اللفظ بعد التعيين. وقوله: لا يختص به واحد، أدخل
 الباء على المقصور عليه. والأكثر دخولها على المقصور عليه. تقول: خصصت العطاء
 بزيد، أحسن من قولك: خصصت زيدا بالعطاء، ونظمه بعضهم فقال:

والباء بغد الاختصاص يكثر دُخولها على الذي قد قصروا
 وعكسه مستعمل وجيد ذكرها الحبر الهمام السيد
 ولو قال: لا يختص بواحد بسلك طريق الأكثر ثم ذكر ضابطاً آخر فقال:
 (ص) وتقريبه: كل ما صلح دخول الألف واللام عليه. (ش) يريد أو يقع موقع ما
 يقبلها، نحو: ذو، بمعنى صاحب، فإنه لا يقبل ال، ولكن وقع موضع صاحب.
 فتقول: الصاحب. وكذلك مَنْ وَمَا الاستفهام والشرطة، فإنهما لا يقبلانها،
 ولكنهما واقعان موقع ما يقبلها؛ وهي شيء.

وتقول: مررت بمن معجب لك. أي مررت بإنسان، وبما معجب لك، أي
 بشيء. وقال الجزولي: علامة الاسم: النكرة إذا كان مفرداً قبول الألف واللام، أو
 أداؤه معنى لا يكون إلا نكرة. وإن كان مضافاً، فقبول ما أضيف إليه الألف واللام
 مباشراً أو بواسطة، أو جواز جزئه نعتاً على النكرة هـ وكل ما دخل عليه رُب فهو
 نكرة.

قنبيه: أنكر النكرات شيء ثم موجود ثم محدث، ثم جنس، ثم قال، ثم
 حيوان، ثم إنسان، ثم بالغ، ثم ذكر، ثم رَجُل. والأصح أن المعدوم ليس لشيء.
 وعليه فليس لشيء أعلى من موجود. وقوله: (ص) نحو الرجل والفرس. (ش) هو
 تمثيل لما يصلح دخول ال عليه، مع دخولها بالفعل والفرس. يقع على الذكر

والأنثى . وَيَتَمَيَّزُ بالوصف، تقول: فرَسَ أنثى، وقيل، يُقال الأنثى فرسه بالهاء، والجمع لهما أفراس وفروس . واللَّهُ تعالى أعلم .

الإِشَارَةُ: والمعرفة باللَّهِ، تظهر في خَمْسَةِ أَشْيَاءَ، فَمَنْ عَرَفَ الله فيها فهو عارف، وَمَنْ جهلها، أو أثبتها مع الله فَهُوَ تالف:

أولها الكنايات: نحو: أَنَا وَأَنْتَ، فما دمت تقول: أَنَا فَعَلْتُ أو أَنْتَ فَعَلْتَ، فَأَنْتَ جَاهِلٌ مُشْرِكٌ . وَإِنْ غِبْتَ عَنْكَ وعن غيرك، فَأَنْتَ مُوَحَّدٌ عارف . ثانيها: أسماء الأشخاص والأماكن، فَإِنْ عَرَفْتَ اللَّهَ فِيهَا فَأَنْتَ عارف . وَإِنْ أَثْبَتَهَا مَعَ اللَّهِ فَأَنْتَ جَاهِلٌ . الْأَكْوَانُ ثَابِتَةٌ بِإِثْبَاتِهِ . مَمْحُوءَةٌ بِأَحْدِيَةِ ذَاتِهِ، مَا تُصِيبُ لَكَ الْعَوَالِمُ لِتَرَاهَا، بَلْ لَتَرَى فِيهَا مَوْلَاهَا . ثالثها: المبهمات؛ من الكائنات، كَهَذَا فَعَلَ كَذَا، وهذه فَعَلَتْ كَذَا . فما دام الْعَبْدُ ينسب التأثير للغير، ويتوَقَّع منه ضرراً أو نفعاً فهو جَاهِلٌ بِاللَّهِ . رابعها: المعرف عند الناس بالرِّيَاسَةِ والجاه، كالسلاطين والقواد، وغيرهما، وأهل الرياسة الظاهرية، وكذلك أهل الرياسة الباطنية، كالأولياء، والصالحين، فَمَنْ عَرَفَ الله فيهم، ورأى أَنَّهُمْ مصرفون تحت قهرية الحق، يتصرفون بقدرته وإرادته، ليس بيد أَحَدٍ مِنْهُمْ شيء، بل لَا وُجُودَ لَهُمْ مع الْحَقِّ؛ فَهُوَ عارف . ومن أَثْبَتَ لَهُمْ ضرراً أو نفعاً، ودَخَلَ قَلْبُهُ مِنْهُمْ جَزَعٌ أو خَوْفٌ؛ فهو جَاهِلٌ بالله . دعواه أكبر من قدمه . خامسها: ما أَضْيَفَ لواحدٍ من هؤلاء، كالأَصْحَابِ وَالْعَشَائِرِ؛ فهو يَمْتَرِلْتَهُمْ، لَا وُجُودَ لَهُمْ وَلَا تَأْثِيرَ، كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ . وهو الآن على ما كَانَ عليه . نَعَمْ الإِضَافَةُ لها تَأْثِيرٌ فِي الْمُضَافِ، فَمَنْ انْصَافَ إِلَى أَهْلِ الْعِزِّ بِاللَّهِ تَعَزَّزَ، وَدَامَ عِزُّهُ . ومن انْصَافَ إِلَى أَهْلِ الْعِزِّ بِالْخَلْقِ أو بِالْمَالِ، مَاتَ عِزُّهُ، وَأَغْقَبَهُ الذَّلُّ . والله دَرُّ الْقَاتِلِ حَيْثُ قَالَ:

عَلَيْكَ بِأَرْبَابِ الصُّدُورِ فَمَنْ عَدَا مُضَافاً لِأَرْبَابِ الصُّدُورِ تَصَدَّرَا
وإِيَّاكَ أَنْ تَرْضَى بِصُخْبَةٍ سَاقِطٍ فَتَنْحَطَّ قَدْرًا مِنْ عِلَاكَ وَتَحْقُرَا

وَأَرْبَابُ الصُّدُورِ؛ هُمُ الْعَارِفُونَ بِاللَّهِ الَّذِينَ صَدَرَهُمُ اللَّهُ لِنَفْعِ عِبَادِهِ، وَالذَّعَاءُ إِلَيْهِ، عَلَى قَدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَالسَّاقِطُ: هُوَ الْجَاهِلُ بِاللَّهِ وَبِأَحْكَامِهِ كَانَتْ مَنْ كَانَ . وَكَانَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَثِيراً مَا يَنْشُدُ هَذَا الْبَيْتَ:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْئَلْ وَأَسْأَلْ عَنْ خَلِيلِهِ فَكُلَّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ مُفْتَدٍ

وبالله التوفيق .

بَابُ الْعَطْفِ: العطفُ في اللُّغة: الرَّجُوعُ والتَّشْيِي، يُقال: عطف الفارس على قرْنه إذا رَجَعَ. وعطفَ هذا الثوبَ على هَذَا، إذا أَثْنَيْتَ عليه، وأَمَّا في الاصطلاح، فقسَمَانِ عطف بَيَانٍ وعطف نسق، ولم يتكَلَّم المؤلف على عطف البيان لقلته. وإِمكَّانِ إِذْرَاجِه في البَدَل، لأنه موافق له غالباً. والفرق بينهما: أَنَّ البَدَل على نية تكرار العامل. وعطف البيان العامل فيه، هو العامل فيهما قَبْلَه. فلذلك كل مَوْضِع يصلح للبيان. يصلح للبَدَل، إِلا إِذَا كَانَ العامل في الأول، لا يصلح لمباشرة الثاني، نحو يا زيد الحارث فيتعين فيه البيان، إِذ لا يَصَحُّ أَنْ تقول يا لحارث. وكذلك قول الشاعر:

أنا ابن الشارك البكري بَشَرٌ عليه الطير ترقيه وقسوعاً
فبشر عطف بيان، وَلَا يَصَحُّ في البدلية، إِذ لا تقول: أنا ابن التَّارِك بَشَر، إِذ لَا يَصَحُّ المقرون بَال، إِلى المجرَّد مِنْهَا. وعطف البَيَان، هو كما قال ابن الحاجب: تابع غير صفة، يُوضَح متبوعه. وقال في الألفية:

فَذُو البَيَانِ تَابِعٌ شِبْهُ الصِّفَةِ حَقِيقَةُ الْقَضْدِ بِهِ مُنْكَشِفَةٌ
فَالْتُعْتُ يُوضَحُ مَا قَبْلَهُ بِصِفَتِهِ، والبيان يُوضَحُ مَا قَبْلَهُ لِبَيَانِ ذَاتِهِ. ويكون في المعارف والنكرات، فمثاله في المعارف، قول الشاعر:

وثباً قسم بالله أبو حفص عُمَرُ مامسها من نقب ولا دبر
فَعُمَرُ عطف بيان، لأبي حفص. ومثاله في النكرات، قوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرٍ مُبَارَكٍ زَيْتُونَةٍ﴾. فزيتونة بيان لشجرة. وَلَا التَّفَاتُ لِمَنْ مَنَعَهُ في النكرات، قال ابن مالك: فَقَدْ يَكُونَانِ مُنْكَرَيْنِ، كَمَا يَكُونَانِ مُعَرَّفَيْنِ؛ وهو في مطابقة لما قبله كالتُعْتُ الحقيقي، فيتبعه في أربعة من عشرة، وقد بَيَّنْتُ في التُّعْتُ. وأَمَّا عطف النَّسَق، فهو الَّذِي ذكره المصنِّف، والنَّسَقُ بفتح السين. اسم مُصَدِّر، ونسقت الكلام، أَنَسَقَه نسقاً بالتسكين أي عطفَته بغضه على بَغْضٍ. والمراد بِهِ الْمَنَسُوق. وأَمَّا في الاصطلاح، فهو تابع لِمَا قَبْلَهُ، بواسطة حَرْفٍ متبع، فتابع جِسْمٌ، وبواسطة خرج سائر التوابع؛ لأنها يَغْيَرُ واسطة. وكقوله متبع ما بعد، أي التفسيرية في نَحْوِ قَوْلِكَ: مَرَزْتُ بِغَضَنَقَر. أي أَسَد، فَأَي حَرْفٍ تفسير، وأَسَدُ عطف بيان. ثم عَدَّ حروف العطف فقال: (ص) وحُرُوفُ العطف عشرة (ص) أي عند الجمهور، وأسقط بغضهم لكن، وبعضهم إمَّا. (ص) وهي الْوَاوُ (ش) وهي لمطلق

الجمع، فيعطف بها اللاحق على السابق. نحو: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ»
والسابق على اللاحق، نحو: «وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ»
والمصاحب في الحكم، نحو: «فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ»، وإذا قلت: جاء زيد
وَعَمْرُو، يَحْتَمِلُ المعاني الثلاث. قال ابن مالك: وَكُونَهَا للمعية أرجح، وللترتيب
كثير، وللعكس قليل، وقال كثير من النحويين: إنها تفيد الترتيب. وأخذ به
الشافعي، فأوجب الترتيب في الوضوء، ونقله الرضی عن الكسائي، وابن مردويه،
يعني إفادتها الترتيب. (ص) والفاء، (ش) وهي للترتيب والتعقيب، تقول: جاء
زيد فَعَمْرُو. أي متصلاً به، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَ غُلًّا فَقَتَلَهُ﴾. أي كَانَ
قتله عقب اللقاء، والتعقيب في كل شيء بِحَسْبِهِ، تقول: تزوج فلان فكان بولد له.
إذا لم يكن بينها إلا مدة الحمل، وتقول: دَخَلْتُ البُصْرَةَ فبغداد إذا لم يكن بينه
وبين دخولها إلا ثلاثة أيام. وقد تفيد السببية، إذا عطفت جملة أو صفة، فالأول،
كقوله تعالى: ﴿فَوَكَرَهُ مُوَيْسٌ فَقَضَى عَلَيْهِ﴾. ﴿فَلَقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ قَنَابَ عَلَيْهِ﴾.
والثاني؛ قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ لَأَكُونَنَّ مِنْهَا مَمْلُوءًا وَمِنْهَا الْبَطُونُ فَشَرُّوهُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِهِ﴾ وقد
تجيء في ذلك، بمجرد الترتيب، نحو: «فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ»، أي مال فجاء بعجل
سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ «لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ». وقد تكون
بِمَعْنَى ثم كما في التسهيل. كقوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا أَلْفَافَةً مُضْغَةً﴾ الآية، (ص)
وَمِنْ (ش) وهي للترتيب مَعَ الْمُهْلَةِ. وقد تقع موقع الفاء كقول الشاعر:

كَمَرُ الرُّدَيْنِ تَحْتَ الْعِجَاجِ جَرَى فِي الْأَنْبَابِ ثُمَّ اضْطَرَبَ

أي جَرَى فاضطرب. وقد تبذر تاؤها فاء. ويقال: قَمٌ، ويقال ثَمٌ بِإِسْكَانِ
الثَّاءِ وَفَتْحِهَا (ص) وَأَوْ (ش) وهي موضوعة لأحد الشيئين أو الأشياء، وَلَهَا سِتْ
مَعَانٍ. أحدها التخيير، نحو: تزوج هنداً أو أختها. الثاني الإباحة، نحو: جالس
الأولياء أو العلماء، والفرق بينهما، أَنَّ التخيير لَا يَجُوزُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا، بِخِلَافِ
الإِبَاحَةِ. الثالث: التَّقْسِيمُ، نحو: الكلمة اسم أو فعل أو حرف. الرابع: الإِبْهَامُ،
نحو: «وَلَنَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ». الخامس: الشُّكُّ، نحو:
«لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ». والفرق بَيْنَ الإِبْهَامِ وَالشُّكِّ. أَنَّ الإِبْهَامَ، المتكلم عالم
بالحكم، وَأَبْهَمَ عَلَى السَّمْعِ، وَالشُّكُّ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ، وهو شاك. السادس:
الإِضْرَابُ، بمعنى بَلْ. كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يُزِيدُوكَ﴾. أثبتة
ابن مالك، وتوزع فيه، وَقَدْ تَرَدَّدَ بِمَعْنَى الْوَاوِ، كقول الشاعر:

جاء الخِلافة أو كانت على قدر كما أتى موسى ربه على قدر والمراد به: عَمَر بن عبد العزيز، أي جاء الخِلافة، وكانت على قدر سابق. لم يتشوق إليها، ولم يطلبها، وقد ترد بمعنى التقريب، نحو: لا أدري اسلم أو ودع، وترد بمعنى إن الشرطية، نحو: لأضربه عاش أو مات، أي إن عاش بعد الضرب أو مات. قاله السوداني. وفيه نظر، فإن أوفى المثال لا يصلح مَوْضعها إن فتأمله هـ. (ص) وأم (ش) لطلب التعيين، وتقع بعد همزة داخلة على أحد المتساوين، نحو: أريد عندك أم عمرو. إذا كنت قاطعاً بأن أحدهما عنده، ولكنك تشككت في عيئه أو بعد همزة التسوية. وهي المسبوقه سواء. أو ما يفيد مغناهاً. كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ وكذلك: لا جناح عليك أو لا حرج. فَعَلْتَ أم لم تفعل. وهذه الهمزة تسبك مع ما بعدها بالمصدر، والتقدير: الإنذار وعدمه سواء في حقهم. وهذه أم المتصلة. وأمّا المنقطعة؛ فهي الخالية مع هذه القيود، وتكون بمعنى بَلِّ الأضرابية، كقوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾. وكل ما بعدها في الآية فهو للأضراب، وكذا قوله تعالى: ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ وسميت منقطعة، لانقطاع الجملة التي بعدها عما قبلها. (ص) وأمّا (ش) وهي مثل أو في معانيها. بشرط تقدم إما أخرى قبلها. تقول: خُذْ مِنْ مَالِي إِمَّا دِرْهَمًا وَإِمَّا دِينَارًا. وجالس: إِمَّا الْعُلَمَاءَ أَوِ الْأَوْلِيَاءَ، وهكذا. وقيل: لَيْسَتْ بِعَاطِفَةٍ. وإنما العاطف الواو وقبلها؛ وهي تفصيلية. (ص) وبَلِّ (ش) للإضراب والرد على الخطأ من الحكم بعد نفي. نحو: مَا قَامَ زَيْدٌ بَلِّ عَمْرُو. ولَصَرْفَ الْحُكْمِ إِلَى مَا بَعْدَهَا بعد الإيجاب، نحو: قام زيد بل عمرو. (ص) وَلَا (ش). وهي نافية، لِلرَّدِ عَلَى الْخَطِإِ فِي الْحُكْمِ بعد الإيجاب. تقول: جاء زيد لا عمرو، ردًا على مَنْ اعتقد مجيء عمرو. ويُعْطَفُ بِهَا أَيْضًا بعد الأمر، نحو: اضرب زيدا لا عمراً. وبعد الثداء، نحو: يا زيد لا عمرو. قال في الاتقان: لَمْ تَقَعْ لَ عَاطِفَةٍ فِي الْقُرْآنِ. (ص) وَلَكِنْ (ش) وهي للاستدراك، وَلَا تُعْطَفُ إِلَّا الْمَفْرَدَاتُ وَيَشْتَرِطُ خُلُوهَا مِنَ الْوَاوِ وَمَعَ تَقَدُّمِ نَفْيٍ أَوْ نَهْيٍ نَحْوُ: مَا قَامَ زَيْدٌ لَكِنْ عَمْرُو. ولا تضرب زيدا لكن عمراً. فَإِنْ قَرَنْتَ بِالْوَاوِ، وَكَانَتْ حَرْفَ ابْتِدَاءٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ فرسول الله خبر كان محذوفة أي ولكن كان رسول الله. (ص) وحتى في بعض المواضع. (ش) اعلم أن حَتَّى تُسْتَعْمَلُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ، أَحَدُهَا: أَنْ تَكُونَ حَرْفَ جَرٍّ، نَحْوُ: (حَتَّى مَطْلَعُ الْفَجْرِ)؛ وهي التي ينتصب المضارع بعدها بأن مُضْمَرَةً، ثانيها: أَنْ تَكُونَ ابْتِدَائِيَّةً؛ وهي الدَّاخِلَةُ عَلَى الْجُمْلِ الْإِسْمِيَّةِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَمَا زَالَتْ الْقَتْلَى تَبِيحَ دِمَاءَهَا بدخلة حتى ماء دجلة أشكال
 أو فعلية؛ التي فعلها ماض، كقوله تعالى: ﴿حَتَّى عَفَوا﴾ أي كثروا. ثالثها:
 أن تكون حَرْف عطف؛ وهو قليل. وَلَا يكون إِلَّا بَعْضاً مِمَّا قَبْلَهُ. أو كالبعض.
 تقول: قَدِمَ الحُجَّاجُ حَتَّى المَشَاةِ. أو أعجبني الجارية حَتَّى كلامها، فإنَّ الكلام
 ليس بعضاً. لكنَّه كالبعض. وقد يكون المعطوف مُبَايَناً لِمَا قَبْلَهُ، فيقدَّر بعضيته.
 كَقَوْلِ الشاعر:

القي الصحيفة كي يخفض رحله والزاد حتى نعله القاهها
 أي ألقى ما يثقله حتى نعله، ولا يكون المعطوف بها أيضاً إلا غاية لما قبله في
 شرف أو في خسة تقول: مات الناس حتى الأنبياء وجاء الناس حتى الحجامون وقد
 اجتماعاً معاً في قول الشاعر:

قهرناكم من الكماة فأنتم تهابونا حتى بنين الأصاغر
 واختلَف في حَتَّى هل هي لمطلق الجمع كالواو، أو للترتيب كالفاء. أو بين
 الفاء وثم خلاف (ص) فَإِنَّ عَطَفَتْ بِهَا (ش) أي بهذه الحروف العشرة. (ص) عَلَى
 مرفوع رَفَعَتْ، أو عَلَى مَنْصُوبٍ نَصَبَتْ. أو على مخفوض خَفَضَتْ. أو عَلَى
 مَجْزُومٍ جَزَمَتْ. تقول (ش) في العطف على المرفوع. (ص) قَامَ زَيْدٌ وَعَمْرُو.
 (ش). وَفِي عطف المنصوب (ص) رَأَيْتَ زَيْدًا وَعَمْرًا وَ (ش) فِي عطف
 المخفوض (ص) مررت بِزَيْدٍ وَعَمْرٍو. (ش)، وَفِي عطف المجزوم، زَيْدٌ لَمْ يَذْهَبْ
 ويقم. ومنه قوله تعالى: ﴿يُضَنَّفُ لَهُ الْكَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَتَّخِذُ فِيهِ مِهْنًا﴾ ومثاله
 فِي النَّصْبِ فِي الْفِعْلِ قوله تعالى: ﴿لَتُخَيَّ بِهٖ بَلَدَةً مِّمَّنَّا وَشَقِيقَهُ﴾. وَفِي الرِّفْعِ «وَلَا
 يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ». وَلَا يشترط اتحاد الفعلين، فيجوز حذف المضارع على
 الماضي، مع اتِّحَادِ الزَّمَانِ، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا﴾. ثم
 قال: «وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا». فيجعل على قراءة الجزم معطوف على ويجوز عطف
 الاسم الشبيه بالفعل، على الفعل، كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْأَمْتِ وَيُخْرِجُ﴾.
 وقيل معطوف على قَالِقٍ فلا دليل فيه. ويجوز العكس؛ وهو عطف الفعل على
 الاسم الشبيه به. كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الظَّيْرِ فَوَقَّهُمْ صَنْعَتِي وَبَقِيتِي﴾. وقوله
 تعالى: ﴿إِنَّ الْمَصْدِقِينَ وَالْمُصَفِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا﴾. وإنما صحَّ العطف مع اختلاف الجنس
 لصيرورة أحدهما إلى الآخر بالتلوين، فيؤول قوله: «وَيَقْبِضُنَّ بِقَابِضَاتٍ»
 والمصدقين بالذين تَصَدَّقُوا وأقرضوا. واللائي تصدقن وأقرضن ومخرج، يُؤْوَلُ

بإخراج، وهكذا، وتعطيف الجملة الاسمية على الاسمية. والفعلية على الفعلية. والعكس فيهما، والله تعالى أعلم.

الإشارة: علامة العطف من الله على عبده عشرة، هدايته وتوفيقه، وتوليته وتقريبه من حضرته. وكشف حجابيه، وانتقامه من أعدائه. وقيامه بشؤونه بلا تعب، وقذف محبيه في قلوب عبادِهِ. وإنهاض القلوب بهمة وخاله وكلامه. وعلامة العطف من العبد على مولاه: امتثال أمره واجتناب نهيه، والإكثار من كثرة، والاستسلام لقهره ومحبة كلامه. ومحبة رسوله ﷺ. ومحبة أهل بيته، ومحبة أوليائه، وصحبتهم وخدمتهم، والثقة بربه، والتوكل عليه في جميع أمورهِ، وعدم التدبير ولا الاختيار مع ربوبيته، والرضى والتسليم لجميع أحكامه الجلالية والجمالية، وتحقيق معرفته، ودوام شهودِهِ. والحضور معه في جل أوقاته. فهذه علامة المحبة من الجانبين. وقال الشيخ: من هذه الإشارة، وحروف العطف عشرة، أي أسبابها؛ وهي واو الجمع؛ أي جمع القلب بالله. والجمع مع أهل الله، وفاء الترتيب؛ وهي ترتيب وظائف العبودية في الظاهر، على ترتيب الشريعة. فلولا ورد ما كان وارداً لا ينكر الزود إلا جهول. وثم التي تدل على المهلة وعدم العجلة، فالتأني من الله، والعجلة من الشيطان. من تأني أصاب أو كاذ، ومن استعجل أخطأ أو كاذ كما في الحديث. وكان الولي الكاشف المجذوب، سيدي أحمد أبو سلهم كثيراً ما ينشد في هذا البيت، حين ندخل عليه في حال شبابي.

تَأْذُ وَلَا تَفْجَلْ لِأَمْرِ رَبِّهِ
وَكُنْ رَاجِعاً بِالْخَلْقِ تُبَلِّسُ بِرَاجِمِ
وأو التي تفيد التخيير، فإذا خيره سيده، اختار العبودية على الحرية فيقدر ما يتحقق بالعبودية في الظاهر. تتحقق له الحرية في الباطن. والعبودية هي السفليات دون العلويات أو الإباحة، فيبيع ماله وعرضه لجميع الخلق، كأبي ضمضام، فالصوفي ماله مباح، وذمه هذر أو التقسيم، فيقسم ما جعله الله على يديه، من الأرزاق الحسية والمعنوية، كالعلوم والأسرار على من يستحقها. «قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ»، فيخاطب كل واحد على قدر فهمه وعقله، أو الإنهام. فيبهم ويكتُم سرّه اكتفاء بعلم الله. استشرافك أن يعلم الناس بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك، أو التشكيك في ولايته؛ بعدم التعرض لأسباب الظهور وفي ذلك يقول المجذوب رضي الله عنه:

اخْضَرْ لِي سِرُّكَ وَذُكُّ فِي الْأَرْضِ مَبْعِيْنَ قَامَا

وَحَلُّ الْخَلَائِقِ تَشْكُو إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَا. أَوْ الْإِضْرَابُ: وَهُوَ إِضْرَابُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا، وَتَوَجُّهُهُ إِلَى مَوْلَاهُ، فَيَقْدِرُ مَا يَغِيبُ فِي حَسَنِ الظَّاهِرِ، تَشْرُقُ عَلَيْهِ أَنْوَارُ الْبَاطِنِ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: غِيبٌ عَنِ حَسَنِ ظَاهِرِكَ، إِنْ أَرَدْتَ فَتَحَ بَاطِنِكَ هـ. وَأَمَّا الَّتِي يَطْلُبُ بِهَا التَّعْيِينَ؛ وَهُوَ تَعْيِينَ الْحَقِّ فَيُشَبِّعُ. وَمَنِ الْبَاطِلُ فَيُجْتَنَّبُ، أَوْ تَغْيِينَ طَرِيقِ السُّلُوكِ، فَيُسَلِّكُهَا عَلَى يَدِ أَهْلِ التَّسْوِيَةِ فَيَسْتَوِي عَنْدهُ الذُّهَبُ وَالشَّرَابُ، فِي عَدَمِ الرُّغْبَةِ وَالذَّلِّ وَالْعِزِّ، وَالْفَقْرِ وَالْغِنَا وَالذَّمَّ وَالْمَذْحَ وَالْمَنْعَ وَالْعَطَا وَهَكَذَا تَسْتَوِي عَنْدهُ الْأَخْوَالُ، فَيَتَحَقَّقُ بِمَقَامِ الْإِسْتَوَاءِ. الَّذِي يَتَأَهَّلُ بِهِ لِلْوَلَايَةِ الْكُبْرَى. وَأَمَّا مَا جَرَى فِي أَوْ فَيَجْرِي فِيهَا. وَبَلَّ تَشِيرَ إِلَى إِضْرَابِ الْمُرِيدِ عَنِ الْكَوْنَيْنِ، غَيْبَةً فِي الْمَوْكُونِ. فَنَاءً وَشَهُوداً. وَلَا تُنْفِي السُّوَى، وَتُثَبِّتُ الْمَوْلَى، فَتَقُولُ: الْحَقُّ مَوْجُودٌ لَا غَيْرُهُ، وَلَكِنْ تَشِيرُ إِلَى اسْتِدْرَاكِ مَا فَاتَ مِنَ الْعُمُرِ فِي الْبَطَالَةِ وَالتَّقْصِيرِ، بِالْجَدِّ فِيمَا بَقِيَ. وَالْاجْتِهَادَ وَالتَّشْمِيرَ. قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَرَّمَتْ وَجْهَهُ. نَعَمْ بَقِيَّةُ عُمُرِ الْمُؤْمِنِ يَدْرِكُ بِهَا الْعَبْدَ مَا فَاتَ. وَيُحْيِي مَا أَمَاتَ، وَحَتَّى: تَشِيرُ إِلَى انْتِهَاءِ السَّيْرِ بِالْوُصُولِ إِلَى غَايَةِ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّمَكُّنِ مِنْ دَوَامِ الشَّهَادَةِ. فَإِنْ عَطَفْتَ بِهَا عَلَى مَرْفُوعِ رَفْعَتِهِ، أَيْ زِدْتَ فِي مَعْرِفَتِهِ، أَوْ مَنْصُوبٍ لِلتَّوَجُّهِ وَالسَّيْرِ، نَصَبْتَهُ لَهُ. حَتَّى وَصَلْتَهُ، أَوْ عَلَى مَخْفُوضٍ لِلنُّهَى وَالنَّفْسِ بِالْمُجَاهَدَةِ وَالْمُكَابَدَةِ، خَفَضْتَهَا. وَأَعْنَتَهُ عَلَيْهِمَا. أَوْ عَلَى مَجْزُومِ السَّيْرِ؛ طَالِبِ الْوُصُولِ جَزْمَتِهِ، وَشَدَّدْتَ عَقْدَهُ، حَتَّى يُشَاهِدَ أَسْرَارَ ذَاتِكَ، وَأَنْوَارَ صِفَاتِكَ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ. وَهُوَ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ.

بَابُ التَّوَكُّيدِ:

وَهُوَ مَصْدَرٌ وَكَّدَ، وَيُقَالُ التَّوَكُّيدُ، مَصْدَرٌ أَكَّدَ. وَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ وَأَنْصَحُ، وَهُوَ لُغَةُ الْقُرْآنِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿بِمَدِّ تَوَكُّيدِهِهَا﴾. وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ، لَفْظِي وَمَعْنَوِي، فَالْلفْظِي إِعَادَةُ اللفْظِ بَعَيْنِهِ وَتَقْوِيَتُهُ بِمُرَادِفِهِ نَحْوُ: انْزَلْ نَزَالًا، وَيَكُونُ فِي الْأَسْمَاءِ، نَحْوُ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ كَسَاعَ إِلَى الْهَيْجَا بِغَيْرِ سِلَاحٍ
وبعده:

وَأَبْنُ عَمِّ الْمَرْءِ فَاعْلَمْ جَنَاحَهُ وَهَلْ يَنْهَضُ الْبَازِي بِغَيْرِ جَنَاحٍ
وَيَكُونُ فِي الْأَفْعَالِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَأَيْنَ إِلَى أَيْنِ النِّجَاةُ بِيَغْيَتِي أَتَاكَ أَتَاكَ الْأَحْقُونُ أَحْبَسَ أَحْسَنَ

وفي الحروف، كَقَوْلِ الشاعر:

لَا أَأَبْرَحُ بِحُبِّ بَثِينَةٍ إِنَّهَا أَخَذَتْ عَلَيَّ مَوَاقِعًا وَعَهودًا
وفي الجُمْلِ نحو: أيا من لست أقلاه ولا في العبد أنساه. لك الله على ذلك
لك الله. ونحو:

قُمْ قائماً قُمْ قائماً قُمْ قائماً إِنَّكَ لَا تَرْجِعُ إِلَّا سَالِماً
قال عز الدين ابن عبد السلام: اتَّفَقَ الأدباء، أَنَّ التوكيد اللفظي في لِسَانِ
العرب لا يزيد على ثلاثة مرات هـ. وقد يكون اللفظي مَكْرَرًا بِغَيْرِ لَفْظِ الْأَوَّلِ، إِلَّا
أَنَّهُ عَيْنُهُ فِي الْمَعْنَى. قالوا: حسن بسن وشيطان ليطان. ورجس نجس، وجائع
نائع، فالثاني تأكيد لفظي لا مغنوي؛ لأنه بالفاظ مَغْلُومَةٌ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ مِنْهَا. وأما
التوكيد المعنوي، فَحَدَّه ابن الحاجب بقوله: تابع يقرر متبوعه في النسبة والشمول.
وعرفه المصنف بقوله (ص) التوكيد تابع لمؤكده في رفعه ونضبه وخفضه وتعريفه
(ش) ولم يقل وتنكيه، لأنَّ مذهب البصريين، منع توكيد النكرة؛ لأنَّ المجهول لا
يؤكد. وجوزّه الكوفيون إن أفاد وهو الصحيح. قال في الألفية:

وإن يُفْذِ توكيد منكورٍ قُيِّلَ وَعَنْ نُحَاةِ الْبُضْرَةِ الْمَنْعُ شَمِلَ
وصحة توكيد النكرة بشرطين. كونها موقفة محدودة، وكَوْنُ التوكيد من ألفاظِ
الإحاطة والشمول وذلك نحو قولك: صمّت شهراً كُلَّهُ. وَسَنَتَ كُلَّهَا. ومنه قول
الشاعر:

لَكِنَّهُ شَأْنُهُ إِنْ قِيلَ ذَا رَجَبٍ بِأَلَيْتَ عِدَّةً حَوْلَ كُلِّهِ رَجَبٍ
وقول الآخر:

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ صَبِيًّا مُرْضِعًا تَحْمِلُنِي الذَّلْفَاءُ حَوْلًا أَكْتَعَا
إِذَا بَكَّيْتُ قَبْلَ لَيْتَنِي أَرْبَعًا إِذَا أَظْلَلْتُ أَبْكِي الدَّهْرَ أَجْمَعًا
والذَّلْفَاءُ: البُكَرُ. قال المصنف: (ص) ويكون بالفاظ معلومة؛ وهي النَّفْسُ
وَالْعَيْنُ (ش) قلت: أما النَّفْسُ وَالْعَيْنُ فيؤكد بهما يرفع توهم المجاز، من حَذَفَ
مضاف أو غيره. أو السهو أو النسيان. فإذا قلت: جاء زيد، فيحتمل جاء خبره أو
كتابه أو رحله، فإذا قلت نفسه، ارتفع ذلك الإيهام. وثبتت الحقيقة، فإن أكّدا مثني
أو مجموعاً، جُمِعَا عَلَى وَزْنِ أَفْعَلْ تقول: جاء الزَّيْدَانِ أَنْفُسُهُمَا، أَوْ أَعْيُنُهُمَا،
وجوز ابن مالك وولده تشيتهما، ومنع ذلك أَبُو حِيَانٍ. وإن اجتمعا أخرت العين

وَجُوبًا، تقول. جاء زيد نفسه عينه. ويجوز جرهما بالباء الزائدة، وامتنع ذلك في غيرهما، وأما (ص) كل وأجمع وتوابع أجمع (ش) فيذكر بهما لإرادة الإحاطة والشمول. وتوهم إطلاق البعض على الكل. ووجع في أجمع وتوابعه، أن تكون غير مضافة، فالخلو من الرابط شرط فيها. كما يشترط في الجملة المضاف إليها. (ص) تقول: قام زيد نفسه (ش) أو عينه، ورأيت زيدا نفسه أو عينه. ومزرت بزيد نفسه أو عينه. أو جاء زيد بنفسه أو بعينه. وجاء الجيش كله، والقبيلة كلها، والقوم كلهم، والهندات كلهن. (ص) ورأيت القوم كلهم (ش) وجاء الجيش أجمع. والقبيلة جمعا. (ص) ومزرت بالقوم أجمعين (ش) والهندات جمع. وأما توابع أجمع؛ فهي أكتع وأبضع، وأبتع، فأكتع مشتق من ثوب كتيع، أي كامل. وتكتع الجلد: إذا اجتمع وتقبض. وأبضع قال الجوهري: البضع: هو الجمع. سمعته من بغض النحويين، وما أذري ما حجته. وأبت من البتيع؛ وهو طول العنق. يقال: بتع الرجل فهو بتع طويل العنق. والأنثى بتعة، فإذا اجتمع الثلاثة، كان الأول توكيدا معنويا، والباقي لفظيا. ومن ألفاظ التوكيد: كلاً وكلنا متصلان بضمير المؤكد، مستغنى بهما عن تثنية أجمع وجمعا، نحو: جاء الجيشان كلاهما. والقبيلتان كلتاها، ولا يؤكد بهما، وبكلي إلا ماله أجزاء. فلا يقال: جاء زيد كله، إذ لا يتوهم مجيء بغضه. ولا تقول: جاء الزيدان كلاهما، ولا الهندان كلتاها؛ لغدم تجربتها، هكذا سمعت من بغض مشايختنا، ويروى قوله تعالى: ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ فإنه توكيد لضمير الوالدين، أي هما كلاهما. فتأمل. فزع: إذا أردت أن تؤكد الضمير المتصل بالنفس أو بالعين أو بهما. لم يجز ذلك، إلا بعد تأكيد الضمير المنفصل. تقول هند خرجت هي بنفسها، أو عينها، إذ لو قلت خرجت نفسها، لاختمل الموت، وكذلك خرجت عينها، لاختمل خروج العين. وحمل على ذلك ما سواهها، نحو: زيد قام هو نفسه، ومزرت بهم أجمعين. والكلام هنا يطول، فليُنظر في محله.

الإشارة: التوكيد في الأمور، والعزم عليها، والجذ في طلبها، تابع للمؤكد المطلوب، فإن كان أمراً رفيعاً عظيماً، كمعرفة الله ورأسه بالعيان، فالتوكيد والعزم يكون بليغاً عظيماً. فالخضرة مهرها النفوس، فبذل الأرواح والمهج قليل في حقها. فالله تعالى عزيز لا يتال إلا يدفع العزيز عندك؛ وهو نفسك، فبقدر اتعابها تكون راحتها، وبقدر بيعها والغيبة يَغْظَم مقامها. فبقدر الكد والجذ تدرك المعاني، كما قال الشاعر:

بِقُدْرِ الْكَذِّ تَكْسِبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعِلَالَ سَهَرَ اللَّيَالِي
تُرِيدُ الْعَزْمَ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا يَغْوُصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّيَالِي
وإن كان المؤكد أي المطلوب متوسطاً، كَعَلِمَ الرسوم وحروف القرآن،
فالتوكيد والجزم يكون متوسطاً. فقد يذكرك أهل الرئاسة والجاه، وأهل الأسباب
والشواغل القلبية. بخلاف المقام الأول. فلا يذكرك إلا أهل التجريد ظاهراً وباطناً.
وإن كان المؤكد أمراً نبوياً، فالتوكيد والحرص فيه على قَدْرِ الهمة. هذا: إشارة
قوله: تابع للمؤكد في رفعه في المقام الأول مع المقرئين. ونصبه أي توسطه في
المقام الثاني مع الأبرار الصالحين. وخفضه في المقام الثالث مع الغافلين، ويتبعه
أيضاً في تعريفه، فبقدر كدّه واجتهاده يكون تعريفه، وكشف الحجاب عنه. وقد
يتبع في تنكيهه، إن قلت مجاهدته وتفرغه، فيتنكر الحق له على قدر شغله عنه.
ويكون التوكيد والجذب في الطلب بالنفس، أي بينها وبذلها للحتوف والمكاراة أولاً،
وبالغنية عنها ثانياً. ويكون بالعين أي بالذات، باتعابها في مَرَضَةِ الله، وبالكُل، أي
بالنفس والروح، وكل ما تملك، تَهْبِهُهُ الله، ولمن يعرفك بالله. وبالله التوفيق.

بَابُ الْبَدَلِ:

البَدَلُ عبارة البصريين، ويعبر عنه الكوفيون بالترجمة والتبيين وحده، التابع
المقصود بالحكم بلا واسطة، فالتابع جِئْتُ يَشْمَلُ التَّوَابِعَ الخمسة. وخرج
بالمقصود بالحكم سائر التوابع، ما عد العطف بهل بعد الإنبات. وبِلاَ واسطة.
العطف بِبَلْ بَعْدَ الْإِنْبَاتِ. والمراد بالمقصود بالحكم، استقلاله بالقضدية، وانظر
المحاذي فقد حرّز المسألة. ثم قال المصنّف (ص) إذا أُبدِلَ اسم من اسم أو فعل
من فِعْلٍ تبعه في جميع إعرابه. (ش) فمثال الاسم من الاسم: «إلى صراط العزيز
الحميد الله» في قراءة الجرّ، ومثال: بدل الفعل من الفعل: «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا يُضَاعَفُ». ويكون في الجمل؛ كقوله تعالى: «أَمَذَّكَرٌ بِمَا قَعَلَمُونَ أَمَذَّكَرٌ بِأَقَمُونَ»
الخ. وقوله: في جميع إعرابه يُفْهَمُ منه، أن البَدَلَ لا يتبع ما قبله فيما سوى ذَلِكَ.
من التعريف والتذكير، والتذكير والتأنيث، والإفراد وضمه؛ وهو كذلك إلا في
التذكير والتأنيث، والإفراد وضمه. فتبدل النكرة من المعرفة. كقوله تعالى: «لَتَنْفَعَا
بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةً»، والمعرفة من النكرة، كقوله تعالى: «وَأِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»
صِرَاطِ اللَّهِ. وأما النكرة من النكرة، والمعرفة من المعرفة فواضح، كقوله تعالى:
«إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَارَاجًا خَدَائِقَ». وقوله تعالى: «أَعْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ». وأما التذكير والإفراد وأضدادهما فإن كان بدل الشيء من الشيء فلا بد من المطابقة إلا لمانع كما تقدم في الآية: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ﴾. فإنه منع من جمع مَفَاز، كونه مَصْدَرًا، فَإِنَّ الْمَصْدَرَ لَا يَثْنَى وَلَا يُجْمَع. كما أنه إذا قصد تفصيل البذل لم يكن مطابقاً كقول الشاعر:

وَكُنْتُ كَلْدِي رَجُلَيْنِ رَجُلٌ صَحِيحَةٌ وَرَجُلٌ رَمَى بِهَا الزَّمَانُ فَشُلْتُ

وأما أنواع البذل الباقية، المبينة فيما يأتي فلا يلزم المطابقة في ذلك، ثم بين أنواع البذل فقال (ص) وهو على أربعة أقسام: بَدَلُ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ، وبَدَلُ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ. وبَدَلُ الْاِشْتِمَالِ، وبَدَلُ الْغَلَطِ. (ش) يعني. أَنَّ الْبَدَلَ يَنْحَصِرُ فِي أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: بَدَلُ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ؛ وَيُقَالُ لَهُ بَدَلُ الْمَطَابَقَةِ، وَبَدَلُ الْكُلِّ مِنَ الْكُلِّ. والعبارتان الأوليانِ أَحْسَنُ، لَافْتِضَاءِ الثَّلَاثَةِ؛ اخْتِصَاصِهِ بِمَا لَهُ أَجْزَاءٌ، مَعَ أَنَّهُ يَقَعُ فِيهَا لَيْسَ لَهُ أَجْزَاءٌ، كَذَاتِ الْحَقِّ تَعَالَى، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ: ﴿إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهِ﴾ ومِثَالُهُ: جَاءَ زَيْدٌ أَخُوكَ. ومِثَالُ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ. أَخَذْتُ الْمَالَ نِصْفَهُ. وحقيقته ما كان مدلوله جزءاً من الأول. وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الثَّانِي أَقْلَ مِنَ الْأَوَّلِ أَوْ أَكْثَرَهُ، أَوْ نِصْفَهُ. وَزَادَ بَعْضُهُمْ: بَدَلُ الْكُلِّ مِنَ الْبَعْضِ، وَمِثْلُهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَنْخَلُوعُ الْإِيمَانُ وَلَا يَظْلَمُونَ شَيْئًا جَنَّتِ عَذَنُ﴾. وَأَجَابَ الْجُمْهُورُ بِأَنَّهُ مِنْ بَدَلِ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ؛ لِأَنَّ الْجَنَّةَ عَامَّةً، وَجَنَاتِ عَذَنٍ بَعْضُهَا، وَمِثَالُ بَدَلِ الْاِشْتِمَالِ، أَعْجَبَنِي زَيْدٌ عِلْمُهُ. وحقيقته: مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَوَّلِ مُلَابَسَةً يَغْيِرُ الْكُلِّيَّةَ وَالْجُزْئِيَّةَ. وَقِيلَ: مَا يَصِحُّ الْاِسْتِغْنَاءُ عَنْهُ بِالْأَوَّلِ وَلَيْسَ كُلًّا وَلَا بَعْضًا. وَقِيلَ: مَا اشْتَمَلَ الْعَامِلُ عَلَيْهِ وَعَلَى مَعْنَاهُ بِطَرِيقِ الْإِجْمَالِ، اِشْتِمَالًا لَا مَعْنَوِيًّا. كَاشْتِمَالِ الظَّرْفِ عَلَى الْمَظْرُوفِ.

تَنْبِيْهُ: اسْتَعْمَلَ الْمُصَنِّفُ لَفْظَ الْكُلِّ وَالْبَعْضِ بِالْتَعْرِيفِ، جَائِزٌ عَلَى مَنْ يَرَى تَنْكِيرَهَا لَفْظًا وَمَعْنَى. وَأَمَّا مَنْ قَالَ إِنَّهُمَا مُلَازِمَانِ لِلْإِضَافَةِ، وَتَنْوِينُهُمَا لِلْعَوْضِ فَلَا يَجُوزُ، وَبِهِ جَزَمَ السِّيُوطِيُّ فِي أَلْفِيَّتِهِ:

كُلٌّ وَبَعْضٌ لَازِمَاهُمَا فَامْتَنِعَ تَعْرِيفُهُ بِاللَّامِ أَوْ خَالَا يَقَعُ

ثم مثل المصنف للأقسام الأربعة فقال: (ص) تقول: قَامَ زَيْدٌ أَخُوكَ (ش) هذا مثال لبذل المطابقة. (ص) وَأَكَلْتُ الرَّغِيفَ ثُلُثَهُ (ش) هَذَا مِثَالُ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ وَتَقَدَّمَ، أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ تَقَدُّمِ الْأَكْثَرِ أَوْ الْأَقْلَ أَوْ النِّصْفِ (ص) وَنَفَعَنِي زَيْدٌ

عَلَّمُهُ. (ش) هذا مثال لبديل الاشتمال. ويشترط في هذين النوعين اشتمالها على رابط يربطهما بالمبدل منه. إمّا ضميراً أو ما يقوم مقامه لفظاً أو تقديرًا. فاللفظي ما تقدم، والتقدير، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ﴾ مِنْهُمْ ومثال المقدر في الاشتمال، قوله تعالى: ﴿قِيلَ اخْذُوا الْخُذُودِ الثَّأِرَ﴾ فَالْثَّأِرُ بَدَلُ مِنَ الْاِخْذُودِ، أي الثَّأِرُ فيه. وقال الكوفيون: أَل نائبة عن الضمة، فلا تقدير. ثم مثَّلَ لِبَدَلِ الْغَلْطِ فقال. (ص) ورأيت الفرس فَسَبَقَكَ لِسَانُكَ لذكر زيد، ثم نطقت بها قصدت. فالفرس بدل غَلَطَ، أي بدل من الشيء الذي ذكر غلطاً، لأنَّ البَدَل هو الْغَلْطُ، كَمَا قد يتوهم. فالغلط إنما هو في الْمُبْدَل مِنْهُ لَا فِي الْبَدَلِ؛ وهذا هو أحد الأقسام في بدل الغلط، وبقي عليه نوعان، الأول بَدَلُ الْإِضْرَابِ، ويسمى بَدَلُ الْبِدَاءِ، والثاني بَدَلُ التَّنْسِيانِ، والفرق بينهما، أنَّ بدل الإضراب المقصود هو الأول. ثم ظهر فساد ذلك القصد. وقصدت الأول. ثم تَذَكَّرْتُ فساد قَصْدِكَ. ومثال ذلك: خذْ ثوباً كتاباً. فيصح مثلاً للأقسام الثلاثة، فإن كان الْقَصْدُ، الأمر بأخذ الكتاب، لكن سبق اللَّسَانُ لذكر الثوب، فبدل غلط، وإن كان المقصود الأمر بأخذ الثوب، ثم تبيَّن لك فساد ذلك القصد. وإن الصواب هو أخذ الكتاب فبدل الإضراب ويسمى بدل البداء. وإن كان المقصود أخذ الكتاب لا غير إلا أنه عند إرادة الكلام والأمر ذهب من الحافظة ونسي وخطر مكانه الأمر بأخذ الكتاب فبعد أن ذكره زَالَ التَّنْسِيانِ، وتعيَّن فساد إرادته. فَذَكَرَ الْكِتَابَ. فِهَذَا بَدَلُ التَّنْسِيانِ، فالغلط محله اللسان، والتَّنْسِيانُ محله الجنان، لكن الْأَخْسَنُ في الأنواع الثلاثة، أن يُوْتَى بِبَدَلِ الْمُقِيدَةِ لِلْإِضْرَابِ. ومثال بَدَلِ الْاِشْتِمَالِ فِي الْفِعْلِ: إِنَّ تُصَلِّ تَسْجُدُ لِلَّهِ يَرْحَمُكَ، ومثاله في الغلط، إن تضرب تكرم زيداً يعظمتك. وَيُبْدَلُ الظَّاهِرُ مِنَ الظَّاهِرِ كَمَا تَقَدَّمَ. وَالْمُضْمَرُ مِنَ الْمُضْمَرِ، نحو: أَكْرَمْتُكَ إِيَّاكَ. وقيل توكيداً. وَأَمَّا الْمُضْمَرُ مِنَ الظَّاهِرِ فَلَمْ يَقَعْ، نحو: أَكْرَمْتُ زَيْدًا إِيَّاهُ. وَأَمَّا الظَّاهِرُ مِنَ الْمُضْمَرِ فَجَائِزٌ. إِنْ كَانَ بَعْضًا أَوْ اِشْتِمَالًا. أَوْ دَلَّ عَلَى إِحَاطَةٍ. فَالْأَوَّلُ، أعجبتني وجهك، والثاني، كقول الشاعر:

فَمَا أَلْفَيْتَنِي حَلْمِي مِضَاعًا. والثالث، نحو: جِئْتُكُمْ كَبِيرُكُمْ وَصَغِيرُكُمْ. ومنه قوله تعالى: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيْدًا لِأَوَّلِنَا وَمَاخِرِنَا﴾ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الإِشَارَةُ: إذا أُبْدِلَ اسْمٌ مِنْ اسْمٍ فِي مَقَامِ الْفَنَاءِ فِي الذَّاتِ، فَيَتَرَقَّى مِنْ اسْمِ الْعَبْدِ إِلَى اسْمِ الرَّبِّ، حين تستولي عليه أنوار الحقائق، فيغيب العبد في وجود

الرَّبِّ؛ وهو مقام الوصال والاتصال، يغطي الحق تعالى وصف عبده بوصفه ونعته بنعته، فيوصله بما منه إليه، لا بما في العَبْدِ إليه، فيغطي وصف العبودية، بوصف الربوبية، ونعت الحدوث بنعت القدم، فيفْتَى الحادث، ويبقى القديم، أو فعل من فَعَلَ في مقام الفناء، في الأفعال، فَلَا يَرَى فاعلاً قط إلا الله. وفي هَذَا المقام، قال الشاعر:

إِذَا مَا رَأَيْتَ اللَّهَ فِي الْكُلِّ فاعِلاً رَأَيْتَ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ سَاحِلاً

وهذا بداية السالكين، ونهاية الصالحين ووسط الفنا في الذات للمستشرقين. قال القطب ابن مشيش رضي الله عنه. حقيقة الشُّرب أي شرب الخمرة، المحبة: مَزَج الأوصاف بالأوصاف، والأفعال بالأفعال، والأسماء بالأسماء، والأنوار بالأنوار الخ كلامه. والمراد بالأنوار الذوات بالذوات. ومعناه: الغيبة في الله عما سواه. وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضي الله عنه، لله رِجَالٌ محَا أوصافهم بأوصافِهِ، وأفعالهم بأفعالِهِ، وذواتهم بذواتِهِ، وَحَمَلَهُمْ مِنَ الْأَسْرَارِ مَا تَعَجَزَ عَنْهُ عَائِمَةُ الْأَوْلِيَاءِ هـ. فَإِذَا أَبْدَلَ اسْمَهُ بِاسْمِهِ، وَفَعَلَهُ بِفَعْلِهِ، تَبِعَهُ فِي جَمِيعِ تَجَلِّيَاتِهِ. فَإِذَا تَجَلَّى سُبْحَانَهُ بِاسْمِهِ الْقَابِضِ، انْقَبَضَ، وَينْقِبِضُ الوجود بِقَبْضِهِ، وَإِذَا تَجَلَّى بِاسْمِهِ الْبَاسِطِ، انْبَسَطَ، وَينْبَسِطُ الوجود بِبَسْطِهِ؛ لِأَنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، فَكُلُّ مَا يَتَجَلَّى بِهِ تَعَالَى، يَتَجَلَّى فِي قَلْبِ الْعَارِفِ؛ الَّذِي هُوَ بَدَلٌ مِنَ اللَّهِ فِي مُلْكِهِ وَتَصْرِيفِهِ، ثُمَّ يَتَجَلَّى فِي الوجودِ بِجَلَالٍ أَوْ جَمَالٍ؛ هُوَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ، إمَّا أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنَ الْحَقِّ، وَنَائِبًا عَنْهُ فِي الْكُلِّ؛ وَهُوَ مَقَامُ الْغَوْثِ الْجَامِعِ؛ لِأَنَّ الْمَدَّ كُلَّهُ لِلدَّائِرَةِ كُلِّهَا. حَسْبِي وَمَعْنَى. وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْهُ فِي الْبَغْضِ، كَمَقَامِ الْأَقْطَابِ، وَالْأَوْتَادِ، وَالْأَبْدَالِ، وَالنَّجَبَاءِ، وَالتَّقَبَاءِ وَالصَّالِحِينَ، فَإِنَّهُمْ يَصْرُقُونَ فِي بَغْضِ الْمَمْلُوكَةِ، عَلَى حَسَبِ مَا مَلَكَهُمْ اللَّهُ التَّصْرِيفَ فِيهِ. وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْهُ، لِاشْتِمَالِهِ عَلَى عُلُومٍ وَأَنْوَارٍ وَأَسْرَارٍ، لَمْ تُوجَدْ لغيرِهِ، وَهَذَا مَقَامُ الْأَفْرَادِ؛ فَإِنَّ الْفَرْدَ أَكْمَلَ مِنَ الْقُطْبِ الْجَامِعِ فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْبُزْجِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ الْجَنِّدُ قُطْبًا فِي الْعُلُومِ. وَكَانَ الْبِسْطَامِيُّ قُطْبًا فِي الْأَحْوَالِ. وَكَانَ سَهْلٌ قُطْبًا فِي الْمَقَامَاتِ هـ. وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ الْبَدَلُ دَعْوَى وَغُلَاطًا. نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الدَّعْوَى الْعَرِيضَةِ، مِنَ الْقُلُوبِ الْمَرِيضَةِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ.

بَابُ مَنْصُوبَاتِ الْأَسْمَاءِ: أَيِ الْأَسْمَاءِ الْمَنْصُوبَاتِ، ثُمَّ عُدَّهَا فَقَالَ (ص) الْمَنْصُوبَاتُ خَمْسَةٌ عَشْرٌ؛ وَهِيَ الْمَفْعُولُ بِهِ، وَالْمَصْدَرُ، وَظَرْفُ الزَّمَانِ، وَظَرْفُ

المَكَانِ، وَالْحَالِ وَالتَّمْيِيزُ وَالمُسْتَثْنَى، واسم لآ، والمُنَادَى، والمفعول من أَجْلِهِ، والمفعول معه، وَخَيْرَ كَانَ وَأَخَوَاتِهَا. واسم إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا، والتابع المنصوب وهي أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: التُّغْيَتِ والعطف والتوكيد والبَدَل (ش) قلت: ذكر أولاً؛ أنها خَمْسَةٌ عَشَرَ. ولم يعد إلا أَرْبَعَةٌ عَشَرَ وَلَعَلَّ الخامس عشر هو مفعولاً ظَنُّ وَأَخَوَاتِهَا. وأما خَيْرَ ما المجازية وَلَا وَلَاتَ، وَأَنَّ المشبهات بِلَيْسَ فتندرج في كَانَ وَأَخَوَاتِهَا، فمثال ما المجازية قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾. ومثال لآ. قولهم: لَا أَحَدٌ خَيْرَ من أَحَدٍ إِلَّا بِالْعَافِيَةِ، ومثال لَا وَلَاتَ جِئْنَ مَنْاصٍ، أي وليس الحين حين فرار، والكلام عليها مَبْسُوطٌ في محلِّهِ.

الإِشَارَةُ: المقامات المنصوبات للمريد إذا قطعها وَصَلَ: خَمْسَةٌ عَشَرَ:

التَّوْبَةُ، ثم التقوى، ثم الاستقامة، وهي متابعة الرسول عليه السلام في أقواله وأفعاله وأحواله، ثم الخوف، والرجاء، ثم الصبر والشكر، أي الصَّبْرُ في البلية، والشكر في النِّعْمَةِ؛ من حيث أنها نِعْمَةٌ. ثم الوَرَعُ، ثم الزُّهْدُ. ثم التَّوَكُّلُ؛ ثم الرِّضَى والتَّسْلِيمُ، ثم الإخلاص والصدَّق؛ وهي التَّبَرُّيُّ من حَوْلِهِ وقُوَّتِهِ ثم الطَّمَأْنِينَةُ، ثم المراقبة ثم المحبَّة. ثم المشاهدة ثم المعرفة؛ وهي الرِّسْوَخُ والتَّمَكُّينُ في شهود الحقِّ. وبالله التوفيق، ثم تَرْجَمَ الْمُصَنِّفُ كل واحدٍ فقال: (ص) بَابُ الْمُفْعُولِ بِهِ: قلت: المفاعيل خَمْسَةٌ: مفعول به، ومفعول فيه، ومفعول له، ومفعول مَعَهُ، ومفعول مطلق، وحد الجزولي المفعول الأعم الشامل للخمسة، فقال: المفعول: ما تَضَمَّنَتْه الفعل من حَدَثٍ وزمان، والتزَمَ الحدث من مَكَانٍ، واستدَعَاهُ من محلٍّ وباعثٍ ومصاحبٍ فالأول: المفعول المطلق. والثاني ظرف الزَّمان، والثالث، ظرف المَكَانِ، وشملها المفعول فيه، والرابع المفعول بِهِ. والخامس: المفعول من أَجْلِهِ. والسادس: المفعول مَعَهُ. وَيَبْدَأُ المصنِّفُ بالمفعول بِهِ؛ لأنه هو الذي يصدق عليه اسم المفعول عند الإطلاق وكان حقه أيضاً أن يصدق على المفعول المطلق لكن صار وصف الإطلاق قيداً فيه، فَلَا يُذَكَّرُ إِلَّا مُقَيِّداً بِهِ فقال: (ص) وَهُوَ الاسم المنصوب (ش) فَلَا يَكُونُ فِعْلاً وَلَا حَرْفًا. وَكَوْنُهُ منصوباً حَكَمٌ من أَحْكَامِهِ. وتَقَدَّمَ ما فيه، وَيُفِيدُ نَصْبَهُ بِمَا لَمْ يُنْبَ عَنِ الْفَاعِلِ. وقوله: (ص) الذي يَقَعُ بِهِ الْفِعْلُ (ش) أي يَقَعُ عليه، فيكون مَحَلًّا لِفِعْلِ الْفَاعِلِ. ويكون الفعل الواقع عليه حيثنَّه متعدياً، وضدَّه اللازم الذي لا يطلب شيئاً، ثم مثل بمثالين فقال: (ص) نحو قولك: ضَرَبْتُ زَيْدًا، وَرَكِبْتُ الْفَرَسَ. (ش) إشارة إلى أنه لَا فَرْقَ بَيْنَ صِيغَةِ فِعْلٍ أَوْ فِعْلِ الْمُتَعَدِّي. فزيد والفَرَسُ وَقَعَ الْفِعْلُ عَلَيْهَا حَسَنًا.

وقد يكون الوقوع معنوياً، نحو: فهمت المسألة. وكتبت العلم. (ش) وهو على قسمين: ظاهر ومضمّر، فالظاهر ما تقدّم ذكره (ش) أي من ضربت زيدا الخ (ص): والمضمّر قسمان: متصل ومنفصل (ش) وقد تقدم حقيقتها. (ش) فالمتصل اثنا عشر (ش) اثنان للمتكلم، وخمسة للمخاطب، وخمسة للغائب. فالتكلم (ص) نحو قولك ضربني، (ش) للمتكلم وحده. (ص) وضربنا. (ش) للمعظم نفسه أو معه غيره، وللمخاطب (ص): ضربك (ش) بفتح الكاف المذكر (ص) وضربك بكسره للمؤنث (ص) وضربكما (ش): للمخاطبتين مطلقاً مذكرين أو مؤنثين، أو مختلفين. (ص) وضربكم (ش) للمخاطبتين المذكرين (ص) وضربكن (ش) للمخاطبات المؤنثات (ص) وضربهُ (ش) للمذكر الغائب. (ص) وضربها (ش) للغائبة (ص) وضربهُما (ش) للغائبتين. مذكرين أو مؤنثين أو مختلفين (ص) وضربهُن (ش) وللغائبتين المذكرين. (ص) وضربهُن (ش) للغائبات. (ص) والمنفصل. (ش)؛ وهو الذي يصحّ الابتداء به، ويقع بعد إلا في الاختيار (ص) اثنا عشر نحو قولك: إياي. (ش) أكرمت للمتكلم وحده (ص) وإياك (ش) للمتكلم عظيماً أو مشاركاً. (ص) وإياك (ش) للمخاطب المذكر (ص) وإياك (ش) للمخاطبة. (ص) وإياكما (ش) للمخاطبتين، مذكرين أو مؤنثين، أو مختلفين (ص) وإياكن (ش) للمخاطبتين المذكرين (ص) وإياكن (ش) للمخاطبات. (ص) وإياه (ش) للغائب. (ص) وإياه (ش) للغائبة. (ص) وإياهما (ش) للغائبتين؛ مذكرين أو مؤنثين أو مختلفين (ص) وإياهن (ش) للغائبتين المذكرين (ص) وإياهن (ش) للغائبات. واختلف في هذه الضمائر المنفصلة، فقل: إيا هي الضمير ولو اختلف حروف تدل على المتكلم، أو الخطاب، أو الغيبة؛ وهو مذهب سيبويه، وذهب الخليل إلى أن إيا ضمير مضاف إلى لواحقه؛ وهي ضمائر أيضاً. وقال الزجاج: إنها من قبيل الأسماء الظاهرة، ومعناه: حقيقة الشيء. قال: ومعنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي حقيقتك نعبد. مشتق من الآية؛ بمعنى العلامة؛ وهو بعيد. وقل: إيا عماد. والضمير ما بعدها. فهي كحرف زائد.

فائدة: فيما يعرف المجهول به، أنه يصح أن يجعل مبتدأ ويخبر عنه باسم مفعول تام. من لفظ فعله، نحو قولك. ضربت زيدا، فتقول زيد مضروب. ويجوز حذف المفعول به؛ إن دل عليه دليل، أو أفاد حذفه العموم، ويجوز حذف ناصبه؛ إن علم. وقد يكون حذفه ملتزماً. والله تعالى أعلم.

الإشارة: المفعول به؛ هو الذي تحقق فتاؤه، وكمل بقاؤه بالله. قد غاب عن

وَجُودِهِ؛ وَوَجُودِ فِعْلِهِ؛ فَهُوَ مَفْعُولٌ بِهِ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُ وَيَتَذَرُّ لَيْسَ لَهُ عَنْ نَفْسِهِ إِخْبَارٌ، وَلَا مَعَ غَيْرِ اللَّهِ قَرَارٌ، فِعْلُهُ بِاللَّهِ، وَتَرْكُهُ بِاللَّهِ. فَمِثْلُ هَذَا لَمْ يَنْقُ عَلَيْهِ مِيزَانٌ، وَلَا يَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ عِتَابٌ. إِذَا هُوَ نَائِبٌ عَنِ اللَّهِ فِي فِعْلِهِ؛ وَهُوَ عَيْنٌ مِنْ عَيُونِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ وَصْفَهُمُ الْبَشَرِيَّ مَغْطَى عَنْهُمْ، وَمَغْمُورٌ بِنُورِ الْقَدَمِ، وَإِلَى ذَلِكَ يَشِيرُ مَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِمْ: الشَّأْنُ أَنْ تَكُونَ عَيْنَ الْأَسْمِ، أَيْ عَيْنَ الْمُسَمَّى. وَقَوْلُهُمْ: أَصَابَتْكَ عَيْنٌ مِنْ عَيُونِ اللَّهِ. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ سَيِّدِنَا عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَلْزَجِلَ الَّذِي شَجَّهَ عَلِيَّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ؛ وَالذَّمَّ يَسِيلُ عَلَى شَجَّتِهِ، أَصَابَتْكَ عَيْنٌ مِنْ عَيُونِ اللَّهِ، بَعْدَ أَنْ سَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ الضَّرْبَةِ. فَقَالَ: رَأَيْتَهُ مَفَاوِضاً لَامِرَةً، فَسَاءَ نَبِيَّ مَا سَمِعْتُ مِنْهُ فَضَرَبْتُهُ. وَرَدَّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ فِي قَضِيَّةٍ أُخْرَى: أَنَا لَا أَقِيدُ مِنْ وَرْعَةِ اللَّهِ. وَالْوَرْعَةُ كِبَرَاءُ الْحَيْشِ، الَّذِينَ يَحْشُونَ بَيْنَ صَفُوفِ الْحَرْبِ لِقَوِيمِهَا وَتَمْهِيدِهَا. وَذَلِكَ إِشَارَةٌ مِنْهُمْ إِلَى رَجَالِ الْقَبْضَةِ الْمُتَصَرِّفِينَ بِاللَّهِ، الْأَمْنَاءُ عَلَى أَسْرَارِ اللَّهِ فِي خَلِيفَتِهِ وَمَمْلُوكِيهِ؛ وَهُمْ الْمَحْبُوبُونَ؛ الَّذِينَ وَرَدَ فِيهِمْ، فَإِذَا أَخْبَيْتُهُ كُنْتُهُ. وَقَالَ الْمُصَنِّفُ؛ وَهُوَ الْأَسْمُ الْمَنْصُوبُ لِعَجْرِيَّانِ الْمَقَادِيرِ عَلَيْهِ؛ لَمْ يَنْقُ لَهُ تَذْيِيرٌ وَلَا اخْتِيَارٌ؛ الَّذِي يَقَعُ بِهِ الْفِعْلُ مِنَ اللَّهِ فَهُوَ آلَةٌ لِفِعْلِهِ، وَسَيَفُتُّ مِنْ سَيْوُفِهِ، يَنْتَقِمُ بِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ إِذَا شَاءَ، وَهُوَ عَلَى قَسَمَيْنِ؛ ظَاهِرٌ مَعْرُوفٌ، أَظْهَرَهُ لِنَفْعِ عِبَادِهِ، أَوْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ فِي الْإِنذَارِ، وَمُضْمَرٌّ خَفِيٌّ؛ وَهُوَ كَثَرُ مِنْ كُنُوزِ اللَّهِ، ضَمَّنَ بِهِ عَلَى خَلْقِهِ، فَهُوَ مُسْتَوْرٌ تَحْتَ أَسْتَارِ الْبَشَرِيَّةِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

بَابُ الْمَضْدَرِّ: الصَّوَابُ: التَّعْبِيرُ بِالْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُنْصَبُ دَائِمًا. وَأَمَّا الْمَضْدَرُّ، فَقَدْ يَكُونُ مَرْفُوعًا، نَحْوُ ضَرْبِكَ ضَرْبٌ شَدِيدٌ، وَمَجْرُورًا نَحْوُ: عَجِبْتُ مِنْ ضَرْبِكَ، بِخِلَافِ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ؛ فَلَا يَكُونُ إِلَّا مَنْصُوبًا، وَالْمُذَرِّ لَهُ؛ إِنَّمَا لَمَّا كَانَ الْغَالِبُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَضْدَرًّا عَبَّرَ عَنْهُ بِالْمَضْدَرِّ. وَأَمَّا مَا وَرَدَ مِنْهُ غَيْرُ مَضْدَرٍّ، فَإِنَّهُ مِنْ بَابِ النِّيَابَةِ كَمَا يَأْتِي. وَلِذَلِكَ عَرَّفَهُ بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ: الْمَفْعُولُ الْمَطْلُوقُ؛ هُوَ الْمَصْدَرُ الْفُضْلَةُ، الْمَسْلُطُ عَلَيْهِ عَامِلٌ مِنْ لَفْظِهِ، أَوْ مِنْ مَعْنَاهُ. فَالْأَوَّلُ: نَحْوُ: ضَرَبْتُهُ ضَرْبًا. وَالثَّانِي: جَلَسْتُ قَعُودًا. وَاحْتَرَزَ بِالْفُضْلَةِ مِنَ الْعُمْدَةِ، نَحْوُ: كَلَامِكَ كَلَامٌ حَسَنٌ، وَطَالَ جُلُوسُكَ، فَإِنَّهُ مُضْدَرٌ غَيْرُ مَفْعُولٍ مَطْلُوقٍ. وَعَرَّفَهُ ابْنُ هِشَامٍ بِقَوْلِهِ: اسْمٌ يُوَكِّدُ غَامِلُهُ، أَوْ يَبَيِّنُ نَوْعَهُ أَوْ عَدَدَهُ. وَلَيْسَ بِخَبَرٍ وَلَا حَالٍ. وَعَرَفَ الْمُصَنِّفُ الْمَصْدَرَ الَّذِي يَكُونُ مَفْعُولًا مَطْلُوقًا فَقَالَ: (ص) وَهُوَ الْأَسْمُ الْمَنْصُوبُ الَّذِي يَجِيءُ ثَالِثًا فِي تَصْرِيفِ الْفِعْلِ نَحْوُ: (ش) قَوْلُهُمْ فِي تَصْرِيفِ ضَرْبٍ. (ص) ضَرْبٌ يَضْرِبُ ضَرْبًا (ش) وَقَامَ يَقُومُ قِيَامًا. وَأَكْرَمَهُ يَكْرُمُهُ إِكْرَامًا

(ص) وهو على قسمين؛ لفظي ومعنوي؛ فإن وافق لفظه لفظ فعله فهو لفظي، نحو: قَتَلْتُهُ قَتْلًا. (ش) ومثله: «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا» (ص) وإن وافق معنى فعله دون لفظه؛ فهو معنوي، نحو جَلَسْتُ قَعُودًا، وقمت وقُوفًا (ش) قلت: إنما سُمِّيَ الأول لفظياً؛ لاتفاق المضمر مع عامله في اللفظ المستلزم للمعنى. وأم الثاني فلمَّا اختلفا لفظاً، واتفقا معنى سُمِّيَ معنويًا؛ وهذا مبني على أنَّ العامل في الثاني الفعل المذكور وجعله كثير من النحويين منصوباً بفعل مقدّر من لفظه، فيكون لفظياً. فيسقط هذا القسم المعنوي؛ وهو على تقدير ثبوته؛ فهو من باب النيابة عن الأصل. الموافق لِلْفِعْلِ. فقد يحذف المصدر المفعول المطلق، وينوب عنه أشياء، فمن ذلك. كُلِّ وَبَعْضُ مُضَافَيْنِ إِلَى الْمَصْدَرِ، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾. ﴿وَلَوْ نَوَلَّ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَوَّلِ﴾. وكذلك الْعَدَدُ، نحو: فَأَجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً. وَأَسْمَاءُ الْآلَاتِ؛ نَحْوُ ضَرْبَتُهُ سَوْطًا. والصفات؛ نحو: «وَأَذْكُرُ رَبِّكَ كَثِيرًا» أي ذكراً كثيراً. ومثله: «فَكَلَامًا مِنْهَا رَعْدًا» أي أَكْثَلًا رَعْدًا. وقيل حال من مضمر الفعل المفهوم منه، أي فكلاً حالة كَوْنِ الْأَكْلِ رَعْدًا. وانظر شرح الشيخ علي بركة، فقد استوفى المسألة نثراً ونظماً. تنبيهات: الأول: المضمر هو الأصل للفعل والوصف، فهما مُشْتَقَّانِ مِنْهُ عَلَى الْمُخْتَارِ. الثاني: الناصب للمفعول المطلق، إمَّا فِعْلُهُ أَوْ مَصْدَرُ مِثْلِهِ، نحو: «فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا». ووصف؛ نحو: ﴿وَالْمَنْقَلَتِ صَفًا﴾ الثالث: المفعول المطلق: فائدته ثلاث: ما أن يؤكد عامله نحو: ضَرْبَتُهُ ضَرْبًا، أَوْ يَبَيِّنُ نَوْعَهُ، نحو: سِرَتْ سِرًّا حَسَنًا. أَوْ عَدَدُهُ نَحْوُ، ضَرْبَتُهُ ضَرْبَتَيْنِ أَوْ ضَرْبًا. الرابع: يجوز حَذْفُ عَامِلِ التَّوْعِي وَالْعَدَدِي دُونَ التَّوَكِيدِي، قَالَ فِي الْخُلَاصَةِ:

وَحَذْفُ عَامِلِ الْمُؤَكَّدِ امْتَنَعَ وَفِي سِوَاهُ لِلدَّلِيلِ مُتَسَعٌ

واعتَرَضَ عَلَيْهِ وَلَدُهُ بَذَرُ الدِّينِ، بِالْمَضْمَرِ الثَّانِبِ عَنْ فِعْلِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَضَرَبَ الرِّقَابَ﴾. فَإِنَّ التَّقْدِيرَ؛ فَاضْرِبُوهُمْ ضَرْبَ الرِّقَابِ. فَقَدْ حُذِفَ مَعَ كَوْنِهِ مُؤَكَّدًا لِعَامِلِهِ، قَالَ الْمَكُودِي. واعتراضه؛ فَتَحَهُ. وَرَدَّهُ أَبُو إِسْحَاقَ الشَّاطِبِيُّ؛ بِأَنَّ الْمَضْمَرِ الثَّانِبِ عَنْ فِعْلِهِ؛ لَيْسَ مِنَ الْمُؤَكَّدِ لِعَامِلِهِ فِي شَيْءٍ. بَلْ هُوَ نَائِبٌ عَنْهُ وَقَائِمٌ مَقَامَهُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَى، فَلَا يَلَاحِظُ ذَلِكَ الْفِعْلُ أَضْلًا، بَلْ صَارَ نِسْبًا مَنَسِيًا. قَالَ ابْنُ غَازِي رَجَمَهُ اللَّهُ؛ وَقَدْ كَتَبَ بَعْضُ الْأَذْكِيَاءِ فِي طَرَةِ الشَّارِحِ، قَوْلَ الشَّاعِرِ:

وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لَزَفِي قَرْنٌ لَمْ يَسْتَطِعْ قَوْلُهُ الْبَزْلُ الْقَنَاعِيْسَ

والبزل: الجمل الكبير؛ الذي بَلَغَ خَمْسَ سِنِينَ، أو سِتّاً فأكثر. والقاعيس. القوي الغليظ وهو مثال لم يتعرض على الأكابر، ولم يبلغ مَبْلَغَهُمْ. والله تعالى أعلم.

الإشارة: المصدر ما صَدَرَ عن الحق من أنوار تجلياته، وأسرار ذاته. وهو الاسم المنسوب، أي ما نُصِبَ من الكائنات ليعرف بها، ويشهد فيه، فما نُصِبَ لك الكائنات لترآها، بل لَتَرَى فيها مَوْلَاهَا. وقال صاحب العينية: فأوصافه والاسم والأثر الذي هُوَ الكَوْنُ عَيْنُ الذَاتِ والله جامع. وقال فيها أيضاً: هُوَ موجد الأشياء وهو وجودها، وعَيْنُ ذَوَاتِ الكل وهو جَوَامِع. وإنما يجيء هذا ويكشف في تصريف الفعل ثالثاً في فعل الشريعة، والطريقة، والحقيقة. فتشتغل النفس أولاً بأفعال الشريعة. حتى ترتاضَ بِهَا وتذوق حَلَاوَتَهَا، ويشتغل القلب ثانياً بأفعال الطريقة، فيتخلَّى مِنَ الرَّذَائِلِ، ويتحلَّى بالفضائل. وتشتغل الروح ثالثاً بِالْعُكُوفِ في بحرِ الحقائق، حتى تَسْتَمِرَّ مَعَهَا وَيَرْسُخَ قَدَمُهَا فِي شُهُودِ أَنْوَارِهَا وَأَسْرَارِهَا، وهو: أي ما صَدَرَ مِنَ الكائناتِ على قِسْمَيْنِ، قسم غلب مَعْنَاهُ على حِسِّهِ، فصار معنوياً كَالْمَلَائِكَةِ، وَالْعَارَفِينَ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَقِسْمٌ غلب حِسُّهُ على مَعْنَاهُ؛ كَالْجَمَادَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ، ويلحق بهم مَنْ غلب حِسُّهُ على معناه وشهوته على عقله من بني آدَمَ؛ وهم المَنهمَكُونُ فِي الْعَقْلَةِ. المتكبرون على الدنيا بالكلية. فانطَمَسَتْ بِصِيرَتِهِمْ، وَاتَّسَعَتْ دَائِرَةُ حِسِّهِمْ؛ فَهُمْ مَسْجُوثُونَ بِمَحِيطَاتِهِمْ. محضُورُونَ فِي هَيْكَلِ ذَاتِهِمْ، غَائِذاً بِاللَّهِ مِنْ حَالِهِمْ. قال بعض العارفين: الْخَلْقُ ثَلَاثٌ؛ قِسْمٌ لَهُمْ عَقْلٌ بِلَا شَهْوَةٍ؛ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ. وَقِسْمٌ لَهُمْ شَهْوَةٌ بِلَا عَقْلٍ؛ وَهُمْ الْبَهَائِمُ؛ وَسَائِرُ الْحَيَوَانَاتِ، وَقِسْمٌ لَهُمْ عَقْلٌ وَشَهْوَةٌ؛ وَهُمْ بَنُو آدَمَ. فَمَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ عَلَى شَهْوَتِهِ، كَانَ كَالْمَلَائِكَةِ أَوْ أَفْضَلَ وَمَنْ غَلَبَتْ شَهْوَتُهُ عَلَى عَقْلِهِ كَانَ كَالْبَهَائِمِ أَوْ أَضَلَّ، وَمَا شَرَفَ الْآدَمِي وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ إِلَّا بِمُجَاهَدَةِ شَهْوَتِهِ، فَمَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ وَزَجَرَهَا حَتَّى مَلَكَهَا وَظَفَرَ بِهَا، كَانَ أَشْرَفَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِذْ لَا مُجَاهَدَةَ لَهُمْ، فَلَا تَكْمِلُ مُشَاهَدَتُهُمْ كَمَالَ الْآدَمِيِّ. وبالله التوفيق.

بَابُ ظَرْفِ الزَّمَانِ وَظَرْفِ الْمَكَانِ: هذا هو الثالث من المفاعيل؛ وهو الْمَفْعُولُ فِيهِ، وَيُسَمَّى الْبَصْرِيُّونَ الظَرْفُ، وهو في اللُّغَةِ: الوعاء. وعده بعضهم فقال: هو ما ذكر فضلة لأمرٍ وَقَعَ فِيهِ، من اسم زَمَانٍ مطلقاً أو مَكَانٍ مُبْهِمٍ، أو مَاذَتْهُ مَادَّةٌ عَامِلَةٌ هـ. وَعَرَّفَهُ الْمُصَنِّفُ بِيَعْضِ خَوَاصِّهِ فَقَالَ: (ش) ظَرْفُ الزَّمَانِ هُوَ

اسم الزَّمانِ. (ش) أي مُتَبَعاً كَانَ أو مُخْتَصِصاً. (ص) المنصوب (ش) أي بفعل أو شِبْهِهِ. (ص) بِتَقْدِيرِ فِي (ش) أي بِتَضَمِينِ مَعْنَى فِي الدَّالَّةِ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ. وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ فِي مَقْدَرَةٍ فِيهِ أَوْ كَانَتْ هُنَاكَ وَحْدَتْ لَأَنَّ هَذَا النُّوعَ يُقَالُ فِيهِ مَنْصُوبٌ عَلَى إِسْقَاطِ الْخَافِضِ: وَهُوَ غَيْرُ مُطْرَدٍ، إِلَّا مَعَ إِنْ وَأَنْ وَكَيْ وَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ.

وَلِإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّ الْكَلِمَةَ تَضَمَّنَتْ وَقُوعَ شَيْءٍ فِيهَا، ثُمَّ عَدَّ الظُّرُوفَ فَقَالَ. (ص) نَحْوُ الْيَوْمِ. (ش) كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكُنْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾. فَالْيَوْمُ ظَرْفٌ لَأَكْمَلْتُ، وَالْيَوْمُ عِنْدَ الْعَرَبِ مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى الْغُرُوبِ. وَمِثْلُهُ النَّهَارُ. وَرُؤْيُ عَيْنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ لَيْسَ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا مِنَ النَّهَارِ. (ص) وَاللَّيْلَةُ. (ش) وَهِيَ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ (ص) وَغَدَاةُ (ش) وَهِيَ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ. وَقِيلَ مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى وَقْتِ الضُّحَى. وَيُقَالُ لَهَا الْغَدَاةُ. وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ الصِّفَةِ بِقَوْلِهِ: «يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ». أَيْ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهَا. وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «يَا بَنِي آدَمَ. اذْكُرْنِي أَوَّلَ النَّهَارِ، وَآخِرَهُ أَكْفَلَكُ مَا بَيْنَهُمَا». وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «ذَكَرَ اللَّهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ أَفْضَلَ مِنْ حَطْمِ السِّبْطِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هـ. (ص) وَبُكَرَةٌ. (ش) وَهُوَ أَوَّلُ النَّهَارِ؛ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْغَدَاةِ. (ص) وَسَحْرَاءُ. (ش) بِالتَّنْوِينِ، إِذَا لَمْ تَرُدْ سَحَرِ يَوْمَ بَعِينِهِ. وَإِذَا أَرَدْتَ ذَلِكَ لَمْ تَتَوَّنَ لَامَتَانِ صَرْفِهِ لِلْعَدَلِ وَالتَّعْرِيفِ؛ وَهُوَ ثَلَاثُ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْفَجْرِ (ص) وَغَدَاً (ش) وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَلِي يَوْمَكَ (ص) وَغَتَمَةٌ (ش) وَهُوَ ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ مِنْ مَغِيبِ الشَّفَقِ (ص) وَصَبَاحاً (ش) وَهُوَ أَوَّلُ النَّهَارِ، كَالْغَدَاةِ. (ص) وَمَسَاءً (ش) وَهُوَ مَا بَيْنَ الزَّوَالِ إِلَى الْغُرُوبِ (ص) وَأَبْدأً (ش) وَهُوَ مَا يَسْتَفْرِقُ الزَّمانَ الْمُقْبِلَ. (ص) وَأَمْدأً (ش) وَهُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الزَّمانِ مُبْهَمَةٌ. (ص) وَجِيناً وَقَتاً (ش): وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ؛ وَمَعْنَاهُمَا مُدَّةٌ مِنَ الزَّمانِ مُبْهَمَةٌ. فَمَنْ خَلَفَ أَنَّهُ لَا يَكَلِّمُ فَلَاناً أَمْدأً أَوْ حِيناً أَوْ وَقْتاً لَزِمَهُ سَنَةٌ احْتِيَاطاً. قَالَ خَلِيلٌ وَسَنَةٌ فِي حِينٍ وَزَمَنٍ وَعَضْرٍ وَذَهْرٍ هـ. (ص) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ (ش) مِمَّا يَدُلُّ عَلَى الزَّمانِ أَوْ أَصِيفَ إِلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ زَمَاناً، كَكَلٍّ وَبَعْضٍ، نَحْوُ: سِرْتُ كُلَّ الْيَوْمِ، أَوْ بَعْضُ الْيَوْمِ وَنَحْوَ ذَلِكَ. (ص) وَظَرْفُ الْمَكَانِ هُوَ اسْمُ الْمَكَانِ (ش) أَيْ الْمُبْهَمُ؛ وَهُوَ مَا لَيْسَتْ لَهُ صُورَةٌ. وَلَا حُدُودٌ مَخْصُورَةٌ. بِخِلَافِ الْمُخْتَصَرِّ، وَهُوَ مَا لَهُ صُورَةٌ، كَالذَّارِ وَالْمَسْجِدِ، وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. فَلَا تَنْصَبُ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ، وَإِنَّمَا تَنْصَبُ عَلَى إِسْقَاطِ الْخَافِضِ. (ص) الْمَنْصُوبُ بِتَقْدِيرِ فِي (ش) أَيْ بِتَضَمِينِ فِي كَمَا تَقَدَّمَ. وَخَرَجَ مَا لَيْسَ عَلَى مَعْنَى فِي، نَحْوُ رَأَيْتُ مَكَانَ زَيْدٍ، فَإِنَّهُ مَفْعُولٌ

به، فمن المُنْهَم: الجِهَات الست. (ص) نحو: أَمَام وخَلْفَ وقُدَّامَ (ش) بِمَعْنَى أَمَامَ (ص) وَوَرَاءَ (ش) بِمَعْنَى خَلْفَ (ص) وفوق وتحت. (ش) ويمين ويسار. نحو جلست أمام الخطيب، خَلْفَ السَّارِيَةِ فَوْقَ البَسَاطِ تحت السَّقْفِ، يَمِينَ المَحْرَابِ، يسار الباب. قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾. ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾. ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مِّلْكٌ﴾. ﴿تُزَوَّرُ عَنْ كَهْنِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْ ذَاتِ الشِّمَالِ﴾. ويلتحق بِأَسْمَاءِ الْمَكَانِ ما أَشْبَهَهُ فِي الْإِنْهَامِ، كبريد وفرس وميل. وإن كَانَتْ مَحْدُودَةً، فَمَكَانَهَا غَيْرُ مَعَيَّنٍ. وَمِنْ الْمُنْهَم (ص) عِنْدَ (ش) لِمَا قُرْبَ مِنْ الْمَكَانِ، نحو: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ» فعند مَنُصُوبٍ بِالِاسْتِفْرَارِ، لِأَنَّهُ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، (ص) وَمَعَ (ش) لِمَكَانِ الْاجْتِمَاعِ؛ وَهِيَ مُلَازِمَةٌ لِلْإِضَافَةِ. وَقَدْ تُنَوَّنُ وَتَنْصَبُ عَلَى الْحَالِ، نحو جَاءَ مَعًا، وَجَاءُوا مَعًا. قَالَ الشَّاعِرُ:

ولما تفرقنا كلني ومالكاً لطلول اجتماع لم يثبت ليلة مَعَا

(ص) وإزاء وحذاء (ش) للمكان الملاقي (ص) وتلقاء (ش) للمكان المواجه (ص) وهُنَا (ش) إشارة للمكان القريب. وقد تتقدمه هاء التنبيه، وإن أريد البعيد، ألحقته كاف الخطاب، أو مع اللام، نحو: «هَذَاكَ ابْنُ الْمُؤْمِنُونَ» (ص) وَثُمَّ (ش) اسْمُ إشارة للمكان البعيد. قال تعالى: ﴿وَأَرْزُقْنَا فَمَ الْآخِرِينَ﴾. «وَإِذَا رَأَيْتُ ثُمَّ رَأَيْتُ نَعِيمًا»، أي وإذا وقعت منك رؤية وأنت ثم، «رَأَيْتُ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا» (ص) وما أَشْبَهَ ذَلِكَ. (ش) من الألفاظ الدالة على المكان المُنْهَمِ، كجانب وناحية، ويدخل فيه من صيغ من المصدر؛ وإن كَانَ مَخْتَصًّا كَمَقْعَدٍ وَمَجْلِسٍ وَمَزْمَى. بشرط أن يعمل فيه مشاركته في المادَّة، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ﴾ ونحو ذلك؛ وهو يصلح للزَّمانِ وَالْمَكَانِ، تقول: قعدت مَقْعَدَ زَيْدٍ. أي في مَكَانِهِ، أو زمان قُعُودِهِ. واعْلَمْ أَنَّ الظَّرْفَ عَلَى قِسْمَيْنِ، مُتَصَرِّفٌ وَغَيْرُ مُتَصَرِّفٍ، فَالْمُتَصَرِّفُ هُوَ الَّذِي يَخْرُجُ عَنِ الظَّرْفِيَةِ إِلَى الْفَاعِلِيَةِ وَالْمَفْعُولِيَةِ، وَالْمَبْتَدَأُ وَالْخَبَرُ، كاليوم واللييلة وشبههما، تقول: أَعْجَبَنِي يَوْمُكَ، وليلتك ليلة مُبَارَكَةٍ، وأعجبنى غَدُوكَ. صَبَّاحُكَ حَسَنٌ، ومساؤُكَ مُبَارَكٌ. وَعَثَمْتُكَ مُبَارَكَةٌ. «وَنَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ، وَالَّذِي لَا يَتَصَرَّفُ قِسْمَانِ: قِسْمٌ لَا يَخْرُجُ عَنِ الظَّرْفِيَةِ قَطُّ، نحو: قَطُّ، وعوض. تقول: مَا فَعَلْتُ قَطُّ. أي فيما مضى مِنَ الزَّمانِ، وَلَا أَفْعَلُهُ عَوْضٌ بَفَتْحِ الْعَيْنِ، وسكون الواو. أي فيما يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمانِ. وقسم يخرج عن الظرفية؛ إلى ما يُشَبِّهُهَا، وهو الْجَرُّ بَيْنَ؛ لِأَنَّ الْجَرَّ بَيْنَ أَخُو الظَّرْفِ؛ وَهُوَ خَمْسَةُ ظُرُوفٍ. قَبْلُ

وَبَعْدَ، وَدُونَ، وَعِنْدَ وَلَدُنْ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ عِنْدَ وَلَدُنْ أَنَّ لَدُنْ تَدُلُّ عَلَى الْإِثْصَالِ
وَالِاتِّصَاقِ دُونَ عِنْدَ، وَيَنْقَسِمُ الظَّرْفُ أَيْضاً إِلَى مُنْصَرَفٍ؛ وَهُوَ الَّذِي يَدْخُلُهُ
التَّثْوِينُ، وَإِلَى غَيْرِ مُنْصَرَفٍ؛ وَهُوَ الَّذِي لَا يَدْخُلُهُ ذَلِكَ، كَسَحَرٍ إِذَا أُريدَ سَحَرُ يَوْمٍ
بِعَيْنِهِ وَقَدْ يَكُونُ الظَّرْفُ مَبْنِياً عَلَى الْكُسْرِ كَأَمْسٍ، إِذَا أُريدَ الْيَوْمُ الَّذِي قَبْلَ يَوْمِكَ.

فَرَعَ: قَدْ يَحْذِفُ الظَّرْفَ وَيَنْوِبُ عَنْهُ الْمَصْدَرُ، تَقُولُ: جَلَسْتُ قَرَبَ زَيْدٍ، أَيْ
مَكَانَ قَرْبِهِ، وَجِئْتُكَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، أَوْ صَلَاةِ الْعَصْرِ، أَيْ وَقْتُ طُلُوعِ الشَّمْسِ،
وَوَقْتُ صَلَاةِ الْعَصْرِ. وَفِي الْخُلَاصَةِ:

وَقَدْ يَنْوِبُ عَنْ مَكَانٍ مَصْدَرٌ وَذَلِكَ فِي ظَرْفِ الزَّمَانِ يَكْثُرُ
تَنْبِيْهُ: الظُّرُوفُ كُلُّهَا مُذَكَّرَةٌ إِلَّا قُدَّامَ، وَوَرَاءَ، قَالَ ابْنُ عُصْفُورٍ فِي شَرْحِ
الْجُمْلِيِّ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الإِشَارَةُ: اعْلَمْ أَنَّ الْوُجُودَ الْمُتَجَلَّى بِهِ كُلُّهُ ظُرُوفٌ، وَأَوَانِي لِأَسْرَارِ الْمَعَانِي.
وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ:

لَا تُنْظَرُ إِلَى الْأَوَانِي وَخُضَّ بَخَرِ الْمَعَانِي لِعَلَّكَ تَرَانِي
وَالْأَوَانِي عَيْنُ الْمَعَانِي، إِذْ لَا اثْنَيْنِ فِي الْوُجُودِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ أَيْضاً:

إِنَّ نَطْقِي مِنْ خَلْفِ ذَاكَ الْأَوَانِي وَأَنَا ذَائِمٌ كُلِّ الْأَوَانِي أَوَانِي
فَالْكُونُ كُلُّهُ كَثَلَجَةٌ، وَالتَّلَجَةُ ظَاهِرُهَا ثَلَجَةٌ، وَبَاطِنُهَا مَاءٌ مَائِعٌ، كَذَلِكَ الْكُونُ،
ظَاهِرُهُ كَوْنٌ كَثِيفٌ، وَبَاطِنُهُ سِرٌّ لَطِيفٌ، ظَاهِرُهُ كَوْنٌ، وَحَقِيقَتُهُ مَكُونٌ. وَفِي ذَلِكَ
يَقُولُ الْجِيلَانِي فِي عَيْنِيَّتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَمَا الْكَوْنُ فِي التَّمْثِيلِ إِلَّا كَثَلَجَةٍ وَأَنْتَ لَهَا الْمَاءُ الَّذِي هُوَ نَافِعٌ

فَمَا الثَّلُجُ فِي تَحْقِيقَتَا غَيْرِ مَائِهِ وَغَيْرِ إِنْ فِي حُكْمِ دَعْتِهِ الشَّرَائِعَ. وَقَالَ الْقُطْبُ
ابْنُ مَشِيْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مُخَاطِباً لِوَارِثِهِ أَبِي الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ:
حَدَّدَ بَصَرَ الْإِيمَانِ، تَجَدَّدَ اللَّهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَعِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَعَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَبْلَ
كُلِّ شَيْءٍ، وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَحْتَ كُلِّ شَيْءٍ. وَقَرِيباً مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ، وَمُحِيطاً بِكُلِّ شَيْءٍ. بِقَرَبٍ هُوَ وَضْفُهُ، وَبِخَيْطَةٍ هِيَ نَعْتُهُ. وَعَدَدٌ عَنِ الظَّرْفِيَّةِ
وَالْحُدُودِ، وَعَنِ الْأَمَاكِنِ وَالْجِهَاتِ، وَعَنِ الصَّحْبَةِ وَالْقَرَبِ فِي الْمَسَافَاتِ، وَعَنِ
الدَّوَرِ بِالمَخْلُوقَاتِ، وَامْحَقَ الْكُلَّ بِوَضْفِهِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ. وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ؛ وَهُوَ
هُوَ هُوَ. كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ؛ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ هـ. قَوْلُهُ: وَعَدَدٌ غَيْرِ

الظرفية؛ فلا تعتقد أنَّ الحق مظروف لشيء، أو محدود بشيء؛ لأنَّ الظرف عين المظروف. والذات العالية عمت بكل شيء، وأحاطت بكل شيء. ومحت وجود كل شيء. وفي الحكم: كيف يحتجب الحق تعالى بشيء. والذي يحتجب به ظاهر، وموجود حاضر هـ. وقوله: وعن الدور بالمخلوقات. اعلم أنَّ الأسرار اللطيفة الباقية على كثرتها، لا شك أنها محيطة بالأنوار التي وقع التجلي بها، ودائرة بها. لكن لما كانت هي عينها، ومتدفقة منها، صار الكل بحرراً متصلاً. رتقاً منطبقاً. وصار الدائر عين المدار عليه، ولذلك قال: وامحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن. إذ لا يخرج شيء عن هذه الأسماء الأربعة؛ فهو أول كل شيء. وآخر كل شيء. والظاهر بكل شيء، والباطن في كل شيء. وقوله وهو هو هو الأول: يشير إلى الوجود الأول الأولي قبل التجلي، والثاني: إلى حاله بعد التجلي. والثالث: إلى حال بعد طي هذا التجلي. وإظهار تجلٍ آخر، يدوم وجوده وظهوره؛ وهو المعبر عنه بالآخرة. وقال بعض العارفين في هذا المعنى. الحق تعالى منزَّه عن الأئين والجهة والكيف. والمادة والصورة. ومع ذلك لا يخلو منه أئير ولا مكان، ولا كم ولا كيف. ولا جسم ولا جوهر متكيف بكل كيف. غير متقيّد بذلك، ومن لم يدق هذا؛ ولم يشهده فهو أعمى البصيرة. محروم عن مشاهدة الحق تعالى هـ. ولا يفهم هذه الأسرار، ويذوقها إلا من صحب الرجال، وخدمهم، وقبل التراب من تحت أقدامهم ومن لم يقدر على هذا فليسلم للرجال فيما رمزوا له وأشاروا إليه:

إِنْ لَمْ تَرَ الْهَلَالَ فَسَلِّمْ لِأَنَّا سِرَ رَأَوْهُ بِالْأَبْصَارِ

ولله در ابن الفارض رضي الله عنه حيث قال:

وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ شَيْطَنَهُ طَرُوسُهُ بِحَيْثُ اسْتَخَفَّتْ عَقْلُهُ وَاسْتَفَرَّتْ

فَلَمَّ وَرَاءَ النُّقْلِ عِلْمٌ يَدُقُّ عَنْ مَدَارِكِ غَايَةِ الْعُقُولِ السَّالِمَةِ

تَلْقِيَتِهِ مِنِّي وَعَنِّي أَخَذْتُهُ وَنَفْسِي كَأَنَّكَ مِنْ عَطَاءِ مَمْدَتِي

وإذا تنزلت إلى عالم الحكمة؛ وهو عالم التشريع، وجدت الظروف متفاوتة

في الشرف والعلو على حسب مظروفها، أشباحاً كانت أو أزمئة، أو أمكنة.

فالأشباح تعظم بشرف الأرواح، فإن كانت الروح عارفة بالله، مكاشفة لأسرار

الذات. كان البدن الذي احتوى عليها عظيماً شريفاً، يقتبس منه الأنوار والأسرار،

ويُبَرِّك منه حياً وميتاً، ويَزِدحم الناس على قبره، ويستشفى بترابه وإن كانت عالمة

بأحكام الله، كان لها شرف دون ذلك. وكذلك إذا كانت حاملة لكتاب الله، كان لها شرف دون ذلك، ثم عاتمة المؤمنين، وإن كانت لا إيمان لها، كان جسدها جيفة لا قدر له ولا قيمة. وأما الأزمينة فتعظم أيضاً بقدر ما يقع فيها من الطاعة والإحسان. كليلة القدر والليالي العشر، ويوم عرفة، وأيام العشر، ويوم عاشوراء، وليلة المولد لأنه ظهر فيها سيد الوجود. فالظرف تابع لمظروفه في الشرف، وضده. ولذلك كانت أوقات العارفين كلها ليلة القدر؛ لأنها كلها عندهم عظيمة. لاشتغالها على العبادة الكبيرة؛ وهو شهود الحبيب، والغرب منه. وفي ذلك يقول الشاعر:

لَوْلَا شُهُودُ جَمَالِهِ فِي ذَاتِي مَا كُنْتُ أَزْضَى سَاعَةً بِحَيَاتِي
فَمَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ الْمُعْظَمُ شَأْنُهَا إِلَّا إِذَا عَمَّرْتُ بِكُمْ أَوْقَاتِي
إِنَّ الْمَجِبَ إِذَا تَمَكَّنَ فِي الْهَوَى وَالْحُبُّ لَمْ تَحْتَجْ إِلَى مِيقَاتِ
وقال آخر:

وَكَلَّ اللَّيَالِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِنْ بَدَا كَمَا كُلَّ أَيَّامِ اللَّقَا يَوْمَ جُمُعَةٍ
وَكَانَ الشَّيْخُ الْمَرْسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: نَحْنُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ؛ أَوْقَاتُنَا كُلُّهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ؛ لِأَنَّ عِبَادَتَهُمُ الَّتِي يَعْمُرُونَ بِهَا أَوْقَاتَهُمْ كُلُّهَا فِكْرَةٌ وَاعْتِبَارٌ، وَشُهُودٌ وَاسْتَبْصَارٌ. وَفِكْرَةُ سَاعَةٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةً، كَمَا فِي الْحَدِيثِ. وَكَذَلِكَ الْأَمَكْنَةُ، تَعْظُمُ بِقَدْرِ مَا يَقَعُ فِيهَا مِنَ الطَّاعَاتِ، كَجَبَلِ عَرَفَةَ، وَالْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ، ثُمَّ مَسَاجِدِ الْبَاقِيَةِ وَالزَّوَايَا، وَخَلَوَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، مِمَّا عَظَّمَتْهُ الشَّرِيعَةُ، وَعِنْدَ الْعَارِفِينَ: الْأَمَاكِنُ كُلُّهَا عَرَفَةُ، لِأَنَّ الْأَمَاكِنَ تَشْرَفُ بِهِمْ، وَتَطِيبُ بِحُضُورِهِمْ، وَفِي ذَلِكَ قَالَ شَاعِرُهُمْ:

كُلُّ وَقْتٍ مِنْ حَبِيبِي قَدْرُهُ كَأَلْفِ خَاجَةٍ
وَيَنْخَرُطُ فِي سَبْلِكَ هَذَا، تَفْضِيلُ آيَاتِ الْقُرْآنِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ؛ وَذَلِكَ عَلَى حَسَبِ مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ، مِنْ تَعْظِيمِ الرَّبُّوبِيَّةِ، وَكُشْفِ حِجَابِهَا. وَكَذَلِكَ تَفْضِيلُ الْأَذْكَارِ قَبْهَذَا الْمَعْنَى، وَتَفْضِيلُ بَعْضِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَعْضٍ، بِحَسَبِ مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ مِنْ تَعْظِيمِ الرَّسُولِ، وَتَعْظِيمِهِ ﷺ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

بَابُ الْحَالِ: هُوَ الْخَامِسُ مِنَ الْمَنْصُوبَاتِ، وَالْحَالُ فِي اللُّغَةِ: هَيَاةُ الْإِنْسَانِ، وَتَنْطَلِقُ عَلَى الزَّمَانِ؛ الَّذِي بَيْنَ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ. وَرُوحُ الْإِنْسَانِ، وَمَا يَعْتَرِيهِ مِنْ

فرح أو ضده. وهو يُذكر ويُؤنث. يقال له: حال حسن، وحسنة، وحقيقته: وصف
 فضلة مُتَّصِبٌ مُفْهِمٌ في حال كذا. وقال الفاكهي: هو الوصف الفضلة المسوق لبيان
 هيئة صاحب. وعرفه المصنف بقوله: (ص) الحال هو الاسم (ش) أي فلا يكون فعلاً
 وحده. ولا حرفاً ويكون جملة في تأويل الاسم (ص) المنصوب (ش) بفعل أو شبهه.
 خرج به الوصف المرفوع أو المجرور وسائر التوايح. (ص) المُفسَّرُ لِمَا انبَهَمَ (ش) أي
 جُهِل. خرج به سائر المنصوبات، و (ص) من الهيات (ش) خرج التمييز؛ لأنه يُفسَّرُ
 لِمَا انبَهَمَ من الدَّوَاتِ. ونقل الراعي عن شيخه: سمعت أنه قال: قول النحات، انبهَمَ
 في حدِّ الحال. والتمييز مفقود عليهم؛ لأنه لم يوجد في كلام العرب. والصواب:
 استنبههم. وأيضاً: لأنَّ الفعل مختصَّ بالعلاج، والتأثير في الغالب. تقول: عجنت
 الدقيق فأنعجن، وضربت فلاناً فأنضرب. وقد يكون لغير العلاج كأنضرف. ويكون
 الحال من الفاعل (ص) نحو جاء زيدٌ ركباً. و (ش) من المفعول نحو: (ص) ركب
 الفرس مسرجاً. و (ش) يحتملها نحو: (ص) لقيت عبد الله ركباً وما أشبه ذلك (ش)
 من الأمثلة، ويكون من المجرور بالحرف، نحو: مررت بهنيد جالسة. ولا يكون من
 المضاف إليه، إلا إذا عمل فيه المضاف، نحو: «إليه مرجعكم جميعاً» أو كان جزءاً من
 المضاف إليه، نحو: «ونزغنا ما في صدورهم من غلٍ إخواناً» أو مثل جزئه، نحو:
 «واتبعوا ملّة إبراهيم خنيفاً». وهذا مبني على أنَّ العامل في الحال؛ هو العامل في
 صاحبه. فإن كان المضاف الأول غير عامل في الحال، لزم أنَّ العامل في الحال غير
 العامل في صاحبه؛ وهو غير جائز. وأمّا إن كان جزءاً أو مثل الجزء، فلما كان يصح
 إسقاط الأول، صار كأنه عامل فيهما، ألا ترى أنك تقول: «ونزغنا ما في صدورهم من
 غلٍ». «واتبعوا ملّة إبراهيم». فيصح الكلام. ويأتي الحال من المبتدأ أو من الخبر. إلا
 أنَّ مَجْئَهُ مِنَ الْمَبْتَدَأِ ضَعِيفٌ. قال الشيخ السنوسي في شرح عقيدة الجزائري. (ص)
 ولا يكون الحال إلا نكرة (ش) فإن عُرِفَ لفظاً فاعتقد تنكيره معنى، نحو وحذك
 اجتهد. أي اجتهد أي منفرداً أو اذخلوا: الأول فالأول، أي مترتبين (ص) ولا يكون إلا
 بعد تمام الكلام (ش) أي بعد أخذ الفعل فاعله، والمبتدأ خبره؛ لأنه فضلة. ومن ثم
 قيل: إنه لا يأتي من المبتدأ. (ص) ولا يكون صاحبها إلا معرفة (ش) أي غالباً؛ لأنه
 محكوم عليه بالحال. ولا يصح الحكم على المجهول إلا بمسوغ منها تأخره عن
 الحال، نحو قول الشاعر:

لمية موحش طلل يلسوح كأنه خلل

أي لمية طلل؛ موحش. والطلل ما شخص من الديار بعد خرابها، وانتقال أهلها عنها. ومنها تخصيصه بالوصف، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾. أو يتقدم عليه نفي، نحو: «وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ» أو نهي نحو قول الشاعر:

لَا يَزْكُنُن أَحَدٌ إِلَى الْإِحْجَامِ يَوْمَ الْوَعَى مُتَخَوِّفًا لِجَمَامِ
والإحجام: التأخر، والوعا: الحرب. والجَمَامُ: بكسر الحاء: الموت. أو استفهام: كقول الشاعر:

يَا صَاحِ هَلْ حَمَّ عَيْشٌ بَاقِيًا فَتَرَى لِنَفْسِكَ الْعُذْرَ فِي أَرْفَادِهَا الْأَمَلَا
أي يا صاح هل قدر عيش يدوم فيتعذر في تأخير الأمل. بل لا عيش يدوم، فشمز، وتزود، واجعل الموت نصب عينيك. يَضْبَحُ أو يُنْسِي عَلَيْكَ، ومن غير الغالب، وهو إثبات الحال من التَّكْرَرِ بِلَا مُسَوِّغٍ. وقوله في الحديث: صلى رسول الله ﷺ قاعدًا. وصلى وراءه رجال قيامًا. وأخذ الشافعي بهذا الحديث؛ لأنه الآخر من فعله عليه السلام، وقال أبو حنيفة. يجلسون معه أخذًا بالحديث الصحيح. وأما مالك فلمَّا رَأَى تعارض الحديثين، لم يأخذ بواحد منهما، إِلَّا أَن يَسْتَوْزَا فِي الْعُذْرِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الإشارة: الحال عند الصوفية، وارد يرد على القلب من كشف أسرار الذات وأنوارها، فتدهش الروح وتهيم وتسكر، ويظهر ذلك في الجوارح، فيَهْتَزُّ الرَّأْسُ، ويشطح البدن، ويقال فيها الوجد وربما وقع صاحبه في المهالك، وهو لا يشعر وقد حكي أن الشبلي أخذه حال في موضع مقصبة فيه بقية قصب قطع. فقام عليها، فدخلت في رجله فمات من ذلك. وقد مات كثير من الصوفية بالحال. وقد أشار الشيخ أبو مدين رضي الله عنه إلى شيء من ذلك فقال:

قُلْ لِلَّذِي يَنْهَى عَنِ الْوَجْدِ أَهْلُهُ إِذَا اهْتَرَّتِ الْأَرْوَاحُ شَوْقًا إِلَى اللَّقَا
إِذَا اهْتَرَّتِ الْأَرْوَاحُ شَوْقًا إِلَى اللَّقَا أَمَّا نَنْظُرُ الطَّيْرَ الْمُقْقَصَ يَا فَتَى
يُفَرِّخُ بِالتَّغْرِ مَا بِسُفُوَادِهِ وَتَزْقُصُ فِي الْأَقْصَاصِ شَوْقًا إِلَى اللَّقَا
إِذَا لَمْ تَذُقْ مَعْنَى شَرَابِ الْهَوَى دَعْنَا نَعَمْ تَزْقُصُ الْأَشْبَاحُ يَا جَاهِلَ الْمَعْنَى
إِذَا دُكِرَ الْأَوْطَانُ حَزْنٌ إِلَى الْمَعْنَى فَتَهْتَزُّ أَرْبَابُ الْعُقُولِ إِذَا غَنَّا
فَتَضْطَرُّبُ الْأَعْضَاءُ فِي الْحَسِّ وَالْمَعْنَى

كَذَلِكَ أَرْوَاحُ الْمُحِبِّينَ يَا فَتَى تُهَزِّزُهَا الْأَشْوَاقُ لِلْعَالَمِ الْأَسَا
أَلْزِمُهَا بِالصَّبْرِ وَهِيَ مُتَشَوِّقَةٌ وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الصَّبْرُ مَنْ شَاهَدَ الْمَعْنَا
فَإِنَّا إِذَا طَبْنَا وَطَابَتْ قُلُوبُنَا وَخَامَرْنَا خَمْرَ الْغَرَامِ تَهْتِكُنَا
فَلَا تَلِمُ السُّكْرَانُ فِي حَالِ سُكْرِهِ فَقَدْ رُفِعَ التَّكْلِيفُ فِي سُكْرِنَا عَنَّا

بَعْدَ الْحَالِ الْمَقَامِ؛ وَهُوَ السُّكُونُ وَالطَّمَأْنِينَةُ، بِالْخُرُوجِ مِنَ السُّكْرِ إِلَى الصُّخْرِ. فَتَطْمَئِنُّ الرُّوحُ، وَتَسْكُنُ فِي مَقَامِ الْمَشَاهِدَةِ؛ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكَ مُقْتَدِرٍ. وَفِي هَذَا الْمَقَامِ، قِيلَ لِلْجَنِّيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا لَكَ كُنْتَ تَتَحَرَّكُ عِنْدَ السَّمْعِ وَتَرْقُصُ. وَالْيَوْمَ لَمْ يَظْهَرْ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ. فَقَرَأَ: «وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ». وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْقَى فِي الْحَالِ بَعْدَ تَمَكُّنِهِ، مِنْ الشَّهْوَةِ. فَيَكُونُ قَطْبُ الْأَحْوَالِ كَمَا تَقْدَمُ عَنِ الْبِسْطَامِيِّ، إِلَّا أَنَّ صَاحِبَ الْمَقَامِ يُوْهَلُ لِلْإِقْتِدَاءِ، وَالْإِهْتِدَاءِ. بِخِلَافِ صَاحِبِ الْأَحْوَالِ، فَلَا يَقْتَدِي بِهِ فِي حَالِ سُكْرِهِ. وَقُلٌّ مِنْ يَنْجَحُ عَلَى يَدِهِ، لَصُعُوبَةِ تَرْبِيَّتِهِ، كَحَالِ أَبِي الشَّيْءِ. فَقَدْ حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ يَلْقَى الْمَرِيدَ رَأْسَهُ أَسْفَلَ، وَرِجْلَهُ فَوْقَ، وَيوقِدُ النَّارَ تَحْتَهُ فَأَوَّلَ السَّيْرِ عَلِمَ، ثُمَّ عَمَلَ، ثُمَّ خَالَ؛ وَهُوَ الذُّوقُ، ثُمَّ الشَّرْبُ وَالسُّكْرُ، ثُمَّ الْمَقَامُ؛ وَهُوَ الصُّخْرُ وَيُقَالُ: الْأَحْوَالُ مَوَاهِبُ، وَالْمَقَامَاتُ مَكَاسِبُ. وَكَسْبُهَا هُوَ تَقْدَمُ الْأَحْوَالُ عَلَيْهَا. كَأَنَّهَا نَتَائِجُهَا، وَكَوْنُ الْأَحْوَالِ مَوَاهِبُ، يَغْنِي بَعْدَ التَّحَرُّكِ فِي جَلْبِهَا، كَخَرْقِ الْعَوَائِدِ، وَحُضُورِ جِلْقِ الذِّكْرِ، أَوِ السَّمْعِ، مَعَ تَفَرُّغِ الْبَاطِنِ مِنَ الْعَلَائِقِ. وَقَدْ تَكُونُ الْأَحْوَالُ ظُلُمَانِيَّةً، أَوْ نَفْسَانِيَّةً، أَوْ شَيْطَانِيَّةً. فَإِنَّ أَهْلَ اللَّهْوِ قَدْ يَنْحَدِبُونَ فِي لَهْوِهِمْ، فَيَقْطَعُونَ اللَّيْلَ أَوِ النَّهَارَ وَاقِفِينَ فِي لَهْوِهِمْ غَائِبِينَ عَنْهُمْ. وَالْأَحْوَالُ الرُّبَانِيَّةُ؛ هِيَ الَّتِي تَنْشَأُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، مِنَ الْقُلُوبِ الْمُنَوَّرَةِ، وَعَنْ سَمَا مَا يَحْرُكُ إِلَى الْحَضَرَةِ. وَقَدْ تَنْشَأُ عَنْ سَمَاعِ اللَّهْوِ إِذَا كَانَ عَارِفًا يَصْرِفُهُ مِنَ الْبَاطِلِ إِلَى الْحَقِّ. كَمَا وَقَعَ لِلرُّجُلِ الَّذِي سَمِعَ الْقَائِلَ يَقُولُ:

إِذِ الْعَشْرُونَ مِنْ شَعْبَانٍ وَثَلَاثَ فَوَاصِلَ شَرْبٍ لَيْلِكَ بِالنَّهَارِ
وَلَا تَشْرَبُ بِأَقْدَاحِ صَفَارٍ فَقَدْ ضَاقَ الزَّمَانُ عَلَى الصَّفَارِ
فَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ، وَذَهَبَ إِلَى مَكَّةَ، فَبَقِيَ بِهَا مُجَاوِرًا حَتَّى مَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَفُهِمَ أَنَّ الْعُمُرَ إِذَا ذَهَبَ جُلَّه. فَقَدْ قَرَّبَ الرُّحِيلَ وَضَاقَ الزَّمَانُ عَلَى الْعِبَادَةِ الصُّغْرَى. فَطَلَبَ الْمَوَاضِعَ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا الْعِبَادَةُ كُجْرَى، فَتَضَاعَفَ فِيهِ الْأَعْمَالُ.

وهذا الرجل كَانَ مِنَ العلماء المجتهدين، ولو كَانَ مِنَ العَارِفِينَ لَمْ يَحْجْ إِلَى ذَهَاب
مَكَّةَ بِنِ عِبَادَةِ الْقُلُوبِ مضاعفة بأضعاف كثيرة، فِي أَيِّ مَوْضِعٍ كَانَتْ. وَلِذَلِكَ قَالَ
بَعْضُهُمْ: «الذُّرَّةُ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ، أَفْضَلُ مِنْ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ.
وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: رُكْعَةٌ مِنْ عَالَمٍ بِاللَّهِ. أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ رُكْعَةٍ مِنْ جَاهِلٍ
بِاللَّهِ». ذَكَرَهُ فِي الْجَامِعِ. وَلِنَزْجٍ إِلَى مَا كُنَّا بِصَدْدِهِ مِنَ الْإِشَارَةِ فَقُولُ:

الْحَالُ هُوَ الْأَسْمُ، أَيِ الْوَصْفِ الْفُضْلَةِ؛ لِأَنَّهُ مُؤَبِّةٌ وَمُخَصَّ فَضْلٌ. الْمُتَنَصِّبُ
لِلْمُرِيدِينَ السَّائِرِينَ. يُرْقِيهِمْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ. وَمِنْ مَقَامٍ إِلَى مَقَامٍ. فَأَوَّلُ الْأَحْوَالِ
وَارِدُ الْإِتْيَاءِ؛ فَيَنْتَبِهُ مِنْ نَوْمِ الْبِطَالَةِ وَالتَّقْصِيرِ إِلَى حَالِ الْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ، ثُمَّ وَارِدُ
الْبِقَظَةِ، فَيَنْتَبِهُ مِنْ نَوْمِ الْعَقْلَةِ، إِلَى حَالِ الذِّكْرِ الدَّائِمِ. ثُمَّ وَارِدُ السَّيْرِ، فَيَتَجَرَّدُ مِنَ
الْعَلَائِقِ، لِتَشْرِقَ عَلَيْهِ أَنْوَارُ الْحَقَائِقِ. ثُمَّ وَارِدُ الْوِصَالِ فَيُخْرِجُ مِنْ سَجْنِ الْأَكْوَانِ،
إِلَى شَهْوِدِ الْمُكُونِ. وَقَدْ أَشَارَ فِي الْحِكْمِ إِلَى بَعْضِ هَذَا فَقَالَ: أَوْزَدَ عَلَيْكَ الْوَارِدُ،
لِتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ وَارِدًا. أَوْزَدَ عَلَيْكَ الْوَارِدَ، لِيَسْلَمَكَ مِنْ يَدِ الْأَغْيَارِ، وَيُخَرِّكَ مِنْ رِقِ
الْآثَارِ. أَوْزَدَ عَلَيْكَ الْوَارِدَ لِيُخْرِجَكَ مِنْ سَجْنِ وَجُودِكَ إِلَى فُضَاءِ شَهْوِدِكَ هـ.
الْمُفَسِّرُ لِمَ انْتَبَهَ مِنْ هَيْئَاتِ الرِّجَالِ، وَمَا كُنْ فِي سَرَائِرِهِمْ، بِمَا كُنْ فِي السَّرَائِرِ.
ظَهَرَ فِي شَهَادَةِ الْخَوَاطِرِ تَنَوُّعُ أَجْنَاسِ الْأَعْمَالِ، لِتَنَوُّعِ وَارِدَاتِ الْأَحْوَالِ فَمَنْ
كَانَتْ أَحْوَالُهُ صَافِيَةً، مُوَافِقَةً لِلشَّرِيعَةِ الْمَحْمُودِيَةِ. عَلِمْنَا أَنَّ بَاطِنَهُ صَافٍ لَا تَخْلِيطَ
فِيهِ. وَمَنْ كَانَتْ أَحْوَالُهُ ظَلَمَانِيَّةً، مُخَالِفَةً لِلشَّرِيعَةِ الْمَحْمُودِيَةِ. عَلِمْنَا أَنَّ بَاطِنَهُ
ظَلَمَانِي، لَا صَفَاءَ فِيهِ. فَصَفَاءُ الظَّاهِرِ، مِنْ صَفَاءِ الْبَاطِنِ، وَتَخْلِيطُ الظَّاهِرِ، مِنْ
تَخْلِيطِ الْبَاطِنِ، لَا تَنْطِقُ الْأَوَانِي إِلَّا بِمَا سَكَنَ. وَالْأَحْوَالُ الصَّافِيَةُ، تَظْهَرُ نَتَائِجُهَا
عَلَى صَاحِبِهَا. فَالْوَارِدُ الرِّبَاطِيُّ يُثْمِرُ أَحْوَالَ سَنِيَّةٍ، فَيَعْقِبُهُ الزُّهْدُ وَالْوَرَعُ، وَالْخَشْيَةُ
وَالْهَيْبَةُ، وَالرِّزْقَانَةُ وَالطَّمَانِينَةُ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ وَالتَّوَاضِعُ وَالسَّخَاءُ وَالْكَرَمُ. وَغَيْرُ
ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، وَالشَّيَمِ الزَّكِيَةِ.

وَالْوَارِدُ النَّفْسَانِي وَالشَّيْطَانِي، تَعْقِبُهُ الْقَسَاوَةُ وَالْفُظَاظَةُ. وَالتَّكَبُّرُ وَالصُّوْلَةُ عَلَى
النَّاسِ، وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْجَاهِ. وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ. وَفِي الْحِكْمِ لَا
تَزْكِيْنَ وَارِدًا لَا تَعْلَمُ ثَمَرَتَهُ؛ فَلَيْسَ الْمَرَادُ مِنَ السَّحَابَةِ الْأَمْطَارُ، وَإِنَّمَا الْمَرَادُ مِنْهَا
وُجُودُ الْأَثْمَارِ هـ؛ وَزَادَ فِي الْخِلَاصَةِ فِي أَوْصَافِ الْحَالِ النَّحْوِيَّةِ، الْإِنْتِقَالَ
وَالْإِشْتِقَاقَ فَقَالَ:

وَكَوْنُهُ مُنْتَقِلًا مُشْتَقًا يَغْلِبُ لَكِنْ لَيْسَ مُسْتَحَقًّا

وقالت الصوفية: إنما سُمِّيَ الْخَالُ خَالاً لتحوُّله وانتقاله، فَالْخَالُ لَا يَدُومُ لصاحبه، وإما هو عارض مُنْطَرٍ عَلَى الْقُلُوبِ، غَيْثُ الْمَعَارِفِ، وَعِلْمُ الْغُيُوبِ وَالْأَسْرَارِ، وَالْكَشُوفَاتِ، وَالْأَنْوَارِ. فَإِذَا أَوْدَعَ مَا فِيهِ أَقْلَعُ فَلَا تَطْمَعُنْ فِي دَوَائِيهِ، بَلِ اسْتَغْنِ بِاللَّهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. فَلَيْسَ يُغْنِيكَ عَنْهُ شَيْءٌ. وَفِي الْحِكْمِ: لَا تَطْلُبْنِ بَقَاءَ الْوَارِدَاتِ، بَعْدَ أَنْ بَسَطْتَ أَنْوَارَهَا. وَأَوْدَعْتَ أَسْرَارَهَا، فَلَكَ فِي اللَّهِ غِنًى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَلَيْسَ يُغْنِيكَ عَنْهُ شَيْءٌ هـ. فَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ بِلا عِلَّةٍ، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ الْخَالِ، فَالْفَانِي لَا يُغْنِي. وَمَعْنَى اسْتِثْقَائِهِ عَنْهُمْ: طَلْبُهُ وَاسْتِجْلَابُهُ بِسَبَبِ يُحْرِكُهُ كَمَا تَقْدَّمُ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ.

بَابُ التَّمْيِيزِ: هَذَا هُوَ السَّادِسُ مِنَ الْمَنْصُوبَاتِ. وَيُقَالُ فِيهِ التَّمْيِيزُ وَالتَّمْيِيزُ وَالتَّفْصِيلُ وَالتَّمْيِيزُ، وَالتَّبْيِينُ وَالتَّمْيِيزُ، وَهُوَ فِي اللَّغَةِ: مَصْدَرٌ مِيزْتُ الشَّيْءَ إِذَا فَسَّرْتَهُ وَبَيَّنْتَهُ. وَفِي الْأَصْطِلَاحِ مَا قَالَهُ الْمُصَنِّفُ. (ص) التَّمْيِيزُ هُوَ الْأَسْمُ الْمَنْصُوبُ الْمُفَسَّرُ لِمَا اتَّبَهُمْ مِنَ الذَّوَاتِ. (ش) أَيْ أَوْ مِنَ التَّنْسِبِ، فَخَرَجَ الْخَالُ. قَالَ ابْنُ مَالِكٍ: التَّمْيِيزُ كُلُّ نَكْرَةٍ فِيهَا مَعْنَى الْجَنَسِيَّةِ، وَأَفْعَلُهُ لِأَقْدَمِ عَنْ جُمْلَةٍ أَوْ مُفْرَدٍ تَامٍ، بِإِضَافَةٍ أَوْ تَنْوِينٍ ظَاهِرًا أَوْ مُقَدَّرًا، أَوْ نُونٍ تُسْقِطُ لِلْإِضَافَةِ هـ. ثُمَّ ذَكَرَ مِثَالَ تَمْيِيزِ التَّنْسِبِ: وَهُوَ الَّذِي يَقَعُ بَعْدَ الْجُمْلَةِ؛ وَهُوَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ، إِمَّا مُحَوَّلٌ عَنِ الْفَاعِلِ. (ص) نَحْوُ قَوْلِكَ تَصَبَّبَ زَيْدٌ عَرَقًا. (ش) أَيْ انْحَدَرَ. وَالْأَصْلُ: تَصَبَّبَ عَرَقُ زَيْدٍ. (ص) وَتَفَقَّأَ بِكَرٍّ شَخْمًا. (ش) أَيْ امْتَلَأَ. وَقِيلَ: تَشَقَّقَ. يُقَالُ: تَفَقَّأَتِ السَّمَاءُ عَنْ مَائِهَا، أَيْ تَشَقَّقَتْ، وَالْأَوَّلُ أَنْسَبُ. وَالْأَصْلُ: شَخِمَ بِكَرٍّ. (ص) وَطَابَ مُحَمَّدٌ نَفْسًا. (ش) طَابَتْ نَفْسُ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَيْ صَارَتْ طَيِّبَةً. يُقَالُ طَابَ الشَّيْءُ يَطِيبُ طَيِّبًا وَتَطْيِيبًا، وَإِنَّمَا عَدَلَ عَنِ الْأَصْلِ إِلَى التَّمْيِيزِ؛ لِأَنَّ الْبَيَانَ بَعْدَ الْإِجْمَالِ مِنْ مَقَاصِدِ الْعُقُلَاءِ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ إِذَا سَمِعَتْ شَيْئًا مُجْمَلًا تَشَوَّقَتْ إِلَى بَيَانِهِ. فَإِذَا فَسَّرَ مَوْقِعَ مِنْهَا، أَيْ مَوْضِعَ. فَإِذَا قُلْتَ: تَصَبَّبَ زَيْدٌ، بَقِيَتِ النَّفْسُ مُسْتَشْرِفَةً، مَا الَّذِي تَصَبَّبَ مِنْهُ. فَإِذَا قُلْتَ: عَرَقًا عَرَفْتَهُ. وَهَكَذَا الْبَاقِي، وَإِمَّا مُحَوَّلٌ عَنِ الْمَفْعُولِ، نَحْوُ غَرَسْتَ الْأَرْضَ شَجَرًا. وَمِنْهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾. وَالْأَصْلُ: غَرَسْتَ شَجَرَ الْأَرْضِ وَفَجَّرْنَا عُيُونَ الْأَرْضِ وَإِمَّا مُحَوَّلٌ عَنِ الْمَبْتَدَأِ نَحْوُ: «أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا» وَالْأَصْلُ: مَالِي أَكْثَرُ. وَإِمَّا غَيْرُ مُحَوَّلٍ مِنْ شَيْءٍ: نَحْوُ: زَيْدٌ أَكْرَمُ النَّاسِ رَجُلًا. وَرَدَ بَعْضُهُمْ تَمْيِيزَ النِّسْبَةِ، إِلَى تَمْيِيزِ الذَّاتِ، وَهُوَ تَمْيِيزُ الْمَفْرَدِ، وَهُوَ ظَاهِرُ الْمُصَنِّفِ، وَوَجْهُهُ: أَنَّ قَوْلَكَ طَابَ زَيْدٌ. يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ طَابَ مِنْهُ شَيْءٌ، ثُمَّ بَيَّنَّهُ بِقَوْلِهِ: نَفْسًا. وَإِذَا قُلْتَ: غَرَسْتَ الْأَرْضَ، يُفْهَمُ مِنْهُ، أَنَّ شَيْئًا غَرَسَ فِيهَا؛

وهو مُبْتَهَم. ففُسِّرَتْهُ بِالتَّمْيِيزِ، وَكَذَلِكَ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ، يَفْهَمُ مِنْهُ، أَنَّ شَيْئاً كَثُرَ مِنْهُ، ثُمَّ بَيَّنَّهُ بِالْمَالِ، وَهَكَذَا. فَيَرْجِعُ التَّمْيِيزُ كُلَّهُ لَتَّمْيِيزِ الذَّوَاتِ، كَمَا قَالَ الْمُصَنَّفُ. انْظُرْ شَرْحَ الشَّيْخِ عَلِيِّ بَرَكَةٍ، ثُمَّ ذَكَرَ تَّمْيِيزَ الْعَدَدِ، وَهُوَ مِنْ قَبِيلِ تَّمْيِيزِ الْمُفْرَدِ اتِّفَاقاً فَقَالَ (ص) وَاشْتَرَيْتُ عَشْرِينَ غَلَاماً. وَمَلَكَتُ تِسْعِينَ نَعْجَةً. (ش) وَمِنْهُ أَحَدُ عَشَرَ كَوْكَباً. وَيَلْحَقُ بِهِ تَّمْيِيزُ الْمَسَاحَةِ. نَحْوُ مَلَكَتُ شَبِراً أَرْضاً. وَجَرِيداً نُحْلاً. وَتَّمْيِيزُ الْمُقَادِيرِ، كَرِطَلَيْنِ عَسَلًا. وَمَنُونٍ تَمْرًا، وَأَرْدَبٍ نَحْأً. وَزَقٍّ زَيْتًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا﴾. وَأَمَّا قَوْلُ الْمُصَنَّفِ (ص) وَزَيْدٌ أَكْرَمُ مِنْكَ أَبًا. وَأَجْمَلُ مِنْكَ وَجْهًا. (ش) فَهُوَ مِنْ تَّمْيِيزِ النَّسَبِ الْمُحَوَّلِ عَنِ الْفَاعِلِ. وَالْأَصْلُ زَيْدٌ كَرَّمَ أَبُوهُ، وَجَمَلَ وَجْهَهُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْجَوَابُ عَنِ الْمُصَنَّفِ، أَنَّ الْجَمِيعَ لَتَّمْيِيزِ الْمُفْرَدِ. ثُمَّ قَالَ: (ص) وَلَا يَكُونُ إِلَّا نَكْرَهُ (ش) يَعْنِي أَنَّ التَّمْيِيزَ لَا يَكُونُ إِلَّا نَكْرَةً؛ لِأَنَّ لَفْظَ التَّنْكِيرِ يُقَيِّدُ الْمَقْصُودَ، فَلَا يَتَكَلَّفُ التَّعْرِيفَ. وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

زَأَيْتُكَ لَمَّا أَنْ عَرَفْتُ وَجُوهَهَا صَدَدَتْ وَطَيْتِ النَّفْسُ يَا قَبَسَ عَنْ غَمْرِ
فَأَنَّ فِيهِ زَائِدَةٌ لِلضَّرُورَةِ، وَلَيْسَتْ مَعْرِفَةٌ. وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ: يَكُونُ التَّمْيِيزُ مَعْرِفَةً. مُخْتَجِّجِينَ بِقَوْلِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أَيِ سَفِهَ نَفْسًا. وَأَجِيبُ بِأَنَّ نَفْسَهُ مَفْعُولٌ بِسَفِهَ، لَتَضَمُّنِهِ مَعْنَى جَهْلٍ، أَوْ أَهْلِكَ. أَوْ لِأَنَّ الضَّمِيرَ فِيهِ مَعْنَى الشُّيُوعِ الَّذِي فِيمَنْ فَمَنْ يَكْسِبُ التَّعْرِيفَ، أَوْ عَلَى إِسْقَاطِ الْجَارِ. وَإِصْالُ الْفِعْلِ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ: ضَرَبَ فُلَانٌ الظَّهْرَ وَالْبَطْنَ.

تَنْبِيْهُ: قَالَ فِي الْمَعْنَى: الْحَالُ أَوْ التَّمْيِيزُ اجْتِمَاعًا فِي خَمْسَةِ أُمُورٍ، وَافْتِرَاقًا فِي سَبْعَةٍ. فَأَرْجُوهُ الْإِتِّفَاقُ أَنَّهَا اسْمَانِ نَكَرَتَانِ، فَضْلَتَانِ، مَنْصُوبَتَانِ، رَافِعَتَانِ لِإِبْهَامٍ. وَأَوُّجُهُ الْإِفْتِرَاقُ، أَنَّ الْحَالَ تَكُونُ جُمْلَةً. وَالتَّمْيِيزُ لَا يَكُونُ إِلَّا مُفْرَدًا. وَإِنَّ الْحَالَ تَتَعَدَّدُ. تَقُولُ: جَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا، فَرَحًا مُسْرُورًا بِخِلَافِ التَّمْيِيزِ. وَإِنَّ الْحَالَ تَتَقَدَّمُ عَلَى عَامِلِهَا، إِذَا كَانَ مُتَصَرِّفًا، نَحْوُ: خُشِعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ بِخِلَافِ التَّمْيِيزِ عَلَى الْمَشْهُورِ. وَقَالَ فِي الْأَلْفِيَةِ:

وَعَامِلُ التَّمْيِيزِ قَدَّمَ مُطْلَقًا وَالْفِعْلُ ذُو التَّصْرِيفِ نَزَرًا سَبَقًا
وَمِنْ تَقْدِيمِهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَنْفَسًا تَطِيبُ بَنْيِلَ الْمُنَا وَدَاعِي الْمَنُونِ يَنَادِي جَهَارًا
وَإِنْ حَقَّ الْحَالُ الْإِشْتِقَاقُ، وَحَقُّ التَّمْيِيزِ الْجُمُودُ، وَقَدْ يَتَعَاكَسَانِ، وَإِنَّ الْحَالَ

مؤكدّة. نحو: «ولّى مُذْبِرًا فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا، وَلَا يَقَعُ التَّمْيِيزُ. كذلك هـ. وجزم في القطر، بأن التمييز قد يؤكد كقوله الشاعر:

تَزُوْدُ مِثْلَ زَادِ أَبِيكَ فَيُنَا فَنَسْمُ الزَّادَ زَادَ أَبِيكَ زَادَا
قلت: وبقي عليه من المفروقات، أن التمييز قد يُجَرَّ بِمَنْ، بِخِلَافِ الْحَالِ.
قال في الألفية:

وَأَجْزُرُ بِمَنْ إِنْ شِئْتَ غَيْرَ ذِي الْعَدَدِ، وَالْفَاعِلُ الْمَعْنَى كَطِيبَ نَفْسًا تُفَدِّ، وَاللَّهُ
تَعَالَى أَعْلَمُ.

الإشارة: لا يكون الغارِف عارفاً حتى يَخْصَلَ لَهُ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الضُّدِّينِ اللَّذَيْنِ وَقَعَ بِهِمَا التَّجَلِّي. فَيُمَيِّزُ بَيْنَ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ فِي مَظْهَرٍ وَاحِدٍ. وَبَيْنَ الرُّوحَانِيَّةِ وَالْبَشَرِيَّةِ، وَبَيْنَ الْحَسِّ وَالْمَعْنَى. وَبَيْنَ الْقُدْرَةِ وَالْحِكْمَةِ، وَبَيْنَ الْأَمْرِ وَالْخَلْقِ. وَبَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ، وَبَيْنَ الْفَنَاءِ وَالْبَقَا. وَبَيْنَ السُّكْرِ وَالصُّخُو. وَهَكَذَا سَائِرُ الضُّدِّينِ الْمَوْجُودِينَ فِي الْكَوْنِ الَّذِي وَقَعَ بِهِ التَّجَلِّي. أَمَّا التَّمْيِيزُ بَيْنَ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ. فَالرُّبُوبِيَّةُ مَحَلُّهَا الْبُؤَاطِنُ. وَالْعُبُودِيَّةُ الظُّوَاهِرُ، فَهَذَا مِنْ عَجَائِبِ أَسْرَارِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ إِنْ ظَهَرَتْ فِي قَوَالِبِ الْعُبُودِيَّةِ، وَلِذَلِكَ تَعَجَّبَ صَاحِبُ الْحِكْمِ الْعَطَّائِيَّةِ، حَيْثُ قَالَ:

سُبْحَانَ مَنْ سَتَرَ سِرَّ الْخُصُوصِيَّةِ بِظُهُورِ وَصْفِ الْبَشَرِيَّةِ وَظَهَرَ بِعَظَمَةِ الرُّبُوبِيَّةِ،
فِي إِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ. وَقَالَ الْحَلَّاجُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ نَاسُوتَهُ سَرَّ سِنَا لِهَوْتِهِ الشَّاقِبِ
ثُمَّ بَدَا فِي خَلْقِهِ ظَاهِرًا فِي صُورَةِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ
حَتَّى لَقَدْ عَايَنَهُ خَلْقَهُ كَلَحْظَةِ الْحَاجِبِ بِالْحَاجِبِ

وَلَعَدَمَ فَهْمِ كَلَامِهِ؛ قَتَلَهُ أَهْلُ الظَّاهِرِ وَوَافَقَهُمْ أَهْلُ الْبَاطِنِ لِإِفْشَائِهِ السَّرِّ؛ وَهُوَ وَلِيُّ اللَّهِ حَقًّا. وَأَمَّا الرُّوحَانِيَّةُ وَالْبَشَرِيَّةُ؛ فَالرُّوحَانِيَّةُ قَائِمَةٌ بِالْبَشَرِيَّةِ قِيَامَ الْمَاءِ بِالْعُودِ الْأَرْطَبِ، مَنْسُوبَةٌ إِلَى الرُّوحِ. فَالْبَشَرِيَّةُ مَحَلُّ التَّكْلِيفِ وَالرُّوحَانِيَّةُ: مَحَلُّ التَّعْرِيفِ. الْبَشَرِيَّةُ: مَحَلُّ الْعُبُودِيَّةِ، وَالرُّوحَانِيَّةُ: مَحَلُّ شُهُودِ الرُّبُوبِيَّةِ. فَإِذَا اسْتَوْلَتْ الرُّوحَانِيَّةُ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ وَكَسَتْهَا اِكْتِسَاءُ الثَّارِ لِلْفَحْمَةِ. صَارَ صَاحِبُهَا رُوحَانِيًّا سَمَآوِيًّا. وَعَلَامَتُهُ: أَنَّهُ لَا تَجُولُ رُوحُهُ غَالِبًا إِلَّا فِي أَنْوَارِ التَّوْحِيدِ، وَأَسْرَارِ التَّفْرِيدِ. وَإِذَا اسْتَوْلَتْ الْبَشَرِيَّةُ عَلَى الرُّوحَانِيَّةِ، صَارَ صَاحِبُهَا بَشَرِيًّا أَرْضِيًّا. وَعَلَامَتُهُ جَوْلَانُ رُوحِهِ غَالِبًا فِي حَسِّ الْكَائِنَاتِ، وَكَلَامِهِ غَالِبًا فِي الْمُرُوقَاتِ. وَأَمَّا الْحَسُّ وَالْمَعْنَى. فَالْحَسُّ مَا ظَهَرَ

لِلْبَصْرِ مِنْ حَسَنِ الْأَوَانِي، وَالْمَغْنَى: مَا انْكَشَفَ لِلْبَصِيرَةِ مِنْ أَسْرَارِ الْمَعَانِي، فَمَنْ وَقَفَ عَلَى حَسَنِ الْأَوَانِي، كَانَ مُحْجُوباً عَنِ اللَّهِ. وَمَنْ تَقَدَّ إِلَى شُهُودِ الْمَعَانِي، كَانَ عَارِفاً بِاللَّهِ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّشْتَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لَا تَنْظُرْ إِلَى الْأَوَانِي وَخُضْ بِحَرِّ الْمَعَانِي، لَعَلَّكَ تَرَانِي

وَقَالَ أَيْضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَطْقِي مِنْ خِلَافِ ذَلِكَ الْأَوَانِي وَأَنَا دَائِمٌ كُلُّ الْأَوَانِي أَوَانِي. وَكُمُونَ الْمَعَانِي فِي الْأَوَانِي كَكُمُونَ الْمَاءِ فِي الثَّلْجَةِ فَالْمَعَانِي قَدِيمَةٌ، وَظُهُورُ الْأَوَانِي حَدِيثَةٌ، فَإِذَا اسْتَوْلَتْ الْمَعَانِي عَلَى الْحَسِيَةِ، صَارَ الْكُلُّ قَدِيماً. وَلِذَلِكَ قَالَ الْجَنِيدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلَّذِي قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَمْ يَزِدْ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ: كَمَلْهَا فَقَالَ لَهُ: أَيُّ قَدَرٍ لِلْعَالَمِينَ حَتَّى تُذَكِّرَ مَعَهُ. فَقَالَ لَهُ الْجَنِيدُ: كَمَلْهَا يَا أَجِي، فَإِنَّ الْحَادِثَ إِذَا قَرْنَ بِالْقَدِيمِ، تَلَاشَى الْحَادِثُ. وَبَقِيَ الْقَدِيمُ. وَأَمَّا الْقُدْرَةُ وَالْحِكْمَةُ، فَالْقُدْرَةُ مِنْ شَأْنِهَا الْإِبْرَازُ وَالْإِظْهَارُ. وَالْحِكْمَةُ: مِنْ شَأْنِهَا التَّغْطِيَةُ وَالِاسْتِئْثَارُ. لِأَنَّ الْحِكْمَةَ هِيَ اقْتِرَانُ الْأَسْبَابِ وَالْعِلَلِ بِمَسَبِّبَاتِهَا، فَإِذَا بَرَزَتْ الْقُدْرَةُ مَسَبِّبَةً بِهَ الْقُدْرَ، جَعَلَتْ الْحِكْمَةَ لِذَلِكَ أَسْبَاباً وَعِلَلاً لِيَبْقَى السِّرُّ مَضُوناً، وَالْكُنْزُ مَذْفُوناً. فَالْحِكْمَةُ هِيَ الَّتِي تُسَمِّيهِمَا الْعُلَمَاءُ الْكُسْبَ وَالْاِكْتِسَابَ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ. فَالْجَبْرِيَّةُ وَقَفُوا مَعَ الْقُدْرَةِ؛ وَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى الْحِكْمَةِ؛ وَهُوَ جَهْلٌ وَجُمُودٌ. وَالْمُغْتَزِلَةُ وَقَفُوا مَعَ الْحِكْمَةِ؛ وَلَمْ يَنْفُذُوا إِلَى شُهُودِ الْقُدْرَةِ؛ وَهُوَ شِرْكٌ، أَوْ كُفْرٌ. وَأَهْلُ السُّنَّةِ نَظَرُوا إِلَى تَصَرُّفِ الْقُدْرَةِ، مُرْتَدِيَةً بِإِرْدَاءِ الْحِكْمَةِ؛ وَهُوَ عَيْنُ الْكَمَالِ، إِلَّا أَهْلَ الشُّهُودِ وَالْعِيَانِ. وَأَمَّا الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، فَالْخَلْقُ عِبَارَةٌ عَنْ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ بِالتَّدرِجِ، حَسَبِ مَا اقْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ. وَالْأَمْرُ عِبَارَةٌ عَنْ إِبْرَازِهِ فِي لِحْظَةٍ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْقُدْرَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾. إِلَّا أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَنْفَكُ عَنِ الْخَلْقِ إِلَّا فِي الْمَعْجَزَةِ لِلنَّبِيِّ أَوْ الرَّامَةِ لِلنُّوَلِيِّ كَمَا لَا تَنْفَكُ الْقُدْرَةُ عَنِ الْحِكْمَةِ؛ لِأَنَّ عَالَمَ الْخَلْقِ مِنْ جُمْلَةِ الْحِكْمَةِ؛ الَّتِي وَقَعَ بِهَا الْاِسْتِئْثَارُ لِسِرِّ الْقُدْرَةِ. وَأَمَّا الشَّرِيعَةُ وَالْحَقِيقَةُ. فَالشَّرِيعَةُ أَدَبُ الظُّوَاهِرِ، وَالْحَقِيقَةُ مَعْرِفَةُ الْبَوَاطِنِ الشَّرِيعَةُ تَغْطِيَةُ لِلْحَقِيقَةِ كَالْحِكْمَةِ لِلْقُدْرَةِ بَلْ هِيَ مِنْ جُمْلَةِ الْحِكْمَةِ. وَأَمَّا الْفَنَاءُ؛ فَهُوَ الْغَيْبَةُ عَنْ حَسَنِ الْكَائِنَاتِ بِشُهُودِ الْمَعَانِي. وَالْبَقَاءُ: شُهُودُهُمَا مَعاً. فَيُغْطِي كُلُّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ. وَيُؤْفِي كُلُّ ذِي قِسْطٍ قِسْطَهُ وَالسُّكْرُ هُوَ عَيْنُ الْفَنَاءِ. وَالصُّحُوحُ عَيْنُ الْبَقَاءِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. فَالْتَّمِيزُ هُوَ الْمُفَسِّرُ لِمَا انْبَهَمَ مِنَ الذُّوَاتِ مَعَ الْمَعَانِي، فَيُمَيِّزُ بَيْنَهُمَا، وَيَقُومُ بِحَقِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

بَابُ الاستثناء: الاستثناء لغة: إخراج الشيء مما دَخَلَ فيه غيره، وإدخال الشيء فيما خرج منه غَيْرُهُ. وفي الاصطلاح: الإخراج بِلَا أو إحدى أخواتها تحقيقاً أو تقديرًا من مذكور أو متروك. بشرط الإفادة. فقوله تعالى تحقيقاً: إشارة إلى الاستثناء المُتَّصِل أو تقديرًا، إشارة إلى الاستثناء: المنقطع ما كان المستثنى من غير المستثنى منه. نحو: قام القوم إلا حماراً. ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾. إلا الموت الأولى، وقوله: من متروك أو مذكور إشارة إلى التام والناقص، وسيأتي. وقوله: بشرط الفائدة. فخرج لنحو: ما ضربت إلا ضرب إذ لا فائدة فيه. ثم ذكرت الأدوات فقال: (ص) وحروف الاستثناء ثمانية؛ وهي إلا وغير، وكسوى وسوى وسواء وخلاً وعداً وحاشاً. (ش) قلت: أطلق عليها حروفاً تغليبا، وإلا فمنها ما هي حروف باتفاق. وهي إلا. ومنها ما اسم باتفاق؛ وهو غير وسوى؛ كَرَضِي. وسوى كَهْدِي. وسواء، كَسَمَاء. ويُقال: سواء كِبَاء. ومنها ما هي مترددة بين الفعلية والحرفية. وهي خلا وعداً وحاشاً. فإن جَرَتْ فهي حروف وإن نصبت فهي أفعال، ما لم تتصل خلا وعداً بـمَا. وإلا تعيَّنت فعليتهما. ثم ذكر حكم المستثنى فقال. (ص) فالمستثنى بِلَا يُنْصَبُ (ش) أي وجوباً، كان متصلاً أو منقطعاً (ص) إذا كان الكلام موجباً تاماً. (ش) فالموجب هو الذي يتقدمه نفي أو شبهة. والتام هو الذي يُذكر المستثنى معه قَبْلَ إلا. (ص) نحو قولك قام القوم إلا زيدا (ش) أي أو إلا حماراً (ص) وخرج الناس إلا عَمراً (س) أي أو إلا حماراً. (ص) وإذا كان الكلام منفيًا (ش) أي بأن تقدمه نفي أو نهي أو استفهام إنكاري (ص) تاماً (ش) بأن ذكر فيه المستثنى منه. (ص) جاز فيه البَدَل والنَّصْبُ (ش) أي إذا كان متصلاً (ص) نحو: ما قام أحد إلا زيد. (ش) بالرفع على البَدَل من أحد. ويجب في بَدَل البغض من الكل، اتصاله بضمير المُبَدَل منه لفظاً أو تقديرًا؛ وهو هُنَا مُقَدَّر، أي إلا زيد منهم. (ص) وإلا زيدا (ش) بالنَّصْب على الاستثناء. وإذا كان الاستثناء منقطعاً، وجب النَّصْبُ عند الحِجَازِيَيْنِ. نحو: ما قام أحد إلا حماراً. وبلغتهم جاء القرآن. نحو قوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظُّلُمِ﴾. وترجم عند تميم، ويقرؤون إلا اتباع بالرفع اتباعاً للمحل. وفي الألفية:

وَالنَّصْبُ مَا انْقَطَعَ وَعَنْ تَمِيمٍ فِيهِ إِبْدَالٌ وَقَعَ

هذا إذا لم يتقدم المستثنى منه وإلا فالنَّصْبُ عند الجميع. قال الشاعر:

مَالِي إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شَيْبَةَ وَمَالِي إِلَّا شَعْبَ الْحَقِّ مَشْعَبَ

والاتباع قليل ذكر يونس: مالي إلا أخوك ناصر. (ص) وإذا كان الكلام ناقصاً (ض) بأن لم يذكر فيه المستثنى منه، ويُسمى مُفْرَغاً. (ص) كان على حسب العوامل (ش) أي كان إلا كالعدم. (ص) نحو ما قام إلا زيد، وما ضربت إلا زيدا، وما مرزت إلا يزيد. (ش) وإذا تعددت المستثنيات، جعل واحد منها على ما تقدم، ونصب الباقي وجوباً، نحو ما قام أحد ألا زيدا إلا خالداً إلا بشراً. (ص) والمستثنى بغير وسوى وسواء مجرور لا غير (ش) أي بالإضافة، فلا يجوز فيما بعدها إلا الجز. وأما هي فتعرب إعراب الاسم الذي بعد إلا. فإن كان الكلام موجباً تاماً وجب نصبها على الحال، وإن كان منقياً تاماً جاز فيها البدل والنصب نحو ما قام أحد غير زيد وغير زيد. وإن كان ناقصاً كانت على حسب العوامل، نحو ما قام غير زيد. وما ضربت غير زيد. وما مرزت غير زيد. وكذلك سوي وسوى. ويُقدَّر فيها الإعراب (ص) والمستثنى بخلاً وعداً وحاشاً؛ يجوز نصبه وجره. (ش) وإن نصبت فأفعال. وإن جرزت فحروف. (ص) نحو ما قام القوم خلاً زيدا وزيد. وعداً عمراً وعمرو. وحاشاً زيدا وزيد. (ش) فخلاً فعل ماض جامد. والفاعل مستتر يعود على التبعض المدلول عليه بالكلية السابقة. وزيداً مفعول خلا. وجُملة خلاً زيداً في موضع الحال مستأنفة فلا موضع لها. وإن جرزت ما بعدها فخلاً حرف جر، وزيد مجرور بها. وموضع خلاً ومجرورها نصب. إما من تمام الكلام أو بالفعل السابق. وعداً وحاشاً على وزن ما قبله جُملة وتفصيلاً. وبقي على المصنّف. المستثنى بليس. ولا يكون. والعذر له. إنه اكتفى عنهما بما تقدم في كان وأخواتها، لأن خبر ليس وكان تقول: قام القوم ليس زيدا. ولا يكون زيدا أي ليس بعضهم أو لا يكون بعضهم زيدا. والله تعالى أعلم.

الإشارة: المستثنى من الفرع الأكبر، هو من فضل الإيمان والطاعة، أو مقام الإحسان والمعرفة، وأسباب النجاة منه ثمانية: التقوى ظاهراً وباطناً. واتباع السنة قولاً وفعلًا. والصبر على الطاعة وعن المعصية، وفي النعمة والبلية، والرضى عن الله في الجلال والجمال. والتوكل عليه في المنع والعطاء، والورع عن المحرم والمكروه والزهد في الفضول من كل شيء، ومراقبة الله في السر والعلانية. فمن حصل هذه الأمور كان من الذين قال الله فيهم: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَجُ الْأَكْبَرُ وَتَلَقَّيْنَاهُمْ أَلْتَلَيْكَةً هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾. ويكون ممن استثنى الله بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ومن غلبه القدر فالتوبة معروضة. وبالله التوفيق.

باب لا: أي التي لنفي الجنس. وتسمى لا التبرية؛ لأنها تنفي الجنس، فكأنها تدل على البراءة من ذلك الجنس. والأصل فيها ألا تعمل لعدم اختصاصها بالأسماء. لكن إذا قصد بها نفي الجنس على سبيل الاستغراق، ونص العموم عملت بالحمل، على أن المؤكدة في الإثبات وهي مؤكدة في النفي، والشيء يُحمل على ضده. كما يُحمل على يده. ولما كان عملها بالحمل، جعلوا لها شروطاً ستة. أولها: أن تكون ثابتة لا زائدة. ثانيها: أن تكون لنفي الجنس، لا لنفي الوحدة. ثالثها: أن تكون نصاً في العموم. رابعها: أن يكون معمولها نكرة اسمها وخبرها. خامسها: أن تكون متصلة باسمها. سادسها: ألا يدخل عليها حرف جر. وقد نظمهم بعضهم في بيت فقال:

لنفي جنس منكر نصاً وصل بلا ولا جر شروطاً لا عمل
زاد بعضهم سابعاً؛ وهو أن لا يكون اسمها معمولاً لغيرها. كقوله تعالى: ﴿لَا مَرَحًا لَهُمْ﴾. فإنه معمول لمقدر. أي لا يقال لهم: لا مرحباً بهم. أي وجدتم مكاناً رخباً، فإن توفرت هذه الشروط، وجب عملها، تكررّت أم لا؛ وهو ظاهر كلام صاحب الألفية، حيث قال:

عمل أن اجعل لإلافي نكرة مفسدة جأءك أو مكررة
خلاف ظاهر كلام المصنف حيث قال: (ص) اعلم أن لا تنصب النكرة بغير تنوين إذا باشرت النكرة ولم تتكرر لا. (ش) فظاهرة، أن عدم التكرار شرط. وليس كذلك. وإنما المدار على توفر الشروط. فإن توفرت وجب العمل؛ وهو البناء على الفتح في النكرة المفردة، والنصب في غيرها، وقوله: تنصب النكرة. ظاهرة أنه نصب إعراب؛ وهو مذهب الجرمي والزجاجي، والسيرافي. وحذف التنوين عندهم تخفيفاً. ومذهب البصريين أنه مبني معها. إن كان نكرة مفردة. وينصب إن كان مضافاً أو شبيهاً به. والمراد بالمفرد هنا ما ليس مضافاً ولا شبيهاً بالمضاف. فيصدق بالمفرد، نحو: لا يتبع فيه. وبالمثنى كقول الشاعر:

تعرّ فلا القين بالعيش متعاً ولكن يوراد المنون تتابع
أي نصبر على فراق الأحباب. فلا حبيين متعا بالعيش الدائم. ولكن لشراب كأس المنون، تتابع وتوارد، والمنون بفتح الميم: الموت. وبالجمع، نحو لا رجال ولا مسلمين، فينتى على الفتح أو نائبة. وبالجمع المؤنث، كقول الشاعر:

إِنَّ الشَّبَابَ الَّذِي مَجَّدَ عَوَاقِبَهُ فِيهِ تِلْذُزٌ وَلَا لَذَاتٌ لِلشَّيْبِ
إِلَّا أَنْ جُمِعَ الْمُؤْنَتُ، يَجُوزُ فِيهِ الْفَتْحُ وَالْكَسْرُ، فَيُرَوَى لَا لَذَاتَ بِالْفَتْحِ
وَالْكَسْرِ، وَاخْتَلَفَ فِي عِلَّةِ بَنَائِهِ. فَقِيلَ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى مِنَ الْاسْتِغْرَاقِيَّةِ، بِدَلِيلِ
ظَهْوَرِهَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَقَامَ يَذُودُ النَّاسَ عَنْهَا بِسَيْفِهِ يَقُولُ إِلَّا لَا مِنْ سَبِيلٍ إِلَى هُنْدَ
وقيل لتركيب لَا مَعَ اسْمِهَا؛ تركيب خمسة عشر. وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِضَافًا، نَحْوُ
لَا غَلَامَ سَفَرٍ حَاضِرٍ، أَوْ شَبِيهَا بِالْمِضَافِ؛ وَهُوَ الَّذِي يَطْلُبُ مَا بَعْدَهُ. نَحْوُ: لَا مَارَأَ
بَزِيدٍ عُنْدَنَا، وَلَا طَالِمًا جَبَلًا حَاضِرًا. فَيَنْصَبُ اتِّفَاقًا ثُمَّ مِثْلُ فَقَالَ. (ص) نَحْوُ: لَا
رَجُلٌ فِي الدَّارِ (ش) ومثله: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَلَا نَافِيَةَ لِلْجَنَسِ. وَإِلَهُ اسْمُهَا مَبْنِي
عَلَى الْفَتْحِ. وَإِلَّا يُبْطَلُ التَّثْنِي. وَاللَّهُ يَدُلُّ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَتِرِ فِي الْخَبَرِ. أَيْ
مَوْجُودًا. وَفِي الْاسْتِقْرَارِ فِي الْوُجُودِ، أَوْ مِنْ اسْمٍ لَا بِاعْتِبَارِ مَحَلِّهِ، قَبْلَ دُخُولِ لَا؛
وَهُوَ الْابْتِدَاءُ؛ وَهُوَ ضَعِيفٌ. وَقِيلَ خَبَرٌ لَا. كَقَوْلِكَ: لَا عَالِمَ إِلَّا زَيْدٌ، وَقِيلَ مُبْتَدَأٌ.
وَلَا إِلَهَ خَبَرُهُ. وَالْأَضْلُ. اللَّهُ إِلَهُ، ثُمَّ قَدَّمَ الْخَبَرَ لِلْحَضَرِ، وَبُنِيَ مَعَ لَا. وَقِيلَ: نَائِبٌ
عَنِ الْفَاعِلِ، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى مَا لَهُ. أَيْ مَعْبُودٍ، وَالْمَعْنَى. لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ. فَهُوَ
نَظِيرُ قَوْلِكَ: لَا مَضْرُوبَ إِلَّا زَيْدٌ. وَقِيلَ مَرْفُوعٌ عَلَى الصِّفَةِ، بِاعْتِبَارِ مَحَلِّهِ. وَإِلَّا
بِمَعْنَى غَيْرٍ، وَلَمَّا كَانَتْ إِلَّا عَلَى صُورَةِ الْحَرْفِ. وَأَصْلُهَا الْحَرْفِيَّةُ، انْتَقَلَ إِغْرَابُهَا
إِلَى مَا بَعْدَهَا.

وَالْخَبَرُ حِينَئِذٍ مَحْذُوفٌ، أَيْ لَا إِلَهَ غَيْرَ اللَّهِ مُوْجُودٌ. وَيَجُوزُ فِيهِ التَّضْبُّ عَلَى
حَذْفِ قَوْلِكَ: مَا قَامَ أَحَدٌ إِلَّا زَيْدًا عَلَى مَا تَقَدَّمَ. أَوْ عَلَى أَنَّهُ صِفَةُ الْإِلَهِ بِاعْتِبَارِ مَحَلِّهِ،
بَعْدَ دُخُولِ لَا. وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ، أَيْ لَا إِلَهَ غَيْرَ اللَّهِ مُوْجُودٌ وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى
مَعْنَاهَا فِي الْإِشَارَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ ذَكَرَ مَفْهُومَ الشَّرْطِ فَقَالَ (ص) فَإِنْ لَمْ تَبَاشِرْهَا
(ش) أَوْ كَانَ مَدْخُولُهَا مَعْرِفَةً (ص) وَجَبَ الرَّفْعُ وَوَجِبَ تَكَرُّارُ لَا نَحْوُ: لَا فِي الدَّارِ
رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ (ش) ومثله «لَا فِيهَا عَوَّلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يَنْزِفُونَ». وَمِثَالُ الْمَعْرِفَةِ. لَا
زَيْدٌ فِي الدَّارِ وَلَا امْرَأَةٌ. تَنْبِيهِ: قَدْ تَنَكَّرُ الْمَعْرِفَةُ، وَيُقَصَّدُ شَيْوَعُهَا، فَتَدْخُلُ لَا
عَلَيْهَا، وَتُبْنَى عَلَى الْفَتْحِ، كَقَوْلِهِمْ: لَا هَيْثُمَ اللَّيْلَةُ الْمُطْيَى. وَهَيْثُمَ عَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ
كَانَ شَجَاعًا، أَيْ لَا مِثْلَ هَيْثُمَ، وَتَقُولُ: لَا حَاتِمَ عُنْدَنَا، قَالَ فِي التَّسْهِيلِ: وَقَدْ
يُؤْوَلُ غَيْرُ عَبْدِ اللَّهِ، وَعِنْدَ الرَّحْمَنِ بِنِكَرَةٍ، فَيُعَامَلُ مُعَامَلَتَهَا بَعْدَ نَزْعِ مَا فِيهِ، أَوْ مَا
أُضِيفَ إِلَيْهِ مِنْ أَلْفٍ وَلَا مِ. وَلَا يُعَامَلُ بِهَذِهِ الْمُعَامَلَةِ ضَمِيرٌ وَلَا اسْمٌ إِشَارَةً، خِلَافًا

للفرأء هـ. ثم قال المصنف (ص) فإن نكرث لأ. جازَ إعمالها وإلغائها. نحو. لا رَجَلَ في الدَّارَ وَلَا امرأة. (ش) أي بالإعمال. (ص) وإن شئت قلت: لا رَجُل في الدَّارَ وَلَا امرأة. (ش) أي بالإعمال. وتقدّم البحث فيه. والتحقيق: إنه إن قصّد الثُّفَيَّ على سبيل التنصيص، وجب البناء. تَكَرَّرَتْ أَمْ لَا. وإن قصّد الثُّفَيَّ على سبيل الظهور، ولم يرد التنصيص، وجب إعمالها، أو تعمل عمل ليس. قال الشيخ على بركة، رحمه الله. وقد يعتبر الجواز، بحسب إزادة المتكلم، وعدمه. بِمَعْنَى، أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ التَّنْصِيفَ، فَيَأْتِي بِهَا عَلَى مَقْتَضَى عَمَلِهَا فِي الْبَابِ. وَيَجُوزُ أَلَّا يُرِيدَهُ بَلْ يُبْقِي الْأَمْرَ عَلَى الظُّهُورِ، فَيَأْتِي بِهَا عَلَى الْإِلْغَاءِ، أَوْ عَمَلِ لَيْسَ. قَالَ: وَهَذَا وَاضِحٌ لِمَنْ أَنْصَفَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. تَمِيمٌ: يَجُوزُ فِي لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ خَمْسَةَ أَوجُهٍ: فَتَحُهُمَا، رَفَعُهُمَا، فَتَحَ الْأَوَّلَ، وَرَفَعَ الثَّانِي، وَنَصَبَهُ. رَفَعَ الْأَوَّلَ، وَنَصَبَ الثَّانِي. وَيَمْنَعُ رَفْعُ الْأَوَّلِ وَفَتْحُ الثَّانِي. فَرَعَ. يَجُوزُ حَذْفُ اسْمٍ لَا، وَإِبْقَاءُ خَبَرِهَا كَقَوْلِهِمْ: لَا عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ أَوْ لَا بَأْسَ أَوْ لَا شَيْءَ عَلَيْكَ. وَأَمَّا حَذْفُ خَبَرِهَا فَكَثِيرٌ، إِذَا ذَلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾. ﴿قَالُوا لَا صَبْرَ﴾. وَيُلْزَمُ حَذْفُهُ التَّيْمِيُونُ وَالطَّائِيُونُ. وَأَمَّا إِذَا جُهِلَ يَجِبُ ذِكْرُهُ. كَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ: «لَا أَحَدًا غَيْرَ اللَّهِ». وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الإشارة: تنفي الجنس، والبُعْدُ عن الحسن شرط في دخول حضرة القدس، ومحل الأئمة فرغ قلبك من الأغيار، تملأه بالمعارف والأسرار كيف يشرق قلب، صوّر الأشياء منطبعة في مِرَاتِيهِ، أم كيف يَرَحُلُ إِلَى اللَّهِ، وهو مكبل بشهوته، أم كيف يَدْخُلُ حَضْرَةَ اللَّهِ؛ وهو لم يتطهر من جَنَابَةِ عَفَلَاتِيهِ؛ ولهذا شرعت كلمة التوحيد وهي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ وهي تنفي الشرك الجلي والخفي. وتُطَهِّرُ الْقَلْبَ مِنَ الشَّوَاعِلِ وَالْعَلَائِقِ. فالعامة تنفي الشرك الجلي. أو نار أو غير ذلك ممن اعتقدت الْعَرَبُ وَأَهْلُ الضَّلَالَةِ، أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ مَعَ اللَّهِ. فَمَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا مُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ إِلَّا اللَّهُ؛ فهي تنفي استحقاق العبادة عَنْ غَيْرِ اللَّهِ. وتثبتها لله جَلَّ وَعَلَا. فقول الاستثنى هو الصواب. وَأَمَّا نَفْيُهَا لِلشَّرِكِ الْخَفِيِّ، فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا فَهُوَ عَبْدٌ لَهُ. وَمَنْ رَكَنَ إِلَى شَيْءٍ فَقَدْ تَأَلَّاهُ. وكذلك مَنْ خَافَ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ عَبْدُهُ، فإذا قال المؤمن: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَقَدْ أَخْرَجَ مِنْ قَلْبِهِ كُلَّ شَيْءٍ. مَالٌ إِلَيْهِ قَلْبُهُ، أَوْ خَافَ مِنْهُ؛ أَوْ طَمَعَ فِيهِ. فَمَعْنَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. لَا حَبِيبَ لِي، وَلَا مَعْبُودَ لِي إِلَّا اللَّهُ. أَوْ لَا رُكُونَ لِي إِلَّا إِلَهُ شَيْءٍ، وَلَا خَوْفَ لِي مِنْ شَيْءٍ إِلَّا اللَّهُ. فكل واحد ينفي ما في قلبه مِنَ الْأَغْيَارِ. فَأَوَّلُهَا تَخْلِيَةٌ، وَآخِرُهَا تَحْلِيَةٌ. وَلِذَلِكَ كَانَ بَعْضُهُمْ إِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ. أَشَارَ بِرَأْسِهِ إِلَى نَاحِيَةِ قَفَاهُ، كَمَنْ يَزِيحُ شَيْئًا. وَإِذَا قَالَ: إِلَّا اللَّهُ أَشَارَ بِرَأْسِهِ إِلَى قَلْبِهِ. لِيَتِمَّ كُنْ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ. هَكَذَا يَسْتَمِرُّ، حَتَّى لَا يَجِدَ مَا يَنْفِي، فَيَزِي أُنَّ اللَّهُ تَعَالَى يُوَحِّدُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ. وَيُخْبِرُنَا: أَنَّهُ لَا إِلَهَ سِوَاهُ. فَحِينَئِذٍ يَقُولُ: اللَّهُ اللَّهُ، ثُمَّ هُوَ هُوَ، ثُمَّ يَغْرُقُ فِي بَحْرِ الْأَحَدِيَّةِ. فَيَضْمُتُ اللَّسَانُ وَيُثَبِّتُ الشَّهَادَةُ وَالْعِيَانُ. وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ.

بَابُ الْمُتَنَادِي: وَهُوَ اسْمُ مَفْعُولٍ، مِنْ نَادَيْتِهِ نِدَاءٌ بِكَسْرِ الثَّوْنِ فِي الْأَشْهَرِ. وَيَجُوزُ الضَّمُّ. وَهَمْزَتُهُ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ. لِقَوْلِهِمْ: نَدَوْتُ الْقَوْمَ نَدْوًا. أَيْ جَلَسْتُ مَعَهُمْ فِي النَّادِي؛ وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يُنَادِي فِيهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. قَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ قَوْمِ لُوطٍ: ﴿وَتَأْتُونَكَ فِي نَكَاحِكُمُ النَّكَرَ﴾. أَيْ فِي مَجْلِسِكُمْ وَمَجْمَعِكُمْ. وَفِي اللَّغَةِ: الدَّعَاءُ لِعَاقِلٍ مُجِيبٍ. أَوْ لَغَيْرِ الْعَاقِلِ عَلَى طَرِيقِ التَّذَكُّرِ وَالتَّنْذِيرِ. كَنِدَاءِ الْأَطْلَالِ وَالذِّيَّارِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: أَلَا يَا ذَا مِتَّةٍ بِالْعِلْيَاءِ فَالسُّنْدُ هـ. وَحَيَّاكَ اللَّهُ يَا جَمْلُ أَلَا يَا سَدَبَ الْقَطَا مَهْلٍ مِنْ يَبْعِرُ جَنَاحَهُ الْخ. وَفِي الْأَصْطِلَاحِ: الدَّعَاءُ بَيَاءً أَوْ إِخْذِي أَخَوَاتِهَا. فَإِذَا قُلْتَ: أَذْعُوكَ أَوْ أَقْبِلْ عَلَيَّ. أَوْ إِخْضِرْ، وَقَصَّدْتَ بِذَلِكَ الْإِنْشَادَ. كَانَ نِدَاءً لَغَةً لَا عَرَفًا. وَإِذَا قُلْتَ: يَا زَيْدُ، كَانَ نِدَاءً لَغَةً وَعَرَفًا. وَحُرُوفُ النِّدَاءِ ثَمَانِيَةٌ: الْهَمْزَةُ، وَأَيُّ مَقْصُورَتَيْنِ وَمَمْدُودَتَيْنِ، وَيَاءٌ وَأَيُّا، وَهَيَّا، وَوَأَفِي الثُّدْبَةُ. فَالْهَمْزَةُ الْمَقْصُورَةُ لِلْقَرِيبِ. إِلَّا إِذَا نُزِلَ مَنزِلَةُ الْبَعِيدِ، لَنُومٍ أَوْ سَهْوٍ. فَيُنَادِي بِمَا لِلْبَعِيدِ؛ وَهُوَ مَا سِوَى الْهَمْزَةِ. وَقِيلَ: الْهَمْزَةُ الْمَقْصُورَةُ لِلْقَرِيبِ. وَالْمَمْدُودَةُ لِّلْمَتَوَسُّطِ. وَالْبَاقِي لِلْبَعِيدِ. وَأَعَمَّهَا دُخُولُ الْيَاءِ، وَتَعَيَّنَ فِي اسْمِ الْجَلَالَةِ، وَفِي الْاسْتِغَاثَةِ، نَحْوُ: يَا أَلَلَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا قُلْتَ: اللَّهُ تَعَالَى أَقْرَبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَكَيْفَ يَنَادِي بِمَا لِلْبَعِيدِ، نَحْوُ: يَا رَحْمَنُ، بِاللَّهِ. فَالْجَوَابُ إِنْ الْمُتَنَادِي يَسْتَصْفِرُ نَفْسَهُ وَيُنْزِلُهَا مَنزِلَةَ الْبَعِيدِ تَوَاضَعًا وَاحْتِقَارًا لِنَفْسِهِ. ثُمَّ ذَكَرَ أَحْكَامَ الْمُتَنَادِي فَقَالَ: (ص) الْمُتَنَادِي خُمْسَةُ أَنْوَاعٍ: الْمَفْرُودُ الْعَلَمُ، وَالتَّنْكِيرَةُ الْمَقْصُودَةُ. وَالنَّكْرَةُ غَيْرُ الْمَقْصُودَةِ. وَالْمُضَافُ، وَالْمُشَبَّهُ بِالْمُضَافِ. (ش) قُلْتَ: الْمُرَادُ بِالْمَفْرُودِ هُنَا: مَا لَيْسَ مُضَافًا وَلَا شَبِيهًا بِهِ. فَيَصْدُقُ بِالْمَفْرُودِ وَالْمُشْتَى وَالْجَمْعِ. نَحْوُ: يَا زَيْدُ، وَيَا زَيْدَانِ، وَيَا زَيْدُونَ. وَالْمُرَادُ بِالنَّكْرَةِ الْمَقْصُودَةُ: مَا عَيَّنَتْهُ وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ، سِوَا مَا كَانَتْ مُفْرَدَةً أَوْ مَثْنًا. أَوْ مَجْمُوعَةً، نَحْوُ: يَا رَجُلًا، يَا رَجُلَيْنِ. وَيَا رَجُلًا. وَيَا نِسَاءً، وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَالنَّكْرَةُ غَيْرُ الْمَقْصُودَةِ، هِيَ غَيْرُ الْمَعْيَنَةِ كَقَوْلِ الْأَعْمَى: يَا رَجُلًا خُذْ بِيَدِي، وَكَقَوْلِ الْوَاعِظِ: يَا غَافِلًا وَالْمَوْتَ يَطْلُبُكَ. وَسِوَا مَا كَانَتْ أَيْضًا مُفْرَدَةً أَوْ مَثْنًا أَوْ مَجْمُوعَةً، نَحْوُ: يَا رَجُلَيْنِ وَيَا رَجُلًا. وَالْمُرَادُ بِالْمُضَافِ مَا أُضِيفَ إِلَى مَا بَعْدَهُ. نَحْوُ: يَا عَبْدَ

اللَّهُ. وَيَا صَاحِبِي السُّجُن. مفرداً كَانَ أَوْ مثنى أَوْ مَجْموعة، والمشبّه بالمضاف، ما عمل فيما بَعْدَهُ. مطلقاً. نحو: يَا طَالِعاً جَبَلًا. وَيَا رَجِيماً بِالْعِبَادِ. وقد يُقَالُ: هو ما اتَّصَلَ به شيء من تمام معناه. فَيَدْخُلُ فيه، يَا حَاضِراً لَأَيِّغِبُ. وَيَا ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ، مسمًى به، ثم أشار إلى بَيَانِ حُكْمِهَا، فِي الْبِنَاءِ وَالْإِعْرَابِ فَقَالَ. (ص) فَأَمَّا الْمُفْرَدُ الْعَلَمُ، وَالنَّكْرَةُ الْمَقْصُودَةُ فَيَبْنِيَانِ عَلَى الضَّمِّ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ مَا فِيهِمَا مِنَ الشَّبَهِ بِضَمِيرِ الْخَطَابِ، وَإِمَّا لِإِجْرَائِهِمَا مَجْرَى الْأَصْوَاتِ؛ وَنُسَبَ لِسَبِيئِيهِ. وَقَوْلُهُ عَلَى الضَّمِّ. الصُّوَابُ أَنْ يَقُولَ: فَيُبْنِيَانِ عَلَى مَا يُغْرَبَانِ بِهِ، لِيَشْمَلَ الْمَفْرَدَ وَالْمَثْنَى وَالْمَجْمُوعَ بِأَنْوَاعِهِ. (ص) نَحْوُ يَا زَيْدُ وَيَا رَجُلُ (ش) وَيَا زَيْدَانِ وَيَا زَيْدُونِ، وَيَا هُنْدَاتِ، وَيَا رَجَالَ وَيَا هُنُودَ، وَعِبَارَةُ الْخِلَاصَةِ أَكْمَلُ حَيْثُ قَالَ:

وَابْنُ الْمُعَرَّفِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدَا عَلَى الَّذِي فِي رَفْعِهِ قَدْ عُمِدَا
وَكَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْأَصْلُ: الْبِنَاءُ عَلَى الضَّمِّ، وَمَا سِوَاهُ فَرَعَ: اقْتَضَى عَلَى الضَّمِّ. وَمَا كَانَ مَبْنِياً قَبْلَ النَّدَا تَوَى ضَمُّهُ، نَحْوُ: يَا هَؤُلَاءِ، وَيَا سَبِيئِيهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَيُظْهَرُ أَثَرُ ذَلِكَ فِي التَّابِعِ. تَقُولُ: يَا سَبِيئِيهِ الْعَالِمُ بِالرَّفْعِ. مُرَاعَاةً لِلضَّمَّةِ الْمُنَوِيَةِ. وَيُنْضَبُ مُرَاعَاةً لِلْمَحَلِّ؛ لِأَنَّ مَحَلَّهُ نَضْبٌ لِأَنَّ الْيَاءَ نَائِبَةٌ عَنْ ادْعَاوٍ. وَيَجُوزُ أَيْضاً الضَّمُّ وَالْفَتْحُ فِي قَوْلِكَ، يَا زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو، وَيَا هُنْدُ بِنْتُ سَعْدٍ. أَوْ عَطَفَ بَيَانٍ. فَإِنْ كَانَ التَّابِعُ مضافاً دُونَ الِ، وَجَبَ نَضْبُهُ، نَحْوُ يَا زَيْدُ ذَا الْخَيْلِ، وَيَا تَمِيمَ كُلِّهِمْ، وَيَا عَلِيَّ زَيْنَ الْعَابِدِينَ، اتِّبَاعاً لِلْمَحَلِّ. وَإِنْ كَانَ مَقْرُوناً بِأَلٍ أَوْ غَيْرِ مُضَافٍ. أَوْ مضافاً مَقْرُوناً بِأَلٍ. فَفِيهِ وَجْهَانِ: الرَّفْعُ مُرَاعَاةً لِلظَّاهِرِ، وَالنَّضْبُ مُرَاعَاةً لِلْمَحَلِّ، نَحْوُ يَا زَيْدَ الْعَالِمِ، وَيَا تَمِيمَ أَجْمَعِينَ. وَيَا زَيْدَ الْحَسَنِ الرَّجُلِ. وَإِنْ كَانَ التَّابِعُ بَدَلاً، أَوْ عَطَفَ نَسَقٌ، جُعِلَ كَأَنَّهُ مُسْتَقِلٌّ بِالنَّدَاءِ؛ لِأَنَّ الْبَدَلَ وَعَطَفَ النَّسَقِ عَلَى نِيَّةِ تَكَرُّرِ الْعَامِلِ. تَقُولُ: يَا زَيْدُ بَشَرٍ. وَيَا زَيْدُ كَرَزٍ بِالضَّمِّ فَقَطْ. وَتَقُولُ: يَا زَيْدُ أَخَانًا، وَيَا زَيْدًا أَخَانًا بِالنَّضْبِ فَقَطْ. إِلَّا أَنَّ النَّسَقَ مَقْرُوناً بِأَلٍ فَفِيهِ وَجْهَانِ، وَرَفَعَ يَنْتَقِي، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَلَا يَا قَيْسَ وَالضُّحَاكَ بَرًّا فَقَدْ جَاوَزْتُ مَا خَذَ الطَّرِيقَ

وهَذَا فِي غَيْرِ تَابِعٍ أَيْ. وَأَمَّا تَابِعُهَا فَوَاجِبُ الرَّفْعِ، نَحْوُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ «يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ»؛ لِأَنَّ هَذِهِ نَكْرَةٌ مَقْصُودَةٌ وَلَا تَسْتَعْمَلُ فِي النَّدَائِ إِلَّا كَذَلِكَ. وَهِيَ وَضَلَةٌ لِنَدَاءٍ مَا فِيهِ أَلٍ إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ يَاءٍ، وَأَلٍ. إِلَّا مَعَ اللَّهِ. وَمَخْرَجِي الْجَمَلِ، نَحْوُ يَا اللَّهُ، يَا مُنْطَلِقُ زَيْدٍ مَسْمًى بِهِ. وَيَا لَخَلِيفَةِ هَيْبَةٍ. لِأَنَّهُ فِي

الْمَغْنَى. يا مثل الخليفة وَكَثُرَ في نداء اسم الجلالة حَذَفَ اليَاءَ، وتعويض الميم المشددة عنها، نحو: اللَّهُمَّ، وَلَا يُجْمَعُ بَيْنَهُمَا إِلَّا فِي الضَّرُورَةِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: إِنِّي إِذَا حَدَّثْتُ أَلَمَّا أَقُولُ يَا اللَّهُمَّ يَا اللَّهُمَّ.

تنبيه: يجوز نداء ضمير المتكلم أو المخاطب دُونَ الْغَيْبَةِ، إِذْ لَا يُمَكِّنُ نداء الْغَائِبِ. وقول الصوفية: يَا هُوَ، بَلْ يَبْقَى عِنْدَهُمْ غَائِبًا، بَلْ صَارَ قَرِيبًا مُتَعَيِّنًا. إِذْ لَمْ يَبْقَ نَظَرُهُمْ إِلَّا هُوَ لَا نَطْبَاقَ بَخْرِ الْأَحَدِيَةِ عَلَيْهِمْ. فَلَمْ يَرَوْا سِوَاهُ. وقال القشيري: هُوَ عِنْدَهُمْ عَلَمٌ عَلَى الذَّاتِ، فَلَيْسَ هُوَ عِنْدَهُمْ ضَمِيرًا. وَإِنَّمَا هُوَ اسْمٌ لِلْهُوِيَةِ الْحَقِيقَةِ الْفَرْدَانِيَّةِ. واعتراض أَبِي حَيَّانَ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ مَقْصِدَهُمْ. «قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنْاسٍ مَشْرَبَهُمْ» والله تعالى أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ الْمُصَنِّفُ. (ص) وَالثَّلَاثَةُ الْبَاقِيَةُ مَنْصُوبَةٌ لَا غَيْرَ. (ش) قُلْتُ: الثَّلَاثَةُ الْبَاقِيَةُ: هِيَ النِّكَرَةُ غَيْرُ الْمَقْصُودَةِ. وَالْمُضَافِ وَالْمُشَبَّهِ بِالْمُضَافِ، فَمِثَالُ غَيْرِ الْمَقْصُودَةِ قَوْلُ الْوَاعِظِ: يَا غَافِلًا، وَالْمَوْتَ بَطْلِبِهِ. وَقَوْلُ الْأَعْمَى، يَا رَجُلًا خَذْ بِيَدِي. وَمِثَالُ الْمُضَافِ. يَا عَبْدَ اللَّهِ. وَيَا أَبَنًا، وَمِثَالُ الْمُشَبَّهِ بِالْمُضَافِ، وَيُقَالُ لَهُ الْمَطْوُولُ، يَا طَالِعًا جَبَلًا، وَيَا رَفِيقًا بِالْعِبَادِ. وَيَا ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ، مَسْمُومِي بِهِ. وَإِنْ نَادَيْتَ جَمَاعَةً هَذِهِ عَدَّتُهُمْ فَإِنْ لَمْ تَعَيِّنْهُمْ فَقَدْ لَكَ. وَإِنْ عَيَّنْتَهُمْ قُلْتُ: يَا ثَلَاثَةَ وَالثَّلَاثُونَ، بِنَاءِ الْأَوَّلِ وَتَعْرِيفِ الثَّانِي. وَيَجُوزُ فِيهِ الرِّفْعُ وَالتَّضْبِيبُ كَمَا تَقَدَّمَ. وَيَدْخُلُ فِي هَذَا. النِّكَرَةُ الْمَوْصُوفَةُ بِجُمْلَةٍ نَحْوِيًّا عَظِيمًا، يَرْجَى لِكُلِّ عَظِيمٍ، وَيَا حَاضِرًا لَا يَغِيبُ. فَيَتَعَيَّنُ تَضْبِيبُهُ عَلَى الْمَشْهُورِ. وَقَوْلُ الْمُصَنِّفِ لَا غَيْرَ. لَا نَافِيَةَ، تَعْمَلُ عَمَلُ لَيْسَ. وَغَيْرُ اسْمِهَا مَبْنِيٌّ عَلَى الضَّمِّ أَقْطَعَهُ عَلَى الْإِضَافَةِ، وَخَبَرَهَا مَحذُوفٌ، أَيْ لَا غَيْرَ التَّضْبِيبِ جَائِزًا، وَأَنْكَرَهُ فِي الْمَغْنَى، وَقَالَ: إِنَّهُ لِحَقٌّ وَالْمَشْهُورُ جَوَازُهُ، بِدَلِيلِ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

لِعَمْرِكَ مَا أَسْلَفْتُ لَا غَيْرَ تُسْتَلِ . . . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الإشارة: الْمُتَادِي فِي الْأَزْمَاتِ وَالْمَارِبِ خُمُسَةُ الْمَفْرَدِ الْعِلْمِ؛ وَهُوَ الْحَقُّ جَلُّ جَلَالِهِ، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِالذَّاتِ، وَالْأَرْبَعَةُ وَسَائِلُ. وَقَدْ يُطْلَقُ الْمَفْرَدُ الْعِلْمُ عَلَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لِانْفِرَادِهِ بِالْكَمَالَاتِ، وَظُهُورِهِ بِالْمُعْجَزَاتِ، ظُهُورُ نَارِ الْبَقَرَى لَيْلًا عَلَى عِلْمٍ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ صَاحِبُ الْبُرْدَةِ بِقَوْلِهِ: خَفَضْتُ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ . . . نَوْدِيْتُ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمَفْرَدِ الْعِلْمِ. وَلَا شَكَّ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَابُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، وَشَفِيعَةُ الْأَكْرَمِ بِهِ تَفَرَّجُ الْكُرْبِ، وَتَقْضَى الْمَارِبُ. وَلِلَّهِ دُرُّ الْقَائِلِ، سَيِّدِي مُحَمَّدُ الْبَكْرِيُّ الصَّدِيقِيُّ حَيْثُ قَالَ:

فَلذِّبِهِ فِي كُلِّ مَا تَرْتَجِي فَهُوَ شَفِيعٌ دَائِمًا يُقْبَلُ
وَعِذِّبِهِ فِي كُلِّ مَا تَخْتَشِي فَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمُؤْمَرُ
والنكرة المقصودة؛ وهي سِرِّ الْوَلَايَةِ، فمن ظفر بها كان باباً من أبواب الله
يفزع إليه في الشدائد وتُقضى بشفاعته الحوائج لأنه نائب عن الرسول الذي هو
الحجاب الأعظم، وإنما فَسَّرْنَا النكرة المقصودة هُنَا، بِسِرِّ الْخُصُوصِيَّةِ؛ لأنها تنكر
أولاً، وتقصد ثانياً بعد التَّمَكُّنِ مِنْهَا، يظهر الله صاحبها بَعْدَ الْخُفَاءِ، لينتفع به
العباد. وتحيا بِهِ الْبِلَادُ. والنكرة غير المقصودة هي الْخُصُوصِيَّةُ الَّتِي بَقِيَتْ عَلَى
حَالِ الْخُفَاءِ، حتى مات صاحبها؛ فَهُوَ كَثُرَ مِنْ كُتُوزِ الْحَقِّ. وَعَرُوسُ الْحَضْرَةِ لَا
يعرفه إِلَّا أَمْثَالُهُ. ومن قرب منه، والمُضَافُ إِلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ؛ بِالتَّوْبَةِ وَالْخِدْمَةِ. وهو
مُلْحَقٌ بِهِمْ فِي الْمَالِ. والمُشَبَّهُ بِالْمُضَافِ؛ وَهُوَ مَنْ تَرَى بَرِيَّةً وَاتَّسَبَّ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ نَاهِضَةٌ لِلظُّفْرِ بِسِرِّهِمْ، فَلَا شَكَّ أَنَّ تَلْحَقَهُ بِرَكَاتِهِمْ، وَتَنْسَجِبُ إِلَيْهِ أَنْوَارُهُمْ.
كما قال القائل:

لِي سَادَاتُ مَنْ حَبَّبَهُمْ أَقْدَامُهُمْ قَوْقُ الْجَبَاهِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ قَلْبِي فِي حَبِّهِمْ عَزَّ وَجَاهُ

فأما المفرد العلم، ويُراد به الرسول عليه السلام، والنكرة المقصودة، فيسبى
أَمْرُهُمْ عَلَى الضَّمِّ عَلَى اللَّهِ، وَالْجَمِيعُ بِاللَّهِ مِنْ غَيْرِ ثَنُوِيَةِ الْأَثَرِ بِشُهُودِ الْمُؤَثِّرِ. فَلَا
يَفْتَرِقُونَ عَنْهُ سَاعَةً. وَالثَّلَاثَةُ الْبَاقِيَةُ مَنْصُوبَةٌ لِلْمَقَادِيرِ. يَجْرِي عَلَيْهِمْ مَا كَتَبَ لَهُمْ مَعَ
السُّكُونِ تَحْتَ مَجَارِيهِ. إِنْ قَرَّبَهُمْ فَبِفَضْلِهِ، وَإِنْ قَرَّبَهُمْ فَبِعِذْلِهِ. وَالسُّرُّ مِنْ أَجْلِهِ؛
يَجْلُو. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

بَابُ الْمَفْعُولِ مِنْ أَجْلِهِ: وَيُقَالُ لَهُ: الْمَفْعُولُ لَهُ، وَالْمَفْعُولُ لِأَجْلِهِ. وَحَذَاهُ فِي
التَّشْبِيهِ بِقَوْلِهِ: هُوَ الْمَصْدَرُ الْمُعْلَلُ، بِهِ حَدَّثَ مَشَارِكُهُ، ظَاهِرًا أَوْ مَقْدَرًا. وَالْفَاعِلُ
تَقْدِيرًا أَوْ تَحْقِيقًا هـ. وَقَالَ الْفَاكِهِي: هُوَ الْمَصْدَرُ الْقَلْبِيُّ الْفُضْلَةُ، الْمَحْدَثُ لِحَدَثِ
مَشَارِكِهِ. وَقَتًا، وَفَاعِلًا، وَعَرَفَهُ الْمُصَنِّفُ بِقَوْلِهِ: (ص) وَهُوَ الْأَسْمُ الْمَنْصُوبُ الَّذِي
يُذَكَّرُ بَيَانًا لِسَبَبِ وَقُوعِ الْفِعْلِ. (ش) فَخَرَجَ بِالْأَسْمِ: الْفِعْلُ وَالْحَرْفُ، وَبِالْمَنْصُوبِ
الْمَجْرُورِ. وَبِالَّذِي يُذَكَّرُ الْخَ سَائِرُ الْمَنْصُوبَاتِ، مَا عَدَا الْمَفْعُولَ لَهُ. فَالْمَفْعُولُ لَهُ،
هُوَ الَّذِي يُذَكَّرُ عِلَّةً وَبَاعِثًا لِلْفِعْلِ الْوَاقِعِ. فَإِذَا قُلْتَ: قَمْتُ، ذَلَّ عَلَى أَنَّهُ وَقَعَ مِنْكَ
قِيَامٌ. وَلَا يَذَرِي مَا عَلَنَهُ، وَلَا الْبَاعِثَ عَلَيْهِ، فَإِذَا قُلْتَ: إِجْلَالًا وَمَحَبَّةً، فَقَدْ بَيَّنَّتَ

عِلَّةُ الْقِيَامِ. فالمراد، بِالْفِعْلِ اللُّغَوِيِّ فَيُضَدُّ بِالْمَضَدِّ وَالْفِعْلُ الْعُرْفِيُّ. نحو: كَانَ قِيَامِي إِجْلَالًا، وَسَوَاءٌ كَانَ بَاعثًا وَعِلَّةً، أَوْ بَاعَثًا فَقَطْ كَقَعْدَتْ عَلَى الْحَرْبِ حِينًا. وَيَشْتَرِطُ فِي نَضْبِهِ خَمْسَةُ شُرُوطٍ: الْأَوَّلُ: كَوْنُهُ مُصَدَّرًا، فَلَا يَجُوزُ جَنْثُ السَّمَنِ وَالْعَسَلِ. الثَّانِي: كَوْنُهُ قَلْبِيًّا كَالرَّغْبَةِ وَالْإِجْلَالِ، فَلَا يَجُوزُ جَنْثُكَ قِرَاءَةُ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ لِسَانِيَّةً، وَنَظَرِيَّةً. الثَّالِثُ: كَوْنُهُ ظَاهِرًا، فَلَا يَجُوزُ جَاءُوكَ لَمَّا جِئْتَهُ. الرَّابِعُ: اتِّحَادُهُ بِالْمَعْلُولِ بِهِ وَقْتًا. فَلَا يَجُوزُ جَنْثُكَ إِيَّايَ. وَقَدْ اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الشُّرُوطَ، مَا اتَّحَادَهُ بِالْمَعْلُولِ بِهِ فَاعِلًا. فَلَا يَجُوزُ جَنْثُكَ إِيَّايَ. وَقَدْ اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الشُّرُوطَ، مَا مَثَّلَ بِهِ الْمَصْنُفُ مِنْ قَوْلِهِ: (ص) نحو: قَامَ زَيْدٌ إِجْلَالًا لِعَمْرٍو. وَقَصَدْتَكَ ابْتِغَاءَ مَعْرُوفِكَ. (ش) فَالْإِجْلَالُ وَالْإِبْتِغَاءُ مُصَدَّرَانِ قَلْبِيَّانِ وَفَاعِلُ الْقِيَامِ وَالْإِجْلَالِ وَاحِدٌ. وَمَنْعَى فَقْدِ شَرْطٍ. وَجِبَ جَزْءُهُ بِحَرْفِ التَّعْلِيلِ. ففَاقِدُ الْمَصْدَرِيَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾. وَ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾، أَيِ خَلَقَ مَا فِي الْأَرْضِ لِأَجْلِكُمْ. وَفَاقِدُ الْقَلْبِيَّةِ: جَنْثُكَ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ. وَفَاقِدُ الظُّهُورِ جَاءُوكَ لَمَّا جِئْتَ لَهُ. وَفَاقِدُ الْإِتِّحَادِ فِي الْوَقْتِ. قَوْلُ الشَّاعِرِ:

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضْتُ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا لَدِي السَّيْرُ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَجَمِّلِ
وَفَاقِدُ الْإِتِّحَادِ فِي الْفَاعِلِ، قَوْلُهُ:

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لَذِكْرَاكَ هِزَّةً كَمَا انْتَفَضَ الْعُضْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطْرُ
لِأَنَّ الذِّكْرَ فِعْلَ الْمُتَكَلِّمِ، وَقَاعِلُ تَعْرُونِي الْهِزَّةُ. وَإِنَّمَا قُلْنَا يَجْرُ بِحَرْفِ التَّعْلِيلِ، لِيَدْخُلَ اللَّامُ. وَمَعَا يَقُومُ مَقَامُهَا كَمَنْ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ﴾ وَفِي كَقَوْلِهِ ﷺ: «دَخَلَتْ امْرَأَةُ النَّارِ فِي هِزَّةٍ» وَالبَاءُ نَحْوُ: «فَيُظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا» وَالْكَافُ: «وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَايَكُمْ». وَعَلَى نَحْوِ: «وَلَتَكْبُرُوا اللَّهُ عَلَى مَا». وَلَا يَمْتَنِعُ جَزْءُهُ بِهَذِهِ الْحُرُوفِ مَعَ تَوَقُّرِ الشُّرُوطِ. نَحْوُ: قَنَعَ لِرُهْدٍ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَفْعُولَ لَهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ مُجَرَّدًا مِنْ أَلٍ وَالْإِضَافَةِ. نَحْوُ: قَمْتُ إِجْلَالًا لَكَ. وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مَقْرُونًا بِأَلٍ نَحْوُ قَمْتُ الْإِجْلَالِ لَكَ. وَالثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ مُضَافًا، نَحْوُ قَصَدْتُ ابْتِغَاءَ مَعْرُوفِكَ. وَقَدْ اجْتَمَعَ التَّفْرِيدُ وَالْإِضَافَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ اللَّهِ وَتَنْبِيْهَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾. وَمَنْ الْمَعْرُوفُ بِأَلٍ الرَّاجِزُ:

لَا أَقْعِدُ الْجُبْنَ عَنِ الْهَيْجَاءِ وَلَوْ تَوَالَّتْ رُمُومُ الْأَعْدَاءِ

أي لا أقعد عن الحَرْب؛ لأجل الجبن، وقد اجتمع الثلاثة في قول العجاج:

تركيب كل عاقر جمهور مخافة وزعل المحبور والهول من تهول الهبور،
والنَّاصِبُ لِلْمَفْعُولِ له ما تقدّم من فعل وشبهه. ويجوز تقديمه عليه، إذ لا مانع،
إذا كان منصرفاً، والله تعالى أعلم.

الإشارة: المفعول من أجله؛ هو المسمى عند الصوفية بعالم الحكمة. وهو
عالم الأسباب والعِلل بخلاف عالم القدرة؛ فإنه عالم الإبراز والإظهار، فعالم
القدرة، هو عالم الأمر وعالم الحكمة هو عالم الخلق. «ألا له الخلق والأمر». فالقدرة تبرز،
والحكمة تستر، فلا تبرز القدرة شيئاً، إلا مرتدياً برداء الحكمة، إلا
في المعجزة للرسول والكرامة للولي فإن القدرة تُبرز بلا تغطية، تصديقاً لذلك النبي
أو الولي، فعالم الدنيا القدرة فيه باطنة، والحكمة فيه ظاهرة؛ لأنه عالم التكليف.
ليظهر فيه مزية الإيمان بالغيب. بخلاف عالم الآخرة فإن القدرة تكون فيه ظاهرة،
والحكمة باطنة؛ لأنه عالم التعريف، قد انقطع فيه التكليف. وما أنا أذكر لك
أمثلة، تفهم منها القدرة والحكمة، فمثال ذلك. الأرزاق الحسية، والمعنوية؛ فإنها
بارزة في عين الجئة بمخض القدرة. لكنها متغطية بالحكمة؛ وهي الأسباب والعِلل
ليبقى سرُّ القدرة مضموناً، وكنزها مدقوناً. وقد تظهر القدرة فيه بلا حكمة، فيأتي
من غير سبب، كرامة لأهل التوجه، وتفريقاً لهم. ليقتبلوا عليه. وكل من تحقق
تقواه، ظهر رزقه بلا سبب. لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ
حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. ومثال للقدرة أيضاً مع الحكمة: جزي السفن على الماء، فهي
بمخض القدرة، لكن لا بُدَّ فيه من أسباب واضطلاح. إذا اختلت وقع الغرق.
وكذلك العرس والزرع، وكلما يستنبث، فلا بُدَّ من سقيه وصونه. ليحني ثمرته مع
أن الحق تعالى قادر على خلق الثمار فيها من غير علاج، لكن لا بُدَّ من وجود
الأسباب في هذا العالم الدنيوي. ليبقى السرُّ مضموناً. ومنها تذكير الأشجار، وقد
أراد عليه السلام، أن يظهر القدرة بلا حكمة، فسقطت الثمار. فقال: أنتم أعلم
بذنباكم؛ التي هي محل الأسباب والعِلل. وكذلك القضاء والقدرة، لا يُبرز إلا مع
الحكمة. فإذا قدر الحق تعالى على عبد مصيبة من مرض أو حبس، أو غيره. أو
شفاء أو فرج، في وقت معلوم، فإذا وصل ذلك الوقت، حرّكه الحق تعالى ليسبب
ذلك. فينزل به ما قدر له مستتراً بتلك الحكمة، بالجاهل يقف مع الحكمة،
والعارف ينفذ إلى شهود القدرة. وقس على هذا، فالمفعول من أجله؛ وهو

الباعث هو الاسم المنصوب لتغطية القدرة؛ الذي يذكر بياناً لسبب وقوع الفعل السابق في الأزلي. ومنه الإجلال والتعظيم الذي هو سبب الفتح الكبير، والطلب والابتغاء الذي هو سبب الوصول إلى معرفة الحق، وبالله التوفيق.

بَابُ الْمَفْعُولِ مَعَهُ: هُوَ الْخَامِسُ مِنَ الْمَفَاعِيلِ. وَعَرَّفَهُ ابْنُ هِشَامٍ بِقَوْلِهِ: اسْمُ فَضْلَةٍ تَلِي الْوَائِ، بِمَعْنَى مَعَ، تَالِيَةٌ لَجُمْلَةٍ ذَاتِ فِعْلِ أَوْ اسْمٍ فِيهِ مَعْنَاهُ، وَحُرُوفُهُ هـ. فَخَرَجَ بِقَوْلِهِ اسْمٌ، نَحْوُ: لَا تَأْكُلِ السَّمَكَةَ وَتَشْرَبِ اللَّبَنَ، وَسِرْتَ وَالشَّمْسُ طَالَعَةٌ. وَبِقَوْلِهِ: فَضْلَةٌ، نَحْوُ اشْتَرَكْ زَيْدٌ وَعَمَرُوْ. وَبِقَوْلِهِ: تَلِي الْوَائِ، نَحْوُ: جِئْتُكَ مَعَ عَمْرُو. وَبِقَوْلِهِ: بِمَعْنَى مَعَ، نَحْوُ زَيْدٌ وَالْخَبَرُ مُحَذَوْفٌ. أَيْ مَقْرُونَانِ. فَلَمْ تَتَقَدَّمْ عَلَى الْوَائِ جُمْلَةٌ. وَبِقَوْلِهِ: فِيهِ مَعْنَى الْفِعْلِ دُونَ حُرُوفِهِ فَلَا يَغْمَلُ فِيهِ، خِلَافاً لِأَبِي عَلِيٍّ، وَلَا يَجُوزُ جَرُّهُ لِعَدَمِ إِعَادَةِ الْجَارِ. وَلَا رَفْعُهُ لِفَسَادِ الْمَعْنَى: فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ قَالُوا. مَا أَنْتَ وَزَيْدٌ. وَكَيْفَ أَنْتَ وَقِضْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ. بِالنُّصْبِ. فَأَلْجَوَابُ أَنَّ مَنْ نُسِبَ قَدَّرَ الْعَامِلَ أَيْ مَا تَكُونُ، وَكَيْفَ تَصْنَعُ، فَالْعَامِلُ فِي الْمَفْعُولِ مَعَهُ تَكُونُ. وَتَصْنَعُ الْمَقْدَرَةَ، وَلَمَّا حُذِفَ الْفِعْلُ، انْفَصَلَ الضَّمِيرُ، وَأَكْثَرُهُمْ يَرْفَعُونَ ذَلِكَ بِالْعَطْفِ. وَعَرَّفَهُ الْمَصْنِفُ بِقَوْلِهِ: (ص) هُوَ الْاسْمُ الْمَنْصُوبُ الَّذِي يُذَكِّرُ لِبَيَانِ مَنْ فَعَلَ مَعَهُ الْفِعْلَ (ش) يَعْنِي، أَنَّ الْمَفْعُولَ مَعَهُ هُوَ الْاسْمُ الْمَنْصُوبُ، وَنَاصِبُهُ مَا سَبَقَ عَلَيْهِ مِنَ الْفِعْلِ وَشِبْهِهِ، لَا الْوَائِ، خِلَافاً لِلْجَرَجَانِي؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْوَائِ نَاصِبَهُ، لَصَحَّ اتِّصَالُ ضَمِيرِهِ بِهِ، كَمَا يَتَّصِلُ بِإِنٍّ وَأَخَوَاتِهَا، وَحُرُوفِ الْجَزْرِ. وَقِيلَ مَنْصُوبٌ بِإِسْقَاطِ الْجَزْرِ. وَقِيلَ انْتَصَبَ انْتِصَابُ الْمَصْدَرِ الْمَلَاقِي. وَحَكَمْتُهُ أَنْ يَبَيِّنَ الشَّيْءَ الَّذِي وَقَعَ الْفِعْلُ مَعَهُ (ص) نَحْوُ جَاءَ الْأَمِيرُ وَالْجَيْشُ (ش) فَإِذَا قُلْتَ: جَاءَ الْأَمِيرُ لَا يُذَكِّرُ هَلْ جَاءَ وَحْدَهُ أَوْ مَعَهُ غَيْرُهُ. فَإِذَا قُلْتَ وَالْجَيْشُ. فَقَدْ بَيَّنَّتَ مَنْ فَعَلَ مَعَهُ الْفِعْلَ. وَكَذَلِكَ (ص) اسْتَوَى الْمَاءُ وَالْخَشْبَةُ. (ش) أَيْ اسْتَوَى مَعَ الْخَشْبَةِ، وَأَتَى بِمِثَالَيْنِ: أَحَدُهُمَا يَصِحُّ فِيهِ الْعَطْفُ، وَهُوَ الْأَوَّلُ، وَالْآخَرُ لَا يَصِحُّ فِيهِ الْعَطْفُ وَهُوَ الثَّانِي، لِأَنَّ الْإِسْتِوَاءَ إِنَّمَا يَتَصَوَّرُ مِنَ الْمَاءِ، وَأَمَّا الْخَشْبَةُ فَلَا فِعْلَ لَهَا. قَالَ الْفَاكْهِي: الْمَاءُ اسْمُ جِنْسٍ إِفْرَادِي، وَنَقَلَ ابْنُ وَتَادٍ: اسْمُ جِنْسٍ جَمْعِي، بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَفْرَدِهِ سَقُوطُ التَّاءِ. تَقُولُ: مَاءٌ وَمَاءٌ، نَقَلَهُ الْقَلْشَانِيُّ فِي شَرْحِ ابْنِ الْحَاجِبِ.

تنبيه: الاسم بعد الواو خمس حالات، وجوب العطف نحو اشترك زيد وعمرو، ورجحانه نحو: جاء زيد وعمرو لأنه الأصل، وقد أمكن به ضعف وجوب المفعول معه لعدم صحة العطف إمّا من جهة الصناعة نحو مالك وزيداً وإما

من جهة المعنى نحو مات زيد وطلوع الشمس وسرت والنيل ورجحانه نحو قمت وزيداً، فالنصب أرجح لعدم الفاصل كقول الشاعر:

فكونوا أنتم وبني أبيكم مكان الكلبيين من الطيحال

إذا المعنى: فكونوا مع بني أبيكم، والخامس امتناعهما معاً لقول القائل:

علفتها تيناً وماء بارداً حتى غدت همالة عيناها

وقال آخر:

إذا ما المفنيات برزت يوماً وكحلن الحواجب والعيون

أما امتناع العطف فلا انتفاء المشاركة، وأما امتناع المفعول معه فلا امتناع المعية في الأول وامتناع الإعلام بها في الثاني، ويجب في ذلك إضمار فعل ناصب للاسم على أنه مفعول به أبي وسقيتها ماء، وكحلن العيون. وقد يؤول الفعل المذكور بعامل يصح انصبابه عليها معاً، فيؤول علقتها بناولتها وكحلن بحسن. وقد يجب تقدير العامل في نحو قوله تعالى: ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ فيمن قطع الهمزة لأن أجمع لا يعمل إلا في المعنى كالأمر ونحوه، والتقدير: فاجمعوا أمركم واجمعوا شركاءكم بفتح الميم، والله تعالى أعلم.

الإشارة: المفعول معه هو الذي تفعل الأشياء كلها معه وبحضوره، وهو

«الله» القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على كل شيء، والحاضر مع كل شيء قال تعالى: «وهو معكم أينما كنتم» وقال ﷺ: «اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال والولد» فالمعية عند أهل الفرق بالعلم والإحاطة، وعند أهل الجمع بالذات والصفات، لأن الصفة لا تفارق الموصوف، فالعلم لا يفارق العالم. وقال تعالى: «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا وهو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا» قال العارف بالله الورع جبي رضي الله عنه: المعية بالعلم عموم وبالقرب خصوص، والقرب بالعلم عموم وبظهور التجلي خصوص وذلك دُنُوٌّ «دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى» فإذا ارتفع الأين والبين، والمكان والجهات، واتحدت أنوار كشوف الذات والصفات، فالعارف بذلك حقيقة المعية، إذ هو سبحانه وتعالى منتزه عن الانفصال والاتصال والحدث، ولو ترى أهل النجوى الذين مجالستهم لله وفي الله لترى من وجوههم أنوار المعية، أين أنت من علم الظاهر الذي يدل على

الرسوم؟ ألم تر أن علمه تعالى أزلي؟ وبالعلم يتجلى للمعلومات. فالصفات شاملة على الأفعال، ظاهرة من مشاهد المعلومات. فإذا كانت الذات لا تخلو من قرب الصفات كيف تخلو عن قرب الذات الأرواح العالية، المقدسة العاشقة، المستغرقة في وجوده لا المراد منه.

وحاصل كلامه، أن المعية بالعلم تستلزم المعية بالذات لأن الصفة لا تفارق الموصوف، وهذا السر لا يفهمه إلا أهل الفناء في الذات، بصحبة مشايخ الشبهة، وإلا فشأن من لم يبلغ أذواقهم التسليم.

إِنْ لَمْ تَرَ الْهَلَالَ فَسَلِّمْ لَأَنَا مِنْ رَأُوهٍ بِالْأَبْصَارِ
وبالله التوفيق.

ثم قال الشيخ رحمه الله: وأما خبر كان وأخواتها واسم إن وأخواتها فقد تقدم ذكرهما في المرفوعات. قلت: وكذلك مَفْعُولَا ظَنٍ وأخواتها. ثم قال وكذلك التوابع فقد تقدمت هنالك، لا فائدة في إعادتها لأن من المعادات معادة المعادات، ثم ذكر المخفوضات من الأسماء فقال:

باب مخفوضات الأسماء: أي الأسماء المخفوضات، فهي من إضافة الصفة إلى موصوفها ثم بينها فقال:

ص: المخفوضات ثلاثة، مخفوض بالعرف ومخفوض بالإضافة.

ش: الصحيح أن الخافض للمضاف إليه المضاف الأول، فالخافض لفظي فيهما، ثم قال

ص: وتابع للمخفوض

ش: أي مخفوض بالتبعية، وزاد بعضهم المخفوض بالجواز نحو: هنا حجر ضب ضرب وتقدم قول امرئ القيس: بجاد من مل، وزاد بعضهم، المخفوض بالتوهم كما تقدم في قول الشاعر:

وَلَا سَابِقَ شَيْئاً إِذَا كَانَ جَائِئِيَا

والصحيح حصر المخفوض في اثنين: مخفوض بالعرف وبالإضافة، فأما التابع فالصحيح أنه مجرور بما جر به المتبوع، إلا البدل فإنه على نية تكرار العامل، وأما المخفوض بالمجاورة وبالتوهم فالصحيح أنهما يرجعان إلى الجر بالمضاف وبالحرف، قاله ابن هشام، وبعضهم حصر المخفوض في

المضاف إليه فقط وهو كل اسم نسب إليه شيء بواسطة حرف الجر لفظاً أو تقديرًا.

الإشارة: المخفوضات عن مراتب الرجال ثلاثة: مخفوض بسبب الحرف، وهو من يعبد الله على الحرف أي طمع في عوض دنيائي أو أخراوي فهو كالعبد السؤ إن أعطي عمل وإلا لم يعمل فإن أصابه خير وهو العرض الذي طمع فيه، اطمأن به وسكن إليه، وإن أصابته فتنة وهو فقدان ذلك العرض، انقلب على وجهه ورجع عن عبودية سيده خسر الدنيا والآخرة أما الدنيا فللفقدان حظه منها، وأما الآخرة فلمعدم التزود لها، ذلك هو الخسران المبين، ومخفوض بالإضافة إلى الأراذل وصيحتهم، وتقدم قول الشاعر:

وليساك أن ترضى بصحبة ساقط فتسقط قدراً من علاك وتحقرا

وكان سيدنا عيسى عليه السلام يقول: «لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم» قيل ومن الموتى يا روح الله؟ قال: «الراغبون في الدنيا المحبون لها» أو كما قال عليه السلام. وفي حديث نبينا ﷺ: «المرء على دين خليله. وقال: «مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا خَسِرَ مَعَهُمْ». والمرء مع مَنْ أَحَبَّ. وَلَا تَعْرِفْ مَرَاتِبَ الرِّجَالِ إِلَّا بِأَصْحَابِهَا، أَغْنَى مَشَايِخَهَا. ومخفوض بالتبعية لنفسه، وهواه. فَمَنْ تَبَعَ هَوَاهُ أَهْوَى بِهِ إِلَى الْهَوَانِ. كما قال الشاعر:

لَا تَتَّبِعِ النَّفْسَ فِي هَوَاهَا إِنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَى هَوَانٌ
وقال آخر:

نور الهوى من الهوان مسروقة وأسير كل هوى أسير هوان
ولاين دُرَيْدُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

إِذَا طَلَبْتَكَ النَّفْسُ يَوْمًا بِشَهْوَةٍ وَكَانَ إِلَيْهَا لِلْخِلَافِ طَرِيقُ
فَدَعَهَا وَخَالَفَ مَا هُوَ فِيهِ إِنْ شَاءَ هَوَاكَ عَدُوٌّ وَالْخِلَافُ صَدِيقُ
فَالْعِزُّ كُلُّهُ فِي مَخَالَفَةِ الْهَوَى وَالذُّلُّ كُلُّهُ فِي اتِّبَاعِهِ

ويكفيك قوله: «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ» الآية. ثم بيّن المصنف ما يخفض بالحرف فقال (ص) فأما ما يخفض بالحرف؛ هو ما يخفض بمن وعن وعلى، وفي، ورُبُّ، والكاف، واللام. وبحروف القسم؛ وهي الواو والباء والتاء. (ش)

قلت: قد تقدم الكلام عليها عبارة وإشارة. وَزَادَ هُنَا (ص) وَبَوَّأَ رَبُّ (ش) نحو قول امرئ القيس:

وَلَيْلَ كَمْوَجِ الْبَحْرِ أَزْحَى سُدُولُهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي
وَوَظَاهِرُ قَوْلِهِ: أَنَّ وَابَّاءَ رَبِّ هِيَ الْخَافِضَةُ بِنَفْسِهَا؛ وَهُوَ مَذْهَبُ الْكُوفِيِّينَ
وَمَذْهَبُ الْبَصْرِيِّينَ: أَنَّ الْخَفْضَ يَرْبُتُ مَحذُوفَةٌ بَعْدَ الْوَاوِ، كَمَا تُحْذَفُ بَعْدَ الْفَاءِ،
كَقَوْلِكَ فَمِثْلِكَ حَبْلِي.

فَمِثْلِكَ حَبْلِي قَدْ طَرَقَتْ وَمَرَفَعَا فَأَلْفَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مَغْوَانٍ
مَحْوَلٌ وَبَعْدَ بَلْ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: بَلْ بِلَدٍ مَلَأَ الْعِجَاجَ قِيَمَتَهَا. لا يَشْتَرِي كِنَانَةَ
وَجْهَهَا. وَقَدْ تَحْذَفُ مِنْ غَيْرِ تَقْدِمُ شَيْءٍ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

رَسَمَ دَارَ وَقَفْتُ فِي طَلَالِهِ كُنْتُ أَقْضَى الْحَيَاءِ مِنْ جِلْلِهِ
أَيُّ رَبِّ رَسَمَ دَارَ (ص) وَيُمُذُّ وَمُنْذُ (ش) هُمَا بِمَعْنَى مَنْ إِنْ جَرَّ زَمَانًا مَاضِيًا.
نَحْوُ مَا رَأَيْتَهُ مُنْذُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ. أَيُّ مَنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَبِمَعْنَى فِي إِنْ جَرَّ حَاضِرًا.
نَحْوُ: مَا رَأَيْتَهُ مُنْذُ يَوْمِنَا. وَقَدْ تَسْتَعْمَلُ مُذُّ وَمُنْذُ اسْمَيْنِ. إِذَا وَقَعَ بَعْدَهُمَا اسْمٌ أَوْ
فِعْلٌ مَاضٍ. قَالَ فِي الْخُلَاصَةِ: وَمُنْذُ وَمُنْذُ اسْمَيْنِ حَيْثُ رَفَعَا أَوْ أَوْلِيَا الْفِعْلِ كَجِئْتُ
مُنْذُ دَعَا. (ص) وَأَمَّا مَا يَخْفَضُ بِالإِضَافَةِ، فَنَحْوُ قَوْلِكَ غَلَامٌ زَيْدٌ. (ش) قُلْتُ:
الإِضَافَةُ فِي اللُّغَةِ هِيَ الإِلْصَاقُ. تَقُولُ: أَضَفْتُ ظَهْرِي إِلَى الْحَائِطِ أَيُّ أَلْصَقْتُهُ بِهِ.
قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ:

فَلَمَّا دَخَلْنَاهُ أَضَفْنَا ظَهْرَنَا إِلَى كُلِّ حَارِيٍّ جَدِيدٍ مَشْطَبٍ
وَفِي الإِصْطِلَاحِ: نِسْبَةُ تَقْيِيدِيَّةٌ بَيْنَ اسْمَيْنِ، تَوْجِبُ جَرَّ الثَّانِي مِنْهُمَا أَبَدًا.
(ص) وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ، مَا يَتَقَدَّرُ بِالْأَمِّ. (ش) أَيُّ الإِسْتِحْقَاقِيَّةِ. (ص) وَمَا يَتَقَدَّرُ
بِمِنْ (ش) أَيُّ الْجِنْسِيَّةِ. وَزَادَ بَعْضُهُمْ مَا يَتَقَدَّرُ فِي الظَّرْفِيَّةِ. وَضَابِطُ الَّذِي يَتَقَدَّرُ
بِالْأَمِّ، أَلَّا يَكُونَ الْمُضَافُ بَعْضَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَلَا يَصْلِحَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ أَنْ يُجْبَرَ بِهِ
عَنِ الْمُضَافِ. وَضَابِطُ الَّذِي يَتَقَدَّرُ بِمِنْ، أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ بَعْضَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ.
وَضَابِطُ الإِخْبَارِ عَنْهُ. نَحْوُ: ثَوْبٌ خَزٌّ. وَدِرْهَمٌ فِضَّةٌ. أَلَّا تَرَى أَنَّ الْمُضَافَ الْأَوَّلَ
بَعْضُ الْمُضَافِ إِلَيْهِ. وَيَصْلِحُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ أَنْ يُخْبَرَ عَنِ الْمُضَافِ. فَتَقُولُ: الثَّوْبُ
خَزٌّ. وَالدِّرْهَمُ فِضَّةٌ. بِخِلَافِ نَحْوِ غَلَامٌ زَيْدٌ وَنَحْوُهُ بِمَا يَقْدَرُ بِمِنْ. وَضَابِطُ مَا يَتَقَدَّرُ
بِفِي، أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ ظَرْفًا لِلْمُضَافِ الْأَوَّلِ. نَحْوُ: «بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَصِيَامُ

ثلاثة أيام» «وَتَرَبَّصْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ». «وَأَلَدُ الْخِصَامِ»، فالخصام ظرف مجازي لِلدُّ.
 «وَيَا صَاحِبِي السَّجْنِ» وَمَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ، وَيَا سَارِقَ اللَّيْلَةِ أَهْلَ الدَّارِ. وفي الحديث
 في شأن مالك رضي الله عنه: «فَلَا يُوجَدُ عَالِمٌ أَعْلَمُ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ». ونحو
 ذَلِكَ. والحق أنه قليل ثم مثل المصنَّف للأَمْرَيْنِ فقال. (ص) فَأَلْذِي يَتَقَدَّرُ بِاللَّامِ
 نحو غَلَامِ زَيْدٍ. (ش) وَعَبْدُ اللَّهِ وشبهه. (ص) وَالَّذِي يَتَقَدَّرُ بِمَنْ نَحْوُ ثَوْبِ خَزٍّ.
 وَبَابُ سَاجٍ، وَخَاتَمُ حَدِيدٍ (ش) وَتَقَدَّمُ ضَابِطُهُ، وَسَكَتٌ عَنِ الثَّالِثِ؛ لِأَنَّهُ قَلِيلٌ
 بِالنِّسْبَةِ لِأَوَّلَيْنِ وَفِي الْخَاتَمِ لُغَاتٌ فَتَحَ النَّاءُ وَكَسَرَهَا، وَخَيْتَامُ كَبِيطَارٍ، وَخَاتَامٌ،
 كَسَابَاطٍ. فَائِدَةُ لُغَوِيَّةٌ: لَمْ يَأْتِ فَاعِلٌ بَفَتْحِ الْعَيْنِ فِي الصِّفَاتِ فَقَطْ. أَتَى فِي الْأَسْمَاءِ
 فِي أَلْفَاظٍ مُحْصَوْرَةٍ، كَالْخَاتَمِ، وَالْغَالِبِ، وَالطَّابِعِ وَالثَّابِلِ؛ وَهُوَ الْإِبْزَارُ، وَالْكَاعْدُ؛
 وَهُوَ الْوَزْقُ، بَفَتْحِ الْغَيْنِ، وَبِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ. وَكَتَبَ الْعَامَّةُ لَهُ بِالطَّاءِ لَحْنٌ. وَقَدْ نَظَّمُ
 ابْنُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا أَتَى عَلَى فَاعِلٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ فَقَالَ:

وَإِخْصَصَ إِذَا أَطْلَقْتَ وَزْنَ فَاعِلٍ	بِبَادِقٍ وَخَاتَمٍ وَتَابِلٍ
وَذَانِقٍ وَرَصَقٍ وَزَمَكٍ	وَزَابِجٍ وَزَامِجٍ وَزَاخِلٍ
وَسَامِجٍ وَشَامِخٍ وَشَالِخٍ	وَطَابِعٍ وَطَابِقٍ وَخَاصِلٍ وَخَاطِلٍ
وَطَالِقٍ وَعَالِمٍ وَقَارِبٍ	وَقَالِبٍ وَكَاعْدٍ وَقَابِلٍ
وَكَامِخٍ وَهَارَنَ وَتَارِجٍ	وَيَارِقٍ وَيَغْضَاهَا بِفَاعِلٍ

وَبَقِيَ عَلَيْهِ مَا لُغَةُ مَدِينَةِ الْأَنْدَلُسِ فَإِنَّهَا بَفَتْحِ اللَّامِ، ذَكَرَ هَذِهِ الْفَائِدَةَ: شَيْخُ
 شَيْوْخَنَا سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْهَلَالِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: شَمْسُ الْأَذْمُوسِ،
 فِي اصْطِلَاحِ الْقَامُوسِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ. وَهُوَ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَحَبِيبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. هَذَا
 آخِرُ مَا قَصَدْنَاهُ مِنَ الْفَتْوحَاتِ الْقُدُوسِيَّةِ. فِي شَرْحِ الْمَقْدَمَةِ الْأَجْرُومِيَّةِ. نَسَأَلُ اللَّهَ
 تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَنَا بِهِ مِنْ كُتْبِهِ، أَوْ طَالَعَهُ أَوْ حَصَّلَهُ، أَوْ سَعَى فِي شَيْءٍ مِنْهُ. وَأَنْ يَكْسُوهُ
 جَلِيَابَ الْقَبُولِ وَأَنْ يُثَلِّغَنَا بِهِ الْقَصْدَ وَالْمَأْمُولَ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أحمد بن محمد بن معجبة

شرح نونية الإمام الششتري لسيد أحمد بنعجية رضي الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، الْفَرْدِ الصَّمَدِ. الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
كَفْوَراً أَحَدٌ. قَدْ تَنَزَّهَتْ أَحْدِيثُهُ عَنْ مُزَاحِمَةِ الشُّرَكَاءِ وَالنَّفَرَاءِ وَالْأَنْدَادِ. وَتَقَدَّسَتْ
عَظَمَةُ ذَاتِهِ عَنْ وَقْفِ الْحُلُولِ وَالْإِتِّحَادِ. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى قُطْبِ دَائِرَةِ الْأَكْوَانِ
وَسَيِّدِ الْأَسْيَادِ. الَّذِي مِنْ نُورِ فَيْضِهِ الْأَوَّلِ. ظَهَرَتْ نِعْمَةُ الْإِبْجَادِ وَالْإِمْدَادِ. سَيِّدِنَا
وَمَوْلَانَا مُحَمَّدَ الْمَبْعُوثِ بِالْعِزِّ الدَّائِمِ وَالشَّرَفِ الْفَاجِرِ رَحِمَةً لِلْعِبَادِ. وَبَعْدُ: فَهَذَا
شرح عجيب لنونية الإمام المحقق بخر زمانيه. وفريد عصره وأوانيه. إمام أهل
الأذواق والوُجْدَانِ. وَقُطْبِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْعِرْفَانِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الشُّشْتَرِيِّ وَقَدْ سَبَقَ إِلَى شَرْحِهَا الْعَلَامَةُ الصُّوفِي، سَيِّدِي أَحْمَدُ زُرُوقٌ. رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ. اقْتَصَرَ فِيهِ عَلَى خُلِّ الْأَفَاطِهَا. وَبَيَّنَّ مَا انْتَلَقَ مِنْ بَعْضِ مَعَانِيهَا. غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ
يَخْضُ فِي تَيَّارِ بَحْرِ أَسْرَارِ التَّوْحِيدِ مِنْهَا؛ عَلَى غَوَامِضِ أَنْوَارِهَا. وَلَا فَضْرَ خَاتَمِ
أَسْرَارِهَا. وَلَا دَاخِلَ بَعْرَائِسِ أَبْكَارِهَا. وَلَعَلَّهُ شَرَحَهَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْهِ فِي أَسْرَارِ
الْحَقِيقَةِ. فَقَدْ كَانَ شَيْخُ شَيْوَحْنَا سَيِّدِي عَلِيُّ الْعِمْرَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: مَا فَتَحَ
عَلَى الشَّيْخِ زُرُوقٍ إِلَّا فِي آخِرِ عُمُرِهِ. أَيَّ بَحِيْثٍ لَمْ يُوْلَفْ شَيْئاً بَعْدَ الْفَتْحِ. وَاللَّهُ
أَعْلَمُ. وَكِتَابُهُ شَاهِدُهُ بِذَلِكَ. إِذِ الْكَلَامُ وَصِفُ الْمَتَكَلِّمِ. وَمَنْ تَكَلَّمَ عُرِفَ مِنْ
سَاعَتِهِ. فَهُوَ فِي عُلُومِ الطَّرِيقَةِ إِمَامٌ. وَأَمَّا فِي عُلُومِ الْحَقِيقَةِ وَأَسْرَارِ الْأَذْوَاقِ فَلَمْ يَتَلَّ
فِيهَا شَيْئاً إِلَّا فِي آخِرِ عُمُرِهِ، وَكَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا صِفْرَ الْيَدَيْنِ. وَلِذَلِكَ كَثُرَ اغْتِرَاضُهُ
عَلَى أَهْلِ اللَّهِ. وَظَهَرَ فِي كَلَامِهِ الشَّدِيدِ وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ. وَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي نَوْمٍ
كَالْيَقِظَةِ. فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ شَدَدْتَ عَلَى أَهْلِ اللَّوْ. فِي عِدَّةٍ مُرِيدِينَ فَقَالَ: وَمَا قُلْتُ
فِيهَا؟ فَقُلْتُ لَهُ: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا. وَذَكَرْتَ لَهُ بَعْضَ مَا انْتَقَدَ عَلَيْهِمْ. وَمَا شَدَّدَ فِيهَا
فَقَالَ: ذَلِكَ الَّذِي يُنَاسِبُ مَذْهَبَ مَالِكٍ. فَقُلْتُ لَهُ: الصُّوفِيُّ الْحَقِيقِيُّ لَا يُقَلِّدُ مَالِكاً

وَلَا غَيْرُهُ بَلْ يَأْخُذُ الشَّرِيعَةَ مِنْ أَصْلِهَا. وَالْحَقِيقَةَ مِنْ مَعْدِنِهَا. فَقَالَ مَنْ بَلَغَ هَذَا؟ أَوْ صَحِبَ مَنْ بَلَغَهُ وَلَا يَتَكَلَّمُ مَعَهُ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَقَدْ بَلَغْتَاهُ. وَصَحِبْنَا مَنْ بَلَغَهُ. فَعَابَ عَلَيَّ.

وَكَانَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ يَقُولُ: الشَّيْخُ زُرُوقٌ مُخْتَسِبُ الصُّوفِيَّةِ. قُلْتُ: إِنَّمَا يَكُونُ مُخْتَسِبَ صُوفِيَّةِ الظَّاهِرِ؛ أَهْلُ الْعِبَادَةِ الظَّاهِرَةِ. وَالتَّشَكُّكِ الظَّاهِرِ. وَأَمَّا أَهْلُ الْبَاطِنِ أَهْلُ التَّزْيِينَةِ. فَلَا اخْتِسَابَ لَهُ عَلَيْهِمْ. إِذْ لَمْ يُحِطْ عِلْمًا بِمَا عِنْدَهُمْ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ شَيْخَ مَشَايِخِ التَّزْيِينَةِ فِي زَمَانِنَا: مَوْلَايَ الْغَزْبِي الدَّرَقَاوِي الْحُسَيْنِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:

الشَّيْخُ زُرُوقٌ عِنْدَ أَهْلِ الظَّاهِرِ شَيْءٌ كَبِيرٌ. وَعِنْدَ أَهْلِ الْبَاطِنِ شَيْءٌ صَغِيرٌ. وَأَهْلُ مَكَّةَ أَغْرَفَ بِشِعَابِهَا.

لَا يَغْرِفُ الشُّوْقُ إِلَّا مِنْ يُكَابِدُهُ. وَلَا الصَّبَابَةُ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا. وَمَرَاتِبُ الْأَوْلِيَاءِ، كَطَبَقَاتِ الْجَنَانِ. الْأَعْلَى يَغْرِفُ الْأَسْفَلَ. دُونَ الْعَكْسِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قَالَ فِي أَوَّلِ شَرْحِهِ لِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي التَّعْرِيفِ بِالشَّيْخِ: وَأَمَّا الشَّيْخُ فَهُوَ الْأَسْتَاذُ الْفَقِيهَ، الْمُقْرِءُ الْمَحْدُثُ. الصُّوفِي الْعَالِمُ، الْعَامِلُ الْكَامِلُ الْمَحَقِّقُ الْمَدْقُقُ. أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيرِي، ثُمَّ الشُّشْتَرِيُّ بِمَعْجَمَتَيْنِ. أُولَاهُمَا مَضْمُومَةٌ. وَبَعْدَهَا تَاءٌ فَوْقِيَّةٌ. كَذَلِكَ نَسَبُهُ إِلَى شُشْتَرٍ. قَرْيَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ. عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ لَوْشَةٍ. وَبِالْعِرَاقِ أَيْضاً قَرْيَةٌ تَسْمَى بِذَلِكَ. قَالَ ابْنُ لَيْوَنَ: كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ، فَصَارَ مِنْ سَادَةِ الْفُقَهَاءِ. وَكَانَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ بِالزَّوَايَاتِ. وَكَانَ عَارِفاً بِالْأُصُولِ السُّنَّةِ. وَأَنْوَاعِ الزَّوَاةِ. وَقَالَ الطَّوَامُ: كَانَ مِنَ التُّجَّارِ السُّفَّارِ. ثُمَّ صَارَ مِنَ الشُّيُوخِ الْأَبْرَارِ. قَرَأَ الرَّأْيَ. أَيِ الْفَقْهِ. ثُمَّ تَصَوَّفَ وَالتَّزَمَ طَرِيقَهُ فَمَا تَشَوَّفَ. وَكَانَ ذَا عَزْمَةٍ وَهَمَّةٍ. مَعَ مِشَارَكَةٍ فِي عُلُومِ جَمَّةٍ.

نَزَلَ طَرَابُلُسَ، فَأَخَذَ عَنْ أَهْلِهَا عُلُوماً. ثُمَّ عَرَّضُوا عَلَيْهِ قَضَاءَهَا. فَلَمْ يُوَافَقْ عَلَيْهِ، وَلَا مَقَامَ حَوْلَهُ. فَاسْتَحْمَقُوهُ. فَقَالَ فِي ذَلِكَ:

رَضِيَ الْمُتَيَّمُ فِي الْهَوَى بِجُثُونِهِ	خَلَّوهُ يُفْنِي عُمُرَهُ فِي فَنُونِهِ
لَا تَعْدِلُوهُ فَلَيْسَ يَنْفَعُ عَذْلُكُمْ	لَيْسَ السُّلُوءُ عَنِ الْهَوَى مِنْ دِينِهِ
قَسَمًا بِمَنْ ذَكَرَ الْعَقِيقُ مِنْ أَجَلِهِ	قَسَمَ الْمُحِبُّ بِحُبِّهِ وَيَمِينِهِ
مَالِي سِوَاكُمْ غَيْرَ أَنِّي تَائِبٌ	مِنْ قَسْرَةٍ فِي الْحَبِّ أَوْ تَلْوِينِهِ

مَالِي إِذَا هَتَفَ الْحَمَامُ بِأَيْلَةٍ أَبْدَأُ أَحْنُ لِسُنْجُوهِ وَشُجُونِهِ
وَإِذَا الْبُكَاءُ بِغَيْرِ دَمْعٍ دَابَّهُ فَالَصَّبُّ تَجْرِي دَمْعُهُ بِغُيُونِهِ
وإنما أَنشد القصيدة اغْتِزَازاً عَنْ إِعْرَاضِهِ عَنِ الْقَضَاءِ . وَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَمْ أَتْرَكْهُ
رُهْداً فِيهِ . وَلَا رَغْبَةً عَنِ الشَّرِيعَةِ . إِلَّا أَنَّهُ يُوجِبُ التَّشْتِيتَ وَالتَّلْوِينَ . هَذَا ظَاهِرُ
كَلَامِهِ . قَالَ الطُّوَامُ . كَانَ يَجِيزُ فِي الْمُتَصَفِّى وَالْمَجَلِّ ؛ وَلَهُ طَرِيقَةٌ حَسَنَةٌ فِي
الْمَقَامَاتِ . وَلِكَلَامِهِ عُذُوبَةٌ . وَلَمْ تَزَلْ مَعَهُ مَصْحُوبَةٌ ، ثُمَّ قَالَ : وَكَانَ يُزْمَى بِمَذْهَبِ
شَيْخِهِ الْإِمَامِ . الْوَلِيِّ الْكَامِلِ الْمُحَقِّقِ سَيِّدِي عَبْدِ الْحَقِّ بْنِ سَبْعِينَ ثُمَّ حَمَلَ عَلَى
الرَّجُوعِ عَنْهُ فِي حِكَايَةِ وَقَعَتْ لَهُ بَيِّنَايَةٌ . وَالَّذِي كَانَ يُزْمَى ابْنُ سَبْعِينَ . هَذَا الْقَوْلُ
بِالْحُلُولِ وَالْإِتِّحَادِ وَالْمِيلَ إِلَى الزُّنُفِ وَالْإِلْحَادِ . مُعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ ؛
وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ . وَالتَّمَسُّكِ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ . وَإِنْ كَانَتْ لَهُ ظَوَاهِرُ تَقْتَضِي
ذَلِكَ . فَالْوَاجِبُ أَنْ يُوَكَّلَ عِلْمُهَا إِلَيْهِمْ . وَتَأَوَّلَ بِالْوَجْهِ الصَّحِيحِ عَلَيْهِمْ . وَالتَّسْلِيمِ
أُنْجَبَى وَأَسْلَمَ . فَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمُقْرِي الْفَقِيهِ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللَّهُ . وَغُفِرَ
لَهُ : الْإِعْتِقَادُ وَالْيَقِينُ .

وَالْإِنْتِقَادُ جِنَايَةٌ . فَإِنْ عَرَفْتَ فَاتَّبِعْ . وَإِنْ جَهِلْتَ فَسَلِّمْ .

وَسُئِلَ الشَّيْخُ الْغُورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ . عَنْ ابْنِ الْعَرَبِيِّ الْحَاتِمِيِّ فَقَالَ : أَعَرَفْتُ بِكُلِّ
قَرْيَةٍ مِنْ أَهْلِ كُلِّ قَرْيَةٍ . قِيلَ : مَا سَأَلْنَاكَ عَنْ هَذَا . فَقَالَ : اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ إِلَى
الْقُطْبَانِيَةِ قِيلَ لَهُ : مَاذَا تُرَجِّحُ ؟ قَالَ : التَّسْلِيمَ . وَأَخَذَ يَسْتَدِلُّ لَهُ .

وَسُئِلَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ ابْنِ الْعَرَبِيِّ الْحَاتِمِيِّ فَقَالَ : الْكَلَامُ كَلَامُ صُوفِي .
و « تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ . وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ . وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ » وَقَالَ الْقَرَّافِيُّ فِي أَجْوِبَتِهِ . بَعْدَ نَقْلِ كَلَامِ النَّاسِ فِيهِ : الْأَوَّلَى أَنْ يُحَكَّمَ عَلَى
الْكَلَامِ فَيُقَالُ : هَذَا الْكَلَامُ يَقْضِي كَذَا . وَيَدُلُّ عَلَى كَذَا . وَيُنْكِرُ مِنْ كَذَا . وَلَا
يَتَعَرَّضُ لِنُكْفِيرِ صَاحِبِهِ لِاخْتِمَالِ رَجُوعِهِ عَنْهُ . لَا سِيَّمَا وَقَدْ كَانَ عَالِماً بِالسُّنَنِ وَالْأَثَرِ
وَفِي كَلَامِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى اقْتِدَاءٍ كَثِيرٍ . هَذَا مَعْنَى كَلَامِهِ . وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ
فُورِكَ رَحِمَهُ اللَّهُ : الْغُلَطُ فِي إِدْخَالِ أَلْفٍ كَافِرٍ بِشُبْهَةٍ . وَلَا الْغُلَطُ فِي إِخْرَاجِ مُسْلِمٍ
وَاحِدٍ بِأَلْفٍ شُبْهَةٍ كُفْرٍ . نَقَلَهُ عَنْ عِيَّاضٍ فِي الشِّفَاءِ . انْتَهَى كَلَامُ زُرُوقٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ .

قُلْتُ : وَسَبَبُ انْتِقَادِ أَهْلِ الظَّاهِرِ عَلَى أَهْلِ الْبَاطِنِ . أَنَّ أَهْلَ الْبَاطِنِ لَمْ
اسْتَشْرِفُوا عَلَى بِحَارِ زَوَاجِرِ مِنَ التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ . رَاحَ بَعْضُهُمْ لِلتَّبَعِيرِ عَنْ تِلْكَ

الأسرار فضائق عبارتهم عن ذلك. ففهموا منا غير ما أزاؤوه فرموا بالحلول والاتحاد. مع تنزههم عنه. وذلك كابن العربي. والششتري وابن الفارض وأضرهم. وهذه الأسرار لا تدرك بالعبارة. وإنما تنال بالصحة والسرية. ومنهم من عبر عنها بإشارة رقيقة. وعبرة دقيقة. عطاها بنوع من التشريع. فقبل منه. وأقر في محله. كإبن عطاء الله. رضي الله عنه. وأشياخه: المُرسي. والشاذلي. وابن مشيش. فسلموا من الانتقاد عليهم. وكلهم أولياء رضي الله عنهم أجمعين. هـ.

ولنرجع لما كنا فيه من تعريف بالشيخ؛ وذلك أن الششتري ألف كتاب: العزوة الوثقى. وكتاب المقاليد الوجودية. وكتاب الرسالة العلمية؛ وهي التي اختصرها ابن ليون التجيبي في الإقالة. في الانتصار للطائفة الصوفية. وله مقطعات وأزجال في الخمرة الأزلية. قال ابن ليون: دُفِنَ الششتري رضي الله عنه بالطينة. عن مَنزلة من دُمياط. وقد مات دونها بِثَمَانِيَةِ عَشْرٍ مِيلًا. فَحَمَلَهُ الْفُقَرَاءُ عَلَى أَغْنَائِهِمْ حَتَّى وَصَلُوهُ إِلَيْهَا. وَقَدْ سُئِلَ قَرَبَ ذَلِكَ: مَنْ الْفَقِيرُ؟ فَقَالَ: الَّذِي يَمْشِي بَعْدَ مَوْتِهِ ثَمَانِيَةَ عَشْرٍ مِيلًا. فَكَانَ كَمَا ذَكَرَ وَذَلِكَ سَنَةٌ ثَمَانِيَةٌ وَسِتِينَ وَسِتْمِائَةً «668 هـ» كَمَا ذَكَرَهُ الطَّوَامُ. قُلْتُ: فَكَانَ فِي عَضْرِ الشَّاذَلِيِّ وَتَأَخَّرَ مَوْتُهُ عَنْهُ بِتِسْعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ. قَالَ الشَّيْخُ زُرُوقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَأَمَّا هَذِهِ الْقَصِيدَةُ فَقَدْ اخْتَوَتْ عَلَى مَقَاصِدِ طَرِيقِ الْعَارِفِينَ. وَتَعْرِيفِ أَحْوَالِ الرُّجَالِ. وَقَدْ جَزَّأَهَا ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ: الْجُزْءُ الْأَوَّلُ فِي تَعْيِينِ الْمَطْلُوبِ وَمَا يَطْلُبُ بِهِ، وَمَا يَقُومُ فِيهِ. وَوَجْهَ الْمَعَامَلَةِ فِي ذَلِكَ نَفْيًا وَإِثْبَاتًا. وَهَذَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى قَوْلِهِ: أَمَامَكَ هَوَّلٌ فَاسْتَمِعْ لَوْصِيَّتِي. الْجُزْءُ الثَّانِي مِنْ هُنَا إِلَى قَوْلِهِ: فَكَمْ واقف أزدى. وقد ذكر فيه آيات العقل. وتطويره بالمحاسن والقبايح. وما يعرف فيه. الجزء الثالث: في الأمور التي اكتسبها العقل لذويه من نقص أو كمال أو تضمن ذلك تعريف جماعة من الرجال وسيذكر كل في محله إن شاء الله:

وَهَذَا أَوَّلُ الْقَصِيدَةِ. قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَرَى طَالِبًا مِنَّا الزِّيَادَةَ لَا الْحُسْنَى بِفِكْرِ رَمَى سَهْمًا فَعَدَى بِهِ عَدْنًا

يقول رضي الله عنه: أرى طالباً منّا مَعَاشِرَ الصُّوفِيَةِ. بِسِيرِهِ وَمَجَاهِدَتِهِ، وَإِحْسَانِهِ فِي مَعَامَلَتِهِ. إِنَّمَا هُوَ الزِّيَادَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَّعًا وَلِزِيَادَةٍ﴾ لَا الْحُسْنَى الَّتِي هِيَ الْجَهَّةُ؛ الَّتِي فَسُرَتْ بِهَا الْحُسْنَى. وَالزِّيَادَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْآيَةِ، هِيَ النَّظَرُ فِي وَجْهِهِ الْكَرِيمِ. وَدَوَامُ شَهْوَدِهِ. أَوِ الْمَعْرِفَةُ. وَزِيَادَةُ التَّرْقِي فِيهَا أَبَدًا سَرْمَدًا. وَإِنَّمَا كَانَ مَطْلِبُهُمْ ذَلِكَ لِمَسْكِ هَمَمِهِمْ. وَرَفْعِهَا عَنِ الْأَكْوَانِ

بِأَسْرِهَا. فَالْجَنَّةُ كَوْنٌ مِنَ الْأَكْوَانِ. فَمَنْ رَحَلَ بِقَلْبِهِ عَنِ الدُّنْيَا. وَطَلَبَ الْجَنَّةَ وَرَخَّارَهَا. فَقَدْ رَحَلَ مِنْ كَوْنٍ إِلَى كَوْنٍ فَيَكُونُ كَحِمَارِ الرَّحَى مَا انْتَقَلَ عَنْهُ. هُوَ الَّذِي صَارَ إِلَيْهِ. وَالْمَطْلُوبُ إِنَّمَا هُوَ الرَّحِيلُ مِنَ الْكَوْنِ إِلَى الْمَكُونِ. ﴿وَأَنَّ لَكَ رَيْكَ الْمُنْهَن﴾. قَالَ أَبُو مَدِينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«شَتَانٌ بَيْنَ مَنْ هِمَّتُهُ الْحَوْرُ وَالْقُصُورُ وَبَيْنَ مَنْ هِمَّتُهُ رَفْعُ السُّتُورِ، وَدَوَامُ الْحَضُورِ وَقَدْ مَدَّحَ الْحَقُّ تَعَالَى أَهْلَ الصُّفَّةِ بِقَوْلِهِ: «يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» أَيِ ذَاتِهِ. فَكَانَتْ عِبَادَتُهُمْ لِإِرَادَةِ مَعْرِفَةِ ذَاتِهِ. وَكَذَلِكَ الصُّوفِيَّةُ بِرَفْعِ هِمَّتِهِمْ. لَا يُرْوَمُونَ إِلَّا مَعْرِفَةَ الذَّاتِ. وَكُشِفَ الْحِجَابُ عَنْهَا. وَإِنَّمَا طَلَبُوا الزِّيَادَةَ الْمَذْكُورَةَ بِفِكْرٍ دَلَّهِمْ عَلَيْهَا؛ وَإِنَّمَا أَزْفَعُ الْمَطَالِبِ فَكَانَتْ بِمِثَابَةِ قَوْسٍ رَمَى سَهْمًا؛ وَهُوَ نَظَرُهُ السَّيِّدِ. وَأَمَلُهُ الْمَدِيدُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَجُولُ بِهِ حَتَّى انْتَهَى بِهِ لِأَرْفَعِ الْمَطَالِبِ وَأَسْنَى الْمَآرِبِ؛ وَهِيَ مَعْرِفَةُ الذَّاتِ وَشُهُودُهَا. فَعَدَى بِتَشْدِيدِ الدَّالِ. أَيِ جَاوَزَ بِذَلِكَ النَّظَرَ. عَدْنًا: أَيِ جَنَّةٍ عَدْنٍ؛ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا. وَلَا قَصَرَ نَظَرُهُ عَلَيْهَا. بَلْ جَاوَزَ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا. وَإِنَّمَا مَقْصُودُهُ شُهُودَ الْحَبِيبِ؛ الَّذِي هُوَ نَعِيمُ الْأَرْوَاحِ: لَا الْجَنَّةَ الَّتِي هِيَ نَعِيمُ الْأَشْبَاحِ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ الْفَارُضِ:

لَيْسَ سُؤْلِي مِنَ الْجَنَانِ نَعِيمًا غَيْرَ أَنِّي أُرِيدُهَا لِأَرَاكَ
وَلَا يَلْزَمُ مِنَ الْمَسْكَ الْهَمَّةُ عَنِ الشَّيْءِ، اخْتِصَارُ مَا سَمَتْ عَنْهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَظَّمَ شَأْنَ الْجَنَّةِ، وَأَعَدَّهَا لِأَوْلِيَائِهِ. وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّ مَعَامِلَتَهُمْ لَيْسَتْ فِي مُقَابَلَةِ ذَلِكَ. وَإِنَّمَا هِيَ عَبْدِيَّةٌ وَمَحَبَّةٌ. وَطَلَبٌ لِمَا هُوَ أَوْلَى وَأَعْظَمَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَلَمَّا كَانَ مَطْلَبُهُمْ رَفْعَ الْهَمَّةِ عَنِ الْكَوْنَيْنِ؛ وَهَمًّا مِنْ جُمْلَةِ السُّوَى الْبَاطِلِ. كَمَا قَالَ لَبِيدُ:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ
تَحَقَّقُوا بِالْحَقِّ. وَصَارُوا مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ فَعَبَّرُوا بِهِ عَنْ ذَاتِ الْحَقِّ. فَجَرَى فِي مَخَاطِبَتِهِمْ اسْمُ الْحَقِّ. فَيَقُولُونَ: قَالَ الْحَقُّ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ فِي مُحَاوَرَتِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ كَوْنَ الْمَطْلُوبِ. هُوَ عَيْنُ الطَّالِبِ فِي الْحَقِيقَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْفَنَاءِ فَقَالَ:

طَلَبُنَا مَطْلُوبُنَا مِنْ وُجُودِنَا نَغِيبُ بِهِ عَنَّا لَدَى الطُّعْمَنِ إِذْ عَنَا
يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَطَالِبُنَا. أَيِ الطَّالِبِ مِمَّا تِلْكَ الزِّيَادَةُ الَّتِي هِيَ الْمَعْرِفَةُ. هُوَ عَيْنُ مَطْلُوبِنَا. إِذْ لَيْسَ الْأَمْرُ خَارِجًا عَنْ ذَاتِنَا عِنْدَ تَحْقِيقِ الْفَنَاءِ.

فَالطَّالِبُ هُوَ الْمَطْلُوبُ وَالْمَطْلُوبُ هُوَ الطَّالِبُ فِي الْحَقِيقَةِ . إِذَا لَا إِثْنِيَّةَ ، وَلَا غَيْرِيَّةَ
عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ . وَهَذَا كَقَوْلِهِ فِي بَعْضِ أَرْجَائِهِ :

لَقَدْ أَنَا شَيْءٌ عَجِيبٌ لِمَنْ رَأَنِي أَنَا الْمُجِبُّ وَالْحَبِيبُ مَا تَمُّ ثَانِي
يَا طَالِباً عَيْنِ الْخَبَرِ غِطَاءُ أَيْتِكَ الْخَمَرُ مِنْكَ وَالْخَبَرُ وَالسَّرُّ عِنْدَكَ
أَزِجْ بِذَاتِكَ وَاعْتَبِرْ مَا تَمُّ غَيْرَكَ

وقال آخر :

لَا تَطُنْ الْأَمْرَ عَنْكَ خَارِجاً هُوَ ذَوْقُ ثَمِّ شُرْبِ ثَمِّ رِي
وقال آخر :

أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنًا
وليس هنا حلول ولا اتحاد ؛ لنفي الغيرية والإثنية ، حتى يتجدد بالآخر . كَانَ
اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ . فَيَا عَجَباً كَيْفَ يَظْهَرُ الْوُجُودُ فِي
الْعَدَمِ . أَمْ كَيْفَ يَثْبُتُ الْحَادِثُ مَعَ مَنْ لَهُ الْقَدَمُ . وقول الشاعر :

نَحْنُ رُوحَانِ : أَشَارَ بِهِ إِلَى الرُّوحِ الَّتِي هِيَ الْمَعْنَى الْقَائِمَةُ بِالْأَشْيَاءِ . فَهِيَ قَائِمَةٌ
بِالرُّوحِ . وَالرُّوحُ قَائِمَةٌ بِالْجِسْمِ . وَالْجِسْمُ مِنْ تَجَلِيَّاتِ الْحَقِّ تَجَلَى بِهِ وَيَطُنُّ بَعْدَ تَجَلِيهِ :
بِمَا أَظْهَرَ فِيهِ مِنْ أَوْصَافِ الْعُبُودِيَّةِ ؛ لِيَتَحَقَّقَ فِيهِ اسْمُهُ الظَّاهِرُ ، وَاسْمُهُ الْبَاطِنُ . فَفِي
الْحَقِيقَةِ لَا وُجُودَ لِلْعَبْدِ أَصلاً . وَإِنَّمَا تَثْبُتُ الْعَبْدُ فِي عَالَمِ الْفَرْقِ حِكْمَةً . وَتَنْفِيهِ فِي عَالَمِ
الْجَمْعِ قُدْرَةً . فَإِذَا اسْتَوْلَى عَلَى الْعَبْدِ الْجَذْبُ وَالْفَنَاءُ أَصلاً . غَابَ عَنْ مَقَامِ الْفَرْقِ . فَلَا
عَبْدَ أَصلاً ؛ وَصَارَ الطَّالِبُ عَيْنَ الْمَطْلُوبِ . وَالْمَطْلُوبُ عَيْنِ الطَّالِبِ . وَالذَّاكِرُ عَيْنِ
الْمَذْكُورِ وَهَذَا الَّذِي لَاحَظَ الشَّيْخُ بِقَوْلِهِ : وَطَالِبُنَا مَطْلُوبُنَا مِنْ وُجُودِنَا أَيُّ هُوَ مِنْ عَيْنِ
وُجُودِنَا لَا خَارِجاً عَنَّا نَغِيبُ بِهِ . أَيُّ بِشْهُودِ مَطْلُوبِنَا عَنَّا عَنْ وُجُودِنَا عَنَّا لَدَى الطُّغْنِ .
أَيُّ عِنْدَ الطُّغْنِ ؛ وَهُوَ زَوَالُ الْعَبْدِ وَفَنَاءُ وَاضْمِحْلَالُهُ عِنْدَ سَطْوَةِ أَثْوَارِ أَقْدَمَ عَلَى
ضَحْضَاحِ الْبَشَرِيَّةِ . فَيَفْنَى مَا لَمْ يَكُنْ . وَيَبْقَى مَا لَمْ يَزَلْ وَقَوْلُهُ : «إِذْ عَنَّا» أَيُّ حِينَ عَرَضَ
هَذَا الطُّغْنِ . لَوْجُودِ الْعَبْدِ الْوَهْمِيِّ ، نَغِيبُ عَنْ وُجُودِنَا . وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ .

وَفِي الْحِكْمِ : الْعَارِفُ مَنْ إِذَا أَشَارَ وَجَدَ الْحَقَّ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ إِشَارَتِهِ لَهُ . لِفَنَائِهِ
فِيهِ وَوُجُودِهِ وَانْطَوَائِهِ فِي شَهْوَدِهِ . . وَقَالَ أَيْضاً : «كَيْفَ يَحْتَجِبُ الْحَقُّ بِشَيْءٍ وَالَّذِي
يَحْتَجِبُ بِهِ هُوَ فِيهِ ظَاهِرٌ وَمَوْجُودٌ حَاضِرٌ» وَقَالَ فِي التَّنْوِيرِ : أَبَى الْمُحَقِّقُونَ أَنْ
يَشْهَدُوا مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ .

لَمَّا حَقَّقَهُمْ بِهِ مِنْ شُهُودِ الْقِيُومَةِ . وَإِحَاطَةِ الدَّيْمُومَةِ . وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي فِي عَيْنِيَّتِهِ :

هُوَ مُوجِدُ الْأَشْيَاءِ وَهُوَ وَجُودُهَا وَعَيْنُ ذَوَاتِ الْكُلِّ وَهُوَ جَوَامِعُ لَا تَطْمَعُ أَنْ تَفْهَمَ هَذِهِ الْأَسْرَارَ . إِلَّا بِصُخْبَةِ الرُّجَالِ ، أَهْلِ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ . وَإِلَّا بَقِيَتْ مَعَ أَهْلِ التَّنْكِيرِ وَالْإِنْتِقَادِ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَلَى الدَّوَامِ . فَتُبْرَأَ بِالْخِيْبَةِ وَالْخُسْرَانِ . وَالْعِيَازِ بِاللَّهِ . ثُمَّ هَذَا الْمَطْلُوبُ إِنَّمَا يَنَالُ وَيُدْرَكَ بِالْحُظُوظِ وَاللَّحُوظِ . كَمَا أَبَانَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :

تَرَكْنَا حُظُوظَنَا مِنْ حَضِيضٍ لِحُظُونَا مَعَ الْمَقْصِدِ الْأَقْصَى إِلَى الْمَطْلَبِ الْأَشْيِ قُلْتُ : الْحُظُوظُ : مَا تَمِيلُ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَتَهْوَاهُ . وَاللَّحُوظُ : الْإِلْتِفَاتُ إِلَى الْحَادِثِ . وَقَصْدُهُ بِالنَّظَرِ . وَالْحَضِيضُ : الْمَكَانُ الْمُنْخَفِضُ . يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : تَرَكْنَا حُظُوظًا مِنْ حُظُوظِ أَنْفُسِنَا : الَّتِي تَهْوِي بِصَاحِبِهَا إِلَى الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ ؛ بِسَبَبِ لِحُظِهِ لغيرِ اللَّهِ . وَالتَّفَاتِهِ إِلَيْهِ . فَعَبَّرَ عَنْ حُظُوظِ النَّفْسِ بِالْحَضِيضِ . وَهُوَ التَّسَاقُطُ إِلَى الْمَرْكَزِ الْأَسْفَلِ ؛ لِأَنَّهَا سَبَبُهُ ؛ لِأَنَّ مِنْ انْهَمَكَ فِي اللَّحُوظِ قَطْعًا يَسْقُطُ إِلَى الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ . وَأَضَافَهُ إِلَى اللَّحُوظِ ؛ لِأَنَّ الْإِشْتَغَالَ بِاللَّحُوظِ مُسَبِّبٌ عَنْ لِحُوظِ الْغَيْرِ ، وَالْإِلْتِفَاتِ إِلَيْهِ . وَأَمَّا لَوْ اشْتَغَلَ بِاللَّهِ لَنَسِيَ حُظُوظَهُ وَلِحُوظَهُ . وَحَاصِلُ مَعْنَى الْبَيِّنَةِ : تَرَكْنَا حُظُوظًا مِنْ حُظُوظِ النَّفْسِ الَّتِي تَهْوِي بِنَا إِلَى الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ بِسَبَبِ لِحُظُونَا إِيَّاهَا وَالتَّفَاتِنَا إِلَيْهَا . الَّتِي لَا يَرْضَى بِهَا ذُو هِمَّةٍ عَالِيَةٍ . وَلَا يَتِمَكَّنُ مَعَهَا فَتُوحَ رَبَّانِيَّةٍ . وَالْحُظُوظُ ثَلَاثَةٌ . حُظُوظٌ جِسْمَانِيَّةٌ . وَحُظُوظٌ قَلْبِيَّةٌ . وَحُظُوظٌ رُوحِيَّةٌ . وَكُلُّهَا تَحْجُبُ عَنِ اللَّهِ لِمَنْ وَقَفَ مَعَهَا . فَالْجِسْمَانِيَّةُ : كَتَمَتِ النَّفْسَ بِلَذَّةِ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ ، وَالْمَنَاقِيحِ وَمَا يَرْجِعُ إِلَى ذَلِكَ . مِمَّا تَتَمَتَّعُ بِهِ الْبَشَرِيَّةُ ، وَيَزِيدُ فِي حَسَنَاتِهَا . إِذَا سَكَنَ شَيْءٌ مِنْهَا فِي الْقَلْبِ . لَمْ يَزَلْ إِلَى اللَّهِ أَبَدًا مَا دَامَ سَاكِنًا فِيهَا .

وَالْقَلْبِيَّةُ : كَحُبِّ الْمَالِ وَالرِّيَاسَةِ ، وَالْجَاهِ وَالتَّقَدُّمِ وَحُبِّ الْمَذْحِ وَالشَّنَاءِ وَالتَّغْطِيمِ ، وَإِقْبَالِ النَّاسِ وَكَاتِنَاظِهِ بِالْكِبَرِ وَالْحَسَدِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ مَصَائِبِ الْقَلْبِ .

وَهَذِهِ أَقْبَحُ مِنَ الْأُولَى ، وَأَصْعَبُ مِنْهَا عِلَاجًا .

وَاعْتَبِرْ بِقِصَّةِ آدَمَ مَعَ إِبْلِيسَ فَكَانَتْ شَهْوَةٌ آدَمَ فِي بَطْنِهِ ، فَتَدَارَكَهُ بِالتَّوْبَةِ .

وَكَانَتْ شَهْوَةٌ إِبْلِيسَ فِي قَلْبِهِ ، فَطُرِدَ وَأُبْعِدَ .

وَالْحُظُوظُ الرُّوحَانِيَّةُ ، كَطَلَبِ الْكَرَامَاتِ ، وَالْوُقُوفِ مَعَ الْمَقَامَاتِ وَخِلَافَةِ

الطَّاعَاتِ .

وغير ذلك من الخوارق. فكلها تقدم في العبودية التي هي سبب في شهود الربوبية. ولذلك قال في الحكم: الحق ليس بمحجوب عنك. وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه. ثم قال: متصلاً بهذه الحكمة: أخرج من أوصاف بشرتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك. لتكون لنداء الحق مجيباً. ومن حضرته قريباً. فكأنه قال: إنما حجبك عن النظر إليه أوصاف بشرتك. أخرج عنها يحصل لك النظر إليه. وعلى هذا المسلك سلك الناظم حيث قال: وطالبنا هو مطلوبنا. أقرب إلينا من وجودنا. ثم قال: تركنا حظوظاً الخ. فكأنه يقول: مطلوبنا أقرب إلينا منا. وإنما حجب الناس عنه، الاشتغال بحظوظهم ولحوظهم التي أهوت بهم إلى الحضيض، فقد تركنا ذلك، فوجدنا الطالب منا عين المطلوب. وقوله: لا مع المقصد الأقصى، أي مع ترك المقصد الأبعد: وهو نعيم الجنان من القصور والحدود التي هي الحسنى. فهو وإن كان ليس من الحظ العاجل، فهو لحظ التفات إلى الغير وسماه المقصد الأقصى؛ لأنه بعيد من حظوظ هذه الدار وعمامة الناس يقصدونه بمعاملتهم. وقوله: «إلى المطالب الأسمى»؛ وهو الزيادة؛ التي هي المشاهدة والترقي في أنوارها أبداً سزماً. جعلنا الله من هذا القبيل آمين. فتحصل أن العبد لا يدخل حضرة الشهود، حتى يترك الحظوظ كلها. ويبقى بقلب مفرد لله تعالى. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾. وقيل للجئيد: كيف الوصول إلى الانقطاع إلى الله عز وجل؟ فقال: «بتوبة تزيل الإضرار، وخوف يقطع التسويف، ورجاء ينبعث على مسالك العمل وإهانة النفس بقربها من الأجل ويغذيها من الأمن. قيل له: بماذا يصل العبد إلى هذا؟ قال: بقلب مفرد بزور. ثم ذكر نتيجة ترك الحظوظ واللحوظ؛ وهو كشف حجاب الكائنات فقال:

وَلَمْ تَلَقْ كُنْهُ الْكَوْنِ إِلَّا تَوْهُمًا وَلَيْسَ بِشَيْءٍ ثَابِتٍ هَكَذَا أَلْفًا

يقول رضي الله عنه: ولم تلق بضم الثون، أي نجد كنه الكون، أي حقيقته، عند انكشاف ظلمة الحس إلا تَوْهُمًا، أي عَدَمًا مَحْضًا؛ تَوْهُمُ النَّاسِ أَنَّهُ شَيْءٌ ثَابِتٌ مَعَ اللَّهِ، وليس شيئاً ثابتاً معه إنما هو كَالْهَبَاءِ فِي الْهَوَاءِ، إن فُتِشَتْ لَمْ تَجِدْهُ شَيْئاً خَارِجاً عَنِ أَنْوَارِ الْأَلُوْهِيَةِ، وإنما الوجود لله وخذه. كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ. وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ. عَلَى هَذَا دَرَجَ أَهْلُ الْأَدْوَاقِ، من أهل التوحيد قاطبة. وبذلك عَتَوْا فِي أَشْعَارِهِمْ، كَقَوْلِ الْفَائِلِ:

مُذْ عَرَفْتُ الْإِلَهَ لَمْ أَرْ غَيْرَ وَكَذَا الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعُ

مَذْجَمْتُ مَا خَشِيتُ افْتِرَاقاً قَاتَا الْيَوْمَ وَاصِلَ مَجْمُوعِ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ لَمْ يَبْقَ كَائِنُ فَمَا تَمَّ مَوْصُولٌ وَلَا تَمَّ بَائِنُ
بِذَا جَاءَ بُرْهَانُ الْعِيَانِ فَمَا أَرَى بِعَيْنِي إِلَّا عَيْنَهُ إِذْ أَعَايُنُ

إلى غير ذلك من مَوَاجِدِهِمْ، وَأَذْوَاقِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ فِي الْحَكَمِ: «مَا حَجَبَكَ عَنِ الْحَقِّ وَجُودٌ مُوجُودٌ مَعَهُ إِذْ لَا شَيْءَ مَعَهُ. وَإِنَّمَا حَجَبَكَ تَوَهُّمُ مُوجُودٍ مَعَهُ». وَقَالَ فِي التَّنْوِيرِ: «فَمَا سَوَى اللَّهِ تَعَالَى لَا يوصفُ بِفَقْدٍ وَلَا بِوُجُودٍ؛ لَأَنَّهُ لَا يُوجَدُ مَعَهُ غَيْرُهُ، لِثُبُوتِ أَحَدِيَّتِهِ. وَلَا فَقْدَ لغيرِهِ؛ لَأَنَّهُ لَا يُفْقَدُ إِلَّا مَا كَانَ مُوجُوداً. وَلَوْ انْهَشَكَ حِجَابُ الْوَهْمِ، لَوَقَعَ الْعِيَانُ عَلَى فَقْدِ الْأَعْيَانِ. وَلَا شَرَقَتْ نُورُ الْإِيمَانِ، فَقَطَى وَجُودُ الْأَكْوَانِ».

وَقَالَ فِي لَطَائِفِ الْمَثَنِ: «وَأَشْبَهَ شَيْءٌ بِالْكَائِنَاتِ وَجُودَ الظَّلَالِ فَالظُّلُّ لَا مَوْجُودَ بِاعْتِبَارِ مَرَاتِبِ الْوُجُودِ، وَلَا مَعْدُومَ بِاعْتِبَارِ مَرَاتِبِ الْعَدَمِ». وَاعْتِبَارَ الْعَدَمِ فِي الظَّاهِرِ أَقْرَبُ؛ لَأَنَّهُ خَيَالٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ. وَتَشَبُّهُ الْكَائِنَاتِ بِالظُّلِّ؛ لَأَنَّهُ يُنْسَخُ وَيُعْدَمُ عِنْدَ وَضُوءِ الشَّمْسِ إِلَى مَحَلِّهِ، فَكَذَلِكَ حِسُّ الْأَوَانِيِّ يُعْدَمُ وَيُفْقَدُ، عِنْدَ طُلُوعِ شَمْسِ الْعِزِّفَانِ عَلَيْهِ. فَإِذَا أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْمَعَانِي، ارْتَفَعَ حِسُّ الْأَوَانِيِّ. وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى عَلَى طَرِيقِ أَهْلِ الْإِشَارَةِ: «أَلَمْ تَرَ إِلَيَّ رَيْكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ؟». أَيْ طَلَّ الْكَائِنَاتِ: «وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ مَكَانًا». أَيْ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَ ذَلِكَ الظِّلَّ سَاكِنًا. مَا ارْتَفَعَتْ ظِلْمَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ. «ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ»، أَيْ شَمْسَ الْعِزِّفَانِ «عَلَيَّوْ» أَيْ عَلَى ذَلِكَ الظِّلِّ «دَلِيلًا» حَتَّى صَارَ ذَلِكَ الْعَارِفُ يَسْتَدِلُّ بِاللُّهُ عَلَى غَيْرِهِ «ثُمَّ قَبَضْنَاهُ» عَلَى قُلُوبِ الْمُتَوَجِّهِينَ «فَبَضًّا يَسِيرًا»: شَيْئًا فَشَيْئًا. عَلَى حَسَبِ التَّصْفِيَةِ وَالتَّرْقِيَةِ حَتَّى يَنْقَطِعَ بِالْكُلِّيَةِ. وَقَدْ أَشَارَ النَّاطِقُ فِي بَعْضِ أَزْجَالِهِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ:

تَجَلَّيْتُ الْمَعَانِي وَغَابَتِ الظَّلَالُ كُتِّرْتُ الْأَوَانِي وَمُرَّقُ الْمِثَالُ
وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ فِي الْحَكَمِ: «الْأَكْوَانُ ثَابِتَةٌ بِإِثْبَاتِهِ، مَمْنُوحَةٌ بِأَحْدِيَةِ ذَاتِهِ. لَا يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِهَا اسْتِفْلالُ. وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّهُ أَظْهَرَ حِسَّهَا لِيُعْرَفَ بِهَا ثُمَّ مَحَاَهَا بِأَحْدِيَةِ أَسْرَارِ ذَاتِهِ؛ وَهِيَ الْمَعَانِي الْقَائِمَةُ بِهَا قِيَامُ الثَّلْجَةِ بِالْمَاءِ، فَإِذَا ظَهَرَ الْمَاءُ بَدُونَ الثَّلْجَةِ، فَلَا ثُلْجَةَ كَمَا قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِيَّةِ:

وَمَا الْكَوْنُ فِي الشَّمْسَالِ إِلَّا كَثُلْجَةٍ وَأَنْتَ بِهَا الْمَاءُ الَّذِي هُوَ تَابِعُ

وَمَا الشُّلُجُ فِي تَحْقِيقِنَا غَيْرُ مَا بِهِ وَغَيْرِ أَنِّي فِي حُكْمِ دَعْنَةِ الشَّرَائِعِ
 وَقَوْلُهُ: هَكَذَا الْفَنَاءُ: أَيْ هَكَذَا حَقِيقَةُ الْفَنَاءِ: مَحْوُ الْأَشْيَاءِ وَاضْمَحْلَالُهَا كَمَا
 قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْمَوَاهِبِ: حَقِيقَةُ الْفَنَاءِ مَحْوٌ وَاضْمَحْلَالٌ. وَذَهَابُ عَنْكَ وَزَوَالٌ وَمِنْ
 الْأَشْيَاءِ وَجُودِ النَّفْسِ، فَلَا يَحِقُّ الْعَبْدُ الْفَنَاءَ حَتَّى يَغِيبَ عَنْ وُجُودِهِ، وَوُجُودُ الْكَوْنِ
 بِأَسْرِهِ فِي شُهُودِ وَجُودِ مَحْبُوبِهِ. وَفِي نَسْخَةِ الشَّيْخِ زُرُوقٍ: «وَلَيْسَ بِشَيْءٍ ثَابِتٍ هَكَذَا
 الْفَنَاءُ». قَالَ يَعْْنِي هَكَذَا وَجَدْنَا إِشَارَةً إِلَى أَنَّ مَعْرِفَتَهُمْ مِنْ طَرِيقِ الذُّوقِ وَالْمُنَازَلَةِ لَا
 مِنْ طَرِيقِ الْعِلْمِ وَالْمُحَاوَلَةِ. قُلْتُ: وَهُوَ غَيْرُ جَيِّدٍ؛ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى تَوَعُّدٍ بِتَكَرُّرٍ مَعَ
 أَوَّلِ الْبَيِّنَاتِ لِأَنَّ قَوْلَهُ: وَلَمْ تَلَقْ، أَيْ نَجَّدَ صَرِيحاً فِي الذُّوقِ وَالْوُجْدَانِ، فَلَا مَعْنَى
 لِإِعَادَتِهِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ ذَكَرَ مَا أُنتَجَ هَذَا الْوُجُودُ فَقَالَ:

فَرَفُضُ السَّوَى فَرَضاً لَأَنَّنَا بِمِلَّةِ مَحْوِ الشُّرْكِ وَالشُّكِّ قَدْ دُنَا
 يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَرَفُضُ السَّوَى، أَيْ طَرَحُهُ وَالْعِيْنَةُ عَنْهُ فَرَضٌ وَاجِبٌ
 عَلَيْنَا مَعَاشِرَ الْمُوَحِّدِينَ. وَهَذَا الْبَيِّنُ مُرْتَبٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ؛ لِأَنَّ مَنْ وَجَدَ الْكَوْنَ تَوْهُمًا
 لَا حَقِيقَةً لِيُوجِدَهُ - وَالْكَوْنَ كُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ - تَعَيَّنَ عَلَيْهِ رَفْضُهُ، وَعَدَمُ اغْتِبَارِهِ،
 نَظَرًا وَاعْتِبَارًا. وَمَحَبَّةٌ وَاسْتِنَادًا. فَلَا يُرَى فِي الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهُ. وَلَا يَغْتَمِدُ فِي أُمُورِهِ
 إِلَّا عَلَيْهِ. كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

حَرَامٌ عَلَى مَنْ وَحَّدَ اللَّهَ رَيْبُهُ وَأَقْرَدُهُ أَنْ يَخْتَلِي أَحَدًا رِفْدًا
 فَبَا صَاحِبِي يَفْ بِبِي عَلَى الْحَقِّ وَقَفَهُ أَمُوتُ بِهَا وَجَدًا وَأَخْيَا بِهَا وَجَدًا
 وَقُلْ لِمُلُوكِ الْأَرْضِ تَجْهَدُ جَهْدَهَا قَدْ أَلْمَلْتُكَ مُلْكٌ لَا يُبَاعُ وَلَا يُهْدَى

وَكَذَلِكَ لَا يَمِيلُ لِمَحَبَّتِهِ شَيْءٌ مِنْ حُسْنِ الْكَائِنَاتِ، وَإِنَّمَا يَتَعَشَّقُ إِلَى أَسْرَارِ
 الْمَعَانِي؛ الَّتِي هِيَ وَجْهُ الرَّحْمَنِ. فَافْتَهُم؛ لِأَنَّ مَنْ سَابَقَتْهُ الْمَعَانِي، لَا يَلْتَفِتُ إِلَى
 جَمَالِ صُورِ الْأَوَانِي. وَغَابَ عَنْهَا فِي جَمَالِ الْمُتَجَلِّي بِهَا فَيَغِيبُ بِحَلَاوَةِ لَذَّةِ
 الشُّهُودِ، عَنْ جَمَالِ كُلِّ مَشْهُودٍ. ثُمَّ عَلَّلَ رَفْضَهُمُ السَّوَى بِقَوْلِهِ: لِأَنَّا بِمِلَّةِ مَحْوِ
 الشُّرْكِ وَالشُّكِّ قَدْ دُنَا؛ أَيْ لِأَنَّا تَمَسَّكْنَا بِمِلَّةِ الْحَقِيقَةِ الْإِبْرَاهِيمِيَّةِ؛ الَّتِي جَاءَ بِهَا
 رَسُولُنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ وَهِيَ مُؤَسَّسَةٌ عَلَى مَحْوِ الشُّرْكِ وَرُؤْيَا الْغَيْرِ عَنْ عَيْنِ
 الْقَلْبِ؛ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حِينَ رُجِّ بِ فِي الْمُنَجْنِقِ. وَرُمِيَ بِهِ فِي
 النَّارِ، تَعَرَّضَ لَهُ جَبْرِيلُ فِي الْهَوَاءِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ: أَمَا إِلَيْكَ فَلَا.
 وَأَمَّا إِلَى اللَّهِ فَبَلَى. فَقَالَ جَبْرِيلُ: سَلِّهُ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «عِلْمُهُ بِحَالِي يُغْنِي عَنِّي

سُؤَالِي». فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى الْوَاسِطَةِ قَطْعاً. وَلَمْ يَشْرِكْ فِي تَمْلِقِهِ أَحَدًا، سِوَى مُؤَلَاةِ
الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ. وَكَذَلِكَ مَخَوِ الشُّكِّ وَالرَّيْبَةِ، فَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، طَلَبَ الْإِنْتِقَالَ
مِنْ عِلْمِ الْيَقِينِ، الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يُزَاجِمَهُ خَاطِرُ تَهْمَةٍ، إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ؛ الَّذِي لَا
يَبْقَى مَعَهُ وَهْمٌ، وَلَا رَيْبَةٌ أَضَلَاءً. إِذْ لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْعَيَانِ. وَذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿رَبِّ
أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ الْآيَةُ. فَأَسَعَفَهُ الْحَقُّ تَعَالَى فِي ذَلِكَ، حَتَّى انْتَقَلَ مِنْ عِلْمِ
الْيَقِينِ. إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: لَأَتُنَّا بِجَمَلَةِ مَخَوِ الشُّكِّ وَالشُّكِّ قَدْ دَنَا.
أَيُّ اتَّخَذْنَاهُ دِينًا، نَتَمَسَّكُ بِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. وَعَلَى هَذَا يَدُورُ فَلَكَ قُطْبُ التَّصَوُّفِ،
بِحَيْثُ لَا يَبْقَى فِي الْقَلْبِ رَيْبَةٌ، وَلَا تَهْمَةٌ فِي ظَهْوَرِ الْحَقِّ وَانْفِرَادِهِ بِالْوُجُودِ؛ لِأَنَّهُمْ
بَلَّغُوا رُتْبَةَ الْعَيَانِ وَازْتَفَعُوا عَنْ مَقَامِ غَيْبِ الْإِيمَانِ. وَكَذَلِكَ الْأُمُورُ الْمَوْعُودُ بِهَا.
صَارَتْ عَنْدهُمْ كَأَنَّهَا حَاضِرَةٌ لَدَيْهِمْ حَتَّى صَارُوا بِحَيْثُ لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ عَنْهَا
وظَهَرَتْ، مَا أَزْدَادُوا يَقِينًا كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وَكَمَا قَالَ حَارِثَةُ فِي
قَضِيَّتِهِ الْمَشْهُورَةِ حِينَ سُئِلَ عَنْ حَقِيقَةِ إِيْمَانِهِ. وَكَذَلِكَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ. ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى مَا قَدَّمَاهُ مِنْ مُشَاهَدَةِ نَفْيِ الْمَكُونِ مَعَ وَجُودِ رَفْضِهِ. وَرَأَى
ذَلِكَ كَالْتِنَاقُضِ فَقَالَ:

وَلَكِنَّهُ كَيْفَ السَّبِيلُ لِرَفْضِهِ وَرَافِضُهُ الْمَرْفُوضُ نَحْنُ وَمَا كُنَّا

قلت: رَافِضُهُ مُبْتَدَأٌ. وَالْمَرْفُوضُ خَبَرٌ، وَنَحْنُ خَبَرٌ، وَنَحْنُ خَبَرٌ عَنْ مُضْمَرٍ
يَعُودُ عَلَى الرَّافِضِ. وَهُوَ وَنَحْنُ وَمَا كُنَّا حَالٌ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ
رَفْضَ السُّوَى فَرْضٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّهُ إِشْكَالٌ؛ وَهُوَ أَنَّ نَقُولَ: كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى رَفْضِهِ.
وَالرَّافِضُ هُوَ الْمَرْفُوضُ. وَالْمَرْفُوضُ عَيْنُ الرَّافِضِ؛ لِأَنَّ الْجَمِيعَ سِوَى، وَهُوَ مُصَدِّرٌ
مَحْضٌ فَالرَّافِضُ هُوَ نَحْنُ. وَمَا كُنَّا شَيْئًا، بَلْ عَدَمًا مُحَضًّا لَا كُنَّا مِنْ جَمَلَةِ السُّوَى
فَتَحْصُلُ: أَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى، هُوَ الَّذِي فَعَلَ جَمِيعَ ذَلِكَ، حَتَّى عَرَفَ نَفْسَهُ وَأَزَالَ
الْمَوَانِعَ عَنْ ذَاتِهِ بِذَاتِهِ وَيُجَابَ بِأَنَّ الْحَقَّ جَلَّ جَلَالُهُ، لَمَّا تَجَلَّى بِاسْمِهِ الظَّاهِرُ، مِنْ
عَالَمِ الْغَيْبِ إِلَى عَالَمِ الشَّهَادَةِ تَجَلَّى أَيْضًا بِاسْمِهِ الْبَاطِنِ، فَبَطَنَ فِي ظَهْوَرِهِ، وَاخْتَفَى
فِي حَالِ تَجَلِّيهِ؛ وَذَلِكَ بِمَا أَسَدَّلَ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ رِدَاءٍ كِبْرِيَاءِيٍّ؛ وَهِيَ رِدَاءُ الْحُسْنِ،
وَيُسَمَّى هَذَا الرِّدَاءُ، عَالَمُ الْجُكَمَةِ، وَعَالَمُ الْأَشْبَاحِ، وَعَالَمُ الْفُرْقِ وَإِنَّمَا تَرْدَى
بِذَلِكَ؛ لِيَبْقَى الْكَثَرُ مَدْفُونًا وَالسَّرُّ مَصُونًا. فَسُبْحَانَ الْمُدَبِّرِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ. فَلَمَّا
بَرَزَتِ الرُّوحُ مِنْ عَالَمِ اللَّطَافَةِ وَالصَّفَاءِ، إِلَى الْعَالَمِ الْحَسِّيِّ، انْسَدَّلَ عَلَيْهَا
الْحِجَابُ، مِنْ جَمَلَةٍ مِنْ انْسَدَلِ عَلَيْهِمْ. فَمَا فَتَحَتْ عَيْنَهَا إِلَّا فِي هَذَا الْعَالَمِ الْحَسِّيِّ

فَعَشَقْتَهُ وَمَالَتْ إِلَيْهِ وَتَاهَتْ فِي فُرُوقِهِ وَتَسَيَّتْ أَضْلَاهَا. وَجَهِلَتْ رُبُّهَا، فَبَعَثَ اللَّهُ
تَعَالَى مَنْ يُعَالِجُهَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَخَلَفَائِهِمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الْفُحُولِ فَأَمَرُوها
بِالْأَدَبِ مَعَ الرَّبُّوبِيَّةِ فِي الظَّاهِرِ فَعَلَّمُوها ثُمَّ أَمَرُوها بِالْأَدَبِ فِي الْبَاطِنِ مَعَهُ؛ وَهُوَ
تَرْكُ الْحُظُوظِ وَاللَّحُوظِ، وَرَفْضُ كُلِّ مَا يَشْغَلُ عَنِ اللَّهِ؛ وَهُوَ الْمُعَبَّرُ عَنْهُ بِالسُّوَى،
فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ، رَجَعْتَ إِلَى أَضْلَاهَا، وَشَاهَدْتَ أَسْرَارَ رَبِّهَا. وَتَنَزَّهْتَ فِي جَمَالِ
ذَاتِهِ. حِينَ ارْتَفَعَ عَنْهَا رِداءُ الْحِسِّ. فَظَهَرَ حِينَئِذٍ بِهَذَا الْاِعْتِبَارِ الرَّافِضُ وَالْمَرْفُوضُ
وَانْحِلَّ الْأَشْكَالُ الَّذِي تَوَهَّمُوهُ. وَأَمَّا لَوْ تَرَكْنَا هَذَا الْاِعْتِبَارَ لَبَطَلَتْ الْأَحْكَامُ
وَالْحِكْمَةُ؛ وَهَذَا كُفْرٌ وَزَنْدَقَةٌ. فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَارِفِ أَنْ تَكُونَ لَهُ عَيْنَانِ: عَيْنٌ تَنْظُرُ
لِعَالَمِ الْجَمْعِ؛ وَهُوَ أَمَامَ الْفَنَاءِ فَلَا يَرَى إِلَّا الْحَقَّ مُتَجَلِّياً بِاسْمِهِ الظَّاهِرِ؛ وَهَذَا هُوَ
الْحَقُّ فِي عَيْنِ الْحَقِيقَةِ. فَيُنْبِتُ الْحِكْمَةَ وَالْأَحْكَامَ وَيُسَمَّى هَذَا الْمَقَامُ مَقَامَ الْبَقَاءِ،
فَيَكُونُ كَامِلاً مَجْمُوعاً فِي فَرْقِهِ. مَفْرُوقاً فِي جَمْعِهِ. يُعْطِي كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ. وَيُؤْفِي
كُلَّ ذِي قَسْطٍ قَسْطَهُ. وَبِهَذَا الْاِعْتِبَارِ عَنَى الشَّاعِرُ شَاكِياً، لِمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ
فَقَالَ:

الْعَبْدُ حَقٌّ وَالرَّبُّ حَقٌّ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنِ الْمُكَلَّفُ
إِنْ قِيلَ عَبْدٌ فَالْعَبْدُ مَيِّتٌ أَوْ قِيلَ رَبٌّ أَتَى يُكَلَّفُ

فَأَجَابَ شَيْخُ شِيُوخِنَا سَيْدِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَاسِي فَقَالَ:

نَعَمْ بِحَقِّ إِنْ بَاتَ عَبْدٌ بِتَغَيِّتِ فَرْقٍ بِهِ يُكَلَّفُ
وَالْعَبْدُ مَيِّتٌ بِكُلِّ حَالٍ لِسِرِّ عَوْنٍ بِهِ مُكَلَّفُ

فَالْعَبْدُ فِي الْحَقِيقَةِ لَا وَجُودَ لَهُ مِنْ ذَاتِهِ أَضْلاً. لَكِنْ لَمَّا تَجَلَّى سُبْحَانَهُ بِمَظْهَرِ
الرُّبُّوبِيَّةِ، فِي قَوَالِبِ الْعُبُودِيَّةِ، سُمِّيَ ذَلِكَ الْمَظْهَرُ بِاِعْتِبَارِ الْقَالِبِ عَبْدًا؛ وَهُوَ
مَحْذُوفٌ بِاِعْتِبَارِ الْمَظْهَرِ. فَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى مُطْلَقِ التَّجَلِّيِّ، رَأَيْتَ عَظِيمَةَ قَدِيمَةِ أَرْلِيَّةِ
وَلَا عَبْدَ. وَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى تَطْوِيرِ ذَلِكَ التَّجَلِّيِّ بِشَكْلِ الْعَبْدِ وَصُورَتِهِ. رَأَيْتَ عَبْدًا
فَقِيراً وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ فِي الْحَكَمِ بِقَوْلِهِ:

سُبْحَانَ مَنْ سَتَرَ سِرَّ الْخُصُوصِيَّةِ. فِي وَصْفِ الْبَشَرِيَّةِ. وَظَهَرَ بِعَظَمَةِ الرُّبُّوبِيَّةِ
فِي إِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ. وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَرَبٌ وَعَبْدٌ وَنَفْسِي ضِدٌّ قُلْتُ لَهُ لَيْسَ ذَلِكَ عِنْدِي
فَقَالَ مَا عِنْدَكُمْ فَمَلْنَا وَجُودُ فَمَقْدُوقٌ وَمَقْدُوجٌ

تَوْحِيدُ حَقِّ بِشْرِكَ حَقٌّ وَلَيْسَ مِنْ سِوَايَ وَخِدي
فَإِنَّمَا أَنْكَرَ وجود العَبْدِ مُسْتَقِلًّا مَفْرُوقًا كَمَا هُوَ اعتقاد عامة أهل الدَّلِيلِ
وَالْبُرْهَانِ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. وَهُوَ مُحَالٌ مُتَكَرِّرٌ عِنْدَ الْعَارِفِينَ الْمُقَرَّبِينَ وَإِنَّمَا أَطْلُتْ
الْكَلَامَ هُنَا؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ خَفِيَّتْ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ لِلْجُودَانِ وَالْعِرْفَانِ فَضْلًا
عَنْ غَيْرِهِمْ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. ثُمَّ نَهَى الْمُرِيدَ عَنْ نِسْبَةِ الْفِعْلِ إِلَى نَفْسِهِ مَعَ كَوْنِهِ لَا
وجود له مع رَبِّهِ بِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ لَهُ. فَقَالَ:

فَيَا قَائِلًا بِالْوُضُلِ وَالْوُقُفَةِ الَّتِي حُجِبَتْ بِهَا ازْجَعُ وَازْعَوِي مِثْلَ مَا أَتَيْنَا
قُلْتُ: اِزْعَوِ أَمْرٌ مِنَ اِزْعَوَى، بِمَعْنَى اِنزَجَرَ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَلَا اِزْعَوَاءَ لِمَنْ وَلَّتْ شَيْبُهُ وَأَذْنَتْ بِمَشْيِبِ بَعْدَهُ هَرَمٌ
وَإِثْبَاتِ الْبَاءِ فِي الْأَمْرِ لِلْوُزْنِ. وَمِثْلُ صِفَةِ لِمُضَدَّرٍ مَحْذُوفٍ. وَمَا مَضَدَّرِيَّةٌ،
وَأَتَيْنَا بِضَمِّ الْهَمْزِ مِنْ أَبٍ، أَيْ رَجَعَ كَقُلْنَا مِنْ قَالَ. أَيْ اِنزَجَرَ وَازْجَعُ عَنْ ذَلِكَ،
رَجُوعًا مِثْلَ رُجُوعِنَا. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مُتَكَرِّرًا عَلَى مَنْ يَدْعِي الْوُصُولَ إِلَى اللَّهِ
بِنَفْسِهِ، أَيْ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ أَوْ بِمُجَاهَدَتِهِ وَرِيَاضَتِهِ. وَعَلَى مَنْ يَشْتَكِي الْوُقُفَةَ مِنْ نَفْسِهِ
إِذْ كِلَاهُمَا عِلَّةٌ فِي الطَّرِيقِ وَشِرْكٌ كَأَنَّ أَنْ يَكُونَ جَلِيًّا عِنْدَ أَهْلِ التَّحْقِيقِ. فَقَالَ: يَا
قَائِلًا بِالْوُصُولِ إِلَى اللَّهِ بِنَفْسٍ وَبِمُجَاهَدَتِهِ. وَيَا قَائِلًا بِالْوُقُفَةِ، وَالْفَتْرَةَ عَنِ السَّيْرِ الَّتِي
حُجِبَتْ بِهَا عَنِ الْوُصُولِ اسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ فِي نَصِيحَتِي، وَازْعَوِي. أَيْ اِنزَجَرَ عَنْ
هَذِهِ الْمَقَالَةِ. وَازْجَعُ إِلَى اللَّهِ بِالنُّوبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ رَجُوعًا مِثْلَ رُجُوعِنَا. فَقَدْ كُنَّا فِي
هَذَا الْمَحَلِّ ثُمَّ ثَبَّنَا، وَرَجَعْنَا إِلَى اللَّهِ عَنْهُ. فَإِنَّ ادِّعَاءَ الْوُصُولِ إِلَى اللَّهِ، مَعَ وُجُودِ
النَّفْسِ، دَعْوَى وَكَذِبٌ. وَاعْتِقَادُ الْوُصُولِ بِالْعَمَلِ عِلَّةٌ وَشِرْكٌ. فَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ
التَّوْبَةُ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ. فَالْوَاجِبُ حِينَئِذٍ الدَّخُولُ عَلَى اللَّهِ مِنْ بَابِ الْكَرَمِ لَا مِنْ بَابِ
الْعَمَلِ فَمَنْ دَخَلَ مِنْ بَابِ الْكَرَمِ وَجَدَ الْبَابَ مَفْتُوحًا. وَمَنْ دَخَلَ مِنْ بَابِ الْعَمَلِ
وَجَدَ الْبَابَ مَغْلُوقًا. وَفِي الْحَكَمِ: «لَوْ كُنْتُ لَا تَصِلُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا بَعْدَ فَنَاءٍ مَسَاوِيكَ
لَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ أَبَدًا. وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوْصَلَكَ إِلَيْهِ. عَطَى وَضَفَكَ بِوَضْفِهِ وَتَغَتَكَ
بِتَغْيَتِهِ. فَوُصَلَكَ إِلَيْهِ بِمَا مِنْهُ إِلَيْكَ. لَا بِمَا مِنْكَ إِلَيْهِ».

وَكَذَلِكَ الْقَائِلُ بِالْوُقُفَةِ؛ وَهِيَ الْفَتْرَةُ الَّتِي تَغْتَرِي الْمُرِيدَ فِي السَّيْرِ، بِحَيْثُ تَبْرُدُ
قَرِيبَتُهُ وَتَنْحَلُّ عَزِيمَتُهُ. وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُظْهَرَهَا إِلَّا لِشَيْخِهِ، وَلَا يَشْتَكِي بِهَا لِغَيْرِهِ. إِذْ
كُلُّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ امْتِحَانًا لِعَبْدِهِ. فَلْيَثْبُتْ فِي الطَّرِيقِ، وَيَلَازِمِ صُحْبَةَ أَهْلِ الْقُوَّةِ

والتحقيق. وَقَالَ بَعْضُهُمْ، الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَقْفَةِ وَالْفَتْرَةِ. أَنَّ الْوَقْفَةَ تَرَدَّدُ. بَلْ حَتَّى يَمُنَّ الْكَرِيمُ الْوَهَّابُ عَلَيْهِ بِالْقُوَّةِ. فَلْيَتَحَقَّقْ بَيْنَ الْأَقْوِيَاءِ مِنْ دَوِيِّ التَّحْقِيقِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَقْفَةِ وَالْفَتْرَةِ. أَنَّ الْوَقْفَةَ تَرَدَّدُ فِي صِحَّةِ الطَّرِيقِ. وَالْفَتْرَةُ: ضَعْفُ الْقَرِيحَةِ؛ وَالْعَزْمُ مَعَ الْجَزْمِ بِصِحَّةِ الطَّرِيقِ فَالْوَقْفَةُ أَقْبَحُ مِنْ الْفَتْرَةِ. فَإِذَا جَزَمَ بِعَدَمِ صِحَّةِ الطَّرِيقِ؛ فَهُوَ رُجُوعٌ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ.

وحاصل كلام الناظم: تحقق الفناء عن النفس، والغيبة عنها بالكلية. فَلَا يُنْسَبُ إِلَيْهَا، وَضَلًا وَلَا وَقْفًا. وَلَا قُوَّةَ وَلَا ضَعْفًا. إِذِ الْكُلُّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِلذَلِكَ قَالَ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ الْعَرَبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«مَنْ شَهِدَ أَنَّ الْخَلْقَ لَا فِعْلَ لَهُمْ فَقَدْ حَازَ، وَمَنْ شَهِدَهُمْ لَا حَيَاةَ لَهُمْ فَقَدْ فَازَ. وَمَنْ شَهِدَهُمْ بِعَيْنِ الْعَدَمِ فَقَدْ وَصَلَ». وَأَنْشُدُوا فِي ذَلِكَ:

مَنْ أَبْصَرَ الْخَلْقَ كَالسَّرَابِ فَقَدْ تَرَقَّى عَنِ الْحِجَابِ
إِلَى وَجُودِ يَرَاهُ رَتْقًا بِلَا ابْتِغَادٍ وَلَا اقْتِرَابِ
وَلَمْ يُشَاهِدْ بِهِ سِوَاهُ هُنَاكَ يُهْدَى إِلَى الصُّوَابِ
فَلَا خَطَابَ مِنْهُ إِلَيْهِ وَلَا مُشِيرَ إِلَى الْخِطَابِ

فَقَوْلُهُ: فَلَا خَطَابَ مِنْهُ إِلَيْهِ: يَشِيرُ إِلَى قَوْلِهِمْ: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ كُلَّ لِسَانُهُ، فَالضَّمِيرُ فِي مِنْهُ يَعُودُ عَلَى مَنْ أَبْصَرَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ بَيَّنَّ أَضْلَ الْعِلَلِ فَقَالَ:

تَقَيَّدْتُ بِالْأَوْهَامِ لَمَّا تَدَاخَلَتْ عَلَيْكَ وَتَوَرَّ الْعَقْلُ أَوْزَنَكَ السُّجُنَا

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِمَنْ وَقَفَ مَعَ الْإِسْتِدْلَالِ، وَقَنَعَ بِمَقَامِ الْإِيمَانِ: لَمَّا تَدَاخَلَتْ عَلَيْكَ الْأَوْهَامُ وَالشُّكُوكُ وَالْخَوَاطِرُ. تَقَيَّدْتُ بِهَا، وَحُجِبْتُ عَنْ مَقَامِ الْإِيمَانِ. وَالْمُرَادُ بِالْأَوْهَامِ وَهْمٌ وَجُودِ الْكَوْنِ وَاسْتِقْلَالُهُ وَمَشَاهِدَةُ الْأَثَرِ فَوْقَ مَعْ ظِلْمَةِ جِسْمِهِ وَلَمْ يَشْهَدْ الْحَقُّ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ فَأَعْوَزَهُ وَجُودُ الْأَنْوَارِ وَحُجِبَتْ عَنْهُ شَمُوسُ الْمَعَارِفِ بِسُحْبِ الْأَثَارِ وَوَهْمُ تَخَلُّفِ ضَمَانِ الرُّزْقِ، فَاسْتَعْلَ بِتَخْصِيلِ أَسْبَابِهِ، وَاجْتِهَادِهِ فِي جَمْعِهِ وَاجْتِكَارِهِ فَأَعْوَزَهُ أَنْوَارُ التَّوَكُّلِ، وَتَظَلَّمَ بِاطْنِهِ بِهِمُ الرُّزْقِ، وَخَوْفِ الْفَقْرِ وَوَهْمِ ضَرَرِ الْخَلْقِ، وَنَفْعِهِمْ، فَاسْتَعْلَ بِاطْنِهِ بِتَخْصِيلِ أَغْرَاضِهِمْ، وَتَظَلَّمَ بِالْخَوْفِ مِنْهُمْ.

فهذه هي الأوهام التي تداخلت قلوب أهل الحجاب. فبقوا من وراء الباب. وَتَدَاخَلَ الْأَوْهَامُ هُوَ تَرَدُّدُهَا وَتَرَادُّفُهَا عَلَى الْقَلْبِ حَتَّى انْخَصَرَتْ فِكْرَتُهُ فِيهَا. وَتَقَيَّدَ

قَلْبُهُ مَعَهَا. وَالْوُقُوفُ أَيْضاً مَعَ نَوْرِ الْعَقْلِ يُورِثُ السُّخْنُ؛ وَهُوَ الْبَقَاءُ مَعَ دَائِرَةِ الْأَكْوَانِ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ غَايَةَ مَذَرِكِهِ، يَذَرُكَ: أَنَّ الصَّنْعَةَ تَحْتَاجُ إِلَى صَانِعٍ، وَلَا يَنْفُذُ نُورُهُ إِلَى تَرْقٍ مِنَ الْكَائِنَاتِ، حَتَّى يُفْضِيَ إِلَى أَسْرَارِ الْمَعَانِي؛ وَشُهُودِ الْمُكُونِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَدَارِكِ الرُّوحِ وَالسَّرِّ. فَإِذَا رَجَعَتِ الرُّوحُ، وَغَابَ عَلَيْهَا ذِكْرُ اللَّهِ. فُتِحَتْ لَهَا مَيَادِينُ الْغُيُوبِ وَخَرَجَتْ فِكْرَتُهَا عَنْ دَائِرَةِ الْأَكْوَانِ إِلَى فُضَاءِ شُهُودِ الْمُكُونِ. وَإِلَى مَا ذَكَرَهُ النَّاطِلُ، أَشَارَ فِي الْحَكَمِ بِقَوْلِهِ: «الْكَائِنُ فِي الْكَوْنِ وَلَمْ يَفْتَحْ لَهُ مَيَادِينُ الْغُيُوبِ، مَسْجُونٌ بِمُجِبَّاتِهِ. مَخْصُورٌ فِي هَيْكَلِ ذَاتِهِ. وَهَذَا الْأَمْرُ لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا أَهْلُ الْأَذْوَاقِ وَإِلَّا فَحَسْبُهُ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَالتَّضَدُّيقُ بِوُجُودِهِ عِنْدَ أَرْبَابِهِ. وَقَدْ تُحْجَبُ الْقُلُوبُ بِالْأَنْوَارِ، كَمَا تُحْجَبُ بِالْأَغْيَارِ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ بِقَوْلِهِ:

وَهِمَّتْ بِأَنْوَارٍ فَهَمْنَا أَصُولَهَا وَمَتَّبَعَهَا مِنْ أَيْنَ كَانَ فَمَا هِمَّتْ

وَقَدْ تَحْجَبُ الْأَنْوَارُ لِلْعَبْدِ مِثْلَ مَا تَقَيَّدَ مِنْ إِظْلَامِ نَفْسٍ خَوْثَ ضِعْفَا

يقول رضي الله عنه: وَهَمَّتْ أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمَخْجُوبُ عَنِ اللَّهِ، أَيَّ تَهْتٌ وَتَلَفَتْ عَنِ السَّيْرِ إِلَى حَضْرَةِ الْحَقِّ وَشُهُودِهِ، بِأَنْوَارٍ قَدْ فَهَمْنَا نَحْنُ أَصُولَهَا. وَمِنْ أَيْنَ تَفَرَّعَتْ وَمَتَّبَعَهَا، وَمِنْ أَيْنَ تَبَعَتْ وَظَهَرَتْ. وَمِنْ أَيْنَ كَانَتْ. فَمَا هِمْنَا أَيْنَ فَمَا تَهْتٌ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ؛ بِالْوُقُوفِ مَعَهَا، وَالرُّكُونِ إِلَيْهَا. وَذَلِكَ كَأَنْوَارٍ خِلَافَةِ الطَّاعَاتِ، وَلَذَّةِ الْمُتَنَاجَاةِ. وَظُهُورِ الْكَرَامَاتِ، وَالتَّنَزُّهِ فِي الْمَقَامَاتِ لِلْعِبَادِ وَالزُّهَادِ وَالصَّالِحِينَ. فَقَدْ وَقَفُوا مَعَهَا وَاعْتَمَدُوا عَلَيْهَا وَرَأَوْا غَايَةَ الْوُصُولِ؛ وَهُمْ أَشَدَّ حِجَاباً عَنِ اللَّهِ. لَا يَخْرِجُهُمْ مِنْ ذَلِكَ. إِلَّا صُحْبَةُ شَيْخٍ كَامِلٍ، بِنُورٍ مُحَرَّقٍ، وَكَتَحْقِيقِ الْمَسَائِلِ، وَتَحْرِيرِ النَّوَازِلِ. وَالتَّفَقُّنِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَهَذَا حِجَابٌ كَبِيرٌ لِلْعُلَمَاءِ يَرَوْنَ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ خَازِنُوا قَصَبِ السَّبْقِ فِي الْكَمَالَاتِ؛ وَهُمْ بِاعْتِبَارِ الرُّجَالِ فِي بَدَايَةِ الْبَدَايَاتِ. وَلَا يَخْرِجُهُمْ مِنْ ذَلِكَ. إِلَّا حَظُّ رُؤُوسِهِمْ لِلْعَارِفِينَ مِنْ مَشَايخِ التَّزْيِينِ، وَكَتَحْقِيقِ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّفَلِيَّةِ فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ مِنْ طَرِيقِ الْاسْتِدْلَالِ؛ وَهُوَ مِنْ أَقْبَحِ الْحِجَابِ لِعُلَمَاءِ الْكَلَامِ وَقَسَّ عَلَى هَذَا سَائِرِ الْعُلُومِ وَالْأَحْوَالِ وَالْوَارِدَاتِ فَمَنْ وَقَفَ مَعَ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَارِ لَمْ تَنْفُذْ بِصِيرَتِهِ إِلَى شُهُودِ ذَاتِ الْحَقِّ؛ فَهُوَ مُحْجُوبٌ عَنْ رُؤْيَا النُّورِ الْأَصْلِيِّ. فَقَدْ فَهَمْنَا هَذِهِ الْأَنْوَارَ، وَعَلِمْنَا أَضْلَامَهَا وَمَتَّبَعَهَا فَرَحَلْنَا عَنْهَا، وَمَا هِمْنَا بِالْوُقُوفِ مَعَهَا.

وفي بعض الإشارات عن الله تعالى يقول: «يَا عَبْدِي لَا تَزَكُّنْ إِلَى شَيْءٍ دُونَنَا فَإِنَّكَ إِنْ زَكَّيْتَ إِلَى الْعِلْمِ جَهَلْتَنَا فِيهِ. وَإِنْ رَكَّيْتَ إِلَى الْعَمَلِ رَدَدْنَاهُ عَلَيْكَ. وَإِنْ

رَكَنْتُ إِلَى خَالٍ وَقَفْنَاكَ مَعَهُ. وَإِنْ رَكَنْتَ إِلَى مَعْرِفَةِ نَكْرَتَاهَا عَلَيْكَ فَآيَ حِيلَةٍ لَكَ؟
فَكُنْ لَنَا عَبْدًا حَتَّى نَكُونَ لَكَ رَبًّا». أَوْ كَمَا قَالَ تَعَالَى.

وقال في الْحَكَمِ: «لَا تَطْلُبْ بَقَاءَ الْوَارِدَاتِ بَعْدَ أَنْ بَسَطْتَ عَلَيْكَ أَنْوَارَهَا.
وَأَوْدَعْتَ عَلَيْكَ أَسْرَارَهَا فَلَكَ فِي اللَّهِ غِنَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَلَيْسَ يُغْنِيكَ عَنْهُ شَيْءٌ».

ومن هذا أيضاً، قَوْلُ الشَّيْخِ مُؤَلَّانَا عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ مَشِيشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَأْنِ
مَقَامِ الرِّضَى وَالتَّسْلِيمِ: «أَخَافُ أَنْ تَشْغَلَنِي خَلَائِقُهُمَا عَنِ اللَّهِ وَبَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَمَنْ لَمْ
يَتَّصِلْ بِشَيْخِ التَّزْيِيَةِ لَا يَطْمَعُ فِي الرَّحِيلِ عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ أَبَدًا. وَلَوْ عَمِلَ مَا عَمِلَ.

وقوله: «وَقَدْ تُحْجِبُ الْأَنْوَارَ لِلْعَبْدِ» الخ. هو تَقْرِيرٌ لِمَا قَبْلَهُ. وَالْمُرَادُ بِالْأَنْوَارِ
مَا تَقَدَّمَ مِنْ خَلَائِقِ الطَّاعَاتِ، وَتَحْقِيقِ الْمَقَامَاتِ، وَتَتَابِعِ الْأَحْوَالِ وَالسَّكْرَاتِ وَفِيضِ
الْعُلُومِ الرَّسْمِيَّاتِ. فَقَدْ تُحْجِبُ هَذِهِ الْأَنْوَارَ لِلْعَبْدِ إِذَا اسْتَحْلَاهَا، وَوَقَفَ مَعَهَا
وَتُسَمَّى أَنْوَارَ التَّوَجُّهِ. قَالَ فِي الْحَكَمِ: «اهْتَدَى الرَّاحِلُونَ إِلَيْهِ بِأَنْوَارِ التَّوَجُّهِ
وَالْوَاصلُونَ لَهُمْ أَنْوَارُ الْمُوَاجَهَةِ. فَالْأَوَّلُ لِلْأَنْوَارِ. وَهَؤُلَاءِ الْأَنْوَارِ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَهُ.
لَا لَشَيْءٍ دُونِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ دَرَجَتْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

وَأَنْوَارُ الْمُوَاجَهَةِ؛ هِيَ أَنْوَارُ الشَّهَادَةِ؛ لِأَنَّهَا تَوَاجَهَ الْعَبْدَ، فَيَغْرُقُ فِيهَا وَيَغِيبُ
عَنْ رُؤْيَةِ الْأَغْيَارِ؛ وَهُوَ مَا سِوَى اللَّهِ. وَقَوْلُهُ: «مِثْلُ مَا تَقْيِدُ مِنْ إِظْلَامِ نَفْسِ حَوْتِ
ضِغْنًا». أَيْ تَحْجِبُهُ الْأَنْوَارُ، وَتَقْيِدُهُ عَنِ النَّهْوِضِ إِلَى اللَّهِ. مِثْلُ تَقْيِيدِهِ مِنْ أَجْلِ ظُلْمِ
نَفْسٍ، حَيْثُ غَيَّبَ الْقَلْبَ بِظُلُمَاتِ الْهَوَى، وَالْحِظُوظِ حِينَ حَوَتْ ضِغْنًا، أَيْ خُبْنًا
فِي الْبَاطِنِ؛ وَهِيَ سَائِرُ الْأَمْرَاضِ مِنَ الْحَسَدِ وَالْكِبَرِ، وَالْحَقْدِ وَغَيْرِهَا مِمَّا هُوَ مُقَرَّرٌ
فِي مَحَلِّهِ. وَخَوَى الشَّيْءُ: ضَمُّهُ وَصَارَ فِي حَوْزِهِ ثُمَّ نَهَى عَنْ دَعْوَى الْوِصَالِ
وَالْأَمْنِ مِنَ السَّلْبِ وَالرَّجُوعِ فَقَالَ:

وَأَيُّ وَصَالٍ فِي الْحَقِيقَةِ يُدْعَى وَأَكْمَلُ مَنْ فِي النَّاسِ لَمْ يَدْعِ الْأَمْنَ
يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي قِصَّةِ الْوِصَالِ وَالْإِتِّصَالِ؛ وَادَّعَى
كُلُّ وَاحِدٍ أَنَّهُ بَلَغَ فِي ذَلِكَ النَّعَايَةَ وَالنَّهَايَةَ؛ وَهُوَ فِي ذَلِكَ تَالِفٌ وَمُخْطِئٌ. وَكَيْفَ
يَدْعِي النَّهَايَةَ فِي الْعِلْمِ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِسَيِّدِ الْعَارِفِينَ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. فَلَوْ
عَاشَ الْعَبْدُ عُمُرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. يَتَرَفَّى فِي الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ مَا بَلَغَ مَعِشَارَ عُمْرِهَا.
وَبَعْضُهُمْ ادَّعَى التَّمَكِّيْنَ فِي الْوُصُولِ إِلَى الْحَقِّ. وَالْأَمْنُ الرَّجُوعُ. وَكَيْفَ يَدْعِي فِي
الْمَسْأَلَةِ الْأَمْنِ مِنَ السَّلْبِ. وَأَكْمَلُ مَا فِي النَّاسِ وَهُوَ سَيِّدُ الْوُجُودِ لَمْ يَدْعِ الْأَمْنَ،
حَتَّى قَالَ: ﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ﴾. وَهَذَا مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ اتِّسَاعِ فِي

الْعِلْمُ وَالْمَغْفِرَةُ؛ لَأَنَّ صَاحِبَ الْإِتْسَاعِ لَا يَقِفُ مَعَ وَغْدٍ وَلَا وَعِيدٍ. إِنَّمَا يَنْظُرُ مَا يَبْرُزُ مِنْ غُنْصُرِ الْقُدْرَةِ لِحُظَّةٍ، لَغَيْبِ الْمَشِيئَةِ. وَلِذَلِكَ كَانَ الْعَارِفُ لَا يَزُولُ اضْطِرَارُهُ. وَلَا يَكُونُ مَعَ غَيْرِ اللَّهِ قَرَارُهُ. وَاعْتَبِرْ بِحَالِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. كَقَوْلِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَلَا أَخَافُ مَا فَتَشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا». فَاسْتَشْنَى مَعَ جَزْمِهِ بِغَدَمِ خَوْفِهِ مِنْ أَضْغَامِهِمْ. ثُمَّ بَيَّنَّ وَجْهَ الْإِسْتِثْنَاءِ فَقَالَ: «وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا». وَكَذَلِكَ سَيِّدُنَا شَعْنِبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالَ: «وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا». وَكَذَلِكَ قَضِيَّةُ نَبِينَا ﷺ مَعَ الصَّدِيقِ مَعَ بَذْرِ، حَيْثُ بَاتَ يَنْتَضِرُ، وَيَدْعُو مَعَ وَغْدِ اللَّهِ لَهُ بِالْضَرِّ حَتَّى قَالَ لَهُ الصَّدِيقُ: «أَمْسِكْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ». فَإِنَّ اللَّهَ مُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ. فَوَقَفَ الصَّدِيقُ مَعَ ظَاهِرِ الْوَعْدِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى غَيْبِ الْمَشِيئَةِ لِاتِّسَاعِ عِلْمِهِ بِاللَّهِ.

وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَأْمُونٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. بِوَعْدِ اللَّهِ لَهُ بِذَلِكَ حَيْثُ قَالَ: «وَسَمِعَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا». وَهَذَا بِإِغْتِيَارِ الدُّنْيَا. وَقَالَ تَعَالَى: «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى». بِإِغْتِيَارِ الْآخِرَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ. لِكَيْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَظْهَرَ الْعُبُودِيَّةَ وَلَمْ يَقِفْ مَعَ شَيْءٍ ﷺ. وَكَذَلِكَ خُلَفَاؤُهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ لَا يَقِفُونَ مَعَ وَغْدٍ وَلَا وَعِيدٍ لَغَيْبِ الْمَشِيئَةِ. وَفِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

«يَا عَبْدِي لَا تَأْمَنُ مَكْرِي وَإِنْ أَمْنُتُكَ فَإِنَّ عِلْمِي لَا يَحِيطُ بِهِ مُحِيطٌ». وَقَدْ يَنْلُغُونَ مِنَ التَّمَكُّنِ مَعَ الْحَقِّ، مَقَامًا يَتَرَجَّعُ مَعَهُ الْأَمْنُ. بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ». فَمَنْ تَحَقَّقَ مَقَامَ الْإِيمَانِ، حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ مَقَامَ الْعِيَانِ. وَانْتَفَى عَنْهُ الشُّرْكُ الْجَلِيّ وَالْخَفِيّ. فَقَدْ حَصَلَ لَهُ الْأَمْنُ بِنَصِّ الْآيَةِ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«يَنْلُغُ الْوَلِيُّ مَقَامًا يُقَالُ لَهُ: أَفْعَلُ مَا شِئْتُ، قَدْ أَصْحَبْتَكَ السَّلَامَةَ، وَأَسْقَطْنَا عَنْكَ الْمَلَامَةَ». وَقَالَ فِي شَأْنِ تَلْمِيذِهِ التُّرْسِيِّ: «قَدْ تَمَكَّنَ الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ مَعَ اللَّهِ تَمَكُّنًا. لَوْ طَلَبَ الْحِجَابَ لَمْ يَجِدْهُ. وَيُسَمَّى مَقَامَ الْمَخْجُوبَةِ». وَيُعْضَدُ قَوْلَهُ تَعَالَى فِي حَقِّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هَذَا عَطَاؤُنَا فَانْتَنُ أَوْ أَمْسِكْ بِمَتْرِ حِسَابٍ».

هَذَا؛ وَإِنْ كَانَ فِي مَقَامِ النُّبُوَّةِ، فَلِلْوَلَايَةِ قِسْطٌ بِحَسَبِ الْوَرَاثَةِ. وَبَعْدَ هَذَا كُلِّهِ لَا يَزُولُ عَنْهُمْ خَوْفُهُمْ. فَلَا يَزُولُ اضْطِرَارُهُمْ، وَلَا يَكُونُ مَعَ غَيْرِ اللَّهِ قَرَارُهُمْ لِاتِّسَاعِ دَائِرَةِ عِلْمِهِمْ. وَقَدْ حَقَّقْنَا هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فِي التَّفْسِيرِ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَالْأَحْقَافِ فَانْظُرْهُ إِنْ شِئْتَ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

وقد تكلّم النَّاسُ فِي حَقِيقَةِ الْوُصُولِ. قَالَ فِي الْحِكْمِ: «وُصُولُكَ إِلَيْهِ، وَصُولُكَ إِلَى الْعِلْمِ بِهِ. وَإِلَّا فَجَلَّ رُبُّنَا أَنْ يَتَّصِلَ بِشَيْءٍ، أَوْ يَتَّصِلَ بِهِ شَيْءٌ». وَأَحْسَنُ مَا يُقَالُ فِي حَقِيقَةِ الْوُصُولِ؛ أَنَّهُ فَنَاءُ الرُّسُولِ وَالْأَشْكَالِ بِظُهُورِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ فَيَنْقُضِي مَا لَمْ يَكُنْ؛ وَهُوَ الْوَهْمُ وَالْجَهْلُ. وَيَبْقَى مِنْ لَمْ يَزَلْ؛ وَهُوَ الْحَقُّ وَخَدُهُ. فَقَدْ كَانَ وَخَدَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ. وَقَدْ بَقِيَ مَا كَانَ عَلَيْهِ. فَالْوُصُولُ إِلَى اللَّهِ. عِبَارَةٌ عَنْ تَحْقِيقِ الْعِلْمِ بِوَحْدِيَّتِهِ. وَغَيْبَةِ الْعَبْدِ عَنْ وَجُودِهِ فِي وَجُودِ مَعْبُودِهِ حَتَّى لَا يُشَاهِدَ إِلَّا عَظَمَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. مُرْتَدِيًا بِرِذَاءِ الْكِبَرِيَاءِ لِيَبْقَى السِّرُّ مَصُونًا. وَالْكَثْرُ مَذْفُونًا. ثُمَّ بَرَهَنَ عَنْ كَوْنِ الْوُصُولِ لَا يَكُونُ بِمُجَرَّدِ الدَّعْوَى فَقَالَ:

وَلَوْ كَانَ سِرُّ اللَّهِ يُذْرَكُ هَكَذَا لَقَالَ لَنَا الْجُمْهُورُ مَا نَحْنُ مَا خِيبَنَا

يقول رضى الله عنه: لَوْ كَانَ سِرُّ اللَّهِ؛ وَهُوَ الْوِلَايَةُ وَالْمَعْرِفَةُ عَلَى سَبِيلِ الْإِيْبَانِ؛ وَهُوَ مَعْنَى الْوُصُولِ إِلَى اللَّهِ، يُذْرَكُ هَكَذَا، أَنِي بِمُجَرَّدِ الدَّعْوَى مَعَ وَجُودِ النَّفْسِ، وَزَاخَةِ الْجَسْمِ، وَرُقُودِهِ تَحْتَ ظِلِّ الْجَدِي لَقَالَ جُمْهُورُ النَّاسِ أَيُّ غَاثَتُهُمْ: مَا نَحْنُ مَا خِيبَنَا الْمَعْرِفَةُ، بَلْ نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا سَوَاءٌ. أَنِي لَوْ كَانَتْ تُنَالُ بِلَا مُجَاهَدَةٍ وَلَا تَرْبِيَةٍ. لَادَّعَاها كُلُّ النَّاسِ لِكُنْهَافَا لَا تُنَالُ إِلَّا بِذَنْجِ النَّفْسِ وَحَطِّ الرَّؤْسِ لِأَرْبَابِهَا. وَيَذَلُّ الْفُلُوسُ زُهْدًا فِيهَا. وَارْتِكَابِ الشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ وَتَتَابِعِ الْوَارِدَاتِ وَالْأَحْوَالِ، وَمُفَارَقَةِ الْأَوْطَانِ وَالْأَحْبَابِ، وَالْغَيْبَةِ عَنِ الْعَشَائِرِ وَالْأَصْحَابِ.

قَالَ فِي الْحِكْمِ: «لَوْلَا مَيَادِينُ النَّفْسِ، مَا تَحَقَّقَ سَيْرُ السَّائِرِينَ». وَقَالَ أَيْضًا: «كَيْفَ تُخْرَقُ لَكَ الْعَوَائِدُ، وَأَنْتَ لَمْ تَخْرُقْ مِنْ نَفْسِكَ الْعَوَائِدُ». وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ الشَّيْخُ بِقَوْلِهِ:

فَكَمْ دُونَهُ مِنْ فِتْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ وَكَمْ مَهْمَةٍ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ قَدْ جُئْنَا

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَكَمْ دُونُ الْوُصُولِ مِنْ فِتْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ أَيُّ مِنْ امْتِحَانٍ وَاجْتِبَارٍ لِلْمُرِيدِ؛ هَلْ هُوَ صَادِقٌ فِي الطَّلَبِ أَوْ هُوَ كَاذِبٌ. فَإِنْ ثَبَتَ وَصَبَرَ وَصَلَّ وَإِلَّا رَجَعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ. فَأَوَّلُ ذَلِكَ تَسْلِيْطُ النَّاسِ عَلَيْهِ بِالْإِذَايَةِ وَالْإِهَانَةِ، وَالتَّضْغِيرِ وَالْهَجْرَانِ. وَرُبَّمَا وَصَلُوا إِلَى ضَرْبِهِ وَسَجْنِهِ. وَتَطْوِيفِهِ وَقَتْلِهِ فَإِنْ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ، تَعَرَّضَ لَهُ إِبْلِيسُ بِالتَّخْوِيفِ وَالتَّسْوِيفِ وَتَبْعِيدِ الْفَتْحِ وَتَبْطِيقِ السَّيْرِ فَإِنْ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ تَعَرَّضَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِتَزْيِينِ زَخَارِفِهَا وَحُظُوظِهَا وَزَهْرَتِهَا، فَإِنْ أَعْرَضَ عَنْهَا، تَعَرَّضَتْ لَهُ الْآخِرَةُ بِحُورِهَا وَقُصُورِهَا، وَسَائِرِ نَعِيمِهَا فَإِنْ أَعْرَضَ عَنْهَا، تَعَرَّضَتْ لَهُ الْكَرَامَاتُ، وَصَوْلَةُ الْأَحْوَالِ وَخَلَاوَةُ الْمَقَامَاتِ. فَإِنْ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا كُلِّهِ. قَالَ لَهُ

الحق جلّ جلاله: «مَرْحَباً وَأَهْلاً هَذِهِ حَضْرَةُ قُدْسِي. تَتَعَمَّ فِيهَا بِمَا شِئْتَ وَتَتَرَّ بِفِكْرَتِكَ حَيْثُ شِئْتَ». وَيُقَالُ لَهُ حَيْثُ:

لَكَ الدَّهْرُ طَوْنٌ وَالْأَتَامُ عَيْدٌ فَعِشْ كُلَّ نَوْمٍ مِنْ أَيْامِكَ عَيْدٌ

وَلِنْ وَقَفَ مَعَ شَيْءٍ مِنْ هَذَا، رَجَعَ مِنَ الطَّرِيقِ. وَأَمَّا مَنْ وَصَلَ فَلَا رُجُوعَ عَلَيْهِ لَهُ: أَيْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ. وَالْوُضُولُ هُوَ تَحْقِيقُ الْفَنَاءِ. وَالتَّمَكُّنُ مِنَ الْبَقَاءِ. وَقَوْلُهُ: «وَكَمْ مَهْمَةٌ الْخُ» هِيَ الْمَفَازَةُ الْبَعِيدَةُ. وَيُجْمَعُ عَلَى مَهَامِيهِ. وَمَعْنَى جُبْنَا: قَطَعْنَا. وَالْجَوْبُ: هُوَ الْقَطْعُ. أَيْ كَمْ مِنْ مَفَازَةٍ لِلنَّفْسِ قَدْ قَطَعْنَاهَا بِالْمُجَاهِدَةِ وَالْمُكَابِدَةِ وَالرِّيَاضَةِ. كَمَشَاقِ الْأَسْفَارِ إِلَى زِيَارَةِ الْمَشَايخِ وَالْإِخْوَانِ وَكَقَطْعِ عَوَائِدِ النَّفْسِ. وَمَا رَكَنْتُ إِلَيْهِ مِنَ الْجَاهِ، وَالرَّاحَةُ، وَإِقْبَالُ الْخَلْقِ بِتَحْمُلِ أَضْدَادِهَا مِنَ الذَّلِّ وَالتَّعَبِ. وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْخَلْقِ بِالْعُزْلَةِ وَالْإِنْفِرَادِ، وَهَذَا هُوَ خَزَقُ عَوَائِدِهَا؛ وَهُوَ شَرْطُ فِي عِمَارَةِ الْبَاطِنِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: مَا يَنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِتَنْضِيحِ الْجُلُودِ، وَضِيْقِ الْكِبُودِ. وَقَالَ الشَّيْخُ زُرَّوقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْمُرِيدَ لَا يَصِلُ لَعَيْنِ الْحَقِيقَةِ، حَتَّى يَرَى مِنَ الْمَحَنِ وَالْفِتَنِ وَالْبَلَايَا مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ. وَيَجُوبُ مَعَ ذَلِكَ مَهَامِيهِ، وَتَقْصُرُ فِيهَا الْخَطَى، فَمَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ نَفَذَ. وَمَنْ أَهْنَهُ رَجَعَ. فَإِنْ جَدَّ تَقَابُلُهُ الدُّنْيَا وَالْخَلْقَ بِالْإِدْبَارِ، وَالنَّفْسَ بِالتَّعَصُّبِ، وَإِنِّي لَيْسَ بِالتَّسْلُطِ. فَإِنْ صَبَرَ وَجَاهَدَ وَجَدَّ وَالتَزَمَ، فَازَ وَوَصَلَ، وَإِلَّا هَلَكَ فِي بَغْضِ أَوْدِيَتِهِ. ثُمَّ يُقَابَلُهُ كَذَلِكَ بِالْإِقْبَالِ. وَالتَّخِيرِ، كَذَا فَإِنْ سَكَنَ كَذَا وَحَذَرَ نَجَى، وَإِلَّا دَهَبَ فِي الْإِغْتِرَارِ وَالِاسْتِرْسَالِ وَنَحْوِهَا، ثُمَّ يُقَابَلُهُ الْجَمِيعُ بِالتَّمْيِكِكِ. فَإِنْ ثَبَتَ وَإِلَّا انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى رَدّاً وَقَبُولاً.

وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ فِي عَيْنِيهِ فِي هَذِهِ الْمَعْنَى:

وَإِيَّاكَ فَاضْبِرْ لَا تَمْلُ فِائِلَهَا بِصَبْرِ الْفَتَى جَاءَتْ إِلَيْهِ الْمَطَامِعُ

وَهَوْنٌ عَلَى النَّفْسِ ازْتِكَاباً لِهَوْلِهَا فَغَيْرُ مُجِبٍّ مَنْ دَهَشَهُ الْفَجَائِعُ

قُلْتُ: مَنْ اتَّصَلَ بِشَيْخِ الثَّرْبِيَّةِ، سَهَلَ عَلَيْهِ ذَلِكَ كُلُّهُ إِنْ التَزَمَ وَتَأَدَّبَ. وَإِنْ لَمْ يَتَّصَلَ بِشَيْخِ الثَّرْبِيَّةِ، أَتَعَبَ نَفْسُهُ بِلَا طَائِلٍ كَمَا جَرَيْنَا ذَلِكَ وَذُقْنَاهُ وَجَرَّبْتُ فِيهِ التَّجْرِبَ عِلْمَ الْحَقَائِقِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ. وَتَمَامُ ذَلِكَ كُلُّهُ إِدَامَةُ السَّيْرِ، وَعَدَمُ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى الْغَيْرِ كَمَا أَبَانَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:

فَلَا تَلْتَفِتْ بِالسَّيْرِ غَيْراً وَكُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ غَيْرٌ فَاتَّخِذْ ذِكْرَهُ حَضَنًا

وَكُلُّ مَقَامٍ لَا تُقَمُّ فِيهِ أَنَّهُ حِجَابٌ فَجُدَّ السَّيَرُ وَاسْتَشْجِدَ الْعَوْنُ
 يقول رضى الله عنه: فلا تلتفت في حال السَّيَرِ إلى غير الله تعالى أياً ما كان
 سواء كان علوماً أو أخوالاً. أو مقامات، أو طاعات، أو كرامات. أو إقبال الخلق،
 أو إدبارهم، أو عزاً، أو غير ذلك. فكل ما سوى الله غير، وحجاب عظيم لمن
 وقف معه. فالمقصود والمطلوب، هو الوصال إلى شهود عظمة ذات الحق عياناً.
 ومعرفة دوماً واتصالاً. فتتخذ ذكره بقلب حصناً من ذلك القواطع. و ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ
 دَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْمُؤْنَ﴾. ولأشك أن ذكر الله حصن مانع من الشيطان، وسائر
 القواطع. يكون أولاً باللسان. ثم بالقلب، ثم بالروح، ثم بالسُر. وهو مقام
 التمكين من المعرفة. فحيث يحصل الأمان من الخلق والشيطان، ومن سائر
 القواطع في الغالب. ومن جملة القواطع، الوقوف مع المقامات؛ فلذلك قال.
 «وكل مقام لا تُقَمُّ فيه أنه حجاب». ولا مفهوم للمقامات، وكذلك الأخوال
 والواردات، لا ينبغي استخلاؤها، ولا التطلع إليها. قال في الحكيم:

«لا تَطْلُبَنَّ بَقَاءَ الْوَارِدَاتِ بَعْدَ أَنْ بَسِطْتَ أَنْوَارَهَا. وَأَوْدَعْتَ أَسْرَارَهَا. فَلَكَ فِي
 اللَّهِ غَنَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَلَيْسَ يُغْنِيكَ عَنْهُ شَيْءٌ. تَطْلُعُكَ إِلَى بَقَاءِ غَيْرِكَ، دَلِيلٌ عَلَى
 غَدَمٍ وَجْدَانِكَ. وَاسْتِيحَاشِكَ بِفَقْدَانِ مَا سِوَاهُ، دَلِيلٌ عَلَى غَدَمٍ وَصْلَتِكَ بِهِ، وَقَالَ
 الشَّيْخُ أَبُو هَادِي فِي صَبَاحِ يَوْمِ لِأَصْحَابِهِ: بِمَ يَرْتَفِعُ الْعَبْدُ مِنْ حَالَةٍ لَمَّا هُوَ أَرْفَعُ
 مِنْهَا؟ قَالُوا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، قَالَ: إِنَّمَا سَأَلْتُكُمْ عَنِ السَّبَبِ الْخَاصِّ بِهَذَا الْأَمْرِ،
 قَالُوا: مِنْ عِنْدِ الشَّيْخِ. قَالَ: يَخْلُقُ اللَّهُ لَهُ هِمَّةً أَعْلَى مِنْ هِمَّتِهِ. فِيرْفَعُهُ بِهَا إِلَى رُتْبَةٍ
 أَعْلَى مِنْ رُتْبَتِهِ. قُلْتُ: وَأَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي الِازْتِفَاعِ، الْانْكَسَارُ وَالِاتِّضَاعُ. فَإِذَا
 انْكَسَرَ الْمُرِيدُ انْضَعَ لِسَيِّدِهِ، بِسَبَبٍ أَوْ بِغَيْرِ سَبَبٍ. حَصَلَ لَهُ التَّرَقُّيُّ إِلَى مَقَامٍ لَمْ يَكُنْ
 يَعْرِفُهُ. ثُمَّ أَمَرَ الشَّيْخُ بِالْجِدِّ فِي السَّيْرِ وَالنَّهْوِ فَقَالَ: «فَجُدَّ السَّيَرُ» أَيِ فَجُدَّ الْعَزَمَ
 وَدُمَّ عَلَى جِهَادِ نَفْسِكَ، وَمُخَالَفَتِهَا. فَلَوْلَا مَيَادِينُ النُّفُوسِ، مَا تَحَقَّقَ سَيْرُ السَّائِرِينَ.
 وَالزَّمَّ صُحْبَةُ الرِّجَالِ وَالْمَشَايِخِ، فَلَا عَوْنَ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ. وَتَأَمَّلْ مَا قَالَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ
 الْقَادِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي عَيْنِيته:

بَسْمُزْ وَلَذَّ بِالْأَزْلِيَاءِ فَلِإِنَّهُمْ
 هُمُ الدُّخْرُ لِلْمَلْهُوفِ وَالْكَثْرُ لِلرَّجَا
 لَهُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ تِلْكَ الْوَقَائِعُ
 وَمِنْهُمْ يَنَالُ الصَّبَّ مَنْ هُوَ طَامِعُ
 بِهِمْ يُهْتَدَى لِلْعَيْنِ مَنْ ضَلَّ فِي الْعَمَا
 بِهِمْ يُجْذِبُ الْعِشَاقُ وَالرَّيْبُ شَاسِعُ

وَأَسْتَجِدُّ الْعَوْنَ، أَي أَطْلُبُهُ مِنَ اللَّهِ، بَعْدَ تَحْصِيلِ مَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّهُ يُعِينُكَ عَلَى مَا تَرِيدُ. وَالْأَسْتَنْجَادُ: الْإِلْحَاحُ فِي الطَّلَبِ. قَالَهُ فِي الْقَامُوسِ ثُمَّ ذَكَرَ رَجْعَ الْعَمَلِ فِي الْفِرَارِ مِنَ الْوُقُوفِ مَعَ الْغَيْرِ فَقَالَ:

وَمَهْمَا تَرَى كُلَّ الْمَرَاتِبِ تُجْتَلَى عَلَيْكَ فُحُلٌ عَنْهَا فَعَنْ مِثْلِهَا حُلْنَا وَقُلْ لَيْسَ فِي غَيْرِ ذَاتِكَ مَطْلَبٌ فَلَا صُورَةَ تُجَلَى وَلَا طُرْفَةَ تُجْنَى

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَمَهْمَا تَرَى كُلَّ الْمَرَاتِبِ مِنْ مَرَاتِبِ أَهْلِ التَّخْصِصِ وَالتَّقَرُّبِ تُجْتَلَى؛ أَي تَظْهَرُ عَلَيْكَ تَمْظَهُّورُ الْكِرَامَاتِ، وَالْكَشْفُ عَنْ أَسْرَارِ الْمَقَامَاتِ، وَخِلَافَةُ الطَّاعَاتِ وَإِقْبَالُ الْوَرَى وَأَبْنَاءُ الْجِنْسِ، فُحُلٌ عَنْهَا؛ أَي تَحَوُّنٌ بِهَيْئَتِكَ عَنْ الْإِلْتِفَاتِ إِلَيْهَا، وَعَنْ الْوُقُوفِ مَعَهَا، فَإِنَّ الْوُقُوفَ مَعَ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، حِجَابٌ عَنْ شُهُودِ الْحَقِّ. قَالَ فِي الْحِكْمِ: «مَا أَرَادَتْ هِمَّةٌ سَائِلِكِ أَنْ تَقِفَ عِنْدَ كُشِفِ لَهَا إِلَّا وَنَادَتْهُ هَوَاتِفُ الْحَقِيقَةِ؛ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ وَلَا تَبْرَحُ ظَوَاهِرَ الْمَكُونَاتِ، إِلَّا وَنَادَتْهُ حَقَائِقُهَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ». وَالْمَرَاتِبِ الَّتِي تُجْتَلَى لِلْسَّائِرِ فِي سَيْرِهِ ثَلَاثٌ: فَنَاءٌ فِي الْأَفْعَالِ وَفَنَاءٌ فِي الصِّفَاتِ، وَفَنَاءٌ فِي الذَّاتِ. فَإِذَا كُشِفَ لِلْسَّائِرِينَ عَنْ تَوْحِيدِ الْأَفْعَالِ وَذَاقَ خِلَافَتَهُ. وَأَرَادَتْ هِمَّتُهُ أَنْ تَقِفَ مَعَ ذَلِكَ الْمَقَامِ، نَادَتْهُ هَوَاتِفُ الْفَنَاءِ فِي الصِّفَاتِ؛ الَّذِي تَطْلُبُهُ أَمَامَكَ. وَإِذَا تَرَقَّى إِلَى الْفَنَاءِ فِي الصِّفَاتِ، وَكُشِفَ لَهُ عَنْ سِرِّ تَوْحِيدِ الصِّفَاتِ. فَاسْتَشْرَفَ عَلَى الْفَنَاءِ فِي الذَّاتِ، وَأَرَادَتْ هِمَّتُهُ أَنْ تَقِفَ مَعَ ذَلِكَ الْمَقَامِ نَادَتْهُ هَوَاتِفُ الْفَنَاءِ فِي الذَّاتِ؛ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ وَإِذَا تَرَقَّى إِلَى الْفَنَاءِ فِي الذَّاتِ، وَكُشِفَ لَهُ عَنْ سِرِّ تَوْحِيدِ الذَّاتِ. وَأَرَادَتْ هِمَّتُهُ أَنْ تَقِفَ مَعَ ذَلِكَ. نَادَتْهُ هَوَاتِفُ حَقِيقَةِ الْبَقَاءِ وَبَقَاءِ الْبَقَاءِ. وَهَكَذَا إِلَى مَا لَا نِهَآيَةَ لَهُ مِنَ التَّرَقِّي. وَإِذَا تَبَرَّجَتْ، أَيِ ظَهَرَتْ بِزِينَتِهَا وَزَخَارِفِهَا ظَوَاهِرُ الْمَكُونَاتِ بِخُرْقِ عَوَائِدِهَا. وَانْقِيَادِهَا لَهُ. وَتَصَرُّفِهَا بِهَيْئَتِهِ. كَالْمَشْيِ عَلَى الْمَاءِ، وَالطَّيْرَانِ فِي الْهَوَاءِ. وَطَيِّ الْمَسَافَةِ الْبَعِيدَةِ فِي لَحْظَةٍ. وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْكِرَامَاتِ الْحُسْنِیَّةِ. وَأَرَادَتْ هِمَّةُ السَّالِكِ أَنْ تَقِفَ مَعَهَا، نَادَتْهُ هَوَاتِفُ الْحَقِيقَةِ؛ وَهِيَ أَسْرَارُ الْمَعَانِي الْبَاطِنِیَّةِ. إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ لَكَ، نَخْتَبِرُكَ هَلْ تَقِفُ مَعَ ظَاهِرِهَا فَتُخْجَبَ بِهَا، أَوْ تُتَفَقَّدَ إِلَى بَاطِنِهَا. فَتَعْرِفُ مَالِكَهَا وَالْمَتَجَلَّى بِهَا.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عُثْمَانَ بْنِ عَاشُورَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَرَجْتُ مِنْ بَغْدَادَ أُرِيدُ الْمَوْصِلَ. فَأَنَا أَسِيرُ، فَإِذَا بِالْذَّنْبِا عُرِضَتْ عَلَيَّ بَعْزَهَا وَجَآهِهَا، وَرَفَعْتَهَا، وَمَرَآكِهَا وَمَلَابِسَهَا. وَمَزِينَاتِهَا وَثَمَارِهَا وَمُسْتَهْيَاتِهَا. فَأَعْرَضْتُ عَنْهَا. فَأَعْرَضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ

بِخَوْرَهَا وَقَصُورَهَا، وَأَنْهَارَهَا وَثَمَارَهَا فَلَمْ أَشْتَغِلْ بِهَا. فَقِيلَ لِي يَا عُثْمَانُ، لَوْ وَقَفْتَ
مَعَ الْأُولَى لَحَجَبْنَاكَ عَنِ الثَّانِيَةِ. وَلَوْ وَقَفْتَ مَعَ الثَّانِيَةِ لَحَجَبْنَاكَ عَنِ الثَّلَاثَةِ. فَهَا نَحْنُ
وَقَسَطُكَ مِنَ الدَّارَيْنِ يَا نَيْكَ». وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَنْ سَمَتْ هِمَّتُهُ عَنِ الْأَكْوَانِ. وَصَلَّ
إِلَى مُكُونِهَا. وَمَنْ وَقَفَ بِهِمَّتِهِ مَعَ شَيْءٍ دُونَ الْحَقِّ فَاتَهُ؛ وَهُوَ أَعَزُّ مِنْ أَنْ يَرْضَى
مَعَهُ بِشَيْءٍ. وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الشَّيْخُ بِقَوْلِهِ: فَلَا يَشْغَلُكَ عَنْهُ أَهْلُهَا الْمُرِيدُ صُورَةَ
تُجَلَّى، أَيْ تَظْهَرُ لَكَ مِنْ نَوْعِ الْكَرَامَاتِ. وَلَا طَرَفَةَ تَجَنَّى، كَوُجُودِ الثَّمَارِ مِنْ غَيْرِ
إِبَانِهَا. وَخِلَافَةِ الطَّاعَاتِ. فَإِنَّهَا سُومُ قَاتِلَةٍ.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَوْقَفَنِي الْحَقُّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ تُرِيدُ الطَّرَفَ
فَقُلْتُ لَا. فَقَالَ: تُرِيدُ الْغُرْفَ. فَقُلْتُ لَا: فَقَالَ: تُرِيدُ التَّحْقِيقَ قُلْتُ لَا. قَالَ: فَمَا
تُرِيدُ؟ قُلْتُ: أُرِيدُ أَنْ لَا أُرِيدَ؛ لِأَنِّي أَنَا الْمُرَادُ وَأَنْتَ الْمُرِيدُ». وَحَكَى أَنَّهُ قَالَ: كَانَ
الْحَقُّ تَعَالَى يَرِينِي الْكَرَامَاتِ، فَأَعْرَضُ عَنْهَا. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنِّي جَعَلَ لِي إِلَى
مَغْرِبَتِهِ سَبِيلًا. قَالَ بَعْضُهُمْ: كُشِفَ لِي عَنْ أَرْبَعِينَ حَوْرَاءَ، قَرَأْتُهُنَّ يَتَشَخَّصْنَ فِيَّ
فَالْتَفَتْتُ إِلَيْهِنَّ. فَحُجِبَتْ عَنِّي مَقَامِي مَدَّةً. ثُمَّ كُشِفَ لِي عَنْ ثَمَانِينَ، فَسَجَدْتُ وَأَنَا
أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَّمَا سِوَاكَ.

وَقَالَ شَيْخُ شَيْوَجْنَا سَيِّدِي عَلِيُّ الْعِمْرَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اشْتَفْتُ يَوْمًا إِلَى
الْجَنَّةِ، فَإِذَا أَنَا أَكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا، وَأَقْطِفُ مِنْ أَزْهَارِهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ أَنْهَارِهَا.
فَاشْتَغَلْتُ بِذَلِكَ عَنْ خِلَافَةِ الشُّهُودِ فَتَبْتُ إِلَى اللَّهِ فَأَخْرَجَنِي مِنْ سِجْنِهَا». وَقَالَ
الْجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْأَلْفُ مَا يُخَادَعُ بِهِ الْأَوْلِيَاءُ، الْكَرَامَاتُ وَالْمَعُونَاتُ». وَيُحَكَى
أَنْ بَشَّرَ الْحَافِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَأَى عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي النَّوْمِ. فَقَالَ
لَهُ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَحْسَنَ عَطْفِ الْأَغْنِيَاءِ عَلَى الْفُقَرَاءِ رَجَاءُ الثَّوَابِ. فَقَالَ لَهُ
عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: وَأَحْسَنَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ، تَبَّهِ الْفُقَرَاءُ ثِقَةً بِاللَّهِ».

قَالَ بَعْضُ الْمَشَايِخِ: وَأَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، هِمَّةُ الْعَارِفِينَ، تَشَاكُلِي لَهَا فِيهَا جَمِيعُ
الْمَقْدُورَاتِ، فَضْلًا عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَلَمَّا قَدِمَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْقُطْبِ ابْنِ مَشِيشٍ، وَجَدَهُ فِي
مَغَارَتِهِ يَدْعُو. فَكَّرَهُ الدَّخُولَ عَلَيْهِ لَيْلًا، وَكَانَ فِي مَقْصِدِ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ نَفْعُ
النَّاسِ، وَجَلْبُهُمْ إِلَيْهِ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ. وَكَانَ يَتَرَدَّدُ فِي خَاطِرِهِ، هَلْ يَدْخُلُ لِلْمُدُنِ
أَوْ يَنْقَطِعُ فِي الْجِبَالِ وَالْقِفَارِ، لِلْعِبَادَةِ، فَسَمِعَ الشَّيْخَ مِنْ دَاخِلِ الْمَغَارَةِ يَقُولُ اللَّهُمَّ
إِنْ قَوْمًا قَدْ طَلَبُوا مِنْكَ أَيْنَ تُسَخَّرُ لَهُمْ خَلْقُكَ. فَسَخَّرْتَهُمْ لَهُمْ. فَرَضُوا بِذَلِكَ وَأَنَا
أَسْأَلُكَ أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، حَتَّى لَا يَكُونَ مَلْجَأِي إِلَّا إِلَيْكَ.

فقال الشيخ أبو الحسن: يا نفسي من أي بحر يغترف هذا الرجل. فلما دخل وسلم عليه. قال له: كيف أنت يا سيدي. قال: أشكو من برد الرضى والتسليم، كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار. فقال: يا سيدي أما شكواي من حر التدبير والاختيار، فقد دُفئتُ وأنا فيه. وأما شكواك أنت من برد الرضا والتسليم. فلماذا؟ قال: أخاف أن تشغلني خلاوتهما عن الله. ثم قال يا سيدي: سمعتك تقول: اللهم إني أسألك اغوجاج الخلق علي. قال ابن مشيش: يا أبا الحسن: عوَضَ أن تقول: اللهم يا رب سخر لي خلقك قل يا رب كن لي. أفترى إن كان لك، أيفوتك شيء؟ فما هذه الجبابة. انتهى بمغناه. فهذه المقامات والكرامات كلها تصرف المرید إلى التعلق بالله. وعدم الالتفات إلى ما سواه كائنًا ما كان. ولما حُرِّضَ على الفناء والفرار إلى الله. أمر بالتمسك بالشرعة، وهو مقام البقاء، وكمال الكمال فقال:

وَسِرْ نَحْوَ أَغْلَامِ الْيَمِينِ فَلِئَلَّا
سَبِيلَ بِهَا يُمْنٌ فَلَا تُتْرَكَ الْيُمْنُ
يقول رضي الله عنه: إذا أقردت قلبك لله، ولأحت عليك أنوار الفناء. فتمسك بالشرعة المحمدية. وسِرْ نَحْوَ أَغْلَامِ الْيَمِينِ، واستظل معهم تحت ظل لواء الشرعة؛ وأغلامها، فإنها طريق بها يُمْنٌ وبركة ونجدة وغنيمة، فلا تُتْرَكَ الْيُمْنُ والبركة فتقع في الخسران والندامة. ولذلك قيل:

مَنْ تَصَوَّفَ وَلَمْ يَتَّقَهُ فَقَدْ تَزَلَدَقَ. وَمَنْ تَقَّاهُ وَلَمْ يَتَصَوَّفْ فَقَدْ تَفَسَّقَ. وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَدْ تَحَقَّقَ.

قال الشيخ زروق رضي الله عنه:

تَزَلَدَقَ الْأَوَّلُ لِإِهْمَالِهِ الشَّرِيعَةَ. وَقَدْ جَاءَ بِهَا الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ؛ فَهِيَ بَاب الدُّخُولِ إِلَى اللَّهِ. وَتَفَسَّقَ الثَّانِي لِإِهْمَالِهِ الْحَقِيقَةَ، وَتَحَقَّقَ الثَّلَاثُ، لِحُجْمِهِ بَيْنَهُمَا. قال: وكان شيخنا أبو العباس بن عقبة الحضرمي كثيراً ما يُنشد هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ:

اتَّبِعْ رِيَّاحَ الصَّبَا وَدُزْ حَيْثُ دَارَتْ
وَسَلِّمْ لِسَلْمَى وَسِرْ حَيْثُ سَارَتْ
ومُرَّاده سَلِّمْ فيما أظنُّه: الشرعة. واللَّهُ أَغْلَمُ. قُلْتُ: بل الظاهر، أنَّها الحقيقة. إذا هي التي يكتفي عنها أهلُ الْفَنِّ بِسَلْمَى. وعِزَّةٌ وَلَيْلَى وأَيْضاً: هي المتصرف في الأشياء كلها فيجب الميل معها أين ما ظَهَرَتْ. والسَّيْرُ بِسَيْرِهَا حَيْثُ سَارَتْ. وأما الشرعة فإنَّها رِذَاءٌ لَهَا وَسِرٌّ لِأَسْرَارِهَا. واللَّهُ أَغْلَمُ.

فالتمسك برسوم الشريعة لأهل الحقيقة قرض لازم. ومن أحل به، رجع من حيث جاء. ولا يزجي فلاحه. وقال الساحلي في بغيته لما تكلم على آداب مقام الإحسان بعد كلام الثالث: إقامة رسوم الشريعة، أحسن إقامة؛ فهي شعار العبودية، وهي الوسائل إلى ذلك الحقائق الإلهية. ومن ظن أن ذلك مستغنى عنه عند موارد التحقيق؛ فهو مغبون في حقيقته. مفتون في وجهته. راض بالجزمان والهوان. ومن علامات صدق أهل الاختصاصات عدم حل اليد من عزوة الشريعة، بل في استغراقهم الحفظ عليها، في إقامة الرسوم الشرعية، كما أن من علامة الخذلان، حل اليد من عزوة الشريعة، عند ورود الحقائق، رزقنا الله من حفظه وكلاءه، ما يحملنا على مناهج العارفين. قلت: ورسوم الشريعة: هو فعل المأمورات، وترك المنهيات. نهي تحريم، أو نهي كراهة. وقال أيضاً: في شروط المعرفة: الثالث: المحافظة على الرسوم الشرعية وإقامة الوظائف الربانية. اقتداء بإمام العارفين، وسيد المقررين الذي تفتطرت قدماء من طول القيام في الصلاة لتمكن معرفته، وقد ضل قوم، وزلت أقدامهم حين ادعوا المعرفة. وقالوا بترك الشريعة، ورأوا ذلك من البر والتقوى. ولم يشعروا بأن ذلك تعطيل وكفر وحاشا المعرفة من ذلك. قال إمام هذه الطريقة، وسيد أهل الحقيقة أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه: «القول بإسقاط الأعمال عندي عظيم والذي يشرق ويزني، أحسن حالاً عندي من الذي يقول بإسقاط الأعمال؛ أي الشريعة». قال النقشبندي: وقد صدق رضي الله عنه. فإن السارق والزاني عاص بسرقته وزناه. ولا يصل إلى حد الكفر. وأما القاتل بسقوط الفرائض. وتحليل المحرمات المعتقداً لذلك فقد انسل الإيمان منه إسالة الشجرة من العجين. ثم قال الجنيد: «فإن العارفين أخذوا الأعمال من الله». ثم قال: ولو بقيت ألف عام لم أنقص من الشريعة ذرة. ثم قال الساحلي في آداب المعرفة: الثالث: ملازمته الهيبة، والصعود إلى غايتها. فإن الهيبة من أمارات المعرفة، كلما ازدادت معرفته ازدادت هيئته. وقد يعبر عن الهيبة بالخشية. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتَّقُونَ﴾. وقال ﷺ: «أنا أغرؤكم بالله وأشدكم خشية». فإن قلت: كلامك يشير إلى المعرفة: محو مطلق. والمحو المطلق: فناء عن الرسوم والصفات، والهيبة من الرسوم والصفات. فالجواب أن المعارف، وإن كان بهذه المثابة من الاستغراق في معروفه. والاستهلاك في موجوده لشهوده. فمن علامات قربه، وإن اختطف عن إحساسه، أن تبقى رسوم الأدب محفوظة عليه، بحفظ الله تعالى إياها عليه. وإقامته فيها مقام الحمد، فيكون

سِرِّهِ مُسْتَعْرِقاً فِي شَهْوَدِهِ وَرَسْمِهِ . قَائِماً بِوِظَائِفِ مَعْبُودِهِ مِنَ الْبُغْيَةِ . وَلِلَّهِ دُرُّ سَيْدِي
عَبْدُ اللَّهِ الْهَبْطِي حَيْثُ قَالَ فِي مَنَظُومَتِهِ ؛ الَّتِي سَمَّاها شَمْسُ الضُّحَى :

وَنَالَتْ الْفُضُولُ فِي الشَّرِيعَةِ لِأَنَّهَا إِلَى الْهُدَى ذَرِيعَةُ
فَكُلُّ بَابٍ دُونَهَا مَسْدُودُ وَمَنْ أَتَى مِنْ غَيْرِهَا مَزْدُودُ
قَدْ اضْطَفَّاهَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ بِمُضْلِهِ وَجُودِهِ عَلَى الْمِلَلِ
طَرِيقَةُ الرَّحْمَنِ لِلْعَذَنَانِ مَخْفُوفَةٌ بِالشُّورِ وَالرُّضْوَانِ
طُوبَى لِمَنْ أَتَى بِهَا لِلْعَرَضِ وَالْوَيْلُ لِلَّذِي بِهَا لَمْ يَقْضِ
وَإِنَّمَا أَطْلُتِ الْكَلَامُ هُنَا ؛ لِأَنِّي رَأَيْتُ كَثِيراً مِنَ الْفُقَرَاءِ خَلُّوا يَدَهُمْ مِنَ
الشَّرِيعَةِ . وَظَهَرَ عَلَيْهِمُ الْمَسْحُ وَالْبُعْدُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنَ السَّلْبِ بَعْدَ الْعَطَاءِ . ثُمَّ خَذَرَ
الشيخ من الوقوف مع مُجَرِّدِ الْعَقْلِ ؛ لِأَنَّهُ مَعْقُولٌ عَنْ شَهُودِ الْأَسْرَارِ فَقَالَ :

أَمَامَكَ هَؤُلَاءِ فَاسْتَمِعْ لَوْصِيَّتِي عِقَالٌ مِنَ الْعَقْلِ الَّذِي مِنْهُ قَدْ تُبِنَا
قُلْتُ . عِقَالٌ بَدَلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ . يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قُدَّامَكَ أَيُّهَا السَّائِرُ هَؤُلَاءِ
عَظِيمٌ ؛ وَهُوَ عِقَالٌ فَكَّرْتَكَ عَنِ التَّفُؤُذِ إِلَى مَيَادِينِ الْغُيُوبِ ، وَفَضَاءِ الشُّهُودِ . وَهَذَا الْعِقَالُ
هُوَ عَقْلُكَ ، حَيْثُ وَقَفْتَ مَعَهُ . وَلَمْ تَذَرِكْ إِلَّا مَا أَدْرَكَهُ مِنْ صِنْعَةِ الْكَوْنِ . وَافْتَقَرَهُ إِلَى
صَانِعِهِ . وَلَمْ تَنْفُذْ إِلَى مَا وَرَاءَهُ مِنْ شُهُودِ الْمُكُونِ فِي مَظَاهِرِ مُكَوِّنَاتِهِ . فَإِنَّ أَسْرَارَ
الْمَعَانِي خَارِجَةٌ عَنِ دَائِرَةِ الْعُقُولِ وَإِحَاطَةُ التُّقُولِ كَمَا قَالَ ابْنُ الْفَارُضِ فِي تَائِيَّتِهِ :

وَلَا تُكُنْ مِنْ طَيْشَتِهِ طُرُوسُهُ بِحَيْثُ اسْتَخَفَّتْ عَقْدُهُ وَاسْتَفْرَّتْ
فَتَمَّ وَرَاءَ الثَّقَلِ عِلْمٌ يَدِيقُ عَنْ مَدَارِكِ غَايَاتِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ
تَلَقُّيْتُهُ عَنِّي وَمَنْ بِي أَخَذْتُهُ وَنَفْسِي كَانَتْ مِنْ عَطَاءِ مَمْدَتِي

فَاسْتَمِعْ لَوْصِيَّتِي ؛ وَهِيَ لَا تَقِفُ مَعَ تَوَهُّمَاتِ الْعَقْلِ . وَتَخِيلَاتِهِ الَّتِي تُبْنَى
مِنْهَا . وَرَجَعْنَا إِلَى رَبِّنَا ، فَاسْتَغْلْنَا بِذِكْرِهِ ، ذِكْراً مُتَّصِلاً . وَتَرَكْنَا حُطُوطَنَا وَلُحُوظَنَا
فَأَشْرَقَتْ عَلَيْنَا الْأَنْوَارُ ، وَلَاحَتْ عَلَيْنَا الْأَسْرَارُ ، فَخَرَجْنَا عَنْ دَائِرَةِ الْأَكْوَانِ . وَأَفْضَيْنَا
إِلَى فَضَاءِ الشُّهُودِ وَالْعِيَانِ بَعْدَ صَحْبَةِ الْمَشَايخ وَخِدْمَتِهِمْ وَامْتِثَالِ أَمْرِهِمْ ، وَلَوْ أَفْضَى
إِلَى الْعَطَبِ وَتَضَدِيقِ قَوْلِهِمْ . وَلَوْ كَانَ مُحَالاً ، كَمَا قَالَ الشاذلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
« إِذَا جَالَسْتُ إِلَى الْكِبَرَاءِ ، فَدَعُ مَا تَعْرِفُ لِمَا لَا تَعْرِفُ ؛ لِتَقُوزَ بِالسِّرِّ الْمَكُونِ » . ثُمَّ
ذَكَرَ وَيَالَ مَنْ وَقَفَ مَعَ عَقْلِهِ فَقَالَ :

أَبَادَ الْوَرَى بِالْمُشْكِلَاتِ وَقَبَلَهُمْ بِأَرْهَامِهِ قَدْ أَهْلَكَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَا
 الْجِنَّ وَالْإِنْسَ: قَبِيلَتَانِ مِنَ الْجِنَّ، عَمَرَتَا الْأَرْضَ قَبْلَ آدَمَ. هَكَذَا وَجَدَ بِحُطِّ
 الثَّوَوِي مِنْهُمْ أَسْوَدَ الْبُهْمِ، أَوْ سَفَلَةَ الْجِنَّ وَضَعَفَاؤَهَا، فَقَدْ ذَكَرَهُ فِي الْقَامُوسِ
 وَنُصَّهُ: وَالْجِنَّ بِالْكَسْرِ: حَيٌّ مِنَ الْجِنَّ مِنْهُمْ الْكَلَابُ السُّودُ الْبُهْمُ أَوْ سَفَلَةُ الْجِنَّ
 وَضَعَفَاؤُهُمْ أَوْ كِلَابُهُمْ أَوْ خَلَقَ بَيْنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ. وَأَمَّا الْبِنُّ: فَقَالَ فِي الْقَامُوسِ
 أَيْضًا: الْبِنَّةُ: الرِّيحُ الطَّيْبَةُ. ثُمَّ قَالَ: وَمَوْضِعُ بَكَائِلٍ، وَبَلَدُهُ بِبَغْدَادَ. وَحِصْنُ
 بِالْأَنْدَلُسِ. فَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ مِنْ قَبَائِلِ الْجِنَّ. لَكِنْ مَنْ أَثْبَتَ حُجَّةً، وَلَمْ يَذْكُرْهُ فِي مَادَّةِ
 الْمُقْصُورِ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي ذِمِّ الْعَقْلِ لِمَنْ وَقَفَ مَعَهُ، وَحُكْمُهُ فِي أُمُورِ
 عِقَائِدِهِ: أَبَادَ الْوَرَى: أَيِ أَهْلِكَهُمْ وَأَتْلَفَهُمْ بِالْمُشْكِلَاتِ النَّظَرِيَّةِ. رَدًّا وَقَبُولًا إِذَا الْعَقْلُ
 إِذَا لَمْ يَتَأَيَّدَ بِأَنْوَارِ الشَّرِيعَةِ، وَلَمْ يَقِفْ مَعَ الْحِجَابِ الْأَعْظَمِ؛ وَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ صَلَّ
 وَأَصَلَ. وَهَذَا سَبَبُ هَلَاكِ الْمُعْتَزَلَةِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، وَالْجَمَامِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الطَّوَائِفِ
 الضَّالَّةِ: الْإِثْنَيْنِ وَالسَّبْعِينَ الْمُفْتَرِقَةِ فِي هَذِهِ الْمِلَّةِ. وَمَنْ قَبَلَهُمْ مِنَ الْمَلَاسِفَةِ،
 وَالطَّبَّائِعِيِّينَ وَأَضْرَابِهِمْ حَيْثُ لَمْ يَتَّقِدُوا بِالْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ. بَلِ اسْتَضَعَّرُوهُ كَمَا قَالَ
 تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾، أَيِ وَتَهَانُوا بِغَيْرِهِ
 بِقَوْلِهِ: ﴿وَحَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾. قِيلَ إِنَّهُ صَادِقٌ بِالْفَلَّاسِفَةِ. وَإِنَّهُمْ
 اغْتَفَدُوا أَنَّ عِنْدَهُمْ مَا يَسْتَغْنَوْنَ بِهِ عَنْ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وَلَمَّا سَمِعَ بُقْرَاطُ
 الْحَكِيمُ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. قِيلَ لَهُ: لَوْ هَاجَزْتَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «نَحْنُ قَوْمٌ مُؤَدَّبُونَ فَلَا
 حَاجَةَ إِلَيَّ مَنْ يَهْدِينَا». وَرَأَى بَعْضُ الصَّالِحِينَ النَّبِيَّ ﷺ. فَسَأَلَهُ عَنِ ابْنِ سِينَاءَ.
 فَقَالَ ﷺ: «إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَصِلَ إِلَى اللَّهِ بِذَوْنٍ وَاسِطَةٍ، فَانْقَطَعَ عَنِ اللَّهِ». وَعَلَى فَرَضِ
 وَقُوفِهِمْ بَعْدَ رِيَاضَةِ النَّفْسِ، وَتَهْذِيبِهَا، عَلَى التَّجَرُّدِ وَانْكَشَافِ قُدْسِ حَضْرَةِ الْحَقِّ.
 فَلَا يَظْفَرُونَ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَلَا بِالْفَنَاءِ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَالتَّخْلِيصِ مِنْ لُوثِ
 وَجُودِهِمْ. وَالشَّأْنُ أَنْ تَكُونَ عَيْنُ الْأَسْمِ. لَا أَنْ تَعْرِفَ الْأَسْمَ وَالْعَيْنَ وَإِنَّمَا تُقْتَبَسُ
 مِنْ مَشْكَائِهِ مَهْطُ الْوُخْيِ. وَانْصِبَابِ أَنْوَارِ الْغَيْبِ. إِنَّمَا تَقِيضُ بِوَاسِطَةِ دَرَةِ الْوُجُودِ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَتُظْهِرُ سِرَّ الْعِيَانِ الْأَخْذِيِّ الْأَحْمَدِيِّ. فَأَلْفَهُمْ. قَالَ شَيْخُ شَيْوَحْنَا
 سَيِّدِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْقَاسِي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَرَضِيَ بِهِ عَنَّا.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ مَجْرُودَ الْعَقْلِ لَا يَنْجِي صَاحِبَهُ. بَلِ يَضُرُّهُ إِنْ وَقَفَ مَعَهُ. وَلَا
 يَصِلُ السَّالِكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِالْغَيْبَةِ عَنْهُ فَيَتَلَقَّى فِي بَدَائِتِهِ مَا يَرُدُّ مِنْ قَبْلِ شَيْخِهِ
 بِالْقَبُولِ وَلَوْ كَانَ مُحَالًا فِي نَظَرِهِ. فَإِذَا دَخَلَهُ الْحَضْرَةُ، تَلَقَّى مَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ.
 وَتَرَكَ عَقْلَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ؛ لِأَنَّ نُورَ الْعَقْلِ كَالْقَمَرِ، وَنُورُ الْمَعْرِفَةِ كَالشَّمْسِ وَلَا وَحُودَ

لنور القمر عند طلوع الشمس؛ وهذا قبل كمال تصفيته كما يأتي. وقوله: وقبلهم
 قد أهلك بأوهاميه الجن والبنا. يعني أن العقل قبل الورا؛ أي الإنسان أهلك
 بأوهاميه وتزيينه؛ قبلتين من الجن. زين لهم الكفر والفساد حتى حازتهم الملائكة
 وأسارت أباهم إبليس فأسلم وعبد في السماوات. فلما أمر بالسجود له. فهمه
 التكبر. فطرد وأبعد ولو خرج عن رأي عقله. ما استعمل القياس الفاسد في تفضيل
 النار على الطين. وبالله التوفيق. وإذا كان العقل مهلكة. فعزله واجب. وعليه
 السلوك. كما أبان ذلك بقوله:

يقول رضي الله عنه: محجنا أي طريقنا التي نسلكها إلى ربنا هي قطع
 الحجة. أي العقل والغنية عنه بالاستغال بذكر الله. والفناء فيه. حتى تفيض علينا
 أنوار المواجهة والشهود فتغيب عن الشاهد في المشهود. فليست طريقنا طريقة
 الاستدلال: لفهم الطريق. حتى نحتاج إلى العقل إنما هي طريقة أدواق ووجدان.
 يغيب الدليل في المذلول. والذاكر في المذكور، والواصل في الموصول فنستدل
 بالله على غيره فلا نجد؛ وهذا هو حجتنا. وغاية بغيتنا. وعرفة وقوفنا. من وصل
 إليه ثم نسكه وحجته. ومن تعوق عنه خاب سعيه. وضاع تعب. وهذا أيضاً حجتنا.
 وبزهان معرفتنا. فما دام السالك يفتقر إلى الاستدلال فهو في الطريق. فإذا استغنى
 عن الدليل بشهود المذلول عليه ورؤيته فقد تحقق وصوله. وفي الحكم: «إلهي
 كيف يستدل عليك بمن هو في وجوده مفتقر إليك. أكون لغيرك من الظهور ما
 ليس لك. حتى متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ ومتى بعدت حتى
 تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ وقول الحكم: بمن هو في وجوده مفتقر إليك.
 يشير إلى جس الكائنات. مع أنها لا وجود لها أصلاً. إذ المعرفة استهلاك الجس
 في المعنى. وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: «كيف يعرف بالمعارف. من
 به عرفت المعارف». وأنشدوا:

عجبت لمن ينبغي عليك شهادة وأنت الذي أشهدته كل شاهد
 وفكرة الاعتبار التي فيها شيء من العقل تغيب عين البصيرة التي هي مبنى
 فكرة الاستبصار. فلا تخلف فكرة الاستبصار إلا بقطع مواد العقل والاستدلال.
 وقوله: تثلوه بآء. أي وتثلوه ما ذكر من حجتنا وحجتنا بآء الوخدة. فقد تهنا بها.
 وغبتا في بحرهما عن وجودنا وزمينا وعقلنا وفهمنا. ولله در سيدي عبد الرحمن
 المجدوب حيث قال:

بأقارئين علم التوحيد هئا البُحور اللي تغبي

هَذَا مَقَامُ أَهْلِ الشَّجَرِ يَذُ الْوَاقِفِينَ مَعَ رَبِّي
وَبَاءُ الْوَحْدَةِ تَشِيرُ إِلَى بِي كَانْ، وَمَا يَكُونُ، فِي تَوْحِيدِ الْأَفْعَالِ، وَبِي قَامَتْ
الْأَشْيَاءُ فِي تَوْحِيدِ الذَّاتِ. فَإِذَا غَرِقَ الْعَبْدُ فِي تَيَّارِ بَحْرِ الذَّاتِ. غَابَ عَنْ حُكْمِ
عَقْلِهِ. وَاسْتَعْتَى بِشُهُودِ رَبِّهِ، عَنِ الْاسْتِدْلَالِ بِعَقْلِهِ. إِذْ لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْعَيَانِ. وَنُقْطَةُ
النَّبَأِ يُشِيرُونَ بِهَا إِلَى نُقْطَةِ الْكَوْنِ. فَإِنَّهُ مَظْهَرُ تَجَلِّيِ الذَّاتِ. وَمُعَرَّفٌ لَهَا. كَمَا
عُرِفَتْ النَّبَأُ بِنُقْطَتِهَا. وَقَدْ سَأَلَ الْجُنَيْدُ الشُّبْلِي مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا نُقْطَةُ النَّبَأِ. فَأَجَابَهُ
الْجُنَيْدُ بِتَحْقِيقِ ذَلِكَ. إِذْ قَالَ:

«أَنْتَ لِشَاهِدِهِ مَا لَمْ تَجْعَلْ لِنَفْسِكَ قُدْرَةً. أَنْتَ مُحَقِّقٌ لِمَعْرِفَتِي لِأَنَّهُ شَيْخُهُ.
مَا لَمْ تُثَبِّتْ لِنَفْسِكَ وَجُودًا مَعَ الْحَقِّ لِأَنَّ النُّقْطَةَ لَهَا انْفِصَالٌ عَنِ النَّبَأِ. وَلَا انْفِصَالٌ
لِلْعَارِفِ عَنْ مُوجِدِهِ. وَلَا لِلْكَوْنِ بِأَسْرِهِ عَنِ التَّجَلِّيِ بِهِ. وَقَدْ أَشَارَ النَّاطِمُ إِلَى هَذَا
الْمَعْنَى، فِي قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ. حَيْثُ قَالَ فِيهَا:

نُقْطَةُ النَّبَأِ كُنْ إِذَا شِئْتَ تَسْمُو أَوْ قَدْغَ ذَكَرَ قُرَيْبًا يَا مَوْلَهُ
وَيَحْتَمِلُ أَنَّ يُشِيرَ بِنُقْطَةِ النَّبَأِ هُنَا إِلَى الْعِبُودِيَّةِ؛ وَهِيَ التَّجَلِّيُ بِالسُّفُلِيَّاتِ، دُونَ
الْعُلُوبِيَّاتِ. فَإِنَّهَا سَبَبُ الْعِزِّ وَالْإِزْتِفَاعِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَمِنْ وَبَائِلِ الْوُقُوفِ مَعَ الْعَقْلِ أَنَّهُ يُنْطَى السَّيْرَ لَمَّا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُنْطِنَا عَنْ
الصُّعُودِ لِأَنَّهُ، يَوْذُ لَوْ أَنَّ لِلصَّعِيدِ قَدْ أَخْلَدْنَا.

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَأْنِ الْعَقْلِ، أَنَّهُ يُنْطِنَا؛ أَيَّ يَعُوْنَا عَنْ الصُّعُودِ عَنْهُ
إِلَى أَسْرَارِ التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ. بِالْوُقُوفِ مَعَ ذَلَالَتِهِ وَحُجَجِهِ؛ لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّ مَا أَدْرَكَهُ لَا
غَايَةَ قُوَّةَ. وَأَسْرَارُ التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ خَارِجَةٌ عَنْ مَدَارِكِ الْعُقُولِ وَإِنَّمَا كَانَ يُنْطِنَا عَنْ
الصُّعُودِ مِنْهُ إِلَى التَّرْقِيِ فِي مَدَارِجِ الْأَسْرَارِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُحِبُّ أَنْ تُفَارِقَهُ. بَلْ يُحِبُّ
بَقَاءَنَا فِي عَقَالِهِ أَبَدًا.

وَكَذَلِكَ الْعَوَائِدُ الَّتِي تَعُوذُنَا بِهَا، لَا نَحِبُّ أَنْ تُفَارِقَهَا. وَحُطُوظُ النَّفْسِ لَا
تُحِبُّ أَنْ تُخْرَجَ عَنْهَا. بَلْ جَمِيعُ ذَلِكَ يُحِبُّ أَنْ نَخْلُدَ لِلصَّعِيدِ؛ أَيَّ نُقِيمَ فِي عَالَمِ
الْأَشْبَاحِ، وَهُوَ عَالَمُ الصِّلَصَالِ حَتَّى نَبْقَى فِي قِيَادِهِ مَرْهُونًا مَعَهُ. فَيَشْغَلُنَا الْعَقْلُ
بِعِلْمِيَّةِ وَفَهْمِيَّةِ وَأَوْهَامِهِ وَأَحْكَامِهِ. وَتَشْغَلُنَا الْعَوَائِدُ بِالْوُقُوفِ مَعَهَا. وَالنَّفْسُ
بِالْعُكُوفِ عَلَى حُطُوظِهَا. وَكُلُّ هَذَا مَانِعٌ مِنْ إِشْرَاقِ أَنْوَارِ التَّوْحِيدِ. وَالْعُرُوجِ إِلَى
أَسْرَارِ التَّغْرِيدِ. فَلَا بُدَّ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ الْعَقْلِ وَخَرْقِ الْعَوَائِدِ، وَمُخَالَفَةِ النَّفْسِ،

وَالْأَقْبَيْنَا فِي عَالَمِ الْأَشْبَاحِ مَخْجُوبِينَ عَنْ عَالَمِ الْأَزْوَاجِ، مَنْجُوبِينَ فِي ظُلْمَةِ الْأَكْوَانِ. عَنْ شُهُودِ الْمُكُونِ.

تنبيه: مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ مِنْ ذَمِّ الْعَقْلِ، إِنَّمَا هُوَ لِمُرِيدِ سُلُوكِ طَرِيقِ الْأَذْوَاقِ. فَلَا بُدَّ أَنْ يَنْعَزَلَ أَوَّلًا عَنْ عَقْلِهِ وَعِلْمِهِ، وَفَهْمِهِ، وَيَنْظُرَ مَا يُشِيرُ عَلَيْهِ شَيْخُهُ. فَإِذَا رُجِيَ بِهِ فِي ثَوْرِ الْحَضَرَةِ، اسْتَعْنَى بِذَوْقِهِ عَنْ عَقْلِهِ، وَأَمَّا مَنْ قَنَعَ بِمَقَامِ الْإِيمَانِ، وَبَقِيَ فِي مَحَلِّ الْأَسْتِدْلَالِ وَالْبُرْهَانِ. فَلَا بُدَّ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ وَالْإِسْتِغْنَاءِ بِشَأْنِهِ فِي اسْتِخْرَاجِ الْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ، وَالثَّقَلِيَّةِ. فَمَا عُرِفَ الْإِلَهَ إِلَّا بِهِ. وَلَا عُبِدَ إِلَّا بِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «قِيَامُ الْمَرْءِ عَقْلُهُ. وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ».

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْمَغْبُوثُ مَنْ أَخْطَأَ حَظَّهُ مِنَ الْعَقْلِ. وَلَا تَوَصَّلَ النَّاسُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ». وَقَالَ أَيْضًا: «أَسَاسُ الَّذِينَ الْعَقْلُ، وَسَيِّدُ النَّاسِ: أَعْقَلُهُمْ». وَقَالَ: «سَيِّدُ أَهْلِ الْجَنَّةِ بَعْدَ الْمُرْسَلِينَ: أَفْضَلُهُمْ عَقْلًا. وَأَفْضَلُ النَّاسِ: أَعْقَلُ النَّاسِ». وَقَالَ: «مَوْتُ أَلْفِ عَابِدٍ صَائِمِ النَّهَارِ قَائِمِ اللَّيْلِ. أَهْوَنُ مِنْ مَوْتِ عَاقِلٍ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ وَنَهَى عَنْ أَحَلِّ لَهُ، وَمَا حَرَّمَ عَلَيْهِ. وَانْتَفَعَ بِعِلْمِهِ وَنَفَعَ بِهِ وَإِنْ كَانَ لَا يَزِيدُ عَنِ الْفَرَائِضِ الَّتِي فَرَضَ عَلَيْهِ كَبِيرُ زِيَادَةٍ».

وَقَالَ ﷺ: «قَسَمَ اللَّهُ الْعَقْلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ، فَمَنْ كُنَّ فِيهِ كَمَلُ عَقْلِهِ. وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَلَا عَقْلَ لَهُ: حُسْنُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ. وَحُسْنُ الطَّاعَةِ. وَحُسْنُ الصَّبْرِ عَلَى أَمْرِهِ». وَالْعَقْلُ عَلَى قَسَمَيْنِ: عَقْلٌ مَوْهُوبٌ، وَعَقْلٌ مَكْسُوبٌ. فَالْمَوْهُوبُ هُوَ الَّذِي يَسْتَعْمِلُهُ صَاحِبُهُ فِيمَا يَقْرُبُهُ إِلَى اللَّهِ. وَيَعْرِفُهُ بِهِ. وَالْمَكْسُوبُ: الَّذِي يَكْسِبُهُ الْعَبْدُ بِالتَّجَارِبِ وَالْمِحْنِ. وَيَسْتَعْمِلُهُ صَاحِبُهُ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ أَخَذَ فِي ذِكْرِ تَطَوُّرَاتِهِ وَتَحْوِيلَاتِهِ فَقَالَ:

تَلَوُّحُ لَنَا الْأَطْوَارُ مِنْهُ ثَلَاثَةٌ كَرَاءٍ وَمَرْئِي وَرُؤْيَا مَا قُلْنَا

يقول رضى الله عنه: إِنَّ الْعَقْلَ يَتَطَوَّرُ بِاِغْتِيَابِ كَمَالِهِ وَنَقْصَانِهِ بِهِ، عَلَى ثَلَاثَةِ أَطْوَارٍ: فَتَارَةً يُنْظَرُ فِيهِ بِاِغْتِيَابِ الرَّائِي، أَيْ النَّاظِرِ بِهِ، فَيَتَطَوَّرُ بِوَضْعِهِ، فَإِنْ كَانَ النَّاظِرُ بِهِ كَامِلًا، اتَّصَفَ عَقْلُهُ بِالْكَمَالِ، وَإِنْ كَانَ نَاقِصًا، اتَّصَفَ بِالنَّقْصَانِ فِي الرَّائِي. بِاِغْتِيَابِ عِرْفَانِهِ وَإِتْقَانِهِ. وَزُهْدِهِ وَوَرَعِهِ. وَصَلَاحِهِ وَكَمَالِ طَاعَتِهِ، وَقُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ، أَوْ بِاِغْتِيَابِ جَهْلِهِ وَضَعْفِ يَقِينِهِ، وَجَرَحِهِ وَطَمَعِهِ. وَفَرْغِهِ وَفُسْقِهِ، وَبُعْدِهِ مِنْ رَبِّهِ.

فَالْعَقْلُ يَزْدَادُ نُورَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالتَّزَاهَةِ وَالْعِفَّةِ. وَالتَّفَرُّغِ مِنَ الشَّوَاعِلِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ وَالْحَرَصِ، وَحُبِّ الدُّنْيَا، وَالْحِفْظِ وَاتِّبَاعِ الْهَوَى. كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَارَةُ الْعَقْلِ مَكْسُوفٌ بِطُغْيَانِ الْهَوَى وَعَقْلٌ عَاصِي الْهَوَى يَزْدَادُ تَشْوِيرًا
وتارة يُنْظَرُ فِيهَا بِإِغْتِبَارِ الْمَرْئِي أَيْ الْمُنْظُورِ فِيهِ . فَيَتَطَوَّرُ بِنَعْتِهِ ، فَإِنْ كَانَ عُلُومًا
نافعة ، أَوْ أَحْوَالًا سَيِّئَةً ، يُرِيدُ التَّجَلِّيَ بِهَا . فَيَنْظُرُ فِي سَبِيلِهَا . أَوْ مَقَامَاتٍ عَالِيَةٍ يَرِيدُ الرُّقْيَ
إِلَيْهَا . لِكَمَالٍ ، أَوْ مَعْرِفَةٍ كَامِلَةٍ يَرِيدُ الصُّعُودَ إِلَيْهَا . فَيَتَفَكَّرُ بِعَقْلِهِ فِي مَعَارِجِهَا . فَهَذَا
العقل كَامِلٌ لِكَمَالِ الْمُنْظُورِ فِيهِ . وَهُوَ الْمُرَادُ بِالْمَرْئِي . وَإِنْ كَانَ الْمَرْئِي أَيْ الْمُنْظُورُ فِيهِ
ناقصاً . كَعُلُومٍ حَدِيثَةٍ . أَوْ فَلَاسِفِيَةٍ . أَوْ أَقْوَالٍ فَاسِذَةٍ . تُسَوِّسُ بِذَرَّةِ الْإِيمَانِ ، أَوْ أَنْظَارًا
تَخْيِيلِيَّةٍ أَوْ وَهْمِيَّةٍ لِأَحَقِيقَةٍ . وَقَسَّ عَلَى هَذَا . فَهَذَا الْعَقْلُ نَاقِصٌ بِاعْتِبَارِ الْمُنْظُورِ فِيهِ .
وتارة النَّظَرُ بِإِغْتِبَارِ مَا قُلْنَا فِيهِمَا سَلَفٌ ، فَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ مُرِيدًا طَرِيقَ الْأَذْوَاقِ وَالْوُجْدَانِ .
فَالنَّظَرُ بِهِ نَقْصَانٌ ، وَالْوُقُوفُ مَعَهُ خِذْلَانٌ . وَإِنْ كَانَ قَاصِدًا تَصْحِيحِ مَقَامِ الْإِيمَانِ . عَلَى
طَرِيقِ الْإِسْتِدْلَالِ وَالْبُرْهَانِ . فَالنَّظَرُ بِهِ كَمَالٌ . وَاعْتِبَارُهُ وَاجِبٌ فِي الْبَرَاهِنِ الَّتِي لَا تَذْرُكُ
إِلَّا بِهِ فِي بَابِهِ . وَإِنْ أَيْدَهُ بِأَنْوَارِ الشَّرِيعَةِ . مِنْ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ . فَهُوَ كَمَالُ الْكَمَالِ ؛ وَهَذَا
مَعْنَى قَوْلِهِ : تَلَوُّحٌ : أَيْ تَظْهَرُ لَنَا الْأَطْوَارُ مِنْهُ ثَلَاثَةٌ . تَارَةً يَتَطَوَّرُ كِرَاءً بِهِ . وَتَارَةً كَمَرْئِي
فِيهِ . وَتَارَةً كَرُؤِيَّةٍ مَاءٍ . كَمَا قُلْنَا فِيهِمَا تَقَدُّمٌ مِنَ التَّفْصِيلِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . ثُمَّ ذَكَرَهُ النَّاطِمُ
أَطْوَارًا . بِاعْتِبَارِ الرَّأْيِ فَقَالَ :

وَيَنْبَصِرُ عَبْدًا عِنْدَ طُورٍ بِقَائِهِ وَيَرْجِعُ مَوْلًى بِالْقَنَاءِ وَهُوَ لَا يَفْنَى
يعني أنَّ العقل يتطوَّرُ أيضاً باعتبار الرأي في مقام البقاء والفناء ، والسلوك
والجذب ، فَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ فِي مَقَامِ الْبَقَاءِ الْأَوَّلِ . وَهُوَ مَقَامُ الْحِجَابِ ، أَنْبَصَرَ الْعَقْلُ .
وَرَأَى عَبْدًا ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ عَبْدٌ . مَا بَرَحَ عَنْ مَقَامِ الْعِبَادِيَّةِ ؛ وَهُوَ السُّلُوكُ الْأَوَّلُ عِنْدَ
غَيْبُوبَتِهِ . وَيُسَمَّى مَقَامَ الْجَذْبِ . وَهُوَ اخْتِنَافُ الْعَقْلِ . مِنْ شَهَادَةِ الْكَوْنِ إِلَى شَهَادَةِ
الْمُكُونِ . أَوْ مِنْ شَهَادَةِ الْخَلْقِ إِلَى شَهَادَةِ الْحَقِّ . فَالْعَقْلُ لَا يَفْنَى بِقَنَاءِ صَاحِبِهِ . وَإِنَّمَا
يَتَغَطَّى نُورُهُ بِنُورِ شَمْسِ الْعِرْقَانِ . كَنُورِ الْقَمَرِ مَعَ الشَّمْسِ وَكَمَا أَنَّهُ يَتَغَطَّى نُورُهُ بِالْخَمْرَةِ
الْحَسِيَةِ . كَذَلِكَ يَتَغَطَّى بِالْخَمْرَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ الْأَزْلِيَّةِ . فَإِذَا صَحَا الْمُرِيدُ مِنْ سُكْرَتِهِ ، وَخَرَجَ
مِنَ الْفَنَاءِ إِلَى الْبَقَاءِ . رَجَعَ نُورُ الْعَقْلِ إِلَيْهِ . فَيُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الْحَسِّ وَالْمَعْنَى . وَبَيْنَ الْحُكْمَةِ
وَالْقُدْرَةِ . وَبَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ . فَيُغْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ . وَكُلَّ ذِي قِسْطٍ قِسْطَهُ .
فَالْبَقَاءُ بَقَاءَانِ : بَقَاءٌ أَوَّلٌ : وَهُوَ بَقَاءُ النَّفْسِ . وَحَقِيقَتُهُ : شَهَادَةُ الْخَلْقِ بِلَا حَقٍّ . وَبَقَاءٌ ثَانٍ
بَقَاءٌ بِاللَّهِ : وَهُوَ شَهَادَةُ خَلْقِ بِحَقٍّ . فَمُرَادُ النَّاطِمِ : الْأَوَّلُ ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ عَبْدٌ مُحَضَّرٌ . وَأَمَّا
الْبَقَاءُ الثَّانِي ، فَصَاحِبُهُ مُخَيَّرٌ . إِنْ رَأَى إِلَى نَفْسِهِ رَأَى نَفْسَهُ عَبْدًا . وَإِنْ نَظَرَ إِلَى مَعْنَاهُ :
رَأَاهُ مَرًّا . فَهُوَ يَتَطَوَّرُ كَيْفَ يَشَاءُ : الْعِبَادِيَّةَ طَوْعًا يَدُهُ . وَالْحَرِيَّةَ طَوْعًا يَدُهُ . وَهَذَا هُوَ
الْعَارِفُ الْكَامِلُ يَطُورُ الْعَقْلَ لَوْحًا وَقَلَمًا . كَمَا أَبَانَ ذَلِكَ النَّاطِمُ بِقَوْلِهِ :

وَلَوْحاً إِذَا لَاحَتْ سَطُورُ كَيَانِنَا لَهُ فِيهِ وَهُوَ اللَّوْحُ وَالْقَلَمُ الْأَدْنَى
يقول رضى الله عنه: ويبصر العقل أيضاً لوحاً. أي كاللوح المحفوظ إذا
لاحت سَطُورُ الكَائِنَاتِ إِذَا صَفَا وَتَطَهَّرَ نوره حتى اتصل بالعقل الأكبر؛ وهو أَوَّلُ
نور فَيَأْخُضُ مِنْ بَخْرِ الجِبْرُوتِ. وفي الحديث: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ». فقال له:
أَقْبَلْ، فَأَقْبَلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ. ثم قال: فوعزتي وجلالي لا أعطيك إلا لِمَنْ
أَخْبَيْتُ مِنْ عِبَادِي. وهو حديث متكلم فيه بالوضع والضعف. وَيُسَمَّى أَيْضاً هَذَا
الْعَقْلُ: الرُّوحُ الْأَعْظَمُ، فَإِذَا تَطَهَّرَ الرُّوحُ، وَكَمَلَ صَفَاوَاهَا، اسْتَوْلَى نُورُهَا عَلَى
الْكَائِنَاتِ بِأَسْرِهَا. فالعقل والرُّوحُ إِذَا كَمَلَ تطهيرهما انطوى فيهما جميع الكائنات
وصار كاللوح المحفوظ، وإلى ذلك أشار في المباحث الأصلية بقوله:

أَغْقِلْ فَأَنْتَ نَشْخَةُ الْوُجُودِ لَهُ مَا أَغْلَاكَ مِنْ مَوْجُودِ
أَلَيْسَ فِيكَ الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ وَالْعَالَمُ الْعُلُوي وَالسَّفَلِي
مَا الْكَوْنُ إِلَّا رَجُلٌ كَبِيرٌ وَأَنْتَ كَوْنٌ مِثْلُهُ صَغِيرٌ
وقال النظام في بعض أَرْجَالِهِ:

وَأَنْتَ مَرَأَى لِلنَّظَرِ قُطْبُ الزَّمَانِ وَفِيكَ يَطُورُ مَا انْتَشَرَ مِنَ الْأَوَانِي.

وقوله هنا: سَطُورُ كَيَانِنَا، أضله كواننا، فيجمع على أَكْوَانٍ وَكَوَانٍ. أي يصير
لوحاً، إِذَا لَاحَتْ سَطُورُ أَكْوَانِنَا لصاحبه فيه: أي فِي عَقْلِهِ؛ وهو حينئذ اللَّوْحُ
المحفوظ الْأَدْنَى وَالْقَلَمُ الْأَدْنَى: أي الْأَصْغَرُ، إِذِ الْكَبِيرُ هُوَ اللَّوْحُ المحفوظ؛
وَالْقَلَمُ الَّذِي يَكْتُبُ فِيهِ. وَمِنْ تَصَرُّفِهِ بِالْقَلَمِ فِي لَوْحِهِ مَا ذَكَرَ النَّازِمُ بقوله:

يَمُدُّ خُطُوطَ الدَّهْرِ عِنْدَ التَّفَاتِيهِ إِحَاطَتُهُ الْقُضُوءِ الَّتِي فِيهَا أَظْهَرْنَا
يقول رضى الله عنه: لَمَّا شَبَّهَ الْعَقْلَ بِالْقَلَمِ إِذْ اتَّصَلَ نوره بِالْعَقْلِ الْكَبِيرِ يَمُدُّ
هَذَا الْعَقْلَ خُطُوطَ الدَّهْرِ، فَيُتَجَلَّى فِيهِ الْمَاضِي وَالْآتِي وَالْحَالُ. فَكَأَنَّ الْأَزْمِنَةَ قَدْ
كَتَبَتْ وَسَطَرَتْ فِي مَرَاتِهِ، مِنْ مَدَدِ نُورِهِ عِنْدَ التَّفَاتِيهِ إِلَيْهَا فَيَرَى الْأَوَّلَ عَيْنَ الْآخِرِ.
وَالْمَاضِي عَيْنَ الْحَالِ. إِذِ الْمَتَجَلِّي فِي الْأَزْمِنَةِ وَاحِدٌ، وَهَذِهِ إِحَاطَتُهُ الْقُضُوءِ،
وَعَايَةُ إِدْرَاكِهِ. وَأَمَّا تَفَاصِيلُ كَيْفِيَّتِهَا وَمَا يَقَعُ فِيهَا مِنَ الْمَقْدُورَاتِ. فَمِنْ شَأْنِ
الزَّبُونِيَّةِ؛ لِأَنَّا فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ ظَهَرْنَا، وَظَهَرَ وَجُودُنَا. فَلَا نَعْرِفُ وَرَاءَهُ تَفْصِيلاً.
وهي سِدْرَةٌ مَتَهَى الْعَقْلِ، كَمَا أَبَانَ ذَلِكَ النَّازِمُ بقوله:

أَقَامَ دُونِنَ الدَّهْرِ سِدْرَةً دَاتِيَهُ وَنَحْنُ وَوَضَفُ الْكُلِّ فِي وَضْعِهِ صَرْنَا

قلتُ: دُونِي: تَصْغِيرُ دُونٍ؛ وهو ظرف لأَقَامٍ، والدَّهْرُ عبارة عن مرور الفلكِ، وسِدْرَةُ مفعول أقام. ونحن مبتدأ، وصِرْنَا خَبَرٌ. وفي وصفه متعلق به. يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَأْنِ الْعَقْلِ الْأَصْغَرِ، أَنَّهُ أَقَامَ سِدْرَةَ ذَاتِهِ، وَمُنْتَهَى عِلْمِهِ، دُونَ إِحَاطَةِ الدَّهْرِ. وَمُرُورِ أَفْلَاكِهِ. فَلَا يَعْرِفُ مَا وَرَاءَهَا مِنَ الْأَسْرَارِ اللَّطِيفَةِ؛ الَّتِي لَا نِهَآيَةَ لَهَا وَلَا حَدَّ فَوْقًا وَلَا تَحْتًا، وَلَا طَوْلًا وَلَا عَرْضًا، وَرُؤْيَى أَنَّهُ مَلَكًا اسْتَأْذَنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَصْعَدُ فِي هَذِهِ الْأَسْرَارِ، الْخَارِجَةِ عَنِ الْعَرْشِ. فَأُذِنَ لَهُ؛ فَطَارَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. فَقَالَ أَيْنَ أَنْتَ يَا رَبِّ. فَقَالَ: «أَنَا مَعَكَ»، فَتَابَ وَطَلَبَ الرُّجُوعَ ثُمَّ طَارَ ثَلَاثِينَ أُخْرَى، فَقَالَ: أَيْنَ أَنْتَ يَا رَبِّ. فَقَالَ: «أَنَا مَعَكَ» فَتَابَ وَطَلَبَ الرُّجُوعَ إِلَى عَرْشِهِ فَالْعِظْمَةُ الْمُحِيطَةُ بِكَوْرَةِ الْكَوْنِ لَا نِهَآيَةَ لَهَا.

فالعقل المعقول، مسجون بمحيطاته محصور في هَيْكَلِ ذَاتِ صَاحِبِهِ. فَلَا يَرَى إِلَّا جِسْمَ الْكَائِنَاتِ الْمُحِيطَةِ بِهِ وَلَوْ تَكْمَلُ نُورُهُ وَاتَّصَلَ بِنُورِ الْعَقْلِ الْأَكْبَرِ لَخَرَجَتْ فِكْرَتُهُ عَنْ دَائِرَةِ الْأَكْوَانِ إِلَى شُهُودِ الْمَكُونِ فِي دَائِرَةِ مَكُونَاتِهِ. وَفِيمَا خَرَجَ عَنْهَا مِنَ الْأَسْرَارِ الَّتِي أَحَاطَتْ بِأَفْلَاكِ الْأَنْوَارِ. مَعَ كَوْنِ الْعَقْلِ عَاجِزًا عَنِ التَّفَوُّذِ إِلَى مَا وَرَاءَ أَفْلَاكِ الدَّهْرِ فَقَدْ حَارَ النَّاسُ فِي أَفْلَاكِهِ، بَلْ وَصَفَهُ عَمُومًا وَخُصُوصًا فَلَمْ يَقِفُوا عَلَى كُنْهِ حَقِيقَتِهِ. وَلَا أَتَيْنَ مَحَلَّهُ؛ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: وَنَحْنُ وَوَصَفَ الْكُلَّ فِي وَصْفِهِ جِزْئًا. وَأَقْرَبُ مَا قِيلَ فِيهِ: إِنَّهُ نُورٌ لَطِيفٌ يُدْرِكُ بِهِ الْعُلُومَ الضَّرُورِيَّةَ وَالنَّظَرِيَّةَ. قِيلَ: مَحَلُّهُ الدِّمَاغُ؛ وَهُوَ مَذْهَبُ الْفَلَسَفَةِ. وَقِيلَ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ. لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَبْقَوْنَ بِهَا﴾. وَجَمَعَ بَعْضُهُمْ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ، بِأَنَّهُ قَالَ: مَحَلُّهُ الْقَلْبُ. وَبِتَصَلُّ شِعَاعِهِ بِالدِّمَاغِ بِدَلِيلِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا ضُرِبَ فِي دِمَآغِهِ، اخْتَلَّتْ عَقْلُهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ ثُمَّ ذَكَرَ النَّاطِقُ تَطْوِيرًا آخَرَ فَقَالَ:

يَقِيدُ بِالْأَزْمَانِ لِلدَّهْرِ مِثْلَ مَا يَكَيِّفُ لِلْأَجْسَامِ مِنْ ذَاتِهِ الْإِيْنَا

يقول رضي الله عنه في شأن العقل أن يقيد الدهر بالأزمنة: بالماضي والمستقبل والحال. فالحركة التي انقضت من الفلك زمانها ماض. والآتية زمانها مستقبل، والحاضرة زمانها حال ولولا العقل لاستوتت الأزمنة. ألا ترى أن غير العاقل لا شعور له بهذه الأزمنة. فإذا صفا نور العقل، وتوجه لمولاه، غاب عن الماضي والمستقبل، واشتغل بعمارة الأرض الوقت الذي هو فيه.

وأما العقل الأكبر، فما عنده زمان واحد، لرؤيته للمتجلي به؛ وهو واحد. فصاحب الشهود غائب عن الماضي والمستقبل. والدنيا والآخرة؛ لاستغراقه في شهود

الحَقُّ الَّذِي لَا يَتَقَيَّدُ بِزَمَانٍ، وَلَا مَكَانٍ بَلْ هُوَ عَيْنُ الْكُلِّ موجود في الْكُلِّ، فافهم.

ومن كَلَامِ شيخ شيخنا رضى الله عنه في بعض رَسَائِلِهِ لَنَا: إِذَا حَصَلَتْ الرؤية، غَابَ الرَّائِي، والدُّنْيَا والآخِرَةُ. وغاب كل شيء، إلى آخر كلامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ومن شَأْنِ ذَاتِ الْعَقْلِ أَيْضاً، أَنْ يَكْتَفِيَ لِلْأَجْسَامِ الْأَمَاكِنَ وَالْهَيَّاتِ. ويميز بين الأشخاص والدُّوَاتِ، ويعرف ما كان مجموعاً في عَالَمِ الْغَيْبِ. وما هو باق في جَمْعِيَّتِهِ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ. إِذِ الْوُجُودُ كُلُّهُ ذَاتٌ وَاحِدَةٌ وَبَحْرٌ مُتَّصِلٌ فِي الْحَقِيقَةِ بِالْعَقْلِ الْأَصْغَرِ الَّذِي هُوَ فَرْقٌ مَا كَانَ مجموعاً؛ لِأَنَّهُ مُعْقُولٌ وَمَحْصُورٌ فِي عَالَمِ الْحِكْمَةِ فَلَا يَدْرِكُ مَا غَابَ عَنْهُ فِي عَالَمِ الْقُدْرَةِ. وَأَمَّا الْعَقْلُ الْأَكْبَرُ، وَيُسَمَّى أَيْضاً: الرُّوحُ الْأَعْظَمُ، فَإِنَّهُ يَرَى الْوُجُودَ كُلَّهُ ذَاتاً وَاحِدَةً، وَهَذِهِ الْأَشْكَالُ وَالرُّسُومُ، تَلَوِينَاتٌ وَتَطَوِيرَاتٌ، لِلخِمْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ الْكُلِّيَّةِ الْمُتَّصِلَةِ بِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ وَهَذَا الَّذِي قَصَدَهُ الشَّاعِرُ فِي الشَّعْرِ الْمُتَقَدِّمِ بِقَوْلِهِ:

إِلَى وَجُودِ تَرَانِي رَتَقاً بِلاَ ابْتِغَاءٍ وَلَا اقْتِرَابِ

وإلى هذا التَّكْيِيفِ وَالتَّمْيِيزِ أَشَارَ النَّاطِمُ بِقَوْلِهِ: مِثْلُ مَا يَقِيدُ لِلْأَجْسَامِ أَيَّ يَقِيدُ الدَّهْرُ بِالْأَزْمَانِ تَقْيِيداً شَبِيهاً بِتَكْيِيفِ الْأَجْسَامِ بِالْأَيْنِ، وَالْوَصْفِ، وَقَوْلِهِ: مِنْ ذَاتِهِ، أَيُّ مِنْ ذَاتِ الْعَقْلِ وَحَقِيقَتِهِ الضَّعِيفَةِ كَيْفَ الْأَجْسَامِ وَالْأَيْنِ وَالْجِهَاتِ؟ وَلَوْ قَوِيَ نَوْرُهُ، لَاتَّصَلَ نَظَرُهُ بِكُلِّ الْجِهَاتِ. وَأَرَادَ بِالْأَيْنِ هُنَا مَا يَعْمُ الدُّوَاتِ، وَالْأَمَاكِنِ، وَالصِّفَاتِ، وَسَائِرِ الْعَوَارِضِ الْجِسْمَانِيَّةِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَمِمَّا يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ أَيْضاً عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ، بَعْضُ الْعَوَالِمِ الْعُلُويَّةِ، كَمَا قَالَ النَّاطِمُ:

وَعَرْشاً وَكُرْسِيّاً وَبُرْجاً وَكَوْكَباً وَحَشَواً لِجِسْمِ الْكُلِّ فِي بَخْرِهِ عُمُناً

يقول رضى الله عنه: وَمِمَّا يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ أَيْضاً: مِنَ الْعَوَالِمِ الْعُلُويَّةِ. الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ أَيُّ شَخْصُهُ. وَيُمِيزُهُ عَلَى مَا أَدْرَكَهُ مِنْ طَرِيقِ السَّمْعِ وَإِلَّا فَلَا مُدْرِكَ لَهُ لِهَذِهِ الْعَوَالِمِ الْغَيْبِيَّةِ، بِمَجْرَدِهِ. وَيَدْرِكُ أَيْضاً الْبُرْجَ وَالْكَوَاكِبَ وَالْمَنَازِلَ؛ وَهَذَا أَمْرٌ مُشَاهِدٌ بِالْبَصَرِ. وَإِنَّمَا شَأْنُ الْعَقْلِ فِيهِ التَّفْصِيلُ، وَتَذْقِيقُ مَا فِيهَا مِنْ عَجَائِبِ الْقُدْرَةِ، وَأَسْرَارِ الْحِكْمَةِ. وَيَدْرِكُ أَيْضاً الْحَشَوَ الَّذِي بَيْنَهُمَا؛ وَهُوَ الْفَضَاءُ الَّذِي بَيْنَ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ. وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ وَهُوَ الْهَوَاءُ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ؛ وَحَشَواً لِجِسْمِ الْكُلِّ. أَيَّ وَيَدْرِكُ حَشَواً، الْمُنْسُوبَ لِكُلِّ جِسْمٍ؛ وَهُوَ الْهَوَاءُ الَّذِي بَيْنَ الْأَجْسَامِ الْعُلُويَّةِ، وَبَيْنَ الْعُلُويَّةِ وَالسُّفُلِيَّةِ. ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيْخُ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ دَائِمُونَ، وَسَابِحُونَ فِي بَخْرِ أَسْرَارِ الذَّاتِ. بِقَوْلِهِ. فِي بَخْرِهِ

عُمْناً. أَي فِي بَحْرِ الْكُلِّ عُمْناً؛ وَهُوَ بَحْرُ الْوَحْدَةِ؛ لِأَنَّ بَحْرَهَا مُتَّصِلٌ وَالْخَلْقُ فِيهِ كَالْحَوَى فِي الْمَاءِ. وَإِنْ كَانُوا لَا شُعُورَ لَهُمْ بِذَلِكَ فَمَنْ شَعَرَ بِذَلِكَ وَاتَّسَعَتْ مَعْرِفَتُهُ حَتَّى خَرَجَتْ فِكْرَتُهُ عَنِ دَائِرَةِ الْأَكْوَانِ، وَاتَّسَعَتْ نَظَرَتُهُ، وَجَدَ الْأَفْلَاقَ تَدُورُ فِي السَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَيَشْرِقَانِ فِي فِضَاءِ قَلْبِهِ. كَمَا قَالَ النَّاطِمُ فِي بَغْضِ أَرْجَالِهِ: الْفُلُكُ فِيكَ يَدُورُ. وَيَطْلُعُ وَيَلْمَعُ وَالشَّمْسُ وَالْبَدُورُ فِيكَ تَغِيبُ وَتَطْلُعُ. وَقَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا كُنْتُ كُزْسِيًّا وَعَرْشًا وَجِلَّةً وَتَارًا وَأَفْلَاكًا تَدُورُ وَأَمْلَاكًا
وَكُنْتُ مِنَ السَّرِّ الْمَصُونِ حَقِيقَةً وَأَذْرَكْتُ هَذَابَ الْحَقِيقَةِ إِذْ رَاكَ
فَفِيمَا الثَّأَلِي فِي الْحَضِيضِ تَبَطُّأً مُقِيمًا مَعَ الْأَسْرَى أَمَا أَنْ إِسْرَاكَ
أَي إِذَا كُنْتُ أَيُّهَا الْآدَمِيُّ جَامِعًا لِهَذِهِ الْعَوَالِمِ، وَكُنْتُ مِنْ عَيْنِ السَّرِّ الْمَصُونِ. وَعَيْنُ الْكَنْزِ الْمَدْفُونِ، وَعَرَفْتُ أَنَّ هَذَا كَامِنٌ فِيكَ، فَفِي أَيِّ شَيْءٍ هَذَا التَّأَخِيرُ وَالتَّوَانِي، عَنِ التَّهَوُّصِ إِلَى اللَّهِ، بِحَذْفِ عَوَائِدِكَ. وَجِهَادِ نَفْسِكَ، حَتَّى تَعْرِفَ هَذَا ذَوْقًا وَكَشْفًا. وَإِلَى كَمْ تَبَقَّى فِي الْحَضِيضِ مِنْ عَالَمِ الْأَشْبَاحِ تَتَبَطُّأً عَنِ الْعُرُوجِ إِلَى سَمَاءِ الْأَرْوَاحِ مُقِيمًا مَعَ الْأَسَارَى، فِي أَيْدِي نُفُوسِهِمْ تَلْعَبُ بِهِمْ كَيْفَ شَاءَتْ فَمَا هَذَا إِلَّا الْخُسْرَانُ الْمَبِينُ، أَمَا أَنْ إِطْلَاقَكَ مِنْ يَدِ نَفْسِكَ. وَعُرُوجَكَ إِلَى فِضَاءِ شُهُودِ رَبِّكَ. وَفِي الْحَكْمِ: وَسِعَكَ الْكَوْنُ مِنْ حَيْثُ جِثْمَانِيَّتُكَ، وَلَمْ يَسْغَكَ مِنْ حَيْثُ ثُبُوتُ رُوحَانِيَّتِكَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، ثُمَّ ذَكَرَ النَّاطِمُ فِي تَطْوِيرِ الْعَقْلِ أَيْضًا:

وَقُلْتُ لَأَفْلَاكَ جَوَاهِرُهُ الَّذِي يُشَكِّلُهُ سِرُّ الْحُرُوفِ بِحَرْفَيْنِ
قُلْتُ: فَتَقَى: مُبْتَدَأً، وَخَبْرُهُ مُحذُوفٌ، أَي مِنْ شَأْنِهِ فَتَقَى. وَالْمَسْوُغُ: الْعَمَلُ وَجَوَاهِرُهُ مَفْعُولٌ بِهِ. وَالضَّمِيرُ لِلْأَفْلَاكِ. وَالْمُرَادُ بِهَا الْجِنْسُ. وَلَوْ قَالَ جَوَاهِرُهَا الَّتِي يُشَكِّلُهَا لَكَانَ أَحْسَنَ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَمِنْ شَأْنِ هَذَا الْعَقْلِ: أَنْ قُلْتُ الْأَفْلَاكَ الدَّائِرَةُ بِكَرَةِ الْأَرْضِ. جَوَاهِرُهَا. بِأَنَّ أَدْرَكَ مُحَاسِنَهَا، وَخَوَاصِهَا مِنْ مَنَافِعِهَا وَمُضَارِهَا. بِقُدْرَةِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ لَا عَلَى مَا يَزْعُمُهُ أَهْلُ التَّنَجِيمِ. فَقَدْ جَعَلَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ لِكُلِّ فَلَكَ خَاصِيَةٌ يَقَعُ بِهَا التَّصَرُّفُ فِي هَذَا الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ. وَفِي الْحَقِيقَةِ. إِنَّمَا التَّصَرُّفُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ. وَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهَا أَمَارَاتٌ وَعَلَامَاتٌ، كَمَا جَعَلَ فِي الْعُشْبِ، وَجَعَلَ لِنُزُولِ الْمَطَرِ أَمَارَةً، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي عِلْمِ الْحِكْمَةِ، فَإِنَّ عَالَمَ الْحِكْمَةِ مَبْنِيٌّ عَلَى الْأَسْبَابِ، وَالْعِلَلِ، وَالْحَكْمِ. وَعَالَمُ الْقُدْرَةِ فِي لَحْظَةٍ بَغِيرِ عِلَّةٍ، وَلَا سَبَبٍ لَكِنْ لِكُلِّ قُدْرَةٍ حِكْمَةٌ؛ وَهِيَ رَدَاؤُهَا وَصَوَانُهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ؛ الَّتِي هِيَ مَحَلُّ التَّكْلِيفِ. وَيُسَمَّى فِي الْإِصْطِلَاحِ عَالَمُ الْحِكْمَةِ عَالَمُ

الخلق، وعالم القدرة: عالم الأمر. كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾. فعالم الخلق بالتردد والأسباب. وعالم الأمر كُن فيكون. لا يبرز شيء من عالم الأمر إلا برذاء عالم الخلق إلا ما كان من الخوارق، كالمعجزات والكرامات في هذه الدار. الحكمة ظاهرة والقدرة باطنة. وفي دار الآخرة بالعكس، القدرة ظاهرة والحكمة باطنة. لا تصرف لها. فلذلك تظهر الخوارق للعام والخاص؛ لأنها دار التصريف. وهذه دار التكليف. لتظهر مزية الإيمان بالغيب هنا. وهذه الجواهر أي الخواص التي فتقها العقل بالأفلاك إما يشكلها في الأفلاك. ويبرز منها ما يبرز. فيبرز الحروف الهجائية وكذلك الدراري السبعة لها خواص وطبائع، على ما زعمه أهل التنجيم؛ ولها حروف من حروف العجم، تصرف في باب الحكمة، التي محلها الظواهر. وأما في الباطن، فما ثم إلا الله.

وقول الناظم بحرفيننا. لعله يشير إلى حرف الألف والباء. فإن جُل أسرار الحروف راجعة في المعنى إليهما؛ لأن الألف يشير إلى وحدة الذات والباء تشير إلى وحدة الصفات والأفعال: إني أنا الواحد الأخذ بي كان وبني يكون إلى الأبد. وقول الشيخ زروق، يشير إلى اسمه الظاهر والباطن لا مناسبة له في هذا المقام، فهو بعيد. والله تعالى أعلم. ثم ذكر الناظم حكماً آخر للعقل فقال:

يُفَرِّقُ مَجْمُوعَ الْقَضِيَةِ ظَاهِراً وَتُجْمَعُ فَرْقاً مِنْ تَدَاخُلِهِ فُرْزاً
يقول رضي الله عنه: ومن شأن العقل أيضاً أنه يُفَرِّقُ مجموع القضية، أي يُفَرِّقُ ما أضله مجموع في قضية الخمرة الأزلية. ففي الحقيقة، الوجود كله مجموع، ذات واحدة، وبخز واحد متصل أوله بآخره وظاهره بباطنه وإنما جاء تفرقه في الظاهر من ناحية العقل، لقصر إدراكه. فإنما أدرك الفروقات الكونية الحسية. وفاته المعاني المتصلة القديمة الأزلية. وهي المراد بمجموع القضية. ففرقها ظاهره. وهي مجموعة في فرقها.

وهذا معنى قوله: «وتجمع فرقاً» فالجملة حالية، وفرقاً حال من ضمير تجمع: أي يُفَرِّقُ مجموع الخمرة الأزلية ظاهراً، والحال أنها تجمع في حال فرقها، فهي مفروقة ظاهرة مجموعة باطناً. ومن أجل تداخل فرقها في جمعها وجمعها في فرقها فُرْزاً بالمعرفة الكاملة، حيث ميزنا بينهما، فأنزلنا الفرق في محلّه، وهو عالم الحكمة والجمع في محلّه. وهو عالم القدرة وعالم الذات. وكثير من الناس التبس الأمر عليهم. فوقفوا مع الفرق المتخض. وحجبوا به عن الجمع. وبعضهم عرفوا

في بحر الجمع، وحجّبوا عن الفرق. وهو نقصان بمخض جذبه، أو زلذذته إن كان له سلوك. وبالله التوفيق. ثم قال الناظم رضي الله عنه:

وَعَدَدَ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ غَيْرَ وَاحِدٍ بِأَلْفَاظِ أَسْمَاءٍ بِهَا شَتَّتَ الْمَعْنَى
قلت: هذا تقرير لما قبله، وتتميم له. يقول رضي الله عنه: ومن شأن العقل المعقول. أنه عددٌ شيئاً؛ وهو الوجود الحقيقي، وكثر فروعُه، مع أنه لم يكن في الحقيقة إلا شيئاً واحداً، أو ذاتاً واحدة. قال الشاعر:

هَذَا الوجود وإن تعدد ظاهراً وحياتكم ما فيه إلا أنتم
ومعنى قوله: وعدّد: أي اعتقد تعديده وكثرته. مع كونه واحداً في الأزل. كان الله ولا شيء معه. وهو الآن على ما عليه كان. وإنما تعدّد هذا الشيء الواحد عند العقل بسبب ظهور ألفاظ الأسماء لمسمّيات متعددة. كالسما والأرض والعرش والكرسي، وأسماء أنواع الحيوانات، والجّمادات، فلكل شخص جزئي من هذا الوجود اسم يخصه، ليميّز به وفي الحقيقة إنما هي تجليات، ومظاهر، للواحد الأحد، وفروع وتلويّنات للخمرة الأزلية.

وفي ذلك يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، ونفّعنا ببركاته:

تَجَلَّى حَبِيبِي فِي مَرَائِي جَمَالِهِ فَفِي كُلِّ مَرَأَى لِلْحَبِيبِ طَلَاغُ
فَلَمَّا تَبَدَّى حُسْنُهُ مَتْنَوْعاً تَسْمَى بِأَسْمَاءٍ فَهَنْ مَطَالِغُ

وقوله: بما شتّت المعنى أي بسبب تعدّد هذه الأشياء، مع أن المسمى واحد. فرّق العقل المعنى أي اعتقد تفريقها ظاهراً؛ وهي مجموعة متصلة باطناً. فبحر المعاني متصل، وأمواجه متفرقة؛ وهي منه، بل عينه. والمراد بالمعنى: السرّ الأزلي اللطيف. القائم بالأشياء الحسية. الساري فيها. والأشياء الحسية. إنما هي تكلف للمعنى اللطيف، الذي هو الخمرة الأزلي، فلولا الحسن، ما ظهرت المعنى. ولولا المعنى، ما قام للأشياء وجود فالأشياء الحسية، حاملة للمعاني، ولهذا قال الناظم في بعض أرجائه:

لَا تَنْظُرْ لِلْأَوَانِي، وَخُضْ بَحْرَ الْمَعَانِي، لَعَلَّكَ تَرَانِي. وقال ابن الفارض في خمريته رضي الله عنه:

ولطف الأواني في الحقيقة تابع للطف المعاني والمعاني بها تسمو

والمعاني تَسْمُو أي تظهر وتزفع بالأواني فلا ظهور لها منها فافهم واضمح
الرجال. حتى يَدْخُلُكَ بِلَادَ الْمَعْنَى، فتَقْوَزَ بالحسِّ والمعنى. وللشيخ زروق هنا
خطب يدل على أنه لم يدخل بِلَادَ الْمَعْنَى وما فتح عليه فيها إلا في آخر عمره كما
تقدّم. وبالله التوفيق. ثم قال الناظم:

وَيَسْرُجُ بِالسِّعْرَاجِ مِنْهُ لِذَاتِهِ لَتَطْوِيرِهِ الْعُلُويِّ بِالْوَهْمِ أَسْرَيْنَا
يقول رضى الله عنه: ومن شأن العقل أيضاً، إذا اتَّصَلَ بالطبيب الماهر أن
يَعْرِجَ، ويرفع عن عَالَمِ الْحَسِّ إلى عَالَمِ الْمَعْنَى. ومن عَالَمِ الْأَشْبَاحِ، إلى عَالَمِ
الْأَرْوَاحِ. ومن شهود الْمُلْكِ إلى شهود الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ. وذلك بِسَبَبِ عُرُوجِهِ
عن رُؤْيَا حِسِّهِ، إلى شهود مَعْنَاهُ. فالعروج والارتقاء إنما هو مِنْهُ إِلَيْهِ. وهذا معنى
قَوْلِهِ: مِنْهُ لِذَاتِهِ أي من شهود حِسِّهِ الظاهر، لِرُؤْيَا ذَاتِهِ الْحَقِيقَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ. فليس
الأمْرُ عنك خارجاً كما قال الناظم في بَعْضِ أَرْجَالِهِ:

وإِلَيْكَ وَأَنْتَ مَعْنَى الْخَبَرِ وَمَادُونَكَ غَيْرِيَا محل الفقر
أي الذات. وإنما جاء هذا الرفع والعروج المذكور لتطويره بالمقام العلوي.
وهو محل الشهود والعيان الذي هو مقام الإحسان. وإذا حققت الأمر لا تجد
ارتفاعاً ولا عروجاً؛ لأن الحق كان وحده؛ وهو باقٍ وحده. لكنَّ الْوَهْمَ أثبت
الغيرية والأثنية فإذا ارتَفَعَ الْوَهْمُ، والجهل، لم تجد إلا الواحد الأحد في الأزَلِ.
وفيما لا يزال. ما تجلّى به في الأزَلِ، هو ما تجلّى في الأبد، من غير زيادة ولا
نقصان. إذا وَقَعَتِ الْغَيْبَةُ عَنِ الْأَشْكَالِ وَالرُّسُومِ الَّتِي هِيَ وَرَاءَ الْكِبَرِيَاءِ. وهذا معنى
قَوْلِهِ: بِالْوَهْمِ أَسْرَيْنَا أي إنما أَسْرَيْنَا وَارْتَقَيْنَا، وثبت لنا ذلك بسبب الْوَهْمِ. وأما لو
ارتَفَعَ الْوَهْمُ وثبت الحق، لم يَنْبَغْ لأحد ارتقاء ولا عروج، وهذا الْوَهْمُ وإن كَانَ
عَدَمِيّاً فَهُوَ حاصل في عَالَمِ الْحِكْمَةِ، وثبوته حق به وَقَعَ الْحِجَابُ لَجَلِّ النَّاسِ. فهو
نوع من قَهْرِهِ الْحَقِّ. الَّذِي قَهَرَ بِهَا عِبَادَهُ كما قال في الْحَكَمِ: «مِمَّا يَدُلُّكَ عَلَى
وَجُودِ قَهْرِهِ. أَنَّ حَبَبَكَ بِمَا لَيْسَ بِمَوْجُودٍ مَعَهُ». وبالله التوفيق، ثم ذَكَرَ النَّاطِمُ
نُزُولَهُ لِلْعُبُودِيَّةِ، بالقيام بوظائف الربوبية فَقَالَ:

وَيَجْعَلُ سُفْلِيّاً وَيُوهِمُ أَنَّهُ لِسُفْلِيَّةِ الْمَجْعُولِ بِالذَّاتِ أَهْبِطْنَا

يعني أن العقل تارة يَرْتَقِي علوياً بعروجه، من أَرْضِ الْأَشْبَاحِ، إلى عالم
الْأَرْوَاحِ، في مقام الْفَنَاءِ، وتارة يُجْعَلُ سُفْلِيّاً بنزوله من سَمَاءِ الْحَقُوقِ إلى أَرْضِ
لِحُظُوظِ. للقيام بِآدَابِ الْعُبُودِيَّةِ، في مقام الْبَقَاءِ وَيُوهِمُ إِذَا نَزَلَ إِلَى السَّمَلِيَّاتِ أَنَّهُ

المَجْعُول سُفْلِيًّا بِالذَّاتِ حَقِيقَةً. وليس كَذَلِكَ. وإنما هو تنزُّل وإظهار للمُعْبُودِيَّة مع كَوْنِهِ علويًّا حَقِيقَةً ذاتية. لَأَنَّ هَذَا إِنَّمَا هو تلوين للخمرة الأزلية تظهر التنزيل منها إِلَهِيًّا، فهي علوية في سُفْلِيَّهَا رَفِيعَةٌ في وَضْعِهَا. قال شيخ شيوخنا سيدي على الجَمَلِ رضى اللّهُ عَنْهُ: «انظر يا أَخِي وتَأَمَّلْ هذه الخمرة كيف كَمَلَتْ فيها الأوصاف، وتوفَّرَتْ فيها الشروط، وكيف كَمُلَ نقصانها، كما كَمُلَ كمالها. سبحان من أظهرها بِالْكَمَالِ في النَّقْصِ والكمال حتى صار الكُلُّ كَمَالًا وَلَا نَقْصَ». وكذلك «انظر يا أَخِي ما أَقْرَبَهَا في بُعْدِهَا. وَمَا أَبْعَدَهَا في قُرْبِهَا، وما أَزْفَعَهَا في سُفْلِيَّهَا. وما أَوْضَعَهَا في علويتها. وما أَكْبَرَهَا في صغرها. وما أَصْغَرَهَا في كِبَرِهَا. وَمَا أَقْوَاهَا في ضَعْفِهَا. وَمَا أَضْعَفَهَا في قُوَّتِهَا. وَمَا أَغْنَاهَا في فَقْرِهَا. وَمَا أَفْقَرَهَا في غِنَاهَا. وَمَا أَعَزَّهَا على نَفْسِهَا، وَمَا أَذْلَهَا لِنَفْسِهَا وما أَعْظَمَ قدرتها على نَفْسِهَا، وَمَا أَضْعَفَ عجزها عن نَفْسِهَا» إلى آخِرِ كَلَامِ رضى اللّهُ عَنْهُ. والمراد إِنَّهَا تُسْتَر في حَالِ تَجَلِّيَّهَا فتُظْهِر من نَفْسِهَا النَّقْصَ؛ وهي في غاية الكَمَالِ لِيَبْقَى السِّرُّ مَصُونًا. والكثُرُ مدفونًا. وقوله أَهْبَطْنَا لَعَلَّه حَذَفَ قُلَّ أَي يُوْهِم أَنَّهُ المَجْعُول بِالذَّاتِ سُفْلِيًّا، ويُوْهِم أَنَّهُ قد أَهْبَطْنَا من عِشِّ الحَضْرَةِ العُلِيَّةِ إلى أَرْضِ الحِظْوِظِ السُّفْلِيَّةِ. مع أَنَّنا لَمْ يَفْعَ لَنَا هُبُوطٌ. إِنَّمَا هُوَ شَرَفٌ، وزيادة في الارتقاء؛ كَأَنَّ المُرِيدَ كُلَّمَا نَزَلَ لِأَدَاءِ الحَقُوقِ، اِزْتَفَعَ وَارْتَفَى إلى دَوَامِ الشُّهُودِ، لِأَنَّهُ يَنْزِلُ بِالِإِذْنِ والتمكين، والرسوخ في اليقين. لا في المُتَعَتَّة والشهوة، والله أعلم بمراد الشيخ بقوله: أَهْبَطْنَا، وأظنه تَضَعِيفًا. إِذْ لَيْسَ في يَدِنَا إِلَّا نَسْخَةٌ مَصْحُفَةٌ ومن ظَهَرَ لَهُ غَيْرُ مَا قُلْنَا فليُحَقِّقْهُ بِالطَّرَةِ، وَأَجْزُهُ على اللّهِ.

ثم قال النَّاطِمُ:

يُقَدَّرُ وَضْلاً بَعْدَ فَضْلِ لِدَاتِهِ وَقَرَضَ مَسَافَةً يُخْذِلُهَا الدُّهْنُ

قلت: وفرض عطف على وضلاً. ويُحَذُّ بِالذَّالِ المَعْجَمَةَ يقطع، والدُّهْنُ بِالْفَتْحِ والمَدُّ وَيُقَصِّر: الفلاة كما في القاموس. يقول رضى الله عنه: ومن شأن العقل أَنَّهُ يَقْدِر الوصول إلى حَضْرَةِ الحق بعد انْفِصَالٍ، كان بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا. وهذا من جُمْلَةٍ وَهَمِهِ. إِذْ لَا انْفِصَالَ وَلَا بَيْنُوتَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، وَإِنَّمَا جَهْلُهُ هو الذي بَعْدَهُ في حال قُرْبِهِ، وَفَصْلُهُ في حال وَضْلِهِ. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوْهُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾. وفي الْحَكَمِ: «لَا مَسَافَةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ حَتَّى تَطْوِيَهَا رَحْلَتَكَ. وَلَا قَطِيعَةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ حَتَّى تَمْحُوَهَا وَضْلَتَكَ». وقال أَيْضًا: الحق ليس بمحجوب عنك. إِنَّمَا المحجوب أَنْتَ عن النظر إليه. إِذْ لو حَجَبَهُ شَيْءٌ

لَسْتَرَهُ مَا حَجَبَهُ. وَلَوْ كَانَ لَهُ سَاتِرٌ، لَكَانَ لَوْجُودِهِ حَاصِرٌ. وَكُلُّ حَاصِرٍ لَشَيْءٍ فَهُوَ لَهُ قَاهِرٌ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ قَوْقَ عِبَادِهِ﴾. وَقَالَ أَيْضاً: «كَيْفَ يَحْتَجِبُ الْحَقُّ تَعَالَى بِشَيْءٍ». وَالَّذِي اخْتَجَبَ بِهِ هُوَ فِيهِ ظَاهِرٌ، وَمَوْجُودٌ حَاصِرٌ. فَتَحْصُلُ أَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى لَا خَائِلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ. وَلَا فَضْلَ وَلَا بَيْنُونَ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ لَمْ يَبْقَ كَائِنٌ فَمَا تَمَّ مَوْضُوعٌ وَلَا تَمَّ بَائِنٌ
فَالْعَقْلُ لضعفه هو الذي يُقَدَّرُ الوصلُ، بعد الفضل لذاته عن حضرة الحق.
وَيُقَدَّرُ أَيْضاً: فرض مسافات ومهامه بينه وبين الوصول إلى الحق، يقطع لأجلها الفلوات والمفاوز من الأزض. وهذا كله استعارة وكناية عن قطع المألوفات النفس وعوايدها. والخروج عن الطبع البشري الذي يحجب عن شهود الحق، والنفوذ من شهود حس الكائنات إلى مسافة المعاني. قال الشطبي رضى الله عنه في شرح الحكم: واعلم أن طريق الله تعالى، ليس فيه مقازة، ولا متاهة، بل هي منازل وأحوال، قد جعل الله لجميعها أعواناً وأنصاراً؛ وهو سبحانه يصدق وعده، وينصر عبده. ويهزم الأحزاب وخذه. وإنما المفاوز والمسافات في الزكون إلى المألوفات واتباع العادات. وفي مسامحة النفس في الوقوف مع الحس والحدس. وعن كشف الغطاء يتبين ذلك. وعن قطع هذه المألوفات ورياضة النفس عبروا بالسير والمنازل والمناهل، كما قال في المباحث:

وَأَمَّا الْقَوْمُ مُسَافِرُونَ لِحَضْرَةِ الْحَقِّ وَظَاعِلُونَ
فَافْتَقَرُوا فِيهِ إِلَى دَلِيلٍ ذِي بَصِيرٍ بِالسَّيْرِ وَالْمَقِيلِ
قَدْ سَلَكَ الطَّرِيقَ ثُمَّ عَادَا لِيُخْبِرَ الْقَوْمَ بِمَا اسْتَفَادَا
ومن شأن العقل أيضاً، إثبات المعية، والاثنيئية، بمشغعية الآثار. كما قال الناطم رضى الله عنه:

يُجَلِّي لَنَا طُورَ الْمَعِيَةِ شَكُّهُ وَإِنْ لَمَعَتْ مِنْهُ فَتُلْحِقُهُ الْمَيِّنَا
وَيُلْحِقُهَا بِالشَّرِكِ مِنْ مَثْنَوِيَةٍ يَلُوحُ بِهَا وَهُوَ الْمُلُوحُ وَالْمُثْنَا
قُلْتُ: شَكُّهُ: فاعل يُجَلِّي. وَأَطْلَقَ الشَّكَّ هُنَا عَلَى مُجَرَّدِ الْوَهْمِ، وَفَاعِلُ لَمَعَتْ مَحذُوفٌ. أَيِ أَنْوَارِ الْخِلَاقِ. وَالْمَيِّنُ: الْكُذْبُ الْمُلُوحُ. اسْمُ فَاعِلٍ، وَالْمَثْنَى بَضْمُ الْمِيمِ اسْمُ مَفْعُولٍ. وَالْجُمْلَةُ خَالٌ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يُجَلِّي أَيُّ يُظْهِرُ نُورَ الْعَقْلِ لَنَا طُورَ الْمَعِيَةِ. أَيِ وُجُودِهَا وَثُبُوتِهَا وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَثْبَتَ الْأَثَرُ، وَأَثْبَتَ نَفْسَهُ

مع الله لزمة وجود المعية، والأثينية. وهي حال عند المحققين من أهل التوحيد الخاص. قال في الحكم: ما حجبك عن الله وجود موجود معه. إذ لا شيء معه. وإنما حجبك توهم موجود معه. وقال أيضاً: الأكوان ثابتة بإثباته. محوأة بأحدية ذاته. وإن لمعت من العقل أنوار تلك الحقائق، مَحَتْ تلك المعية، وأثبتت الوجود للواحد الأحد. فتلحقه المين والكذب في اعتقاد المعية والأثينية. وتثبت التورية للوثر الفرد. قال الناطم في بعض أرجاليه.

وَبَرُوحٍ وَرَاحٍ عَادَ شَفْعِي وَثَرِي. أَي وَبَرُوحِ الْوَصَالِ، وَشُرْبِ خَمْرَةِ الْأَزَلِ؛ صَارَ شَفْعِي؛ وَهُوَ اعْتِقَادُ وَجُودِي مَعَ الْحَقِّ وَتَرِي، حَتَّى امْتَحَى وَجُودِي فِي وَجُودِهِ. فَثَبَّتَ التَّوْرِيَةَ الَّتِي كَانَتْ وَلَمْ تَزَلْ وَإِنَّمَا وَهْمُ الْعَقْلِ أَثَبَتَ ضِدَّهَا. فَإِنْ قُلْتُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾. بِصَحْبَةِ الْمَعِيَّةِ، سَوَاءً قُلْنَا بِالذَّاتِ أَوْ بِالْعِلْمِ قُلْنَا: الْخَطَابُ وَارِدٌ فِي عَالَمِ الْقُدْرَةِ، إِلَى عَالَمِ الْحِكْمَةِ وَهُوَ مَحَلُّ التَّشْرِيعِ. وَعَالَمُ الْحِكْمَةِ هُوَ عَالَمُ الْأَشْبَاحِ وَيُسَمَّى عَالَمَ الْفَرْقِ، وَعَالَمُ الْأَثَرِ، وَعَالَمُ الْحَسِّ. وَعَالَمُ الْمُلْكِ. أَثَبَتَهُ تَعَالَى بِحِكْمَتِهِ لِتَظْهَرُ فِيهِ آثَارُ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَتَظْهَرُ فِيهِ آدَابُ الْعِبُودِيَّةِ لِلرُّبُوبِيَّةِ إِذِ الْمَلِكُ بِلَا رِعْيَةٍ نَاقِضٌ. فَأَثَبْتُهَا فَرْقًا، وَمَحَاها بِأَحَدِيَّةِ ذَاتِهِ جَمْعًا. فَأَهْلُ الْحَقَائِقِ يَنْظُرُونَ لِعَالَمِ الْقُدْرَةِ. وَيُسَمَّى عَالَمَ الْمَعَانِي، وَعَالَمِ الْمَلَكُوتِ. فَلَا يَرَوْنَ إِلَّا اللَّهَ.

وأهل الشرائع ينظرون لعالم الحكمة، فيثبتون الأثر والمؤثر. وعليه ورد الخطاب بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾. قال العارف الرباني، الإمام النورنجبي رضي الله عنه ما نصه: في هذه الآية مقامان: مقام الجمع، ومقام أفراد القدم عن الحدوث. فمن حيث الوحدة والقدم، تتصاغر الأكوان، في عزة الرحمن. من سطوات عظمته، حتى لا يبقى أثرها، ثم قال: ومن حيث الجمع، يكثر نور الصفة، نور العقل، وتور الصفة قائم بالذات. فتجلى بنوره لفعليه من ذاته وصفاته. ثم يتجلى من الفعل، فترى جميع الوجود مِرَآة وجوده، وهو ظاهر بكل شيء، من كل شيء، للعموم بالفعل، وللخصوص بالاسم والثقت، وللخصوص الخصوص بالصفات. وللقائمين بمشاهدة ذاته بالذات. وهو تعالى مُنْزَعٌ عَنِ الْبَيْنُونِيَّةِ، والحلول، والافراق، والاجتماع، وإنما هو ذوق العشق، ولا يعلم تأويله إلا الله.

وحاصل كلامه أن المعية بذاته لذاته من ذاته. ولا يفهمها إلا العاشقون، أهل الفناء والبقاء. وقوله: ويلحقها بالشرك؛ أي يلحق العقل المعية التي أثبتها

يَوْفِيهِ بِالشَّرِكِ الْعَلِيِّ عِنْدَ أَهْلِ الْفَنَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبَاطِنِ. وَبِالشَّرِكِ الْخَفِيِّ، عِنْدَ أَهْلِ الظَّاهِرِ مِنْ مَثْنَوِيَّةٍ، أَيْ مِنْ أَجْلِ مَثْنَوِيَّةِ الْأَثَرِ؛ الَّذِي أَثْبَتَهُ مَعَ الْحَقِّ. يُلَوِّحُ أَيْ يُظْهِرُ بِهَا وَيَعْتَقِدُهَا وَهَمًّا وَجَهْلًا. وَهَذَا فِي عَالَمِ الْحِكْمَةِ، وَهُوَ عَالَمُ الْفَرْقِ، وَعَالَمُ التَّشْرِيعِ. وَأَمَّا فِي الْحَقِيقَةِ؛ فَهُوَ الْمُلَوِّحُ أَيْ الْمُظْهِرُ لِلْإِثْنَيْنِ سِرَّ الْأَسْرَارِ رُبُوبِيَّتِهِ. أَنْ تُبْتَذَلَ بِالْإِظْهَارِ. وَيُنَادَى عَلَيْهَا بِلِسَانِ الْأَشْتِهَارِ؛ وَهُوَ أَيْضًا الْمُثْنَى، الَّذِي صَارَ شَفْعًا بِإِعْتِبَارِ الْأَثَرِ؛ فَهُوَ الظَّاهِرُ فِي بَطْنِهِ، وَالباطن في ظَهْرِهِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ. ثُمَّ ذَكَرَ النَّاطِمُ حِجَابَ الْعَقْلِ وَالزُّوْجَ عَنْ سِرِّ الْوَحْدَةِ. بَعْدَ أَنْ كَانَتْ عَارِفَةً بِهَا فَقَالَ:

فَنَحْنُ كَدُودُ الْقَرِّ يَخْضَرُنَا الَّذِي صَنَعْنَا لِدَفْعِ الْحَضَرِ سَدَّنَ لَنَا مِثْلًا

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَنَحْنُ كَدُودُ الْقَرِّ أَيْ دُودُ الْحَرِيرِ؛ لِأَنَّهَا تَبْدُو أَوَّلًا ظَاهِرَةً مُطْلَقَةً لَا حِجَابَ عَلَيْهَا، ثُمَّ تَنْسِجُ عَلَى نَفْسِهَا مِنْ خَرِيرِهَا. كَذَلِكَ الْأَزْوَاجُ الْإِنْسَانِيَّةُ، تَبْرُزُ لِهَذَا الْعَالَمِ عَلَى الْفِطْرَةِ الْأَصْلِيَّةِ لَا حِجَابَ عَلَيْهَا. وَلِذَلِكَ نَرَى الصَّبِيَّانَ يَنْطَقُونَ بِالْمَغْيِبَاتِ، وَبِالْحِكْمِ الْبَاهِرَةِ، فَإِذَا بَلَغَتِ الرُّوحَ. وَكَمَلَتْ عَقْلَهَا نَظَرَتْ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ السَّفَلِيِّ. وَعَشَقَتْ فَرْوَقَهُ. وَتَاهَتْ فِي حُظُوظِهَا وَشَهَوَاتِهَا، فَكَلِمًا زَادَتْ فِي تِيَاهِهَا. تَرَاكُمُ حِجَابُهَا. فَمِنْهَا مَنْ يَتْرَاكُمُ عَلَيْهَا حِجَابَ الظُّلْمَةِ. كَظُّلْمَةِ الْمَعَاصِي وَالْمَسَاوِيءِ؛ وَهِيَ الْعَوَامُ. وَمِنْهَا مَنْ يَتْرَاكُمُ عَلَيْهَا حِجَابَ الْأَنْوَارِ. كَالِإِسْتِغَالِ بِالْعُلُومِ الثَّقَلِيَّةِ وَالرُّسْمِيَّةِ، وَالْعَقْلِيَّةِ. فَتَتَعَلَّلُ فِي تِلْكَ الْعَوْلَمِ وَتَرْسُخَ فِيهَا فَيَنْعَسِرُ انْتِقَالُهَا عَنْهَا؛ وَهُوَ أَشَدُّ الْحِجَابِ. وَكَالْوُقُوفِ مَعَ خِلَافَةِ الطَّاعَاتِ، وَظُهُورِ الْكَرَامَاتِ، وَتَحْقِيقِ الْمَقَامَاتِ. كَمَا هُوَ شَأْنُ الْعُبَادِ وَالزُّهَّادِ، وَالْمُسْتَشْرِفِينَ عَلَى عِلْمِ الْحَقِيقَةِ، وَهَذَا أَيْضًا حِجَابٌ عَظِيمٌ؛ وَلِذَا قِيلَ:

أَشَدُّ النَّاسِ حِجَابًا عَنِ اللَّهِ الْعُلَمَاءُ ثُمَّ الْعِبَادُ، ثُمَّ الزُّهَّادُ، فَهُمْ يَعْمَلُونَ فِي خِلَاصِ أَنْفُسِهِمْ مِمَّا يَظُنُّونَ؛ وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ يَزِيدُونَ فِي حِجَابِهَا، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: يَحْضَرُنَا الَّذِي صَنَعْنَا، لَدَفْعِ الْحَضَرِ. أَيْ يَحْضَرُنَا عَنْ مَيَادِينِ الْغُيُوبِ وَفَضَاءِ الشُّهُودِ الَّذِي صَنَعْنَاهُ مِنَ الطَّاعَاتِ لِدَفْعِ ذَلِكَ الْحَضَرِ. فَهُوَ أَيْ مَا صَنَعْنَا سَدَّنَ، أَيْ حِجَابٌ لَنَا مِثْلًا لِأَنْفُسِنَا وَالْخِلَاصِ مِنْ هَذَا الْحِجَابِ، التَّنَصُّعُ إِلَى اللَّهِ فِي الْعُثُورِ عَلَى الطَّبِيبِ؛ وَهُوَ شَيْخُ التَّرْبِيَةِ النَّبَوِيَّةِ فَيُلْقِي إِلَيْهِ زِمَامَ نَفْسِهِ، وَيَلْزَمُ خِدْمَتَهُ وَصَحْبَتَهُ. حَتَّى يَقُولَ لَهُ: هَا أَنْتَ وَرَبِّكَ. فَيُخْرِجُهُ مِنْ حَضَرِ الْأَكْوَانِ إِلَى فَضَاءِ الْعِيَانِ فَتُخْرِجُ فِكْرَتَهُ عَنْ دَائِرَةِ الْأَكْوَانِ، وَيَسْقُطُ عَنْهُ الْحِجَابُ بِالْكَلِيَّةِ. فَلَا يَزَالُ فِي التَّرْفِي أَيْدًا عَلَى مُرُورِ السَّاعَةِ وَالْأَيَّامِ. وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَسْقُطْ عَلَى صَاحِبِ التَّرْبِيَةِ، فَلَا

يزيد في مُرور أيامه وأنفاسِهِ إِلَّا حجاباً، وغطاء عن أسرار غوامض التوحيد. وكلُّ ما يفعلُهُ في علاج نفسه، عبثٌ وضربٌ في حديد بارد. وتأمل بعض ما قاله بغضُ الفقراء، وأظنه الشيخ زروق بنفسه. كما نقله عنه في كفاية المحتاج، في ترجمته. قال: طُفت المشارق والمغارب في طلبِ الحقِّ، واستعملت جميع الأسباب المذكورة في معالجة النفس، وتخيَّلتُ بقدرِ الإمكان في مرضاة الحقِّ. فما طَلَبْتُ قُرْبَ الحقِّ بشيءٍ، إِلَّا كَانَ مُبْعِدِي عَنْهُ، لرؤية نفسي، وَلَا عَمِلْتُ في معالجة النفس بشيءٍ إِلَّا كَانَ معيَناً لها عَلَيَّ. وَلَا تَوَجَّهْتُ لِإِرْضَاءِ الخلقِ بشيءٍ، إِلَّا كَانَ سَبَبَ عَدَاوَتِهِمْ لِي. فعدتُ إِلَى الإِسْتِسْلَام، فَخَرَجَ لِي مِنْهُ رؤية وجودي؛ وهو رَأْسُ الْعِلَلِ فطرخت نفسي بين يَدَيِ الحقِّ طرْحاً لَا يَضْحَبُهُ حَوْلٌ وَلَا قُوَّةُ فَصْحٍ عِنْدِي أَنْ السَّلَامَةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَالتَّيَرِّي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِنَّمَا الْغَنِيْمَةُ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ بِالرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ. اعتباراً بِالْقُدْرَةِ وَاثْبَاتاً لِلْحِكْمَةِ، وَقياماً مَعَ الطَّبَاعِ بِشَوَاهِدِ الانْطِبَاعِ إِلَى تَمَامِ كَلَامِهِ. نقله هنا الشيخ زروق عن بغض الفقراء، وأظنه عَنِ نَفْسِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. كما نقله الشيخ أحمد بابا السوداني في ترجمته. وَإِنَّمَا تَعَطَّلَ الْفَتْحُ عَلَى الشَّيْخِ زُرُوقَ، لِقَلَّةِ صُحْبَتِهِ لِشَيْخِهِ الْحَضَرِيِّ. فَقَدْ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّمَا صَحْبَهُ أَوَّلًا سَبْعَةَ أَشْهُرٍ، أَوْ نَحْوَهَا، ثُمَّ انْفَصَلَ عَنْهُ، ثُمَّ رَجَعَ لَزِيَارَتِهِ. فَبَقِيَ مَعَهُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ. فَكَانَ الْمَجْمُوعُ مِنْ صَحْبَتِهِ خَمْسَةَ عَشَرَ شَهْراً أَوْ نَحْوَهَا. قَالَ: وَانْتَفَعْتُ بِهِ انْتِفَاعاً لَا يَخْفَى. قُلْتُ: هَذِهِ الْمُدَّةُ لَا تَسْلُخُ الْمُرِيدَ مِنْ كُلِّ طَبِيعَةٍ. وَلَا تَخْرُجُهُ عَنْ عِلْمِهِ وَعَوَالِمِهِ. لَا سِيَّماً وَقَدْ كَانَ مُتَغَلِّغاً فِي الْعُلُومِ الثَّقَلِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ. فَلَا يَسْلُخُهُ مِنْهَا إِلَّا طَوْلُ الصَّحْبَةِ بِالصَّدَقِ وَالْخِدْمَةِ، وَالتَّجَرُّدِ. كَمَا هُوَ مُجَرَّبٌ فِي شَأْنِ أَمْثَالِهِ. وَقَدْ كَانَ شَيْخُهُ يَكَاتِبُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقَائِقِ؛ فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّهَا لَا تُؤْخَذُ بِمَجَرَّدِ الْعِلْمِ، وَإِنَّمَا تُؤْخَذُ بِالسَّرَايَةِ مَعَ تَحَقُّقِ الصَّدَقِ وَالتَّحْقِيقِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ كَثِيراً مِنَ الْعُلَمَاءِ صَحَبُوا الْمَشَايِخَ الْعَارِفِينَ، وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ حَقَائِقِهِمْ شَيْئاً؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَصْحَبُونَهُمْ عَلَى نَظَرِ نَفْسِهِمْ لَا عَلَى نَظَرِ الْمَشَايِخِ. فَإِذَا أَمْرُهُمْ بِشَيْءٍ، أَوْ نَهْوُهُمْ عَنْ شَيْءٍ وَزَنَوْهُ بِمِيزَانِ شَرِيعَتِهِمْ. فَمَا وَافَقَ نَظَرَهُمْ قَبْلُوهُ. وَمَا خَالَفَ رَدُّوهُ. فَلَمْ يَغْرِقُوا فِي بَحْرِ أَسْرَارِهِمْ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ ذَكَرَ الشَّاطِظِمَ مَا يَفِيدُهُ الْعَقْلُ مِنْ نَقْصٍ وَكَمَالٍ، بِاِغْتِيَارِ صَاحِبِهِ فَقَالَ:

فَكَمْ وَاقِفٍ أَرَدَى وَكَمْ سَائِرٍ هَدَى وَكَمْ حِكْمَةٍ أَبْدَى وَكَمْ مِنْ مُمْلِكٍ أَعْنَى

يقول رضي الله عنه في شأن العقل أنه ظَهَرَتْ عَلَى الْخَلْقِ مِنْهُ آثارٌ مختلفة،

فَعِنَهَا مَا هُوَ خُسْرَانٌ وَمِنْهَا مَا هُوَ رِبْحٌ، فكم واقف معه، ولم ينفذ إلى ما وراءه من الأسرار الخارجة عن مدارك العقول. أَرَدَاهُ: أَي أَهْلَكَهُ وَأَوْقَعَهُ فِي الرَّدَى: وهو بقاءه مع الحجاب، أو أوقعه في انجلال حيث وقف معه وحكمه على نفسه، ولم يقبل من العقائد والأحكام، إِلَّا مَا أَذْرَكَ عَقْلُهُ، كما فَعَلَتِ المغتزلة، وضلُّوا. فَقَدَّمُوا الْعَقْلَ عَلَى صَحِيحِ النُّقْلِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. فَرَدُّوا الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ، لَمَّا خَالَفَتْ قَوَاعِدَ عَقُولِهِمْ وَأَوَّلُوا الْآيَاتِ الصَّرِيحَةَ، لِتَطَابُقِ مَا أَدْرَكَتْهُ عَقُولُهُمْ. وهو رَزِيعٌ وَإِلْحَادٌ. وَكَمْ سَالِكٌ هَدَاهُ اللَّهُ إِلَى طَرِيقِ الْوُصُولِ حَيْثُ مَيَّزَ بِهِ مَا يَضُرُّهُ وَمَا يَنْفَعُهُ فَتَرَكَ مَا يَضُرُّهُ، وَهُوَ كُلُّ مَا يُشْغِلُ عَنْ رَبِّهِ وَاشْتَغَلَ بِمَا يَنْفَعُهُ. وَهُوَ كُلُّ مَا يُقَرِّبُهُ مِنْ رَبِّهِ. وَإِذَا لَاحَ شَيْءٌ مِنْهُ، وَزَنَّهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. فَطُبِّقَ بَيْنَ الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ وَإِذَا تَعَدَّرَ الْوِفَاقُ بَيْنَهُمَا. قَدَّمَ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَحَكَّمَ عَلَى الْعَقْلِ بِالضَّعْفِ، وَكَمْ حِكْمَةٌ أَبَدَى لِصَاحِبِهِ، حَيْثُ تَوَرَّهَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَمُخَالَفَةِ هَوَاهُ فَإِنَّ الْعَقْلَ إِنَّمَا عَقْلٌ صَاحِبَةٌ عَنِ الْهَوَى، وَنُطْقٌ بَيْنَايِعِ الْحِكْمَةِ.

وفي الحديث: «مَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطِقَ بِالْحِكْمَةِ». وقال أيضاً عليه السلام: «مَنْ أُعْطِيَ زُهْدًا وَصَمْتًا حَسَنًا فَاقْرَأُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يَلْقَى الْحِكْمَةَ». أَوْ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَالْحِكْمَةُ الْإِصَابَةُ فِي الشَّيْءِ. وَقِيلَ: اتَّقَانُ الشَّيْءِ وَإِنْدَاعُهُ وَمَحَلُّهَا الْقَلْبُ وَتَظْهَرُ آثَارُهَا عَلَى الْجَوَارِحِ. ففِي الْعَبْدِ مَثَلًا بِالصَّنَائِعِ الْعَجِيبَةِ، وَفِي اللِّسَانِ بِالْمَعَانِي الْغَرِيبَةِ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ: نَزَلَتِ الْحِكْمَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَغْضَاءٍ فِي الْجَسَدِ: عَلَى قُلُوبِ الْيُونَانِ، وَعَلَى أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ، وَعَلَى أَيْدِي أَهْلِ الصِّينِ فَإِنَّ الْيُونَانَ قَدْ أَعْطُوا الْأَنْظَارَ فِي الْعَقْلِيَّاتِ وَاسْتَخْرَجَ الْبَرَاهِينِ الْمُنْتَظِمَاتِ.

وَالْعَرَبُ قَدْ أَعْطُوا الْحِكْمَةَ فِي أَشْعَارِهَا وَخَطَبِهَا، وَأَهْلُ الصِّينِ قَدْ أَعْطُوا الصَّنَائِعَ الْبَدِيعَةَ فِي الْبُنْيَانِ وَالنَّقْشِ وَالْأَوَانِي الرَفِيعَةِ. وَكَمْ مِنْ مُنْطَلِقٍ أَيْ فَقِيرٍ أُغْنَى أَيْ صَيَّرَهُ غَنِيًّا؛ وَذَلِكَ حَيْثُ دَلَّ عَلَى صَحْبَةِ الْعَارِفِينَ. وَوَصَّلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ يُغْنُونَهُ بِالنَّظَرِ. وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْخُلُوعُ مَعْنَا نَفِيسَةٌ تَوْجِبُ غِنَى الدَّارِينِ. وَقَالَ أَيْضاً: «طَرِيقُنَا طَرِيقُ الْغِنَى الْأَكْبَرِ». وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُزَنِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ إِلَّا أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهِ وَقَدْ أُغْنِيَتْهُ». وَكُلُّ زَمَانٍ لَهُ رِجَالٌ يَغْنُونُ. فَالْعَقْلُ الَّذِي جَرَّ صَاحِبَهُ لِلدُّخُولِ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ بِاللَّهِ هُوَ الْعَقْلُ الْمَغْنِي.

وقال بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «خَيْرٌ مَا أُعْطِيَ الْمَرْءُ عَقْلٌ يَرْجُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ، فَمَا لَمْ يَسْتَرْهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَحَيَاءٌ يَمْنَعُهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَصَاعِقَةٌ تَحْرِقُهُ لِيَسْتَرْجِحَ مِنْهُ الْبَلَادُ

والعباد». ولأجل ما ظهر عليه من المنافع، اعتنى بشأنه كبار الفلاسفة وغيرهم، كما قال الناظم:

وَتِيَمُ الْبَابِ الْهَرَامِسُ كُلُّهُمْ وَحَسْبُكَ مِنْ بُقْرَاطٍ أَسْكَنَهُ الدُّنَا
وَجَرْدُ أَمْثَالِ الْعَوَالِمِ كُلِّهَا وَأَبْرَأُ أَفْلَاطُونُ فِي أَمْثَلِ الْحُسْنَى
وَهَامَ رَسْطُو حَتَّى مَشَى مِنْ هَيَامِهِ وَبَثَّ الَّذِي أَلْقَى إِلَيْهِ وَمَا ظُنَّا
وَكَانَ لِذِي الْقُرْنَيْنِ عَوْنًا عَلَى الَّذِي تَبَدَّى لَهُ وَهُمْ الَّذِي طَلَبَ الْعَيْتُ

يَقُولُ رضى الله عنه: وَتِيَمُ الْعَقْلُ أَلْبَابُ الْهَرَامِسِ؛ أَيِ أَخَذَ قُلُوبَهُمْ، حَيْثُ صَرَفُوا عَنَّا عِنَايَتَهُمْ لِشَأْنِهِ. وَالْهَرَامِسُ: الْفَلَّاسِفَةُ وَالْكَفَّارُ مِنْهُمْ، وَجُلُّهُمْ كَانُوا مِنَ الْيُونَانِ. وَفِي الْقَامُوسِ، الْهَرَمَاسُ بِالْكَسْرِ: الْأَسَدُ الشَّدِيدُ الْعَادِي عَلَى النَّاسِ كَالْهَرَمَسِ وَالْهَرَامِسِ. وَلَعَلَّ تَسْمِيَةَ الْفَلَّاسِفَةِ بِذَلِكَ لَشِدَّةِ عُقُولِهِمْ أَوْ لَعُدْوَانِهِمْ، إِذْ جُلُّهُمْ كَفَّارٌ. وَحَسْبُكَ مِنْ بُقْرَاطٍ أَنَّهُ أَسْكَنَهُ الدُّنَا أَيْ وَكَفَّفِكَ فِي الْعَقْلِ أَنَّهُ أَسْكَنَ بُقْرَاطُ الْحَكِيمُ الدُّنَا أَيْ الْجَرَّةَ: وَهِيَ الْآنِيَةُ الْكَبِيرَةُ الَّتِي تُغْرَسُ فِي الْأَرْضِ أَسْفَلَهَا ضَيْقٌ وَأَعْلَاهَا وَاسِعٌ وَيُقَالُ لَهَا: الرَّاقُودُ، وَفِي الْقَامُوسِ: الدُّنْ: الرَّاقُودُ الْعَظِيمُ. ثُمَّ قَالَ: لَا يَقْصَدُ إِلَّا أَنْ يَخْضُرَ لَهُ. وَظَاهِرُ إِطْلَاقِهِ، أَنَّهُ بَفَتْحِ الدَّالِ كَمَا هُوَ اضْطِلَاحُهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ بُقْرَاطَ دَخَلَ جَرَّةً وَجَلَسَ فِيهَا لِيَخْضُرَ فِكْرُهُ لثَلَا يَشْوَشَ عَقْلُهُ. وَتَقَدَّمَ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ ذَهَبْتَ إِلَيْهِ لَتَأْخُذَ مِنْهُ الشَّرِيعَةُ. فَقَالَ: نَحْنُ قَوْمٌ مَهْذَبُونَ لَا نَحْتَاجُ إِلَى أَخْذٍ. فَأَرَادَهُ عَقْلُهُ حَيْثُ صَرَفَهُ عَنِ التَّمَسُّكِ بِأَنْوَارِ الشَّرِيعَةِ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ.

وقوله: وَجَرْدُ أَمْثَالِ الْعَوَالِمِ، يَحْتَمِلُ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ عَلَى الْعَقْلِ، وَمِنْ شَأْنِ الْعَقْلِ، أَنَّهُ جَرْدُ الْعَوَالِمِ الْعُلُويَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ، وَمَيَّزَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرْجَعَ لِأَفْلَاطُونِ، فَإِنَّهُ تَكَلَّمَ عَنِ الْعَوَالِمِ الْحَسِيَّةِ بِعَقْلِهِ وَخَذِّسِهِ. فَإِنَّ عِلْمَ النُّجُومِ وَالْأَفْلَاقِ جُلُّهُ مَاخُوذٌ عَنِ الْفَلَّاسِفَةِ الْقَدَمَاءِ. يُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ بَعْدَ الطُّوفَانِ بِقَرِيبٍ. وَلَعَلَّهُ تَمَسَّكَ بِشَّرِيعَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَلِذَلِكَ قَالَ النَّاطِمُ فِي حَقِّهِ، وَأَبْرَأُ أَيْ أَنْشَأَ الْعَقْلُ أَفْلَاطُونُ فِي أَمْثَلِ الْحُسْنَى، أَيْ فِي أَفْضَلِ الْحُسْنَى أَيْ جَعَلَهُ نَاشِئًا فِيهَا وَمُلَازِمًا لَهَا إِذَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ بِاعْتِقَادِهِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ مَنْ عَرَّفَ بِهِ. قَالَهُ زُرَّوقٌ وَذَكَرَ ابْنُ خَلْدُونٍ فِي شِفَاءِ الْمَسَائِلِ، أَنَّ أَفْلَاطُونُ شَيْخُ الصُّوفِيَّةِ، قَالَهُ الشَّيْخُ زُرَّوقُ، وَفِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ فِي هَذِهِ الْأَبْنَاءِ إِلَّا فِلَاسِفَةَ الْأَقْدَمِينَ. قُلْتُ: ثُمَّ رَأَيْتُ فِي الْإِنَالَةِ لِلتَّجِيْبِيِّ، أَنَّهُ شَيْخُ أَرْسُطُو. وَنَصَّهُ: وَأَفْلَاطُونُ

قال يُحدُوث العالم . وتلميذه أرسطو بقدميه . وأرسطو من كبار الفلاسفة ، ويُقال له :
 أرسطو طاليس . وهو أحد المشائين الذين كان مشيهم على ساحل البحر لطلب
 الزيادة فيما بدا له . فكان مشيه وهيامه طرياً مما حصل وطالبا ما لم يحصل وهو
 معنى قوله . وهام رسطو حتى مشى من هيامه . ويقراها أرسطو بحذف الهمزة
 للوزن ، والهيام نوع من القلق في طرب . وقال في القاموس : الهيام كالمجنون من
 العشق . وقوله : وبث الخ . أي أن أرسطو بث ما ألقي إليه عقله من العلوم
 والحكمة . وكان وزيراً لذي القرنين فكان ذو القرنين يشتعين به في أمور الحكمة ،
 وتدبير المملكة . وهذا معنى قوله : وكان لذي القرنين عوناً على الذي تبذى له . أي
 كان عوناً له على ما ظهر له من الملك . وما خصه الله به من تيسير الأسباب
 المبلغة لما قصده من الآوابي جمع أوبة . فكان يشتعين به في عالم الحكمة ، وإن
 كان على غير دينه ؛ لأن ذا القرنين الأكبر . قيل كان نبياً . أو رجلاً صالحاً . وذكر
 أهل التفسير ، أنه حج البيت ، فلقي سيدنا إبراهيم الخليل ، وأخذ عنه الشريعة
 الحنيفية . وقوله : «هو الذي طلب العين» . يحتمل أن يكون أرسطو هو الذي
 طلب عين الحياة ؛ وهي التي من شرب منها لم يموت إلى آخر الدهر . ويحتمل أن
 يكون ذا القرنين وهو المشهور . فقد كان يطلب عين الحياة هو والخضر عليه
 السلام ، فعثر عليها الخضر وحرمها ذو القرنين ، كما قال بعض المفسرين . أي رد
 بحثه عنها غنياً . بل وهو الذي كان يبحث عن أسباب ما قد سمعتم في القرآن من
 جولانه في الأرض ، شرقاً وغرباً ، وجوفاً وقبلة . ويبحث أيضاً عن عين الحياة ،
 ويبحث عنها ، وجرصه عليها حرمها ، وتغطت عنه . وهذا معنى قوله : وبالبحث
 عطى العين إذ رده غنياً . أي رد بحثه عنها غنياً . أي غطاء وبشرها عنها . وقال
 الشيخ زروق رضي الله عنه . وبالبحث عطى ذو القرنين العين ، أي الكشف الذي
 حصل له . فردّه غنياً . أي غطاء وغشاء . أي بحيث ظن الجاهل أن ملكه كان مقبداً
 بالأسباب ، وما كان كذلك بل مؤيداً بالوحي إن كان نبياً . وبالإلهام إن كان ولياً .
 ثم قال : تنبيه : ذكر رجالاً مرتبين على المواقف الأربعة . فبقراط من الواقفين مع
 العقل ، وأفلاطون من السائرين به ، وأرسطو من أهل الحكمة وذو القرنين من أهل
 الغنى الأكبر سواء قلنا إنه نبي أولي . فتأمل ذلك . ثم ذكر الناطم رجالاً اهتدوا
 بعقولهم إلى الحق ، من الملة المحمدية فقال :

ودوق لخلّاج طعم اتّحاده فقال أنا من لا يحيط به معنا
 فقيل له ازجّع عن مقالِكَ قال لا شربت مداماً كل من ذاقها غنا

وَأُطْلِقَ لِلشُّبْلِيِّ بِالْوَحْدَةِ الَّتِي أَشَارَ بِهَا لَمَّا مَحَا عَنْدَهُ الْكُونَا
وَكَانَ لِذَاتِ التَّوَكُّرِ مَوْلَاهَا يُخَاطَبُ بِالتَّوْحِيدِ صَيْرُهُ خِذْنَا
وَكَانَ خَطِيباً بَيْنَ ذَاتَيْنِ مَنْ يَكُنْ فَقَبِيراً يَرَى الْبَحْرَ الَّذِي فِيهِ قَدْ خُفْنَا
وَأَضْمَتِ لِلْجَنِيِّ تَجْرِيدَ خَلْقِهِ مَعَ الْأَمْرِ إِذْ صَارَتْ فَصَاحَتُهُ أَكُنَا

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَذَوَّقَ الْعَقْلَ حِينَ تَنَوَّرَ، وَاتَّصَلَ نُورُهُ بِالْعَقْلِ الْأَكْبَرِ
لِلْحَلَّاجِ وَهُوَ أَبُو مَغِيثٍ الْحُسَيْنِ بْنِ مَنصُورٍ، صَحْبُ الْجُنَيْدِ وَالتَّوْرِيِّ وَغَيْرُهُمَا؛
وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ الْأَوْلِيَاءِ الْمُحَقِّقِينَ، غَيْرَ أَنَّهُ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوُجُدُ، فَعَزَبَدَ فِي الْحَقِيقَةِ،
حَتَّى مَاتَ عَلَيْهَا. فَقَدْ ذَوَّقَ لَهُ عَقْلُهُ طُعْمَ اتِّحَادِهِ، أَيْ طُعْمَ فَنَائِهِ، فَالِاتِّحَادُ يَطْلُقُ
عَلَى مَغْنَيْنِ، أَحَدُهُمَا اخْتِلَاطُ ذَاتَيْنِ، حَتَّى تَصِيرَ ذَاتاً وَاحِدَةً؛ وَهَذَا مُحَالٌ فِي حَقِّهِ
تَعَالَى. وَمَنْ اعْتَقَدَهُ كَفَرَ، وَالثَّانِي يَطْلُقُ عَلَى الْوَحْدَةِ الْحَقِيقَةِ. يُقَالُ: اتَّخَذَ الشَّيْءُ
إِذَا صَارَ وَاحِداً؛ وَهُوَ الَّذِي يَعْبَرُ عَنْهُ الصُّوفِيَّةُ، وَيَذْكُرُونَهُ فِي أَشْعَارِهِمْ. فَهُوَ كُنَايَةٌ
عَنْ سَقُوطِ الْغَيْرِيَّةِ وَالْإِنْتِنِيَّةِ، فَيَقْنَى مَا لَمْ يَكُنْ، وَيَبْقَى مَنْ لَمْ يَزَلْ. فَقَالَ الْحَلَّاجُ
حِينَ غَابَ عَنْ وُجُودِهِ فِي شُهُودِ مَحْبُوبِهِ، أَنَا مَنْ لَا يُحِيطُ بِهِ مَعْنَى. أَيْ أَنَا اللَّهُ
الَّذِي لَا تَحْصُرُهُ مَعْنَى، وَلَا يُحِيطُ بِهِ وَهْمٌ وَلَا فِكْرٌ. وَقَالَ أَيْضاً: مِنْ جُمْلَةِ الْكَلَامِ
وَالَّذِي قُتِلَ بِهِ: أَنَا أَنْتَ بِلَا شَكٍّ. سُبْحَانَكَ سُبْحَانِي. وَتَوْحِيدَكَ تَوْحِيدِي،
وَعِصْيَانَكَ عِصْيَانِي، وَقَالَ أَيْضاً: مَا فِي الْجُبَّةِ إِلَّا اللَّهُ، وَالَّذِي تَعْبُدُونَ تَحْتَ
قَدَمِي. فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ مَقَالِكَ، وَإِلَّا قَتَلْتُكَ سَيْفَ الشَّرِيعَةِ. فَقَالَ: لَا لِأَنِّي
شَرِبْتُ مُدَاماً، أَيْ خَمْرَةً قَوِيَةً. كُلُّ مَنْ ذَاقَهَا عَنَى. لَا سِيَمَا إِذَا شَرِبَ وَسَكَرَ، وَفِي
هَذَا مَنْ عَبَّرَ عَنْ حَالِهِ:

سَقَوْنِي وَقَالُوا لَا تُغْنِي وَلَوْ سَقَوْا جِبَالَ حُنَيْنٍ مَا سَقَوْنِي لَغَنَتْ

وَالطُّقُ بِالْأَتَانِيَّةِ صَارَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، فِي حَالِ فَنَائِهِمْ. قَالَ بَعْضُهُمْ:
لَقَدْ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فِي مَقَامِ الْفَنَاءِ، أَنَا. وَقَالَ آخَرُ فِي مَقَامِ الْبَقَاءِ: هُوَ. فَيُقَالُ
لِلأَوَّلِ صَدَقْتُ وَمَا كَذَبْتُ. وَيُقَالُ لِلثَّانِي: أَحْسَنْتُ وَتَأَدَّبْتُ. وَلَمَّا حَبَسَ لِلْقَتْلِ، قَالَ
لَهُ الشُّبْلِيُّ، يَا أَبَا الْمُغِيثِ: مَا مَعْنَى التَّفَرُّدِ؟ فَقَالَ لَهُ: «هُوَ أَنْ يَتَفَرَّدَ الْعَبْدُ بِالْوَاحِدِ
الْأَحَدِ الْفَرْدِ. فَإِذَا رَأَى الْحَقَّ انْفَرَدَ عَنِ الْخَلْقِ، أَمَّنْهُ مِنْ عَذَابِ الطَّرْدِ، فَيَصِيرُ لِلْحَقِّ
مُشَاهِداً. وَالْحَقُّ عَلَى لِسَانِهِ شَاهِداً. فَحِينَئِذٍ يَتَخَلَّصُ لِمَقَامِ الْمَعْرِفَةِ. وَيُوصَى إِلَى
خَاطِرِهِ. وَيَحْرُسُ سِرَّهُ عَمَّا سِوَاهُ. فَلَا يَرْشَحُ مِنْهُ غَيْرَ الْحَقِّ، مِنْ حَضْرَةِ الْحَقِّ
بِالْحَقِّ». قَالَ الشُّبْلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْحَلَّاجِ: مَا الْمَعْرِفَةُ؟ فَقَالَ الْحَلَّاجُ:

«استهلاك الجَس في المعنى». فقلت له: مَا الْوُجْد؟ فقال: لهيبٌ ينشأ عن الشوق في الأسرار. وتطرب به الجوارح، ثُمَّ يَزُولُ لَأنه مقرونٌ بِالزَّوَالِ. وَيَبْقَى نتيجته المِرْفَانِيَّة. لَا تَحُولُ وَلَا تَزُولُ. ثُمَّ قَالَ يَا شَبْلِي مَنْ رَاقِبَ اللَّهَ عِنْدَ خُطَوَاتِ قَلْبِهِ. عَصَمَهُ عِنْدَ حَرَكَاتِ جَوَارِحِهِ. ثُمَّ قَالَ يَا شَبْلِي: السَّنَةُ تَحْفَظُ كِتَابَ اللَّهِ. فَقَالَ الشَّبْلِي بَلَى. فَقَالَ: قَدْ قَالَ لَنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَنِكَ اللَّهُ رَحْمَةً﴾. يَا شَبْلِي: إِذَا رَمَى اللَّهُ قَلْبَ عَبْدِهِ بِحَبَّةٍ مِنْ حُبِّهِ. نَادَى عَلَيْهِ مَدَى الْأَزْمَانِ بِلسَانِ الْعِتَابِ. فَقُلْتُ لَهُ: مَا الْمَحَبَّةُ؟ فَقَالَ الْحَلَّاجُ: الْغَيْبَةُ عَمَّا سِوَى الْمَحْبُوبِ. فَقُلْتُ لَهُ: مَا الْأَنْسُ؟ فَقَالَ: وجود الهيبة، مع ارتفاع الخشية. وغلبة الرجاء على الخوف. ثُمَّ قَتَلَ شَهِيداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِبَغْدَادَ، يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، لَسْتُ بِقَيْنٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ 306 هَجْرِيَّة. وَتَأَخَّرَتْ وَفَاتُهُ عَنِ الْجُنَيْدِ بِتِسْعِ سَنِينَ. أَمَّا مَا ذَكَرَ بَغْضَهُمْ أَنَّ الْحَلَّاجَ تَصَوَّرَ بِهِ بَنِيَّتَهُ، حَتَّى مَلَأَ الْبَيْتَ فَلَمْ يَقْدِرْ أَخَذَ عَلَى إِحْرَاجِهِ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلْجُنَيْدِ، فَأَتَى إِلَيْهِ، وَقَالَ: يَا حَسَيْنُ، فَتَحَتْ ثَغْرًا لَا يَسْذُهَا إِلَّا رُؤْيُكَ. فَأَخْرَجَ وَسَلَّم. فَأَنْفَشَ بَدَنَهُ، وَخَرَجَ مُسْلِماً، مُشَكَّكٌ فِيهِ. لِأَنَّ الْجُنَيْدَ مَاتَ سَنَةً سَبْعَ وَتِسْعِينَ وَمِئَتَيْنِ (297 هـ). فِي قَوْلِ الْأَكْثَرِ مَمَّنْ عَرَّفَ بِهِ. فَكَيْفَ يَخْضُرُ قَتْلُهُ؟ وَكَذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ فِي مَخْتَةِ الصُّوفِيَّةِ إِنَّهُ الْأَمِيرُ. قَالَ لِلْعُلَمَاءِ: قَتَلْتُمُ الْحَلَّاجَ، وَهُوَ وَلِيُّ اللَّهِ. وَأَنْتُمْ تَرِيدُونَ قَتْلَ الْجُنَيْدِ فَلَا يَصُحُّ أَيْضاً. إِلَّا أَنْ يَكُونَ وَقَعَ الْغُلَطُ فِي مَوْتِ الْحَلَّاجِ لِلشَّعْرَانِيِّ فِي طَبَقَاتِهِ فَإِنِّي نَقَلْتُهُ مِنْهُ. ثُمَّ رَأَيْتُ الشَّيْخَ ابْنَ زُكْرِي وَافَقَ مَا لِلْعَشْرَانِيِّ نَعَمْ. ذَكَرَ الْفَقِيهَ الْمُسَنَّوِي فِي نَصْرَتِهِ خِلَافاً ضَعِيفاً فِي وَفَاةِ الْجُنَيْدِ. فَالْهَ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَقَوْلُهُ: أَنْطَقَ لِلشَّبْلِيِّ. أَيْ صَيَّرَ الْعَقْلَ الشَّبْلِي نَاطِقاً بِالْوَحْدَةِ الَّتِي أَشَارَ فِي قَوْلِهِ: أَنَّ النَّقْطَةَ الَّتِي تَحْتَ الْبَاءِ كَمَا مَرَّ قَرِيباً. لَمَّا مَضَى عَنْ رُؤْيَةِ الْكَوْنِ. وَالْإِشَارَةُ بِالْبَاءِ إِلَى بَخْرِ الْجَبْرُوتِ الَّتِي تَدْفُقُ مِنْهُ نَقْطَةُ الْكَوْنِ. وَفِي مَعْنَى ذَلِكَ قِيلَ:

بَيْنَ التَّدْلِيلِ وَالتَّذَلُّلِ نَقْطَةٌ فِي فَهْمِهَا يَتَحَيَّرُ التَّخْرِيرُ
هِيَ نُقْطَةُ الْأَكْوَانِ إِنْ جَاوَزَتْهَا كُنْتَ الْمُرَادَ وَعِنْدَكَ الْإِكْسِيرُ

وَالْإِمَامُ الشَّبْلِيُّ: هُوَ أَبُو بَكْرٍ، قِيلَ اسْمُهُ جَعْفَرُ بْنُ يُونُسَ؛ وَهُوَ شَيْخُ الصُّوفِيَّةِ. وَإِمَامُ أَهْلِ الْبَاطِنِ. كَانَ صَالِحاً فَقِيهاً، عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ ذُو الْأَنْبَاءِ الْبَدِيعَةِ، وَالْأَخْبَارِ الْغَرِيبَةِ. وَأَخَذَ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ. أَضْلَهُ مِنْ خِرَاسَانَ، مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا شَبْلَةٌ. وَنَشَأَ بِبَغْدَادَ. فَكُتِبَ الْحَدِيثُ، وَصَحِّبَ الْجُنَيْدَ. وَمَنْ فِي وَفْقِهِ مِنَ الْمَشَائِخِ. وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ، كَالْأَزْهَرِيِّ وَالرَّازِي وَغَيْرِهِمَا. قَالَ

الرَّازِي: لَمْ أَر فِي الصُّوفِيَةِ أَعْلَمَ مِنَ الشُّبْلِيِّ. وَقَالَ الْجَنِّدُ: هُوَ عَيْنُ الْعَيْنِ. خَلَّفَ أَبُوهُ سِتِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، سَوَى الضِّيَاعِ وَالْعِقَارِ. قَالَ: فَأَنْفَقْتُهَا كُلَّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْفُقَرَاءِ لَا أَرْجِعُ وَلَا دَارِي وَلَا أَسْتَظْهَرُ بِمَعْلُومٍ. وَكَانَ جَسِيماً بَدِيناً. فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ الْمَحَبَّةَ تَقْضِي، فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَحَبُّ قَلْبِي وَمَا دَرَى بَدِينِي وَلَوْ دَرَى مَا أَقَامَ فِي السُّمْنِ
وَرُبِّي خَارِجاً مِنَ الْمَسْجِدِ يَوْمَ عِيدٍ وَهُوَ يَقُولُ:

إِذَا كُنْتُ لِي عَيْداً فَمَا أَضَعُّ بِالْعَمِيدِ
جَرَى حُبِّكَ فِي قَلْبِي جَرَى الْمَاءِ فِي الْمُوْدِ

وَسُئِلَ الشُّبْلِيُّ عَنِ الرَّهْدِ فَقَالَ: تَحْوِيلُ قَلْبِكَ عَنِ الْأَشْيَاءِ. وَقَالَ فِي التَّصَوُّفِ: ضَبْطُ حَوَاسِكَ، وَمُرَاعَاةُ أَنْفَاسِكَ. أَيِ أَوْقَاتِكَ. تُوْفِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَنَةَ 334 هـ (أَرْبَعَةٌ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثُمِائَةً). وَقَوْلُهُ: وَكَانَ لَذَاتُ النُّوفَرِيِّ مَوْلَهَا. أَيِ وَكَانَ الْعَقْلُ لَذَاتِ النُّوفَرِيِّ مَوْلَهَا. أَيِ مُعَيَّناً عَمَّا سِوَى الْحَقِّ. قَالَ الشَّيْخُ زُرُقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: النُّوفَرِيُّ لَا أَعْرِفُ اسْمَهُ، وَلَا أَدْرِي حَقِيقَةَ مَا كَانَ عَلَيْهِ تَعْرِيفاً لَكِنْ مَا قَالَ هُنَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مُسْتَعْرِقاً فِي التَّوْحِيدِ، حَتَّى تَوَلَّاهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، حَتَّى لَا يَخَاطَبُ وَلَا يَخَاطَبُ إِلَّا بِهِ. فَصَارَ لَهُ كَالْحَلِيلِ الْمَلَازِمِ؛ وَهُوَ الْخَذَنُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَكَانَ النُّوفَرِيُّ أَيْضاً خَطِيباً بَيْنَ ذَاتَيْنِ، أَيِ بَيْنَ عَالَمِ الْأَزْوَاجِ، وَعَالَمِ الْأَشْبَاحِ. وَهَذَا مِنْ تَمَكُّنِهِ فِي مَقَامِ الْبَقَاءِ. وَقَوْلُهُ: مَنْ لَمْ يَكُنْ فَقِيراً الْخ. كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ، بَيِّنٌ فِيهِ أَنَّهُ لَا يَفْهَمُ كَلَامَهُ، وَلَا يَتَذَوِّقُهُ إِلَّا مَنْ دَخَلَ الْبَحْرَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ. أَيِ مَنْ يَكُونُ فَقِيراً حَقِيقَةً يَرَى الْبَحْرَ الَّذِي غُصَّنَاهُ، وَيَفْهَمُ الْأَسْرَارَ الَّتِي أَسْرَنَاهُ إِلَيْهَا فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ غَيْرَهَا. وَهَذَا كَقَوْلِهِ فِي بَعْضِ أَرْجَالِهِ:

سِرِّي لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا مَنْ هُوَ بِمِثْلِي. قَوْلُهُ: وَاضْمَتَ لِلْجَنِيِّ: قَالَ الشَّيْخُ زُرُقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَظُنُّ أَنَّهُ يَعْني ابْنَ جَنِّي التَّخْوِي. فَإِنَّهُ أَلْفَ كِتَاباً سَمَّاهُ: تَجْرِيدُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ. فَلَذَكَرَ فِيهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْفَصَاحَةِ، وَالْعَقْلِ. أَيِ وَاضْمَتَ الْعَقْلَ لِابْنِ جَنِّي. كِتَابُهُ الَّذِي سَمَّاهُ: تَجْرِيدُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ. وَإِنَّمَا أَضْمَتَهُ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ يَقْتَضِي أَوْسَعَ مَا ذَكَرَ فِيهِ. فَلَمَّا قَصَّرَ فِيهِ أَضْمَتَهُ عَقْلَهُ. وَقَوْلُهُ: مَعَ الْأَمِيرِ، أَيِ مَعَ اقْتِضَاءِ الْأَمْرِ أَوْسَعَ مِنْ ذَلِكَ لِاخْتِلَافِ اللَّغَاتِ وَمَوَادِّهَا. وَاخْتِلَافِ أَسْبَابِ الْفَصَاحَةِ، وَالبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ. فَصَارَتْ فَصَاحَةُ ابْنِ جَنِّي أَكْنَأَ أَيِ خَرَساً. أَوْ فَصَارَتْ فَصَاحَةُ الْكَلَامِ أَكْنَأَ، أَيِ

عجمة. وفي القاموس: لكن كفرح، لكناً محرّكاً، ولكنة ولكوثة فهو لِكْنٌ، لا يفهم العربية لعجمة لسانه. وحاصل الكلام أن كتابه الذي ألّفه في الفصاحة والعقل، لم يبلغ منه المزمّ. فأصمته عقله. وقال له: لَيْتَكَ سَكَتَ. وابن جنّي: هو أبو الفتح، عثمان بن جنّي، الموصليّ النحوي، كان إماماً في العربية. قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الفارسي، وقعد للإفراء. قرأه شيخه أبو علي في حلقة، والناس حوله يأخذون عنه. فقال له: أَتَزَيْتَ وَأَنْتَ جُصْرَم. فترك حلقة، ولأزمه حتى تمهر. وكان أبوه جنّياً رومياً، مملوكاً لسليمان الأزدّي. توفي ابن جنّي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة (392 هـ). ثم ذكر الناظم جماعة أخرى فقال رضي الله عنه:

تَشْتَى قَضِيبُ الْبَانِ مِنْ شُرْبِ خَمْرَةٍ	فَكَانَ كَمِثْلِ الْغَيْرِ لِكَيْتُهُ تَشْتَى
وَقَدْ شَدَّ بِالشُّوْذِيِّ عَنْ نَوْعِهِ فَلَمْ	يَمِلْ نَحْوَ أَخْدَانٍ وَلَا سَاكِنِ الْمُدْنَا
وَأَضْبَحَ فِيهِ السَّهْرُورِيُّ خَائِفاً	يَصِيحُ فَمَا يُلْقِي الْوُجُودُ لَهُ أَدْنَا
وَلَابَسَ قَيْسِي خَلْعَ نَعْلٍ وَجُودِهِ	وَلَبَسَ إِحَاطَةً مِنَ الْحَجَرِ قَدْ ثَبَّنَا
أَقَامَ عَلَى شَأْنِ الْمَسْرَةِ تَجَلُّهَا	لَمَّا رَمَزَ الْأَسْرَارَ وَاسْتَمَطَرَ الْمُرْنَا
وَلَاخَ سَنًا بَرَقَ مِنَ الْقُرْبِ لِلنُّهَى	لِنَجْلِ ابْنِ سَيْئَاءِ الَّذِي ظَنَّ مَا ظَنَّ

يقول رضي الله عنه: تَشْتَى قَضِيبُ الْبَانِ: وهو رجل من أهل الشام، من أرباب الأحوال، كانت تظهر عليه عجائب وغرائب. وهو ممن اختلف فيه بالقبول والرد. وكان خرب ظاهراً. فكان يجلس بالمزابل، وربما تجرد من الثياب، فبقي غريباً. وكان يتصور في صور متعددة. وهذا معنى قوله: تَشْتَى: أي صير من ذاته اثنين، من شرب خمرة، فتجوهر عقله، وخرج عن طور الفضلاء في الظاهر، فكان إذا تطور، يرى كمثل الغير وهو بعينه. لكَيْتُهُ تَشْتَى، أي رجع اثنين. والله أعلم.

والشوذّي هو العفيف التلمساني المعروف بالحلوي، قاله زروق. ولم أيق على تعريفه. ومعنى شَدَّ، أي خرج العقل بالشوذّي عن نوعه وجنسه من الناس. فكان منفرداً وخدائياً، فازاً من المدن والقرى، لما صقلت مرآة عقله تأس بالله، وفرّ ممّا سواه. فلم يميل لأصحاب وعشائر. ولا ساكن المدن وكبار المداشر؛ لأن الخلطة تشوش الفكرة. سيمّا هرج المدن فلا يقوى عليها إلا من قوي نور معرفته، وبالله التوفيق. والسهروري: قال الشيخ زروق: المراد به المقتول، صاحب خواص الأربعين الإدريسية وغيرها، أي صاحب العوارف، أي وأصبح السهروري

خائفاً من جهة عقله، فلم يطق ما تجلّى له من أسرار خواصّ الأسماء. فكان يصيح في العالم بما عنده، فلم يسمع أحد نداءه. ولا ألقى إليه أذنًا. وفي بعض النسخ: يصيح بالخاء المعجمة. يقال: أصاح للأمر: استمع له. وهذا بعيد المناسبة:

وابن قسي: هو صاحب خلع النعلين، واقتباس الثورين من موضع القدمين، قاله زروق. ولم يذكر له تعريفاً. غيّر أنه اعترض على الناظم تشريعه بذلك، لأنّ أهل الطريق قد تكلموا فيه، أي ولاين قسي خلع نعل وجوده، وغاب عنه لما تحققت معرفته بالله. ولعلّ كلام أهل الطريق، حيث لم يفهموا مراده. كما تكلموا في غيره من المحققين.

وقوله: ولبس إحاطة. أشار لكتاب سماء بذلك، أي وله لبس إحاطة. وقوله. من الحجر قد ثبتنا: أي ثبتنا من ثبوت الحجر لثبوت الحرية لنا، والترشيد من أشياءنا. ولعل ذلك الكتاب المسمى بلبس الإحاطة، تكلم فيه على التحجير، من جهة الشريعة، أو من جهة حصر الكائنات. فقال الناظم: قد ثبتنا من ذلك، وخرجنا منه والله أعلم. وقوله: أقام على شأن المسرة. قال الشيخ زروق: ابن المسرة هو ابن سرور؛ وهو فقيه، صاحب يد في العلوم القديمة، أي أقام ابن مسرة على متن السرور حيث ظهر بما خفي على الناس من مكنون أسرار الرموز؛ لأنّه ممن اعتنى بحلها وفكها، كما فعل المقدسي وإليه أشار بقوله: لما رمز الأسرار، واستمطر المُرّنا أي دامت مسرته، لما كشف الأسرار، واستمطر: أي استنزّل أمطار المعاني من سحاب الألفاظ، أو من سحب الآثار؛ وهي الأواني. وقوله: ولأح سنّا بزقي الخ. أي ظهر ضوؤه بزق لاين سيناء، من حقيقة عقله المقربة للعقول ما كان بعيداً عنها، فإنّه شرّح من أمر العقل ما لم يشرّحه غيره.

وابن سيناء هذا، هو المتأخّر، وهو أحد فلاسفة الإسلام، وقد تكلم الناس فيه، واتهموه بالكفر. قال الشيخ السنوسي في شرح الكبرى، ولقد ضلّ ابن سيناء، وتسرّ بالإسلام، حيث قال في الطبائع الأربعة.

وقول بطراط هو الصحيح ماء ونار وهوى وريح.

قلت: أمّا مجرد هذا القول، فلا يدلّ على كُفْره؛ لأنّ عالم الحكمة مبنيّ على الأسباب، والعِلل في الظاهر. والباطن هو الله. فقد يكون تكلم على ما هو مقرر في عالم الحكمة من ترتيب الطبائع والأسباب. نعم قد قيل عنه إنه كان يرى أنّ الشريعة للعقل تابعة، فتدور معه في علل الأحكام. قال الشيخ زروق؛ وهو

مذهب فاسدٌ وإليه أشار الناظم بقوله: الَّذِي ظَنَّ مَا ظَنَّا. أي ظنَّ الشريعةَ تابعةً للعقل والحق أن العقل تابع للشرع في عِلَلِ الْأَحْكَامِ وَأَسْرَارِهَا. فإن أَدْرَكَ لَهَا عِنْدَهُ وَحِكْمَةً كَانَ عَيْنَ الْكَمَالِ، وإن لم يَدْرِكْ لَهَا حَكَمَ بِتَقْصِيرِهِ وَتَعَبُّدٍ بِأَمْرِ سَيِّدِهِ. وباللهِ التوفيق، ثم ذكر الناظم جَمَاعَةً أُخْرَى فَقَالَ:

وَقَدْ قُلِدَ الطُّوسِيُّ مَا قَدْ ذَكَرْتُهُ وَلَكِنَّهُ نَحْوُ التَّصَوُّفِ قَدْ خَبَّ
وَلَا يَنْ طُفِيلٍ وَإِنْ رُشِدَ تَيَقُّظُ رِسَالَةُ يَفْظَانِ افْتَضَى فَشَحَهُ الْحَيْنُ
كَسَى لِشَعِيبٍ ثَوْبَ جَمْعٍ لِدَاتِهِ يَجْرُ عَلَى حُسَادِهِ الدَّيْلُ وَالرُّدْنَا
يقول رضي الله عنه: وَقَدْ قُلِدَ الطُّوسِيُّ؛ وهو الغزالي، أي قَدْ تَقَلَّدَ مَا قَدْ ذَكَرْتُهُ مِنْ تَحْكِيمَاتِ الْعَقْلِ، واستحسنَاتِهِ بِذَلِكَ، من عجائب القلب، وشرح أسره ما يقضى منه العجب. وكذلك أسرار العبادات، والعبادات، وغير ذلك مما هو مذكورٌ في كُتُبِهِ، لَكِنَّهُ تَجَا مِنْ وَبَالِ الْعَقْلِ؛ حيث حَنَ إِلَى التَّصَوُّفِ، فصرف عقله في استخراج أسرار سرِّ الشريعة، وجَهِمَ الْأَحْكَامَ.

والغزالي: هو حجة الإسلام، محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي. ويكنى أبا حامدٍ حَبِرَ هذه الْأُمَّةَ وَرَاهِبِهَا. اشتغل أولاً بالعلوم وتدريسها ببغداد. ثم ترك جميع ذلك، وسلك طريق التجريد والانقطاع، وخدم الصوفية بنفسه سنين ثم قصد الحج. فلما رجع قَدِمَ إلى الشام، وأقام ببيت المقدس مجاوراً، واجتهد في العبادة وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة. ثم عاد إلى دمشق. واعتكف في زاوية مِنْ مَنَارِ الْجَامِعِ، وأخذ في التصنيف، لإحياء علوم الدين؛ وهو من أنفَسِ الْكُتُبِ، لَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا طَالِبُ الْآخِرَةِ. وَكَانَ يَرُوضُ نَفْسَهُ فِي الْمَجَاهِدَاتِ، وَيُكَلِّفُهَا مَشَاقَ الطَّاعَاتِ. ثم قصد مصر، وأقام بالإسكندرية مدة، ثم رجع إلى بغداد، وعقدَ بِهَا مَجَالِسَ الْوُعُظِ، وتكلم على لسانِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ. ثم عاد إلى وطنه بطوس. وورع أوقاته على وظائف الخير، من ختم القرآن، ومجالسة أهل القبول. وإدامة العبادة إلى أَنْ نُقِلَ الْحَقُّ إِلَى دَارِ الْكَرَامَةِ، في يوم الإثنين، رابع جمادى الثانية، سنة خمس وخمسمائة. (505هـ). بطوس وبها دُفِنَ. وقبره بِهَا مشهورٌ. وذكر التالدي في كتابه المعزى: أَنَّ سَبَبَ تَجْرِيدِ الْغَزَالِيِّ وانقطاعه، هُوَ أَخُوهُ. وَكَانَ مِنْ مُحَقِّقِي الصَّوْفِيَةِ. وَقَفَّ عَلَيْهِ فِي مَجْلِسِ عِلْمِهِ فَقَالَ لَهُ: إِلَى أَيْنَ تَحْتَبِسُ فِي هَذِهِ الْمَعَاقِلِ، وَأَنْشَدَهُ شِعْراً أَنَهَضَهُ إِلَى رَبِّهِ، وذكر غيره، أَنَّهُ وَصَّلَهُ بِشَيْخِهِ، وَكَانَ خِرَازِماً، فجذبته إِلَى رَبِّهِ، وَأَمَرَهُ بِتَخْرِيبِ ظَاهِرِهِ وَبِالتَّجْرِيدِ. فحينئذٍ ذاقَ مَا ذَاقَتْ الرِّجَالُ. والغزالي

بتشديد الزاي نسبة إلى الغزالي. على عادة أهل خوارزم وجزجان، فإنهم ينسبون إلى القصار، القصاري، وإلى العطار العطارى. وقيل: إن الزاي مخففة نسبة إلى غزالة. وهي قرية من قرى طوس؛ وهو خلاف المشهور وطوس بضمة الطاء، وسكون الواو: قرية من قرى بخارى. وما يقال إنه مدفون بترعة، غلط فاجش. قال الدميمري في حياة الحيوان. روينا بالسند الصحيح عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه. أنه قال: رأيت النبي ﷺ في النوم. وقد باهى موسى وعيسى بالغزالي، فقال لهما: في أمتكما هذا الحبر؟ وأشار إلى الغزالي. فقالا: لا. قال الشيخ أبو العباس الميرسي: «إننا لنشهد له بالغوثية العظمى». وقيل القائل: هو الشاذلي رضي الله عنهم أجمعين. ثم قال الناطم: ولابن طفيل وابن رشد تيقظ. أما ابن طفيل فهو من فلاسفة الإسلام. له عقل وتيقظ في الأمور العقلية. ولم أقف على تعريفه. وأما ابن رشد، فالمراد به الحفيد؛ وهو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، الإمام المشهور. ولد سنة عشرين وخمسائة (520هـ) قبل وفاة جده أبي الوليد بشهر واشتهر بالحفيد، وهو من أهل قرطبة. وقاضي الجماعة بها. أخذ الفقه عن المازري وغيره. وأخذ الطب عن أبي ميزان بن جريون. وكانت الدراية، أغلب عليه من الرواية خلاف جده. ولم ينشأ في الأندلس مثله. حتى قيل فيه: كان أفقه من جده. وصنف وقيد مذهب ومال إلى علوم الأوائل. وكانت له فيها الإمامة دون أهل عصره. وكان يفرع إلى فتياه في الطب، كما يفرع إلى فتياه في الفقه. له تأليف جلية. منها: كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد. وذكر فيها أسباب خلاف المذاهب وعللها. وأفاد وأفنح فيه. ولا يعلم في وقته أنفع منه. وله كتب أخرى ذكرها في الديباج. توفي رحمه الله سنة خمس وتسعين وخمسائة (595هـ) بمراكش. كان قدِم على السلطان فمات، ثم دُفِنَ بها، ثم نُقِلَ إلى قبرسلة بقرطبة. وفي قبره دُفِنَ الولي الشهير أبو العباس السبتي. وقيل في الحفيد، إنه اتهم بالاعتزال وبالميل لمذاهب الفلاسفة، كما رمي بذلك ابن طفيل، ولذلك قرن معه. ولم يُنسب لهما الناطم إلا التيقظ في أمور العقل فقط. قال الشيخ زروق: وأما ابن طفيل وابن رشد الحفيد فمن متفلسفة الإسلام. وقد رُمُوا بأكبر الكفر والله أعلم. قلت: كتب الحديث موشحة بالأحاديث النبوية، ليس فيها شيء مما رُمي به. وقد عُرِفَ به صاحب الديباج وغيره، فلم ينسبوا له شيئاً مما يُقَصُّ. وعند الله تجتمع الخصوم. ويقظان هو ابن يقظان، وله رسالة في العقليات. قال الشيخ زروق، وقد وقفت عليها وهي مبنية على القول بالطبيعة، وهو نوع من الكفر، ولذلك قال

الناظم: اقْتَضَى فتحه الحَيْنُ؛ أي اقْتَضَى فتح الْعَقْلِ لَهُ الحَيْنُ؛ وهو الْهَلَاكُ.

كَسَى لَشَعِيبٍ: المراد أَبُو مَذِين الغوث الشهير بالولاية شرقاً وغرباً. كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من أعيان مشايخ المغرب، وصدور الْمُقَرَّبِينَ، واسمُهُ شَعِيب، وولده مَذِين مدفون بِمِصْر، ببركة القرع، وقبره مشهور يُزَارُ. وأما أَبُو مَذِين، فهو مدفون بِمَدِينَةِ تِلْمَسَانَ، في تربة العباد. مات وقد جاوز الثمانين سَنَةً. كَانَ مَقِيمًا بِبِجَايَة. ثم إِنَّ سُلْطَانَ تِلْمَسَانَ بلغه خَبَرُهُ. وما كَانَ فِيهِ الشُّهُرَةُ. فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ من بِجَايَة لِيتَبَرَّكَ بِهِ، لِتَعْدُّ وَصُول السُّلْطَانِ إِلَى زيارته، خوفاً مِنْ اخْتِلَالِ رَعِيَّتِهِ. فَأَجَابَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ. ثم قَالَ بِخَفْضِ صَوْتِهِ: مَا لَنَا وَلِلْسُلْطَانِ. اللَّيْلَةُ نَزَوُ الْإِخْوَانِ، ثم نَزَوُ تِلْمَسَانَ، وَاسْتَقْبَلَ الْقَبْلَةَ لَيْلَةَ دُخُولِهِ، وَتَشَهُدَ ثم قَالَ: هَا قَدْ جِئْتُ وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى. ثم قَالَ: اللَّهُ الْحَيُّ. وَفَاضَتْ رُوحُهُ. قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: اجْتَمَعَتْ بِالْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَأَلَتْهُ عَنْ شَيْخِنَا أَبِي مَذِينٍ. فَقَالَ: هُوَ إِمَامُ الصُّدُوقِينَ فِي هَذَا الْوَقْتِ. وَقَدْ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِفْتَاحاً مِنَ السِّرِّ الْمَصُونِ. فَمَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ أَجْمَعَ لِأَسْرَارِ الْمُرْسَلِينَ مِنْهُ. وَقَدْ أَجْمَعَتِ الْمَشَايِخُ عَلَى تَعْظِيمِهِ وَإِجْلَالِهِ. وَكَانَ جَمِيعاً ظَرِيفاً، مُتَوَاضِعاً زَاهِداً، وَرِعاً مُحَقِّقاً. قَدْ اشْتَمَلَ عَلَى كَرَمِ الْأَخْلَاقِ. وَكَانَ يَقُولُ لِنَفْسٍ لِلْقَلْبِ إِلَّا جِهَةً وَاحِدَةً مَتَى تَوَجَّهَ إِلَيْهَا، غَابَ عَنْ غَيْرِهَا. وَقَالَ أَيْضاً: الْفَقْرُ نُورٌ مَا دُمْتَ تَسْتَرُهُ. فَإِذَا أَفْشَيْتَهُ ذَهَبَ نُورُهُ. وَقَالَ أَيْضاً: كُلُّ فَقِيرٍ كَانَ الْأَخْذُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَطَاءِ فَهُوَ كَذَّابٌ، لَمْ يَشْمَ لِلْفَقْرِ رَائِحَةً. وَقَالَ أَيْضاً: مَنْ لَمْ يَصْلُحْ لِبُخْدَمَتِهِ، شَغَلَهُ بِالدُّنْيَا. وَمَنْ لَمْ يَصْلُحْ لِمَعْرِفَتِهِ، شَغَلَهُ بِالْآخِرَةِ. وَقَالَ أَيْضاً: مَنْ لَمْ يَخْلُقْ لَهُ الْعُذَارُ، لَمْ تُزَفَّعْ لَهُ الْأَسْتَارُ. وَمَكَثَ فِي بَيْتِهِ سَنَةً، لَمْ يَخْرُجْ إِلَّا إِلَى الْجُمُعَةِ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى بَابِ دَارِهِ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا أَلْزَمُوهُ خَرَجَ. فَرَأَتْهُ الْعَصَافِيرُ الَّتِي عَلَى سَوْرِ فِي الدَّارِ، فَقَرَّتْ مِنْهُ، فَجَرَعَ، وَقَالَ: لَوْ صَلَحْتُ لِلْحَدِيثِ عَلَيْكُمْ لَمْ تَغَيَّرْ مِنِّي الطُّيُورُ. فَجَلَسَ فِي الْبَيْتِ سَنَةً أُخْرَى، ثُمَّ جَاءُوا إِلَيْهِ، فَلَمْ تَغَيَّرْ مِنْهُ الطُّيُورُ، فَتَكَلَّمَ عَلَى النَّاسِ. وَنَزَلَتِ الطُّيُورُ تُضْرِبُ بِأَجْنِحَتَيْهَا، حَتَّى مَاتَ مِنْهَا طَائِفَةٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ. وَكَانَ الْحَقُّ تَعَالَى قَدْ أَذَلَّ لَهُ الْوَحُوشَ. فَإِذَا رَأَى الْوَحْشَ ارْتَعَدَ مِنْ هَيْبَتِهِ. وَمَرَّ يَوْماً عَلَى حِمَارٍ، وَالسَّبُعُ قَدْ أَكَلَ نَصْفَهُ، وَصَاحِبُ الْحِمَارِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ بَعِيدٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْرُبَ مِنْهُ. فَقَالَ لِصَاحِبِ الْحِمَارِ: تَعَالَ. وَذَهَبَ بِهِ إِلَى الْأَسَدِ. وَقَالَ: أَمْسِكْ بِأُذُنِهِ. وَاسْتَغْمِلْهُ مَكَانَ جِمَارِكَ حَتَّى يَمُوتَ. فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ وَرَكِبَ. وَصَارَ يَسْتَعْمِلُهُ مَكَانَ حِمَارِهِ حَتَّى مَاتَ الْأَسَدُ.

توفي رضى الله عنه: سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة (593هـ) عن خمس وثمانين. وخرج من دائرته ثلاثمائة قطب دُونَ الصالحين. وأخذ الطريق عن أبى يَغْزَى والشيخ عبد القادر وسيدى علي بن حرزم رضى الله عنهم أجمعين. قال الناطم في مدحه. كسى لشعيب ثوب جمع لذات. أي كساه عَقْلُهُ ثوباً جامعاً لذاته على رُبِّهِ. فكان دائماً مجموعاً على الله، في بساط الحضرة. وكان كثيراً ما يُنشد: **اللَّهُ قُلْ وَدِرَ الْوُجُودَ وَمَا حَوَى. إِنْ كُنْتُ مُرْتَضَاً بِلَوْحِ كَمَالٍ. يَجْزُ الذَّلِيلُ أَيْ طَرَفَ الْإِزَارِ. وَالرُّذُنُ بِضَمِّ الرَّاءِ. أَصْلُ الْكَمِّ. أَيْ يَجْزُ ذَيْلَهُ وَكَمَهُ افْتِخَاراً لِمَوْلَاهُ. وَشُكْرًا لِمَا بِهِ أَوْلَاهُ.** قال الشيخ زروق: تخرج على يده ألف ولي، ولم يذكر عن أحد من أئمة طعن فيه، رضى الله عنه وأرضاه. ونفعنا به؛ وهو أندلسي، ثم ذكر الناطم جماعة أخرى فقال:

وَعَنهُ طَوَى الطَّائِي بِسَطِ كِيَانِهِ يَدَسْكِرَةُ الْخُلَاعِ إِذْ ذَهَبَ الْوَقْنَا
تُسَمَّى بِرُوحِ الرُّوحِ جَمْرًا فَلَمْ يُبَلَّلْ وَلَمْ يَزْ نَدَا فِي الْمَقَامِ وَلَا خِدْنَا
بِهِ عُمَرُ بْنُ الْفَارِضِ النَّاطِمِ الَّذِي تَجَرَّدَ لِلْأَسْفَارِ قَدْ سَهَلَ الْحَزْنَا
وَبَاحَ بِهَا نَجْلُ الْحَرَالِي عِنْدَمَا رَأَى كَثْمَهُ ضُغْفًا وَتَلْوِيْعَهُ غَيْنَا
وِلَا أُمُورِي النَّظْمِ وَالنُّشْرُ فِي الَّذِي ذَكَّرْنَا وَإِعْرَابَ عَمَّا نَحْنُ أَعْرَبْنَا

المُراد بالطائي: ابن العَرَبِي؛ لأنه من ذرية حَاتِمِ الطَّائِي، وكان في زمانه، يعرف بابن سُرَاقَة. وعند المتأخرين مِنَ الصوفية: محيي الدين. وهو الإمام المحقق، رأس العارفين، وإمام المُقَرَّبِينَ. ذو النِّفَحَاتِ الْقُدْسِيَّةِ. والأنفاس الزوْحَانِيَّةِ. والمعارف الْبَاهِرَةِ. والحقائق الزَّاهِرَةِ. له المحلُّ الْأَرْفَعُ فِي مَرَاتِبِ الْقُرْبِ، وَمَنَازِلِ الْأَنْسِ؛ وهو أَحَدُ أَرْكَانِ هَذِهِ الطَّرِيقِ. وَأَجَلُ أئمة أَهْلِ التَّحْقِيقِ. بحرُ زَمَانِهِ وفريدُ أَوَانِهِ. لُقِّبَ الشَّيْخُ أَبُو مَدْيَنَ بِسُلْطَانِ الْعَارِفِينَ. وَكَلَامُ الرَّجُلِ دَلِيلٌ عَلَى مَقَامِهِ. وَكُتِبَ مَشْهُورَةٌ بِأَيْدِي النَّاسِ. إِلَّا أَنَّهُ مَالٌ فِيهَا لِإِظْهَارِ الْحَقَائِقِ، وَكَشْفِ غَطَائِهَا. فَرُمِيَ بِمَا رُمِيَ بِهِ غَيْرُهُ مِمَّنْ أَظْهَرَ. وَمِنْ كَشُوفَاتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ ذَكَرَ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ صِفَةَ السُّلْطَانِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَوَّلِ، وَفَتَحَهُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ فِي الْوَقْتِ الْفُلَانِي. فَجَاءَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَهُ. وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ نَحْوُ مَائَتِي سَنَةٍ. فَبَنَى عَلَيْهِ قُبَّةً عَظِيمَةً بِالشَّامِ، وَرَتَّبَ فِيهَا طَعَامًا وَخَيْرَاتٍ. بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَبُولُونَ عَلَى قَبْرِهِ. وَحَكَى الشَّيْخُ الصَّالِحُ سَيِّدِي أَحْمَدَ الْحَلَبِي، أَنَّهُ كَانَ لَهُ بَيْتٌ مُشْرِفٌ عَلَى ضَرْحِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ، فَجَاءَ شَخْصٌ مِنَ الْمُنْكَرِينَ، بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ بِنَارٍ يَرِيدُ أَنْ يَحْرِقَ

تأثرت الشيخ، فحُصِفَ بِهِ دُونَ الْقَبْرِ بِتَسْعَةِ أَذْرَعٍ، فَعَابَ فِي الْأَرْضِ وَأَنَا أَنْظُرُ فَقَفَدَهُ
أَهْلُهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَأَخْبَرْتَهُمْ بِالْقِصَّةِ فَجَاءُوا وَخَفَرُوا رَأْسَهُ. فَكَلَّمَا خَفَرُوا نَزَلَ
غَائِرًا فِي الْأَرْضِ إِلَى أَنْ عَجَزُوا. وَرَدُّوا التُّرَابَ عَلَيْهِ.

وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوَّلًا يَكْتُبُ الْإِنْشَاءَ لِبَعْضِ مَلُوكِ الْمَغْرِبِ، ثُمَّ تَزْهَدُ
وَتُعَبِّدُ. وَسَاحَ وَدَخَلَ مِصْرَ وَالشَّامَ وَالْحِجَازَ وَالرُّومَ. وَلَهُ فِي كُلِّ بَلَدٍ دَخْلُهَا
مُؤَلَّفَاتٌ. وَكَانَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ يَحْطُ مِنْ قَدْرِهِ كَثِيرًا. فَلَمَّا صَحِبَ
الشَّيْخُ أَبَا الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَعَرَفَ أَحْوَالَ الرُّجَالِ. صَارَ يَتَرْجِمُهُ بِالْوَلَايَةِ
وَالْعِرْفَانِيَةِ. مَاتَ شَهِيدًا سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتْمِائَةَ (638هـ). وَلَهُ مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ
نِيفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ، مِنْهَا التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ الَّذِي بَلَغَ فِيهِ إِلَى سُورَةِ الْكَهْفِ عِنْدَ قَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عَلَمًا﴾. ثُمَّ تَوَفَّى وَلَمْ يَكْمَلْ. وَهَذَا التَّفْسِيرُ، كِتَابٌ عَظِيمٌ
بَلَغَ ثَلَاثِينَ سِفْرًا. كُلُّ سِفْرِ بِحَرْفٍ لَا سَاجِلَ لَهُ. فَقَالَ النَّاطِلُ فِي تَرْجُمَتِهِ: وَعَنْهُ طَوَى
الطَّائِي بِسَطِ كِيَانِهِ، أَيْ وَعَنْ عَقْلِهِ طَوَى الْعَاتِمِي الطَّائِي بِسَطِ وَجُودِهِ، فَعَابَ عَقْلَهُ
عَنِ إِدْرَاكِ حَقِيقَتِهِ بِخُرُوجِ مَا أَذْرَكَ عَنْ دَائِرَةِ الْعُقُولِ. فَالْكِيَانُ بِمَعْنَى الْكُونِ، أَيْ
طَوَى عَنْ عَقْلِهِ بِسَطِ كَوْنِهِ. وَكَانَ ابْتِدَاءَ ذَلِكَ الطَّيِّ بِدَشْكْرَةِ الْخَلَاعِ، أَيْ بِخَضْرَاءِ
اجْتِمَاعِ أَهْلِ الْخَمْرَةِ؛ وَهُمْ الَّذِينَ يَخْلَعُونَ عُذَارَهُمْ فِي رِضَى مُحِبِّوهُمْ، فَيُخْرِبُونَ
ظَوَاهِرَهُمْ، وَيَهْتَكُونَ أَغْرَاضَهُمْ، وَلَا يَبَالُونَ بِمَنْ لَامَهُمْ وَعَابَ عَلَيْهِمْ.

وَفِي الْقَامُوسِ الدُّسْكُرَةُ: الْقَرْيَةُ وَالصُّومُعَةُ، وَبُيُوتُ الْأَعَاجِمِ، يَكُونُ فِيهَا
الْخَمْرُ وَالْمَلَاهِي، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا؛ لِأَنَّ الْخَمْرَ مَعْنَوِي، وَالْمَلَاهِي، كِتَابِيَّةٌ عَنْ
التَّغَزُّلِ بِالْمَحْبُوبِ. وَتُعَبِّرُ عَنْهُ الصُّوفِيَّةُ بِالْخَانِ، أَيْ كَانَ ذَا الْفَتْحِ بِمَخْضَرِ أَهْلِ
الْأَذْوَاقِ الَّذِينَ خَلَعُوا عُذَارَهُمْ، إِذْ ذَهَبَ الْوَهْنُ: أَيْ حِينَ ذَهَبَ عَنْهُ ضَعْفُهُ وَكَسَلُهُ،
وَفَرَقَهُ بِخَلْعِ عُذَارِهِ، وَافْتِضَاحِ نَفْسِهِ؛ وَهُوَ الَّذِي تَسْمَى بِرُوحِ الرُّوحِ فِي شِعْرِهِ
الْمَعْلُومُ الَّذِي قَالَ فِيهِ:

أَنَا الْقُرْآنُ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي	وَرُوحُ الرُّوحِ لَا رُوحَ الْأَوَانِي
فَوَادِي عِنْدَ مَعْلُومِهِ مُقِيمٌ	تَسَاجِيهِ وَعِنْدَكُمْ لِسَانِي
فَلَا تَنْظُرْ بِطَرْفِكَ نَحْوَ جِسْمِي	وَعِذْ عَنِ التَّنْعُمِ بِالْأَوَانِي
فَأَسْرَارُ تَرَائِثِ مُبْهَمَاتٍ	مُسْتَرَّةٌ بِأَنْوَاعِ الْمَعَانِي
وَمَنْ فِيهِمُ الْإِشَارَةُ فَلَيْضَتُهَا	وَالْأَسُوفُ يُقْتَلُ بِالسَّنَانِ
كَخَلَاَجِ الْمَحَبَّةِ إِذْ تَبَدَّتْ	لَهُ شَمْسُ الْمَحَبَّةِ بِالتَّدَانِي

فَقَالَ: أَنَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يُغَيَّرُ دَأْتُهُ مِنَ السَّرْمَانِ
وتأويله: أَنَّهُ غَابَ عَنْ وجودِهِ عِنْدَ مَحْسُوسِيهِ، فَشَاهَدَ الْعَيْنَ بِالْغَيْبِ. فَصَارَ
عَيْنَ الْغَيْبِ فَقَالَ: أَنَا مُتَزَلُّ الْقُرْآنِ، وَأَنَا رُوحُ الرُّوحِ وَالَّذِي هُوَ السَّرُّ الْمَكْنُونُ؛ الَّذِي
قَامَ بِالْأَرْوَاحِ وَالْأَشْبَاحِ. وَمِنْ كَلَامِهِ أَيْضاً: تَطَهَّرْ بِمَاءِ الْغَيْبِ إِنْ كُنْتَ ذَا سُرٍّ إِلَى
آخِرِ الْآبِيَاتِ الْمَشْهُورَةِ عَلَى مَا نَسَبَهُ أَبُو الْمَوَاهِبِ التُّونِسِيُّ حَسْبَمَا ذَكَرَهُ الشُّعْرَانِيُّ.
وَنَسَبَهَا غَيْرُهُ لِلْجَنِيدِ؛ وَهُوَ الْمَشْهُورُ. وَقَوْلُهُ لَمْ يُبَالِ. هَكَذَا فِي نَسَخَتِنَا أَيْ لَمْ يُبَالِ
بِمَنْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ مَقَالَتَهُ. وَلَمْ يَرَّ لَهُ نَذَاءٌ، أَيْ شَبِيهَاً، وَلَا مَعَانِدًا فِي زَمَانِهِ فِي مَقَامِ
الْعِلْمِ وَالذِّيَانَةِ.

وَقَوْلُهُ: وَلَا حِذْنَآ، أَيْ وَلَا أَضْحَآيِهِ يَقْرَبُ مِنْ حَالِهِ، بَلْ رَأَى نَفْسَهُ مُنْفَرِدًا بِمَا
حَصَلَ وَأَصْل. وَلَا يَسْتَغْرِبُ مِنْ هَذَا فَإِنَّ الْبَاطِنَ يَقُولُ فِي كُلِّ زَمَانٍ. ثُمَّ ذَكَرَ ابْنَ
الْفَارِضِ فَقَالَ بِهِ: عُمَرُ بْنُ الْفَارِضِ. أَيْ بِالْعَقْلِ تَجَرَّدَ عُمَرُ بْنُ الْفَارِضِ الَّذِي اشْتَهَرَ
بِالنَّظْمِ لِلْأَشْعَارِ. فَسَهَّلَ عَلَيْهِ الْحَزْنَ، أَيْ الصَّغْبُ مِنْهُ، وَتَحَمَّلَ مُشَاقَّةَ لِلْمَحَبَّةِ الَّتِي
اشْتَعَلَتْ فِي قَلْبِهِ الَّتِي هَدَاهُ إِلَيْهَا عَقْلُهُ مَعَ تَقَدُّمِ الْقُدْرَةِ وَالْاِقْتِدَارِ. وَفِي الْقَامُوسِ:
الْحَزْنُ: مَا غَلَطَ مِنَ الْأَرْضِ، فَإِذَا سَهَّلَ مَا غَلَطَ مِنْهَا فَأُولَى مَا كَانَ بَسِيطًا.

وابن الفارض: هو الولي الكبير والمحِبُّ الشهير إمام العُشَّاق أبو حفص
عمر بن الحسن بن علي بن المرسف الحُمَيْرِي الْأَصْلُ الْمِصْرِي الدَّارِ وَالْمَوْلِدِ
وَالْوَفَاةِ. لَهُ دِيْوَانٌ فِي الشُّعْرِ رَاقٍ. وَفِي أُسْلُوبٍ غَرِيبٍ فَائِقٍ. وَلَهُ قَصِيدَةٌ مُشْتَمِلَةٌ
عَلَى سِتْمَائَةٍ بَيَّنَتْ عَلَى اصْطِلَاحَاتِهِمْ وَمَنَاجِيهِمْ. وَلَهُ قَصِيدَتَانِ تَائِيَتَانِ. فِيهِمَا كَلَامٌ
عَامِضٌ شَرَحَ إِحْدَاهُمَا أَبُو سَعِيدِ الْفَرَعَانِي شَرْحًا جَيِّدًا. وَلَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سِتَّةَ
وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةَ (576هـ)، وَتَوَفَّى سِتَّةَ أَثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسِتْمِائَةَ (632هـ). فَعَمَّرَهُ
سِتَّةَ وَخَمْسِمِائَةٍ. وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي شَرْحِي لَخْمَرِيَّتِهِ، مَنَاقِبَهُ وَمَآثِرَهُ وَمُلَاقَاتِهِ بِالشَّيْخِ
الْبِقَالِ وَسِيَاحَتِهِ فِي نَوَاجِي مَكَّةَ. وَرُجُوعِهِ لَصَلَاتِهِ عَلَى شَيْخِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، وَاسْتِقْرَارِهِ
فِي مَضَرٍ فَرَاغَهُ إِنْ شِئْتَ.

وَالْحُرَّالِي: قَالَ الشَّيْخُ زُرُوقُ: هُوَ أَبُو الْحَسَنِ، عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّجِيبِيِّ
الْحُرَّالِي بِجَانِي الدَّارِ. تَرَجَمَهُ صَاحِبُ عُنْوَانِ الدَّرَايَةِ: بِالْعَالَمِ الْمَطْلُوقِ. وَقَالَ: مَا
مِنْ قَنْ إِلَّا وَأَلَّفَ فِيهِ.

ثم قوله: وباح بها: يحتمل أن يريد الحكمة بل المعقولية أو فوائدها
المقصودة، أو الموجودة، أو المشهورة أي وبَّاحٌ بِالْحِكْمَةِ أو بفوائد العَقْلِ ابْنَ

الْحَزَالِي، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى كِتْمَانِهَا إِذْ رَأَى كِتْمَانَهَا ضَعْفًا فِي الْإِيمَانِ؛ إِنْ كِتْمَانُهَا عَلَى أَهْلِهَا، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تُؤْتُوا الْحِكْمَةَ غَيْرَ أَهْلِهَا فَتُظْلِمُوهَا، وَلَا تَمْنَعُوهَا عَنْ أَهْلِهَا فَتُظْلِمُوهُمْ». وَرَأَى أَيْضًا تَلْوِيحَهُ بِهَا، وَإِشَارَتَهُ بِهَا غِنَاءً أَيْ غَطَاءً وَبَسْرًا فَمَا أَمْكَنَهُ إِلَّا التَّصْرِيحُ نَفْعًا لِلْعِبَادِ.

والأموي: قال الشيخ زروق رضى الله عنه: كُنْتُ أَعْرِفُهُ ثُمَّ غَابَ عَنِّي ذِهْنِي، وَلِلْأُمَوِيِّ النُّظْمُ وَالنَّثْرُ فِي شَأْنِ الْعَقْلِ الَّذِي ذَكَّرْنَا وَإِعْرَابًا: أَيْ بَيَانًا كَمَا نَحْنُ أَعْرَبْنَا أَيْ بَيَانًا. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ ذَكَرَ شَأْنَ شَيْخِهِ وَشَأْنَ نَفْسِهِ، وَبِهِمَا وَقَعَ الْخَتَامُ. فَقَالَ:

وَأَظْهَرَ ابْنَ سَبْعِينَ لِي مِنْهُ مَا خَفَى وَكَشَفَ عَن أَطْوَارِهِ الْغَيْمَ وَالْدُّجَانِ
وَبَيَّنَ أَسْرَارَ الْعُبُودِيَّةِ الَّتِي عَنِ إِعْرَابِهَا لَمْ يَرْفَعُوا اللَّبْسَ وَاللُّحْنَ

ابن سبعين، هو الإمام العارف الرباني، المحقق القطب الصمداني، عبد الحي بن إبراهيم بن محمد بن سبعين. قال الغبريني: فقيه جليل، عارف نبيل فصيح. له حكمة ومعرفة، وبراعة وبلاغة. مشارك في المعقول والمنقول. أخذ مشاهير الفضلاء، وله أتباع كثيرة، وموضوعات كثيرة في يد أصحابه. فيها ألغاز وإشارات، وله موشحات وأشعار في طريق القوم.

توفي رضى الله عنه سنة تسع وستين وستمائة (669هـ)؛ وهو ممن اختلف فيه أهل الظاهر ردًا وقبولًا. وأمَّا أهل الباطن، فأجمعوا على تحقيق ولايته ومعرفته.

وفي طبقات الشعراني: كَانَ ابْنُ سَبْعِينَ مِنَ الْمَشَائِخِ الْأَكَابِرِ، مَاتَ بِمَكَّةَ، عَنِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً (55 سنة). وَقَالَ فِي الْمُقَدِّمَةِ: أَخْرَجُوهُ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَكَتَبُوا فِيهِ كِتَابًا. وَقَالُوا فِيهِ: إِنَّهُ يَقُولُ: أَنَا هُوَ، وَهُوَ أَنَا. وَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ وَجَدَ السُّلْطَانَ الَّذِي فِيهَا مَرِيضًا قَدْ ظَهَرَ مَخُّهُ؛ فَصَنَعَ لَهُ رَأْسًا مِنَ الْقَرْعِ، وَعَمَّ بِهِ مَخَّهُ فَشَفَاهُ اللَّهُ فَقَرَّبَهُ وَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ. فَمَا زَالَ مُعَظَّمًا، حَتَّى مَاتَ بِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَقَالَ النَّازِمُ فِي تَرْجُمَتِهِ. وَأَظْهَرَ ابْنُ سَبْعِينَ مِنْهُ، أَيْ مِنْ أُمُورِ الْعَقْلِ فَأَخْفَى عَنِ النَّاسِ، وَأَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ شَيْخُهُ. قَالَ الشَّيْخُ زُرُوقُ: وَكَوْنُهُ أَظْهَرَ مِنْ حَقَائِقِ الْعَقْلِ وَفَوَائِدِهَا مَا خَفَى ظَاهِرًا مِنْ كِتَابِهِ، لَا سِيَّمَا عِنْدَ الْبَدْوِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ. وَإِنْ كَانَتْ عِبَارَتُهُ تَحْتَاجُ إِلَى مُسَامَحَةٍ فِي مَحَلِّهَا. فَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ عَيْنَ التَّحْقِيقِ، فَلِلْحُنِّ نِسْبَةٌ فِي التَّعْبِيرِ. وَقَوْلُهُ: وَبَيَّنَّ أَسْرَارَ الْعُبُودِيَّةِ، يَعْنِي فِي كِتَابِهِ الْبَدْوِ، الَّذِي تَكَلَّمَ

فيه بِلِسَانِ المتكلم والفَيْلَسُوفِي، والفقيه والحكيم والمحقق. وأعطى كل مسألة حَقَّهَا من كَلَامِهِمْ. وكَشَفَ بِشَدِّ الشين للمبالغة أي كَشَفَ عن أطوارِ العقلِ وَمَرَاتِبِهِ الغيم، أي السحاب الرقيق الَّذِي يَغْطِي الشَّمْسَ والدَّجْنَ: أي الظَّلَامَ. وَبَيَّنَ أَيْضاً أسرار العبودية إذ هي شَرَفُ الإنسان، التي لم يَرَفَعُوا: أي الثَّاس والحكماء، عن إعرابها: أي عن بَيَانِهَا، اللُّبْسُ أي الاختلاط والاشتباه. وفي القاموس اللُّبْسُ بالفتح وَبِضْمٍ: الشُّبْهَةُ. واللُّحْنُ بِسُكُونِ الحاءِ. ثم ذَكَرَ شَأْنَ نَفْسِهِ فقال:

كَشَفْنَا غِطَاءَ مَنْ تَدَاخَلَ سِرَّهَا فَأَصْبَحَ ظَهراً مَا رَأَيْتُمْ لَهُ بَطْناً
هَذَا لِقَوْلِ الْحَقِّ مَا قَدْ تَوَلَّهَتْ لِمَرْئِهِ أَلْبَابُنَا وَلَهُ هَذَا
فَمَنْ كَانَ يَبْغِي السِّرَ لِلْجَانِبِ الَّذِي تَقَدَّسَ فَلَيَاتِ لِيَأْخُذَهُ عَنَّا

يقول رضى الله عنه، قد كشفنا عن العبودية غطاءً كَانَ حَاصِلاً من تداخل سِرِّهَا مع الحقيقة فبيَّنا محلَّ العبودية، من محلِّ الحقيقة. فَمَحَلُّ العبودية الظَّوَاهِرُ، ومحلِّ الحقيقة؛ وهو شهود الرُّبُوبية البواطن. وذلك أَنَّ الحق تعالى تَجَلَّى بين الضَّادَيْنِ، فتلجَّى بمظهرِ الرُّبُوبية، في قوالبِ العُبودية، ليتحقق اسمه الظَّاهر، واسمُه الباطن.

قال في الحِكم: سُبْحَانَ مَنْ سَتَرَ سِرَّ الخصوصية بظهور وصف البشرية. وظَّهَرَ بعظمة الرُّبُوبية، في إظهار العُبودية. فَمَنْ نظر لمطلق التجلَّى، رأى رُبُوبية ظاهرة أزلية، وَمَنْ نَظَرَ للقوالب رأى قوالب العبودية، فالعبد مأمور بالقيام بحق القوالب؛ وهي آداب العبودية. وبحقِّ الظواهر، وهي شهود عظمة الرُّبُوبية. فَظَهَرَ التمييز بين العبودية والرُّبُوبية. فأصبح ظاهراً مَا كَانَ بَاطِناً خَفِياً. وهذا معنى قوله: فَأَصْبَحَ ظَهراً مَا رَأَيْتُمْ لَهُ بَطْناً. فظَهراً خَبِرَ أَصْبَحَ. وَمَا اسْمُهَا. وبطناً مفعول ثانٍ لَرَأَيْتُمْ؛ أي فأصبح ما كنتم رأيتموه من العبودية بَطْناً ظَهْراً. هَذَا وَلَمْ تَرَ لِلنَّاطِقِ كَلَاماً مُسْتَوْفَى في العبودية. بل جَلَّ كَلَامُهُ في أنظامه في أسرار الحقيقة. فَلَتَشْكُلُمْ على شيءٍ مِنْهَا؛ فنقول، وبالله التوفيق: العبودية هي شَرَفُ الإنسان وعِزُّه، وسبب ترقيه إلى كَمَالِ الكَمَالِ؛ وهي مِفْتَاحُ الفتوحاتِ كُلِّهَا. فبقدرِ مَا يتحقق الظَّاهر بالعبودية يُشْرِقُ على الباطن أنوار الحقيقة. وتعرية الرأسِ، والجلوس على التراب، وغير ذلك مما يثقل على النَّفْسِ، ويجمع ذلك كله السُّؤَالُ في الأسواق؛ فهو يجهز عن النفس مرَّةً واحدة إن كَانَ بِأَذْنٍ، ولَغَيْرِ طَمَعٍ، ويلحق بذلك التخلُّق بالأخلاقِ الحَسَنَةِ، كالتواضع، والسَّخَاءِ، والكَرَمِ، وَسَعَةِ الصدرِ، وترك الغضب للنَّفْسِ،

وغير ذلك. وإن أردت أن تعرف العبودية، فانظر إن اشتريت عبداً من مالك، كيف تحب أن يكون معك فكن أنت مع سيدك كما تحب أن يكون عبدك معك.

فالعبد لا يكون بين يدي سيده حتى يحرره سيده إلا فقيراً ذليلاً، ولا يلبس إلا لباس الذل؛ وهي ثياب الخدمة والمهنة. فالعبد المتأدب لا يتحلى بحلية سيده حتى يحرره سيده. والعبد أيضاً لا يدبر أمر نفسه؛ وهو في مملكة سيده. إذ لا ينفعه ذلك أيضاً.

وإذا أراد العبد أيضاً أن يخطى عند سيده، يكون عند أمره ونهيه، سميعاً مطيعاً بالفهم عن سيده فيفعل ما يشتهي سيده قبل أن يأمره به.

وأيضاً: العبد المحب لسيده، لا يخدمه عن غرض، إذ لا يستحق على سيده شيئاً بل يخدمه عبودية ومحبة. وفي الحديث: «لَا يَكُنْ أَحَدُكُمْ كَالْأَجِيرِ السُّوءِ، إِذَا أُعْطِيَ عَمَلٌ وَالْأَمْرُ يَفْعَلُ». أو كما قال عليه السلام. ثم قال الناطم: هَدَانَا اللَّهُ تَعَالَى أَوْ الْعَقْلُ بِإِذْنِ اللَّهِ لِقَوْلِ الْحَقِّ. فقلنا فيما نظمنا؛ وهو شرح ما تولهت، أي تحيرت لعزته، أي لأجل صعوبته وغلبته ألبابنا؛ أي عقولنا. وله هُذُنَا؛ أي رجعتنا، بعد نفورنا عنه لصعوبته، أي ولهُ ثُبْنَا ورجعتنا إن لم نصادف الصواب. ثم قال: فَمَنْ كَانَ يَبْغِي السَّيْرَ وَالتَّهَوُّضَ إِلَى الْجَانِبِ الْأَقْدَسِ؛ وهو حضرة القدس، ومحل الأنس فليأت إلينا ليأخذه عتاً. فإن طريق السير لا تؤخذ إلا عن أزيابها؛ وهم الذين ساروا معها. وعرفوا وعرها وسهلها. والمراد: تزيية النفوس وتهذيبها. فلا تؤخذ إلا ممن أخذها عن غيره. وسلكها بنفسه. وخاض مقام الجذب، والسلوك، وحاز مقام الفناء والبقاء. ومن لم يسلك ذلك فلا يقتدى به في سلوكها. وبالله التوفيق. وهو الهادي إلى سواء الطريق. هذا آخر ما قصدناه من شرح النونية الششتري، على تصحيف في مثنيا. فمن وقف على خلل فليصلحه منها ومن شرحها، إذ قل ما يخلص مصنف من الهفوات. أو يتجو مؤلف من العثرات. كما قال الشيخ خليل رحمه الله. وكان الفراغ من تبييضه، ضحوة يوم الخميس، فاتح رجب سنة عشرين ومائتين وألف هجرية (1220هـ) على يد جامع. العبد الفقير أحمد بن محمد بنعجية الحسيني.

فهرس المحتويات

5	تَعْرِيفُ سَيِّدِي أَحْمَدَ بِنَعِيجِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
7	المقدمة
7	تعريف بسيدي أحمد بنعجيبة
	تَعْرِيفٌ بِالْقُطْبِ الْكَامِلِ الْأَنْوَارِ، فِي الْعُلُومِ وَالْأَذْوَاقِ وَالْأَسْرَارِ،
7	أَبِي الْعَبَّاسِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بِنَعِيجِيَّةِ الْحَسَنِيِّ الْأَعْرَ
10	شرح صلاة القطب ابن مشيش رضي الله عنه
41	شرح صلاة ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه
48	سلك الدرر في ذكر القضاء والقدر رضي الله عنه
49	البَابُ الْأَوَّلُ: فِي تَفْسِيرِ الْقَدْرِ وَالْقَضَاءِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ
50	البَابُ الثَّانِي: فِي الْإِسْتِذْلَالِ عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَكَلَامِ السَّلَفِ الصَّالِحِ. ...
55	البَابُ الثَّالِثُ: فِي بَيَانِ الْحِكْمَةِ وَالْقُدْرَةِ
57	البَابُ الرَّابِعُ: فِي إِطْلَالِ الْعُدُوِّ وَالطَّيْرَةِ
63	البَابُ الْخَامِسُ: فِي اكْتِسَابِ الْيَقِينِ، وَذِكْرِ مَوَادِّهِ وَمَوَاطِنِهِ
	معراج التشوُّف إلى حقائق التصوف للعارف بالله أبي العباس
68	سيدي أحمد بنعجيبة
104	شرح خميرية ابن الفارض رضي الله عنه
149	شرح قصيدة يَا مَنْ تَعَاظَمَ... للإمام الرفاعي
	شرح بعض مقتطفات الششتري للعارف بالله، سيدي أحمد بنعجيبة،
173	رضي الله عنه
192	شرح الأبيات الثلاثة لأبي القاسم الجُنَيْدِ
198	شرح الفتوحات القدسية في شرح المقدمة الأجرومية
356	شرح نونية الإمام الششتري لسيدي أحمد بنعجيبة رضي الله عنه